وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي آفلو

تنوير

للبحوث الانسانية والاجتماعية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر عن معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد 07 سبتمبر 2018

ISSN2571-9793

الهيئة العلمية

أ د/ حسين بوداود. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ د/ بن طاهر تيجاني. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ د/ عبد الحكيم الغزاوي الجامعة اللبنانية (لبنان)

أ د/طارق الجوازنة جامعة اليرموك الأردن

أ د/ عبد العظيم بشير خالقي جامعة طرابلس ليبيا

أد/ عبد الغني عماد الجامعة اللبنانية (لبنان)

د/ داودي محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بوفاتح محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ عمومن رمضان. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ عون علي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بن سعد أحمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ صخري محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ نوري محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ حران العربي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بن عون البودالي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بكاي رشيد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ سعودي أحمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بن جلول هزرشي. جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د/ سعد عبد السلام. جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د/ طحطاح مبروك. جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د/ عمار عبد الله محمود الفريحات جامعة البلقاء الأردن

د/ صباح نوري هادي العبيدي جامعة ديالى العراق.

د/ سالم محمد القرعان جامعة اليرموك الأردن

د/ بلبكاي جمال المدرسة العليا للأساتذة سكيكدة

د/ عميره عليه الصغير جامعة منوبة تونس

د/ حلمى محمد حلمى عبد العزيز جامعة الإسكندرية

د/ نصرة عبد العال منصور جامعة القاهرة مصر

د/ علة مختار جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د / خيالي بلقاسم. المركز الجامعي آفلو

د/ سعداوي مريم. المركز الجامعي آفلو

د/ ميلق عبد القادر. المركز الجامعي آفلو

د / قاسم سعاد. المركزالجامعي آفلو

د / زروقي ثامر. المركز الجامعي آفلو

د/ جلالي ناصر. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ ناجم مولاي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ/ رماضنية أحمد المدرسة العليا للأساتذة الأغواط

أ/ صافي محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ / عياط لمين. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ/ قروج بولفعة. المركز الجامعي آفلو

أ / قريبي مشري. المركز الجامعي آفلو

أ / تمير بولرباح. المركز الجامعي آفلو

أ / مهدي محمد. المركز الجامعي آفلو

أ / مايدي كمال. المركز الجامعي آفلو

أ / يزير جمال. المركز الجامعي آفلو

أ / بن سعيد جمال. المركز الجامعي آفلو

أ / شتوح بختة. المركز الجامعي آفلو

أ / بلحماري بشير. المركز الجامعي آفلو

قواعد النشر

1. تنشر المجلة البحوث العليمة للأساتذة في التخصصات التالية (علم النفس وعلوم التربية، التاريخ، فلسفة، علم الاجتماع).
2. تقدم البحوث على قرص مكتوب بنظام wordأو عن طريق البريد الإلكتروني: Levrert.dr@gmail.com
3. يرفق البحث بملخص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخص ثان باللغة الفرنسية أوالإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخص للسيرة الذاتية للباحث.
4. أن لا يكون البحث منشورا من قبل، أو مقدما للنشر في جهة أخرى، ويقدم الباحث تعهدا مكتوبا بذلك.
5. أن لا يكون البحث فصلا من رسالة جامعية.
6. أن لا تقل صفحات البحث عن 15 صفحة، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.
7. أن تكتب البحوث العربية باستخدام خط simplified Arabic بحجم 14، والبحوث باللغة الإنجليزية أو الفرنسية باستخدام خط Taime New Romans
8. أن يلتزم الباحث منهجية علمية معتمدة.
9. في التوثيق يمكن اعتماد منهجية (**APA**)أو التهميش أسفل الصفحة ـ استعمال التهميش الإلى ـ هنا يكون في أسفل كل صفحة وبترقيم متسلسل، كما يجب أن تجمع المراجع في نهاية البحث وترتب ألفبائيا.
10. أن يرفق بالبحث أدوات البحث المستخدمة إن وجدت.
11. البحوث التي تخل بأي ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.
12. تخضع البحوث و المقالات لرأي محكمين من مختلف الجامعات الوطنية والدولية.
13. ترتيب البحوث لا يخضع لأهمية البحث و لا لمكانة الباحث.
14. البحوث التي تقدم للمجلة لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلة بأبداء أسباب عدم النشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها، و لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أوالمركز الجامعي. كما لا تتحمل المجلة مسؤولية الإخلال بقواعد الملكية الفكرية.

فهرس الموضوعات

إعلام الثورة الجزائرية المطبوع، المسموع، ودوره النضالي الباحثة / آمال سي موسى.....الباحثة / فريدة صغير عباس.... جامعة الجزائر -03-	01
الأمراض الاجتماعية في البلاد التونسية في الفترة الحديثة : الصراع بين الساحل والداخل (المركز والتخوم) د / عبد القادر سوداني ـ جامعة صفاقس ـ تونس.	14
إجراءات توظيف الموارد البشرية بالمؤسسة الصناعية دراسة ميدانية بمؤسسة مطاحن البيبان "سمباك " بمدينة برج بوعريريج. د/ سلوم مبروكة ـ جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريرج ـ الجزائر.	26
إدارة وتسيير الموارد البشرية في ظل المقاربات المعرفية- قراءة نظرية تحليلية في ظل المفهوم والأهداف- د/ بحري صابر ..... د/ خرموش منى..... جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02-الجزائر.	46
التوافق المهني للعامل كإحدى مؤشرات جودة حياته المهنية. الباحثة / غزال حياة... جامعة عبد الحميد مهري ـ قسنطينة 2 ـ الجزائر الباحثة / بختاوي زهرة..... جامعة باجي مختار ـ عنابة ـ الجزائر	66
العـلاج المعرفي السلوكي لاضطراب الحصر المعمم (دراسة حالة لحامل مصابة بارتفاع ضغط الدم الحملي) الباحثة / سلطاني عومرية..... أ. د/مكي محمد... جامعة عبد الحميد مهري ـ قسنطينة 2 ـ الجزائر.	87
إشكال الموضوعية في العلوم الإنسانية "بين المعوقات والحلول" الباحث/ مخطار ديدوش محمد ـ جامعة الجزائر 2	110
العمارة العثمانية في الجزائر-قصر أحمد باي نموذجاً- .... أ/ فطيمة الزهراء حوتية-جامعة أدرار-الجزائر.	121
تجارة الرقيق والتنوير الأوروبي. د/ بن جلول هزرشي ـ جامعة زيان عاشور ـ الجلفة ـ الجزائر.	135
بناء و انتاج الخطاب السوسيولوجي بالجامعة الجزائرية بين رهانات التجديد لتحليل الواقع الاجتماعي وبين انتكاسات التعالي والفبركة –دراسة لنخبة من أساتذة علم الاجتماع بجامعة الجزائر2. د/ طارق تواتي... جامعة الجزائر2 .... د/دناقة احمد.... جامعة بشار ـ الجزائر.	142
تأثير القيادة التحويلية على أداء الموظفين (دراسة ميدانية بالمركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان) د/ معروف هواري المركز الجامعي أحمد زبانة ـ غليزان..... الباحثة/ دراعو فاطمة... جامعة وهران -2-	162
تطوير المناهج الدراسية في الوطن العربي - التحديات والآفاق - د/ فنطازي كريمة. .... الباحثة/ مراد فاطمة الزهراء..... جامعة باجي مختار- عنابة- الجزائر.	182
دلالات صدق وثبات مقياس السلوك الفوضوي -دراسة سيكومترية- أ/عدة بن عتو- جامعة الشلف .... أ/ بلعربي عادل عبد الرحمن- جامعة تيارت.... أ.د/ ماحي إبراهيم-جامعة وهران.	199
سياسة ديغول في فصل الصحراء الجزائرية-1958-1962م الباحث / بن موسى محمد ـ المدرسة العليا للأساتذة ـ بوزريعة ـ الجزائر.	222

رحلة حياة.. بدايتها النار (دراسة أثرية)..... د / زينب عبد التواب رياض خميس ـ جامعة أسوان ـ مصر.	242
دور الزوايا في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الفرد الجزائري د/ زيوش سعيد ..... د/ بومدفع الطاهر..... جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف ـ الجزائر.	267
الأمثال الشعبية كموروث ثقافي في المجتمع الجزائري. الباحثة / أم هاني سعداوي ـ جامعة علي لونيسي– البليدة – الجزائر.	287
دور المعلم أمام التكنولوجيا الرقمية في الغش في الامتحانات من وجهة نظر التلاميذ. أ.د/ قادري حليمة.....الباحثة/ قويدر خيرة.... جامعة وهران2 .	299
دور التفاعلات الاجتماعية والأنشطة الرياضية في الحد من العود للجريمة من وجهة نظر السجناء الشباب المفرج عنهم ..... د/ وسيلة بن عامر ....د/ فايزة حلاسة .... جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ الجزائر.	316
سياسة فرنسا الصحية بالمغرب زمن الحماية: التهدئة المؤدية للاحتلال. د/ محمد أيت جمال ـ المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين ـ أكادير ـ المملكة المغربية.	331
تطور الثورة بمنطقة بسكرة- الجزائر-1954 م أ/ أكرم بوجمعة ـ جامعة باتنة 01ـ الجزائر.	345
واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التعليم الجامعي. د/ محلب حفيظة ـ جامعة الجزائر3	361
مكانة جهة تطاوين (الجنوب الشرقي التونسي) في التجارة الرومانية د/ محمد اللّافي ـ جامعة سوسة ـ تونس.	383
نشاط الأطباء وطلبة الطب الجزائريين بالقاعدة الخلفية الغربية خلال الثورة التحريرية (1954-1962). الباحثة/ عائشة مرجع ـ جامعة أبو بكر بلقايد ـ تلمسان ـ الجزائر.	401
واقع السياحة بولاية عنابة: إقليم شطايبي نموذجا د/ نور الهدى عبادة ـ جامعة الجزائر3.... د/ طبيب شريفة ـ جامعة باجي مختار ـ عنابة.	413
القرصنة من منظور فقهاء العهد الحفصيّ: بين شرعيّة الجهاد وتفوّق المصالح. د/ هشام صمايري، جامعة قفصة (تونس)	432
الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو في ضوء بعض العوامل السوسيوديمغرافية د/ ديهية أيت حمودة..... أد/ حكيمة أيت حمودة.....جامعة الجزائر -2-	454
L'art de la rue comme forme d'expression artistique : Le Rap comme exemple D/ SAADELLAOUI Wahiba - université de Sfax – Tunisie.	478
HANNIBAL L'OMBRE DE SON PERE…..D/ Adel Njim – Université de Sfax (Tunisie).	488

إعلام الثورة الجزائرية المطبوع، المسموع، ودوره النضالي

الباحثة / آمال سي موسى
جامعة الجزائر -03-

الباحثة / فريدة صغير عباس
جامعة الجزائر -03-

ملخص الدراسة:

لقد أظهرت الأحداث التاريخية ودروس التاريخ أن للحرب أسلحة متعددة ومتنوعة كالجيش، الدبلوماسية والاقتصاد، ضف إلى ذلك الدعاية والإعلام إنه كفاح على جميع الأصعدة، والإعلام بوسائله المتعددة وأشكاله المختلفة يعد أحد أوجه الكفاح وأكثرها فتكا في عملية الدفاع أو الهجوم ومقدرة على دحر الخصوم وإلحاق الهزيمة بهم.

ولقد كان الإعلام الجزائري في بدايته وخلال الفترة الاستعمارية إعلام مقاومة محصورة إلى حد ما في إطار الشرعية الاستعمارية، ولم يكن يحمل الطابع الثوري غير أن بعض المحاولات التي أرادت أن تسير في اتجاه الإعلام الثوري مثل "البرلمان الجزائري" و"صوت الشعب" كانت بمثابة إرهاصات أولية في سبيل إعلام ثوري يأخذ طابعه المنظم والمرتكز على مبادئ ثابتة، وفي هذا السياق تهدف دراستنا إلى التعرف على وسائل الإعلام الثوري إبان حرب التحرير وتصنيفاتها ونشأتها، إضافة إلى الدور الكفاحي والنضالي الذي لعبه لمواجهة الاستعمار.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الثوري، وسائل الإعلام، وظيفة الإعلام الثوري.

abstract:

Historical events and history have shown that the war has many weapons, such as the army, diplomacy and the economy, in addition to propaganda and media. It is a struggle at all levels. The media, through its various means and forms, is one of the most deadly aspects of the defense or attack and the ability to defeat and defeat adversaries. .

The Algerian media at the beginning and during the colonial period were a somewhat limited resistance within the framework of colonial legitimacy. It did not carry the revolutionary character, but some attempts to move towards revolutionary media such as the Algerian Parliament and the Voice of the People In this context, our study aims to identify the revolutionary media during the war of liberation, its classifications and its origins, in addition to its struggle and struggle role in confronting colonialism.

Keywords: revolutionary media, media, revolutionary media.

مقدمة:

يشغل الإعلام حيزا هاما وأساسيا في العمل السياسي وتزداد الحاجة إليه كلما كان هذا التنظيم أو الحركة داخله في معترك كبير مثل الحرب التحريرية الجزائرية، فإلى جانب البرنامج السياسي والمنحى

الاديولوجي يتطلب إيجاد إعلام خاص ليكون المنبر الذي يعبر من خلاله عن أهداف، أفكار وآراء قضية ما، يعمل على إقناع وتعبئة وتوعية الجماهير لتلتف حول القضية وتدعمها، وهكذا فإنه بنجاح العمل الإعلامي وأداءه لمهامه كما ينبغي يكون التنظيم السياسي قد قطع أشواطا في سبيل الانتصار.

وعند اندلاع الثورة التحريرية سنة **1954م** كان مسؤوليها على يقين بأن دروب الحرية ليست سهلة وأن نجاح الثورة يتوقف على الكفاح المسلح أولا ثم على الدعاية وتدويل القضية ثانيا، خاصة وان الجزائر كانت بصدد مواجهة عدو متمرس ويكسب خبرة عريقة في ميدان الدعاية والحرب النفسية.

ولقد عبرت وثيقة الصومام الصادرة سنة **1956م** عن أهمية الإعلام والدعاية وعن طبيعة دورها في الكفاح المسلح كضرورة لتكثيف النشاط الدعائي على الصعيد الوطني والدولي، وإن الجانب الإعلامي للثورة التحريرية لم يحضى بالعناية المطلوبة حيث بقي في كتمان التاريخ، واستنادا على ما سبق فإن هذه الورقة البحثية ستجيب على الإشكالية التالية: **كيف ساهمت وسائل الإعلام الثوري في نشر نضال الثورة الجزائرية داخليا وخارجيا؟**

1- الإعلام كبعد رئيسي في إدارة الأزمات الدولية

مفهوم الأزمة من المفاهيم التي تتميز باتساع مجالات استخدامها، فهي ضاربة بجذورها في كل التخصصات والحقول المعرفية، بدأ من النفس البشرية إذ يمكن الحديث عن أزمة نفسية أو أزمة ثقة...الخ، كما تستخدم في مجال العلوم السياسية عند توتر العلاقات بين الدول، وفي العلوم الاقتصادية للحديث عن أزمة الكساد والإفلاس وغيرها من الاستخدامات.

وجاء في قاموس **"le petit robert"** أن الأزمة هي مرحلة صعبة تعرف حالة من الاضطراب تتعلق بأشياء ما أو أحداث وأفكار.[1]

أحدث الإعلام تأثير كبير في كل مجال الحياة وسلوكيات أفراد المجتمع، شملت الأعراف والقواعد والقيم الاجتماعية، هذا فضلا عن ما تعرضه وسائله المتعددة من أحداث دولية بعدما جعلت من العالم قرية صغيرة، وقد نجحت السياسة بكل مقوماتها وأساليبها في توجيه دفة الإعلام نحو أهدافها الإستراتيجية

---

[1] - Michele gabay , 2001, **la nouvelle communication de crise**: concepts et outile ,paris, edition stratégie, p33.

المرسومة رغم تناقض أقوالها مع أفعالها، وتعريض البشرية لحروب وأزمات مفتعلة تارة، وحقيقية تارة أخرى، جعل من الإعلام ووسائله الدور المؤثر، وفي بعض الأحيان العامل الحاسم في هذه الأزمات.[1]

إن إستراتيجية الإعلام أثناء الأزمات الأمنية والحروب تقوم على متابعة ما يبث في وسائل الإعلام الأجنبية فيما يتعلق بالدولة لاسيما الأحداث السياسية بين الدول وحدودها وسيادتها، وتتبع آراء الجمهور ورصد الظواهر الإجرامية على كافة الأصعدة وقياس اتجاهات الرأي العام حيال القضية الأمنية الراهنة والعمل إما على تغييرها أو ترسيخها.[2] وهنا يظهر الدور الإعلامي الذي تحدثه الرسالة الموجهة من شخص أو مجموعة أشخاص، وهو ما يؤدي بدوره إلى إحداث تأثير مطلوب أو غير مطلوب، ويحقق الهدف أو لا يحققه، وذلك على مستوى ضعيف أو قوي، وهذا يفرض على تلك الوسائل أن تتعامل مع الأزمة بحكمة وحرفية حتى يتم تجاوزها.[3]

قد يكون الإعلام في كثير من الأحيان الأداة الرئيسية لإدارة الأزمة، وربما يكون النجاح في تجاوز الأزمة، والخروج منها بأقل الخسائر، نتيجة لنجاح أجندة الأزمات الدولية إلا أن لها دوراً مؤثراً في تحديد كيفية معالجة هذه الأزمات، نظراً لحساسية وخطورة تأثير الأزمة الدولية على متغيرات العلاقات بين الدول والسلم والأمن الدوليين، وتصاعد حدة التوتر بين الأطراف المختلفة وبروز احتمالات السيناريوهات الأسوأ ، تعمل العديد من الوسائل الإعلامية في هذه الحالة على جذب اهتمام الجماهير والتأثير فيها ، وهى لا تؤدى هذا الدور بمعزل عن باقي أدوات إدارة الأزمة ، وإنما تؤديه من خلال إدراك واضح لعلاقات متداخلة وأدوار متكاملة في لحظة حرجة، ليأتي الأداء متناغماً في الوعي، ساعياً نحو هدف محدد، لا مجال فيه لصراع أو تناقض أو خروج عن سياق الهدف المنشود من وراء استخدام وسائل الإعلام في التحكم أو توجيه الأزمة.[4]

إن النجاح في إدارة الأزمة داخل الجهاز الإعلامي, سواء كان مسموعاً أو مرئياً أو مقروء، يكون رهناً بمدى إدراك فريق العمل المنوط به التعامل مع الأزمة، وتناولها من خلال الوسيلة التي يعمل بها،

---

[1]– جهاد الغرام، سبتمبر 2012، **دور الإعلام في فترة الاحتلال الفرنسي (1954–1962)**، دورية كان التاريخية، العدد السابع عشر، ص 73.

[2]– أديب خضور، 1990، تطوير الإعلام الأمني العربي واقعه وآفاق تطوره، أكاديمية نايف العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص64

[3]– جهاد الغرام، مرجع سبق ذكره، ص 74.

[4]– السيد بهنسى، 2010، الإعلام وإدارة الأزمات الدولية ، القاهرة : عالم الكتب، ص 24.

وهذا يتطلب مجموعة من الأسس والخطوات التي يجب إتباعها عند حدوث الأزمة سواء كانت هذه الأزمة طويلة المدى أو قصيرة أو مفاجأة تماماً أي غير متوقعة على الإطلاق أو محتملة الحدوث وهناك بوادر ومقدمات لها.

2- وسائل الإعلام الثوري: المعروف أن التنظيمات السياسية في الجزائر كانت تولي أهمية بالغة للإعلام وكانت هناك العديد من المحاولات التي نجحت وهناك محاولات رصدها المستعمر وحال دون هدفها.

وتعتبر نشرة الوطني "**patriote**" التي أصدرتها اللجنة الثورية للوحدة والعمل **(C.R.U.A)** سنة **1954م** آخر حلقة من حلقات البحث عن إعلام ثوري قبل الثورة، وهذه التجارب المتواصلة فتحت المجال لتأمين إعلام ثوري بالرغم من قلة الإمكانيات والمختصين في المجال، وفيما يلي عرض لوسائل الإعلام المعتمدة في الثورة الجزائرية.

1-1- البيانات والنشريات:

1-1-1- بيان أول نوفمبر: صدر بيان الثورة فكان أول عمل إعلامي سياسي مدروس يظهر باسم جبهة التحرير الوطني، ويتجه إلى الشعب الجزائري كله بصفة خاصة وإلى الاستعمار بصفة متحدية وإلى العالم بصفة المستغيث وطالب الدعم والمعلن عن ميلاد الثورة وأهدافها الداخلية والخارجية.[1]

ويعتبر البيان أهم وثيقة إعلامية صياغتها عبقرية الجماعة التي صنعت الثورة وقد قام بتحرير النسخة النهائية وإعادة صياغتها المناضل "**العيشاوي محمد**"[*]، تضمن البيان الخطوط العريضة للثورة التحريرية من حيث وسائل الكفاح المساح والدخول في المفاوضات مع العدو إذا جنح السلم.

ويعد بيان الفاتح نوفمبر ذا مدلول إعلامي بالنظر إلى أول نقطة تعرض لها إذ يقول:« إليكم نتوجه بندائنا هذا أنتم الذين ستحكمون لنا أو علينا إلى الشعب الجزائري بصفة عامة وإلى المناضلين بصفة خاصة، وغرضنا من نشر هذا النداء هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى الكفاح وذلك بأن نشرح لكم برنامجنا ونبين لكم صحة آرائنا ومغزى كفاحنا المبني أساسا على التحرر في نطاق

---

[1]- أحمد حمدي، 2007، الثورة الجزائرية والإعلام: دراسة في الإعلام الثوري، دون طبعة، وزارة الثقافة، الجزائر، ص ص 52-53.

[*] العيشاوي محمد: 1921-1959 ولد في بومرداس كان صحفي في جريدة "Algérie libre" ومراسل دائم لجريدة le monde، تم تكليفه من قيادة الثورة بالصياغة النهائية لبيان أو ث نوفمبر 1954. للمزيد انظر: عفروف لزرز :مذكرات من وراء القبور، ترجمة مسعود حاج مسعود،ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

الشمال الإفريقي كما نرغب في أن نزيل عنكم البلبلة التي يعمل على تنميتها الاستعمار وعملاؤه من الإداريين والسياسيين المتعفنين.»[1]

1-1-2- النشرات: اعتمدت المنشورات كوسيلة إعلامية من أجل متابعة الشرح والتوضيح والإقناع بأهداف ومبادئ بيان أول نوفمبر، بالإضافة إلى حماية الجماهير من مناورات الدعاية الفرنسية، كما كان المنشور يعطي فكرة واضحة للرأي العام الداخلي والعالمي عن الثوار الجزائريين وأهم اتجاهاتهم وأهدافهم المسطرة داخليا وخارجيا.[2]

ولقد لعب "**المحافظون السياسيون**"** دورا مهما في هذا المجال من خلال رفع وتعزيز معنويات الشعب الجزائري بتوزيع المناشير في المدن والأرياف، وذلك بشرح المهام المرحلية التي يتوجب على المواطنين انجازها.

ومن أهم المنشورات الإعلامية نذكر منشور **30أكتوبر 1954م** والذي صدر يومين قبل بيان أول نوفمبر من طرف جيش التحرير الوطني تحت عنوان "**من جيش التحرير الوطني إلى الجزائر المسلمة**" احتوى على تمهيد لإقناع الشعب بضرورة الكفاح المسلح من أجل الاستقلال، وهناك منشور بعنوان "**التنظيم والدعاية**" خصص لمناضلي جبهة التحرير الوطني كانت غاياته عديدة من بينها إيضاح العلاقة التكاملية بين جبهة التحرير وجيش التحرير الوطنيين، بالإضافة إلى منشور "**انجازات الثورة**" وقد خصص هذا المنشور لعامة الشعب بهدف إعلامهم بانجازات الثورة على الصعيد السياسي، العسكري والدبلوماسي خلال تسعة أشهر من اندلاعها.[3]

1-2- الصحف: كان الوضع الإعلامي في الجزائر غداة اندلاع الثورة تحت سيطرة السلطات الاستعمارية الفرنسية، ماعدا بعض الصحف التابعة لجمعيات دينية أو ثقافية أو أحزاب سياسية، ولم تكن

---

[1]- محمد الشريف عباس، 1996، من وحي نوفمبر مداخلات وخطب، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، ص81.

[2]- أحمد حمدي، مرجع سبق ذكره، ص54.

** المحافظون السياسيون: هم من المناضلين مهمتهم توعية الشعب وتوجيهه سياسيا واجتماعيا ونفسيا، من خلال إطلاع الشعب بالمستجدات السياسية والعسكرية، زيادة على إبلاغ وبتعليمات وأوامر ج.ت.و، بالإضافة إلى رصد تحركات القوات الفرنسية ونقلها إلى مسؤولي الثورة.للمزيد انظر: الغالي غربي، فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1958 دراسات في البيانات والممارسات.

[3]- حسن بومالي، دون تاريخ النشر، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، دون طبعة، الجزائر، ص251.

لجبهة التحرير الوطني صحف صادرة باسمها نظرا لطابع السرية الذي ميز عملها، حيث كانت تستعمل مناشير للتعريف بمواقفها أمام الرأي العالم الوطني.

في عام **1881م** أصدر البرلمان الفرنسي قانون حرية الصحافة وبالضبط في 29-07-1881م وبعده بثمانية أشهر فقط صادرت السلطات الفرنسية جريدة "المنتخب" التي كانت تصدر بقسنطينة لكونها انتقدت سياسات الكولونيالية التعسفية، وطالبت بالمساواة بين المسلمين والفرنسيين، رغم أن مالك الجريدة فرنسي الذي حكم عليه رفقة طاقم الجريدة بالسجن والغرامة المالية.

وفي عام **1893م** صدرت جريدة "**الحق**" التي تعد أول صحيفة وطنية يصدرها ويحررها جزائريون، واتجهت من خلال سلسلة تحقيقاتها إلى كشف مخططات اليهود للاستيلاء على أراضي الجزائريين، الأمر الذي أدى بها إلى التوقيف والمصادرة مثل سابقتها جريدة " **المنتخب**".

وبعد ذلك أصبح توقيف الصحف تقليدا مستمرا للسلطات الفرنسية، ففي الفترة الممتدة بين **1893-1939م** تم توقيف ومصادرة **45** جريدة من مجموع **78** جريدة، ولم تسلم من المضايقات سوى بعض الصحف الموالية للحكومة الفرنسية حتى وإن كان مؤسسوها جزائريون على غرار "**كوكب إفريقيا**" التي استمرت في الصدور من **1901م** إلى **1939م** وجريدة "**النجاح**" من **1915**إلى **1956**م.

وتعتبر ولاية الأوراس أول من أصدرت نشرة صحفية سنة **1955م** أهمها "**الوطن**" تصدر باللغة الفرنسية، تتضمن أخبار الولاية ومخاطبة القاعدة الجماهيرية الواسعة، تلتها عدة نشرات من عدة ولايات نشر أخبار المقاومة بها.[1]

1-2-1- المقاومة الجزائرية: بعد أن تعزز الرأي القائل بضرورة إنشاء إعلام ثوري صدرت أول صحيفة المقاومة الجزائرية تحمل أخبار الوطن، تعبيرا عن الكفاح المسلح الثابت، وقد صدرت هذه الأخيرة في كل من فرنسا والمغرب وتونس.

- المقاومة الجزائرية بالفرنسية تصدرها فيدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا.
- المقاومة الجزائرية يصدرها مكتب جبهة التحرير الوطني بالمغرب.
- المقاومة الجزائرية يصدرها مكتب جبهة التحرير بتونس.

وقد اختلفت "المقاومة الجزائرية" عن نشرية "الوطن" اختلافا جوهريا من حيث مهامها الأساسية المكلفة بمخاطبة القاعدة الجماهيرية الواسعة.[1]

---

[1]- Brahim brahimi, 1990, le pouvoir, la presse, et les intellectuels en Algérie, édition l'harmattan, France, p45.

1-2-2- جريدة الجمهورية الجزائرية: لصاحبها "**فرحات عباس**"*** الناطق الرسمي باسم حزب الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري، سياسة هذه الصحيفة قامت على استعراض التطورات الخاصة بالساحة الجزائرية والتعريف بأهداف الحركة السياسية إلى جانب تحليل الأوضاع داخليا وخارجيا.[2]

1-2-3- جريدة المجاهد: صدرت في منتصف جوان **1956م** حيث ظهر منها ثلاثة أعداد قبل انعقاد مؤتمر الصومام، وكانت قبل انعقاده مثل بقية صحف الثورة الأخرى تنطق باسم جبهة التحرير الوطني لتصبح بعد ذلك الناطق الرسمي الوحيد لهذه الأخيرة. عرفت صحيفة المجاهد أثناء الثورة المسلحة ظروفا مختلفة فقد كانت تصدر من داخل البلاد من أول صدور لها إلى غاية **25جانفي 1957م**، بعد اكتشاف مقرها بالقصبة ليتم انتقال إصدارها إلى المغرب من 05 أوت 1957 إلى الفاتح نوفمبر من نفس السنة، بعد أن قررت لجنة التنسيق والتنفيذ نقلها إلى تونس إلى أن استرجعت الجزائر حريتها.[3]

1-2-4- جريدة البصائر: الناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين والتي كانت تتوجه بخطاب مزدوج إلى الرأي العام الوطني والدولي، فلقد كانت من جهة تدعو إلى الحوار ومن جهة أخرى تكرس في أعدادها ليوميات الأزمة الجزائرية.[4]

1-3- الإذاعة: عرفت الجزائر الراديو عام 1920م، عندما قام أحد الفرنسيين بإنشاء محطة إرسال علة موجة متوسطة لم تتعد قوتها 100 واط، لترتفع عام 1921م إلى 600 كيلو واط، وكانت هذه الإذاعة تحت سيطرة الحكومة الفرنسية وتبث برامجها بالفرنسية، مما أدى إلى ضعف الاقبال عليها، فبذلت السلطات الفرنسية في الجزائر جهدا كبيرا للاتصال بالجزائريين، بنقل الأخبار الخاصة بالنشاطات السياسية للحكومة الفرنسية بالجزائر فخصصت أستوديو مستقل لانجاز برامج باللغة العربية، وأنشأت قناة أخرى تبث بالأمازيغية في كل من قسنطينة، وهران، بجاية، كما أدخلت أجهزة وإصلاحات تقنية على

---

[1]- أحمد بومالي، مرجع سبق ذكره، ص ص85-88.

*** فرحات عباس: ولد عام 1899، بدأ في نشر مقالات سياسية في جريدة الإقدام منذ العشرينيات، رفع شعار الإصلاح والدفاع عن حقوق المسلمين، أسس حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، ودافع بشراسة عن أفكاره ومواقفه، عين عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ في أوت 1957، كان أول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة في سبتمبر 1958وأعيد تعيينه رئيسا لها سنة 1960.

[2]- حسن بومالي، مرجع سبق ذكره، ص268.

[3]- أحمد حمدي، مرجع سبق ذكره، 85-147-148.

[4]- حسن بومالي، مرجع سبق ذكره، 269.

محطات الإرسال ومحطات الربط بين عدة مدن جزائرية، وبلغ عدد المستمعين حوالي **358** مستمع عام **1965م**.[1]

وقد كانت الصحافة المسموعة من صلب اهتمامات جبهة التحرير الوطني كما وظفت الثورة الإعلام المسموع بقوة، وجعلت من محطات الإذاعات العربية صوتا لكلمة الجزائر وميدانا للتعريف بالقضية الجزائرية، والتي سنعرضها فيما يلي:

3-1-1- صوت العرب من القاهرة: تأسست الإذاعة في جويلية 1952م حيث كانت قناة أساسية للتعبئة الجماهيرية ضد الاستعمار والهيمنة في الوطن العربي، من أجل الاستقلال والتحرر فمن على منبر إذاعة صوت العرب من القاهرة تمت إذاعة بيان أول نوفمبر 1954م.

فلقد خصصت الإذاعة ثلاثة برامج أسبوعية للجزائر بمدة عشر دقائق للبرنامج وهذه البرامج هي "**وفد جبهة التحرير يخاطبكم من القاهرة**" يذاع بالعربية، برنامج "**هنا صوت الجمهورية الجزائرية**" يذاع بالفرنسية، أما الثالث فهو تحت وسم "**جزائري يخاطب الفرنسيين**" ويذاع بالفرنسية وقد أدى هذا الأخير دورا هاما وبارزا في تنوير الرأي العام الفرنسي والعالمي بصفة عامة. وقد عملت الإذاعة على تبليغ أخبار الثورة وحث المجاهدين على مواصلة الهجمات إضافة إلى إيصال صوت الثورة إلى الرأي العالمي.[2]

1-3-2- صوت الجزائر من تونس: لقد سارعت تونس بدعم الجزائري إعلاميا بعد استقلالها مباشرة، حيث كانت تقوم ببث البرنامج الموسوم بـ"**صوت الجزائر الحرة**" ولقد أثار هذا البرنامج الجريء ضجة إعلامية وأزمة سياسية بين الدولة وفرنسا فأصبح يحمل عنوان "**الجزائر العربية الشقيقة**". كان صوت الجزائر من تونس يكتسي أهمية خاصة تكمن في صوت المذيع "**عيسى مسعودي**"**** كما أنها قامت بدور فعال في الدعاية للثورة الجزائرية والتعريف بها على المستوى الداخلي والخارجي.[3]

---

[1]- زهير احدادن، 1989، تاريخ الإذاعة والتلفزيون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 100.

[2]- حسن بومالي، مرجع سبق ذكره، 269.

**** عيسى مسعودي: ولد في 12ماي 1931، كان ضمن جمعية الطلبة الجزائريين الذين شاركوا في المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين المنعقد بالعاصمة الفرنسية، عمل كمذيع في إذاعة تونس الوطنية سنة 1956، لقد كان صوت عيسى مسعودي حافزا لا مثيل له في صفوف جنود جيش التحرير الوطني، توفي في 19ديسمبر 1994. للمزيد انظر: محمد عباس، فصول ملحمة التحرير فرسان الحرية، ج 7، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2013.

[3]- حبيب حسن اللولب، 2009، التونسيون والثورة التحريرية، جزء 1، الطبعة الأولى، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ص299.

1-3-3- صوت الجزائر من المغرب الأقصى: كانت المغرب من أولى البلدان العربية التي ساندت القضية الجزائرية بفتح قنواتها لصوت الجزائر من الرباط التي يحمل برنامج قناتها أخبار الميدان العسكري إضافة إلى معرض الصحافة الدولية.

وفي سنة **1961م** أنجزت السلطات المغربية في مدينة الناظور أستوديو إذاعة الجزائر الحرة المكافحة تقدم برامج سياسية ثقافية وفنية.[1]

1-3-4- الإذاعة السرية الجزائرية: منذ 16 ديسمبر 1956م ظهرت إذاعة الجزائر الحرة المكافحة الخاصة بجبهة التحرير الوطني، حيث كانت تذيع بانتظام برامج يومية بالعربية الفصحى، الآمازيغية والفرنسية، ولقد كانت تذيع برامجها من مناطق مختلفة ثم استقرت بمدينة الناظور على الحدود المغربية الجزائرية.

تعرضت الإذاعة السرية إلى التشويش من طرف السلطات الفرنسية حيث قامت سنة 1958م بمحاولة عن طريق الطائرات من أجل تحديد مكان البث ونجحت في ذلك فيما بعد، ليقوم المناضلون بإيقاف البث لمدة أربعة أشهر ليتم استئناف العمل الإعلامي بإنشاء إذاعة ثابتة على الحدود المغربية، حيث كانت محاطة بوسائل الدفاع المختلفة.

لقد قامت هذه الإذاعة بأداء دورها كاملا في رفع معنويات المجاهدين وبعث الثقة في نفوس الشعب الجزائري، حيث يعتبر إنشاءها رغما عن الاستعمار وتحديا له حدثا له آثاره على الرأي العام الجزائري.[2]

1-4- المكاتب الإعلامية: استعملت جبهة التحرير الوطني على المستوى الخارجي إلى جانب القنوات الإذاعية للدول الشقيقة المكاتب الإعلامية للتعريف بثورتها، ومواجهة التعميم الإعلامي الاستعماري، وكانت القاهرة أول دولة عربية يفتح بها مكتب إعلامي للجبهة سنة **1955م**، ثم توالت المكاتب في دمشق، بيروت، جدة، عمان، طرابلس، تونس والمغرب، كما فتحت مكاتب أخرى في آسيا مثل: جاكرتا، نيودلهي، كراتشي في افريل **1956م** وفي ذات السنة فتح مكتب في نيويورك وكان لهذا الأخير أهمية خاصة لقربه من هيئة الأمم المتحدة، وكانت هذه المكاتب سواء داخل أو خارج الوطن

---

[1]- الأمين بشيشي،2013، أضواء على إذاعة الجزائر الحرة المكافحة ومحطات إذاعية أخرى متضامنة، تقديم زهير أحدادان، منشورات أصالة ثقافة، الجزائر، ص31.

[2]- حسن بومالي، مرجع سبق ذكره، ص299.

تعتمد في مادتها الإعلامية ونشاطاتها الدعائية والدبلوماسية على النشرات والتصريحات الصادرة عن جبهة التحرير الوطني وبرامج منجزة من قبل الطلبة الجزائريين.[1]

2- الدور النضالي للإعلام الثوري الجزائري: لقد حقق إعلام الثورة منذ اللحظة الأولى قفزة نوعية عندما ساهم بقوة في دعم التحام الشعب الجزائري بالثورة منذ انطلاق الرصاصة الأولى.

ولقد تجلى دور الإعلام الفعال في مواجهة الترسالة الكبيرة من الإطارات المتخصصة والعتاد الذي أقامته الدوائر الاستعمارية على أرض الجزائر للدعاية المضللة التي كانت تستهدف الرأي العام. ويمكن تقسيم أهداف إعلام الثورة داخليا وخارجيا:

2-1-الأهداف الداخلية: كان الاهتمام منصبا على الدعاية والإعلام، وفي هذا الإطار تم إنشاء سلك المحافظين السياسيين إلى جانب مصالح الاستعلامات الأخرى، وقد قام هذا الجهاز بدور هام في التوعية والتعبئة والتفاف الجماهير حول ثورتها، ومقاومة الحلول الجزئية والانهزامية التي كان العدو يروج لها، وذلك بشرح أهداف الثورة وإطلاع الشعب على انتصارات وحدات جيش التحرير الوطني باستخدام الإعلام المكتوب والإعلام المسموع والمرئي، لتكون مهمة المناضل ورجل الاستعلامات متكاملة في الثورة التحررية،[2] وعليه حددت أهداف الإعلام المقاوم الجزائري داخليا كالأتي:

* وارتبط هذا الهدف بالمرحلة الممتدة من 1954-1956 تقريبا وقد وجهت دعاية على المستوى الداخلي جهودها لإقناع جميع فئات الشعب الجزائري بالالتفاف حول الثورة.

* تجنيد الشعب الجزائري وراء جبهة التحرير الوطني ودفعه لمساندتها.[3]

* الاعتماد على وسائلها الخاصة لضمان حريتها في التعبير، وشرح سياساتها وتقديم برنامجها، وسرعة التحرك حسب مقتضيات المستجدات على الساحات العسكرية، والسياسية والدبلوماسية، بنا يخدم أهدافها و يحقق بلوغ الاستقلال والحرية.

---

[1]- الأمين بشيشي، مرجع سبق ذكره، 32-33.

[2]- جهاد الغرام، مرجع سبق ذكره، ص 77.

[3]- جويدة بوقرة، كريمة العقلي،2015، الإعلام ودوره أثناء الثورة التحريرية جريدتي (المقاومة والمجاهد نموذجا)1954-1962، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة المدية، الجزائر، ص ص48-49.

2-2- الأهداف الخارجية: تحددت أهداف إستراتيجية الثورة في السعي للحصول على أقوى ما يمكن من التأييد المادي والمعنوي والنفسي بتدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية فأسند ذلك إلى لجنة الخمسة المنبثقة عن اجتماع 22 وأسند أمر تنظيم الحملات الإعلامية والتظاهرات والإضرابات إلى التنظيمات النقابية والجماهيرية من أجل تكذيب الدعاية الفرنسية بوصف الثورة بالأعمال الإجرامية أمام الهيئات العالمية وعرض القضية الجزائرية على هيئة الأمم المتحدة، وكان ذلك جليا في برنامج مؤتمر الصومام عام **1956م** الذي حدد من بين المسائل الأساسية في إستراتيجية الثورة مسالة الإعلام كضرورة لتكثيف النشاط الدعائي على الصعيد الدولي عن طريق إنشاء مكاتب وبعثات جبهة التحرير الوطني في الخارج،[1] ومن أهدافها الخارجية ما يلي:

* ارتبط هذا الهدف بالفترة الممتدة بين **1956-1959م** وهو هدف التدويل حيث وجه الإعلام نشاطاته لحشد الدعم الإقليمي والعالمي لمساندة القضية والثورة الجزائرية.
* فتضمنه الفترة الأخيرة من الثورة من **1960-1962م** وقد بذلت الجهود لإقناع فرنسا أن المفاوض الوحيد هو جبهة التحرير الوطني.
* تحطيم الفكرة الفرنسية القائلة بأن الجزائر هي جزء لا يتجزء من فرنسا وإقناع الرأي العام العالمي بأن هناك شعبا جزائريا له قوميته وتراثه.
* كشف الوجه الآخر لفرنسا التي تخفيه تحت شعاراتها الكاذبة (الحرية، المساواة، التثقيف...)، وذلك من خلال إظهار السياسة اللا إنسانية التي اتبعتها ضد الشعب الأعزل.
* إقناع الرأي العام الدولي أن الحركة الثورية قادرة على تقرير مصيرها واستلام زمام الأمور والسلطة في بلد له ثقله ومركزه العالمي.[2]
* ضرورة إيجاد التوازن بين متطلبات الرأي العام الوطني والدولي بعرضه للقضية الجزائرية بمختلف الوسائل والأساليب قصد إقناع الرأي العام الدولي بمصداقية هذه الثورة
* ضرورة الرد الفوري والمباشر على أجهزة الإعلام الغربية ولاسيما وكالات الأنباء المنحازة لوجهة النظر الاستعماري الفرنسي.

---

[1]- جهاد الغرام، مرجع سبق ذكره، ص 77.

[2]- جويدة بوقرة، كريمة العقلي، مرجع سبق ذكره، ص 48-49.

* ضرورة الحرص الشديد على دقة البيانات والبلاغات المقدمة إلى وكالات الأنباء الأجنبية خشية تحريفها أو عدم فهمها للحفاظ على المبادئ الجوهرية للثورة.[1]

خاتمة:

مما سبق أن الإعلام الثوري كان ضرورة ملحة لنجاح الثورة الجزائرية داخليا وخارجيا، خاصة وأن الهجمة الفرنسية المعاكسة لاندلاع الثورة كانت قوية كادت أن تقضي على الثورة في مهدها.

لذا كان على المناضلين ورجال الثورة أن يسعوا إلى استغلال كل ما أمكن من وسائل إعلامية سواء التي ذكرناها سابقا ضمن أصناف إعلامية مختلفة كالبيانات، الإذاعات، والصحافة المكتوبة أو التي أغفلناها سواء من قلب الجزائر أو من خارجها.

وقد لعب الإعلام الثوري بكل وسائله دورا جوهريا على الصعيدين فقد استطاع على المستوى الوطني أن يوحد الشعب الجزائري حول الثورة وأهدافها وإقناعهم بأن ما سلب بالقوة لا يرجع إلا بمثلها، كما نجح في إكساب الثورة مصداقيتها وأصبح بدوره المصدر الوحيد للمعلومات الخاصة بالكفاح ومجرياته وانجازاته، أما على الصعيد الدولي فقد كان بارعا في إيصال صوت الجزائر إلى الرأي العام العالمي والتأثير فيه لنيل تعاطفه ومساندته.

قائمة المراجع:

1- اللولب حبيب حسن، 2009، التونسيون والثورة التحريرية، جزء 1، الطبعة الأولى، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر.

2- الغرام جهاد، 2012، دور الإعلام في فترة الاحتلال الفرنسي (1954-1962)، دورية كان التاريخية، العدد السابع عشر.

3- زهير احدادن، 1989، تاريخ الإذاعة والتلفزيون، دون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

4- بهنسى السيد، 2010، الإعلام وإدارة الأزمات الدولية ، بدون طبعة، عالم الكتب، مصر.

5- بوقرة جويدة، العقلي كريمة، 2015، الإعلام ودوره أثناء الثورة التحريرية جريدتي (المقاومة والمجاهد نموذجا)1954-1962، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة المدية، الجزائر.

6- بشيشي الأمين، 2013، أضواء على إذاعة الجزائر الحرة المكافحة ومحطات إذاعية أخرى متضامنة ، تقديم زهير أحدادان، منشورات أصالة ثقافة، الجزائر.

7- حمدي أحمد، 2007، الثورة الجزائرية والإعلام: دراسة في الإعلام الثوري، دون طبعة، وزارة الثقافة، الجزائر.

[1]- جهاد الغرام، مرجع سبق ذكره، ص 78.

8- خضور أديب،1990، تطوير الإعلام الأمني العربي واقعه وآفاق تطوره، بدون طبعة، أكاديمية نايف العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

9- عباس محمد الشريف، 1996، من وحي نوفمبر مداخلات وخطب، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر.

10- Brahimi Brahim, 1990, le pouvoir, la presse, et les intellectuels en Algérie, édition l'harmattan, France.

11- Gabay Michele, 2001, la nouvelle communication de crise, concepts et outile ,paris ,edition stratégie.

الأمراض الاجتماعية في البلاد التونسية في الفترة الحديثة : الصراع بين الساحل والداخل (المركز والتخوم)

د / عبد القادر سوداني ـ جامعة صفاقس ـ تونس.

ملخص:

كشفت الصراعات الدامية التي اندلعت بين العروش عقب الأحداث التي عرفتها البلاد التونسية في نهاية 2010 وبداية 2011 عن الكثير من المشاكل الاجتماعية التي تخفت حينا لتظهر أحيانا أخرى. فقد أدى ارتفاع منسوب الحرية في الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي إلى تجلي ذلك العداء بين المكونات السكانية، ومن بينها ذلك الصراع المناطقي بين الساحل والداخل. والذي عبّر عن حجم التناقضات الاجتماعية لسكان البلاد التونسية، هذه التناقضات ذات أبعاد حضارية ومعيشية ، والتي ألقت بتداعياتها على بناء السلطة وتوزيع الثروة وكذلك مسألة الانتماء إلى وطن جامع. لذلك و للإحاطة بهذه المسالة ارتأينا العودة إلى جذور هذه القضية خلال القرن 19، هذا القرن الذي حدد الملامح الكبرى للتراتبية الاجتماعية لصالح العناصر البلدية والساحلية والتي استحوذت على السلطة و الثروة.

الكلمات المفتاحية : السلطة، المجتمع، الصراعات الاجتماعية، الثروة.

Abstract :

After the outbreak of the Tunisian revolution, many conflicts came up to the events thanks to freedom of expression and the over flow of differences fictions in the Tunisian society especially between eastern coastal a regions created a based on huge differences in living conditions and equal opportunities in power building which was for so long in favor of coastal regions which had the main part of weather distribution civilization and economic progress which impacted the sense of belonging to a harmonious state where regions are treated equally by the central government there for to return to this fact and its roots we may go Bach to the 19th century which was crucial to determine the social hierarchy in favor of the coastal inhabitants. we decided to return to the origins of this problem during the 19th century, which is a decisive century to determine the social hierarchy in favor of the inhabitants of the coast who also monopolize fortune and power .

Keywords: power, society, social conflicts, fortune

المقدمة:

بفضل الثورة أصبحت البلاد التونسية مكان مشترك للإنسانية قاطبة جراء تشابه هموم البشرية ووحدة التطلعات، وقد أكدت الثورة على أن الإنسان البسيط الذي غبن حقه ردحا من الزمن قد استعاد قدرة الفعل والتغيير. باندلاع الثورة في تونس سقطت أصناما فكرية مثلت حجابا أمام قيم كونية كالحرية والعدالة، وعاد المؤرخون إلى الاهتمام بالأنا الآخر ذلك الفاعل المهمّش الذي اسقط من متون التاريخ الرسمي.

لا مندوحة أن التاريخ الرسمي في تونس عكس رؤية لفيف السلطة والنخبة العالمة، في المقابل حضر أصحاب الهيعات والثورات حضورا باهتا سلبيا في الفكر السياسي، ولم يفصح الخارجين عن الركب السلطاني عن روايتهم لأحداث التاريخ في تونس .

بقي حضور البدو في الذاكرة الرسمية صنو الأعراب الجفاة الهمج المدبرين عن الحضارة، وكان هذا الحكم القيمي وليد ذهنية مترسبة تحقّر من شأن البدو، وتمظهرت من خلال تناقضات هيكلية شقت الأركيولوجيا الاجتماعية كالانطواء والتماثل والانتماء والإقصاء والأصيل والدخيل، وكلها مفارقات ساهمت الرابطة السياسية للحسينيين في شحذها .

طفت على السطح في الفترة الأخيرة (بعد 2011) جملة من الأمراض الاجتماعية التي تجسدت من خلال الانشقاقات بين التكوينيات الاجتماعية، والتي أبانت عن حجم الإنقطاعات بين سكان البلاد في تونس، وقد حجبت حينا من الزمن بفضل سطوة المركز. لكن ما إن تراخت قبضة السلطة حتى عادات تلك الفواصل السكانية إلى البروز، فبات المجتمع أشبه بكنتونات ذات مرجعيات حضارية متمايزة. ولعل ذلك العداء بين سكان الساحل والداخل كان أبرز مثال على الاختلافات العميقة بين مكونات المجتمع. لذلك كان حريا بنا البحث عن أسباب ومنطلقات هذه الأزمات الاجتماعية من خلال الرجوع إلى الفترة الحديثة التي عرفت تدفق موجات هجرية ذات خلفيات إثنية وحضارية متنوعة، مما خلق فجوات تكوينية بين الأطياف الاجتماعية ما إنفك يتزايد بتواصل مبررات وجود هذه الفجوات.

إن تغييب إشكالية الاختلاف الهيكلي العميق بين الفئات الدخيلة في الساحل والعناصر الأصيلة في داخل البلاد من شأنه أن يعمّق من نسق الضراعات الاجتماعية، كما أن عدم الإتيان على أمرها من قبل الباحثين لا يعني نفيها من الواقع المعاش، لأن السلطة الحسينية ركنت في تحالفاتها إلى عناصر مستجلبة من خارج البلاد، كما أن المخزن قد طوّق نفسه بحزام بشري من أهل الساحل خصوصا، في حين بقيت القبيلة في الدواخل على هامش الفعل التاريخي وقد تواصل هذا الأمر حتى بعد بناء الدولة الوطنية .

سنسعى في هذا العمل إلى البحث في جذور الأفكار المتراكمة في طبقات ذهنية"الخاصة" وتباين تعامل الطغمة الحاكمة مع"العوام" وخاصة تعامل البايليك مع الاحتجاجات في دواخل البلاد واختلاف حيثيات تميّز الساحل عن الداخل وإستراتيجيات السلطة في التعامل مع كلا المجالين.

1) الإبادة الحضارية للبدو

عاصر البدو في تونس مختلف السلالات الحاكمة ورغم ذلك شهدنا تعايشا ولو مضطربا بين المركز والأطراف، لكن ذلك لم يمنع إطلاق فيضا من الخطابات التيولوجية المحقّرة للبدو والتي تخلط عمدا بين العقدي والابستمولوجي والمعاشي .

وقع حشر المرجعية الدينية من أجل تحديد التراتبية داخل المجتمع التونسي، فتم تجميع العوام داخل سلة بشرية واحدة، فباتوا رديف الهمج والتوحش والمروق عن تعاليم الدين، فالدين الإسلامي وسم الأعراب بالكفر والنفاق مما أعطى المشروعية للفتك بهم من قبل أولي الأمر. جردت سهام الدين ضد البدو، لذلك أقتطع من الفيلولوجيا الدينية زخما من الإستدلالات التي تجزم أن البدوي بمثابة"نفاية بشرية". في مقابل ذلك وقع تغييب بعض المرجعيات التراثية التي تحض على وجوب الحكم الرشيد مثل" شر الرعاء الحطمة" وهو من يكون عنيفا في رعيه للإبل، وفي المقابل وقع التشديد على الآيات ذات الدلالة المعيارية في شان دونية الأعراب وعدم دخول الإيمان إلى قلوبهم، في هذا السياق أفتى بعض علماء المالكية بان المرأة التونسية (البلدية) يحرم عليها الخروج إلى مدن أخرى لان في خروجها معرة[1]، فلا مشاحة والحالة تلك أن يفتك به السياسي و يؤبده في أدنى المرفولوجيا الاجتماعية. هذا التراث الديني عمّق من ذلك التمايز بين الحضر والمدر حسب التقسيم الخلدوني للمجتمع، والذي طبع أغلب الحقب التاريخية للمشرق ومن بينهم تاريخ البلاد التونسية وخاصة في العهد العثماني. فالوحدة الدينية المزعومة بين عموم سكان الإمبراطورية لم تستطع تجاوز المشكلات النوعية على صعيد الشعب التركي والأخر العربي[2]. فمعلوم أن الأتراك ومن والاهم من العناصر السكانية المستنبتة في الإيالة شكّلوا ما يسمى"بالبلدية " والذين مثّلوا العصب الرئيس في أجهزة السلطة واستحوذوا على القسط الأكبر من الثروة، في مقابل ذلك بقي البدو قاعا اجتماعيا دافعا للجباية .

---

[1] خوالدية (الضاوي)،**الأسر والذوات التونسية في القرن 19 من خلال الإتحاف لابن آبي الضياف**، مطبعة دنيا،الطبعة الثانية،تونس 2008، ص 104.

[2] التزيني، الطيب.**فصول في الفكر السياسي**، ص 49.

لا يملك البدوي– وهو يئن في صمت تحت نير السلطة – غير الإيمان أن السماء قدرت سياسة الحكام الذين يلونهم، في كل الأعراب أمرهم إلى من يتسنم السلطة دون المخاطرة أو الإقدام على تدويل القبيلة، لذلك لم يتوثب البدو على السلطة. كان هذا السلوك السوسيولوجي وليد تراث ثقافي تم صقله على مر الأجيال، وقد لعبت الزمرة العالمة الذات الحمالة لهذا المعطى الذهني المترسب، فقد أشاعت الانتلجنسيا الرسمية أن البدوي بعيد عن تشرب الروح النظامية، وأن الملك العات كفيل بالانتقال من طور المجتمع الوحشي إلى المجتمع المدجن عبر ضرب تنطع الجماعات البدوية، فمن المعروف أن الأنظمة الديكتاتورية في كل العصور تكتفي عادة بالصلاحية العملية والفعالية والإجرائية دون أن تلقي بالا لشروط استبطان واجب الطاعة من قبل البشر وأساليبه فسواء أطاعوها عن طيبة خاطر أم لا فهذا لا يهمها[1].

نجح التاريخ الرسمي في خلق ذهنية إلتباسية تجاه سكان التخوم القصية المختلفين في معاشهم عن لفيف السلطة، ففقدت الحياة البدوية احترامها الاجتماعي وقوتها الحربية وبات العالم البدوي رديف التخلف، العامة هم رعاع سفلة يؤمرون ولا رأي لهم ولا صوت[2].

كرّس التاريخ السلطاني ذلك القالب النمطي حول العربان وتجسمت هذه الذهنية إلى موجود اجتماعي وسياسي، ذلك أن السلطة السياسية ومن تعلق بركابها قد مارست استحقاقاتها وفق قاعدة الإخصاء السياسي للذات القبلية وإقصاء القبلي عن دائرة النفوذ الفعلي في القرار السلطوي، فلم يشهد التاريخ الحديث للمغارب– وخاصة في تونس– بروز زعامات سياسية بدوية أو أن قبيلة ما تمكنت من الاستحواذ على السلطة، مما يعني إقصاء سكان الدواخل من الدائرة الأولى للحكم.

لم تنتج النظم الاستبدادية أفكارا بل ركنت في عمومها إلى الأنماط والسلوكيات وطغت العقلية الكليانية على وشائجها، وقد تعددت العلامات الدالة على احتقار السلطة المركزية للبدو، فعند خروج سفن القرصنة كان الأتراك مجهزين بالثياب والطعام وسيفا ومسدسا في حين كان الأعرابي لا يملك غير برنس هو ثيابه وغطاءه بل دون سلاح ويقتصر نشاطهم على التجديف [3]. أما الافاقيون الذين وفدوا من دواخل البلاد والذين استوطنوا حول المدن في إشارة إلى تدنيهم عن البلدية[4].

---

[1] أركون، محمد.**أين هوالفكر الإسلامي**، ص 91.

[2] المرزوقي، رياض.العرب و العربان في إتحاف أهل الزمان، ملتقى ابن أبي الضياف للفكر السياسي و الاجتماعي الحديث، الدورة الأولى حول المجتمع و نظام الحكم بتونس في القرن 19، **منشورات مجلة الإتحاف**، سبتمبر 1978، ص 46.

[3] Courtinant ,R.***la piraterie barbaresque en méditerranée,*** préface d'evelyne joyaux,dulapha édition, paris 2008, p 92.

[4] ben Salem ,Lilia. Hypothèses a propos des hiérarchies sociales. *Cahiers de Tunisie* .N 129-130.p16.

خلقت هذه السياسة جفوة بين الحاكم والمحكوم وفجوة بين أعلى الهرم الاجتماعي وقاعه. وقع فرز التشكيلات الاجتماعية إلى شقين جمهور الطائعين وعماده سكان المدن وذوي الطاعة الممرضة من البدو، ويعكس هذا التصاف تلك الثنائية التي طبعت تاريخ البلاد التونسية وهي ثنائية الأصيل والدخيل، فقد خيرت الفئات الأصيلة والمتبدية الانزواء في دواخل البلاد حيث الطبوغرافيا العصية من الجبال والصحاري التي تسمح لهم بهامش من الاستقلالية[1]، وتركت الحزام الساحلي حيث السهول والانبساط إلى العناصر الوافدة والمستجلبة من خارج البلاد.

أعلى الأتراك في تونس من قيمة المدينة وضربوا القبيلة، وبقيت دواخل البلاد خاضعة لأحكام المنتصر ومن فتحها عنوة، وقد يقول قائل إن في"المخزنة"تسفيها لهذا الزعم، ولكن هذه السياسة لم تتجاوز حسابات المنفعة التي قد يغنمها هذا الجانب أو ذاك، ولم تصل إلى طور الالتحام الهيكلي بين البلاط والقبيلة، فقبيلة الهمامة وهي قبيلة ديوان كانت كثيرا ما تعلن تمردها في وجه البلاط فشاركت في أغلب الاحتجاجات الاجتماعية، فالتغالب وحسابات المنفعة كانت من العوامل المحددة لعلاقات المركز بالتخوم.

فسنة 1735 هاجمت الهمامة الباي حسين بن علي ثم نشطت بشكل حثيث في تمرد 1864 قبل أن تجد سبيلا للتسوية مع الوزير مصطفى خزندار وتلتحق بمناصري البايليك ، وتواصل صدام هذه القبيلة (المخزنية) مع أجهزة السلطة حتى بداية العصر الكولينالي[2]، مما يكشف ضعف تحالفات السلطة السياسية باعتبار أن الهمامة كانت من القبائل الديوان أي الأكثر تحالفا مع المركز.

فطوال الفترة الحسينية عرفت تونس نوعا من الفصام المعلن بين الطغمة الحاكمة وبين الجماعات البشرية في النواحي الغربية والجنوبية للإيالة، فخريطة تحالفات المركز كانت متماهية مع التوزع الإثني

يتفق الرحالة موسكاو مع ما هذا المذهب و يرى أن سكان المدن يعتبرون أنفسهم ارفع من البدو شانا و يعاملونهم بازدراء.....بوكلير، موسكاو.**سميلاسو في إفريقيا رحلةأمير ألماني إلى الإيالة التونسية سنة 1835** ،تقديم منير الفندري و الصحبي الثابتي، بيت الحكمة ، تونس 1989، ص 413.

[1] لعبت الأسباب الجيو سياسية دورا في تفسير استقلالية المجموعات السكانية تجاه المخزن فالمناطق الجبلية والمناطق المتاخمة للصحراء لم تخضع بشكل دائم أو كامل حتى أواسط القرن 19 .بوطالب(محمد نجيب) ، **سوسيوليجيا القبيلة** ، ص 115.

[2] تواصل صدام الهمامة القبيلة الديوان مع المخزن طوال الحقبة الحسينية وقد عبرت أشعار أولاد عزيز عن مدى الفجوة الحضارية بينهم و بين السلطة السياسية :

" نجع أولاد عزيز تسمع ليه دريز

ما يحملش الذل ها الباي الطحان ناوي يغز البل " عمايرية (حفناوي)، في تشكّل الوعي الحديث بالريف التونسي : من القبلية إلى الوطنية ، مجلة **الحياة الثقافية**،السنة 21، العدد 73،مارس 1996، ص 21.

للسكان، فمنطقة الساحل والشمال الشرقي للإيالة كانت مجالا لاستيطان المماليك والأتراك والأندلسيين والغرابة وكانت هذه العناصر منطقة داعمة للمركز في مقابل استئثارها بالعمل في أجهزة السلطة.

فقدت السلطة الحسينية جاذبية الفعل وقوة القيادة فتم التعويل على اصطناع زمر اجتماعية يربطها مبدأ التخاوف والتغالب، وبقت السلطة المركزية بعيدة عن السكان لاستناد كيانها إلى مماليك غرباء طارئين مما أدى لضعف الوشائج العضوية للبناء الاجتماعي، وحبا البلاط الفئات الدخيلة بالتجلة الاجتماعية، فقد حددت "فالنسي"التراتبية الاجتماعية كالآتي الأتراك ثم الكورغلية ثم الأندلسيون ثم المماليك ثم أبناء البلاد ثم اليهود[1]، وخلال القرن 19 تراجع دور الأتراك لصالح المماليك الذين تبؤوا رأس الهرم الاجتماعي، وقد كشفت المحلات الموسمية للبايليك (باعتبارها فسطاطا اجتماعيا متنقلا) عن ذلك التمايز بين التكوينيات الاجتماعية، فأثناء تجوال المحلة سريعا ما تحدث المناوشات بين عناصرها و يتصافون حسب الانتماء الإثني، حتى بتنا أمام كونتنات اجتماعية متمايزة يعمل الجهاز السياسي على الفصل بينها، والتحالف مع الفئات الوافدة التي تركزت أساسا في الشريط الساحلي، فبعد هزيمة حسين بن علي ضد علي باشا سنة 1735 وجه ابنه محمد باي إلى بلدان الساحل لأجل مساعدته على استعادة ملكه، ولم يطلب دعم القبائل ليقينه بضبابية ولائهم[2]، في مقابل بقاء دواخل البلاد مجرد خزان بشري للأجناد زمن الحرب ومناطق تقتطع منها الضرائب .

استنبتت السلطة الفئات الوافدة في الساحل[3]،وتمتع المماليك والأتراك بامتيازات رفقة السلطان وخدمته وغنموا لقاء ذلك العطاءات المادية، وشكّل غلاة القصر من الأتراك والمماليك جبهة تمنع الانفتاح على سكان الدواخل، فاختصت نخبة المدن – من الأتراك والكروغلية – بالعلم وأحتكر المماليك الوظائف الإدارية والعسكرية، ولبث أعيان الدواخل مجرد جسر جباية ومراقبة.

خلال النصف الثاني من القرن 19، ولما رامت السلطة القيام بإصلاحات استبدلت الأجناد القبلية بجيش نظامي من أبناء الساحل والحاضرة أساسا فكسرت تلك الرابطة التقليدية التي تربط القبيلة

---

[1] لوسات(فالنسي)، **المغرب العربي قبل إحتلال الجزائر1790–1830**،نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار سراس للنشر، تونس 1994، ص ص 36-37.

[2] روسو(الفونس)، **الحوليات التونسيةمنذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تحقيق وترجمة محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي،ص 183.

[3] لئن كان سكان المدن في القرن 19 لا يتجاوزون 15 من مجموع السكان ....الجدي(احمد)، **وثائق تنشر لأول مرة عن قبيلة ماجر في القرن 19**،مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ، تونس أفريل 1998، ص8 ...فان الأتراك و المماليك تمتعوا بالمناب الأوفر من الثروة، ففئة الحنفية في المهدية و يقدرون ب 90 نفرا يملكون 52 من أصل زيتون الجهة زيادة على الإدارة المحلية للمدينة.... الأرقش(دلندة)، التطور اللامتكافئ والهيمنة الخارجية الفئة الحنفية ومكانتها في المهدية والمنستير في القرن 19، **المجلة التاريخية المغربية**، السنة 14، العدد 45-46، تونس 1987، ص 9 .

بالسلطة الحسينية، وخلال هذا الطور"الإصلاحي" رفض أعيان الساحل أن يطبق عليهم القانون مثل العوام، ووقع تغييب كلي لسكان الدواخل في المجلس الأعلى الذي هيمن عليه المماليك.

لم يقم نظام الحكم بالفهم الأصيل لطبيعة البناء الاجتماعي وذهنية جموع الناس، وغاب عن البلاط ذلك الفكر الإنسيابي القمين بإحتواء الاستياء الشعبي لأن الرعية لم تلمس في الحكم المركزي سوى الجانب العنيف، فكان الصدام بين دواخل البلاد وبين البلاط الحسيني أمرا لا محيص عنه .

2) السلطة المركزية وتكريس الإقصاء الاجتماعي

توالدت عن السلطة كل الرسائل و الرموز المفعمة بالقوة ولبثت علاقاتها بالمجموعات القبلية رهينة لعبة التسالم والتغالب وتم استخدام الموارد في الخطط الاحترابية، فكان من الحتمي أن تنخرط دواخل البلاد في الحركات الاحتجاجية وأن تنحو نحو المسلك العنفي في الدفاع عن هويتها وأن تدفع بغي الحكام وأعوانهم، لا سيما بارونات الجباية، فقد مثلت الضرائب الداخلية 75,56 % من جملة موارد البايليك ثم تراجعت سنة 1813 إلى 66,16 % ثم عاودت الارتفاع إلى 87,1 %، تحملت الدواخل الوزر الأكبر من القيمة الضريبية، ولم يراع البايليك في تحديدها الفاقة والأزمات الدورية التي تعصف بالبدو أساسا، بل وقع هيكلة الضرائب وفق الولاء السياسي، فبين 1705 و 1824 أكثر المجموعات عرضة للردع هي قبيلة ماجر[1].

تبعا لذلك لم يجد سكان الدواخل غضاضة في رفع راية العصيان أمام حكام المركز، فعند التجاء علي باشا إلى وسلات في فيفري 1728 كتب الباي إليهم يحذرهم شر الفتنة ويرغّبهم خير الصلح على أن يسلموا إليه ابن أخيه. اعتمد الباي على إستراتيجية المخاتلة في حسم أمر الثائرين لكن الكثير من القبائل ارتأت نصرة المتغلب الجديد، فعندما حاول علي باشا تمتين تواصله مع دواخل البلاد و سلك سياسة تعلي من شان القبائل كان هذا الإجراء احد الأسباب التي أدت إلى تفتيت حكمه و خذلان الأتراك له سنة 1756. أما عند تعيينه إمامة جامع الزيتونة فقيها من الكاف فقد اثار ذلك استياء أشراف مدينة تونس[2]، لتنقسم البلاد إلى جمهور السلطة وعصبها من الأتراك والمماليك و سكان الساحل وفي الجانب المقابل شيعة علي باشا الذي عول على القبائل لتقوم بدعوته .

---

[1] بن طاهر(جمال)، **الفساد و ردعه: الردع المالي وأشكال المقاومة والصراع بالبلاد التونسية 1705–1840**، تقديم محمد الهادي الشريف ، **منشورات كلية الأداب منوبة، تونس 1995**، ص 119.

[2] بن سليمان،فاطمة.**الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574–1881**، منشورات edusud ، تونس 2009، ص202.

عّبرت نصرة أغلب القبائل لعلي باشا عن مدى الحيف الذي مارسه المخزن تجاه سكان الدواخل، كما كشفت الفتنة الباشية الحسينية عن تعارض إستراتيجيات الفاعلين في البلاط. ففي حين كان حسين بن علي يميل إلى العناصر الدخيلة كان علي باشا يعتمد على القبائل كأحد رافعات الحكم، ومعلوم أن نشوء الباشا في دواخل البلاد (جهة الكاف) ثم اضطلاعه بخطة باي الأمحال جعلته يدرك أهمية القبيلة في بناء السلطة وعمل أجهزتها، وهذا ما قد يفسّر كذلك إصطفاف البلدية وراء حسين بن علي باعتباره ممثل الأرستقراطية الحضرية التي عوّل عليها منذ توليه الحكم سنة 1705 خاصة أن سكان الدواخل لم يأبهوا كثيرا بصراعاته من أجل الاستحواذ على الحكم، لذلك مثلّت الفتنة الباشية الحسينية صراعا بين سكان الساحل والداخل .

في فترة لاحقة ساندت القبائل إسماعيل بن يونس في ثورته سنة 1759، فبعد فشل وساطة الفقيه أحمد الأصرم القيرواني رسول علي باي و تهديد الغوغاء له، أنظم إلى الثائر أولاد سعيد والسواسي والمخازنية وأولاد مناع علاوة على ماجر وأولاد عيار، وقد التجأت السلطة أمام انتصارات الثائرين واتساع أنصار الثائر من القبائل الغربية إلى استعمال المدافع وإفساد الزرع ورهن الشيوخ والاستنجاد بمحمد بن سلطان شيخ الحنانشة لوأد هذه الثورة سنة 1762. وغني عن البيان أن دعم إسماعيل بن يونس مثّل مواصلة لرغبة الدواخل في الإنعتاق من غلواء الأتراك .

فشل إسماعيل بن يونس في الانقضاض على الحكم و لكنه بين مدى الشرخ الذي يفصل الرابطة السياسية عن القاعدة القبلية، وقد تعاملت السلطة بكل قسوة مع الثائرين، إذ قابلتهم بالمدافع وتعرضت مرابض القبائل التي آزرت إسماعيل بن يونس إلى النهب وامتدت الأيدي إلى الحرم وسلطت عليهم الخطايا واستعمل الأسرى في الأعمال الشاقة، أما في الساحل – فإذا استثنينا جمال التي تعرضت إلى النهب والسلب – فحتى القرى وتخوم المدن التي تشيعت للثائر لم تتعرض إلى الزجر العنيف، فالمثاليث رهن بعض أعيانهم حتى يعودوا إلى الطاعة أما بقية عروش الساحل فقد صودرت مكاحلهم.

يظهر الجانب العنفي للسلطة تجاه سكان الدواخل كذلك سنة 1795 أثناء ثورة عرش أولاد مساهل بقيادة حامد بن شريفة وهو من عائلة مرابطة مخزنية ورفض الأعيان دفع الخطايا التي سلطها عليهم حمودة باشا عقب صراعهم مع الهمامة والفراشيش، فبعث لهم الباي بخمس مائة جندي انكشاري مجهزين بالأسلحة النارية لقمع هذه الحركة، وتمكن الكاهية رجب بونمرة من القبض على رأس الثورة وأوثقه كتافا وطاف به في الحاضرة مجردا من الثياب وقال للباي "يا سيدي عريبي من أجلاف البادية جن وأتى به

سعدك وهو الآن في محبس باردو"[1]، ثم عاود محمد بن عمار الفرجاني ثورة ثانية سنة 1812 انتهت بفراره نحو الجزائر وقمع أولاد مساهل وتشتيت بعضهم.

أبان خطاب السلطة عن تلك الذهنية الإستعلائية للفيف الحضري والتي ترى في البدو أجلاف وشذاذ أفاق مساعير الحروب ومواقيد الفتن.....، كما شاع بين الترك ذلك المثل القائل " العربي خذ ماله و إقطع رأسه"، ولبثت كلمة"عرب" صنوا لكل ما هو سلوك همجي في امتداد للتحقير الذي تعرض له سكان الداخل / العرب من قبل لفيف السلطة، فقد زخرت الذاكرة الشعبية بذلك الحكم القيمي تجاه "العربان".

وقد بان العسف في منطوق أعوان السلطة [2]، الذي يعكس ذهنية ترى في "شذاذ الأفاق" كمّا بشريا يكفل الاستجابة لنزعات السلطة ولفيفها، وتم ربط الاحتجاج وليد الاحتياج بالفعل البربري الموجب للزجر العنيف.

قد تبدو انتفاضة 1864 أوضح بيان على إشكالية الساحل والداخل والمفارقات الأصيلة التي تفصل الطغمة الحاكمة عن السكان، فقد انطلقت إرهاصات الثورة منذ 1861 عندما رفض سكان الجريد دفع المجبى ثم رضخوا قسرا تحت عنف المحلة، ثم أحجم سكان جبال خمير سنة 1862 عن الاستجابة للعسف الضريبي فلم يجد الباي غضاضة في الاستنجاد بفرقة من الجند الفرنسيين لجبر الأهالي على دفع الضرائب، لتأخذ الانتفاضة أبعادها الشاملة سنة 1864 عندما قام علي بن غذاهم بتاطيرها و الإشراف على هيكلتها و مطلبيتها، وما يجدر تسجيله في هذه الحركة هي المشاركة النشطة لأهل الساحل، رغم أن بعض المجالات الساحلية امتنعت عن الالتحاق بركب الثائرين، ففي أكتوبر 1864 دامت الحرب بين سكان القلعة الكبيرة ومتمردي الساحل 6 ساعات بيد أن المدينة أبت الالتحاق بالحركة الاحتجاجية .

انخرط أعيان الساحل في الحركة الاحتجاجية لسنة 1864 لان"الإصلاحات"أردتهم خارج الفعل السياسي وأفقدتهم امتيازاتهم الاقتصادية التي ألفوها، ولم يقبل أهالي سوسة على مساندة المنتفضين إلا بعد قدوم الدهماني البوجي من مساكن وتيقن برجوازية الساحل أنها باتت تحت وطأة العامة وكذا رغبتهم في الحد من تغول المماليك الذين قطعوا أمامهم سبل الترقي الإداري والمالي[3]، فيمكن الجزم إن أهل الساحل قد دفعوا قسرا إلى الاستجابة لدعوة الثوار بعد الضغط الذي سلط عليهم من قبل المثاليث واكودة

---

[1] ابن أبي الضياف(احمد)، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان**، ج 3 ، طبعة تونس 1979، ص 49.

[2] بدا منطوق السلطة مفعما بالعبارات الدالة على دونية الأعراب، الفراشيش فرقة ضالة لم يكن لها قهر أو زجر، أ- و- ت ، **المصدر نفسه**، س ت، م 199، ص 18، و 15912، ت 1850..... الفراشيش شرذمة ضالة خلو افريقية ، **المصدر نفسه**، م 200، ص 18، و 15461،ت 1850.

[3] slama. Bice.*l'insurrection de 1864 en Tunisie* .M T E.Tunis 1967. P 137

وجمال، رغم النضج الذي فرضه علي بن غذاهم على المنتفضين باحترام الأموال والأشخاص حرصا اجتناب كل ذريعة لتدخل أجنبي[1]، فإن ردة فعل السلطة اتسمت بالشطط في العنف.

عقب الانتفاضة قام احمد زروق بحملته على الساحل واعتصر الجهة ضريبيا لكن حراب آلة القمع توجهت أساسا نحو سكان الدواخل، فقد تسلطت أيدي العدوان على الأهالي بسلب الأموال والقتل والضرب بالسياط المؤدي إلى القتل، لان الوزير مصطفى خزندار اشتد حنقه عليهم حتى دخل عليه احد الأعيان يوما وهو يقول طلبوا دمي فلا أرضى إلا بدمائهم طلبوا مالي فلا أرضى إلا بأموالهم[2]، وسامت زبانية السلطة الثائرين بأبشع ألوان التعذيب والتنكيل لمجموعات طالبت بالحد من الغلواء الضريبي للأتراك والمماليك.

واصل الملك العات في تونس الحسينية حكم الحديد والنار واجتثاث كل نفس احتجاجي، وجبر الأهالي إلى أن يدفعوا ثمن التهاوي الاقتصادي والسياسي حتى زمن السنوات العصيبة[3]، وقد تواصل هذا الامر حتى وقعت البلاد في أتون الاستعمار الفرنسي.

الخاتمة

لم يقدم التاريخ الحديث نموذجا لحكم البدوي للدولة، نتيجة لذلك لبثت المجالات الطرفية حبيسة مفارقة الانطواء والتماثل، فيمكن أن نعزو تمايز العنصر الدخيل عن الأصيل وما انجر عنه من هيمنة مجال على آخر إلى الاختلاف الهيكلي العميق بين الحضر والبدو، والتغالب الذي طبع علاقة المركز بالأطراف فكان لكل منهما صولة في ثوب شعوبية جديدة، فسعت الاوليقارشية التركية في تونس إلى أن تدفع العامة ثمن التهاوي فتزايد البون الحضاري بين فئة

---

[1] ردد الأهالي أن"الباي باع البلاد للروامة" في دلالة على تيقض الوعي الجمعي ورفعته،.....فعند قبول علي بن غذاهم الصلح بعث له فرج بن دحر برسالة يذكره فيها أن قيامهم كان أولا لله وانه سيبقى كذلك، **الأرشيف الوطني التونسي**، سلسة تاريخية، صندوق 184،ملف 1049، وثيقة 49، تاريخ أوت 1864..... وفي مراسلة للقنصل الانقليزي إلى الباي بتاريخ افريل 1864 يشدد على انه لم يوجد في تواريخ تونس مثل سيرة العروش في هذا الزمن بما لهم من الشكايات وهم متسلحون على عاداتهم السابقة في سالف الأزمان، لكن لا يتعرضون بسلاحهم إلا للاحتماء من أداء ثقيل فوق طاقتهم ...**المصدر نفسه**.

[2] الخامس، محمد بيرم.**القطر التونسي في صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار، تحقيق علي الشنوفي وعبدالحفيظ منصور، بيت الحكمة، تونس 1999**، ص 171.

[3] تكشف مراسلات القياد عن الضنك الذي يجابهه سكان الدواخل، فقد هاجر بعض أنفار من أولاد وزاز من الفراشيش وعاشروا الطرابلسية وامتنعوا عن دفع المجبى، ا و ت، **نفس المصدر**، س ت، م 201، ص18، و15531، ت 1867.....وخلال السنة الشهباء مول الفراشيش الخزينة بما يزيد عن 817'295 ريالا و239 جملا و28 حصانا. الجدي(احمد)، **قبيلة الفراشيش** في القرن 19،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1996، ص 45.

مستحوذة على السلطة والثروة وبين فئة أخرى لم تتردد في انتهاج الحرابة والاحتجاج سبيلا للمنافحة عن كيانها.

اغتنم الفرنسيون إفلاس السلطة ووهنها وضعف القبائل وتشتتها وصمت المدن وغربتها ليمرروا مشروعهم دون عناء، ثم كان السعي لبناء وحدة وطنية دون محاولة تجاوز وتوحيد الاختلافات ليصطدم هذا التمشي بسيطرة الحكم الاراقلي – وهو النظام السياسي الذي تحركه الأطماع والشهوات والجشع وامتطاء السلطة لإشباع نهمه– ولم يراع الاختلاف في البناء الاجتماعي التونسي .

ثم عبرت الثورة عن مرحلة الخواء الحضاري والقيمي للبلاد التونسية، فكان من الضروري إعادة دراسة جانب من التاريخ الاجتماعي التونسي دراسة متأنية رصينة و وجوب إعادة تركيب الأحكام والمفاهيم .

المصادر والمراجع:

الأرشيف الوطني التونسي:

الأرشيف الوطني التونسي، سلسة تاريخية، صندوق 184،ملف 1049، وثيقة 49، تاريخ أوت 1864.

الأرشيف الوطني التونسي ، س ت، م 201، ص18، و15531، ت 1867، مراسلات القياد عن الضنك الذي يجابهه سكان الدواخل.

الأرشيف الوطني التونسي ، س ت، م 199، ص 18، و 15912، ت 1850، الفراشيش فرقة ضالة لم يكن لها قهر أو زجر.

الأرشيف الوطني التونسي ، م 200، ص 18، و 15461،ت 1850، الفراشيش شرذمة ضالة خلو افريقية.

المصادر:

ابن أبي الضياف(احمد)، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان**، ج 3 ، طبعة تونس 1979.

الخامس، محمد بيرم.**القطر التونسي في صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار، تحقيق علي الشنوفي وعبدالحفيظ منصور، بيت الحكمة، تونس 1999.**

المراجع:

الأرقش(دلندة)، التطور اللامتكافئ والهيمنة الخارجية الفئة الحنفية ومكانتها في المهدية والمنستير في القرن 19، **المجلة التاريخية المغربية**، السنة 14، العدد 45-46، تونس 1987.

بن سليمان،فاطمة.**الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881**، منشورات edusud ، تونس 2009.

بن طاهر(جمال)، **الفساد وردعه: الردع المالي وأشكال المقاومة والصراع بالبلاد التونسية 1705-1840، تقديم محمد الهادي الشريف ، منشورات كلية الأداب منوبة، تونس 1995.**

بوكلير، موسكاو.**سميلاسو في إفريقيا رحلةأمير ألماني إلى الإيالة التونسية سنة 1835**،تقديم منير الفندري و الصحبي الثابتي، بيت الحكمة ، تونس 1989.

الجدي(احمد)، **وثائق تنشر لأول مرة عن قبيلة ماجر في القرن 19**،مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ، تونس أفريل 1998.

الجدي(احمد)، **قبيلة الفراشيش** في القرن 19،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1996.

خوالدية (الضاوي)،**الأسر والذوات التونسية في القرن 19 من خلال الإتحاف لابن آبي الضياف**، مطبعة دنيا،الطبعة الثانية،تونس 2008.

روسو(الفونس)، **الحوليات التونسيةمنذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تحقيق وترجمة محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي.

عمايرية (حفناوي)، في تشكّل الوعي الحديث بالريف التونسي : من القبلية إلى الوطنية ، مجلة **الحياة الثقافية**،السنة 21، العدد 73،مارس 1996.

لوسات(فالنسي)، **المغرب العربي قبل إحتلال الجزائر1790-1830**،نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار سراس للنشر، تونس 1994.

المرزوقي، رياض.العرب و العربان في إتحاف أهل الزمان، ملتقى ابن أبي الضياف للفكر السياسي و الاجتماعي الحديث، الدورة الأولى حول المجتمع و نظام الحكم بتونس في القرن 19، **منشورات مجلة الإتحاف**، سبتمبر 1978.

المراجع الأجنبية:

ben Salem ,Lilia. Hypothèses a propos des hiérarchies sociales. *Cahiers de Tunisie* .N 129-130.

Courtinant ,R.***la piraterie barbaresque en méditerranée,*** préface d'evelyne joyaux,dulapha édition, paris 2008.

slama. Bice.*l'insurrection de 1864 en Tunisie* .M T E.Tunis 1967.

إجراءات توظيف الموارد البشرية بالمؤسسة الصناعية

دراسة ميدانية بمؤسسة مطاحن البيبان "سمباك " بمدينة برج بوعريريج.

د/ سلوم مبروكة ــ جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريرج ــ الجزائر.

الملخص:

سنحاول دراسة واقع التوظيف في المؤسسة الجزائرية باجراء دراسة ميدانية ب مطاحن البيبان" سمباك" الواقعة بمدينة برج بوعريريج، ومعرفة مجموعة الاجراءات التي تتبعها إدارة هذه المؤسسة في حصولها على المورد البشري المناسب لشغل الوظائف فيها، من أجل تحقيق الكفاية الانتاجية وتحقيق المكانة في ظل المنافسة الشديدة التي يعرفها العالم، وسرعة تغير رغبات وحاجات أفراد المجتمع و تزايدها بشكل سريع.

الكلمات المفتاحية: إجراءات التوظيف، الموارد البشرية، التخطيط، التوصيف، الاستقطاب، التعيين.

Summary:

We will try to highlight the reality of employment in the Algerian institution by conducting a field study at the BIBAN "Simpac" located in the city of Bordj Bou Arreridj, and know the set of procedures followed by the management of this institution in obtaining the appropriate human resource to fill the jobs in order to achieve production efficiency and achieve status in light of The intense competition known to the world, and the rapid change in the wishes and needs of the members of the community and growing rapidly.

Keywords: recruitment procedures, human resources, planning, characterization, polarization, recruitment.

1- الإشكالية:

أدركت المؤسسات المعاصرة أن نجاحها، وتحقيقها لمستويات أعلى من الكفاءة والفعالية يتوقف على اهتمامها بالمورد البشري، باعتباره طاقة ذهنية وفكرية في الأساس، و باعتباره المحرك لبقية الموارد والإمكانيات الأخرى المتاحة، والمفعل لها والمنفذ لاستراتيجيات وسياسات المؤسسة، التي تهدف في المقام الأول إلى تحقيق مكانة إستراتيجية في السوق المحلية والعالمية، من خلال تحقيق المزايا التنافسية التي تضمن لها البقاء والاستمرار؛ في البيئة الخارجية التي تتميز بالتعقيد وسرعة التغيير، وذلك ببلوغ درجات عالية من الجودة في المنتجات التي تقدمها إلى المجتمع،

والتي تسعى من خلالها لتحقيق رضاهم، انطلاقا من الكفاءة والأداء الفعال الذي يتميز به المورد البشري، الذي يعتبر مخزون المؤسسة من المهارات والكفاءات، والذي يتم الحصول عليه من البيئة الخارجية من خلال مجموعة الإجراءات والسياسات التي تتبعها المؤسسة الصناعية في تحديد احتياجاتها الحالية والمستقبلية من الموارد البشرية و في الخطوات التي تتبعها في تحليل وتوصيف الوظائف لتحديد نوعية وكمية الأفراد التي هي بحاجة إلى مهاراتهم ،و كفاءتهم من أجل الحفاظ على سير العملية الإنتاجية بالجودة المطلوبة، بالإضافة إلى طرق التي تعتمد عليها في استقطاب الموارد البشرية القادرة على أداء الأعمال و المهام بالشكل المطلوب ، واعتمادها على مجموعة من الاختبارات والمقابلات لاختيار أفضل الموارد البشرية من أجل تعينهم في المؤسسة الصناعية بصفة دائمة.

رغم الجهود المبذولة من قبل المؤسسة الجزائرية لاستثمار القدرات الفنية التنظيمية المتاحة، إلا أنها تعاني من عدم تمكنها من تفعيل و ترشيد استخدامها الاستخدام الأمثل، في سبيل تدعيم قدراتها التنافسية و زيادة إنتاجيتها، وتحقيق أهدافها الإستراتيجية، والقضاء بذلك على معوقات التنمية لديها، ويرجع العديد من الباحثين والدارسين هذه المشاكل إلى عدم استخدامها إجراءات التوظيف التي تستند إلى الأسس العلمية بعيدا عن التحيزات، والعلاقات الشخصية وبعيدا عن المحاباة ، حيث انه في غالب الأحيان لا يكون هناك توافق بين متطلبات الوظيفة و الخصائص التي يتميز بها شاغل الوظيفة ، وبالتالي يتأثر أداء المهام والأعمال المطلوب أداؤها سلبا، وهذا بدوره يؤثر على النتائج النهائية للمؤسسة، فتفشل في تحقيق الغاية من وجودها ونشوئها وعلى هذا الأساس فان إشكالية بحثنا تتمحور في التساؤلات التالية:

التساؤل العام:

– ما هو واقع التوظيف في المؤسسة الصناعية الجزائرية؟

التساؤلات الفرعية:

- هل تتماشى سياسة التوظيف المعتمد من طرف المؤسسة الصناعية الجزائرية مع التطورات الحاصلة في المجتمع؟
- هل الأساليب التي تتبنها المؤسسة الصناعية الجزائرية في التوظيف مبنية على العلمية و الموضوعية أو أنها مبنية على الذاتية و المحسوبية؟
- ما هي الإجراءات و الخطوات التي تتبعها المؤسسة الصناعية في توظيف الموارد البشرية ؟

2- تحديد المفاهيم:

أ- **إجراء:** هو مجموعة من الخطوات لإنجاز مهمة معينة[1].

أنظمة و إجراءات : مصطلح أمريكي يطلق للدلالة على التنظيم و الأساليب المتبعة في الإدارة العامة[2].

ب- التوظيف: مصطلح إداري يطلق على الوظيفة الإدارية التي تهتم باختيار وتعيين و تدريب ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب في المنظمة[3].

ويعرف أيضا أنه : عملية استخدام موارد بشرية جديدة في المنظمة عبر إتباع مجموعة إجراءات تنفيذية تبدأ من تحديد الحاجات ثم الاختيار ثم التعيين ثم التدريب الأولي.

كما يعرف على أنه الإجراءات التي يتم اتخاذها لتوظيف العاملين في المنظمة مثل الترشح و الانتقاء و التعيين .

التعريف الإجرائي لإجراءات التوظيف:

هو مجموعة السياسات والأساليب التي تتبعها معظم الإدارات في مختلف المؤسسات، تتكون من عدة خطوات أهمها: تحديد الحاجة للمورد البشري، التوصيف، الاختيار و التعيين، من أجل تحقيق الأهداف.

ج- الموارد البشرية: تعرف على أنها حجم القوة العاملة لبلد ما ومستوى مهارة هذه القوة ، وقد يتم التمييز بين العمالة الماهرة، العمالة الفنية والعمالة غير الفنية والعمالة ذات الخبرة التنظيمية و الإدارية .

يعرف البنك الدولي القوى العاملة لدولة معينة على أنها مجموعة السكان في سن العمل(15-64 سنة) سواء كانوا يعملون أو يبحثون عن عمل ويستبعد من هؤلاء الذين لا يبحثون عن عمل حتى لو كانوا في سن العمل[4].

ويعرف على أنهم الأفراد الراغبون والقادرون على المساهمة في تحقيق أهداف المنظمة[5].

د- المؤسسة: تم استعمال هذا المصطلح بشكل واسع لوصف الممارسات الاجتماعية المتكررة و بشكل دوري و منتظم ، معتمدة و حصانة من قبل المعايير الاجتماعية ولها أهمية جوهرية في البناء الاجتماعي ، مثل الدور الاجتماعي ،و يشير المصطلح إلى تأسيس أنماط السلوك و إنما لا تعتبر المؤسسة ممثلة لنظاما قيميا[6].

المؤسسة وحدة ذات أهمية عامة متداخلة بشكل تعاوني، مع مجموعة من الأدوار، حيث يرى الوظيفيين أن المؤسسات تقوم بتحقيق حاجات الأفراد والمجتمعات.

التعريف الإجرائي لإجراءات توظيف الموارد البشرية في المؤسسة الصناعية:

هي مجموع الخطوات و الأساليب التي تعتمد عليها معظم المؤسسات الحديثة من أجل تحقيق أهدافها، تبدأ بتحديد الاحتياجات من المورد البشري كما و كيفا، والتنبؤ بها مستقبلا، و توصيف الوظائف وتحليلها لتحديد متطلبات الوظيفة ومتطلبات شاغلها، والاستقطاب وهي الطرق المستخدمة من طرف المؤسسة لجذب أفضل الموارد كما و نوعا، والاختيار وهي مجموعة من الاختبارات و المقابلات التي تجريها المؤسسة لاختيار الأفراد المناسبين لشغل الأماكن المناسبة، ثم التعيين و الذي يكون بعد فترة التجربة و التي يثبت فيها الفرد قدرته على أداء المهام المكلف بها.

3- الفرضيات:

الفرضية العامة: ما مدى تطبيق المؤسسة الصناعية الجزائرية لإجراءات توظيف موضوعية و رشيدة.

-الفرضيات الفرعية:

الفرضية الفرعية 1: تهتم المؤسسة الصناعية الجزائرية بالتخطيط لتحديد احتياجاتها من القوى العاملة.

الفرضية الفرعية 2: تهتم المؤسسة الصناعية الجزائرية بتحليل و توصيف الوظائف لتحديد متطلبات الوظائف و متطلبات شاغليها.

الفرضية الفرعية 3: تطبق المؤسسة الصناعية الجزائرية أساليب علمية لاستقطاب قوى عاملة ذات كفاءة ومهارة عالية.

الفرضية الفرعية 4: تطبق المؤسسة الصناعية إجراءات موضوعية لاختيار قوى عاملة مناسبة لشغل الوظائف الشاغرة وتعيينها.

4- منهجية البحث:

4-1. المنهج: لا تكون الدراسة العلمية موضوعية إلا إذا انتهجت منهجا يسير عليه، فالمنهج ضروري للبحث إذ هو الذي ينير الطريق ويساعد الباحث في ضبط أبعاد ومساعي وأسئلة و فرضيات البحث.

ويعرف المنهج على أنه: " مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ هدف وكلمة منهج يمكن إرجاعها إلى طريقة تصور و تنظيم البحث ، فهو ينص على كيفية تصور و تخطيط العمل حول موضوع دراسة ما"[10].

كما يعرف المنهج: "خطة منظمة تسير في مجموعة من الخطوات يقصد تحقيق هدف البحث، سواء كان الهدف نظريا أو ميدانيا"[11].

إن اختيار المنهج و أدوات البحث تعتمد على اختيار الفرضيات و لأن هدفنا من الدراسة كان التعرف على الإجراءات التي تتبعها المؤسسة الصناعية في توظيف الموارد البشرية ، فإننا نعتمد في دراستنا على المنهج الكمي و تحديدا استعملنا المنهج الوصفي التحليلي.

يعرف المنهج الوصفي على أنه هو المنهج الذي يقوم فيه الباحث بوصف الظاهرة كما هي في الواقع وصفا دقيقا كما و كيفا[12].

و يعرف بأنه شكل من أشكال الوصف و التحليل و التفسير العلمي، بغية وصف الظاهرة كما و كيفا ، بواسطة جمع المعلومات النظرية و المعطيات الميدانية وتصنيفها و تحليلها و إخضاعها للدراسة[13].

بهذا يمكن القول بأننا اعتمدنا على التحليل الكمي والكيفي من خلال تحويل المعطيات الكيفية التي تمثل إجابات الإداريين وعمال المؤسسة الصناعية إلى معطيات كمية وتبويبها في جداول و التعليق عليها.

4-2. أدوات جمع البيانات الميدانية: إن نقطة الانطلاق لأي بحث سواء التحقيق الكمي أو الكيفي فإنه يدور حول أسئلة من نوع: ماذا ؟ لماذا ؟ أي ما هي الظاهرة ؟ و لماذا هذه الظاهرة تتغير حسب الظروف والوقت و المكان ؟ و لماذا التغير يتم بهذه الصفة و ليس بصفة أخرى مغايرة ؟ من أجل الإحاطة بالظاهرة ميدانيا يتوجب جمع المادة العلمية الميدانية عن الظاهرة قيد الدراسة وتحديد طرق وأدوات جمع هذه المادة العلمية.

ومن الأدوات المستخدمة في دراستنا لجمع المادة العلمية والبيانات من الدراسة الميدانية اعتمدنا على ما يلي :

أ- **الاستمارة:** تعرف الاستمارة على أنها: "تقنية مباشرة لطرح الأسئلة على الأفراد بطريقة موجهة ، ذلك لأن صيغ الإجابات تحدد مسبقا ، إن الاستمارة هي وسيلة للدخول في اتصال بالمخبرين

بواسطة طرح الأسئلة عليهم واحدا واحدا ، و بنفس الطريقة بهدف استخلاص اتجاهات و سلوكيات مجموعة كبيرة من الأفراد انطلاقا من الأجوبة المتحصل عليها"[14]

كما تعرف بأنها : "نموذج يضم مجموعة أسئلة توجه إلى الأفراد من أجل الحصول على معلومات حول موضوع أو مشكلة أو موقف ، ويتم تنفيذ الاستمارة إما عن طريق المقابلة الشخصية أو أن ترسل إلى المبحثين عن طرق البريد[15]

وتعرف أيضا على أنها: "عبارة عن مجموعة من الأسئلة المكتوبة التي تعد بقصد الحصول على معلومات أو آراء المبحثين ، حول ظاهرة أو موقف معين ، وتعتبر من أكثر الأدوات المستخدمة في جمع البيانات الخاصة بالعلوم الاجتماعية التي تتطلب الحصول على معلومات أو معتقدات أو تطورات أو آراء"[16].

وانطلاقا من الهدف الرئيسي لدراستنا و الذي يتمثل في" إبراز الإجراءات المعتمدة من طرف المؤسسة الصناعية الجزائرية في توظيف الموارد البشرية" ، والذي مثلناه في أربع فرضيات.

فقمنا بتحضير استمارتين؛ استمارة موجهة للإداريين في المؤسسة الصناعية، وقسمنا الاستمارة إلى ثلاث محاور:

أولا : بيانات عامة ،الأسئلة من (1-6)

ثانيا : بيانات خاصة بتخطيط الاحتياجات من القوى العاملة في المؤسسة الصناعية الجزائرية ، الأسئلة من (7-16).

ثالثا : بيانات خاصة بتحليل وتوصيف الوظائف في المؤسسة الصناعية الجزائرية، الأسئلة من (17-22).

أما الاستمارة الموجهة إلى العمال التنفذيين نتقسم الأسئلة إلى ثلاث محاور كمايلي:

أولا : بيانات عامة ،الأسئلة من (1-6).

ثانيا : بيانات خاصة بأساليب الاستقطاب التي تعتمد عليها المؤسسة الصناعية الجزائرية، الأسئلة من (7-11).

ثالثا : بيانات خاصة بطرق اختيار القوى العاملة في المؤسسة الصناعية الجزائرية ، الأسئلة من (12-21).

ليصل العدد الإجمالي لأسئلة الاستمارتين إلى (43) سؤال.

ب-المقابلة: تعرف المقابلة على أنها: "تبادل لفظي يتم بين الباحث و المبحوث و ما ينجر عن ذلك من تعبيرات الوجه و نظرة العين و الهيئة و الإيماءات و السلوك العام"[17]

وتعرف على أنها: "التفاعل المباشر بين الباحث والمبحوث"[18].

ولقد استعملنا في الدراسة المقابلة غير المقننة لأن التساؤلات التفصيلية لمحاور البحث جاءت في الاستمارة و تتمثل وظيفتها في هذا الموضوع تكميلية للاستمارة.

ولقد تمت المقابلة بطريقة مباشرة على مستوى:

- مدير المؤسسة الصناعية حيث ساعدنا في معرفة معلومات خاصة بأساليب و طرق التوظيف في المؤسسة الصناعية الجزائرية " مطاحن البيبان".

- بعض الإداريين الذين ساعدونا في معرفة معلومات عن الشروط الواجب توفرها في العمال لالتحاقهم بالمؤسسة الصناعية الجزائرية " مطاحن البيبان".

ج- الوثائق و السجلات الإدارية: هي" عبارة عن تلك اللوائح القانونية التي تشمل القوانين الوطنية والقوانين الداخلية لتسيير المؤسسة الاجتماعية، كما تشمل قوائم العمال والإداريين وتعتبر إحدى أدوات جمع البيانات و المعلومات"[19].

بما أن الوثائق و السجلات الإدارية من الأدوات جمع البيانات و المعلومات تم استغلالها في دراستنا كأداة تكميلية لكل من الاستمارة و المقابلة، حيث أفادتنا في معرفة مراحل نشأة المؤسسة و موقعها الجغرافي والهيكل التنظيمي لها.

د- الإحصاءات: هي "عبارة عن الإحصاءات التي تقوم بها مختلف المؤسسات أو جماعات أو مراكز بحث أو أفراد باحثين في مواضيع مختلفة من أجل تفسير ظاهرة أو الإعداد لظروف معينة، ويلزم لذلك حصر عدد الأفراد أو حصر المواقف والآراء حول قضية اجتماعية أو نفسية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو إدارية أو أمنية أو عسكرية، وتتميز هذه الإحصائيات بالصفة الرسمية"[20].

ولقد اعتمدنا على الإحصاءات التي قدمتها المؤسسة الصناعية مطاحن البيبان عن كمية الإنتاج والآلات المستخدمة في عملية الإنتاج لدعم الدراسة وتوثيقها أكثر.

4-3. العينة و خصائصها: إن المقاربة الميدانية لهذه الدراسة تهتم بإجراءات توظيف الموارد البشرية في المؤسسة الصناعية ولقد وقع الاختيار على المؤسسة الصناعية " مطاحن البيبان".

- **عينة الدراسة:** "هي مجمع الدراسة التي تجمع منه البيانات الميدانية و هي تعتبر جزءا من كل، بمعنى أنه نأخذ من أفراد المجتمع على أن تكون ممثلة له لتجري عليها الدراسة"[21].

- اعتمدنا في البحث على العينة العشوائية المنتظمة، حيث اعتمدنا على مبدأ مسافة الاختيار بين وحدات العينة، و تم اختيار الوحدة الأولى عشوائيا. و حافظنا على المسافة بين وحدات العينة.

- و لاختيار المسافة اعتمدنا على المعادلة الإحصائية التالية:

$$\text{م أ} = \frac{\text{ن م}}{\text{ن ع}}$$

م أ= مسافة الاختيار.

ن م= حجم مجتمع البحث.

ن ع= حجم العينة المختارة.

وبما أن مجتمع البحث يتكون من 256 عامل و أخذنا عينة بحجم 35 عامل من المجموع الكلي للعمال.

- تم اختيار من الإداريين 14 من أصل 56 إداري و تم الوصول إلى مسافة الاختيار 4 من خلال تطبيق القانون السابق.

$$\text{م أ} = \frac{56}{14} = 4$$

و تم اختيار من العمال الإنتاج 21 من أصل200 عامل وتم الوصول إلى مسافة الاختيار 10. من خلال تطبيق القانون السابق.

$$\text{م أ} = \frac{200}{21} = 10$$

ومنه فإن المسافة بين الوحدات هي 10.

5- التعريف بميدان الدراسة:

5-1. لمحة تاريخية عن ميدان الدراسة:

أنشأت الشركة الوطنية لتحويل القمح والمطاحن و العجائن الغذائية و الكسكس "**سمباك**" التي أعيد هيكلتها لتنبثق عنها مؤسسة الرياض سطيف الموزعة عبر كامل التراب الوطني، و لقد أنشأت هذه المؤسسة لصناعات الغذائية للحبوب و مشتقاتها بمرسوم تنفيذي رقم 367/82 بتاريخ 1983/01/01 كشركة مساهمة برأس مال قدره 10000000 دج و تم رفعه سنة 1993 إلى 850000000دج و في ماي 1994 تم تحويل كليا بصندوق المساهمة للصناعات الغذائية بعدد أسهم 8500 سهم. ثم تم تحويل أسهم المؤسسة كليا في 1997/01/18 لفائدة الشركة القابضة

العمومية للزراعة الغذائية الأساسية Holding agroalimentaire والتي تم حلها في شهر أوت 2001. و تتكون مؤسسة الرياض حاليا من شركات تابعة منها **مطاحن البيبان** والتي تم إنشائها في أكتوبر 1988.

5-2. لمحة جغرافية عن ميدان الدراسة:

تعتبر مؤسسة **مطاحن البيبان** من بين أهم الوحدات التابعة -لرياض سطيف- التي تقع في الطريق الوطني رقم(05) باتجاه الجزائر العاصمة و هو موقع استراتيجي ممتاز يربطها بمعظم الولايات، كما يسهل عليها عملية التوزيع داخل الولاية و خارجها.

وهي تغطي مساحة تقدر بـ: 120000 م² منها 7.832 م²مغطاة، يقدر إنتاجها السنوي بـ 164000 طن و هي شركة مساهمة بها رأس مال يقدر بـ627000.00 دج وهي مختصة بإنتاج وتسويق السميد والفرينة بقدرة إنتاجية تصل إلى 9400 قنطار يوميا لها قدرة تخزين بالنسبة للمواد الأولية 125000 طن بالنسبة للمواد التامة الصنع 8000 قنطار يوميا و العدد الإجمالي للعمال 265 عامل.

- **وسائل الإنتاج لمؤسسة مطاحن البيبان:**

الوحدة	قدرات إنتاج الوحدة بـ: طن/يوم	وسائل الإنتاج
مطحنة مسمدة	200	هونري سيمون-إنجلترا
مطحنة فرينة	200	هونري سيمون-إنجلترا
مطحنة مسمدة	400	قولفيطو- إيطاليا

5-3. لمحة ديمغرافية عن ميدان الدراسة:

تتكون مؤسسة "مطاحن البيبان" من 265 عامل ، منهم 225 عامل تنفيذي و40 إطار.

5-4. أهمية ميدان الدراسة و مدى ملاءمته للبحث: تم اختيار مؤسسة "مطاحن البيبان" لإجراء الدراسة الميدانية لأسباب تتمثل في:

-تناسب طبيعة الموضوع " إجراءات توظيف الموارد البشرية في المؤسسة الصناعية" وخاصة وأن مؤسسة" مطاحن البيبان" مؤسسة صناعية.

– أهمية المؤسسة للمجتمع نتيجة الدور الذي تقوم به من خلال السعي لتحقيق الكفاية الإنتاجية وتحقيق الاكتفاء الغذائي لمحصول القمح و مشتقاته نظرا لأهمية هذا الغذاء للمجتمع الجزائري، باعتباره مادة غذائية أساسية للأسرة الجزائرية.

– نتيجة سعي المؤسسة لتحقيق الاكتفاء في هذه المادة ومشتقاتها فهي بالضرورة تطبق إجراءات توظيف للمورد البشري تتناسب والمهام الكبرى التي تسعى لتحقيقه، من خلال الحصول على المورد البشري الذي تتناسب قدراته ومهارته مع المهام التي سيتولى القيام بها، والتي نسعى من خلال دراستنا للوقوف عليها و معرفة مدى موضوعيتا و توافقها مع المتغيرات البيئية .

– لأن المؤسسة تتكون من عدد كبير من العمال يصلح كمجتمع مصغر و أخذ عينة منه للدراسة ثم تعميم النتائج.

5-5. تاريخ إجراء الدراسة الميدانية:

لقد تم إجراء الدراسة الميدانية في الفترة الزمنية الممتدة بين 2017/09/20 إلى غاية 2017/09/25، وهي الفترة التي تم فيها توزيع الاستمارة على العمال والإداريين، ثم جمعها، وجمع بعض الوثائق و المعلومات من خلال المقابلة التي أجريت مع بعض المسؤولين في المؤسسة، والآتي ساعدتنا كثيرا في تحليل و تفسير بعض البيانات الميدانية.

6- عرض النتائج: من خلال الدراسة الميدانية نخلص إلى النتائج التالية:

– إن مؤسسة "مطاحن البيبان " لا تقوم بجمع المعلومات والبيانات لا من البيئة الداخلية ولا من البيئة الخارجية، كما أنها لا تعطي أهمية لجميع الوظائف، كما لا تقوم بالتنبؤ بإحتياجاتها من اليد العاملة والذي عبرت عنه العينة بنسبة 64.28% ، ولا تقوم بالتوازن بين العرض والطلب على الموارد البشرية وهذا ما عبرت عنه العينة بنسبة64.28، من خلال ما تقدم نستنتج أن المؤسسة لا تعتمد على التخطيط لتحديد إحتياجاتها من الموارد البشرية.

– تقوم إدارة المؤسسة بالإهتمام بتوصيف وتحليل الوظائف العليا في الهيكل التنظيمي وتهمل الوظائف الدنيا في الهيكل التنظيمي وهذا ما عبرت عنه العينة بنسبة57.14%، كما أنها لا تعرض وصف مكتوب عن الوظائف الموجودة في المؤسسة، من خلال ما تقدم نستنتج أن المؤسسة لا تهتم بتحليل وتوصيف الوظائف.

- تعتمد المؤسسة على مكتب التشغيل للحصول على المورد البشري وهذا ما عبرت عنه العينة بنسبة61.90% ، فهي لا تعطي أهمية للطرق المختلفة للإستقطاب مما لا يساعدها في الحصول على المورد البشري المتميزة بالمهارة و الكفاءة.

- لا تجري المؤسسة أي نوع من المقابلة و لا أي نوع من الإختيار الفرد المناسب في المكان المناسب وهذا ما عبرت عنه العينة بنسبة 100%، فهي تعتمد على دراسة طلب التوظيف في ظل غياب المختصين، و يتم تعين كل العمال الذين تم قبولهم للعمل في المؤسسة.

7- مناقشة النتائج في ضوء فرضيات البحث: من خلال تحليلنا للبيانات التي تحصلنا عليها من الميدان توصلنا إلى نتائج، نذكرها مندرجة تحت كل فرضية الفرضيات التي وضعناها لمعالجة موضوع البحث وهي كالتالي:

7-1. نتائج الفرضية الفرعية الأولى: مدى اعتماد المؤسسة الصناعية الجزائرية على التخطيط لتحديد احتياجاتها من القوى العاملة.

يعتبر التخطيط من أهم العمليات التي تقوم بها أي إدارة من أجل تحقيق أهدافها، وخاصة في ظل التغيرات التي تعرفها البيئة الداخلية وخاصة الخارجية بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة و فرض على المؤسسات المنافسة الشديدة من أجل البقاء والاستمرارية، ولذلك تسهم عملية التخطيط بدور كبير في المساهمة في تحديد احتياجات المؤسسة من القوى العاملة المناسبة في شغل الوظائف في المؤسسة والتنبؤ باحتياجاتها كما و نوعا، لتحقيق أهدافها

بالنظر إلى البيانات المتعلقة بها نجد أن المؤسسة الصناعية الجزائرية لا تعتمد على التخطيط لتحديد احتياجاتها من المورد البشري، وهذا ما تشير إليه الإحصائيات التي تم جمعها من الميدان حيث تقر نسبة 71.42% من العينة أن إدارة المؤسسة لا تجمع البيانات و المعلومات لا من البيئة الداخلية و لا البيئة الخارجية لتحدد احتياجاتها من القوى العاملة.

وتشير البيانات التي تم جمعها من الميدان أن إدارة المؤسسة تقوم بتحديد الوظائف وتحديد نوعية الأفراد التي تتناسب مع هذه الوظائف والذي يكون على أساس الكفاءة والفعالية وهذا ما أكدت عليه النسبة المئوية 64.28% التي عبرت عنها العينة في البيانات والإحصائيات الجدول.

أما فيما يخص التنبؤ بالطلب على الموارد البشرية تشير البيانات التي تم جمعها من الميدان والذي تتضمن تناقض كبير بين تصريحات العينة حيث تقر نسبة 50% بأن المؤسسة تتنبأ بالطلب على القوى العاملة على المدى البعيد و المتوسط والقصير، وعبرت نفس النسبة 50% من العينة

بعدم قيام المؤسسة بالتنبؤ بالطلب على القوى العاملة لا على المدى البعيد ولا المتوسط و لا القصير وهذا ما يدل على بعض العمال لا يولون أهمية لأعمالهم أو أن إدارة المؤسسة لا تهتم أصلا بعملية التنبؤ والتي تعتبر من أهم الخطوات لتحديد حاجات المؤسسة الصناعية من القوى العاملة القادرة على القيام بالأعمال بالوجه المطلوب.

كما أن الوظائف التي يتضمنها التنبؤ هي المناصب التنفيذية، وهذا حسب البيانات التي تم جمعها من الميدان حيث عبر عنها بنسبة 32% من العينة وهذا يعود إلى طبيعة العمل في المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** والتي تفرض توفر أعداد كافية للقيام بالعملية الإنتاجية.

أما عن التنبؤ بالعرض والطلب على المورد البشري، فإن المؤسسة الصناعية الجزائرية **مطاحن البيبان** لا تقوم بها وهذا ما كشفت عنه اليانات التي تم جمعها من الميدان وعبرت عليه النسبة المئوية المقدرة ب: 64.28% من تصريحات العينة.

أما فيما يخص التوازن بين العرض والطلب، فإن المؤسسة الصناعية الجزائرية **مطاحن البيبان** لا تهتم نهائيا به، وهذا ما كشف عنه بيانات التي تم جمعها من الميدان وعبر عنه بالنسبة المئوية 78.57% من تصريحات العينة.

أما فيما يخص الأساليب المعتمد عليها في التنبؤ بحجم العمالة التي تحتاجها المؤسسة الصناعية الجزائرية **مطاحن البيبان**، فهي تعتمد على الخبراء، والوحدات ومعدل العمالة والمبيعات وهذا ما توضحه البيانات التي تم جمعها من الميدان وعبرت عنه النسبة المئوية المقدرة بـ 71.42%.

من خلال ما تقدم نجد أن المؤسسة الصناعية الجزائرية **مطاحن البيبان** لا تعتمد على التخطيط لتحديد احتياجاتها من القوى العاملة ، رغم الأهمية البالغة لعملية التخطيط لأي مؤسسة والتي تعتبر حجر الأساس لكل نشاط بشري، وهذا ما سيؤثر على سير عملية التوظيف. وهذا ما يفسر عدم توفر عمال من ذوي الكفاءات، والشهادات العالية في المؤسسة الصناعية و خاصة في العملية الإنتاجية سعيها للحفاظ على العمال القدامى.

7-2. نتائج الفرضية الفرعية الثانية: مدى اعتماد المؤسسة الصناعية الجزائرية على توصيف وتحليل الوظائف لتحديد متطلباتها ومتطلبات شاغليها.

يعتبر توصيف وتحليل الوظائف من بين أهم العمليات الإدارية التي تسهم بشكل كبير في تسهيل عملية الاستقطاب والاختيار وهذا يعود إلى المعرفة الدقيقة بمستلزمات الوظيفة ومستلزمات

الواجب توفرها في شاغلها وبالتالي يسهل عملية تحديد وسائل الاستقطاب وتحديد الكفاءات والمهارات المطلوبة مما يسهل و يسرع عملية الاختيار للفرد المناسب في المكان المناسب.

تعتمد المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** على جمع البيانات و المعلومات عن الوظائف الموجودة بها و هذا ما تبينه اليانات التي تم جمعها من الميدان وعبرت عنه العينة بنسبة 57.14%.

وأما عن تحديد إدارة المؤسسة لمعدلات الأداء المطلوبة لكل وظيفة، تبين البيانات التي تم جمعها من الميدان و الذي عبرت عنه النسبة المئوية والذي قدرت بـ64.28%، ولقد وجدنا تعارض بين تصريحات الإداريين و تصريحات العمال الذين أقروا بأنه لم تكن لديهم معلومات عن معدلات الأداء التي حددتها إدارة المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان**.

أما عن تحديد إدارة المؤسسة مواصفات شاغل الوظيفة فقد عبرت عنه نسبة 64.28% من البيانات التي تم جمعها من الميدان وتركز إدارة المؤسسة على عنصر الخبرة والكفاءة ، وهذا ما وجدنا فيه تعارض بين العمال و الإداريين حيث أقر غالبية العمال عند التحاقهم بالعمل بالمؤسسة لم تكن لديهم أي معلومات عن مواصفات محددة لشغل الوظائف في المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان**.

أما عن الأساليب التي تعتمد عليها إدارة المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** في جمع البيانات والمعلومات عن الوظائف تؤكد عليها النسبة المئوية 85.71% التي تبينها البيانات التي تم جمعها من الميدان والتي عبرت فيها العينة على أنها تعتمد على المقابلة والتقارير و سجل الموظفين.

أما عن عرض وصف مكتوب عن متطلبات الوظيفة في المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** فإن البيانات التي تم جمعها من الميدان تبين أن نسبة 57.14% من العينة تقر أن الإدارة المؤسسة تقدم عرض مكتوب عن متطلبات الوظائف الموجودة بالمؤسسة.

أما عن قيام إدارة المؤسسة مطاحن البيبان عن ترتيب الوظائف حسب الأهمية و تقييما لتحديد سلم الأجور، فإن الجدول رقم (21) يبين أن نسبة 64.28% من العينة لا تقوم بترتيب الوظائف و تقييمها، مما يسهم في عدم معرفة الوظائف المهمة والمعقدة التي تتطلب قوى عاملة ذات كفاءة و فعالية أكثر من وظائف البسيطة والسهلة ، وكذا عدم القدرة على تصنيف الوظائف وتحديد مسؤولياتها و صلاحياتها عن باقي الوظائف.

أما عن تقييم إدارة المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** لنتائج المؤسسة بينت البيانات الميدانية أن نسبة 64.28% من العينة تقر أن الإدارة تعتمد على تقييم النتائج من خلال تركيزها على الفائدة و المنفعة التي تحققها المؤسسة.

مما تقدم من البيانات والإحصاءات نلاحظ أن إدارة المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** لا تعطي أهمية كبيرة للتوصيف و تحليل الوظائف رغم الأهمية البالغة لهذه العملية ودورها الكبير في المساهمة في تسهيل عملية الاستقطاب والاختيار، وذلك أنها لا تركز على جمع البيانات الخاصة بمختلف الوظائف الموجودة بالمؤسسة الصناعية ، ولا تحدد معايير الأداء المطلوبة للعمل وتقدمها لكافة العمال، عدم ترتيب وتقيم الوظائف حسب الأهمية... ومنه فإن إدارة المؤسسة لا تعتمد على توصيف و تحليل الوظائف لتحدد متطلبات الوظيفة ومتطلبات شاغلها مما يسهم في إيجاد صعوبات كثيرة في عملية الاستقطاب والاختيار للقوى العاملة التي تسهم في تحقيق أهدافها.

7-3. نتائج الفرضية الفرعية الثالثة: مدى تطبيق المؤسسة الصناعية الجزائرية لأساليب علمية لاستقطاب قوى عاملة ذات الكفاءة و المهارة العالية.

يسهم الاستقطاب المبني على الموضوعية و الوسائل العلمية، في جذب أعداد كبيرة من المرشحين من ذوي الكفاءة و الفعالية و المهارة العالية لشغل الوظائف الشاغرة في المؤسسة، مما يسهم في اختيار الأفراد المناسبين لشغل الوظائف في المؤسسة.

من خلال تحليل البيانات نجد أن الطرق التي تعتمد عليها إدارة المؤسسة في جذب و استقطاب العمال ما تزال بدائية وبسيطة ودليل ذلك أن طرق علم العمال بالوظائف بالمؤسسة الصناعية اقتصرت على مكتب التوظيف و المعارف والأصدقاء، ولم تستخدم المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** المجلات والجرائد والجامعات والمعاهد رغم توفر هذه الإمكانيات وقدمها، رغم وجود طرق أخرى أكثر تطورا إلا أن استعمالها في الوسط الاجتماعي لا يزال بسيط، وهذا ما يؤكده البيانات التى تم جمعها من الميدان وعبرت عنه النسبة المئوية المقدرة بـ 61.90% من العينة بأنهم علموا بالوظيفة عن طريق مكتب التوظيف، والباقي علم بالوظيفة عن طريق الأصدقاء والمعارف.

أما عن كون الإعلان كان يتضمن معلومات عن الوظيفة فالبيانات التى جمعت من الميدان تبين نسبة 66.66% من العينة تقر أن الإعلان كان لا يتضمن المعلومات البيانات عن متطلبات الوظيفة.

أما عن استعانة المؤسسة بعمال من خارج المؤسسة فتبين أن نسبة 80.95% من العينة أن المؤسسة الصناعية مطاحن البيبان لا تعتمد على الاستقطاب من خارج المؤسسة.

أما عن حصول العمال على الترقية فيبين البيانات التى تم جمعها من الميدان أن نسبة 95.23% من العينة لم يحصلوا على الترقية منذ التحاقهم بالمؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان**.

من خلال المعلومات و البيانات التي تم تقدمها نلاحظ أن المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** لا تهتم بالأساليب العلمية و الموضوعية في استقطاب العمال ، وإنما لا تزال تعتمد على الأساليب غير الموضوعية و غير العلمية في استقطاب العمال، ولا تهتم بالاستقطاب الداخلي لاستثمار مخزونها من المهارات و الكفاءات الموجودة داخل المؤسسة، و أيضا لا تهتم بالاستقطاب الخارجي لتضفي تجديد وتطوير و تغيير في الطاقات و المواهب البشرية الجديدة التي يمكن أن تسهم في خلق الإبداع والابتكار في العملية الصناعية مما يسهم في تحقيق نجاح للمؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان**.

7-4. نتائج الفرضية الفرعية الرابعة: مدى تطبيق المؤسسة الصناعية لإجراءات موضوعية لاختيار قوى عاملة مناسبة لشغل الوظائف الشاغرة و تعيينها.

يعتبر الاختيار من أهم العمليات التي تسعى أي مؤسسة القيام بها بنجاح لما لها من أهمية كبير في إثراء المؤسسة و الوظائف الشاغرة بالموارد و الأفراد المناسبين للقيام بالأعمال و المهام التي تسهم في زيادة ربح المؤسسة ونجاحها وبالتالي بقائها في ظل المنافسة الشديدة و التغيرات السريعة التي تحدث في المجتمعات اليوم و تؤثر على المؤسسات بشكل كبير و مستمر.

أما عن الوثائق التي تعتمد عليها المؤسسة الصناعية مطاحن البيبان في توظيف العمال فهي تركز على طلب التوظيف و هذا ما تبينه البيانات التى تم جمعها من الميدان و عبرت عنه العينة بنسبة 95.23%، ولم تهتم المؤسسة بالسيرة الذاتية أو الشهادات، و ربما يعود السبب للطبيعة العمل التي لا تتطلب مهارات عالية و شهادات عليا.

أما عن المقابلات المبدئية و المقابلات من أجل التوظيف فإن غالبية العينة تقر أنها لم تجري أي مقابلة مبدئية أو من أي نوع أخر.

أما عن الاختبارات و طبيعتها فإن غالبية العينة تقر أنها لم تجري أي نوع من الاختبار.

أما عن الأساس الذي اعتمدته إدارة المؤسسة في اختيار العمال فالبيانات التي تم جمعها من الميدان تبين أن الأساس الذي تم اعتماده من طرف مسؤولي المؤسسة فهو الكفاءة و الذي عبرت عنه النسبة المئوية 71.42%.

أما عن كيفية تأكد المؤسسة من صحة المعلومات المقدمة من طرف المرشحين لشغل الوظائف فالبيانات التي تم جمعها من الميدان تبين النسبة المئوية التي عبرت عنها العينة و التي تقدر بـ 66.66% و التي تقر أنه يتم التأكد من صحة الشهادات، مع العلم أن المستوى التعليمي للعمال في المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** لم يتجاوز المستوى الثانوي.

أما عن طلب إدارة المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** للشهادة الطبية فالبيانات التي تم جمعها من الميدان تبين النسبة المئوية 76.19% من العينة التي تؤكد على طلبها للشهادة الطبية.

أما عن خضوع العمال لفترة تجربة أو لتربص تؤكد العينة أنها لم تخضع لفترة تجربة أو لتربص.

أما عن التعيين تؤكد العينة على أنها تم تعيينها جميعا في المؤسسة الصناعية **مطاحن البيبان** و تؤكد على أنها حصلت عل قرار التعيين من طرف إدارة المؤسسة.

من خلال ما تقدم يمكن القول أن المؤسسة الصناعية الجزائرية **مطاحن البيبان** لا تعتمد على إجراءات موضوعية لاختيار العمال الذين سيشغلون وظائف في المؤسسة، فهي لا تعتمد على المقابلات و لا تجري اختبارات للمرشحين للعمل فيها، و تكتفي بدراسة طلب التوظيف دون وجود مختصين في هذا المجال مما يجعل عملية التوظيف في المؤسسة غير موضوعية و لا تتسم بالمصداقية.

7-5. نتائج الفرضية العامة:

الفرضية العامة: مدى تطبيق المؤسسة الصناعية الجزائرية لإجراءات توظيف موضوعية و رشيدة.

إن إجراءات التوظيف المتبعة بالمؤسسة الصناعية الجزائرية، نجد أن أغلبها كلاسيكية وإدارية بعيدة عن التخطيط العلمي المدروس وهذا ما تؤكد عليه النسبة المئوية71.42% ، وقائمة غالبا على سد حاجات استعجالية للتوظيف مع الإهتمام بالكم على حساب النوع ، أو وفق مخططات الترقية و الحراك الداخلي بشكل روتيني.

أما فيما يخص تحليل و توصيف العمل فهي لا تعطي أولوية لكل الوظائف الموجودة بالمؤسسة فهي تهتم بالوظائف الموجودة في أعلى الهيكل التنظيمي وهذا ما تبينه النسبة

المئوية57%، ولا تهتم بكل تفاصل الوظيفة الواحدة من متطلباتها ومستلزماتها، ومتطلبات شاغليها، مما لا يسهم في استقطاب و اختيار الأفراد المناسبين في المكان المناسب.

– فيما يخص التقنيات فهي تعتمد على دراسة طلب التوظيف فقط و هذا ما تؤكده النسبة المئوية 61.90% ،مع العلم أن ذلك يتم في غياب المختصين. وفي ظل غياب تقنيات وأساليب متنوعة تتميز نتائجها بقلة المصداقية و الموضوعية.

– أما الاختيار المهني فهي محدودة و ذلك اعتمادا على إجراءات شكلية وتقييمات ذاتية، من خلال دراسة طلب التوظيف فقط، ولا تعتمد المؤسسة على إجراء أي مقابلة أو أي إختبار وهذا ما عبرت عنه العينة بنسبة 100%.

ومن خلال ما تقدم نستنتج أن التوظيف في المؤسسة الجزائرية لم يتغير منذ الاستقلال وبقي يسير وفق التسيير الاشتراكي للمؤسسة الجزائرية منذ الستينيات.

– و على المؤسسة التي تسعى للحصول المورد المناسب في المكان و الوقت المناسبين، ولضمان انتقاء أفضل المرشحين المتقدمين لشغل الوظائف المطلوبة يجب توفر ثلاث عناصر تتمثل في:

– و جود توافق بين متطلبات شاغل الوظيفة و متطلبات الوظيفة، و يكون هذا بتحليل و توصيف العمل و تحديد الإحتياجات الكمية و النوعية من اليد العاملة، من خلال الدراسة العلمية والموضوعية .

– الخضوع لطرق اختيار الموظفين على أسس علمية و قواعد و مقاييس محددة ، للتحقق من توافر الخبرات و كفاءات معينة، و وجود رقابة إدارية تسهر على سير العملية على أكمل وجه لضمان مصداقية عملية الاختيار.

– المرور بمجموعة من الخطوات كتقديم طلب إجراء مسابقات، المقابلات الشخصية التحري والفحص الطبي... و بعد استفاء جميع المراحل يتم تعيين المترشح الفائز بالمنصب الشاغر على أساس المساواة و الجدارة.

8– مناقشة النتائج في ضوء تساؤلات الإشكالية:

– هل تتماشى سياسة التوظيف المعتمد من طرف المؤسسة الصناعية الجزائرية مع التطورات الحاصلة في المجتمع؟

توصلنا من خلال الدراسة الميدانية إلى أن سياسة التوظيف المعتمدة من طرف المؤسسة الصناعية الجزائرية لا تتماشى مع التطورات الحاصلة في المجتمع، وذلك لعدم اعتماد المؤسسة

على دراسة كل المتغيرات الحاصلة داخلها و خارجها، كعدم اهتمامها بسوق العمل و التغيرات الحاصلة بها، وعدم مواكبتها للتطورات التكنولوجية سواء في الآلات أو التصنيع (جودة المنتوج) ، وكذا عدم مراعاتها لتغير حاجات الأفراد و رغباتهم، وعدم الاكتراث بالمنافسين .

– هل الأساليب التي تتبنها المؤسسة الصناعية الجزائرية في التوظيف مبنية على المقاييس العلمية والموضوعية أو أنها مبنية على الذاتية و المحسوبية؟

توصلنا من خلال الدراسة الميدانية أن التوظيف في المؤسسة الصناعية الجزائرية مبني على الذاتية والمحسوبية لأنه لا يخضع إلى قوانين صارمة و دقيقة وموضوعية ، وهذا يعو إلى غياب الرقابة الإدارية، وعدم وجود مختصين في هذا المجال، و إلى استغلال المنصب عند بعض المسؤولين .

– ما هي الإجراءات و الخطوات التي تتبعها المؤسسة الصناعية في توظيف الموارد البشرية ؟

توصلنا من خلال الدراسة الميدانية إلى أن المؤسسة الصناعية الجزائرية تعتمد على إجراءات بسيطة في توظيف المورد البشري ، حيث نجد أن المؤسسة الصناعية لا تولي اهتمام كبير بالتخطيط لتحديد احتياجاتها من اليد العاملة كما و نوعا، و لا تهتم بتحليل وتوصيف كل الوظائف الموجودة بالمؤسسة و تركز اهتمامها بالوظائف العليا في الهيكل التنظيمي و تهمل باقي الوظائف، كما أنها تعتمد على أساليب بسيطة في الإستقطاب ،كطلب التوظيف و مكتب التشغيل، مما يؤدي إلى عدم حصولها على المورد البشري المناسب لشغل الوظائف، كما أنها لا تعتمد في عملية الإختيار على إجراء مقابلات أو إختبارات من أي نوع، و تكتفي بدراسة السيرة الذاتية و طلب التوظيف.

– ما هو واقع التوظيف في المؤسسة الصناعية الجزائرية؟

من خلال ما تقدم نستنتج أن التوظيف في المؤسسة الصناعية الجزائرية لا يزال بعيد كل البعد عن التوظيف الموضوعي الفعال، و يحتاج إلى تجسيد مجموعة من الأساليب و الإجراءات لتوظيف الموارد البشرية المناسبة في المكان المناسب من خلال صياغة قوانين صارمة تصب في هذا الموضوع، و تسخير كل الجهود البشرية المختصة في إجراء المقابلات و الإختبارات من أجل إختيار الشخص المناسب في المكان المناسب، وفرض الرقابة على سير هذه العملية لضمان نجاحها من أجل نجاح المؤسسة ككل.

قائمة المراجع:

[1] سمير الشوبكي: المعجم الإداري، دار أسامة للنشر و التوزيع و دار المشرق الثقافي، ط1، عمان، الأردن، 2006، ص (57).

[2] المرجع نفسه، ص(123).

[3] عدلي أبو طاحون: إدارة و تنمية الموارد البشرية و الطبيعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2003، ص(26).

[4] عدلي أبو طاحون: إدارة و تنمية الموارد البشرية و الطبيعية، المرجع نفسه، ص (57).

[5] المرجع نفسه، ص (123).

[6] معين خليل العمر: معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق لنشر، ط1، عمان، الأردن، 2006، ص ص (269 270).

[7] بوراس شافية: سياسة التوظيف في ظل الإصلاح الوظيفة العامة في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: بن لرنب منصور، كلية: العلوم السياسية و الإعلام، قسم: العلوم السياسية و العلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2008.

[8] بوسنة فطيمة: سيرورة عملية التوظيف و الاختيار المهني في المؤسسة الجزائرية دراسة مقارنة بين القطاع العمومي و الخاص، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، تحت إشراف: بوسنة محمود، معهد: علم النفس و علوم التربية و الارطوفونيا و علم النفس العمل والتنظيم، جامعة الجزائر، 2006.

[9] الفضيل رتيمي: القرابة و العمل في المؤسسة الصناعية الجزائرية دراسة ميدانية في المؤسسة الوطنية للصناعات النسيجية والحريرية (وحدة بوفاريك)،أطروحة لنيل شهادة ماجستير، تحت إشراف: كمال علي مريغي، معهد: علم الاجتماع، تخصص: علم إجتماع العمل و التنظيم، جامعة الجزائر، 1993 .

[10] Mourice Angers Initation pratique la methodalogie des Science humaines ،Les editions CEC inc quebec، 1996، p p(98،99).

[11] رشيد زرواتي: مناهج و أدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2007 ص، ص (41،43).

[12] رشيد زرواتي: المرجع نفسه، ص (86).

[13] المرجع نفسه: ص (87).

[14] Mouris angers op cit, p (204) .

[15] رشيد زرواتي: المرجع السابق، ص (220).

[16] محمد عبيدات: مناهج و أدوات البحث العلمي، القواعد و المراحل و التطبيقات، وائل للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 1999، ص (63).

[17] رشيد زرواتي: تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، الجزائر، ط 3، 2008، ص (212).

[18] المرجع نفسه: ص (213).

[19]- المرجع نفسه: ص (212).

[20]- المرجع نفسه: ص (273).

[21]- المرجع نفسه: ص (273).

إدارة وتسيير الموارد البشرية في ظل المقاربات المعرفية

– قراءة نظرية تحليلية في ظل المفهوم والأهداف–

د/ بحري صابر
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02–الجزائر

د/ خرموش منى
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02–الجزائر

ملخص: تعد إدارة وتسيير الموارد البشرية من أهم الوظائف التي تضطلع بها المنظمات اليوم، خاصة وأنها أضحت منفذا رئيسيا لأي تطور يمكن أن يحصل في المنظمة على اعتبار أن الإدارة الجيدة للمورد البشري تنعكس بصورة إيجابية على المنظمة ككل، ولعل تحديد المصطلح ومعرفة التغيرات التي طرأت عليه يلعب دورا محوريا في صناعة سياسة المنظمة، خاصة وأن هذا المفهوم عرف التناول في ظل العديد من المقاربات المعرفية التي انطلقت من حقول معرفية مختلفة ومتباينة ومتقاربة نوعا ما، وهو ما سنحاول في هذا المقام التوجه إليه من خلال محاولة التحديد في ظل المقاربات التحليلية الواقعية لما هو حاصل في بيئات العمل اليوم.

الكلمات المفتاحية: إدارة وتسيير الموارد البشرية، المفهوم، الأهداف، الأفراد، المنظمة.

Abstract:

The management and management of human resources is one of the most important functions of the organizations today, especially as it has become a major outlet for any development that can take place in the organization considering that the good management of the human resource is reflected positively on the organization as a whole, and perhaps identify the term and know the changes that have occurred Plays a pivotal role in the policy-making of the Organization, especially since this concept has been defined in the context of many approaches to knowledge that have emerged from different fields of knowledge, different and somewhat convergent, which we will try to address in this regard by trying to identify under the analytical approaches Real It is the outcome of today's work environments.

Keywords: Human resources management and management, concept, objectives, individuals, organization.

مقدمة:

إن الفكرة القاعدية لإدارة الموارد البشرية هي أن المنظمة يمكن أن تكون أكثر فعالية إذا أرادت مواردها البشرية بسياسات وتطبيقات قادرة على تزويد المنظمات بالحجم المناسب للأفراد مع السلوكيات المناسبة والكفاءات المطلوبة والمستوى الجيد للتحفيز، لكن ما هو جيد ومناسب ومطلوب يتوقف على الإحتياجات والأهداف الرئيسية للمنظمة والتي تصدر المضمون الداخلي والخارجي للمنظمة **(زهية مواسوي، 2002، ص97)**، فالمحدد الأساسي لطبيعة أي منظمة هو تلك الموارد البشرية التي تمتلكها ولا يتوقف الأمر عند

ما تمتلكه من موارد بل إن الأمر يتطلب معرفة الطريقة التي يتم من خلالها إدارة وتسيير هذه الموارد البشرية بفعالية من أجل تحقيق أهداف المنظمة ككل.

إن مختلف موارد المنظمة قد يمكن التحكم فيها والسيطرة عليها بإحكام ودقة خاصة تلك الموارد الخاصة بالإنتاج والمال كالمواد الخام وغيرها من مواد المنظمة، لكن هناك موردان يصعب التحكم بهما بدقة وبفعالية وهما المورد البشري والوقت، فالمورد البشري وبالنظر لخصوصياته خاصة أنه إنسان بالدرجة الأولى يحس ويشعر وينفعل وتتحكم فيه الكثير من المعطيات والظروف وهو ما يجعل من أمر التحكم فيه لا يتم بالصورة المطلوبة بالنظر لتلك الخصوصيات التي تميز المورد البشري عن غيره من موارد المنظمة، أما الوقت فإن الخاصية التي تميزه كونه مورد إذا ذهب لن يعوض ولن يعود تجعل من أمر التحكم فيه ليس بالأمر السهل كما يمكن أن نتصور بل إنه يتطلب الكثير من المهارات والإستراتجيات لإدارته فعالية ودقة مما يوجب الوصول إلى ما هو مطلوب من المنظمة.

إن طبيعة الفرد وميزاته وخصائصه التي تميزه تجعل من سيرورة إدارته من طرف المنظمة يتم وفق الكثير من الأبجديات التي عليها أن تراعي طبيعة الإنسان وهو ما يتم البحث عنه من خلال تلك الأبحاث والدراسات التي تركز على تطوير المورد البشري في المنظمة، عن طريق التدريب وإعادة التأهيل والرسكلة وغيرها من المظاهر المهمة في تكوين الفرد كي يتماشى وطبيعة المنظمة وأهدافها.

ولقد عرف تناول إدارة وتسيير الموارد البشرية كمفهوم العديد من التغيرات التي طرأت عليه خاصة في ظل تنوع المقاربات المعرفية والحقول التخصصية التي تم في إطارها تناول إدارة وتسيير الموارد البشرية، ولعل تحديد المفهوم بدقة ومعرفة تلك التغيرات والتحولات التي ساهمت بدرجة معينة في صقل أمر جد هام للغاية، وهو ما جعلنا في هذا المقام نحاول أن نعرف تلك المقربة النظرية التحليلية التي تم في إطارها تناول مفهوم إدارة وتسيير الموارد البشرية.

1. بين مصطلحي وظيفة الأفراد وإدارة الأفراد في ظل الوظيفة الكبرى للمنظمة:

علينا في هذا المقام أن نفرق بين مصطلحين كثيرا ما نقابلهما في كتب الإدارة وهما:

- وظيفة الأفراد كجزء من مهام الإدارة أو المدير.
- إدارة الأفراد كجهاز إداري مستقل ومتخصص في المنظمة.

ويشير المصطلح الأول إلى أن كل مدير في المنظمة يمارس دور إدارة شؤون المرؤوسين العاملين في القسم أو القطاع الذي يرأسه وخاصة فيما يتعلق بتخطيط وتنظيم وتوجيه ورقابة الأداء، فمدير الإنتاج مثلا يقوم بهذا الدور جنبا إلى جنب مع دور إدارة الأفراد كجهاز متخصص يتولى مساعدة الإدارات الأخرى

في المنظمة في توفير احتياجاتها من العاملين وتطويرهم وحفظ سجلاتهم، وقد بدأ الإهتمام بإنشاء إدارات متخصصة في إدارة الأفراد أو شؤون الأفراد أو إدارة القوى العاملة، كنتيجة لقصور مناهج الإدارة العلمية والعلاقات الإنسانية في الإهتمام بقضايا الأفراد وتحقيق أقصى إنتاجية منهم، وعليه يمكن تحديد أهداف هذه الإدارة كجهاز متخصص بأنها تعني بتوفير احتياجات المنظمة من القوى العاملة وتنميتها والمحافظة عليها بما يحقق أهداف المنظمة في الإنتاجية والربح والنمو، وكذلك مساعدة المنظمة في حل مشاكل الأفراد كوسيط بينهم وبين الإدارة **(كريم ذياب أحمد، 2015، ص409)**، فإدارة وتسيير الموارد البشرية كوظيفة كبرى داخل المنظمة هي ليست وظيفة يضطلع بها شخص دون غيره بل إنها مهمة يمارسها كل واحد من موقعه، ذلك أن إدارة الموارد البشرية تتطلب العديد من العناصر الأساسية لنجاحها، لذا فإن مساهمة الجميع فيها أمر مهم للغاية، فمدير الإنتاج هو مسئول عن إدارة الموارد البشرية التي تنتمي إلى قسمه الإنتاجي، وأي خطأ في الإدارة التي يسير وفقها تنتج عنه عواقب تلحق المنظمة ككل، لذا فمن المهم أن يعرف كل مسئول ينتمي للمنظمة أن طريقته في إدارة الموارد البشرية تنعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة على الكيان العام للمنظمة، وهنا علينا أن نفهم جيدا معنى إدارة الموارد البشرية وتسييرها كوظيفة تقوم بها المنظمة ككل، ووظيفة الموارد البشرية كجهاز يشرف عليه مجموعة من الأفراد يهدفون إلى تنظيم وتنسيق وتوجيه الموارد البشرية بما يضمن السير الحسن لمختلف أنشطة المنظمة.

إن التطرق لمفهوم إدارة وتسيير الموارد البشرية من قبل العديد من الباحثين والدارسين في مجالات شتى ومتنوعة لم ينتج فقط ذلك التنوع المفاهيمي في النظرة لهذه الإدارة أو لهذه الوظيفة أو الإستراتجية، لكنه أنتج دقة إقتصادية وإدارية في تناول هذا المصطلح كونه مصطلح إداري واقتصادي ونفسي واجتماعي بالدرجة الأولى، فالمورد البشري يعيش في بيئة اجتماعية تتميز بمجموعة لا متناهية من الظروف والأبعاد التي تؤثر عليه، كما أن هذا الفرد يعيش حالة نفسية تختلف وتتغير، كما أنه ينتمي لبيئة إقتصادية وسياسية وقانونية، وهو ما يجعل من أمر إدارته وتسييره يخضع للعديد من المعايير المتعلقة بمختلف التأثيرات المختلفة المحتملة كالبيئة القانونية والإدارية والسياسية والاجتماعية والثقافية وحتى تلك المالية، لذا فإن إدارته وتسييره تجعل من أمر مراعاة هذه العناصر والشروط والبيئات أمر ضروري لنجاح إستراتجية إدارة الموارد البشرية في تحقيق ما تصبوا إليه، وهو أمر لا يمكن ضمان فعاليته بتطبيق النظريات العلمية المختلفة والمتباينة لكن أمر يمكن تحقيقه من خلال تطبيق مختلف هذه النظريات وفق المقاربة المحلية التي تميز بيئة العمل، ولعل الفشل الذي نعيشه في بلداننا العربية في إدارة وتسيير الموارد البشرية نابع بالأساس من محاولة تطبيق تلك النظريات الغربية في مجال إدارة وتسيير الموارد البشرية كما هي على المورد العربي دون أدنى مراعاة لتلك الخصوصيات التي تميز هذا المورد

دون غيره، فالنظريات الغربية قد تكون صالحة للتطبيق على مجتمعات معينة وليس على مجتمعاتنا، ذلك أن القيم والمعتقدات والمبادئ والأسس والأخلاقيات، إضافة للبيئة الاجتماعية والسياسية تختلف عن بيئاتهم لأن طبيعة الفرد العربي تختلف ما يجعل من بناء مقاربة معرفية محلية عربية أمر لا بد منه إذا أردنا حقيقة أن نطور مواردنا البشرية ونحقق أهداف منظماتنا.

إن معظم الدراسات اهتمت بتعريف إدارة الموارد البشرية من خلال الممارسات والأعمال التي تقوم بها حيث تبين من خلال دراسة (104) مائة وأربع مقالات، أن هناك ممارسات وأعمال متنوعة، واستنتج أن هناك أربعة أعمال رئيسية مشتركة ومرتبة حسب أهميتها، تضمن التدريب، والتطوير، المكافآت والأجور، إدارة الأفراد من خلال تقييم الأداء، والاستقطاب واختيار حذر ودقيق، فهذه الممارسات تعكس الأهداف الرئيسة لمعظم إستراتجية إدارة الموارد البشرية من حيث استقطاب أفضل مرشحين واختيارهم، حسب الأداء الأعلى وتزويدهم بالقدرات اللازمة للقيام بالمهمات الموكلة إليهم، وأداء العمل بكفاءة عالية، ومراقبة دائمة نحو تحقيق الأهداف المحددة، ومكافآتهم بأسلوب مناسب عند تحقيق الأهداف أو التفوق عليها(**مروى محمد، 2013، ص76**)، فالمجالات الأساسية التي تهتم بها إدارة وتسيير الموارد البشرية تتمثل في كل من: الإختيار والتعيين، الاستقطاب، تقييم الأداء، الحوافز والتدريب، وهي أهم المجالات الرئيسة في إدارة الموارد البشرية التي لاقت الكثير من العناية من قبل ليس الباحثين والدارسين فقط بل من طرف المديرين والمسئولين عن إدارة الموارد البشرية في مختلف المنظمات، ولعل هذا الإهتمام نابع بالدرجة الأولى من تلك النتائج التي يمكن تحقيها من خلال هذه الأقطاب الإستراتجية في إدارة وتسيير الموارد البشرية من منظور أن هذه العمليات فعالة وتساهم في تحقيق أهداف المنظمة إذا أحسنت استخدامها وتطبيقها في مجال تسييرها لمواردها البشرية.

2. مفهوم إدارة وتسيير الموارد البشرية في ظل المقصود بالموارد البشرية:

إن مفهوم الموارد البشرية فقد تم تناوله في صيغتين الأولى تتعلق بالمجتمع والثانية تتعلق بالمؤسسات أو المنظمات، وفي إطار المجتمع يقصد بالموارد البشرية"جميع السكان في الدولة، المدنيين والعسكريين منهم باعتبارهم مواطنين ترعاهم الدولة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا وتربويا، ويدخل في الموارد البشرية الفئات التالية:

أ. الفئات المهيأة والمؤهلة للعمل.

ب. الفئات غير المهيأة والمؤهلة للعمل بسبب السن أو بسبب وجودهم في مؤسسات معينة كالسجون والمستشفيات.

أما الفئات التي تقع في المجموعة أ فهي مكونة من:

1. إحتياطي قوة العمل: ويتكون من أولئك الذين يعملون ولا يهدفون إلى الكسب الإقتصادي، كأولئك الذين يعملون في بيوتهم ومنشاتهم وبعض طلاب الجامعات والمتقاعدين.

2. مجمل قوة العمل(القوى العاملة): وتتكون من:

– العاملين في القوات المسلحة والأمن العام.

– قوة العمل المدنية وتتكون من:

– العاملين براتب وأجر.

–العاطلين عن العمل (أي القادرين على العمل أو الراغبين فيه، لكنهم لا يجدون عملا لسبب أو لآخر)(عبد الباري إبراهيم درة، عبد الله عليان، أمجد حداد، 2006)، فالموارد البشرية من منظور اجتماعي هي كل المواطنين الذين ينتمون للبلد مهما كانت طبيعة نشاطاتهم أو وضعيتهم، فكل الأفراد المؤهلين للعمل والغير مؤهلين يمثلون طاقات بشرية تمثل موردا بشريا أي مصدر يمكن أن تعتمد عليه الدولية أو المنظمات للقيام بأي نشاط معي، وبذلك فهم يمثلون التعديد الكلي للسكان الذين يمتعون بكل الحقوق المدنية والذين تقع مسؤولية رعايتهم على الدولة والتكفل بهم في مجالات مختلفة.

أما الصيغة الثانية فقد تم التطرق لمفهوم الموارد البشرية في إطار المؤسسة أين يقصد بالموارد البشرية جميع" الناس الذين يعملون في المنظمة رؤساء ومرؤوسين، والذين جرى توظيفهم فيها لأداء كافة وظائفها وأعمالها وتحت مظلة ثقافتها التنظيمية التي توضح وتضبط وتوحد أنماطهم السلوكية، ومجموعة من الخطط والأنظمة والسياسات والإجراءات التي تنظم أداء مهامهم وتنفيذهم لوظائف المنظمة في سبيل تحقيق رسالتها وأهدافّ إستراتجياتها المستقبلية(**عمر وصفي عقيلي، 2005، ص11**)، فالموارد وفق المفهوم المؤسساتي تمثل كل فرد يعمل في إطار منظمة معينة، وبذلك تمثل الموارد البشرية شريحة العمل بمختلف فئاتها وفي ظل مستوياتها الثلاث التنفيذية والوسطى والعليا، فالمورد البشري يتواجد في أي موقع أو مركز عمل كان، والذي تقتصر مهمته الأساسية في أداء وظائف معينة تخدم طبيعة المنظمة وتصب في قالب الأهداف المسطرة من قبلها والتي تريد الوصول إليها، وبهذا المفهوم يصبح المورد البشري المؤسساتي محتوى أو جزء من المورد البشري الإجتماعي ذلك أن المورد الإجتماعي أعم وأشمل من المورد المؤسساتي الذي يعبر فقط عن الأفراد العاملين في المنظمات فقط في حين يتوسع المفهوم الإجتماعي ليشمل كل الأفراد سواء كانوا عاملين أو غير عاملين، مؤهلين للعمل أو غير مؤهلين، لذا نجد حجم المورد البشري الإجتماعي أكبر بكثير من حجم المورد البشري المؤسساتي.

ويمثل المورد البشري أيضا "المصدر الذي يمكننا من خلاله الحصول على قدرات فنية عالية ومعتبرة، والمتمثلة عموما في كيفية الإختيار الأحسن لخلق التجانس والتوافق بين صورة المنصب وصورة الشخص الذي يحتل هذا المنصب"(**منير بن أحمد دريدي، 2013، ص30**)، فهو مصدر طاقة العمل التي تريد المنظمة الحصول عليها والاستفادة منها بما يخدمها ويطورها في ظل المنافسة التنافسية التي تميز السوق اليوم، فالكثير من المنظمات اليوم تلجأ إلى طريقة الاستقطاب من أجل ضمان جودة الموارد البشرية التي تتحصل عليها لأنها تؤمن أن المورد البشري الكفء جد مهم لتطور ورقي أي منظمة، وهو للأسف الأمر الغير معمول به في الكثير من منظماتنا أين طغت فكرة المحسوبية على عملية التوظيف وهو ما جعل الرداءة تغزوا جل المنظمات مما أثر سلبا على أداء هذه المنظمات، فالمورد الكفء يساهم من خلال أداء نشاطاته المكلف بها في وقتها وبدقة عالية وجودة في نجاح المنظمة في تحقيق أهدافها، والعكس فإن المورد البشري الغي كفء يساهم في تخلف المنظمة ويعيق تقدمها لأنه لا ينجز عمله بالدقة المطلوبة وفي الوقت المطلوب، خاصة وأن إتقان العمل وإنجازها في الوقت المحدد هو من يضفي طابعا مميزا على ما تقدمه المنظمات اليوم.

3. مفهوم إدارة الموارد البشرية في ظل المقاربات المعرفية:

ما يمكن تأكيده قبل التطرق لمفهوم إدارة الموارد البشرية أن هناك نظرتين مختلفتين لإدارة الموارد البشرية أو بالأخرى مدخلين أساسيين في تناول مفهوم إدارة الموارد البشرية مدخل تقليدي ومدخل حديث، أما المدخل التقليدي فيرى أصحابه أن" إدارة الموارد البشرية ما هي إلا نشاط روتيني يشتمل على نواحي تنفيذية، مثلما هو الحال بالنسبة لحفظ ملفات وسجلات العاملين ومتابعة النواحي المتعلقة بهم، كضبط أوقات حضورهم وانصرافهم وإجازاتهم، وقد إنعكس ذلك على الدور الذي يقوم به مدير الموارد البشرية، وعلى الوضع التنظيمي للجهاز الذي يقوم بأداء الوظيفة في الهيكل التنظيمي العام للمؤسسة، ومن ناحية أخرى يرى أصحاب وجهة النظر الحديثة أن إدارة الموارد البشرية تعتبر إحدى الوظائف الأساسية في المؤسسة ولها نفس أهمية وظائف الإنتاج ، التسويق، التمويل، وذلك لأهمية العنصر الإنساني وتأثيره على الكفاية الإنتاجية، فإدارة الموارد البشرية مسئولة عن جذب واستقطاب الأيدي العاملة المناسبة والمحافظة على العاملين، والعمل على بقائهم واستمرارهم داخل المؤسسة، وصيانة القوى العاملة وتدريبها وتحفيزها وتنميتها(**صلاح الدين عبد الباقي، 2002، ص15**).

إن النظرة التقليدية لإدارة الموارد البشرية كانت تركز على أن مهمة هذه الإدارة هي مهمة روتينية تتمثل مخلص أعمالها في النشاطات التالية:

- تحرير المراسلات بين إدارة الموارد البشرية ومختلف الإدارات الأخرى داخل المنظمة أو خارجها في حدود صلاحياتها.
- المحافظة على سجلات العاملين من ملفات إدارية خاصة بالموظفين.
- إعداد أنظمة العمل وتزويد مختلف المصالح والإدارات الأخرى بها.
- إعداد الوثائق الإدارية التي يطلبها الموظفون كشهادة العمل، ومقررات التوظيف والأقدمية والترقية وغيرها من الوثائق المسموح بها لإدارة الموارد البشرية.
- إعداد إجازات الموظفين وعطلهم وكذا تحديد مواعيد العمل بالتنسيق مع باقي الأقسام الأخرى في المنظمة.

فالعمل الذي كانت تقوم به إدارة الموارد البشرية فيما سبق هو عمل تقليدي روتيني يركز على المهام المتعلقة بالسجلات والموظفين أين تكلف بعملية متابعة مسار الموظف بداية من التحاقه بالعمل حتى نهاية عمله، وهذه المتابعة تكون عن طريق جمع وحفظ كل الوثائق المتعلقة بذلك، لذا فإن إدارة الموارد البشرية في هذه الفترة مثلت أرشيف المنظمة للموظفين إن صح التعبير.

ولعل ورود العديد من التغيرات التي طرأت على طبيعة المنظمات وحجمها وكذا الميزة التنافسية جعل إدارة الموارد البشرية تنطلق من مفهوم حديث وجديد في إدارة الموارد البشرية أين لم تقتصر وظيفة الموارد البشرية على الوظيفة التقليدية المتعلقة بكل نواحي السجلات والتحرير الكتابي، بل إن وظيفتها تعدت ذلك إلى أبعد الحدود خاصة حين شملت وظائف جديدة تحاول من خلالها تطوير المنظمات، وعلى رأس هذه النشاطات التي تقوم بها إدارة الموارد البشرية اليوم نذكر ما يلي:

- الاستقطاب.
- الإختيار والتعيين.
- تحليل العمل.
- تقييم الأداء.
- التدريب وتصميم برامج التدريب.
- تخطيط الموارد البشرية.
- إنجاز الدراسات والبحوث في مجال إدارة الموارد البشرية.
- دراسة الأجور وتحديدها وتصميم نظام الحوافز.
- المشاركة في إتخاذ القرار على مستوى المنظمة.

إن هذا التنوع في الوظائف التي تقع على عاتق إدارة الموارد البشرية لم يكن محض الصدفة بل كان نتيجة حتمية للتطورات الحاصلة التي أنتجتها الظروف المحيطة بالمنظمة اليوم، فإدارة الموارد البشرية لم تبقى منطوية ومنزوية على نفسها بل تفاعلت مع مختلف الأحداث وصنعت التطوير الذي ساهم في بروز العديد من الوظائف الحديثة التي تقوم بها، حتى أضحى لكل إدارة من إدارات الموارد البشرية وظائف تختلف من حيث طبيعتها وحجمها حسب تركيبة المنظمة توجهاتها ونوعية الخدمات أو السلع التي تقدمها.

إن التراث النظري غني جدا بالمقاربات المعرفية التي تناولت أو أشارت إلى مفهوم إدارة الموارد البشرية، وينبغي لنا أن نؤكد أن إدارة الموارد البشرية كتخصص تم تناوله في العديد من الميادين والتخصصات العلمية، وهو ما يؤكد لنا ثراء إدارة الموارد البشرية من جهة ومدى توسعها على التخصصات ونهلها منها في سبيل تطوير الموارد البشرية، وأهم هذه التخصصات هي:

- علم الإجتماع.
- علم النفس العمل والتنظيم.
- علم النفس المرضي للعامل.
- علم النفس الإجتماعي للمنظمات.
- الإقتصاد.
- العلوم الإدارية.
- علوم التسيير.
- العلوم التجارية.
- البيولوجيا.
- الطب.
- العلوم القانونية.

إن تنوع التخصصات ساهم بدرجة معينة في تنوع الإشارات التي تطرقت لمفهوم إدارة الموارد البشرية كمفهوم إداري ونفس اقتصادي، ذلك أن المورد البشري يمثل شخصية معينة وكذا مصدر من مصادر الطاقة الإقتصادية في المنظمة.

إن إدارة الموارد البشرية تشمل"مجموعة من العمليات المتنوعة، التي ترتبط ارتباطا تسلسليا، بدءا من التخطيط للمورد البشري، وتحليل ووصف الوظائف، وإعداد نظام الإختيار والتعيين، وتقييم الأداء

والحوافز، ثم تحديد نظام إجراءات التأديب والسلامة المهنية بما يتفق مع الأهداف المرسومة (أبو شيخة نادر، 2000)، وبهذا فإدارة الموارد البشرية تقوم أساسا على وظائف تضطلع بها.

إن إدارة الموارد البشرية تعني أيضا "عملية تزويد المؤسسة بالكفاءات البشرية المؤهلة والحفاظ عليها، وتحفيزها وتطويرها لتحقيق أعلى مستويات الأداء والإنجاز، وتتضمن كافة النشاطات المتعلقة بالحصول على الموارد البشرية وتوفير بيئة عمل مناسبة لها لتقديم أفضل ما عندها والعمل على تنمية مهاراتها وقدراتها لتحقيق أهداف المؤسسة بكفاءة وفعالية (**فيصل حسونة، 2008، ص6**)، فإن كان من المهم تزويد المنظمة بالموارد البشرية المؤهلة لأداء وظائفها بما يسمح بتطوير المنظمة وضمان رقيها، فإن الشيء الأهم هو المحافظة على الموارد البشرية والمحافظة تعني ضمان أداء الأفراد العاملين في المنظمة أدوارهم المنوطة بهم وواجباتهم ومسؤولياتهم بنفس المستوى وبنفس الدقة والفعالية من جهة، وكذا ضمان عدم تغيير هؤلاء الأفراد لهذه المنظمة بتركهم للعمل أو دوران العمل أو تغيير العمل، فالإشكالية الكبيرة التي تعاني منها المنظمات هي كيف يمكنها أن تحافظ على مواردها البشرية في ظل المنافسة التي يتميز بها سوق العمل اليوم؟، خاصة وأن سوق العمل اليوم أضحى قرية صغيرة في ظل إدارة تنوع الموارد البشرية وكذا عولمة الموارد البشرية، فالنزيف الحاصل اليوم في الكثير من الدول المختلفة من إطاراتها وكوادرها البشرية التي اختارت طريقا آخر لها في المسار الوظيفي غير طريق بلدها يطرح لنا تلك الإشكالية بعمق، فهذه البلدان تسهر على تكوين ورسكلة مواردها البشرية وتزود المنظمات بها، لكن هذه المنظمات تفقدها نتيجة العديد من العوامل قد تكون خارج نطاق المنظمة وقد تكون المنظمة عاملا بمناخها التنظيمي السائد في نزوح هؤلاء الأفراد نحو بلدان أخرى.

إن عملية المحافظة على الموارد البشرية يتطلب في واقع الأمر توافر العديد من الشروط والاعتبارات أهمها إدارة موارد بشرية قادرة على المحافظة على مواردها في ظل المنافسة القوية التي تميز سوق الموارد البشرية اليوم.

إن المقصود بإدارة الموارد البشرية "كل الإجراءات والسياسات المتعلقة بإختيار وتعيين العاملين وطرق التعامل معهم في جميع المستويات، والعمل على تنظيم الأيدي العاملة داخل المنظمة، وزيادة ثقتها في الإدارة وخلق روح تعاونية بينها للوصول بالمنظمة إلى أعلى مستويات الإنتاجية بالشكل الذي يؤدي إلى تحقيق الأهداف المرسومة"(**محمد حسين الزعبي، 2013، ص56**)، فالأساس الذي تقوم عليه إدارة الموارد البشرية هو عملية تنظيم الأفراد العاملين في المنظمة وهو ما من شأنه ضمان أداء الأفراد لمختلف وظائفهم بدون أي فوضى تذكر، أين تهدف بصورة خاصة إلى الرفع من مستوى المنظمة في مجال

الكفاية الإنتاجية وهو ما من شأنه أن يسهم في زيادة الموارد المادية التي تدخل المنظمة بما يحقق لها الربح المادي الذي ينعكس بصورة إيجابية على المنظمة من الناحية المالية.

ويشار أيضا لإدارة الموارد البشرية بوصفها"سلسلة القرارات الخاصة بالعلاقات الوظيفية المؤثرة في فعالية المؤسسة والعاملين فيها"(**أحمد ماهر، 2004، ص26**)، فهي تختص بمختلف العلاقات التي تتم في إطار العمل وداخل المنظمة بين أفرادها إذ تحرص على تنظيمها ورقابتها من أجل دفعها نحو أهداف المنظمة، لذا يمكننا أن نقول أن أحد أهم ما تقوم به إدارة الموارد البشرية هو إدارة علاقات العمل، فهي تضع العديد من الإستراتجيات التي تقوم على إدارة هذه العلاقات، فعملية الإختيار المهني بوضع الفرد المناسب في الوظيفة المناسبة تقوم على أساس إختيار الفرد الذي يؤدي علمه على أكمل وجه أي ذلك الفرد الذي يتمتع بقدرات معينة وكفاءات خاصة من أجل أداء العمل المنوط به، وبالإضافة إلى القدرات والمهارات التي يتمتع بها فإن عملية الإختيار تختار أيضا الفرد الذي يستطيع أن يتلاءم مع مجموعة الظروف المحيطة بالعمل، والتي تعد شرطا أساسيا لشغل الوظيفة، فبعض الوظائف مثلا تتطلب أن يكون الفرد قادرا على إقامة علاقات داخل العمل أو تحتاج فردا يعمل ضمن مجموعة لذا فإضافة إلى القدرات فلابد أن تتوافر في مرشح الوظيفة شروط خاصة بإدارة العلاقات، لذا فقد يرفض فرد معين رغم أنه يتمتع بقدرات عالية وكفاءات تتطلبه الوظيفة، ذلك أن هذه الوظيفة تحتاج نوعين من الخصائص خصائص خاصة بالعمل في جوهره، وأخرى خاصة بالعمل في بيئته، وهو ما يجعل المنظمة تفاضل بين فرد وآخر في العديد من الأعمال وفق الشروط الواجب توافرها في هذه الوظيفة والتي تتطلبها دون غيرها.

وتنطوي إدارة العنصر البشري على "تلك النشاطات المصممة لتوفير القوى العاملة حسب التخصصات المطلوبة في المنشآت، وكذلك المحافظة على تلك الكفاءات وتنميتها وتحفيزها بما يمكن المنظمة من بلوغ أهدافها بكفاءة وفاعلية"(**حنا نصر الله، 2001، ص3**)، فأحد أهم المجالات التي تنشط فيها إدارة الموارد البشرية هو مجال توفير احتياجات المنظمة من اليد العاملة من خلال العديد من الإستراتجيات كالاستقطاب والاختيار والتدريب، وإن كان أمر توفير الإحتياجات الملائمة للمنظمة والمناسبة لها يحتاج الكثير من الوقت والجهد الشاق ذلك أن عملية الإختيار ووضع الأفراد المناسبين ليس بالأمر الهين كما يعتقد الكثير من مدراء الموارد البشرية اليوم، فعملية الإختيار تعد من أصعب المهام وأشقها على إدارة الموارد البشرية خاصة وأن عملية توفير هذه الموارد واختيارها سينعكس بصورة مباشرة على أداء المنظمة، فإن قامت إدارة الموارد البشرية بحسن عملية الإختيار كانت النتائج إيجابية على المنظمة، والعكس من ذلك فإن تمت عملية الإختيار في ظل الأخطاء الكثيرة التي تسجل في عملية الإختيار أي أن إدارة الموارد البشرية أساءت عملية الإختيار فإن عواقب ذلك الفعل ستكون وخيمة على الفرد الذي تم إختياره لشغل

الوظيفة وكذا على المنظمة، فالفرد سيصاب بعملية إحباط وتذمر من العمل وعدم الرضا الوظيفي وقلة دافعيته للعمل، والمنظمة في المقابل ستخسر أحد الأفراد الذي كان من الممكن تقديم إضافة معينة للمنظمة، وهو ما يفقدها نسبة معينة من الإنتاج أو الخدمات، ويعد إختيار هذا المورد بهذا الشكل خطأ تدفع المنظمة نتائجه بصورة مباشرة أو غير مباشرة حسب موقع عمل هذا الفرد.

وتعبر إدارة الموارد البشرية عن "النشاط الخاص بتوفير المهارات اللازمة للمنظمة، وتنمية قدرات العاملين والمحافظة على استقرارهم، ورفع روحهم المعنوية، وتقييم نتائج أعمالهم بما يحقق أهداف المنظمة الرئيسية بأحسن كفاءة ممكنة، وبناءا على ذلك تتضمن هذه الوظيفة أعمالا متعددة مثل تخطيط القوى العاملة، الإختيار والتعيين والتدريب وتحليل ووصف الوظائف، ووضع أنظمة الأجور والمرتبات والحوافز وتوفير الخدمات والمنافع التي تحقق استقرار العمالة وزيادة درجة الرضا عن العمل **(حمدي مصطفى المعاز، 1985، ص46)**، فأهم وظيفة تقوم بها إدارة الموارد البشرية وتسعى لضمانها هي المحافظة على مواردها وتنميتها وتطويرها بما يحقق الأهداف العامة والخاصة للمنظمة بشكل خاص، فكل النشاطات والوظائف التي تقوم بها إدارة الموارد البشرية هي في سبيل المحافظة على الموارد البشرية بصورة أو بأخرى.

وتؤكد رقام ليندة أن إدارة الموارد البشرية هي "نشاط من أنشطة التسيير وتمثل أحد فروع إدارة الأعمال، وإذا نظرنا إليها من حيث الوظيفة فهي وظيفة كل رئيس في المؤسسة أيا كان مركزه التنظيمي، وهي كوحدة تنظيمية ذات طبيعة استشارية تقدم خدماتها ومساعداتها واقتراحاتها لكل المديرين والعاملين، ويعتبر الإستخدام الفعال للموارد البشري أولى وأهم انشغالاتها في جميع المستويات التنظيمية من خلال توفيرها للموارد ذات الكفاءات والمحافظة عليها وتطوير قدرتها ورغبتها في العمل حتى تساعد المؤسسة على تحقيق أهدافها بأحسن فاعلية ممكنة**(رقام ليندة، 2014، ص49)**.

إن المفهوم الإقتصادي لإدارة الموارد البشرية يركز على عملية التسيير لهذه الموارد البشرية أي عملية تصريف أمور وتدبير شؤون الأفراد العاملين في المنظمة، وإن كانت النظرة الإقتصادية لعملية إدارة الموارد البشرية تختلف عن تلك النظرة الإجتماعية والنفسية، فالنظرة الاقتصادية تنظر لإدارة الموارد البشرية كعملية إدارية محضة ترتكز على التسيير أما النظرة النفسية والاجتماعية فهي تركز على عملية إدارة الموارد البشرية بالنظر للبيئة المحيطة بالفرد الذي ينتمي إلى المنظمة، كما أن الاقتصاديون يعتبرون الموارد البشرية عنصر من عناصر الإنتاج في حين تركز النظرة النفسية والاجتماعية على المورد البشرية كطاقة بشرية في المنظمة، فهي تدخل ضمن تكلفة الإنتاج، ومن هنا فالاهتمام بالموارد البشرية من قبل النظرة الإقتصادية قائم على المنفعة التي يمكن الحصول عليها من هذا الإهتمام، في حين أن الإهتمام

بها من قبل النفسانيون والاجتماعيون قائم من منطلق أهمية المورد في حد ذاته أي أنها قائمة على أساس فردي وليس نفعي، إضافة لكون الموارد البشرية تشكل في النظرة الإقتصادية أحد عناصر رأس مال المنظمة، أما في النظرة النفسية والاجتماعية فهي أساس قيام المنظمة، ولعل محور الاتفاق بين النظرة الإقتصادية والنفسية الاجتماعية هو الهدف الذي تريد الوصول إليه وهو يتعلق بالمحافظة على هذه الموارد البشرية في سبيل تحقيق أهداف المنظمة بأبعادها المختلفة.

إن إدارة الموارد البشرية هي تلك الإدارة التي تقوم "بتوفير الكوادر اللازمة والمؤهلة لخدمة أهداف المنظمة، وتوليها بالرعاية والتدريب والتنمية المهنية، ومنح الحوافز المناسبة لها، وتهيئة المناخ المريح الذي يكفل تحقيق أهداف المنظمة من جهة وتحقيق أهداف العاملين من جهة أخرى، مع الأخذ بعين الإعتبار أهمية الموازنة بين أهداف العمل وأهداف العاملين، وإدارة الموارد البشرية تختص بانتقاء واستقطاب العاملين بشكل جيد، وتوزع الأعمال عليهم بطريقة مناسبة بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب، والرفع من قدراتهم ومهاراتهم لتحقيق جودة الأداء بما يتوافق مع إستراتجية التخطيط والتنفيذ الخاص بالمنظمة، والعمل على إرساء قواعد الانتماء والولاء للمنظمة، مع توخي العدالة في تقديم الحوافز وفي تقويم أعمال العاملين(**رافدة الحريري، 2014، ص48**)، فإدارة الموارد البشرية تهدف إلى تحقيق أهداف المنظمة والفرد معا، وذلك ما يعبر عنه بعملية الاندماج ما بين أهداف الفرد وأهداف المنظمة، وإن كان من الصعب الوصول إلى عملية اندماج تامة وكاملة فإن مختلف محاولات المنظمة تنصب في هذا الإطار، ونجاح المنظمة في تقريب أهدافها من أهداف الفرد هو بداية حقيقة للاندماج التنظيمي بين الفرد والمنظمة، فالفرد يتوجه للعمل بالمنظمة لتحقيق غايات وأهداف كثيرة على رأسها تلبية حاجياته الأساسية الفيزيولوجية والاجتماعية والأمنية وحاجات تحقيق الذات وتقدير الذات، فإن استطاعت المنظمة تقريب أهدافها من حاجاتها التي يريد الوصول إليها وسعت لتحقيقها فإنه سيسعى جاهدا وبكل الوسائل المتاحة لديه والطرق أن يحقق أهداف المنظمة، وعلى العكس من ذلك فإن شعور الفرد بأن أهدافه تختلف اختلافا كبيرا عن أهداف المنظمة سيشعره لا محالة بنوع من خيبة الأمل ويؤدي به للشعور بالاغتراب عن العمل الذي يترجم في العديد من السلوكيات كالغياب ودوران العمل وسوء علاقات العمل، لذا فنجده لا يبذل أي جهد يذكر في تحقيق أهداف المنظمة.

4. مفهوم إدارة وتسير الموارد البشرية في ظل الأهداف – قراءة واقعية تحليلية-:

إن إدارة الموارد البشرية كمفهوم لتسيير شؤون الأفراد العاملين في المنظمة وتصريف أعمالهم ونشاطاتهم يهدف لتحقيق عدة أهداف حسب طبيعة كل منظمة، ومن المهم أن نؤكد أن هذا المفهوم الذي تم تناوله

من قبل العديد من الباحثين والدارسين في مجالات شتى إدارية كانت أو إقتصادية أو نفسية أو اجتماعية، وعلى الرغم من أنها لم تصب في قالب واحد في تحديد مفهوم إدارة الموارد البشرية إلا أنها جاءت وفق مقاربات معرفية انطلقت من منطلقات معينة حاولت أن تؤسس لمفهوم إدارة الموارد البشرية وفق تلك المقاربات، ولعل أهم النقاط التي أشارت إليها مختلف هذه التعاريف في تناول مفهوم إدارة الموارد البشرية يمكن تلخيصها في العناصر التالية:

– تقوم إدارة الموارد البشرية على مبدأ تزويد المنظمة بالكفاءات القادرة على تقديم قيمة مضافة للمنظمة في مجالاتها المختلفة.

– إن إدارة الموارد البشرية لا تركز فقط على توفير الكفاءات من الموارد البشرية بقدر ما تركز أيضا على المحافظة على هذه الموارد وتنميتها وتطويرها بما يخدم المنظمة.

– تسعى إدارة الموارد البشرية إلى توفير بيئة عمل مناسبة للأفراد بما يتوافق وشروط العمل التي تدفع المنظمة قدما للأمام.

– تسير إدارة الموارد البشرية وفق إجراءات مخططة وممنهجة لتحقيق الأهداف المسطرة على المدى البعيد أو القريب أو المتوسط.

– إدارة علاقات العمل تعد أحد أوجه نشاطات إدارة الموارد البشرية من خلال التنظيم والتوجيه والرقابة والتخطيط لهذه الموارد البشرية في المنظمة.

– تنظر إدارة الموارد البشرية للأفراد كطاقة وثروة ينبغي المحافظة عليها وزيادة فعاليتها بتفجير الطاقات الكامنة وراءها.

– تحقيق أهداف المنظمة أمر مرهون ومرتبط بطريقة وإستراتجية إدارتها لمواردها البشرية وكيفية التعامل معها.

– الإستقرار الوظيفي أمر ممكن في ظل إدارة للموارد البشرية واعية بمهامها ومدركة لنشاطاتها الأساسية.

– إدارة الموارد البشرية تركز على عدة جوانب أساسية: الجانب الإقتصادي، الجانب الإداري، الجانب النفسي، الجانب الإجتماعي، وتكامل مختلف هذه الجوانب شرط ضروري لنجاح إدارة الموارد البشرية الذي يترجم في بلوغ المنظمة أهدافها.

– اندماج أهداف الفرد مع أهداف المنظمة هو أرقى صورة يمكن للمنظمة الوصول إليها.

إن المطلع على ما كتب حول إدارة الموارد البشرية يجد في الكثير من الكتابات ورود مصطلحين هامين إدارة الموارد البشرية وإدارة الأفراد، فيا ترى ما هو الفرق بين هذين المفهومين؟، وهل هذا الفرق لا يتعدى

أن يكون شكليا أم أن الفرق جوهري موضوعي، وللإجابة على هذا التساؤل نعرض الفرق الذي أوضحه **محمد موسى أحمد** في كتابة إدارة الموارد البشرية بين النظرية والتطبيق من خلال الشكل التالي:

م	الفرق	إدارة الأفراد	إدارة الموارد البشرية
1	الفترة الزمنية للتخطيط	قصيرة الأجل	طويلة الأجل
2	العقد النفسي	إذعان العامل(أي إجباره)	ولاء العامل
3	أنظمة الرقابة	رسمية	ذاتية
4	العلاقات بين الأفراد	نفعية والثقة ضعيفة بين العامل وصاحب العمل	الإحترام المتبادل بين العامل وصاحب العمل
5	الهياكل التنظيمية	بيروقراطية ومركزية	عضوية ومركزية
6	الأدوار	متخصصة ومهنية	متنوعة ومتكاملة
7	الوظائف	منغلقة وذات طابع اقتصادي	منفتحة وذات طابع اقتصادي واجتماعي

شكل يبين الفرق بين إدارة الأفراد وإدارة الموارد البشرية(محمد موسى أحمد، 2014، ص344).

يؤكد البعض أن الفرق بين إدارة الأفراد وإدارة الموارد البشرية في طريقة إدارة الموظفين وأهم الإستراتجيات المستخدمة في ذلك، فالكثير يرى أن إدارة الأفراد تنظر لعملية تخطيط الموارد البشرية كعملية قصيرة الأجل في حين أن إدارة الموارد البشرية تؤكد على صيرورة العملية التي تعد طويلة الأجل، فمن حيث الفترة التي يتم فيها عملية التخطيط تختلف بين إدارة الأفراد وإدارة الموارد البشرية، أما من حيث مسألة العقد النفسي الذي يعبر عن تلك الرابطة النفسية التي تربط الفرد بالمنظمة التي يعمل بها وهي علاقة سيكولوجية صريحة بين الفرد والمنظمة قبل أن تكون علاقة رسمية تسير وفق أطر قانونية وإدارية تنظمها، فالفرد في المنظمة يلتزم نفسيا بالعمل في المنظمة وأداء مجموعة المهام والواجبات المكلف بها قبل أن يلتزم إداريا، وعدم الإلتزام النفسي من طرف الفرد سيصعب من عملية أداء لعمله وكذا اندماجه في المنظمة من خلال تكيفه وتوافقه مع العمل الذي هو بصدد القيام به، لذا فمن المهم أن يرتبط الفرد نفسيا بالمنظمة قبل أي شيء لأن تلك الرابطة بينه وبين منظمته ستنعكس على مستوى ولائه وفعاليته، فإدارة الأفراد تلزم الفرد في القيام بما هو مطالب به عن طريق العقد الرسمي من الناحية الإدارية والقانونية بما يضمن أدائه عمله على أكمل وجه وأي تقصير من طرفه سوف يسبب له عقوبات معينة يفرضها طبيعة النظام المعمول به في المنظمة، لكن النظر للإدارة على أنها إدارة للموارد البشرية وليس مجرد أفراد

يعملون في المنظمة أي النظر للفرد كمورد وثروة تغير من طبيعة العقد الذي يربط بين الفرد والمنظمة فهو ليس مجرد عقد إداري وقانوني بقدر ما هو عقد نفسي يربط الفرد بمنظمته، فإدارة الموارد البشرية وفق هذا المفهوم تسير الفرد وفق أبجديات الولاء أي أن الحصول على ولاء الفرد هو أهم عندها من أي التزام آخر، ذلك أن ولاء الفرد للمنظمة سيدفع لبذل المزيد من الطاقة أين لا يدخر أي جهد في سبيل تحقيق أهداف المنظمة والرقي بها نحو الأحسن، هذا من ناحية العقد النفسي الذي يربط الفرد بمنظمته، أما من ناحية أنظمة الرقابة فالفرق الجوهري بين إدارة الأفراد وإدارة الموارد البشرية أن الأولى تعتمد على الرقابة الرسمية عن طريق تسجيل الحضور والغياب ومراقبة أداء الفرد لمختلف نشاطاته في المنظمة والتوجيه الرسمي للفرد بأداء مهام معينة وأن أي تقصير سيصدر من الفرد سيقابله مجموعة من العقوبات تختلف درجاتها حسب جسامة التقصير، أي أن أي خطأ يرتكبه الفرد في المنظمة ويتم تسجيله من قبل المنظمة رسميا سيعاقب عليه الفرد، أما إدارة الموارد البشرية فهي تختلف في نظرتها لأنظمة الرقابة فهي لا تعتمد على أنظمة الرقابة الإدارية والرسمية بقدر ما تولي أهمية بالغة للرقابة الذاتية أي إعطاء الفرد المسؤولية الكاملة لإنجاز عمله وجعله يراقب ذاته بنفسه، وذلك بمنحه كامل الحرية في طريق تنفيذ العمل، فالمهم هو إنجاز العمل في الوقت المطلوب ولا يهم طريقة الإنجاز أو أداء العمل، ولعل منح العامل تلك الحرية يشعره بنوع من الثقة في المسؤولية الممنوحة له من طرف المنظمة لذا تجده يبادر ويبدع في مجال عمله على العكس من ما تقوم به بعض المنظمات في تحديد الطرق التي يتم فيها العمل بعدم ترك أي مجال للفرد لإظهار ذاته في أداء العمل، وهو ما يجعل الفرد يشعر بنوع من الروتين في أداء عمله خاصة إذا لم يكن راض عن تلك الإجراءات المتعبة في القيام بالعمل، وتبقى السلطة التقديرية في تطبيق نوع الرقابة تخضع للعديد من المعايير أهمها:

- طبيعة الأفراد وشخصياتهم هي المحدد الأساسي لأي نوع من الرقابة يمكن إخضاعهم لها.
- طبيعة الأعمال والمسؤوليات الملقاة على عاتق الأفراد.
- حجم المنظمة وطبيعة عملها والنظام السائد فيها.
- مدى نجاح الرقابة الذاتية في تحقيق أهداف المنظمة.
- عدم تراجع الكفاية الإنتاجية بتطبيق إستراتجية الرقابة الذاتية.

إن طبيعة العلاقات بين الأفراد في المنظمة تختلف حسب وجهة إدارة الأفراد وإدارة الموارد البشرية، فهي لدى إدارة الأفراد تقوم على أساس المنفعة والمصلحة أي أن الأفراد تربطهم علاقات عمل تؤسس على مبدأ ماذا تقدمه لي كي أؤدي عملي؟، فالثقة هنا تكاد تنعدم وتكون ضعيفة بين الأفراد والمنظمة التي يعملون

بها، ذلك أن طريقة إدارة العمل وتسييره تجعل الفرد يشكل صورة نمطية حول العمل الذي يقوم به، ولعل الكثير من منظماتنا اليوم تفشل في عملية إدارتها لأفرادها بسبب تلك النظرة السلبية المدعمة لانعدام الثقة بين طرفي العمل، فإن كان عقد العمل الرابط بين الفرد والمنظمة أساسه انعدام الثقة فإنه سيؤدي لا محالة لفشل الطرفين في تحقيق النتائج المتوقعة من العمل، فانعدام الثقة يؤزم من وضعية العمل ويوتر علاقات العمل داخل المنظمة وينعكس سلبا على إنتاجية المنظمة وعلى تحققها لأهدافها المسطرة، فالكثير من أصحاب المنظمات اليوم يعانون من أزمة الثقة في الأفراد الذين يعملون لديهم وهو ما يؤزم وضعية الفرد العامل والمنظمة معا، فالعلاقة التي تربط أطراف العمل لا بد أن تقوم على مبدأ الثقة المتبادل لأن الثقة ستشعر العامل بمدى مسؤوليته في العمل، وعدم الثقة ستقلل من مكانة الفرد في العمل ومن أهميته، وقد يؤدي ذلك به إلى ترك العمل والغياب وعدم الاكتراث بما يحدث داخل المنظمة، فأساس نجاح أي علاقة كانت سواء علاقة اجتماعية أو علاقة عمل هو الثقة المحور الأساسي لاستمرار العلاقات مهما كانت طبيعتها في المجتمع، ولعل التأسيس لعلاقة قائمة على الإحترام المتبادل والثقة المتبادلة بين طرفي العمل وهو المنظار الذي تركز عليه إدارة الموارد البشرية هو أساس نجاح العلاقة النفسية ومدى تطوير وتنمية العقد النفسي من قبل المنظمة بتعزيز ثقة الفرد في نفسه لأن ثقة المنظمة فيه جانب أساسي من جوانب الثقة بالذات التي يمكن تحطيمها بانعدام الثقة في الفرد، وللثقة التي تضعها المنظمة في الفرد العديد من الفوائد والنتائج أهمها:

- نجاح العلاقة بين الفرد والمدير أو المشرف عليه.
- بذل الفرد لأقصى طاقاته في العمل إرضاءا للثقة الممنوحة له.
- تعزيز الثقة بالنفس لدى الأفراد.
- الرغبة في الإبداع والنجاح في العمل.
- العمل على تحقيق أهداف المنظمة.
- بناء علاقات عمل جيدة مع فريق العمل.
- التقليل من المشكلات في العمل كصراع العمل والضغط المهني.
- المحافظة على الموارد البشرية وعلى استقرارها في العمل.
- ضمان تأدية الأفراد لعملهم وفق الثقة الممنوحة لهم.
- زيادة الولاء لدى العاملين وتعزيز الانتماء التنظيمي لديهم.
- المرونة في القيام بمختلف الوظائف والمهام داخل العمل.
- السرعة في إنجاز العمل والدقة.

وفي مقابل تلك الفوائد التي يمكن تحقيقها من عملية الثقة في الأفراد في العمل، فإن هناك العديد من المشكلات التي يتم طرحها بسبب هذه الثقة، وكذا بعض السلبيات الناتجة عن تطبيقها في ميدان العمل، والتي من بينها:

- التسيب في العمل والفوضى.
- عدم إنجاز العمل من طرف بعض الأفراد مما يعطل أهداف المنظمة.
- عدم إدراك ما يجري داخل العمل من مشكلات.
- ارتكاب أخطاء أثناء العمل.
- إنجاز العمل وفق منظور شخصي وليس وفق منظور الجماعة.
- عدم إتمام العمل في الوقت المحدد من قبل بعض العاملين.
- غياب تحمل المسؤولية لأن الثقة لدى البعض هي عنوان الفوضى.
- إشكالية تقييم أداء الموظفين وتطبيق العقوبات.

والحل الذي يجب على المنظمة تطبيقه في مجال الثقة في أفرادها هو تحقيق مبدأ الثقة لكن في حدود إمكانيات وقدرات كل فرد في المنظمة، وعدم الانصياع وراء الثقة المفرطة في الأفراد لأنه من المهم تعزيز الثقة في الأفراد وبناء علاقات العمل على أساس الإحترام المتبادل والثقة بين الطرفين، لكن من المهم أيضا أن يصاحب هذه الثقة نوع من الرقابة على الفرد الذي نضع فيه ثقتنا كي نضمن أن ثقتنا التي وضعناه فيه تسير في مسار إيجابي ونحو تحقيق أهداف المنظمة.

ومن ناحية الهياكل التنظيمية فهي في إدارة الأفراد تقوم على مبدأ البيروقراطية والمركزية أي أن أهم ميزة في الهياكل التنظيمية عدم إشراك الأفراد في إتخاذ القرارات أي تنعدم مشاركة الأفراد في مختلف العمليات التي تقوم بها المنظمة، ذلك أن المقرر الوحيد والأمر هنا هو المكلف بعملية الإدارة، وهنا الهياكل التنظيمية التي تعتمد على البيروقراطية في طبيعتها وعلى مركزية القرارات تواجه الكثير من المشكلات خاصة ما تعلق بحل المشكلات الظرفية وكثرة الضغوط على الهيكل التنظيمي لأن الأفراد لا يستطيعون التصرف أو القيام بأي عمل أو نشاط دون الرجوع لمركزية القرارات، وهو ما يصعب من عملية مرونة العمل، ويؤثر سلبا على وقت إنجاز العمل، فالهيكل البيروقراطي يتميز بالعديد من الخصائص نبرزها فيما يأتي:

- الصرامة والدقة في تنفيذ أوامر السلطة المركزية من قبل الأفراد.
- إحترام التسلسل الرئاسي من الأعلى إلى الأسفل.

- الطابع الرسمي هو الميزة الأساسية في طبيعة علاقات العمل-الرسمية في العمل-.
- الإجراءات الإدارية والقانونية هي المتحكم الرئيسي في طبيعة العمل.
- إنجاز العمل يتم بصورة رسمية بين العامل وصاحب العمل.
- التنظيم المحكم في عملية تقسيم العمل والدقة في الواجبات والمهام من ناحية توزيعها بين العاملين.
- تجنب فوضوية القرارات الصادرة من طرف المنظمة وتوحيدها على مختلف المستويات.

وإلى جانب خصائص الهيكل البيروقراطي في المنظمة نجد الكثير من السلبيات من ناحية تطبيق هذا الهيكل، أهمها:

- الجمود من ناحية تطبيق قرارات المنظمة وقوانينها أي غياب المرونة في العمل وهو ما يؤثر سلبا على إنجاز المهام.
- غياب روح فريق جماعة العمل في الهيكل البيروقراطي.
- تقليل مظاهر الإبداع بسبب الجمود في تطبيق تعليمات العمل.
- وجود طريقة واحد لأداء العمل يسبب الكثير من المشكلات بسبب طبيعة الفروق الفردية بين العاملين.
- إساءة إستخدام السلطة من طرف بعض المسئولين ينجر عنه اللاعدالة تنظيمية في العمل.

خاتمة:

إن مفهوم إدارة وتسيير الموارد البشرية بقدر ما عرف العديد من التغيرات التي طرأت عليه في ظل المقاربات المعرفية التي تم في إطارها التناول خاصة على إعتبار الحقول والتخصصات المختلفة والتي شكلت ميدانين أساسيين هما العلوم الاجتماعية والعلوم الاقتصادية، ولقد ساهمت كل هذه العلوم في صقل المفهوم وتحديده بدقة بما يخدم أهداف المنظمة ويساهم في التنمية الاقتصادية وهو ما جعل الاهتمام به من هذا المنطلق يشكل حجر الزاوية في الكثير من الدراسات التي لا تزال لغاية اليوم تبحث في إطار تطوير الإستراتجيات المستخدمة لإدارة وتسيير الموارد البشرية.

إن ما يمكن إستخلاصه في هذا المقام أنه قد آن الأوان أن نتبنى إستراتجية وطنية تعتمد على المقاربات المحلية لإدارة وتسيير الموارد البشرية وهو ما سيشكل لا محالة دفعة قوية نحو بناء منظمات قادرة على المنافسة وفرض وجودها في مختلف الأسواق، إيمانا منا بأهمية المورد البشري وصناعته في ترسيخ التنمية المستدامة المطلب الأوحد اليوم، وذلك لن يتأتى إلا من خلال تبني الدراسات المحلية في هذا الإطار والإتجاه نحو تطبيقها على المنظمات، خاصة وأن الكثير من الدول عرفت قفزة نوعية لا

يستهان بها من خلال تطبيق مبادئ وأسس إدارة وتسيير الموارد البشرية العالمية في ظل توطينها المحلي وهو أمر ممكن تطبيقه في منظماتنا اليوم.

قائمة المراجع:

1. أبو شيخة نادر(2000)، إدارة الموارد البشرية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
2. أحمد ماهر(2004)، إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.
3. حمدي مصطفى المعاز(1985)، وظائف الإدارة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان.
4. حنا نصر الله(2001)، إدارة الموارد البشرية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
5. رافدة الحريري(2014)، اتجاهات حديثة في إدارة الموارد البشرية، ط1، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن
6. رقام ليندة(2014)، دور إدارة الموارد البشرية في تسيير التغيير في المؤسسات الإقتصادية الكبرى في ولاية سطيف، دكتوراه علوم في العلوم الإقتصادية، كلية العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة سطيف 01، الجزائر.
7. زهية مواسوي(2002)، الإستراتجية وإدارة الموارد البشرية، مجلة الباحث، ع1، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.
8. صلاح الدين عبد الباقي(2002)، الإتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، مصر.
9. عبد الباري إبراهيم درة، عبد الله عليان، أمجد حداد(2006)، دور النقابات والجمعيات المهنية في تنمية الموارد البشرية في الأردن، المركز الوكني لتنمية الموارد البشرية، المملكة الأردنية الهاشمية.
10. عمر وصفي عقيلي(2005)، إدارة الموارد البشرية المعاصرة، بعد إستراتيجي، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
11. فيصل حسونة(2008)، إدارة الموارد البشرية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
12. كريم ذياب احمد(2015)، إدارة الموارد البشرية من الإدارة التقليدية إلى الإدارة الإستراتجية في منظمات الأعمال الإقتصادية ع65 مجلة ديالي، جامعة ديالي، العراق.
13. محمد حسين الزعبي(2013)، دليل المنظمات غير الربحية الناشئة 2013، برنامج تعزيز وتطوير المجتمع المدني.
14. محمد موسى أحمد(2014)، إدارة الأفراد(الموارد البشريةH.R) بين النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، مصر.
15. مروى محمد(2013)، الإتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية ممارسات إدارة الموارد البشرية وأثرها على العاملين في المنظمة(القدرة–التميز– فرص المشاركة) بإستخدام نموذج(AMO)، مجلة الدراسات المالية والمصرفة، ع2.

16. منير بن أحمد دريدي(2013)، إستراتجية إدارة الموارد البشرية في المؤسسة العمومية، ط1، دار الإبتكار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

التوافق المهني للعامل كإحدى مؤشرات جودة حياته المهنية

الباحثة / غزال حياة
جامعة عبد الحميد مهري ـ قسنطينة 2 ـ الجزائر.

الباحثة / بختاوي زهرة
جامعة باجي مختار ـ عنابة ـ الجزائر.

ملخص:

يشهدا لعالم المعاصر تطورات سريعة ومتعاقبة جعلت من الأفراد يواجهون صعوبة في استيعاب التغيرات المفاجئة والمستمرة لمتغيراته ،فعلى اعتبار أن الفرد العامل المتغير الأساسي في تحقيق التنمية وهذا تبعا لفعالية دوره داخل مختلف المؤسسات المجتمعية ،بحيث أن التكامل الداخلي بين مختلف أبعاد شخصيته (المعرفية،الانفعالية والسلوكية) والعمل على الاستثمار الفعال لطاقاته وتفعيل قدراته وتطوير أداءه بما يحقق غايات وأهداف المنظمة ،وكذا تحقيق توافقه الخارجي من خلال قدرته على إشباع حاجاته و مواجهة مطالب الحياة والتكيف مع متطلبات المستقبل ،تمثل في مجملها أبعاد التوافق المهني للعامل التي لا تتحقق إلا من خلال تفعيل دوره داخل المنظمة ،والعمل على توفير بيئة تنظيمية تجعل من العامل يتمتع بادراك ايجابي لذاته ولبيئته الخارجية أي يتمتع بتوافق نفسيومهني ذات مستوى عالي من الجودة لذا سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على موضوع التوافق المهني للعامل كأحد مؤشرات جودة حياته المهنية.

الكلمات المفتاحية :التوافق المهني ، الفرد العامل، جودة الحياة ،جودة الحياة المهنية.

Résumé :

Le monde contemporain comprend un développement rapide et successif, où les individus ne parviennent pas à assimiler ses changements continus et soudains ; et le travailleur en tant que acteur principal qui peut contribuer au développement durable à partir de son rôle au sein des différentes institutions sociétales. l'intégralité interne de sa personnalité dans tous ses aspects (cognitifs, affectifs et comportementaux), et le meilleur investissement de ses capacités, ainsi que son adaptation externe qui se manifeste dans sa capacité à satisfaire ses besoins et faire face aux différentes difficultés et exigences de l'avenir exprime les principales dimensions de son adjustement psychique et professionnel , qui ne se concrétise que si on offre un environnement organisationnel favorable et la modernisation des politiques managériales permettent au travailleur de jouir d'un ajustement psychologique et professionnel , et détient une perception positive de soi et de son environnement externe ,en d'autre terme jouit d' un adjustement psychique et professionnel de qualité .

La présente étude vise à éclairer les bases théoriques relatives à la santé l'adjustement professionnel de travailleur comme un des critères de la qualité de sa vie professionnel

Les mots clés : adjustement professionnel, le travailleur, la qualité de vie, la qualité de vie professionnelle.

مقدمة :

يرتبط مفهوم جودة الحياة المهنية للعامل بقدرته على التحكم في محيطه المهني و الإقبال عليه بصورة ايجابية ،حيث تمثل البيئة المهنية ترجمة لمعطيات الحياة الاجتماعية والنفسية للعامل. فأصبح من مسؤولية المنظمات العمل على تنمية الشعور بالرضا والمسؤولية الشخصية وغرس الانتماء و القبول الاجتماعيين نحو الذات و المجتمع لدى الأفراد العاملين .فجودة الحياة المهنية تستلزم الربط بين عنصرين هما الأفراد العاملين الملائمين لأداء المهام بكفاءة وفعالية ،وكذا بيئة مهنية تشجع على التفاعل التنظيمي الايجابي بين العاملين فيما بينهم و بينهم و بين رؤسائهم ،تحقيقا لجو عام ايجابي يشعر من خلاله العاملين بالراحة والطمأنينة ،كونهم أهم مورد تعتمد عليه المنظمة لتحقيق غاياتها في النمو والبقاء.و لن يتحقق ذلك إلا إذا استطاع العامل أداء واجباته ومهامه الذاتية والمهنية على أكمل وجه من خلال تمتعه بشخصية تخلو من الاضطرابات والمشاكل النفسية التي قد تؤثر بشكل سلبي على إنجازاتهوعطائه المهني ،أي تمتعه بتوافق نفسي التي تعد أهم مؤشرات جودة حياته المهنية ،هذه الأخيرة تعبر في أهم جوانبها عن التوظيف الفعال لقدراته و إمكانياته العقلية والإبداعية و التحسين المستمر لها من خلال عملية التعلم ،مع تطويره لعلاقاته الاجتماعية ضمن بيئة مهنية ذات جودة ،والذي يجب أن يدركها العامل على أنها المناخ الذي يمكن من خلاله إشباع حاجاته وتحقيق ذاته وتطوير قدراته ،بما يتماشى ومطالبه الشخصية والمهنية ،أي تحقق توافقه النفسي والمهني بإحداث علاقة ايجابية بينه و بين نفسه من جهة و بينه و بين بيئته المهنية من جهة أخرى التي تجعل منه عاملا متمتعا بأمان ،توافق مهني وتوازن نفسي و رضا والتي تعبر في مجملها عن جودة حياته النفسية و المهنية.لذا سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية التطرق إلىأهم الأسس النظرية المتعلقة بالتوافق المهني للعامل ،أهميته،أبعاده و أهم مؤشراته و علاقة ذلك بجودة حياته المهنية ،وهذا بالإجابة على التساؤل الرئيسي التالي :

كيف يمكن للتوافق المهني أن يكون إحدى مؤشرات جودة العامل المهنية؟

أولا :مفاهيم الدراسة

1- التوافق المهني

1-1 مفهوم التوافق:

يعرف لورانس التوافق كما يلي:" هو قدرة الفرد على أن يتكيف تكيفاً سليماً مع بيئته الاجتماعية أوالمادية أو المهنية أو مع نفسه"[1].

كما يعرفه مدحت عبد الحميد أنه:

" الشعور النسبي بالرضا، والإشباع الناتج عن الحل الناجح لصراعات الفرد في محاولته للتوفيق بين رغباته وظروفه المحيطة"[2].

1-2 التوافق والمصطلحات المشابهة له:

أ- التكيف والتوافق:

التكيف يشير إلى " العملية أو السلوك الذي يحاول به الفرد التغلب على الصعوبات التي تقف حيال تحقيق حاجة ما أو دافع ما، لذالك فالتكيف يتضمن تغيرات في سلوك الكائن الإنساني يستطيع بها أن يواجه استجاباته للظروف البيئية المختلفة التي تواجهه أو يعيش في كلفها، وتلك التغيرات تتسم بالمرونة في مواجهة مطالب وظروف المجتمع المتغيرة.[3]

ويرى الدكتور نبيل صالح سفيان أن التوافق أقل شمولاً من التكيف الذي يتضمن الحيوان والنبات في علاقتهما بالبيئة المادية والاجتماعية، كما أنه يتضمن أحياناً جانب الفعل الإنساني وتتدخل فيه الإرادة، بينما التكيف يرتبط بالمسايرة ويتصف التوافق بالتدرج على خط متصل ليس فيه قطع إضافة إلى كونه لا يختلف باختلاف الإنسان وثقافته[4].

من خلال ما سبق يتضح أن التكيف أشمل من التوافق إذ أن التوافق يقتصر على الإنسان بينما التكيف يشمل كائنات أخرى كالنبات والحيوان وأن التوافق هو عملية تكيف مستمرة.

1- فرج عبد القادر طه،**علم النفس التنظيمي**، ط9، دار قباء للنشر والتوزيع 2001، القاهرة، مصر، ص46.

2- مدحت عبد الحميد عبد اللطيف،**الصحة النفسية والتفوق الدراسي**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1990، ص 82.

3-مجدى أحمد محمد عبد الله،**السلوك الاجتماعي وديناميته**، دار المعرفة الجامعية، الأزارطة، مصر، 1996، ص277.

4-نبيل صالح سفيان،**الشخصية والإرشاد النفسي**، ط1، إيتراك للطباعة والنشر، مصر الجديدة، القاهرة، 2004، ص157.

ب- التوافق والصحة النفسية:

يرى الأستاذ "كمال دسوقي" أن: أن الصحة النفسية تقترن بالتوافق، فلا توافق بدونتمتع بصحة نفسية جيدة، ولا صحة نفسية بدون توافق جيد، فهدف الصحة النفسية تحقيق التوافق السليم ويعد الفرق بين الصحة النفسية والتوافق هو فرق في الدرج[1] ، من خلال التعريف يمكن القول أنه لا يمكن الفصل بين الصحة النفسية والتوافق إذ أن كل منهما يقود إلى الأخر، كما أن العلاقة بينهما علاقة طردية، إذ أنه بازدياد أحدهما يترتب عليهما ازدياد الأخر.

ج- التوافق والذكاء:

لقد أجريت دراسات متعددة لتحديد العلاقة بين التوافق والذكاء، إذ وجدت معظم الدراسات أن الذكاء يرتبط بالتوافق كدراسة (تيرمان) ودراسة (هيلدرت 1938) ودراسة (بونسل1952) التي بينت تفوق الإناث الذكيات على الذكور في التوافق كما بينت دراسة(هالبين 1973)، إلا أن بعض الدراسات تشير إلى أن هناك عدداً من الأذكياء يعانون صعوبة في التوافق الاجتماعي كدراسة (لنجزوث)[2]. ويؤكد راجح أن الذكاء ليس إلا عاملاً واحد من العوامل الكثيرة التي تساعد على التوافق الاجتماعي[3].

ويرى الدكتور نبيل صالح سفيان أن" الذكاء الاجتماعي ليس بالضرورة يؤدي إلى التوافق لأن قدرة الفرد على فهم الآخرين، والقدرة على التصرف بحكمة في المواقف الاجتماعية هو جانب إدراكي والتوافق هو نتاج عوامل عقلية وجدانية، فهناك عوامل انفعالية تجعل الفرد يسلك سلوك أحمقاً من الجانب الاجتماعي ويدرك الفرد ذالك ولكنه مضطر ليشبع دافع أو رغبة أو شيء أخر[4].

1- كمال دسوقي،**علم النفس ودراسة التوافق**، الجزء الثاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974، ص32.

2-صالح الدهراوي، ناظم حسن العبيدي،**الشخصية والصحة النفسية**، ط1، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، 1999، صص55-56.

3- أحمد عزت راجح: **أصول علم النفس**، ط8، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، 1970، ص 431.

4- أحمد عزت راجح،**أصول علم النفس**، ط8، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، 1970، ص 431.

1-3التوافق المهني:

يعرف كاتلالتوافق المهني: على أنه يشمل ثلاثة مصطلحات هي التكيف والتوافق والتكامل، أي العمليات النفسية البنائية والتحرر من الضغوطات والصراعات، وانسجام البناء الديناميكي للفرد في أي بناء اجتماعي مهني أو غير ذالك، بمعنى أن الفرد المتكيف قد يتعارض مع نفسه في أداء عمله المهني، لكنه يفيد مجتمعه، وبالتالي حسب كاتل هو متكيف لكنه غير متوافق، والتكامل هو الاتساق في الدوافع والسلوك والأهداف[1].

2-جودة الحياة المهنية:

السنة	الباحث	التعريف
2012	C.P.Garg et al[2]	هي المدى الذي يكون فيه أعضاء المنظمة قادرين على إشباع حاجاتهم من خلال خبرتهم في المؤسسة، وهي تغطي مشاعر الشخص حول كل جانب من جوانب العمل بما في ذالك المكافئات الاقتصادية والفوائد والأمان والعدالة الداخلية والخارجية، وشروط العمل والعلاقات التنظيمية والشخصية الداخلية والتي جميعها لها معان كبيرة في حياة الشخص.
2015	Swamy et al[3]	هي مدى رضا الموظف عن الاحتياجات الشخصية والعملية من خلال المشاركة في العمل من أجل تحقيق أهداف المنظمة.
	[4]Afsar	جودة الحياة المهنية لا تعبر عن آراء الموظفين ومواقفهم وتوقعاتهم عن وظائفهم، ولكن أيضاً توفير كل شروط رضا الموظفين واحتياجاتهم الوظيفية

1- عبد الحميد محمد الشاذلي: **الواجبات المدرسية والتوافق النفسي**، دط، مكتبة الجامعة، الإسكندرية، 2001، ص77.

2-C,P ,Garg,Neetu,Munjal,Preeti Bansal & Akshay Kirti Singhal,**Quality of Working Life : An Overview International Journal of Phisical and Social,**vol 2,Issue 3,2012 ,P233.

3-Swamy ,Devappa ,Nanjudeswarswamy,Rashmi,Srinivas,**Quality of work Life :Scale Development and Validation**,International Journal of Caring Sciences,Vol 8,No 2,2015,p281) .

4-Afsar,SeldaTasdemir,**Impact of the Quality of work-life on Organizational Commitment :AComparative Study on Academicians Working for state and Foundation Universities in Turkey**,International Journal of Social Sciences,2014,p127.

ثانياً – التوافق المهني:

1- أهمية التوافق المهني للعامل:

يستحوذ العمل على مكانة هامة في حياتنا لتأثيره الكبير على تصورنا وتطلعاتنا وطموحاتنا، ولدوره في تحقيق الإشباع لحاجاتنا المختلفة والتي من أسماها تحقيق الذات. إذ أن كلا منا يقضي معظم حياته في العمل، فميدان العمل هو من أهم الميدان التي ينبغي أن يحقق فيها الفرد اكبر قدر من التوافق النفسي، من خلال تحقيق التوافق المهني، الذي من خلاله يتمكن الفرد أن يتوافق مع مديره والمشرف عليه وزملائه، وكذا توافقه مع متطلبات عمله والتغيرات المختلفة التي تطرأ عليه وأن يتوافق مع قدراته ومزاجه ميوله وطموحاته، وبالتالي يصل إلى تحقيق ذاتهن إذ تظهر أهمية التوافق المهني من خلال إشباع العمل لحاجاته وتحقيق أهداف المنظمة، فالفرد الذي يتمتع بالتوافق المهني يتمتع بالتكيف الجيد مع بيئته المتغيرة ، ومما لاشك فيه أن المنظمات تسعى إلى إيجاد المرد البشري الذي لديه قدرة أكبر على التغلب على العقبات،و التلاؤم مع المتغيرات المستمرة.

2- نظريات التوافق المهني:

2-1 نظرية نموذج الرضا:

تعتبر نظرية **Lawler**(1973) نموذجاً خاصا لتحديد الرضا المهني باعتباره من أهم محددات التوافق، وطبقاً ل **Lawler** يكون العاملين راضينعن أي عنصرمن عناصرعملهم(زملاء، مشرفين....الخ

عندما يكون المظهر الذي يدركونه والذي يجب أن يعادل المقدار الذي يدركونه والذي يحصلون عليه فعلا زيادة على ذالك، عندما يدرك الأفراد هذا المقدار المتحصل عليه أكثر مما يستحقونه، فالنظرية تتوقع أن يعم شعور باللامساواة وبالذنب.[1]

2-2 نظرية العاملين(نظرية العوامل الدافعة والصحية):

تعد هذه النظرية من أهم النظريات في ميدان محفزات العمل وهي مرتكزة على حقيقة أن الفرد لديه نوعين من الحاجات: تجنب الألم، والنمو من الناحية النفسية.

لقد بين هرزبرغ وزملائه أن هناك خمس عوامل يمكن أن تقرر وبصورة قوية الرضا عن العمل وهي: الإنجاز، التميز، العمل نفسه، المسؤولية والتقدم، والترقية في العمل، على أن العوامل الثلاثة الأخيرة لها

1- عماد كشرود، **علم النفس الصناعي والتنظيمي الحديث**، ط1، مجلد2، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1995، ص457.

أهمية كبيرة في التغير الثابت في الاتجاه نحو العمل، وبما أن العوامل الثلاثة الأخيرة كانت لها أهمية كبيرة في التغير الثابت نحو الاتجاه نحو العمل، وبما أن هذه العوامل فعالة في تحفيز الفرد للأداء الأفضل وبذل الجهد، لذالك سميت بالعوامل الدافعة أو العوامل الداخلية المتعلقة بالعمل، أما العوامل التي لها علاقة بالاستياء في العمل فهي : تعليمات المنظمة والإدارة، الإشراف، الأجور، العلاقات الاجتماعية، ظروف العمل المادية، وبما أن لهذه العوامل تأثير قليلاً على اتجاهات العمل الإيجابية، لذالك سميت بالعوامل الصحية[1].

2-3نظرية القيمة:

نظرية القيمة أو التعارض التي طورها "Locke"(1969- 1974) تقول أن الرضا الوظيفي أو عدمه عن بعض الجوانب المهنية يعكس حكماً ثنائي القيمة:

أ- التعارض المدرك بين ما يريده الفرد وما يتحصل عليه بالفعل.

ب- أهمية ما يريده الفرد ويقومه.

2-4نظرية التدرج الهرمي لماسلو: يعتبر "Maslow" أحد الرواد الأوائل العاملين في حقل الدافعية والحاجات الإنسانية لماسلو تهدف لتحقيق هدفين، تصنيف الحاجات الأساسية، ومعرفة ارتباط هذه الحاجات بالسلوك العام.وهذه الحاجات هي:

1- فالرضا الوظيفي الكلي للفرد عبارة عن مجموع كل هذه المظاهر المتعلقة بالرضا الوظيفي مضروب في أهمية ذالك المظهر لذالك الفرد، بعبارة أخرى فأنه بالنسبة للفرد أي مظهر من مظاهر العمل (الترقية مثلاً) يمكن أن يكون مهماً جدا لهذا الفرد، بينما ليس كذالك أخر فمظهر الترقية مثلاً بالنسبة للفرد يجب ان يعطى وزن أو قيمة عالية أكثر من اي مظهر أخر، " رضا كلي= مجموع مظاهرx أهمية المظاهر بالنسبة للفرد[2].

الحاجات الفسيولوجية: وهي حاجات البقاء من أكل وشرب ونوم ...الخ[3]

1- الزبيدي إبراهيم: **علم النفس الصناعي**، دط، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، العراق، 1991، ص ص84-85.

2- عماد كشرود، مرجع سابق، ص ص453-456.

3- حامد زهران: **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، ط3، دار علم الكتاب، القاهرة، 1983، ص35.

– حاجات الأمان: وتمثل حاجات الفرد إلى الأمن والسلام والإطمئنان، الاستقرار والتخلص من التهديد بالمرض، أو التهديد من شخص معين[1].

– حاجات الحب والانتماء: ويمثل الحاجة إلى الحب والاستجابة العاطفية والقبول والتقبل الاجتماعي[2].

–حاجات الثقة: وتشمل الحاجة للشعور الشخصي بالإنجاز أو الثقة بالنفس وكذلك الحاجة للتميز والاحترام من قبل الآخرين له وكذلك رغبته في احترامه للآخرين أيضا، والتي يجب أن يعكس إمكاناته وقدراته على الإنجاز والعمل[3].

–حاجات تحقيق الذات: وهي الحاجات التي تدفع الفرد لتحقيق طاقته وإمكاناته الكامنة ،ويعبر ماسلو عن هذا المعنى لتحقيق الذات بقوله"أن يكون الفرد ما يستطيع أن يكون" ويعتمد تحقيق الذات أيضا على الفهم أو المعرفة الواضحة لدى الفرد بإمكاناته الذاتية وحدودها. فلا بدأن يعرف الفرد ما يمكن أن يفعله قبل أن يعرف أنه يفعله بكفاءة وإتقان [4] .

ويرى ماسلو إن كان العمل الذي يقوم به الفرد يشبع حاجاته يكون راضياً عن وظيفته، أما إذا أشبع العمل بعض حاجاته فإنه يكون غير راضي عن عمله

3– العوامل السيكولوجية المؤثرة في التوافق المهني:

يتأثر توافق الفرد في عمله بمجموعة عوامل من بينها:

3–1الاقتناع بجدوى العمل:

وذالك يتضح من خلال الصورة الذهنية التي يكونها العمل عن عمله، ومدى إشباع هذا العمل لرغبات وطموحات الفرد وتطلعاته.

1–الزبيدي ابراهيم،مرجع سابق،ص 77.

2– حامد زهران: **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، ط2، دار المعارف، مصر،1982:35 بتصرف.

3–الزبيدي ابراهيم:مرجع سابق،س 81 (بتصرف)

4– محمد الحلو وفائي:**علم النفس التربوي نظرة معاصرة**، ط1، مكتبة الأمل للطباعة والتوزيع، غزة فلسطين،46،ص1999.

3-2وضوح المهمة:

لكل عضو من أعضاء المنظمة مهمة محددة يقوم بها من أجل المساهمة في تحقيق الأهداف المشتركة للمنظمة التي ينتمي إليها، إذ أن عدم تحديد مهام الأفراد داخل المنظمة، وتوضيحها بدقة كثيراً ما يؤدي إلى تداخل الصلاحيات، وإمكانية حدوث اضطراب في سير الأعمال[1].

3-3 تطابق طبيعة العمل مع مبادئ الفرد العقائدية:

تعتبر ميول الأفراد الثقافية وانتماءاتهم العقائدية من العوامل المؤثرة في اتجاهاتهم وتصرفاتهم أثناء تعاملهم مع بعضهم البعض وأثناء العمل داخل المنظمات، إلا أن هذا التأثير يختلف باختلاف الفروق الفردية وكذا اختلاف البيئات والمجتمعات[2].

3-4تطابق طبيعة العمل مع شخصية الفرد:

لكل فرد شخصية تميزه عن الآخرين، وتعتبر الخصائص النفسية والسمات والصفات المميزة لشخصية الفرد من العوامل الأساسية التي تتحكم في عملية توافقه مع العمل الخاص به ومع الوسط المادي والاجتماعي الذي يعمل فيه، ولا شك أن اختيارات الفرد المهنية يجب أن تتوافق وشخصيته، كما أن لابد من الاختيار الجيد في عمليات التوظيف تلعب دور مهم في توافق الفرد في مهنته.

3-5وحدة التعليمات:

وتشمل التعليمات ما يصدرها المشرفين على تسيير المنظمات من أمر وقرارات وأهداف لتوجيه نشاطات العاملين، وتحديد كيفية أدائهم لمهامهم، إذ تعتبر وحدة التعليمات من العوامل المؤثرة في اتجاهات الأفراد وتوافقهم مع مهامهم داخل المنظمات، إذ أثبتت الدراسات أنه كلما كانت متعددة المصادر ومتناقضة، زاد من جعل العامل يعيش حالة القلق والحيرة والارتباك اتجاه عمله ورؤسائه.

3-6نجاح المنظمة:

يقصد بنجاح المنظمة تمكنها من أداء مهامها بصورة كاملة، ويعتبر نجاح المنظمة من العوامل المساعدة على ارتباط العمال بمهامهم الوظيفية، ذالك أن نجاح المنظمة وحسن سمعتها على نطاق واسع مثلاً يجعل المستخدمين يثقون في قدرتها على تمكينهم من إشباع حاجاتهم وتحسين ظروفهم، مما يحثهم على

1- محمد جمال يحياوي: **دراسات في علوم النفس**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003، ص423.

2- بوعطيط سفيان: "**طبيعة الإشراف وعلاقتها بالتوافق المهني**"، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007،، ص98.

الارتباط بها والاعتناء بمهامهم ويرفع من معنوياتهم، خصوصاً إذا كانوا يعتقدون بأن النجاح سوف يعود عليهم بالفائدة[1].

3-7اهتمام إدارة المنظمة بمشاكل العمال:

أن اهتمام المنظمة بحياة عامليها من أهم العوامل التي تنمي الولاء والانتماء لديهم، كما تعزز ثقتهم بمنظمتهم ومن قدرتها على مساعدتهم في تخطى المشاكل التي تعترضها.

3-8حسن العلاقات داخل المنظمة:

وتشمل حسن العلاقات مع الزملاء والمشرفين، إذ أنه كلما سادت العلاقات التي تتميز بالاحترام والثقة المتبادلة، ساعد ذالك على الانسجام وحسن التعامل فيما بينهم مما يساعد على توافق العمل في عمله.

3-9كفاءة المسئولين:

فالمسئول الكفء أكثر قدرة على قيادة منظمته والسير بها نحو النجاح والتطور، ما يزيد من ثقة العامل على أن القائمين على حياته المهنية أكثر قدرة على تحقيق حاجاته المرجوة من عمله ما يزيد من توافقه.

3-10 التسلية:

إذ تساهم التسلية في التخفيف من حدة الضغوط التي يتعرض لها العاملين، ولعل ما نجده من اتجاه المنظمات نحو توفير وسائل التسلية في فترات الراحة أهم دليل على تأثيره على توافقهم مع متطلبات عملهم.

3-11 التنويه بمجهودات العامل:

تعتبر رغبة العامل في التنويه والإشادة بنشاطاته ومجهوداته وأعماله الناجحة داخل المنظمة التي يعمل بها كذالك من العوامل المؤثرة في تصرفاته واتجاهاته أثناء العمل، وهذه الرغبة ترتبط في الحقيقة بحاجة الفرد الدائمة غلى التقدير والاحترام من طرف الآخرين[2]

3-12 تماسك الجماعة:

يعتبر تماسك الجماعة من أهم العوامل التي تساعد على الانسجام والتعاون بين العاملين، ما يساهم في تحقيق التوافق المهني لديهم.

1- محمد جمال يحياوي، مرجع سابق، ص428 .

2- نفس المرجع، ص430 .

3-13 الشعور بالرضا المهني:

يتحقق رضا الفرد عن عمله إذا كان العمل يشبع حاجاته ورغباته وطموحاته، وتطابقه مع ميوله واتجاهات الفرد، والتوافق المهني يقوم على أهم عاملين احدهما الرضا الوظيفي.

4- مظاهر التوافق المهني:

4-1 مظاهر التوافق:

يجمع الباحثين إلى أنه يمكن أن نستدل على توافق العاملين من خلال عاملين أساسين هما:

العامل الأول: الرضا المهني

ويشمل الرضا على الرضا الإجمالي عن العمل،والرضا عن مختلف جوانب بيئة الفرد: ونذكر منها الرضا عن المشرف والزملاء والمنظمة التي يعمل بها، وظروف وساعات العمل، والرضا عن الأجر، والأجر الذي يشغله[1]، كما يشمل إشباع حاجاته وتحقيق أوجه طموحاته وتوقعاته، ويشمل اتفاق ميوله المهنية وميول معظم الناس الناجحين الذين يعملون في مهنته[2].

العامل الثاني: الإرضاء

أما الإرضاء فأنه يتضح من إنتاجيته وكفايته، ومن الطريقة التي ينظر بها لمشرفه، وزملائه والمنظمة التي يعمل بها، كما يتضح سلبياً من غيابه وتأخره ومن عدم قدرته على البقاء في العمل لمدة مرضية من الزمن، ومن الإصابات التي يتورط فيها، ويتضح أيضاً من اتفاق قدراته ومهارته وتلك المتطلبة للعمل[3].

4-2مظاهر سوء التوافق:

لقد تمخضت الدراسات السيكولوجية عن عدة نتائج تعكس مظاهر سوء التوافق المهني لدى العاملين في مختلف المهن ويمكن إجمالها في مايلي: كثرة المشاكل والتغيب، والإصابات والشكاوي، مخالفة النظام، إثارة المشكلات، المرض، التمارض، والتورط في الحوادث، كثرة التنقل، الإضراب عن العمل، التذمر والعصيان، الرفض العصبي للمهنة وفي ما يلي:سنوضح بعض مظاهر سوء التوافق:

1-Scotl,T,B et al,**A Definition of Work Adjustment**,Industrial Relation center,University of Minnesota 1958,P14.

2- محمد جمال يحياوي، مرجع سابق، ص23 .

3- فرج عبد القادر طه،مرجع سابق، ص 55.

أ- التنقل من عمل إلى آخر:

والذي يكون نتيجة عدم الإحساس بالانتماء والاستقرار بالمنظمة التي يعمل بها، وغالباً ما ينعكس في تركه لعمله والبحث عن عمل آخر يوفر له الأمن والانتماء.

ب- سوء العلاقات بالمنظمة:

نتيجة عدم تكيف العامل مع عمله مما يفقده توازنه مع المحيط الاجتماعي والمهني، يزداد غيابه عن عمله و تكاسله وإهماله، فيصبح مصدر قلق لزملائه ورؤسائه ومرؤوسيه[1].

ج- الأمراض النفسية المهنية:

ومن ابرز هذه الأمراض العصاب، ولقد وجد بعض الباحثين أن العصاب شائع عند العمال الذين تحيط بهم ظروف عمل محبطة ومن بين هذه الظروف:

- العمال الذين يكرهون أعمالهم ويجدونها مملة.
- العمال الذين لا تتناسب أعمالهم مع ذكائهم[2].

د-حوادث العمل:

لاشك أن تكاليف حوادث العمل وخيمة، إذ أنها تتسبب في تعطل الآلات و إصابة الموارد وتعطل الإنتاج.

هـ- ظاهرة التغيب:

ويعرف التغيب في قاموس"Le petit robert" أنه" كل غياب غير مبرر بحجة أو سبب قانوني من طرف العامل في مكان عمله"[3].

وتعتبر ظاهرة التغيب لدى الباحثين من أكثر الدلائل على سوء التوافق.

5- متطلبات تحقيق التوافق المهني:

يجب على كل منظمة تسعى للبقاء والتطور الاهتمام بمواردها البشرية من خلال السعي لإشباع حاجاتهم وتطلعاتهم المرجوة من أعمالهم، وذالك من خلال توفير متطلبات التوافق المهني من خلال العناصر التالية:

1- بوعطيط سفيان، مرجع سابق، ص109 .

2- فرج عبد القادر طه ، مرجع سابق، ص195.

3- محمد بومخلوف: **اليد العاملة الريفية الصناعية الجزائرية**، دط، ديوان المطبوعات الجزائرية ، ص 284.

– أن يكون العمل مرغوباً فيه وذالك من خلال توافقه وقدرات وطموحات الفرد وأن يحتوى جانب من التحدي ومهام ذات قيمة معنوية.

– أن يساهم العمل في زيادة وتنمية قدرات الفرد من خلال عملية التعليم المستمر.

– أن تكون ثقافة المنظمة مبنية على المشاركة في اتخاذ القرار.

– أن يكون العمل يتميز بالديمومة النسبية وذالك لتمكين العامل من الشعور بالأمن والاستقرار النفسي.

– أن يكون الأجر الذي يتقضاه العامل عادل من حيث تكافؤه والجهد المبذول وكذا أن يكون موزع توزيعاً عادلا وفق مهارات العامل،وأن يكون كافي لسد متطلباته وحاجاته.

– أن تلتزم المنظمة بمهمتها الاجتماعية وتهتم بالجوانب الإنسانية لحياة عامليها.

– توفير فرص استغلال الأفكار والمهارات وتفعيلها عملياً.

– تحسين علاقات العمل بكل مكوناتها (زملاء، مشرفين، بيئة العمل المادية ، بيئة خارجية ....الخ).

– إتاحة فرص الترقية والنمو الوظيفي وعدم تعيين فرد جديد في منصب رئاسي إلا في حالة عدم توفر الفرد المناسب في المنظمة، فهذا يشبع تطلعات العاملين من جانب ومن جانب آخر يجعلهم يحسون أن رئيسهم زميل لهم وليس غريباً عنهم فيرتاحون له فيسهل توحدهم وتفاعلهم وبالتالي توافقهم[1].

وأضاف **ليثارت ليفيي** زيادة على ما سبق العناصر التالية:

– أن يحتوى العمل على التدعيم الاجتماعي والمعرفي.

– أن ترتبط الحياة المهنية بالحياة الخاصة والاجتماعية للعامل.

– أن يؤدي العامل عمله كمستقبل يرجوه العامل.

وعليه يجب أن يكون العمل الذي يكلف به الفرد مبنياً على أساس خصائصه وقدراته لأن كل منصب عمل له متطلبات وخصائص تختلف من فرد لأخر ومن منصب عمل لآخر[2].

1– سعد رياض: **الصحة النفسية للعاملين**، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص68

2– كامل محمد عويضة: **علم النفس الصناعي والمهني**، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1996، ص167.

ثالثاً: جودة الحياة المهنية:

1- أهمية جودة الحياة المهنية:

أن التأثير المباشر وغير المباشر لجودة الحياة المهنية على العديد من الظواهر والسلوكيات الإدارية داخل المنظمة سواء في أدائها لمهامها أو علاقاتها بالبيئة الخارجية، جعل منها تكتسي أهمية كبيرة في مجال فهم سلوك الأفراد في المنظمات الراغبة في تحسين سلوك عامليها بهدف تحقيق الفعالية التنظيمية، وهذا ما أكدته الكثير من البحوث والدراسات التطبيقية التي أجراها الباحثون في هذا المجال، حيث توصلوا إلى أن تحسين جودة الحياة المهنية له تأثير كبير على المخرجات التنظيمية الهامة للمنظمة، مما أوجد علاقة معنوية مباشرة بين طبيعة جودة البيئة السائدة ومخرجات التنظيم، فقد أكد الباحثين على أن درجة نجاح أي منظمة على المديين القريب والبعيد تتوقف إلى حد كبير على قدرتها على خلق بيئة عمل ملائمة لها[1].وبالتالي فإن جودة الحياة المهنية تكتسي أهميتها من المزايا والمنافع التي تحققها للمنظمة ويمكن أن نورد أن جودة الحياة المهنية تحقق للمنظمة ما يلي:

- التفوق النوعي على المنافسين عن طريق تحسين الإنتاجية والجودة في نفس الوقت.
- احتفاظ المنظمة بكوادر ذات كفاءة .
- إطلاع المؤسسات بالمسؤولية المجتمعية في المجتمع الذي تعمل وتتواجد فيه.
- التفوق الواضح للموظفين بالجوانب الإدارية حال تعرض المؤسسة لمشاكل قد تعرقل أنشطتها وبرامجها.
- الحصول على ولاء عالي من المستفيدين من السلع والخدمات التي تقدمها المؤسسات.
- البحث عن طرق إنتاج متعددة، وكذا طرق تسويق إبداعية تمكن المنظمة من التميز عن المنافسين[2].

2- نظريات جودة الحياة المهنية:

يرتكز مفهوم جودة الحياة المهنية على أساس مدرستين تحاول كل منهما التركيز على جوانب معينة أثناء تناولها لهذا الموضوع، الأولى تدرسها على أساس مقاربة مدرسة الموارد البشرية التي تؤكد على إرضاء حاجات الأفراد أما الثانية فتقوم على أساس المقاربة النفس-تقنية وسنتطرق لكل منهما، مع الإشارة إلى أن تعريف جودة الحياة المهنية يختلف من دولة إلى أخرى حسب موروثها الثقافي.

1- محمد القحطاني:**إدارة الموارد البشرية-نحو منهج استراتيجي متكامل**،دط مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2005، ص56.

2- خالد الهيتي: **إدارة الموارد البشرية**- مدخل استراتيجي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ص 59.

2-1 نظرية مدرسة الموارد البشرية:

يركز هذا الاتجاه على ضرورة إشباع الحاجات الداخلية والخارجية للفرد كما تؤكد على دور الفرد في المنظمة(المشاركة في اتخاذ القرار، الاستقلالية....الخ) على نحو يجعل الشخص أكثر ارتياحاً وأن فلسفة الإدارة تؤكد على الرغبة في الانتماء إلى الجماعة والانضمام إليها عن طريق تبادل المعلومات بين مختلف المستويات، وحرية التعبير لدى العمال والتعرف على الصراعات وحلها بشكل سريع، وبذل المجهود لذالك والتأكيد على ذالك، وكذا على المعلومات الغير رسمية والتي تمثل الجانب الاجتماعي والنفسي من أجل زيادة الفهم لتثمين التصورات الذهنية والمفيدة للشعور بالانتماء لدى الأفراد كما يؤكد Guérin (1996)[1]حيث يعتبر الوسط المهني فضاء للاندماج وتنشئة الفرد حيث يسمح للفرد بالانتماء إلى مجتمع المؤسسة وتحقيق علاقات اجتماعية.

2-2 النظرية التقنية-الاجتماعية:

طور هذا الاتجاه من طرف (Fred Emery et Eric Trist1982) وزملائهم في معهد Tavistockinstitute (of Human Relation) بلندن وقد نشر من طرف (Louis E,David) ويعتقد هذا الأخير أن مفهوم جودة الحياة المهنية يجب أن يراعي العمال ومحيطهم العام مع إعطاء أهمية لمنظمات العمل وكذالك أيضاً للجانب الإنساني إن كان مهملاً والذي يسمى بالنسق التقني الاجتماعي.

أما (Lareau et Johnson, Alexander et Robin 1978) فيرون إن هذا المفهوم يجب أن يراعي إعادة بناء نماذج وطرق العمل، التكيف التكنولوجي، تعديل النسق التنظيمي وحسب رأيهم فإن جودة الحياة المهنية يجب أن تراعي المشاركة الواسعة في الوسط المهني مما يتيح لهم مسؤوليات كبرى وسيرورات للتعلم الديناميكي لتحقيق التطور وهذا يتفق مع المفهوم الذي اتى به (Srinivas,1980) حول تحسين حياة العمل على النحو الجشطلتي(gestalt) والذي يأخذ في الحسبان العوامل الاجتماعية والتكنولوجية التي لا تتحقق إلا بإشراك العنصر البشري فيها[2].

وعلى حسب هذا النموذج فإن فعالية الأداء تتحقق باتحاد الجانب الاجتماعي والتقني في المنظمة، فالجانب الاجتماعي يتمثل في العامل البشري والأدوار والعلاقات ونظام الاتصالات والسلطة والمسؤوليات وأنظمة التقويم والتقييم، ميكانيزمات التكيف والاندماج للفرد داخل التنظيم، الخدمات داخل المؤسسة

1-Lyne jutras et Lise Vaillancourt,**satisfacation et motivation au travail,**pharmactuel Vol 36,No 4 Aout septembre 2003 p 215.

2-Clermont Barnabe, **la qualtié de vie au travail et Liffficacité des enseingnants,** Revue des sciences de léducation,Vol,19 ,n 2 ,1993,p157.

(التوظيف والانتقاء، التكوين) أما الجانب التقني يتمثل في الإجراءات، التجهيزات، البرامج، الحواسيب...الخ. وأن جودة الحياة المهنية تتعزز عن طريق التفاعل بين هذين الجانبين. Goodman[1]

3- برامج جودة الحياة المهنية:

ويعرف **(Ozley& Judith)** (1982) برامج تحسين جودة الحياة المهنية بأنها أي نشاط يمارس في أي مستوى من مستويات المنظمة بهدف زيادة الفاعلية التنظيمية، من خلال التركيز على القضايا التي تهتم باحترام الإنسان وتقديره وتحقيق حاجاته المختلفة وتحقيق رضاه عن العمل، وتطبيق برامج جودة الحياة المهنية يؤدي إلى تكاتف وتكامل وتعاون أصحاب المصالح بالمنظمة من إدارة وعاملين من أجل تحقيق أداء أفضل، وهذه البرامج تساعدهم على تحديد الأفعال والتغييرات والتحسينات المطلوبة لتحقيق الأهداف المشتركة لجميع أصحاب المصالح في المنظمة[2].

وهناك نوعين من البرامج التي يمكن أن تنتهجها المنظمات في سبيل تطبيق جودة الحياة المهنية فيها وهي:

3-1 البرامج التقليدية: ويقصد بالبرامج التقليدية مجموعة البرامج التي اعتادت المنظمات على استخدامها بدءا من خمسينيات القرن العشرين، والتي تأثرت بالإرث الفكري الإداري السائد آنذاك، كما يقصد بالتقليدية معرفة كل المنظمات أو أغلبها بهذه البرامج، وتتمثل في البرامج التي تهدف إلى تحسين العمل ظروف وبيئة العمل من برامج صيانة ورفاهية اجتماعية وإعادة النظر بساعات العمل، وبرامج الرعاية الصحية، وبرامج الأمن والسلامة المهنية، والاهتمام بالعلاقات الإنسانية.

3-2 البرامج العصرية: ويقصد بها البرامج والنشاطات التي تمارسها المنظمات بما يتلاءم مع طبيعة التّغيرات في أعمالها، وخصائص الأفراد العاملين فيها، وخصائص البيئة التي تعمل في إطارها، وقد جاءت هذه البرامج نتيجة للتغيرات والتطورات في بيئة الأعمال وتشمل مايلي:

3-2-1الإثراء الوظيفي: يستند هذا الأسلوب إلى في تصميم العمل إلى المدخل التحفيزي في تصميم العمل الذي ينطلق من نظرية ذات العاملين في الدافعية للكاتب فريدريك هرزبرغ (Frederick Herzberg) وجوهر هذه النظرية هو أن العمل في حد ذاته يمكن أن يشكل حافزا هاماً للفرد ، وأنه إذا ما كان للعمل

1-Darren Vanalaar ,Julain A Edwards& Simon Easton,**TheWork-Relate Quality of life scale for Healthcareworks, Journal of Advanced Nursing** 60(3) 22 june 2007 ,P98 .

2- Ozely.Lee M .and Judith S.Ball,"**Quality of Work life :Initing successful Efforts in Labor-Management Oreganization,**"The Personnel Administator,vol .27,no.25,May1982,P27.

معنى وقيمة ويتضمن تحدياً وتنوعاً وشعوراً بالمسؤولية والإنجاز، فإن الفرد سيبذل مزيداً من الجهد والعطاء، مما يحقق أداء أفضل.

3-2-2 الإدارة بالمشاركة: وهي إشراك المرؤوسين في اتخاذ القرارات الإدارية فهي إذا علاقة متبادلة بين طرفين في المنشأة هما الإدارة والعاملون، تهدف إلى زيادة إنتاجية المنشأة بشكل مستمر، عن طريق ضمان تأثير القوى العاملة على القرارات التي تتخذ فيها بما يؤدي إلى تحقيق التعاون بين العاملين من جهة والإدارة من جهة أخرى للتخفيف من حدة الصراع بينهما[1].

3-2-3 فرق العمل المدارة ذاتياً: تعرف فرق العمل المدارة ذاتياً على أنها مجموعات صغيرة من الأفراد تعزز وتدعم إدارة نفسها بنفسها، وتقوم بالأعمال يوماً بيوم أي أن هذه المجموعة من الأفراد تعمل معاً بشكل مستمر، فهي تخطط أعمالها وتنفذها وتراقبها لتحقيق إنتاج متميز. ويتكون فريق العمل المدار ذاتياً من مجموعة من أعضاء متنوعو المهارات والمعارف لأداء مهام معقدة ومتداخلة في نفس الوقت والتي من أهمها حلقات الجودة [2].

3-2-4 جداول العمل البديلة: إن هذه الجداول تعطي الموظف حرية تحديد أوقات العمل وتمنحه الفرصة لاختيار عدد ساعات العمل التي يقوم بها دون حدود أو قيود على اختياراته، كما أن هذا النظام يمكن العامل من اختيار مواعيد بدء وإنهاء عمله، وتحديد عدد أيام عمله مثلما يحدث عند استخدام ما يسمى بأسبوع العمل المضغوط، الذي يتطلب من العامل القيام بساعات العمل المطلوبة منه في أيام عمل قليلة بدل من أيام عمل عادية، أو تقاسم العمل الأسبوعي بين زميلان بحيث يداوم أحدهما أياماً معينة ويداوم الآخر أياماً أخرى، أو الانقطاع المؤقت عن العمل، أو العمل من مكان إقامة العامل[3].

3-2-5 إدارة الجودة الشاملة: تعتبر إدارة الجودة الشاملة إحدى التطورات الهائلة في الإدارة خصوصاً في الجزء الأخير من القرن العشرين وذالك باعتبارها فلسفة إدارية تقوم على إشباع حاجات وتوقعات الزبائن، كما تعرف إدارة الجودة الشاملة على أنها تأدية العمل الصحيح على نحو صحيح من الوهلة

1- عمر وصفي عقيلي: **فلسفة الإدارة**،دط،مطبوعات جامعة حلب، 1981، ص 295.

2- سيد محمد جاد الرب: **إدارة الموارد البشرية**، غير مبين الناشر، الإسماعلية، 2003 ، ص194.

3- حسين حريم: **السلوك التنظيمي**- سلوك الأفراد والجماعات داخل المنظمات، ط4، دار الحامد،عمان، الأردن، ص293.

الأولى لتحقيق الجودة المرجوة بشكل أفضل وفعالية أكبر في أقصر وقت مع الاعتماد على تقويم المستفيد من معرفة مدى تحسن الأداء[1].

4-مستلزمات تطبيق برامج تحسين جودة الحياة المهنية:

إن أغلب برامج تحسين جودة الحياة المهنية تتطلب الكثير من التغييرات الهيكلية في المنظمة، لذا يتوجب على المنظمة تهيئة الأجواء المناسبة لإجراء التغيير في الوقت المناسب وإعداد البرامج الخاصة كالإدارة بالمشاركة والترتيبات البديلة، وذالك بمنح صلاحيات إضافية أو حجب صلاحيات أخرى. و تتطلب بعض البرامج استعداد العامل بالتوعية والتوجيه من قبل الإدارة كبرامج التوعية الصحية والأمن والسلامة المهنية وبرامج الرفاهية الاجتماعية، وباختصار إن نجاح برامج جودة الحياة المهنية يعتمد عادةً على جهود ثلاثة أطراف مهمة هي:

1) إدراك الأفراد العاملين لأهمية جودة الحياة المهنية.

2) كفاءة الإدارة العليا وإدارة الموارد البشرية في متابعة وتوجيه البرامج.

3) الدعم المالي والمعنوي لبرامج جودة حياة العمل من قبل الإدارة العليا.

وكون إدارة الموارد البشرية هي المسئولة في المنظمة عن بدء توجيه برامج تحسين جودة الحياة المهنية، لذا يتطلب الأمر منح تلك الإدارة الحرية والصلاحية المتكاملة لاتخاذ إجراءات النجاح التالية:

1) منح فرص المشاركة في القرارات وقبول الاقتراحات.

2) تقديم التسهيلات الضرورية للمديرين من حيث المعلومات ومستلزمات الإنتاج الأخرى.

3) إعادة النظر بأنظمة الرواتب والأجور والحوافز.

4) إعادة تصميم الوظائف بما يوفر الفرص لتلبية الحاجات وتحقيق الأهداف.

5) توفير البيئة المادية المناسبة من حيث الأمان والنظام والراحة.

6) التكامل مع الإدارات الأخرى بشأن تهيئة مستلزمات نجاح برامج جودة الحياة المهنية.

7) منح الإدارة الصلاحية الكاملة في مجال التحفيز[2].

1- القحطاني سالم سعيد، **إدارة الجودة الشاملة وإمكانية تطبيقها في التعلم الحكومي**، مجلة الإدارة العامة، العدد(78)، أبريل، 1993، ص35.

2-عبد الحميد المغربي، **جودة حياة العمل وأثرها في تنمية الاستغراق الوظيفي**- ، مجلة الدراسات والبحوث التجارية، جامعة الزقازيق، كلية التجارة، العدد2، ص57.

وإلى جانب دور الفرد و الإدارة يضاف دور البيئة في نجاح برامج جودة الحياة المهنية، وذالك عن طريق تحمل المنظمة لجزء من المسؤولية الاجتماعية وإشراك الأفراد العاملين فيها في إعداد برامج التوعية الصحية والاجتماعية التي تقوم بتنفيذها منظمات أوأجهزة حكومية أو غير حكومية متخصصة)[1].

رابعاَ- علاقة التوافق المهنييجودة الحياة المهنية:

تقوم برامج جودة الحياة المهنية على أعادة تنظيم برامج وسياسات المنظمة بما يتوافق وتحقيق ذالك، إذ يجب على المنظمة إعادة هيكلة ثقافتها وقيمها، وتبنى منظومة ثقافية وقيمة تدعم اتجاهات برامج جودة حياة العمل، وذالك من خلال تغيير أنظمة وإجراءات العمل، وتبنيها لمسؤوليتها الاجتماعية تجاه عامليها، بما يساهم في تنمية المشاعر الايجابية للعاملين تجله عملهم، ومما لا شك فيه أن برامج جودة جودة الحياة المهنية تقوم على عاملين أساسين هما الرضا والتوازن بين الحياة الشخصية والحياة الوظيفية، ويعتبر الرضا من أهم مظاهر التوافق المهني، إذ يتحقق من خلاله رضا الفرد عن بيئة عمله المادية والمعنوية، مما يساهم في تحسن الأداء وانخفاض معدلات الغياب وقلة الشكاوى والحضور النفسي أو الفعلي في العمل... وغيرها وهذه أهم مظاهر التوافق المهني. إذ أن إتباع المنظمة لبرامج تساعد الفرد على تحقيق التوازن بين حياته الشخصية وحياته الوظيفية كما أشار Kaiser & Ringlstetter يؤدي إلى زيادة الالتزام التنظيمي ويقلل معدلات الضغوط و دوران العمل الغياب والصراع، والتعارض بين الحياة الشخصية والحياة الوظيفية، وزيادة رضا الموظفين وتحسين أداء العاملين والارتقاء بالحالة الاقتصادية للمنظمة من خلال زيادة الإنتاجية[2].

خاتمة:

إن اتجاه المنظمات نحو تهيئة الظروف المناسبة للعمل، واهتمامها الكبير بالموارد البشرية من خلال السعي الجاد والمدروس لنيل رضاها، نابع عن القناعة الذاتية لدى قادة المنظمات بأهمية تلك المشاعر الإيجابية التي يكونها العامل عن منظمته، وما لها من انعكاس على إدراكه لقدرته على إشباع رغباته وطموحاته وإحساسه بتوافقه المهني، وبالتالي إدراكه لجودة حياته المهنية، وما لهذه العوامل من نتائج على أدائه، وإنتاجيته وإحساسه بكفاءته وتطوير ذاته المهنية، وكذا الإسهام في تحقيق الأهداف التنظيمية المسطرة على المديين القصير والطويل.

1-أحمد عزت راجح، مرجع سابق، ص 213.

2- أسامة البيبلسي،**"جودة الحياة الوظيفية وأثرها على الأداء الوظيفي للعاملين في المنظمات غير الحكومية بقطاع غزة"**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، كلية التجارة، غزة، 2012، ص 12.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

1- أحمد عزت راجح: **أصول علم النفس**، ط8، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، 1970، ص 431.

2- الزبيدي إبراهيم: **علم النفس الصناعي**، دط، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، العراق، 1991، صص84-85.

3-- فرج عبد القادر طه: **علم النفس التنظيمي**، ط9، دار قباء للنشر والتوزيع 2001، القاهرة، مصر، ص46.

4- حامد زهران: **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، ط2، دار المعارف، مصر،1982:35 بتصرف.

5-حامد زهران: **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، ط3، دار علم الكتاب، القاهرة، 1983، ص35.

6- حسين حريم: **السلوك التنظيمي**- سلوك الأفراد والجماعات داخل المنظمات، ط4، دار الحامد،عمان، الأردن، ص293.

7-صالح الداهري، ناظم حسن العبيدي: **الشخصية والصحة النفسية**، ط1، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، 1999، صص55-56.

8- خالد الهيتي: **إدارة الموارد البشرية**- مدخل استراتيجي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ص 59.

9- سعد رياض: **الصحة النفسية للعاملين**، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص68.

10- سيد محمد جاد الرب: إدارة الموارد البشرية، د،ن، الإسماعلية، 2003 ، ص194

11- عبد الحميد محمد الشاذلي: **الواجبات المدرسية والتوافق النفسي**، دط، مكتبة الجامعة، الإسكندرية، 2001، ص7

12- عماد كشرود، **علم النفس الصناعي والتنظيميالحديث**، ط1، مجلد2، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1995، ص457.

13- عمر وصفي عقيلي: **فلسفة الإدارة**،دط مطبوعات جامعة حلب، 1981، ص 295.

14- كامل محمد عويضة: **علم النفس الصناعي والمهني**، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1996، ص167.

15- كمال دسوقي: **علم النفس ودراسة التوافق**، الجزء الثاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974، ص32.

16- مدحت عبد الحميد عبد اللطيف: **الصحة النفسية والتفوق الدراسي**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1990، ص 82.

17-مجدى أحمد محمد عبد الله: **السلوك الاجتماعي وديناميته**، دار المعرفة الجامعية، الأزارطة، مصر، 1996، ص277.

18- محمد الحلو وفائي: **علم النفس التربوي نظرة معاصرة**، ط1، مكتبة الأمل للطباعة والتوزيع، غزة فلسطين،46،ص1999.

19- محمد جمال يحياوي: **دراسات في علوم النفس**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003، ص423.

20- محمد بومخلوف: **اليد العاملة الريفية الصناعية الجزائرية**، دط، ديوان المطبوعات الجزائرية ، ص 284.

21- محمد القحطاني: **إدارة الموارد البشرية**-نحو منهج استراتيجي متكامل،دط مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2005، ص56.

22-نبيل صالح سفيان: **الشخصية والإرشاد النفسي**، ط1، إيتراك للطباعة والنشر، مصر الجديدة، القاهرة، 2004، ص157.

المراجع باللغة الاجنبية:

23-Afsar,SeldaTasdemir,**Impact of the Quality of work-life on Organizational Commitment : AComparative Study on Academicians Working for state and Foundation Universities in Turkey**,International Journal of Social Sciences,2014,p127.

-24-Clermont Barnabe, **la qualtié de vie au travail et Liffficacité des enseingnants,** Revue des sciences de léducation,Vol,19 ,n 2 ,1993,p157.

25-C,P ,Garg,Neetu,Munjal,Preeti Bansal &Akshay Kirti Singhal,**Quality of Working Life : An Overview International Journal of Phisical and Social,**vol 2,Issue 3,2012 ,P233.

-26-Darren Vanalaar ,Julain A Edwards& Simon Easton,**TheWork-Relate Quality of life scale for Healthcareworks, Journal of Advanced Nursing** 60(3) 22 june 2007 ,P98 .

-27Lyne jutras et Lise Vaillancourt,**satisfacation et motivation au travail,**pharmactuel Vol 36,No 4 Aout septembre 2003 p 215.

28-- Ozely.Lee M .and Judith S.Ball,"**Quality of Work life : Initing successful Efforts in Labor-Management Oreganization ,**"The Personnel Administator, vol .27 ,N°.25 ,May1982 ,P27.

29 -Scotl,T,B et al,**A Definition of Work Adjustment**,Industrial Relation center,University of Minnesota 1958,P14.

30-Swamy ,Devappa ,Nanjudeswarswamy,Rashmi,Srinivas,**Quality of work Life :Scale Development and Validation**,International Journal of Caring Sciences,Vol 8,No 2,2015,p281) .

الرسائل الجامعية:

1- أسامة البيبلسي،جودة الحياة الوظيفية وأثرها على الأداء الوظيفي للعاملين في المنظمات غير الحكومية بقطاع غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، كلية التجارة، غزة، 2012، ص 12.

2-بوعطيط سفيان، طبيعة الإشراف وعلاقتها بالتوافق المهني، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007،، ص98.

المجلات العلمية:

1- القحطاني سالم سعيد، إدارة الجودة الشاملة وإمكانية تطبيقها في التعلم الحكومي، مجلة الإدارة العامة، العدد(78)، أبريل، 1993، ص35.

2- عبد الحميد المغربي، جودة حياة العمل وأثرها في تنمية الاستغراق الوظيفي ، مجلة الدراسات والبحوث التجارية، جامعة الزقازيق، كلية التجارة، العدد2، ص57.

العـــــلاج المعرفي السلوكي لاضطراب الحصر المعمم

(دراسة حالة لحامل مصابة بارتفاع ضغط الدم الحملي)

الباحثة / سلطاني عومرية
جامعة محمد بن أحمد ـ وهران (2) ـ الجزائر.

أ. د/مكي محمد
جامعة محمد بن أحمد ـ وهران (2) ـ الجزائر.

الملخص:

دراسة نفسية علاجية تهدف إلى توضيح أثر برنامج علاجي معرفي سلوكي في التخفيف من أعراض اضطراب الحصر المعمم لدى المرأة المصابة بارتفاع ضغط الدم الحملي. سنقتصر على تقديم نموذجا لدراسة الحالة "ع" البالغة من العمر 43 سنة، مدة حملها ستة أشهر وتعاني من إضطراب الحصر المعمم، خضعت لبرنامج علاجي معرفي سلوكي تضمن 16 جلسة علاجية بواقع جلستين في الأسبوع، وجلسة تتبعية بعد مرور ثلاثة أشهر، دامت كل حصة ساعة واحدة. وقد تم تقييم البرنامج العلاجي باستخدام مقياس سلم هاميلتون للحصر، وقد دلت النتائج المتحصل عليها على وجود انخفاض في أعراض إضطراب الحصر المعمم (الجسمية، النفسية ، المعرفية، السلوكية) لدى هذه الحالة.

الكلمات المفتاحية: العلاج المعرفي السلوكي ؛ إضراب الحصر المعمم.

Abstract:

The psychotherapy study aimed at clarifying the effect of Cognitive Behavioural Therapy in alleviating the symptoms of Generalized Anxiety Disorder on which high hypertension Pregnancy, We suggest that we case study of "A", who is 43 years old, and she has been pregnant for six months, and she is suffering from generalized anxiety disorder, The after three months, the therapeutic program was evaluated using the Hamilton Inventory Scale. The results showed that the treatment with Cognitive Behavioural Therapy has reduced the pathological symptoms of generalized anxiety disorder (physical, emotional and cognitive, behavioural) in this case.

Key Words: Cognitive Behavioural Therapy; Generalized Anxiety Disorder.

تمهيد:

يعتبر الحمل أهم مرحلة في حياة المرأة، ومصدر سعادة في الحياة الزوجية، باعتباره مؤديا للإنجاب، لكونه الوسيلة الوحيدة لحفظ النوع البشري، وفي مجمل حالات القلق أثناء الحمل هو حالة عادية، وهذا ما يطلق عليه بقلق الحالة. ولكن إذا تجاوزت درجة معينة من الشدة واستمرت لفترة طويلة ، بحيث يؤدي إلى تطور وتحول إلى اضطراب نفسي وخصوصا عندما يترافق بأعراض نفسية سلوكية وجسمية تدخل الحامل في صراعات نفسية متواصلة وكأنها في دائرة مفرغة لا تستطيع الخروج أو التخلص منها، وهذا

ما يعيقها في تحقيق درجة من التكيف في علاقتها مع نفسها والآخرين. وهذا الاضطراب النفسي حسب حديث **بسنسون قاي** (Besançon Guy) (41:1993) "هو ما وصفه **سيغموند فرويد** (Sigmund Freud1856-1939) تحت مصطلح عصاب القلق، وهذا منذ أكثر من قرن حسب التصنيف الكلاسيكي في الطب العقلي وحاليا هو يطلق عليه إضراب الحصر المعمم وهو يظهر في شكل هجمات لنوبات قلق حادة وهو يصيب بمرتين النساء أكثر من الرجال". كما أن له آثارا وخيمة على صحة الحامل وطفلها لاحقا، وهذا ما أشارت إليه أبحاث **هيرون جون** (Heron Jean) ومساعديه (2004 :65-73) " والذين توصلوا أن الحامل تعيش حالة خوف من حدوث خطر وشيك غير معروف، كما تترك اضطرابات الحصر آثارا سلبية على صحة الحامل وعلى مولودها مستقبلا ،كما أن من تعاني منه تكون في حالة خطر من تطوره إلى اكتئاب ما بعد الولادة إذا لم تخضع لتكفل نفسي". وبما أن الحامل التي تعاني من إضطرابات الحصر من النادر أن تطلب العلاج النفسي وهذا ما أشارت إليه دراسة **تيكسيرا وآخرون** Teixeira (2009 :142-148) "على موضوع إضطرابات الحصر أثناء الحمل الذي يعتبر من أكثر الإضطرابات شيوعا عند النساء الحوامل، ومن المشكلات النفسية التي لا تشكو منها الحوامل ولا يلجئن لمعالجتها، بل يتم التعرف عليها وإكتشافها أثناء خضوعهن للفحوصات الطبية الدورية أو الإستعجالية". ونظرا لخطورة تطوره إلى اكتئاب ما بعد الولادة هذا من جهة، ومن جهة أخرى لخطورة معالجة الأطباء المختصين في أمراض النساء والتوليد لإضطرابات الحصر بأدوية مضادة للحصر وغيرها من المهدئات لان لها مضاعفات خطيرة على صحة الجنين، خصوصا أن هذه الأدوية قد تؤدي إلى تشوهات جسمية، وإضطرابات ذهنية لاحقا، حتى ولو كانت نسبة حدوثها ضئيلة جدا حسب رأي الأطباء لهذا هم يستخدمونه لأنهم يرونه الأسرع في التخلص من أعراض المرض. ومن هذا المنطلق خضنا غمار البحث فيه من أجل تفادي إعطاء الأمهات الحوامل الأدوية المضادة للحصر والتكفل بهم نفسيا وخصوصا لم يتبقى على الولادة إلا أسابيع قليلة، فلتجنب مضاعفات العلاج الطبي تتدخلنا نفسيا لتكفل بالحالات التي لديها إضطرابات حصر من أجل إخضاعها للعلاج نفسي، وهذا الأمر قام به العديد من علماء النفس والباحثين في المجال النفسي بدراسة إضطرابات الحصر المتنوعة بهدف التخفيف من معانات المرضى ومن بين العلاجان النفسية الحديثة التي حققت نتائج جيدة، وأثبتت فعاليتها حسب إطلاعنا العلاج المعرفي السلوكي هو الأكثر إستخداما في العيادات النفسية نظرا لكونه علاج فعال ، وفي ظرف وجيز يستطيع التخفيف من الأعراض المرضية لدى المرضى ويصبحون أكثر تكيفا مع نفسهم والآخرين. حتى يتسنى لنا التحقق من صحة فرضيات الدراسة . بدأنا بتحضير الحالة، وبناء الثقة،

وإيضاح العلاقة العلاجية الجيدة التي تسمح للمفحوصة والمعالجة بالعمل معا من أجل حل مشكلة، حيث تتم عبر مراحل تبدأ بالتعليم النفسي للحالة حول الإضطراب الذي تعاني منه، عن أعراضه وتشخيصه وأساليب علاجه ومن ثم عن أسلوب العلاج المعرفي السلوكي وخطواته ومبادئه، مع التأكيد على أهمية أداء الواجبات المنزلية وتطبيق الفنيات التي يتم تعلمها، وقد اخترنا لتطبيق البرنامج العلاجي التقنيات المعرفية والسلوكية التالية : تقنية المراقبة الذاتية، تقنية الاسترخاء، تقنية إعادة البنية المعرفية، تقنية التعريض وتقنية تأكيد الذات. تقنية الواجب المنزلية.

I- مشكلـــــة الدراســـــة: يعتبر اضطراب الحصر أثناء الحمل من الاضطرابات النفسية الأكثر شيوعا عند النساء، وهذا ما أكدته العديد من الدراسات التي نذكر منها دراسة **تلاسينوز.م (Thalassinos. M)** ومساعديه **(1988 :17)** "إن نسبة انتشار اضطرابات الحصر عند النساء تكون خاصة في مرحلة سن الإنجاب حيث تقدر نسبة إنتشارها ما بين 13% إلى و15 %"، ولقد أقيمت العديد من الدراسات في فترة الحمل تؤكد ذلك، نذكر منها دراســـــــــة **لـــــــي (Lee.)** ومساعديه **(2007 :1102-1112)** " حيث أجريت دراسة على 357 حاملا فقد أشارت نتائج الدراسة إلا أن اضطراب الحصر يكون أكثر إنتشارا من مرض الإكتئاب حيث سجل إضطراب الحصر عند الحوامل نسبة 54 % في حين سجل مرض الإكتئاب نسبة 36% ، وحتى تتوضح لنا الصورة بشكل جلي فإن نسبة (54 %) تمثل 193 حالة ممن تعاني من إضطراب حصر من مجموع 357 حالة، أما اللواتي تعانين من الإكتئاب، فإن ما يمثل بنسبة (36%) تمثل 129 حالة ممن تعاني من الإكتئاب من مجموع 357 حالة). إذن إن اضطراب الحصر موجود عند الحوامل سواء من كان الحمل عاديا، ومن حملهن يتعرض لتهديد مرض ما، وعلى رأس هذه الأمراض إرتفاع ضغط الدم الحملي، وهذا ما جاء في العديد من الدراسات الأجنبية نذكر منها دراسة **تيكسيرا Teixeira** وآخرين**(2009:142-148)**" أجروا دراسة على مجموعة من الحوامـل يقدر عددهن300 حامل فوجدوا أن مستوى القلق لديهن مرتفع في الثلاثي الأول والأخير من فترة الحمل، خاصة عند الحامل التي تكون تحت تهديد مرض من أمراض النساء. وبالأخص الحوامل المصابات بمرض إرتفاع ضغط الدم، خاصة الحملي منه"، من خلال عملي في بالمؤسسة الإستشفائية المتخصصة في أمراض النساء والتوليد وطب وجراحة الأطفال بن يحى الزهرة (مطلع الفجر سابقا) بولاية وهران (الجزائر)، تبين لي أن الحوامل لا تعاني من حالة قلق عادية عند التواصل معهن، بل يعانين من إضطرابات حصر خاصة إضطراب الحصر المعمم، فمحتوى حديثهن يذكرن أن لديهن أعراض لإضطرابات جسمية ونفسية تتعلق بإشغالات مقلقة حول المستقبل تتوقع مخاطر وكوارث حول أحداث

ونشاطات يومية (العمل، الصحة، القدرات التعليمية، العلاقات العائلية، مشاكل مالية ومشاكل سكن ... الخ) تغذيها مخاوف بوقوع مكروه ما غير معروف مصدره، تنطوي هذه الأعراض الجسمية والنفسية حول ما يسمى إضطراب الحصر المعمم حسب حديث **بسنسون قاي** (Besançon Guy) (1993:38-39) "هو إضطراب يتضمن إضطرابات جسدية من أعراض: الوعائية القلب ، التنفسية، الهضمية، العضلية العصبية بما في ذالك من إضطرابات النوم (الأرق) نحو إضطرابات نفسية على المستوى الإنفعالي من نوبات هلع والتوتر والعدوانية اللفظية والاستقرار الحركي على المستوى النفسي الحركي، الذي يمكن أن يظهر في شكل كف وجمود حركي، وعلى المستوى الفكري: نجد أعراض تظهر في تصورات مقلقة تبني سيناريوهات بحدوث كوارث بخصوص فشل في العمل أو في العاطفة، مرض أو حادث أو مشاكل مالية، ومن مثل الإحساس بفقدان الهوية أو فقدان الواقع (فقدان الحميمة مع محيطه المعتاد)، الخوف من الجنون بالرغم من عدم وجود عرض ذهاني. وعلى العموم الانشغالات تتوجه نحو المستقبل والخوف من المجهول وما هو آت" واضطرابات الحصر تتخذ عدة أنواع حسب الدليل التشخيصي الرابع DSM4 tr الصادر عن الرابطة الأمريكية للطب النفسي وهي كالتالي: اضطراب هلع دون الرهاب من الأماكن المفتوحة، اضطراب الهلع مع رهاب الأماكن المفتوحة ، رهاب الأماكن المفتوحة بدون تاريخ من الهلع، الرهاب المحدد ، الرهاب الإجتماعي ، اضطراب الوسواس القهري، اضطراب كرب ما بعد الصدمة ، اضطراب التوتر الحاد، اضطراب الحصر المعمم، اضطراب الحصر المرتبط بالوضع الصحي ،إضطراب الناجم عن تناول المادة، اضطراب الحصر الغير معين. (**American psychiatric Association,1994,p :430-435**)

ومن بين اضطرابات الحصر التي تتواجد عند الحوامل وبالأخص الحوامل المصابات بارتفاع ضغط الدم الحملي، لاحظنا تكرار تشخيص اضطراب الحصر المعمم المعالج دوائيا من طرف الفريق الطبي والذي يرونه الأسرع في معالجة أعراضه، بالرغم أنهم على دراية بخطورة مضاعفاته التي قد تحدث للجنين مستقبلا، إلا أن نسبة الخطورة حسبهم ضئيلة جدا بالمقارنة مع الحالات التي تخضع للعلاج وتلد أطفال أصحاء، وان الأمراض والتشوهات التي تحدث للجنين تعود في ناشئتها لعوامل كثيرة، وليس فقط للعلاج الدوائي المهدئ والذي يهدفون منه جعل الحامل تسترخي لتسنى لهم معالجة ضغط دمها المرتفع، حتى ولو حدوث المضاعفات لا تعود للدواء المهدئ. ولكن أي دواء مهدئ له آثار جانبية تظهر مستقبلا سواء على الأم أو طفلها، خلال تقربنا اليومي المباشر للحوامل المصابات بارتفاع ضغط الدم الحملي اللواتي يعانين من اضطراب الحصر المعمم، سجلت بعض الحالات اللواتي تناولن الدواء المضاد لاضطرابات الحصر قد وضعن أطفال يعانون من اضطرابات صحية والأكثر تكرارا هو مرض

داء الصرع والذي يستلزم إخضاع الرضيع حديث الولادة للعلاج الطبي وهذا الوضع يجعل الوالدين خاصة الأم تعيش حالة معاناة نفسية حزينة، عند مرافقتنا النفسية لهذه الحالات استشعرنا مدى المعاناة النفسية التي تكون فيها الأم والأب طفلهما مصاب بمرض داء الصرع. في رأيينا يتعين على الفريق الطبي عدم صرف مثل هذه الأدوية، وتوجيهن نحو العلاج النفسي. من هنا تولدت مشكلة الدراسة الحالية من أجل إيجاد برنامج علاج نفسي فعال يحدث نتائج جيدة في مدة قصيرة، فبعد إطلاعنا على الدراسات السابقة التي تناولت اضطرابات الحصر وكتب العلاج النفسي، وجدت أن العديد من الباحثين في المجال النفسي يعالجون اضطرابات الحصر بالعلاج المعرفي السلوكي واستطاعوا التخفيف من أعراضها في وقت قصير، ولكن ما يلفت للانتباه أن هذه الدراسات النفسية العلاجية المعرفية السلوكية لا تعتمد على دراسة حالة، والتي تعتبر الوسيلة المفضلة في البحوث الخاصة بالعلاجات النفسية حسب **دورون جاك** (**Doron Jack**) **(171:2001)**، إن المراجع والدراسات التي تناولت العلاج المعرفي السلوكي لاضطرابات الحصر متوفرة لكنها ترتكز على الجانب النظري أكثر أما الجانب التطبيقي فهي نادرة جدا حتى باللغة الأجنبية، ويلاحظ أيضا حسب إطلاعنا أنهم الباحثون النفسانيون يتبعون المنهج الإحصائي الذي يعتمد على أدوات إحصائية في معالجة النتائج النفسية المتحصل عليها، وهذا ما دفعنا نحو اختيار المنهج العيادي القائم على دراسة الحالة للقيام بدراسة نفسية علاجية. وبناءا على ما سبق فإن مشكلة هذه الدراسة تتمثل في الإجابة عن السؤال العام التالي: هل للبرنامج العلاجي أثر في التخفيف من أعراض (الجسمية والنفسية والمعرفية والسلوكية) لاضطراب الحصر المعمم لدى المرأة الحامل بارتفاع ضغط الدم الحملي؟ وتفرع عنه الأسئلة التالية:

1) هل للبرنامج العلاجي المشتمل على التربية النفسية وإعادة البنية المعرفية والتعريض وتقنية تأكيد الذات والاسترخاء و تقنية المراقبة الذاتية والواجب المنزلي لهم أثر إيجابي عند تطبيقه على الحالة التي تعاني من اضطراب الحصر المعمم ؟

2) هل يقي البرنامج العلاجي من الانتكاسة ؟

ا -1-فرضيات الدراسة:

ا-1-1-الفرضية الأولى: للبرنامج العلاجي المتمثل في التربية النفسية وإعادة البنية المعرفية والتعريض وتقنية تأكيد الذات والاسترخاء وتقنية المراقبة الذاتية والواجب المنزلي لهم أثر إيجابي في التخفيف من أعراض (الجسمية والنفسية والمعرفية والسلوكية) لاضطراب الحصر المعمم لدى الحامل المصابة بارتفاع ضغط الدم الحملي.

I-1-2- الفرضيات الثانية: يقي البرنامج العلاجي من الانتكاسة بعد ثلاثة أشهر من انتهاء العلاج.

I -2- هدف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تبيان الأثر الإيجابي للبرنامج العلاجي المعرفي السلوكي وذلك من خلال تعليم وتدريب الحالة على استبدال الأفكار السلبية والتصورات السلبية بأفكار بديلة أكثر واقعية في التخفيف من أعراض الجسمية والنفسية للحصر المعمم و انخفاض في درجات سلم الحصر لهاملتون ماكس (Max HAMILTON) .

I -3- أهمية الدراسة: تكمن أهميتها في إثراء ومساعدة المختصين النفسانيين المبتدئين وتعريفهم بطريقة علاجية عملية وسهلة تعطي نتائج جيدة كونها تعتمد على خطة علاجية واضحة، يتم إتباعها لتحقيق الأهداف. ولاستخدام هذه الدراسة لاحقا كدليل تطبيقي في معالجة الحالات المشابهة للحالة المختارة في دراستنا الحالية. تأتي هذه الدراسة لتقديم حالة والبرنامج العلاجي المقدم لها خطوة بخطوة ويسمح هذا الأمر للمهتم بمتابعة تطور الحالة عبر الزمن وتقييم أثر العلاج عليها.

I -4- التعريفات الإجرائية لمصطلحات الدراسة:

I -4- المرأة الحامل المصابة بارتفاع ضغط الدم الحملي: هي كل امرأة حامل مصابة بارتفاع ضغط الدم الحملي، ولها ملف طبي يوضح حالتها الصحية تتراوح أعمارهن ما بين 18 و45 سنة وهي في الثلاثي الأخير من الحمل .لديها اضطراب الحصر المعمم، بدون أن تكون للحالة أية أعراض مرضية أخرى عصبية أو عقلية أو مرتبطة بالإدمان ، ولا تعود هذه الأعراض لآثار ناجمة عن تناول مادة أو دواء طبي.

I -4-1- اضطراب الحصر المعمم:حسب ما يعرفه DSM-IV tr (1994 :435) هو حيرة مبالغ فيها وقلق يبقى ملازم للحالة على الأقل لستة أشهر، انشغالات الحالة تتعلق ببعض الأحداث أو النشاطات (مثل العمل، الصحة ، الأداء المدرسي) ولا يتعلق بموضوع واحد. كما أن المريضة لا تستطيع التحكم فيها والسيطرة عليها أو تغييرها. تتمثل معايير التشخيص على الأقل في تواجد ثلاثة أعراض من الستة التالية: 1)عصبية، توتر عصبي وهيجان، 2) ميل بسهولة إلى التعب 3) صعوبة في التركيز والذاكرة 4) عدم الاستقرار الحركي 5) التوتر العضلات 6) إضرابات في النوم).

I -4-2- العلاج المعرفي السلوكي: هو مجموعة من التقنيات المعرفية والسلوكية المشتمل على تقنية التربية النفسية و تقنية إعادة البنية المعرفية، وتقنية التعريض، وتقنية تأكيد الذات، وتقنية الاسترخاء، وتقنية المراقبة الذاتية، وتقنية الواجب المنزلي.

II- الطريقة وأدوات:

II-1- منهجيـــــة الدراســـــــة:

اعتمدنا المنهج العـــــيادي القائم على دراسة حالـــة تعاني من اضطراب الحصر المعمم ويتضمن الأدوات التالية: المقابلة العيادية النصف الموجهة، والملاحظة العيادية المباشرة والغير المباشرة، واختبار سلم الحصر **لهاملتون ماكس (Max HAMILTON)**. بالإضافة لتشخيص التشخيص التصنيفي **DSM-IV. tr** والتحليل الوظيفي.

II-2- البرنامج العلاجي المختار لهذه الدراسة: هو عبارة عن مجموعة من الخطوات العلمية تستند إلى النظريتين المعرفية والسلوكية، وهو علاج قصير المدى في 16 جلسة علاجية بواقع جلستين في الأسبوع، وأيضا جلسة متابعة بعد مرور ثلاثة أشهر من انتهاء البرنامج العلاجي. دامت كل حصة ساعة واحدة . ويتضمن البرنامج العلاجي التقنيات التالية: تقنية التربية النفسية و تقنية إعادة البنية المعرفية، وتقنية التعريض، وتقنية تأكيد الذات، وتقنية الاسترخاء، وتقنية المراقبة الذاتية، وتقنية الواجب المنزلي، ويتم هذا البرنامج عبر مراحل مرحلة ما قبل العلاج والتي تخص الترحيب وتوطيده العلاقة العلاجية التي ذكرناها سابقا، ثم يطلب من الحالة تسجيل كل الأحداث والمواقف التي جرت منها في الأسبوع الماضي، وهذا ما يطلق عليه تقنية المراقبة الذاتية ثم تليها تقنية التربية النفسية والتي تسمح بإتاحة الفرصة للحالة لتتعرف على مرضها وأساب نشوئه وأعراضه وآثاره السلبية عل الناحية النفسية والجسمية والسلوكية، حتى تفهم مشكلتها، وتدرك المعتقدات الزائفة وتعيد بناء أفكارها بأفكار بديلة أكثر واقعية وهنا تصبح الحالة قد اكتسبت مهارة تقنية إعادة البنية المعرفية، وحتى تتقدم في العلاج تدربت الحالة على تقنية الاسترخاء في البداية حتى تستطيع تهدئة نفسها وتستمر التدرب عليها في نهاية كل حصة علاجية، أما تقنيتي التعريض و وتأكيد الذات فتتدرب الحالة أولا على المواجهة التخيلية ثم بعدها نوجهها نحو المواجهة الحقيقية، ويتم ذلك عن طريق مساعدة الحالة على كتابة سيناريوهات تتعلق بأفكارها الآلية التي تثير قلقها، ودعوة الأخيرة إلى إعادة قراءة السيناريوهات عدة مرات يوميا، والهدف من ذلك هو الحد من القلق المفرط لمختلف المواضيع، فتواجه الحالة حيرتها المقلقة بالتدريج حتى تنخفض حساسيتها للاستجابات المقلقة، ومع التأكيد على الحالة أهمية أداء الواجبات المنزلية لتتمرن على ما اكتسبته من تقنيات، لتصل في نهاية البرنامج لتخفيض من الأعراض المرضية لاضطراب الحصر المعمم أو إخماده تماما لدى الحالة المختارة في هذه الدراسة الحالية.

III- عـــرض نتائـــــــج الدراســـــة ومناقشتها :

1-تقديـــم الحالـــــــة:

دافع الاستشارة النفسية: السيدة "ع" تبلغ من العمر 43 سنة، تقدمت للفحص على آثر إحالة من طرف الطبيب المختص في أمراض النساء والتوليد للتكفل النفسي بغية التخفيف من نوبات قلق المتكررة التي تنتابها المصاحب لإصابتها بارتفاع ضغط الدم الجملي.

1-1- أهم ما جاء في تاريخها الشخصي والاجتماعي:

السيدة "ع"، تبلغ من العمر 43 سنة، أستاذة جامعية ،متزوجة منذ سنتين من أستاذ جامعي وباحث في مادة الرياضيات التطبيقية، بدون أولاد أجهضت ستة مرات وهي حامل للمرة السابعة، عمر حملها ستة أشهر، مقيمة بكندا، وهي في الأصل تقطن بولاية وهران الجزائر، السيدة"ع" نحيفة وطويلة من النمط الجسمي (Asthénique) حسب نمط الشخصية **كريشمر** (**Kretschmer .E**)، متحجبة، معتنية بهندامها ، بشرتها بيضاء لون عينيها سوداوين، تتكلم بسرعة ولكن كلامها واضح، وهي تتحدث باللغتين العربية الفصحى ومرات بالعامية ، تتكون أسرة السيدة "ع" من أب منوفي لما كان عمرها 36 سنة حيث كان يعمل حمال في سوق للخضر والفواكه بولاية وهران، أمها تبلغ من العمر 82 سنة ربة بيت، وهي ثالثة إخوتها في الترتيب وعددهم خمسة (3 بنات و2 ذكور) كل إخوتها متزوجون ويعملون. تتحدث السيدة "ع" عن طفولتها. حيث تصف **السيدة** "**ع**" طفولتها بالعادية وأنها مرت بهدوء، ويغلب على الحالة من صغرها حبها للنظافة والنظام والترتيب حتى أنها كانت تحب الاعتناء بالبيت والقيام بالأمور المنزلية، حتى وإن كانت تدرس تنهض باكرا للقيام بانشغالات البيت حتى أيام العطل فالأمور بالنسبة لها سيان، فهي تحب النظافة والانضباط في المواعيد، ليس لديها فارغ بدون عمل أو دراسة، وأنها لا تحب تبذير وقتها، وهذا ما جعلها متفوقة في دراستها منذ صغرها، ودائما الأولى، وهكذا تدرجت في تحصيلها الدراسي حتى وصلت للجامعة، لم يكن همها إلا رضي والديها عنها لإسعادهما حتى تخرجهم، من الحالية المادية الصعبة بوضع مادي جيد على أمل أن تتحصل على منصب أستاذة جامعية مستقبلا، ولهذا كانت تحث إخوتها على التعليم والنجاح بالتفوق حتى يتخرجوا ويتدبروا أمورهم الحياتية، وتذكر الحالة أن لديها توترا عصبيا وسرعة انفعال. وهذا مقتطف من حديث الحالة ع:...." أنا نتترفز بسرعة ونبغي النقي والنظام واحترام المواعيد"، للحالة صديقة واحدة تكبرها بسنة واحدة رافقتها منذ طفولتها حتى مرحلة التعليم الثانوي حيث فضلت صديقتها أن تتزوج بدلا من مواصلة الدراسة، في مرحلة المراهقة كانت تهتم فقط بدراستها لم يكن لها اهتمام بالجنس الآخر، ولم تقم مثل زميلاتها بربط علاقات غرامية، .... صمتت الحالة لفترة

ثم واصلت حديثها وهي تبكي"....كنت نقرا بالبالطو وسروال لونهم اخضر وهذا بسبب الفقر ليس لدي ألبسة اخرى، باش انبدل كي الشيرات، كان بويا حمال يومي في السوق للخضر والفواكه، وما يقدرش يشري لينا الكساوي فكنت لا التفت لكلام من يقراو معيا، لما ايقولو الجادارمي جا ويضحكوا ، كنت أحب الانسحاب على مواجهتهم لأنني ضعيفة الشخصية... لهذا أتجنب كل المواقف المقلقة ، والحمدلله جوابتهم امليح اربحت الباك بدرجة جيد جدا، اما هم البعض منهم عاودوه باش اداوه ومنهم من نجح بدرجة مقبول... وإستمريت على هذا المستوى حتى اتخرجت، ونلت ليسانس بدرجة جيد، وبعدها اربحت مسابقة الماجستير ونلت الشهادة، ولكن ماخدمتش أستاذة جامعية حتى مرت عليا 7 سنوات غير أني عملت أستاذة مستخلفة بالثانوية لمادة العلوم والفيزياء والرياضيات"، و**عن علاقة الحالة "ع" مع زوجها** تقول:أنها تزوجت برجل محترم ومثقف وهو أستاذ جامعة لمادة الرياضيات التطبيقية بجامعة في كندا وهو يقدرها ويحبها ولا يهتم إن هي أنجبت أم لا وهذا ما زاد في محبتها له.

ثم عن علاقتها مع أهل زوجها تقول:"علاقتها كانت جيدة في البداية ولكنها أصبحت تقلق منهم لأنهم يسمعوها كلام لا تحبه .. وخاصة لما تسمع كلام أخت الزوج وهي تقول:"... كبرت لا تنتظري اديري الدراري وحتى ولا جبتي غادي ايكونو أمراض وصفة غير كاملة. ولم تكن الحالة ترد عليهم وتضل تبكي لوحدها ولا تخبر زوجها بكلامهم لتفادي حدوث مشكل عائلي بسببها.

أما عن حياتها العملية والدراسية: عملت مستخلفة في ثانوية وبعد سبعة سنوات وظفت أستاذة بجامعة وهران، واجهت الحالة مشاكل مع الزملاء بسبب عدم التفاهم على الحصص الدراسية، ففضلت الانسحاب على المواجهة واختارت التركيز على إكمال دراستها التطبيقية لأطروحة الدكتوراه بفرنسا، ثم قدمت الحالة طلب عطلة غير مدفوعة الأجر لستة أشهر، وبعد زواجها انتقلت للعيش مع زوجها في كندا، وهذا الأمر جعلها تمدد طلب عطلة غير مدفوعة لسنتين بدلا من الاستقالة التي كانت تفكر فيه قبل زواجها، وعندما أنهت الأطروحة قدمتها للجامعة من أجل مناقشتها وحدد لها موعد في سنة 2015 ، والحالة"ع" تشعر بأن الوقت لا يسعفها لمناقشة أطروحتها بسبب وضع حملها الذي يتطلب تواجدها بالمستشفى لحين الوضع لهذا اتبعت سلوك الانهزام والتخلي وعدم بدل مجهود لحل مشكلتها.

الحالة"ع" كانت متعاونة معنا منذ الوهلة الأولى، وفي معظم المقابلات النفسية والجلسات العلاجية ، كما أن الحالة قدمت لنا طلب حقيقي وواضح للعلاج، وقد سجلنا أثناء المقابلات العيادية الأعراض المرضية التالية: خوف داخلي غير معروف مصدره تحس الحالة ينذر بحدوث مكروه مستقبلا، الخوف من الجنون، والحيرة بخصوص عدة مواضيع: الصحة ورغبة في إنجاب طفل، العمل والدراسة وغيرها من الانشغالات

المقلقة التي تجعلها لا تستطيع الخلود للنوم واضطراب نومها (أرق)، الشعور بالاختناق، تسارع خفقان القلب (Tachycardie) وشعور بضيق في التنفس وبالاختناق، صداع رأس متكرر ، وهن بدون بذل أي جهد، ارتجاف الذقن واليدين، شعور بعدم الأمان والراحة، مزاج قلق أثناء سير المقابلات، تشتكي من صعوبة التركيز وصعوبة أخذ القرارات.

العمل المفجر: أول مرة ظهرت عليها أعراض اضطراب الحصر المعمم في جنازة خالتها منذ أكثر من سنتين والتي كانت صديقتها المقربة التي كانت تحكي لها عن معاناتها، فمنذ ذلك الحين أصبحت الحالة تعاني من قلق شديد وخوف داخلي ينذرها بحدوث مكروه ما مستقبلا.

1-2-التشخيـــــــــص:

شخصنا الحالة "ع" حسب التصنيف الدليل الإحصائي للأمراض العقلية والنفسية DSM-IV tr. قدمت السيدة"ع" الأعراض المرضية التالية: الخوف من ما هو آت مستقبلا والخوف من الجنون، اضطراب في النوم (أرق)، الشعور بالاختناق، تسارع خفقان القلب وشعور بضيق في التنفس وبالاختناق، صداع رأس متكرر، وهن بدون بذل أي جهد، ارتجاف الذقن واليدين، شعور بعدم الأمان والراحة، توتر عصبي، ميل بسهولة إلى التعب، صعوبة في التركيز والذاكرة، عدم الاستقرار الحركي، هذه الأعراض تشعر بها الحالة منذ أكثر من ستة أشهر. وبهذا يكون التشخيص حسب التصنيف الدليل الإحصائي للأمراض العقلية والنفسية DSM-IV tr كالتالي:

المحور الأول: اضطراب الحصر المعمم(300.02)

المحور الثاني: اضطراب الشخصية الوسواسية القهرية واضطراب الشخصية المتجنبة

المحور الثالث: مصابة بارتفاع ضغط الدم الحملي

المحور الرابع: مشاكل متنوعة: العمل الدراسة. الصحة، العائلة

المحور الخامس:EGF :صعوبة في تأدية نشاطاتها الاجتماعية: المهنية والدراسية، أعراض متوسطة الشدة:51-60

1-2- التحليل الوظيفي: استعملنا في هذه الدراسة نموذج شبكة **Secca لجون كوترو Cottraux Jean(2001: 12)**:" وهو يحدد العلاقات بين مختلف العناصر التالية: S تشير إلى المثير، E تشير إلا الانفعال، C تشير إلى المعارف،C تشير إلى السلوكات، A تشير إلى التوقع، ينقسم التحليل الوظيفي:التحليل **التزامني (Synchronie)** و التحليل مع الزمن **Diachronie** .

أولا- الجزء التحليل التزامني (Synchronie) للحالة ع:

التوقعات: خوف داخلي من وقوع مكروه مستقبلا، الخوف من الجنون.

الوضعية : وضعها الصحي حمل تحت تهديد ارتفاع ضغط الدم الحملي الذي ألزمها التواجد بالمستشفى. الدراسة :عدم وجود الوقت الكافي لمناقشة الدكتوراه، العمل: الخوف من عدم تجديد طلب عطلة غير مدفوعة الأجر لسنة أخرى.

معرفي: جيرة مقلقة تغذي أفكار سلبية خاطئة و مخاوف(الخوف من الجنون، الخوف من المستقبل ترقب حدوث مكروه ما مستقبلا) سوف لا يقبل طلب تجديدي لعطلة سنة أخرى غير مدفوعة الأجر للمرة الثالثة، سوف لا يسعفني الوقت لمناقشة أطروحتي.

انفعالات وردود فعل فيزيولوجية: قلق دائم ومستمر، خوف غير مبرر،خوف من الجنون،تسارع خفقان القلب، إحساس بالتوتر، الدوخة، إعياء وتعب بدون تعب، عرق بارد، القي، بكاء متكرر ومتقطع، الإحساس بالاختناق.

السلوكيات: تسأل الفريق الطبي يوميا حتى تطمئن على حالتها الصحية و يقدم لها الدواء المهدئ لتنام فهي تخاف أن تجن بسبب الأرق. تختار سلوك التخلي على إكمال مناقشة أطروحة الدكتوراه وعدم اهتمامها بفعل شيء لتأجيل المناقشة. التخلي عن طلب تجديد عطلة غير مدفوعة الأجر والاستسلام والانسحاب.

المحيط: زوج يخفف عنها معنويا، ولكنه مغترب في كندا، تحبذ سلوك التجنب مع أخت الزوج كحل لعدم الشعور بالقلق .الانسحاب والتخلي عن الدراسة ومناقشة أطروحة الدكتوراه. أمها وبقية إختوتها يساندونها ماديا ومعنويا.

التحليل مع الزمن Diachronie للحالة ع:

المعطيات الجنية: تعاني اثنتان من عماتها من اضطرابات عقلية وهما يخضعان للعلاج الدوائي.

العوامل التاريخية المثبتة:

الحالة "**ع** " متأثرة بوفاة خالتها والتي كانت صديقتها الوحيدة المقربة التي تفضي لها بمشكلاتها وتساعدها في حلها.

العلاجات الدوائية السابقة: كانت تتناول بعض من المهدئات قبل زواجها المهدئات حسب قولها لم تجد نفعا في معاناتها المتمثلة في آلام الرأس والأرق والتوترات العصبية، وقد توقفت عنها بعد الزواج خوفا أن يقول عنها زوجها مجنونة.

بعد التشخيص التصنيفي والتحليل الوظيفي للحالة "ع" طبقنا البرنامج العلاجي كالتالي:

بدأنا البرنامج العلاجي مع الحالة باستخدام تقنية المراقبة الذاتية بحيث طلبنا منها تسجيل مختلف الأحداث والمواقف التي جرت معها في مفكرة، بهدف تقييم حصيلة الأسبوع الماضي قبل بداية العلاج معها، وهذا من خلال الإجابة على الأسئلة التالية: متى تظهر الأعراض؟ فيما تتمثل هذه الأعراض؟ في أي الظروف تظهر؟ ماذا يحدث من قبل وماذا يحدث من بعد؟ ما هي الأفكار التي تفكرين فيها في تلك الأوقات بالذات؟ كيف أثر هذا المشكل على حياتك؟ وقد تم توجيه المفحوصة إلى كيفية تطبيق تقنية المراقبة، وذالك بالإجابة على الأسئلة السابقة عند كل نوبة قلق. ثم انتقلنا إلى وضع خطة لمسار الحصص العلاجية واختيار مشكل مستهدف، واختيار التقنية العلاجية المعرفية والسلوكية المناسبة له، لتدريب الحالة عليها ثم تسجيل أعمال منزلية جديدة للأسبوع المقبل، تكون هذه الأعمال على صلة مباشرة بمضمون الجلسة العلاجية حتى تفهم الحالة الغرض منها وأهميتها، وأخيرا تلخيص الحصة في نقاط لتحديد النتائج الواقعية المنجزة عن الصعوبة أو المشكلة المستهدفة، ويطلب من الحالة تقديم عائدا، واختيار صعوبة أخرى لتكون هدفا للعلاج في الحصة العلاجية المقبلة، وتقدم لها تمرينات منزلية جديدة. خصصت الحصص الثلاث الأولى لتسليط الضوء على تاريخ الحالة، والتأكد من التشخيص الخاص بمرض اضطراب الحصر المعمم، ويتم ملا سلم هاملتون للحصر. وشرح مبادئ العلاج المعرفي السلوكي، مع وضع شكلا للتحليل الوظيفي حسب نموذج SECCA والذي تم التطرق إليه سابقا. بعدها يطلب من الحالة تسطير الأهداف العلاجية ولخصت فيما يلي: تعديل تفكيرها باستبدال الأفكار السلبية التي تعكر مجرى تفكيرها، وتعيق تحقيق التكيف الأمثل في علاقتها مع ذاتها، والآخرين، وذلك بأفكار بديلة أكثر واقعية. تزيل الحيرة والانشغالات المقلقة، وخاصة أثناء الرغبة في النوم، لتفادي سلوكيات التجنب المتمثلة في الذهاب إلى غرفة نومها حتى تبكي على الرد على كلام حماتها والتخلي على مواصلة العمل و إكمال مناقشة أطروحتها.

وابتدءا من الحصة الرابعة إلى الرابعة عشر: قبل تدريب الحالة على تعديل أفكارها الآلية السلبية بأفكار بديلة واقعية والتي تستغرق وقتا لتعلم تقنيات العلاج المعرفي والسلوكي وإتقانها ، قمنا بتدريب الحالة أولا على ممارسة الاسترخاء كلما شعرت بإنفعالات قوية مقلقة تؤثر على مزاجها،كسلوك مضاد يساعدها في التخفيف من حدة القلق، وقد اخترنا لها أبسط طرق الاسترخاء وهي تقنية الاسترخاء البسيط (la relaxation simple)، وهي لا تتطلب وقتا لممارستها، لأن الأشخاص القلقون الأكثر تنفسا من الصدر ويستخدمون الجزء العلوي لعضلات القفص الصدري، ولأن عضلات القفص

الصدر تمتد بأقل فعالية ويصاحبها توتر لهذه العضلات. والعضلة التي تفصل القفص الصدري والمعروف بالحجاب الحاجز والتي تتمثل وظيفته الرئيسية في التحكم في عمليتي التمدد والتقلص يسمح التنفس العميق في تعزيز وتنشيط الجهاز العصبي السمبتاوي ويعمل على زيادة في نشاط الجهاز الهضمي، وتقلل ربتم الإيقاعات التنفسية والقلبية ويخفف من ارتفاع ضغط الدم، وزيادة نظام التنفس العميق، ولهذا تعتبر تقنية الاسترخاء البسيط الأفضل للأفراد القلقين، لأنها تساعد على الاسترخاء العضلي الكبير والجهاز التنفسي يمتلئ ببطيء الرئتين الأوكسجين ويفرغ اكبر كمية منه في الدم وهذا الأوكسجين سيجعل الحالة تشعر براحة كبيرة (الطاقة والاسترخاء ...الخ). وهذا ما سيعطي مفعولا مهدئا للحالة "ع" وتتم تطبيق هذه التقنية كالآتي: اوجدي لنفسك مكانا هادئا لا يزعجك فيه احد، ثم استلقي على ظهرك وذراعاك ممدودتان إلى جانبيك وساقاك مستقيمان، أو اجلسي على كرسي مريح، ركزي على التنفس بعمق حتى ينتفخ البطن مع كل شهيق للحد الأقصى، أبطئي تنفسك وخذ من الوقت أربع أو خمس ثوان كاملة في كل استنشاق، أخرج الهواء عن طريق الأنف ببطء، وتوقفي مهلة بين كل شهيق وزفير، وعد حتى الأربعة أو الخمسة.("WWW.CSCP.Montreal.cas")، تكرر هذا التمرين كل يوم كواجب منزلي من 5 إلى 10 دقائق، ثم تزداد مدة الاسترخاء تدريجيا مع مرور الوقت، وهذا الأمر جعل الحالة تشعر بالراحة، وتم ضبط إيقاع تنفسها، فأصبحت كلما تشعر بالقلق تبدأ في عملية الاسترخاء التي دربت عليها لمدة 10 دقائق عند نهاية كل جلسة علاجية، ومع مرور (الحصص علاجية أصبحت متحكمة في التقنية لدرجة أنها استخدمتها أيضا أثناء الولادة الطبيعية، والتي جرت في هدوء بعدما سيطرت على قلقها، فرزقت الحالة ع ببنت وتنعم بصحة جيدة، أما عن بقية التقنيات العلاجية المعرفية والسلوكية خصصت لتعديل الأفكار والمواجهة. فدربت الحالة على تقنية إعادة البنية المعرفية، وذلك من خلال تحديد الأفكار الآلية وذلك بملأ خانة (La colonne) **بيك آرون (Beck Aron)** 1979 ذات الأعمدة الخمسة (الموقف، الانفعال، الفكرة الآلية، الفكرة البديلة، النتائج) حسب ما ذكر **لجون كوترو Cottraux Jean(2001: 12)**، نبدأ أولا بثلاثة أعمدة (الموقف، الانفعال، الفكرة الآلية)،وتتم هذه العملية من الحصة الرابعة إلى الحصة السادسة ولتوضيح ذلك ذكرنا مقتطف من بعض الجداول:

الجدول رقم:1 الأعمدة الثلاثة لدى الحالة "ع"

الموقف	الانفعال	الفكرة الآلية و درجة الاعتقاد	نسبة الاعتقاد بها
إطعلت على جدول توزيع الحصص الدراسية	قلق شديد %60	إعطاء الحصص بدون الأخذ بعين الاعتبار الكفاءة العلمية في توزيع الحصص، يوزعونها حسب جماعتهم، إنهم يفضلون أصدقائهم، ولا يعتمدون على معيار الكفاءة، إنهم يستغلون طيبتي، فانا لست ممن يطال بحقوقه، ولست من النوع الذي يثير المشاكل، لكوني ضعيفة ،فلا يأبهون لطلبي لأنهم يدركون بأنني لن أفعل شيئا.	80 %

تفيد هذه الجداول في جلب انتباه الحالة حول انفعالاتها الشديدة المقلقة والتعرف على الأفكار الآلية، وكذلك لتدرك أن كل موقف يعبر عنه بثلاث مجالات وهي: السلوكات أمام الموقف، الانفعالات اتجاه هذا الموقف، الأفكار التي تظهر جراء هذا الموقف. لقد تطلبت هذه المرحلة بعد التدريب نوعا ما لان الحلة لم تستطيع التمييز بين المجالات الثلاثة وبعد الممارسة أصبحت تدركها، وفي الحصة السابعة، وجهنا الحالة نحو تعديل أفكارها الآلية بأفكار بديلة وذلك بالإجابة على السؤال التالي: كيف لها أن نرى نفس الموقف بوجهات نظر مختلفة؟ ومع مرور الحصص استطاعت الحالة تعديل أفكارها الآلية السلبية بأفكار بديلة أكثر عقلانية، بعدما استطاعت البحث عن وجهات نظر مختلفة للمواقف التي أقلقتها، وهذا بفضل توضيحنا للحالة أنها عندما تكون قلقة تأخذ وجهات نظر سلبية لا تساعدها في اتخاذ القرار الصائب لمساعدة الحالة "ع" لإعادة تقييم انفعالاتها المرتبط بأفكارها السلبية اونسبة الاعتقاد بها ولقد اعتمد الباحثان على الحوار السقراطي (Le questionnaire socratique)، فحسب حديث **فونتان اوفيد و فونتان فليب** (**Fontaine Ovide et Fontaine Philippe**) (208:2007) " الحوار السقراطي يقدم دليلا للتناقض المنطقي لكلام المفحوص، وإعادة توجيه أفكاره الخاطئة المتاحة له، فهي ساذجة ومملوءة بالأفكار المختلة التي تدور بداخله، ومن خلال سلسلة من الأسئلة يحاول المعالج إبراز القواعد المعرفية للمريض، وصعوبة تسييرها لحد يجعله المعالج يشك في منطقية أفكاره الخاطئة، ويجعله يبحث عن البديل من خلال الحوار

المتبادل مع المفحوص، حتى يصل لاكتشاف أفكاره الاكتئابية أو القلقة لتلك التوقعات التي يجب مواجهتها وتغييرها. وفي هذه التقنية يجب وجود (l'empathie)، أن يكون غير موجه، الصمت الإيجابي، وهذا سيسمح للمفحوص بالتعبير بأكبر حرية ممكنة ويكون ذلك عن طريق 4ر (4R): إعادة النص(Recontextualisations)، إعادة الصياغة (Reformulations)، التلخيص (Résumé) التعزيز الإيجابي (Renforcements) وطرح الأسئلة باستعمال كلمات الاستفهام التالية: ماذا؟ متى؟كيف؟ ما هو بالتدقيق؟ هذا النوع من الأسئلة سيساعد المريض لتوجيه انتباه المفحوص نحو المشكل المطروح للمعالجة". وهذا سمح للحالة بالتقييم درجة الاعتقاد بهذه الأفكار الآلية من 0 إلى 100 وهي ،لتستطيع في الأخيرة الإجابة عن هذه الأسئلة في العمود الرابع وتقييمها طبعا درجة الاعتقاد بهذه الأفكار الجديدة وفي العمود الخامس يعاد تقييم حدة الانفعالات المرتبطة الأفكار السلبية ومنح درجات الاعتقاد بها والمثال التالي يوضح الفكرة التي ذكرناها في الجدول رقم 1.

الجدول رقم:2 الأعمدة الثلاثية والفكرة البديلة وإعادة تقييم الانفعال المرتبط بالفكرة السلبية ونسبة الاعتقاد به

الموقف	الانفعال	الفكرة البديلة وإعادة تقييم الانفعال المرتبط بالفكرة السلبية	ونسبة الاعتقاد بها
إطلعت على جدول توزيع الحصص الدراسية	قلق معتدل %20	إنها مجرد أفكار تأتيني عليا مواجهتها، والتحدث مع المدير.فأنا الأكثر كفاءة لتدريس هذه المادة وهذا مبرر كافي لأعبر عن أحقيتي بتدريسها	%80

إبتداءا من الحصة الثامنة إلى الحصة الرابعة عشر عملت الباحثة على تعليم الحالة وتدريبها على بقية التقنيات المعرفية السلوكية لهذا البرنامج (تقنية التعريض وتقنية تأكيد الذات). إن إيجاد الأفكار البديلة وعدم التعبير عن المثيرات المسببة لهذه المواقف المقلقة، هذا سيجعل الحالة تدور في حلقة مفرغة وتبقى تعاني مع المرض، لهذا وجهنا الحالة لتدريبها على تقنية التعريض بناءا على تعريف **لجون كوترو Cottraux Jean (75:2001)** .."والذي يرى أن هذه التقنية لها تأثير على الأعراض السلبية للقلق بإطفائها وذلك بالمواجهة التدريجية المثيرات من ناحية، ومواجهة سلوك التجنب الذي هو معزز للقلق من ناحية أخرى، وتختلف طريقة التعريض باختلاف مكان مواجهة وأسلوب المواجهة، ويستحسن تقديم

التعرض التخيلي ثم يليه الواقعي." ومعه تقنية تأكيد الذات والتي تتطلب حسب ما جاء في كتاب **فونتان اوفيد و فونتان فليب (Fontaine Ovide ,Fontaine Philippe) (225:2007)**."قدرات علائقية للتواصل وللتعبير عن حاجاتها ورغباتها وتمنياتها مع احترام رغبات الآخرين لتحقيق تكيفها مع نفسها والآخرين". فإذن من خلال التعريض التخيلي للسيناريوهات المسطرة من طرف الحالة بالاعتماد على أفكارها البديلة تواجه وتؤكد ذاتها. طلبنا من الحالة أن تسأل نفسها ما الفائدة من المواجهة؟ وماذا ستجني إن هي واجهت أو لم تواجه؟ ووضحنا لها أن عدم مواجهتها وعدم تنفيس عن ذاتها للعناصر المثيرة لهذه الاستجابات المقلقة لن تختف هذه الإعراض النفسية والجسمية، بل ستبقى على حالتها كما هي. وهذا ما حفز الحالة وجعلها تقبل على التمرن عليها عدة مرات يوميا، حتى أصبحت قادرة على المواجهة وفي الأخير استطاعت أن تشعر بانخفاض هذه الاستجابات المقلقة بالتدريج، ووصل الأمر إلى حذف بعض هذه الأقوال بعد استخدامها أفكار بديلة أكثر واقعية ساعدها على التقدم في العلاج. وهذه بعض الأمثلة التوضيحية التي ستشرح كيفية استعمال الحالة لتقنيتي تأكيد الذات وتقنية التعريض، مثال: شعور الحالة بعدم الراحة حينما تتعرض لمواقف مقلقة، وتشعر فيها بانتهاك حقوقها، ولا تجرؤ على التعبير عن ما يجيش في بالها، كما يظهر من خلال الموقف التالي: تشتكي الحالة من سوء معاملة حماتها لها، والتي كانت تسبها بعدم قدرتها على الخلفة، كبقية النساء، لأنها كبرت وحتى وإن أنجبت فسوف تنجب ولدا مشوها أو منغوليا. وقد كانت الحالة لا تعبر عن شعورها إزاء كلامها معها، بل تظل الحالة "ع" تبكي في غرفتها، كسلوك تجنبي على الحديث معها. وبدلا من ذالك بدأت تعاني من أعراض اضطراب الحصر المعمم، وخاصة وأنها في الماضي أيضا خبرت الشعور بالإهانة حينما كأننا زملاؤها يعايرونها لما تلبسه واعطوا لها حتى إسم "الجادارمي راهو جا"، وشعورها بعدم الإحساس الراحة مما يفسر حالة القلق الدائم، وتعمم هذا القلق إلى كل المواقف المشابهة سواء في المنزل أو في العمل، ومن خلال الأمثلة التي سردتها الحالة، ومن خلال تدريبها على تأكيد الذات، والتي تتضمن أن من حقها التعبير عن نفسها، وعن ما ترغب القيام به، ترفضه في قرارة نفسها، نجحت المفحوصة في التعبير عن مواقفها بكل ثقة، حيث طلبت منها حماتها مثلا صنع حلوى العرس، فإعتذرت لها بالقول أنها تود ذلك ولكنها لا تقدر فحملها في خطر، وهي تريد أن ترزق بطفل سليم، وليس كما قلت طفلا مشوها لأنها ليست كبقية النساء تنجب أطفالا أسوياء فهي كبيرة في السن، وحينها استغلت الموقف وعبرت عن ما كان يجول في خاطرها تجاه حماتها دون أن تخل بالعلاقة بينهما، حينها وجدت حماتها في موقف المتلقي وأدركت مدى آذاها لزوجة أخيها، فعبرت بندم عن مدى أسفها وطلبت منها السماح وقبلته الحالة "ع" وعبرت لنا بأنها منذ تلك اللحظة

توطدت علاقتهما أكثر من السابق، كما أن الحالة شعرت بالراحة عندما قالت لها ما كانت ترغب في قوله لحماتها. تما تعميم استخدام تقنيي التعريض وتأكيد الذات لبقية المواقف المقلقة حتى تتقن المفحوصة كيفية الاستجابة العقلانية لمختلف المواقف من خلال تحديد الأفكار الآلية السلبية في تفسير موقف معين وإيجاد بدائل أكثر واقعية كما يبين المثال التالي: ذكرت المفحوصة أنها شعرت بأعراض اضطراب الحصر المعمم حينما إطعلت على جدول التدريس حيث تم توزيع الحصص الدراسية دون الأخذ بعين الاعتبار تخصص الأستاذ للمادة التي سوف يدرسها. فطلبنا منها تحديد الأفكار الآلية التي راودتها حينها؟ وكيف فسرت الموقف؟ فذكرت ما يلي: لقد فضل المسؤول إعطاء الحصص لجماعته لأنني لست منهم، إنهم يفضلون أصدقائهم ولا يعتمدون على معيار الكفاءة إنهم يستغلون طيبتي، فانا لست ممن يطالب بحقوقه ولست من النوع الذي يثير المشاكل لأنني ضعيفة، فلا يأبهون بي ، يدركون بأنني لن أفعل شيئا لهذا ابتعدت وتفرغت لإكمال أطروحة الدكتوراه لإكمالها في فرنسا. وأخذ سنتين عطلة غير مدفوعة الأجر، حملي في خطر أنا لم يتبق لي وقتا لمناقشتها، وأنا اعرف أنهم لن يتفهموا وضعي الصحي، ولن يساعدونني لتأخير موعد المناقشة، ولن يقبلوا طلب تجديدي لسنة أخرى غير مدفوعة الأجر، ويضعني في صيغة التخلي عن المنصب ويتم توقيفي عن العمل. بعد تحديد الأفكار الآلية التي فسرت بها المفحوصة انشغالاتها المقلقة التي تنتابها دون أن تتحقق من صحتها طلبنا منها أن تضع تفسيرات بديلة للمواقف تكون أكثر واقعية فكانت كتالي:

- من الأفضل أن أناقش الموضوع مع مدير المعهد، وأعبر له عن تمسكي تدريس المادة، فقد يكون الأمر غير مخطط له.
- حتى وإن كان مدير المعهد قصد تفضيل جماعته، فعلي أن أدافع عن حقي، وأعبر عن وجهة نظري بكل وضوح.
- فأنا الأكثر كفاءة، بما أنني المتخصصة الوحيدة في هذه المادة في هذا المعهد، وهذا مبرر كافي في المطالبة بأحقيتي في تدريس المادة.
- بما أن المدير لا يعلم شيئا عني منذ حوالي سنتين، ولا يجب أن أسبق الأحداث، ويجب علي إخباره بوضعي الصحي حتى يكون على دراية لماذا أطلب تجديد طلب سنة غير مدفوعة الأجر، ولماذا أطلب تأجيل مناقشة أطروحة الدكتوراه.

وبما أن المفحوصة قد تدربت على تقنية تأكيد الذات وتقنية التعريض، هذا جعلها تقبل المواجهة المدير، استطاعت المفحوصة أن تأكد ذاتها وواجهت المسؤول وعبرت له عن معاناتها السابقة في هضم حقها في التدريس بالرغم بأنها المختصة الوحيدة في الجامعة. والآخرون يدرسون بدون تخصص فيها، كما عبرت

الحالة عن حقها في الحصول على الموافقة في تجديد عطلة سنة غير مدفوعة الأجر وتأجيل موعد المناقشة .بعد سماع مدير المعهد لكلامها أعطاها الحق في تدريس المادة إن هي أرادت التدريس، كما حقق لها ما أرادته من تأجيل المناقشة الأطروحة وطلب تجديد عطلة غير مدفوعة الأجر لها. كما صرح لها بأنها في أي وقت أرادات إلغاء طلب العطلة غير مدفوعة الأجر والعودة للعمل فهذا الأمر متوقف عليها فقط، والأستاذ المدرس لهذه المادة يدرسها بناءا على خبرته العملية فقط، والمشكل فيها، لأنها قبلت بتدريس مادة أخرى ولم تقدم طلب تدريس هذه المادة، اقتنعت بكلام مديرها وشعرت بالراحة بعدما عبرت عن ما يؤلمها. وأصبحت تشعر بأنها تتحكم في مجرى تفكيرها عكس ما كانت عليه السابق. وهذا ساعدها في اتخاذ القرارات بدون تردد، وتعبر عن شعورها فيما تحبه وترفضه، وهذا ما جعلها لا تشعر بأي حيرة عكس ما كانت عليه، وهذا ما جعلها لا تعاني من صعوبات لما تريد الخلود للنوم ولأصبحت أكثر تركيزا في اتخاذ القرارات في حياتها الشخصية والاجتماعية، كما لم تعد تشتكي منا الشعور بالاختناق وصداع المتكرر وتسارع خفقان القلب كالسابق، وحتى الخوف الداخلي بحدوث مكروه ما مستقبلا الذي كان ينتابها من حين لحين لم تعد تشعر به. و في نهاية البرنامج العلاجي طلبنا من الحالة المداومة عليه حتى لا يعاود المرض وتتفادى الانتكاسة، وحددنا لها موعدا بعد مرور ثلاثة أشهر بهدف إجراء حصة المتابعة لتقييم حالتها النفسية، فوجدناها في حالة حسنة ومواظبة على البرنامج العلاجي وهذا أكدته نتائج سلم لهاملتون ماكس (**Max HAMILTON**) للحصر.

2- مناقشة فرضيات الدراسة:

توصلنا في هذه الدراسة على النتائج التالية وقد تم تلخيصها في الجدول التالي:

جدول رقم:3 يوضح نتائج الدراسة مع الحالة "ع" بعد تطبيق اختبار سلم هاملتون **لهاملتون ماكس** (Max HAMILTON)

الأداة	التقييم قبل العلاج	التقييم بعد العلاج	التقييم بعد مرور ثلاثة أشهر من تقديم العلاج
سلم هاملتون **لهاملتون ماكس** (HAMILTON Max)	**43**	**20**	**20**

يتضح من نتائج الدراسة المذكورة في الجدول المذكور أعلاه مدى الأثر الايجابي للعلاج المعرفي السلوكي في خفض أعراض اضطراب الحصر المعمم لدى الحامل المصابة بارتفاع ضغط الدم الحملي، ويرجع هذا التحسن الذي طرأ على الحالة "**ع**" إلى فاعلية البرنامج العلاجي المستخدم في هذه الدراسة،

حيث استهدف البرنامج العلاجي الجانب المعرفي والانفعالي والسلوكي للحالة "ع"، كما احتوى البرنامج العلاجي فنيات مختلفة (تقنية التربية النفسية و تقنية إعادة البنية المعرفية، وتقنية التعريض، وتقنية تأكيد الذات، وتقنية الاسترخاء، وتقنية المراقبة الذاتية، وتقنية الواجب المنزلي) وذلك من اجل تعديل أفكار ومعتقدات الحالة "ع". ويتضح من خلال نتيجة الفرض الأول والتي تقول للبرنامج العلاجي المتمثل في التربية النفسية وإعادة البنية المعرفية والتعريض وتقنية تأكيد الذات والاسترخاء وتقنية المراقبة الذاتية والواجب المنزلي لهم أثر إيجابي في التخفيف من أعراض (الجسمية والنفسية والمعرفية والسلوكية) لاضطراب الحصر المعمم لدى المرأة الحامل بارتفاع ضغط الدم الحملي. وهذا يعني أنه قد حدث تحسن للحالة "ع". بعد تطبيق البرنامج العلاجي، ونتيجة هذه الدراسة تتفق مع ما جاء بالدراسات السابقة ومن تلك الدراسات نذكر دراسة **ارنتز .أ (A. Arntz) (2003:633-646)** والتي أوضحت فاعلية العلاج المعرفي

السلوكي والتدريب على الاسترخاء في علاج مرضى اضطراب لقلق فقد أجريت الباحث دراسته على عينيتين الفئة الأولى تلقت العلاج المعرفي السلوكي والعينة الثانية تلقت التدريب على الاسترخاء، وأظهرت نتائج الدراسة فاعلية البرنامجين بعد الانتهاء من تطبيق، كما أن نتيجة تدريب الاسترخاء أظهرت تحسنا أفضل من العلاج المعرفي السلوكي خلال فترة المتابعة. ومن الجدير بذكر أننا قد استخدمنا العلاج المعرفي السلوكي وفنية التدريب على الاسترخاء لخفض اضطراب الحصر المعمم، وهذا ما يؤكد الأثر الإيجابي للعلاج المعرفي السلوكي المستخدم في هذه الدراسة.

كما تتفق أيضا نتائج هذه الدراسة مع دراسة **لا دوصار روبرت(Robert Ladouceur)** وآخرون (2000) من حيث فعالية العلاج المعرفي السلوكي في خفض درجات القلق لدى المرضى، وتتفق نتائج هذه الدراسة مع دراسة **أوست لاس Lars Oest وآخرون (2000:.790-777)** التي أجريت مقارنة بين التدريب على الاسترخاء والعلاج المعرفي السلوكي في علاج مرضى اضطراب القلق المعمم لثلاثة وثلاثين مريضا، تتراوح أعمارهم ما بين (20-60) سنة، وقد قسمت العينة إلى مجموعتين، المجموعة الأولى دربت على برنامج الاسترخاء، يتضمن 12 جلسة علاجية والثانية مجموعة العلاج السلوكي وتلقت إستراتيجيات العلاج السلوكي وتضمنت 12 جلسة علاجية، مع فترة متابعة لكلا البرنامجين استمرت مدة سنة بعد العلاج، أما الأدوات المستخدمة في هذه الدراسة سلم الحصر هاميلتون ماكس، فقد أثبتت هذه الدراسة فاعلية العلاج المعرفي السلوكي وفنية التدريب على الاسترخاء، وأنه لا يوجد اختلاف في درجة التحسن. مما سبق يتضح أن غالبية الدراسات السابقة قد اتفقت على فاعلية العلاج المعرفي السلوكي في

خفض اضطراب القلق. وعلى ضوء **الفرض الأول** وما وافقه من نتائج دراسات سابقة، تأكد الباحثة أهمية التدخل العلاجي بهدف تعديل الأفكار الخاطئة واستبدالها بأفكار ايجابية، فالعلاج المعرفي السلوكي يشير إلى أهمية إدراك المريض للعوامل المفتعلة المختلفة ولاضطراب القلق وتفسيراتها لها، فالأفكار السلبية تكون السبب في الانفعال الغير الصحيح، وبالتالي تؤدي هذه الأفكار السلبية إلى توقع نتيجة غير مفرحة ستحدث مستقبلا، ويعتبر العلاج المعرفي السلوكي غني بفنياته المتعددة التي تسمح للمعالج انتقاء ما يناسب طبيعة السلوك المضطرب والمطلوب تعديله.

وتشير نتيجة **الفرض الثاني** إلى أن العلاج المعرفي السلوكي يقي من الانتكاسة، ويحافظ على استمرارية التأثير الايجابي والفعال للبرنامج العلاجي، وهذا ما جعلها تحافظ على نفس الدرجة في القياسين البعدي والتتبعي، إن ثبات التحسن إلى ما بعد ثلاثة أشهر من انتهاء البرنامج العلاجي (فترة المتابعة)، وعدم حدوث انتكاسة يؤكد فاعلية هذا الأسلوب العلاجي، حيث تتفق نتيجة هذه الدراسة مع الدراسات السابقة مثل دراسة **ميكال ديقاز (Michel Dugas) وآخرون (2003)** حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى فاعلية العلاج المعرفي السلوكي الجماعي في علاج اضطراب القلق المعمم، وأظهرت نتيجة هذه الدراسة فاعلية هذا الأسلوب العلاجي بعد انتهاء البرنامج، وبعد الانتهاء من فترة المتابعة. ومن خلال هذه الدراسة والدراسات السابقة يتضح مدى الأثر الايجابي للعلاج المعرفي السلوكي في خفض اضطراب الحصر المعمم لدى الحامل المصابة بارتفاع ضغط الدم الحملي، فالعلاج المعرفي السلوكي يركز على إعادة البناء المعرفي والأطر التخطيطية لاكتساب الحالة "ع" الإدراك الصحيح للاضطراب النفسي والذي هو إلا نتيجة لتفسيرها الخاطئ للأمور بطريقة خاطئة، وبالتالي تكون قادرة على مواجهة الصعوبات مستقبلا. وأظهرت نتائج هذه الدراسة تحسنا ملحوظا لكلا البرنامجين العلاج السلوكي والعلاج بالاسترخاء، ولا يوجد بينهما اختلاف في درجة التحسن. فعلى العموم نجح البرنامج العلاجي لهذه الدراسة مع الحالة ع خلال 16 جلسة علاجية واستمر هذا نجاح حتى بعد مضي ثلاثة أشهر من العلاج، وهذا ما أظهر أثره الايجابي في خفض درجات الحصر التي قيست بالسلم المذكور أعلاه. وتراجعت من جهة أخرى الأفكار السلبية وتعلمت الحالة "ع" استعمال التقنيات العلاجية في تعديل الأفكار والمعتقدات التي ساعدتها فهم المخططات الذهنية وفهم الاضطرابات النفسية وحلها. ولقد توافقت نتيجة دراستنا الحالية مع ما توصلت إليه دراسة **قولد ومساعديه (Gould et ces collaborateurs) (2004 :265-292)**" والذين تبين لهم أن العلاج المعرفي السلوكي يكسب المريض من الكفاءة للبحث في عمق النماذج المعرفية الواقعة من اجل فهم الآليات النفسية المعنية، ليستخدمها لعلاج اضطراب الحصر المعمم ، فهو يقيم التغييرات التي تعزى

إلى مكون علاجي معين (على سبيل المثال علاج الأفكار السلبية بتقنية التعريض تساعد في حل المشاكل وهذا يؤدي للاسترخاء).

IV- الخلاصة:

هذه الدراسة نفسية علاجية عملية إلى أقصى حد، بات واضحا بعد تقديم نموذجا لدراسة حالة أن البرنامج العلاجي المعرفي السلوكي فعال وهولا يستغرق وقت كبير في القضاء أو تخفيف أعراض اضطراب الحصر المعمم، فهو برنامج علاجي يعمل على تعليم وتدريب المصابة باضطراب الحصر المعمم في الكشف عن أفكارها السلبية ثم ساعدناها في معرفة مخططات سوء التوافق مع نفسها والآخرين لتحديد المشكل، ثم وجهناها للبحث عن وجهات نظر بديلة الأكثر واقعية باستعمال المهارات المعرفية والسلوكية المناسبة، بهدف التخفيف أو إطفاء الأعراض المرضية، وفي الأخير استعادت الحالة "ع" توافقها مع ذاتها والآخرين من جديد. وكانت مشاركة الحالة "ع" جد فعالة في استيعاب وتفعيل الأساليب العلاجية، ويرجع السبب في ذلك لارتفاع دافعتيها وشعورها بالمسؤولية نحو التقدم في العلاج، فأظهرت قدرة كبيرة على مواجهة الصعوبات خلال كل فترات العلاج، كما استمرت على هذه الحالة حتى بعد مضي ثلاثة أشهر من تطبيق العلاج، حيث صرحت لنا الحالة "ع" عن وجود تغير في حالتها النفسية نحو الأحسن عكس ما كانت عليه سابقا، فلم تعد تشتكي من وجود الأعراض الجسمية والنفسية والمعرفية والسلوكية التي كانت تعاني منها سابقا. فلقد ساعدها البرنامج العلاجي في إعادة بناء البنية المعرفية من خلال إدراكها لأفكارها السلبية التي كانت تسيطر عليها ولا تستطيع التخلص منها،بأفكار أكثر واقعية، وهذا جعلها أكثر قدرة على تفسير المواقف التي تمر عليها بطريقة أفضل مما قلل لديها الشعور بالقلق والانشغال الفكري وكذلك قل لديها الشعور بالتهديد وعدم الأمن وتوقع حدوث مكروه مستقبلا، كما أصبحت الحالة "ع" تعبر عما يجول في خاطرها وهذا ساهم في ضبط انفعالاتها والتحكم فيها والسيطرة عليها وجعلها أكثر هدوءا واستقرار من السابق.

V – مقترحات الدراسة:

- يجب أن تعالج الاضطرابات النفسية التي تعاني منها المرأة في فترة الحمل بالعلاج النفسي وليس بالعلاج الطبي الذي له آثار سلبية على الحامل وطفلها مستقبلا.
- استثمار البرنامج العلاجي المقترح والذي أثبت فعاليته في معالجة اضطراب الحصر المعمم لدى الحامل المصابة بارتفاع ضغط الدم الحملي واستخدامه كدليل تطبيقي في معالجة الحالات المشابهة للحالة المختارة في هذه الدراسة

- إجراء دراسات نفسية تتبعيه لفترات طويلة من ستة أشهر إلى سنة وأكثر للحالات المصابة بالاضطرابات النفسية بجميع أشكالها لمعرفة مدى استمرار فعالية العلاجات النفسية المختلفة بما فيها العلاج المعرفي السلوكي على المدى البعيد.

قائمة المـــــراجـــــع:

1- American Psychiatric Association**(1994) :Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorder,4th** Edition,Washington:Auther,p :435-436

2-Arntz.A (2003) : **Cognitive Therapy Versus Applied Relaxation as treatment of generalized Anxiety Disorder**, Behaviour Research and therapy vol 41 (6)636-646.

3-Besançon Guy(1993) **:Manuel de psychopathologie :anxiété, dépression et psychopathologie du corps,**1erédition Dunod **,**Paris ,p :39-41

4-Cottraux Jean(2001) : **Les thérapies cognitives et comportementales** , 3 éme Edition Masson, p 12.

5-Doron Jack (2001) :**La méthode du cas en psychologie clinique et en psychopathologie**, 1erédition Dunod **,**Paris ,p :171.

6- Danny Gagnon :**Respiration diaphragmatique**-PDF09/06/2018, **WWW.CSCP.Montreal.cas**

7- Fontaine Ovide ,Fontaine Philippe(2007) :**Guide de comportementale et cognitive**, édition RETZ ,Paris, p :225 -341

8-Gould R.A,Safren S.A,Washington O.D,Otto M.W (2004) :**A meta- analytic review of cognitive**- behavioral treatments dans Heimberg R.G,Turk C.L et Mennin D.S(dir), **Generalized Anxiety Disorder**, New York, The Guilford Press,pp:265-292

9- Heron Jean, Oconnor J, Evans J ,Grolding and Lover G(2004) : **The course of Anxiety and depression through pregnancy and the post partum in a Community Sample**, Journal of Affective Disorders,80,(1):p:65-73.

1**0-**Ost Lars ,Goran, Breithitz, w, Elisabethil, H.C (2000):**Applied Relaxation vs. Cognitive Behavioral in the treatment of GAD.** Behavioral Rend therapy research and therapy United States of America,,vol38 (18),pp:777-790.

11- Lee.A.M.SK Lands' Sze.Mun Lau .C.S. Chong H.W.CHUI D.Y.Fong(2007) : **Prevalence ,course and risk factors antenatal anxiety and depression.Obstet gynecol,**110(5),p:1102-111

12- Michel Dugas, La douceur Robert E Leger Eliane Roy Landry, Freeston Mark H, Langolis Frederic MDProvencher; Martin, D, Boisvert Améda, Jean Marie (2003) **: Group Cognitive Behavioural Therap for Generalized Anxiety Disorder treatment Outcone and Long, follow- up**. Journal of Consulting and Clinical psychology vol 71 (4) 821-825.

13-Robert Ladouceur, Dugas Michel, J Feeston Mark, H Leger, E lianc, Gagnon Fabien, Thibodeau, Nicole (2000): **Efficacy of a Cognitive Behavioural treatment for Generalized Anxiety Disorder.** Evaluation in a controlled Clinical Psychology vol 68 (6) 957-964.

14- Teixeira C., B. Figueiredo, A. Conde, A. Pacheco, and R. Costa (2009)**: Anxiety and depression during pregnancy in women and men**. J Affect Disord,. **119**(1-3): p142-8.

15-Thalassinis .M, Rouillon.F, Engelmann.P, Lemperiere.T(1988) : **Etude des relations entre données gynéco-obstétricales et troubles psychiques de la grossesse et du poste**

partum, Journal de gynécologie obstétrique et biologie de la reproduction, Editions Masson, p :17.

إشكال الموضوعية في العلوم الإنسانية "بين المعوقات والحلول"

الباحث/ مخطار ديدوش محمد ـ جامعة الجزائر 2.

الملخص:

إن العلوم الإنسانية متعددة ومتنوعة اهتم كل علم منها بدراسة جانب معين من جوانب الإنسان. فعلم النفس تناول العمليات النفسية والعاطفية. وعلم الاجتماع اختص بدراسة العلاقات والروابط الاجتماعية التي تنظم وتؤطر سلوك الإنسان. أما علم التاريخ فاهتم بدراسة الأحداث الماضية ومدى تأثيرها في حياة الإنسان. هذه العلوم عانت منذ ميلادها في القرن التاسع عشر من مشكلة معقدة تمثلت في مدى إمكانية تحقيق الموضوعية في نتائج أبحاثها. وهذه المشكلة تكمن صعوبتها في ارتباطها بالدارس والمدروس معا وفي آن واحد.كما ترجع أيضا إلى رغبة هذه العلوم في بلوغ الدقة واليقين الذي بلغته العلوم الطبيعية التي أصبحت معيار تقاس عليه علمية باقي الأبحاث والدراسات. ولن يتحقق ذلك إلا بتحقيق قدر معين من الموضوعية.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإنسانية، الموضوعية، العوائق، الحلول.

Résumé :

Les sciences humaines sont multiples et diverses, chacune d'elles s'occupe à l'étude de l'un des aspects de l'homme, la psychologie traite les faits psychiques et émotionnels, la sociologie étudie les relations et les liens sociaux organisant et encadrant le comportement de l'homme, quant à l'histoire, son objet est les faits passés et ses impacts sur l'homme, ces sciences ont connu depuis leur apparition au XIX siècle des difficultés complexes savoir dans quelle mesure réaliser l'objectivité dans ses recherches, cette difficulté est liée au sujet et à l'objet ensemble et simultanément, liée en outre à la volonté de ces sciences à atteindre la précision et l'exactitude à l'instar des sciences naturelles qui deviennent un critère de mesure de scientificité des autres recherches et études. Cela ne peut se réaliser que par une part d'objectivité.

Motsclés: sciences humaines, Objectivité, Obstacles, Solutions

مقدمة:

يقصد بالعلوم الإنسانية تلك العلوم التي اختصت بدراسة الظاهرة الإنسانية في أبعادها المختلفة النفسية والاجتماعية والتاريخية. فموضوعها هو الإنسان، ذلك الكائن الفريد من نوعه، العاقل والمفكر

وصاحب السلوك القصدي والواعي، والذي يتمتع بدرجة من الحرية، تتعثر معها إمكانية التنبؤ بتصرفاته وأفعاله وسلوكياته.

العلوم الإنسانية متعددة ومتنوعة اهتم كل علم منها بدراسة جانب معين من جوانب الإنسان. فعلم النفس تناول العمليات النفسية والعاطفية. وعلم الاجتماع اختص بدراسة العلاقات والروابط الاجتماعية التي تنظم وتؤطر سلوك الإنسان. أما علم التاريخ فاهتم بدراسة الأحداث الماضية ومدى تأثيرها وأهميتها في حياة الإنسان.لقدعانتهذه العلوم منذ ميلادها في القرن التاسع عشرمنتخلفها النسبي عن العلوم الطبيعيةالتي أصبحت معيار تقاس عليه علمية باقي الأبحاث والدراسات، نظرا لما بلغته من دقة ويقين في دراستها للظواهر الطبيعية. هذا التأخر النسبي دفع بالباحثين المشتغلين في مجال العلوم الإنسانية إلى محاولة تدارك ذلك وبلوغ مستوى العلوم الطبيعية،ولن يتأتى ذلك إلا بتحقيق قدر معين من الموضوعية في دراسة الظواهر الإنسانية. ولكن إذا كان ذلك ممكن في مجال العلوم الطبيعية لأنها تتعامل مع مادة جامدة، سهلة الملاحظة وقابلة لتكرار التجربة، فإن الأمر يختلف في مجال العلوم الإنسانية فالباحث أو الدارس هو نفسه الموضوع. ومن هنا اختلفت الآراء وتباينت وجهات النظر بين المفكرين والعلماء في مجال العلوم الإنسانية بين من يرى إمكانية تحقق شرط الموضوعية في دراسة الظواهر الإنسانية، وبين من يرى عكس ذلك. ومن هنا نطرح الإشكال التالي: هل تحقيق الموضوعية في الدراسات الإنسانية أمر ممكن أم متعذر؟ فيما تكمن معوقات تحقيقها؟ ما هي سبل أو طرق تجاوز هذه المعوقات؟.

مفهوم الموضوعية (OBJECTIVITY):

مصطلح الموضوعية في معاجم وقواميس اللغة مشتق من كلمة "الموضوع Object" من الفعل اللاتيني "أوبجباكتاري objectary" ومعناه يعارض أو يلقي أمام، المشتق من فعل "جاكري Jacere" بمعنى "يُلقى بـ" و "أوب Ob" بمعنى ضد."[1] والموضوعي عند أندريه لالاند هو ما يقابل الذاتي، أي "ما يشكل موضوعا، غرضا، هدفا، حقيقة قائمة بذاتها أي بمعزل عن كل معرفة أو فكرة."[2]

أما إذا رجعنا إلى مفهومها في اصطلاح المفكرين والعلماء فإننا نجد تعريفات عديدة تختلف باختلاف المفكرين أنفسهم وبتعدد الاتجاهات والمذاهب والتيارات الفكرية.

---

[1] _ عبد الوهاب المسيري، الموضوعية والذاتية، الرابط:
http://www.khayma.com/almoudaress/takafah/maoudoia.htm

[2] _ أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني H _Q تعريب: خليل أحمد خليل، تعهد: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص 891.

يعرفها فتحي الشنيطي بقوله:« إن الموضوعية تعني الالتزام بالمنهج العلمي بالاستناد على الملاحظة الدقيقة والاستقراء علاوة على إجراء التجربة المحكمة مما يمنح الدراسة صفة العلمية.»[1]

يعرفها جيبسون بأنها:« ما ينتج عن التأثير المناوئ للاستخدام السليم للشواهد والبينات المتاحة للباحث، وهو تأثير دوافع الشخص وعرفه وقيمه وموقفه الاجتماعي، فأن تكون موضوعيا معناه ألا تتأثر بدوافعك وعرفك وقيمك وموقفك الاجتماعي.»[2]

يراد بالموضوعية عند توفيق الطويل « معرفة الأشياء كما هي في الواقع لا كما نشتهي ونتمنى أن تكون، ومن ثم يقتضي منهج البحث العلمي، أن يتجرد الباحث من أهوائه وميوله ورغباته حتى يصبح موضوع البحث واحدا في نظر جميع مشاهديه.»[3]

يعرفها يحي هويدي بقوله:« الموضوعية التي يقصدها العلم هي موضوعية الوقائع العلمية التي تظهر من خلال الأجهزة والمقاييس والموازين. وهي كذلك الموضوعية التي تظهر في المعمل الكيميائي بعد التحليل والتركيب.»[4]

تستنتج من هذه التعريفات أن الموضوعية تعني الابتعاد عن كل عوامل الميل والتحيز والأهواء والعاطفة والإيديولوجية. فمن أجل أن يكون الباحث موضوعيا عليه الاستناد على العقل في النظر إلى الأشياء والظواهر على ما هي عليه في الواقع، وذلك باعتبارها ذات وجود مادي خارجي مستقل بذاته عن إرادة ووعي الباحث أو الدارس. فالموضوعية تعني البعد عن الذاتية والالتزام بالحقائق الواقعية.

إن مفهوم الموضوعية في العلوم الإنسانية يحمل معاني ودلالات مختلفة، قيمية ومعرفية ونفسية وثقافية.[5] فدلالتها الأكسيولوجية تعني اعتبار الموضوعية تجردا عن كل حكم من أحكام القيمة. أما الدلالة الابستيمولوجية فتُعنى بالصلة والعلاقة التي تربط بين الذات العارفة والموضوع المعروف.والدلالة السيكولوجية فيقصد بها متى كانت الموضوعية تشخيصا لأثر العوامل والدوافع النفسانية في تشكيل المعرفة. وأخيرا الدلالة الثقافية التي تشير إلى الاتفاق حول المعايير والتدابير السائدة في مناخ فكري معين عند بحث موضوع الدراسة.

---

[1] _ فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، 1970، ص 171،172.

[2] _ نقلا عن/ صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون طبعة، 2007، ص 65،66.

[3] _ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 3، 1958، ص 142.

[4] _ يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 9، 1989، ص 53.

[5] _ علي معمر عبد المومن، البحث في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة 7 أكتوبر، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2008، ص 99،100.

أما بالنسبة لمستويات دراسة الموضوعية في العلوم الإنسانية، فإننا نجد مستويين اثنين هما:

أولا/المستوى الأنطولوجي: وهو مستوى يتصل بالنظرية العلمية، إذ يتمفي إطاره مناقشة "دعاوى أصحاب النزعة الموضوعانية Objectivism والنزعة الذاتية Subjectivism فيما يتعلق بإمكانية وجود وقائع مستقلة خارج العقل."[1] فلكل طرف وجهة نظره الخاصة وله من الأدلة والبراهين ما يدافع به عن تصوراته.

ثانيا/ المستوى الميتودولوجي: هو مستوى متعلق بالمنهج المتبع في الدراسة،وفيه "يتفاوت تقدير آثار التحيز _بدلالاته المتباينة_ في بحث الإنسان والمجتمع، وتتمايز أساليب الدراسة ومناهجها."[2]

انطلاقا من هذه الدلالات والمستويات المختلفة لمفهوم الموضوعية يستطيع الباحث تكوين موقفه الخاص من قضية إمكان تحقق الموضوعيةفي العلوم الإنسانية أو تعذرها.

معوقات وصعوبات الموضوعية:

هناك العديد من المعوقات التي تقف حائلا أمام تحقيق شرط الموضوعية في الأبحاث والدراسات الإنسانية. وهي معوقات ترتبط بالباحث (الدارس) كما ترتبط بالموضوع (المدروس)، نذكر منها:

_ حضور وطغيان العنصر الذاتي لدى الباحثين أثناء إجرائهم لأبحاثهم ودراساتهم. فلكل باحث فكرة أو موقف أو إيديولوجية يعتنقها، تؤثر لا محالة في قراراته وتوجهاته ونتائج أبحاثه.

_ تعقيد الظواهر الإنسانية وتعددها وتغيرها، وذلك راجع لارتباطها بالفرد والمجتمع. فهؤلاء يختلفون عن بعضهم البعض من الناحية النفسية والاجتماعية، كما أنهم يتأثرون بجملة من الظروف والعوامل كالعادات والتقاليد ونظم الحكم والسياسة. وهذا ما يصعب من مأمورية الباحث في الوصول إلى أحكام موضوعية نهائية ومطلقة، ويتعذر معها إمكانية تعميمها.[3]وبالتالي صعوبة التنبؤ بحدوثها مرة أخرى.

_ تأثر الدارس بالمدروس لأنه جزء منه، وهنا يقوم بإسقاط أفكاره وتصوراته ومواقفه الفكرية والإيديولوجية على الظاهرة الإنسانية. مما يؤدي إلى انتفاء الحياد والنزاهة والأمانة العلمية.[4]

_ صعوبة الفصل بين الذات الدارسة والموضوع المدروس في مجال العلوم الإنسانية، "فالباحث جزء من الظاهرة الملاحظة يؤثر ويتأثر بها سواء على مستوى الوضع العائلي أو جنسه، أو وضعه الطبقي، أو الوضع الاجتماعي، أو الانتماء القومي، أو الطائفي، أو فكره السياسي أو الاجتماعي. كل ذلك يحد من

---

[1] _ صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص 70.

[2] _ المرجع نفسه، ص 70.

[3] _ إبراهيم أبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 1، 2009، ص 84.

[4] _ عبد المومن بن صغير، الصعوبات التي تعترض الباحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وحدود الموضوعية العلمية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، مركز جيل البحث العلمي، أكتوبر 2013، ص 33.

ضمان نقاء الوعي أو حياده بالمعنى العلمي."[1] فالباحث هنا يصدر أحكاما انطلاقا من هذه الأوضاع التي تعبر عن رؤيته هو للظاهرة المدروسة.

_ خصوصية الظاهرة الإنسانية وتفردها فهي تتميز بأنها معقدة، نسبية، واعية، ومتغيرة باستمرار. مما يؤدي إلى صعوبة الوصول إلى نتائج دقيقة في دراستها، وهذا ما قد يسبب للباحث قلقا وهماً قد يدفع به إلى التسرع في إصدار أحكام عشوائية ومرتجلة. فتغيب موضوعية ومصداقية الأحكام والنتائج المتوصل إليها.[2]

إمكان الموضوعية وتعذرها في العلوم الإنسانية:

لقد استطاعت العلوم الطبيعية في دراستها وأبحاثها إحراز وتحقيق قدر كبير من الموضوعية جعلها تتصدر قائمة العلوم من حيث الدقة وصحة التنبؤات، وهذا راجع لاستقلال وانفصال المواضيع المدروسة عن الذات الدارسة. أما من جهة العلوم الإنسانية فالأمر مختلف وجد معقد، لأنه يتعلق بنوعية الظواهر والمواضيع المدروسة (الإنسان) فهي معقدة ومتشابكة تتداخل فيها الذات الدارسة بالموضوع المدروس. لذا عرفت إشكالية الموضوعية في العلوم الإنسانية مواقف علمية وآراء فلسفية مختلفة، يمكن تقسيمهما إلى اتجاهين أو موقفين رئيسيين: موقف مؤمن بإمكانية التزام الباحث بها وتحققها، وموقف ينكر ذلك ويقر بتعذرها.

الاتجاه الأول:

يرى أنصار هذا الاتجاه أنه بالرغم من تعقيدات وتغيرات الظواهر الإنسانية إلا أن دراستها دراسة موضوعية أمر ممكن وقابل للتحقق. فهذا أوغست كونت (1798_ 1857) يرى أن دراسة الظواهر الإنسانية دراسة موضوعية أمر ممكن. " شريطة أن يتحرر الباحث من كل التصورات اللاهوتية والميتافيزيقية، لأنها تنتمي إلى مرحلة لم تعمل إلا على عرقلة العلم، وبالتالي فالمرحلة الوضعية تمكن الباحث من خلال مناهجها وتقنياتها، من تفسير وتحليل الظواهر الإنسانية عموما والاجتماعية خصوصا."[3] كما يدعو كونت المشتغلين في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى ضرورة التعامل مع الظواهر الإنسانية بنفس الطريقة والكيفية التي تعامل بها الظواهر الطبيعية في العلوم الفيزيائية والكيميائية. بعبارة أخرى الدعوة إلى إخضاعها للمنهج التجريبي بخطواته المعروفة: ملاحظة، فرضية،

---

[1] _ إبراهيم أبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 87.

[2] _ عبد المومن بن صغير، الصعوبات التي تعترض الباحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وحدود الموضوعية العلمية، مرجع سابق، ص 33.

[3] _ الزاهيد مصطفى، العلوم الإنسانية ومشكلة الموضوعية، جريدة الشرق الأوسط، لندن، الخميس 24 مارس 2016. الرابط: https://aawsat.com

تجربة، وأخيرا قانون عام. فتطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الإنسانية سيؤدي حتما إلى تحليل موضوعي ونتائج موضوعية.

في نفس هذا الاتجاه نجد أيضا المفكر إميل دوركايم (1858_ 1917)الذي يؤكد على إمكانية بلوغ الموضوعية في الأبحاث الإنسانية، وذلك من خلال النظر إلى الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء مستقلة عن الذات التي أنتجتها، أي النظر إليها من الخارج. فالظواهر الاجتماعية موجودة خارج شعور الأفراد، لها قوانين خاصة تخضع لها في تطورها. كما أنها أسبق في الوجود من الفرد. يقول في ذلك: «فإني حين أؤدي واجبي كأخ أو زوج أو مواطن، وحين أنجز العهود التي أبرمتها أقوم بأداء واجبات خارجية حددها العرف والقانون. وعلى الرغم من أن هذه الواجبات لا تتعارض مع عواطفي الشخصية، وعلى الرغم من أنني أشعر بحقيقتها شعورا داخليا، فإن هذه الحقيقة تظل خارجة عن شعوري بها. وذلك لأني لست أنا الذي ألزمت نفسي بها ولكني تلقيتها عن طريق التربية.»[1] هذا الوجود المستقل للظاهرة الاجتماعية هو ما يكسبها صفة الموضوعية.

إن الهدف من اعتبار الظواهر الاجتماعية أشياء هو "التخلص من طريقة تحليل المعاني الشائعة والأفكار غير الممحصة، لأن المعاني العامة التي يتداولها الناس بصدد الظواهر الاجتماعية نشأت بطريقة غير علمية. لذا فهي لا تعبر تعبيرا صادقا عن حقيقة هذه الظواهر."[2] فهذه المعاني العامة ظهرت حسبه لتلبي بعض الحاجات والأغراض التي لا تمت بأي صلة للعلم. هذا ويضيف دوركايم أن على عالم الاجتماع أن يتخلص من كل فكرة سابقة سواء في تحديد موضوعه، أو في البرهنة على صدق النتائج المتوصل إليها. ذلك أن التحرر من تلك الأفكار هو أساس كل طريقة أو بحث علمي.[3] فتدخل الأهواء والأفكار السابقة معناه حضور الذاتية، وهذا ما ينفي الموضوعية عن البحث. فلا موضوعية بدون حياد وبدون فصل الذات عن الموضوع.

يرى ماكس فيبر(1864_ 1920) أن تحقيق الموضوعية في العلوم الإنسانية بشكل مطلق أمر غير ممكن، ولكن هذا لا يعني عدم تحققها نهائيا، فهو يؤمن بتحققها ولو بشكل نسبي شريطة أن يلتزم عالم الاجتماع اتخاذ موقف محايد اتجاه نسق القيم. وهو مبدأ اطلق عليه اسم"مبدأ التحرر من القيم."

---

[1] _ إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة: محمود قاسم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 2، 1988، ص 51.

[2] _ محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،ط 2، 1953،ص 336.

[3] _ إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 97.

فرغم أن فيبر يعترف بأن علم الاجتماع يتطرق بالدراسة للأحكام القيمية* للأفراد في علاقاتهم مع بعضهم البعض. إلا أن هذا لا يعني أن على الباحث إصدار أحكام قيمية على ما يدرسه من أحكام قيمية للآخرين. بل على العكس من ذلك، فلكي تتسم دراسته بالموضوعية عليه تجنب إصدار تلك الأحكام التي تصف الظواهر والعينات الاجتماعية بأنها صحيحة أو خاطئة.[1] انطلاقا من ذلك قام فيبر بالتمييز بين أحكام القيمة وأحكام العلم، بحيث يرى أن مهمة عالم الاجتماع لا تكمن في إصدار أحكام قيمية أو تحديد مقاصد اجتماعية. أما رجل العلم فمهمته في البحث العلمي تقتضي منه التجرد والبعد عن الميول الشخصية والنزعات الذاتية والأحكام القيمية. يقول في ذلك:« إن اتخاذ موقف سياسي، هو شيء، والقيام بتحليل علمي للبنيات السياسية، وموقف الأحزاب هو شيء آخر.»[2] وبالتالي على الباحث أن يكون على وعي بهذه الأحكام حتى لا يخلط بينها ويقدم التصور الصحيح والسليم عن الواقع.

الاتجاه الثاني:

يرى هذا الاتجاه أن إمكانية تحقق الموضوعية في الدراسات الإنسانية، والتزام الباحث بها أمر متعذر. وهذا نظرا لأن موضوع الدراسة هو الإنسان، وبالتالي فهو الدارس والمدروس معا. وعليه فإن أي "باحث مهما ادعى العلمية والموضوعية، ومهما التزم بالقواعد الصارمة للمنهج العلمي، فإنه بوعي أو بدون وعي سيجد نفسه يعبر عن واقع ما، يؤيده، أو يرفضه، وحتى وإن اتخذ موقفا محايدا في قضية مختلف بشأنها، فإن حياده يعد موقفا بحد ذاته."[3] فمن أنصار هذا الاتجاه نجد لوسيان غولدمان(1913 _ 1970) الذي يرى بأن العلوم الإنسانية عاجزة وغير قادرة على تحقيق الموضوعية في أبحاثها، وذلك نظرا لحضور الميول الفردية والأحكام القبلية للباحث أثناء دراسته للظواهر الإنسانية. ففي كتابه "العلوم الإنسانية والفلسفة" قام بتوضيح الفوارق ودرجة الاختلاف بين شروط عمل الفيزيائي والسوسيولوجي. والاختلاف المقصود هنا "ليس اختلافا في الدرجة، بمعنى من هو الأكثر علمية من الآخر: العلوم الفيزيائية أم السوسيولوجية؟ بل هو اختلاف في الطبيعة. فطبيعة الميدان الذي يشتغل فيه الفيزيائي، ليس هو الميدان الذي يشتغل فيه السوسيولوجي. فالفيزيائي في اشتغاله يصطدم فقط بالموضوع المدروس. بينما الباحث السوسيولوجي يصطدم بأبعاد متعددة، إيديولوجية وسياسية وطبقية ومصالح، ما يجعل العلوم

---

* _ حكم القيمة يعني تفضيل الباحث أو العالم لرأي أو سلوك أو ظاهرة عن غيرها من الظواهر. وهذا التفضيل ليس وصفا لواقع معين، بل هو تصور لما يجب أن يقوم به الأفراد.

[1] _ غسان زكي بدر، الموضوعية في أبحاث علم الاجتماع، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الرابع، جامعة قطر، قطر، 1981، ص 89.

[2] _ نقلا عن/ إبراهيم أبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 90.

[3] _ المرجع نفسه، ص 89.

الإنسانية حقلا للصراع الإيديولوجي، ما يفرز تعدد المقولات والمفاهيم.وهي كلها عوائق ابستيمولوجية تسد الطريق أمام الفهم الموضوعي للموضوع المدروس."[1] هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك فرق آخر بينهما يتمثل في صياغة القوانين وتعميمها، فهذا الأمر ممكن وسهل في العلوم الفيزيائية، مما يسمح بالتنبؤ بحدوث الظواهر مستقبلا. أما في مجال الظواهر الإنسانية فنظرا لتعقيداتها وتغيراتها المستمرة فإن إمكانية التنبؤ بها أمر صعب للغاية.

يتفق ميشال فوكو (1926_ 1984) مع غولدمان في صعوبة تحقيق الموضوعية في دراسة الظواهر الإنسانية، ويرجع ذلك إلى صعوبة موضوعية الظاهرة الإنسانية نظرا لخصوصيتها وتعقدها، وأيضا لتعدد جوانبها وأبعادها النفسية والاجتماعية والدينية والتاريخية والسياسية والاقتصادية. مما يجعل منها موضوع لعدة علوم وليس علم واحد. إضافة إلى ذلك ترجع صعوبة موضوعية الظاهرة الإنسانية إذا ما قارناها مع الظاهرة الطبيعة، أن الثانية (الظاهرة الطبيعية) تتميز بالبساطة وسهولة الملاحظة والتجريب وتكرارهما. أما الظاهرة الإنسانية فهي غير قابلة للتكميم والتحديد وتكرار الملاحظة والتجربة.

إذا أخذنا علم الاجتماع كنموذج للعلوم الإنسانية والاجتماعية، فإننا نجد نفس الشيء، أي تعذر بلوغ الموضوعية في دراساته. فكارل بوبر (1902_ 1994) يرى أنه من الصعب على عالم الاجتماع أن يكون موضوعيا في دراسته للظواهر الاجتماعية.فلو فرضنا أن الحق هو مقياس الموضوعية، وأن العالم يقول الحقيقة، فإن ذلك يبقى نسبيا."فبالرغم من أنه قال الحق، فلسنا نستطيع أن نزعم بأنه لم ينحرف عن الموضوعية العلمية، وذلك لأنه حين تنبأ بما تنبأ به (وجاء المستقبل مؤيدا له) قد يكون عمل على الاتجاه بالحوادث في الوجهة التي يفضلها شخصيا."[2] ثم يضيف أيضا:« قد تكون غاية العالم الاجتماعي طلب الحقيقة، ولكنه في الوقت نفسه لا بد من أن يؤثر في المجتمع تأثيرا من نوع محدد. وهذا التأثير الناتج فعلا عن أقواله هو عينه الذي يبدد موضوعيتها.»[3] ومن جهة أخرى يرى العديد من علماء الاجتماع أن تحقيق الموضوعية في علم الاجتماع أمر صعب، ذلك لأن العلوم الاجتماعية متداخلة ومتشابكة مع بعضها البعض، بحيث يصعب على الباحث في إطارها أن يفصل بين مجالات العلم، السياسة، الاقتصاد، الاجتماع، الأخلاق، والدين.كما أنه لا يستطيع أن يفصل بين البحث الاجتماعي والمنفعة أو المصلحة الاجتماعية، من منطلق أنه لا يوجد علم من أجل العلم فقط، فهذه غاية

---

[1] _ الزاهيد مصطفى، العلوم الإنسانية ومشكلة الموضوعية، مرجع سابق.
[2] _ كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، ترجمة: عبد الحميد صبره، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، بدون طبعة، 1959، ص 26.
[3] _ المرجع نفسه، ص 26.

مثالية، بل يوجد العلم من أجل تحقيق منافع ومصالح للمجتمع وحل مشكلاته. بالإضافة إلى ذلك إن أي باحث اجتماعي يعمل في اطار مجتمع معين له إيديولوجية ومصالح وقيم وأهداف معينة يسعى لتحقيقها، وعندما يلتزم الباحث بهذه القيم، والمصالح يكون قد خرج عن الموضوعية.كما أن هذا يؤدي إلى قصر نتائجه على المجتمع الذي يقوم بدراسته، وبالتالي فهي غير ملزمة أو ضرورية لمجتمعات أخرى، وهنا يغيب الشرط العلمي المتمثل في التعميم، فتصبح تلك النتائج نسبية المكان والزمان.[1]

سبل تجاوز معوقات الموضوعية:

_ إن القول بتعقد الظاهرة الإنسانية وتغيرها هو سبب تعذر الموضوعية، راجع إلى حداثة الدراسة العلمية للظواهر الإنسانية. وعليه فإن زيادة الدراسات العلمية وإخضاع الظواهر الإنسانية لمناهج جديدة سيساهم في تراكم المعرفة حولها، وفهم أوسع لها،[2] وبالتالي إمكانية تفسيرها والتنبؤ بها. وهذا ما حدث في بدايات القرن العشرين أين قطعت العلوم الإنسانية شوطا كبيرا من التقدم وحققت فيه نجاحات باهرة ساهمت في تحديد موضوعاتها وصياغة مفاهيمها ومصطلحاتها، وأيضا استحداث مناهج جديدة كالمناهج الإحصائية والقياسات العددية، وإجراء اختبارات وتجارب ميدانية، ووضع الأسئلة والاستبيانات والمقابلات.[3]

_ لقد قام واطسون (1878_ 1958) باستبدال وتحويل اهتمام الدراسات النفسية من التركيز على الشعور إلى الاهتمام بالسلوك. وهذا نظرا لكون هذا الأخير قابل للتجسد الخارجي من خلال الفعل ورد الفعل، وبذا أصبح للظواهر النفسية بعد خارجي قابل للملاحظة والتجريب والتحليل الموضوعي. لعل أفضل برهان على ذلك التجربة التي قام بها العالم الروسي إيفان بافلوف (1849_ 1936) على الكلب. حيث تحولت استجابة الكلب بسيلان اللعاب عند سماع الجرس من استجابة طبيعية إلى استجابة شرطية. ومع تكرار التجربة أصبح نفس المنبه (قرع الجرس) يعطي نفس النتيجة (سيلان اللعاب). وهذا ما يعني أن شرط التنبؤ أصبح ممكنا. كذلك الأمر بالنسبة للإنسان، فالبيئة الخارجية التي يعيش فيها الأفراد هي التي تحدد نوعية وطبيعة سلوكياتهم المكتسبة.[4] وعليه فإن الدراسة الدقيقة الظروف والعوامل الخارجية المحيطة بالأفراد ستؤدي حتما إلى إمكانية التنبؤ بأفعالهم.

---

[1] _ إبراهيم أبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 91،92.

[2] _ المرجع نفسه، ص 84.

[3] _ يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، بدون طبعة، 2012، ص 39،40.

[4] _ عبد المومن بن صغير، الصعوبات التي تعترض الباحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وحدود الموضوعية العلمية، مرجع سابق، ص 35.

_ لتحقيق الموضوعية في العلوم الإنسانية هناك بعض الصفات والشروط التي يجب على الباحث الاجتماعي التحلي بها والالتزام بتطبيقها.من بينها:[1]

_ الابتعاد عن الأحكام الذاتية والأهواء والنزوات الشخصية والتركيز على أن الظواهر مجرد أشياء وحقائق مستقلة تتصف بالتلقائية والعمومية والخارجية والجبرية.

_ الالتزام بالحياد الأخلاقي.

_ الابتعاد عن الآراء والأحكام المسبقة في دراسة الظاهرة.

خاتمة:

إن الحديث عن الموضوعية ومدى تحققها في العلوم الإنسانية، لا يجب أن يكون بنفس مستوى الحديث عنها في العلوم الطبيعية. ذلك من منطلق الاختلاف والتباين بين طبيعة العلمين وطبيعة موضوعهما. فالأولى تدرس المادة الجامدة الثابتة القابلة للملاحظة وللتجريب وتكرارهما. والثانية موضوعها الإنسان ذلك الكائن الحر والواعي، المتغير باستمرار من حال لآخر. كما أن هناك فصل بين الذات الدارسة والموضوع المدروس في الأولى، وتداخل وتشابك بينهما في الثانية. ولكن هذا ليس معناه تحقيق الموضوعية في العلوم الإنسانية أمر غير ممكن، بل يجب إعادة النظر في خصوصية الظاهرة الإنسانية وما تتميز به من خصائص وصفات تستوجب إنتاج مناهج جديدة وتصور خاص للموضوعية يتوافق وهذه الخصوصية. فإذا كانت الظواهر الطبيعية تقبل التفسير الذي مكن العلوم الطبيعية من بلوغ نتائج دقيقة وصياغة قوانين ثابتة. فإن الظواهر الإنسانية تتطلب اعتماد الفهم عوضا عن التفسير لأنها ظواهر تتميز بحضور الوعي والإرادة. وعليه فإذا كانت الظواهر الطبيعية تفسر فان الظواهر الإنسانية تفهم.

قائمة المراجع:

1_ أبراش إبراهيم، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 1، 2009.

2_ الخولي يمنى طريف، مشكلة العلوم الإنسانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، بدون طبعة، 2012.

3_الشنيطي فتحي، أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، 1970.

4_ الطويل توفيق، أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 3، 1958.

5_ المسيري عبد الوهاب، الموضوعية والذاتية، الرابط: http://www.khayma.com/

6_ بن صغير عبد المومن، الصعوبات التي تعترض الباحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وحدود الموضوعية العلمية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، مركز جيل البحث العلمي، أكتوبر 2013.

[1] _ علي معمر عبد المومن، البحث في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 100،101.

7_ بوبر كارل، عقم المذهب التاريخي، ترجمة: عبد الحميد صبره، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، بدون طبعة، 1959.

8_ دوركايم إميل، قواعد المنهج في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 2، 1988.

9_ زكي بدر غسان، الموضوعية في أبحاث علم الاجتماع، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الرابع، جامعة قطر، قطر، 1981.

10_ عبد المومن علي معمر، البحث في العلوم الاجتماعية. منشورات جامعة 7 أكتوبر، بنغازي، ليبيا، ط 1، 2008.

11_ قاسم محمود، المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 2، 1953.

12_ قنصوه صلاح، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون طبعة، 2007.

13_ لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني Q_ H تعريب: خليل أحمد خليل، تعهد: أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.

14_ مصطفى الزاهيد، العلوم الإنسانية ومشكلة الموضوعية، جريدة الشرق الأوسط الإلكترونية، لندن، الخميس 24 مارس 2016. الرابط: https://aawsat.com

15_ هويدي يحي، مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 9، 1989.

العمارة العثمانية في الجزائر-قصر أحمد باي نموذجاً-

أ/ فطيمة الزهراء حوتية ـ جامعة أدرار ـ الجزائر.

الملخص:

تزخر الجزائر بالعديد من المناطق الرائعة التي تمس مختلف الحقب التاريخية التي شهدتها الجزائر وخلفت من ورائها آثار تروي حكاية معلمْ أو قصة مكان عايش الحدث بكل جوانبه ويمثل محورا يستدعي لتطرق له إذ كان موضوعنا عن أحد أهم المعالم الأثرية التي ترجع إلى الحقبة العثمانية ألا وهو قصر أحمد باي بقسنطينة الذي يعتبر بمثابة تصورا عن واقع العمارة العثمانية الإسلامية السائدة آنذاك.

Summary:

Algeria has many wonderful areas that touch different historical periods which Algeria witnessed and they have left behind them traces of a fabulous history like the palace of Ahmed Bey; which experienced an event in all its aspects and represents a pivot that needs to be well addressed in my research.

My theme was about One of the most important monuments dating back to the Ottoman era is the palace of Ahmed Bey in Constantine, which is a perception of the reality of the Ottoman Islamic architecture prevailing at that time!

المقدمة:

تملك الجزائر رصيداً هاماً من الشواهد المادية واللامادية الخاصة بكل الحقب الزمنية وبذلك تعد سجلاً مفتوحاً ومثقلاً لاحتوائها على فسيفساء زاخمة تعكس الموروث الثقافي والتاريخي الخاص بالمراحل التي مرت بها.

ومن بين هذه الحقب التاريخية التي عايشتها الجزائر فترة الوجود العثماني الذي ترك من ورائه آثاراً في مختلف مناحي الحياة سيما النمط العمراني في تشييد المدن كالقصبة والمساجد كجامع كتشاوة والقصور المنتشرة في عديد من المدن الجزائرية كمدينة قسنطينة إذ تحوي على قصر أحمد باي إذ يعد تحفة معمارية فنية ومقصد للسواح بغية التعرف على أركان زوايه، وهذا ما سنحاول إبرازه في هذا المقال.

مدخل حول العمارة الإسلامية بالجزائر:

لقد عرفت الجزائر مثل غيرها من أقطار الحوض المتوسطي وجود الإنسان منذ أقدم عصورها قبل التاريخ وظهور لتجمعات البشرية التي تأثرت بالحضارة الإنسانية القديمة، والجدير بالملاحظة أن التيارات الدينية سواء الوثنية أو السماوية طبعت الحضارات الإنسانية في مختلف عصورها بطابعها الخاص،وأن

تطور المعتقدات كان له أثر البليغ الأهمية في نموها الحضاري، وخاصة في مجال الفن المعماري والثقافة والصناعات كما أن العلاقة بين الشعوب النائمة عن النشاطات التجارية أو الصراعات المؤدية إلى هجرة بعض الفئات إلى أقطار أخرى، ساهمت في انتشار بعض الديانات في مختلف أنحاء الحوض المتوسطي[1].

وجاءت العمارة الإسلامية موحدة الطابع متشابهة الروح في شتى أنحاء العالم الإسلامي من أواسط آسيا حتى شواطئ المحيط الأطلسي[2] إلا أن دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر عام 1519 وقع تغيير جذري في الذوق الفني شمل الأسلوب الصناعي والاستخدام الزخرفي للخزف المعماري ويعود ازدهار التجارة ومنها تجارة الزليج في الجزائر مع البلدان الأوربية إيطاليا، اسبانيا، هولندا إلى أسباب عسكرية وسياسية في حين يعود ازدهار هذه التجارة مع الدول الإسلامية إلى أسباب روحية دينية وسياسية وكان من الطبيعي أن ينعكس هذا الرخاء الاقتصادي على الفنون والعمارة التي كانت محل عناية خاصة من حكام الجزائر في العصر التركي من طيلة القرن 18، وذلك بإقامة المنشآت الدينية والمدنية والاجتماعية والعسكرية[3].

التعريف بقسنطينة:

تقع قسنطينة في إقليم الشرق الجزائري تحدها من الشمال ولايتي سكيكدة وجيجل ومن الغرب ولاية ميلة أما من الجنوب فتحدها ولاية أم البواقي كما تحدها قالمة شرقا[4]، وعرفت المدينة منذ القدم باسم قرطة ثم تحول في الفترة النوميدية إلى سيرتا وهو في الأصل كنعاني فينيقي الذي يعني المدينة أو القرية الكبيرة أم في القرون الأولى كانت عاصمة نوميديا ثم عرفت في313م بقسنطينة بفتح السين وتسكين النون وكسر الطاء نسبة لمجددها قسطنطين وقيل أن من بنى قسنطينة هو نفس من بنى قرطاجة على حسب رواية أحمد بن المبارك بن العطار.

---

[1] عبد الحميد (حاجيات)، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954،2007 ، ص109.

[2] عكاشة (ثروت)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق: القاهرة، 1994م، 1414هـ ، ص57.

[3] عبد العزيز (محمود لعرج)، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي دراسة أثرية فنية، بيروت: منشورات عويدات، ص ص16-17.

[4] عبد العزيز (لعرج)، علي (حملاوي)، عبد الكريم (عزوق)، مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية،طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، ص228.

واستمرت بهذا الاسم بعد الفتح الإسلامي وأثناء الوجود العثماني باعتبارها بايل الشرق ولا تزال إلى يومنا تحتفظ بهذا الاسم[1].

شخصية أحمد باي:

ولد الحاج أحمد باي 1786[2] بقسنطينة تربى يتيم الأب، و(يكنَّى) باسم أمه ،فيقال له الحاج أحمد بن الحاجة الشريفة. بعد أن مات والده مخنوقًا وهو في سنّ مبكرة، وكان لزامًا على أمه وفي ظروف قاسية أن تفر به من قسنطينة إلى الصحراء بعيدا عن الدسائس، خوفًا من أن يلقى نفس المصير الذي لقيه أبوه.

وجد أحمد باي كل الرعاية من طرف أخواله في الزيبان، وحظي بتربية سليمة، حفظ أحمد باي القرآن منذ طفولته وتعلم قواعد اللغة العربية، مما زاد لسانه فصاحة، وتكوينـه سعة حيث أخذ خصال أهل الصحراء من كرم وجود وأخلاق، فشب على ركوب الخيل، وتدرب على فنون القتال فانطبعت على شخصيته صفة الفارس المقدام. ومثل أقرانه، كما ازداد حبه للدين الحنيف وهو ما بدا واضحا في بعض ما نسب إليه من كتابات و قصائد شعرية، سيما بعد أدائه فريضة الحج وهو في الثانية عشرة من عمره – ومنذ ذاك أصبح يلقب بالحاج أحمد – ثم مكوثه بمصر الذي اكتسب من خلاله المعارف و التجارب بما كان له الأثر البارز في صناعة مواقفه.

وتوليه المناصب الإدارية تولى منصب قائد قبائل العواسي* أما رتبة قائد فهي وظيفة حكومية لا تسند إلاّ للذين يحظون بثقة من الشخصيات المرموقة في المجتمع، ويخوّل له هذا المنصب لأن يضطلع برتبة أكبر ضابط قي القصر، يتولى مهمة رقابة الجزء الشرقي لإقليم قسنطينة، وله حق الإشراف على قوة عسكرية قوامها 300 فارس بمساعدة أربعة مساعدين يعينهم الباي وهم الشاوش والخوجة والمكحالجي والسراج، وبعد تخليه عن هذا المنصب لمدة من الزمن، استدعاه نعمان باي وعيّنه مرة أخرى قائدًا للعواسي لخبرته في الميدان.

ولمّا زار أحمد باي مصر، اجتمع بمحمد علي حاكم مصر ووقف على منجزاته، خاصة في جانبها العسكري وتعرف على أبنائه إبراهيم باشا وطوسون وعباس، ترقى الحاج أحمد إلى منصب خليفة على

---

[1] لعرج (عبد العزيز)، المرجع السابق،ص ص230-213.

[2] لكن في بعض الروايات تشير أنه ولد عام1784م على حسب: صالح (فركوس)، الحاج أحمد باي قسنطينة 1820-1850م، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص19.

* العواسي كلمة تطلق على القبائل التي كانت تقطن منطقة عين البيضاء وما جاورها

عهد الباي أحمد المملوك، واستطاع المحافظة على هذا المنصب إلى أن نشب خلاف بينه بين الباي إبراهيم حاكم بايلك الشرق الجزائري ما بين 1820 و1821، مما أدى إلى عزل الحاج أحمد. وخوفا من المكائد والاغتيال غادر قسنطينة في اتجاه الجزائر خاصة وأن إبراهيم هو الذي دبّر لأحمد باي المكيدة واتهمه بتعامله مع باي تونس ضد الجزائر، إلاّ أنَّ الداي حسين كشف الحقيقة وأمر بقتل إبراهيم باي عام 1821. بينما بقي الحاج أحمد في العاصمة ثم أبعد إلى مليانة ومنها انتقل إلى البليدة حيث عاصر الزلزال الذي خرب المدينة وهدّمها في 2 مارس 1825م.

وقد ساهم أثناءها بدور هام في عملية الإنقاذ إلى درجة أن أعجب الآغا يحي– قائد الجيش – بخصاله الحميدة ونقل هذا الإعجاب إلى الداي حسين.تعينه بايا على بايليك الشرق الجزائري وبوساطة من الآغا يحي، عينه الداي حسين بايا على بايلك الشرق في عام 1826، ويذكر محمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر في مذكراته أن السبب في تولية الكرغلي أحمد بايا على قسنطينة بعدما كان البايات الذين تقدموا عليه كلهم أتراك أن كل من تولى بايا يجمع مالا ويخفيه لعواقبه ولذريته وإذا قرب وقت الدنوش يأخذونه[1]، حيث شهدت قسنطينة استقراراً كبيراً في عهده ابتداء من توليه منصب الباي إلى غاية عام 1837 تاريخ سقوط قسنطينة.

تمكن خلالها من توحيد القبائل الكبيرة والقوية في الإقليم الشرقي عن طريق المصاهرة، فلقد تزوج هو شخصيًا من ابنة الباي بومزراق باي التيطري ومن ابنة الحاج عبد السلام المقراني، كما شجع كثيرا ربط الصلة بين شيوخ القبائل أنفسهم بالمصاهرة.

ممّا جلب إليه أولاد مقرآن (مجانة)، وأولاد عز الدين (زواغة)، وأولاد عاشور(فرجيوة) ...إلخ. أثبت الحاج أحمد باي كفاءاته العسكرية و السياسية، وحتى إن كان يؤمن بالتبعية الروحية للباب العالي، إلاّ أنّه لم يفكر في إعلان الاستقلال عنها، وذلك لم يمانعه من الإخلاص لوطنه الجزائر، فلم تثن الظروف التي آل إليها الوضع في الجزائر بعد الاحتلال من عزيمته ولم تنل منه تلك الإغراءات و العروض التي قدمتها له فرنسا قصد استمالته قاد معركة قسنطينة الأولى ومعركة قسنطينة الثانية أكتوبر1837. لقد بقي مخلصا حتى بعد سقوط قسنطينة حيث فضل التنقل بين الصحاري والشعاب والوديان محرضا القبائل على المقاومة إلى أن وهن ساعده وعجز جسده، فاستسلم بتاريخ 5 جوان 1848 فأحيل إلى الإقامة الجبرية في العاصمة[2] إستراتيجية أحمد باي في المقاومة اعتمد أحمد باي إستراتيجية محكمة، مكنته من

---

[1] صالح (فركوس)، المرجع السابق، ص20.

[2] العربي (منور)، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، الجزائر: دار المعرفة، ص178.

تنظيم المقاومة ضد الفرنسيين، فأحاط نفسه برجال ذوي خبرة ونفوذ في الأوساط الشعبية من قبائل وأسر عريقة في تحصين عاصمته قسنطينة. وبناء الخنادق والثكنات، وأمر بتجنيد الرجال للمقاومة من جيش نظامي ثم أعاد تنظيم السلطة فنصب نفسه باشا خلفا للداي حسين، ثم ضرب السكة باسمه وباسم السلطان العثماني، محاولاً بذلك توحيد السلطة التشريعة والتنفيذية خدمة للوحدة الوطنية وتمثل ذلك فيما يلي:

- ✓ حاول الحاج أحمد باي أن يجعل من الشعب الجزائري والسلطان العثماني مرجعا لسلطته حيث انتهج مبدأ استشارة ديوانه المكون من الأعيان والشيوخ، ومراسلة السلطان العثماني واستثارته قبل اتخاذ أي موقف مصيري.
- ✓ رفض كل العروض المقدمة له من قبل الحكام الفرنسيين في الجزائر.
- ✓ محاصرة القوات الفرنسية داخل المدن الساحلية المحتلة مثل عنابة.
- ✓ مجابهة خصومه في الداخل وإحباط مؤامراتهم. وسياسة فرنسا في مجابهة أحمد باي انتهجت فرنسا في مجابهتها للحاج أحمد باي سياسة مبنية على المزج بين المناورات الدبلوماسية، والقوة العسكرية منها.
- ✓ اللجوء إلى التفاوض مع الحاج أحمد باي ومحاولة الافتكاك منه الاعتراف بالسيادة الفرنسية مقابل ابقائه بايا على قسنطينة، وقد تكررت هذه المساومة في عهد كل من الجنرالات دي بورمون(de Bourmont)، كلوزيل(Clauzel)، الدوق رو فيقو(duc de Rovigo) ودامريمون (Damrémont)، إلا أن الباي أصر على رفض تلك العروض.
- ✓ تآمر الجنرال كلوزيل مع باي تونس ضد الحاج أحمد باي.
- ✓ التحالف مع خصوم أحمد باي من أمثال إبراهيم الكريتلي في عنابة، فرحات بن سعيد في الزيبان.
- ✓ تركيز القوات الفرنسية في جبهة واحدة، بعد أن تلقّت ضربات موجعة على يد الأمير عبد القادر، وفشلها في محاولتها الأولى في احتلال قسنطينة في نوفمبر 1836، مما دفعها إلى عقد معاهدة التافنة، لتتفرغ إلى الجهة الشرقية. وقد شنت فرنسا سلسلة من الهجمات على المدن الساحلية لبايليك الشرق منذ 1830 تمكنت خلالها من الاستيلاء على مدينة عنابة سنة 1832 رغم استماتة قوات الحاج أحمد في الدفاع عنها .
- ✓ الاستيلاء على بجاية سنة 1833 واحتلال قالمة سنة 1837.

- ✓ قطع المدد على بايليك الشرق من الناحية البحرية والحيلولة دون وصول الذخيرة والأسلحة من السلطان العثماني إلى قسنطينة.
- ✓ شن حملتين عسكريتين أسفرتا على وقوع معركتين معركة قسنطينة الأولى نوفمبر 1836 ومعركة قسنطينة الثانية 1837[1]، وفي هذه الأخيرة شن القائد الفرنسي دامريمون(Damrémont) حملة لاحتلال قسنطينة وفيها لقي مصرعه، فخلفه الجنرال فالي على رأس الجيش الفرنسي، لكن عدم تكافؤ القوتين هذه المرة أضعف دفاعات المدينة وأدى إلى سقوطها وفاته بعد أن حوصر في حصن يقع بين بسكرة وجبال الأوراس استسلم بسبب استحالة المقاومة هذه المرة، بقي تحت الإقامة الجبرية إلى أن وافته المنية في ظروف غامضة حيث ترجح إحدى الروايات أنه تم تسميمه عام 1850، ويوجد قبره بسيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر العاصمة[2].

بناء التخطيطي لقصر أحمد باي:

يعد قصر الباي إحدى التحف المعمارية الهامة بقسنطينة وتعود فكرة إنشائه إلى "أحمد باي" الذي تأثر أثناء زيارته للبقاع المقدسة بفن العمارة الإسلامية فلذلك قرر أحمد باي إعادة بناء القصر الذي كان يمثل مسكن والديه وملكية خاصة بالعائلة، وتحديدا دار أم النون التي كانت لوالدته، فهو أراد قصرا جديدا يكون معقل الحكم الإداري والسياسي والعسكري للبايلك، وليس مجرد دار بتعاقب عليها بايات المدينة، وبهذا تحول المكان إلى مركب جميل تحبوه الحدائق الغناءة، وسط قلعة مسورة.

يقع القصر بساحة محمد خميستي بجي القصبة العريق وسط مدينة قسنطينة[3] ويبلغ مساحته خمسة آلاف وستمائة وتسعة أمتار مربعة بعد أن تم بناؤه على أرض شديدة الانحدار وكان لابد من تسويتها[4].

وقد شيد على مرحلتين: فالمرحلة الأولى، بدأت منذ تولي الباي أحمد منصبه عام 1925،

أما المرحلة الثانية من البناء فجاءت عقب سقوط الداي حسين عام 1932 والاستيلاء على العاصمة الجزائرية، ليجد الباي نفسه وحيداً على رأس هذه المنطقة التي تسيل لعاب العدو الفرنسي، فقام بتدعيم أسوارها وتوسيعها لتكون حصنا منيعا وآمنا.

---

[1] للمزيد من تفاصيل عن الحملة الفرنسية الثانية على مدينة قسطينة يرجى العودة إلى: محمد الصالح (بن العنتري)، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ويليه روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ط خاصة، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، الجزائر: عالم المعرفة، 2009، ص ص106-114

[2] http://wmda.mobi/ar/

[3] زيارة الرابط الالكتروني عام 2012
http://www.sidi-aissa.com/ar/?p=98&a=1822

[4] M. *Charles Féraud*, Visite au palais de Constantine, Paris *librairie hachette et cie*, *Germain* boulevard saint-, 79. *1877*, P09

وأصبح القصر بذلك مقر حكم ومركز قوة أكثر منه مسكن للباي، معتمدا في ذلك على بنائين جزائريين مهرة أشهرهم الحاج الجابري والخطابي اللذين أشرفا على بناء قصر أحمد باي[1]، لقيا تكوينهما بتونس والإسكندرية بينما أنجزت الأعمال المتعلقة بالزجاج والصفاحة من طرف يهود من تونس.

بالنسبة للزخرفة كلف الباي تاجرا من مدينة جينوا بتوفير كل المواد الضرورية. فاستعملت مربعات الخزف الاسباني الايطالي ذو الزخارف النباتية(كبش القرنفل، سعيفات) لتزيين الجدران وخاصة جدران الطبقة الأرضية. كما زخرف الدرج الرئيسي ورواق الطبقة الأولى.

وقد كان الباي معجباً أيضا بالخزفيات التونسية التي تحمل تأثيرات إيرانية وخاصة عينات جميلة من الزليج ذو الأشكال الشبيهة بتلك الموجودة بقصر الحمراء بغرناطة. والجداريات الجميلة التي تجسد مدنا وموانئ زارها الباي خلال رحلته للحج (تونس، القناة، طرابلس، الإسكندرية، القاهرة، رودس، جدة) وتوهم إطاراتها بأن الأمر يتعلق بأقمشة وأثواب مقبوضة بواسطة حبل، يرفع لمشاهدة اللوحات.

القيم الجمالية في القصر:

ويتكون القصر من ثلاثة منازل رئيسية بطابق واحد مفصولة بحديقتين بما في ذلك المساحة المخصصة لحرم الباي[2]. والشقق التي توزع حول صلات العرض تطل على الفناء والحدائق والنوافذ المفتوحة إلى الخارج صغيرة وقليلة ولكن عندما احتلها الاستعمار الفرنسي طرأ تغيير على النوافذ فقد وسعت فتحاتها للهواء والوضوح. وتم تقريبا إعادة نفس النمط المعماري للطابق الأرضي في الطابق الأوّل.

كما أقيمت حول الحدائق آبار محاطة بجدران لريها ويحمل إليها الماء الذي يجلب بالبغال من خارج القصر بواسطة مجار مائية[3] وتوجد الأشجار والحيوانات الأليفة كالغزال ومختلف الطيور النادرة وثلاثة ساحات بينما تنفتح الأجنحة على أروقة كما هو الشأن في كل القصور المغربية،تحد هذه الأروقة صفوف أقواس تتمثل من عقود منكسرة متجاوزة تستند على أعمدة رقيقة من رخام ايطاليا متوجه بتيجان تذكر بالطرازات الكورنتية والطوسكانية واليونانية –الرومانية. وتنجذب العين إلى اللوحات ذات الأشكال الرائعة والزهور والفواكه المتمازجة وإلى الألوان المتنوعة والمبهرة من مسافة إلى مسافة نرى مجموعة من اللوحات ذات أصالة منقطعة النظير[4].

---

[1] زيارة الرابط الالكتروني بتاريخ 2012
http://www.elbilad.net/archives/43306

[2] M. *Charles Féraud*, op.cit , P09

[3] فندلين (شلوص)، قسنطينة أيام أحمد باي، تر: دودو أبو العيد، الجزائر: دار الأمة،2008 م، ص87

[4] M. *Charles Féraud*, op.cit , P11.

ووجود الإيوان في كل القاعات الكبرى للقصر ووفاء للتقاليد الشرقية بني الباي جناحا خاصا بالنساء(الحريم) يتم الولوج إليه عبر باب محاطة بإطار ويعلوها إفريز رخامي ذو جبهة مزينة بشعار طبقا للطراز الايطالي[1] و فناءات رحبة، زيادة على 06 نخلات كبرى، وكذا 228 عمودا رخاميا، إضافة إلى 28 شجرة برتقال تضاف إلى شجرة الأرز المغروسة بالقصر، والتي يعود عمرها إلى القرن18, زد على احتوائه على 121 غرفة و500 باب ونافذة مصنوعة من خشب الأرز المنقوش بمهارة، والتي تم طلاؤها بالألوان الحمراء الخضراء والصفراء.

كما يلاحظ المتجول في ردهات القصر التصميم البديع لطابقه السفلي، حيث يوجد ما لا يقلّ عن 27 رواقا يسمح بمرور تيار الهواء والنسمات المنعشة خاصة في فصل الصيف، زيادة على 250 عمودا من الرخام تم جلبها من مناطق متوسطية مختلفة، ويتميز قصر الباي بفنائه الرئيسي الذي ظل يتحدى عوامل الطبيعة والزمن، حيث يحاط بهذا الأخير خمسة أقواس، وهو الجزء الذي كان يسمى "دار أم النون" الذي سكنته أم الباي، وذلك حسب العديد من المؤرخين[2].

يمتاز باتساعه ودقة تنظيمه وتوزيع أجنحته التي تترجم عبقرية الباي في المعمار والذوق معا، وهو يشتمل على طابق أرضي به فناءات رحبة وحدائق غناءة يقال أن الباي كان يعتني بها بنفسه، يتوسطها حوض كبير كانت تستحم فيه النساء بالمياه الباردة المتدفقة من أعلى القصر، مشكّلة شلالات تصب في كؤوس كبيرة ذات أحجام متميزة، جرى نحتها وصقلها كمزهريات ذات التواء متناغم، وتشير وثائق متوفرة في مركز الأرشيف الجزائري، أن خزان المياه الذي يقع أسفل القصر، كانت تعيش فيه أسماك صغيرة مزدهية بلونها الأحمر، وحظيت تلك الأسماك باعتناء خاص من طرف نساء القصر[3].

كما أنه يضم 22 غرفة وقد حلي بأعمدة رخامية بديعة وبلاطات خزفية مختلفة وتكون في معظم الحالات تكسو الجدران الداخلية من الأسفل إلى غاية ارتفاع يتراوح ما بين 1.80 و2.10 وهي تغطي جدران الأروقة والغرف والممرات وأطر الأبواب من أسفل إلى أعلى والنوافذ من الداخل والخارج وبواطنها استخدمت في تبليط الأرضيات أيضا وأحيانا في كسوة قوائم الدرجات وجوانبها[4].

---

[1] تصفح الموقع الالكتروني في 2012 http://www.almassrawy.com/forum/showthread.php?96536M

[2] زيارة الموقع الالكتروني بتاريخ: 2012 – 02 - 02
http://www.mta.gov.dz/siteWeb/ar/index.php?corps=thematique&id=3

[3] عبد العزيز (بجاجة)، قصر أحمد باي، تر: فايزة(بن النوار)، جمعية الشعرى لعلم الفلك، د.ت.

[4] زهيرة (حمدوش)، البلاطات الخزفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة أنموذجية أثرية فنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: علي (حملاوي)، جامعة الجزائر: معهد الآثار، السنة الجامعية: 2008-2009، ص73.

صحيح أنه في كل زاوية قد أقيمت أعمدة البناء الصلبة المربعة كما هو الحال في معظم المنازل المغاربية، قضبان التعادل الخشبية أفقيا مختومة بين كل قوس، لتكون بمثابة رابط للقوس أو لدعم الستائر. والأقواس بشكل عام عبارة عن عواميد متساوية وتحمل أعمدة متجانسة من الرخام الأبيض ذات أحجام غير متساوية ومجموعة متنوعة من الأشكال بعضها رقيقة وأنيقة، والبعض الآخر عريض وواسع، إذ يتراوح قطرها من خمسة عشر إلى خمسة وعشرون سنتيمترا، ونادرا ما يكون ارتفاعها أكثر من مترين ونصف[1].

مراحل ترميم القصر:

مرّ قصر أحمد باي بقسنطينة بعدة مراحل قصد ترميمه ونوردها بإيجاز على النحو التالي:

المرحلة الأولى النظرية: دراسة قدمها مكتب دراسات أجنبي من بولونيا يدعىPKC عام 1982 وأنجز دراسة دقيقة ووافية لخطة ترميم القصر واستكمل عمله عام 1986. ليكون بذلك قدم خريطة طريق صحيحة لترميم قصر أحمد باي ومنذ عام 1984، صنف قصر أحمد باي كتراث محمي.

المرحلة الثانية التطبيقية: أما في سنوات التسعينات؛ أطلقت ورشة إعادة تأهيل القصر بدءا بتقوية هياكل هذا الصرح. وأعقب هذه العملية تقوية الجدران والأسقف وترميم أعمدة الرخام وتقوية الأسطح وإصلاح الأسقف وتلبيس الجدران وتبليط الأرض بالرخام وإنجاز أشغال الكهرباء والترصيص.

وقد ارتقى قصر أحمد باي إلى متحف بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 10-262 المؤرخ في 13 ذي القعدة 1431هـ الموافق لـ 21 أكتوبر 2010م والمتضمن إنشاء المتحف العمومي الوطني للفنون والتعابير الثقافية التقليدية لولاية قسنطينة[2].

الخاتمة:

إنَّ قصر أحمد باي يمثل جزء هام من الحقبة العثمانية ومعلماً بارزاً نظراً لمساهمة المهندسان الجزائريان بإضفاء لمستهم في تشييده بالطابعان الشرقي والمغربي ويختلف عن باقي القصور التي شيدت إبان العهد العثماني باتساع مساحته ودقة تصميمه المتناهية التي يعجب بها الزائر والمتطلع لدراسة قصر أحمد باي إلاّ أنه في فترة قد أهمل بسبب الأوضاع الأمنية غير مستقرة في البلاد من جانب وعدم التزام شركات ترميم بوعودها على الرغم من المجهودات الحثيثة للسلطات الوطنية لترميمه بأسرع وقت لكسبه كإحدى المعالم التراثية.

---

[1] M. *Charles Féraud*, op.cit. p09.

[2] تصفح الموقع الالكتروني بتاريخ: 23-8-2018 على الساعة 13:23
http://adnsolution.net/constantine-ar/index.php?page=creation-du-musee

ومع ذلك فقد جسد الأمر على أرض الواقع بعد ترميمه وتصنيفه في حيز المتاحف وأطلق عليه تسمية المتحف العمومي الوطني للفنون والتعابير الثقافية التقليدية لولاية قسنطينة عام 2012 وفتحت أبوابه أمام المحبين للطابع التقليدي ليستمتعوا بإحدى الجواهر المعمارية المؤرخة للحقبة العثمانية بالجزائر ولاحتضانه تظاهرات ثقافية كقسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015م.

وبذلك وجب الاهتمام بهذا الحصن التاريخي الثقافي الذي يعكس الذوق الرفيع للعمارة العثمانية في الجزائر والتركيز على تقديم دراسات أكاديمية معمقة حول هذا المعلم التاريخيى الذي يعد مفخرة في مدينة الصخر العتيق ومدينة العلم والعلماء سيرتا وللجزائر قاطبة.



واجهة قصر أحمد باي



حديقة قصر أحمد باي[1]



لوحة زيتية لأحد جسور قسنطينة

[1] http://www.qantara-med.org/qantara4/admin/pics_diapo/739Palais%20salah%20Bey08004.jpg



ملابس الباي أحمد



نماذج من قبعاة عثمانية معروفة بإسم "الشاشية"[1]



الآلات الموسيقية

[1] http://www.vitaminedz.com/Photo



مجوهرات



مجوهرات[1]

المصادر والمراجع المعتمدة:

باللغة الأجنبية:

Féraud Charles. M. Visite au palais de Constantine. Paris *librairie hachette et cie.*. *Germain* boulevard saint 79, *1877*.

المصادر باللغة العربية:

بن العنتري (محمد الصالح)، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ويليه روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ط خاصة، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، الجزائر: عالم المعرفة، 2009.

[1] http://www.vitaminedz.com/Photo

المراجع باللغة العربية:

- ثروت (عكاشة)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق: القاهرة، 1994م، 1414هـ.
- حاجيات (عبد الحميد)، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.
- شلوص (فندلين)، قسنطينة أيام أحمد باي، ،ترجمة: دودو أبو العيد، الجزائر: دار الأمة، 2008م.
- فركوس (صالح)، الحاج أحمد باي قسنطينة 1820-1850م، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.
- لعرج (عبد العزيز)،حملاوي (علي)، عزوق (عبد الكريم)، مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، طبعة خاصة وزارة المجاهدين،الجزائر:منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
- لعرج (عبد العزيز محمود)، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي دراسة أثرية فنية، بيروت: منشورات عويدات.
- العربي (منور)، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، الجزائر:دار المعرفة.

الرسائل الجامعية:

زهيرة (حمدوش)، البلاطات الخزفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة أنموذجية أثرية فنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: حملاوي (علي) ، جامعة الجزائر: معهد الآثار، السنة الجامعية: 2008-2009.

المقالات:

- بجاجة (عبد العزيز)، قصر أحمد باي، ترجمة: بن النوار (فايزة)، جمعية الشعرى لعلم الفلك.

المواقع الالكترونية:

- زيارة الموقع الالكتروني بتاريخ: 2012 – 02 – 02:

http://www.mta.gov.dz/siteWeb/ar/index.php?corps=thematique&id=3

- تصفح الموقع الالكتروني بتاريخ: 23-8-2018 على الساعة 13:23

- http://adnsolution.net/constantine-ar/index.php?page=creation-du-museehttp://www.sidi
- aissa.com/ar/?p=98&a=18223
- http://www.elbilad.net/archives/43306
- http://www.vitaminedz.com/Photo
- http://www.qantara-
- med.org/qantara4/admin/pics_diapo/739Palais%20salah%20Bey08004.jpg

تجارة الرقيق والتنوير الأوروبي.

د/ بن جلول هزرشي ـ جامعة زيان عاشور ـ الجلفة ـ الجزائر.

ملخص:

الورقة ظاهرة تجارة الرق كفعل إجرامي مارسته الدول الأوربية الرأسمالية خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر لاستغلال اليد العاملة الرخيصة، رغم ما ترتب عنها من جرائم إبادة بشرية. والاهم من ذلك تتناول انخراط بعض الفلاسفة والمفكرين في تبرير تجارة الرق كأسلوب لنشر الحضارة والتمدن في إفريقيا، بشكل يتناقض مع أفكار عصر التنوير الداعية للحرية، والإخاء, والمساواة.

الكلمات المفتاحية: الرق، الثورة الصناعية، الكشوف الجغرافية، الحضارة الغربية، أفريقيا، أوروبا، العبودية، حركة التنوير.

Abstract:

Paper The phenomenon of slavery as a criminal act practiced by the European capitalist countries during the 18th and 19th centuries to exploit cheap labor, despite the resulting crimes of genocide. More importantly, it involves the involvement of some philosophers and thinkers in justifying slavery as a way to spread civilization and civilization in Africa, in contrast to the ideas of the age of enlightenment calling for freedom, fraternity and equality.

مقدمة :

تعتبر رواية "جذور" لمؤلفها **أليكس هالي** الصادرة عام 1976 ، وقصيدة الشاعر البريطاني **كليبينغ** "عبء الرجل الأبيض" الصادرة عام 1899 وثائق هامة تعكس تاريخ تجارة العبيد والاسترقاق البشري، وتلخص عقودا من الظلم والعذاب الذي مارسه أسياد بيض على عبيد سود. تروي الأولى مظاهر الرق والعبودية التي مارسها الغرب بكل صورها المجردة من كل ذرة إنسانية . وتعكس الثانية الرسالة الحضارية المزعومة التي يتحملها الأوروبيون في تثقيف، وتطوير، ونشر الحضارة في العالم المتخلف. فكيف برر الغرب الاسترقاق البشري الذي مارسه لفترة تجاوزت الأربعة عقود ؟ وفيم تمثلت أهم أهدافه ؟ وبم نفسر التناقض بين الفكر والممارسة في رؤى وتحليلات الغربيين من رجالات حكم وفلاسفة ومفكرين؟.

الرق ظاهرة قديمة :

شكلت حركة الاستكشافات الجغرافية، والثورة الصناعية وما ترتب عنهما من تغيير في موازين القوى على الساحة الدولية نقطة تحول مأساوية في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر. ويظهر ذلك من

خلال استغلال الإنسان ، واحتلال الأرض في ظاهرة لم يعرف تاريخ البشرية لها مثيلا ، رغم أن تجارة الرقيق ظاهرة تاريخية قديمة مارستها كل الشعوب تقريبا ، إلا أن تقنين الغرب الاستعماري لها جعلها وصمة عار على الحضارة الغربية .

بدأت تراجيديا ترحيل السكان الأفارقة، واقتلاعهم من جذورهم من خلال رحلة العذاب التي تستغرق في المتوسط ستة أسابيع على متن سفن صغيرة الحجم ، يرص عليها العبيد وأياديهم مصفدة ،وفيها يتعرضون لكل صور العذاب التي يمكن رصدها في النقاط التالية :

- كانوا يربطون بالسلاسل والقيود الحديدية مع بعضهم أزواجا وهم عراة تماما .
- كانوا يجبرون على الرقص والغناء .
- التمرد والاحتجاج الذي تسببه الظروف القاسية ، والامتناع عن الأكل تدفع بالبيض إلى إجبار العبيد على فتح أفواههم لبلع الطعام بواسطة قضبان حديدية محماة بالنار .
- بخلاف الضرب، والجلد ، والشد على العجلة تقطع أذن كل من حاول الهروب ويكوى بالنار . وإذا كرر المحاولة تقطع عضلة ركبته من الخلف ويكوى بالنار، ويكون مصيره القتل في المحاولة الثالثة .
- يلقى العبيد في البحر كما حدث سنة 1781 حيث تم إلقاء 132 عبدا بسبب عدم كفاية الماء [1].
- كانت أجسادهم تكوى بالنار ، وتكتب عليها أسماء أسيادهم على ظهورهم .
- تحولت السفن بسبب العدد الكبير الذي تحمله إلى بيئة لانتشار الأمراض والاختناق . ولذلك ارتفعت نسبة الوفيات وأصبح كل ميت يرمى في البحر حالة اكتشافه .
- المكان الطبيعي للرقيق الإفريقي هو العمل في المزارع فقط . ولذلك كانت تمنع عليهم القراءة والكتابة ، وكان للسيد حق فسخ عقد الزواج إذا باع أحد الزوجين ، وكان العبد ممنوعا من الشهادة أمام المحاكم.
- العمل يبدأ من الساعة السادسة صباحا حتى الغروب [2].

ولعل أبلغ وصف يلخص سوء المعاملة التي كان يمارسها الأوروبيون على الأفارقة الوصف الذي قدمه **هورسمان** النائب عن ولاية **ماسوشيتش** الأمريكية في مجلس العموم في 30 يونيو 1848 ، والذي جاء فيه : "إن الإنسان ليخجل من الأفعال التي اقترفها تجار الرقيق . فقد كانت الدول تلهث من أجل الحصول على الذهب الأسود وحتى يمكنها الحصول عليه عقدت اتفاقا مع اللصوصية والموت . وكانت وسائلها للحصول على أغراضها من هذه التجارة في الرقيق هي القيود والسلاسل الحديدية والأسلحة النارية ، وغيرها لاصطياد الجنس البشري . وقد جعلت من إفريقيا مسرحا لصيدها ، ومن أهلها فريسة لها

، ومن مستعمراتها سوقا لها ، فقد اندفعت إلى حيث يسكن السود كالذئب إلى حضيرة الغنم في منتصف الليل ، وأشعلت في القارة الإفريقية النيران حتى تتمكن من الإمساك بأهلها العزل وهم يهيمون على وجوههم من لهيب النيران ، وتركت الأطفال والشيوخ للهلاك . أما الأقوياء من الرجال والنساء فقد ساقتهم فزعين مضطربين إلى الشاطئ مقيدين ومغلغلين كالبضائع على مراكب ليست بها أية تهوية ومتلاصقين بدرجة لا تسمح حتى بمرور الهواء بينهم لتبدأ رحلتهم عبر المحيط . وقد فتحت لهم فتحات المراكب مرة يوميا لإمدادهم ببعض الطعام أو لإخلاء الموتى .. حتى تصل المراكب إلى الشاطئ فيكافئ الأوغاد من أهل الأرض الجديدة بشراء ضحاياهم" [3].

حركة تحرير الرقيق :

بسبب المآسي التي رافقت تجارة الرقيق ظهرت نصوص وتقارير مناهضة للعبودية واعتبرتها خطيئة . كما نشرت مؤلفات وروايات تتضمن إدانة صريحة للعبودية . في السياق ذاته تأسست جمعيات مناهضة لهذه الظاهرة ، واضطرت بعض المجالس التشريعية في الولايات المتحدة الأمريكية لإقرار الإلغاء التدريجي للعبودية . ويمكن الإشارة إلى أبرز القرارات والتشريعات ، والقوانين التي صدرت في النقاط التالية :

- 1732 **إيليهو كولمان** ينشر في **بوسطن** تقريرا ضد الممارسة المسيحية لتحويل البشر إلى عبيد ويعد من النصوص الأولى المناهضة للعبودية .
- 1753 الواعض المتجول **جون وولمان** ينشر في الولايات المتحدة العمل المناهض للعبودية ((بعض الإعتبارات بشأن الاحتفاظ بالعبيد الزنوج))
- 1769 في إطار ((حركة اليقظة العظمى)) قام المناهض للعبودية **غراند فيل شارب** بنشر كتابه ((عرض لتيار الحيف الخطير الذي يقر بالملكية الشخصية للافراد في إنجلترا))
- 1771 رواية ((عام 2440)) التي **لوي-سيباستيان ميرسيي** تتضمن إدانة صريحة للعبودية .
- 1774 الإصلاحي **جون ويسلي** المناهض للعبودية ينشر كتابه ((تأملات في العبودية)).
- 1775 تأسيس ((الجمعية الداعية لإلغاء العبودية)) في **فيلاديلفيا** ، وهي أول الجمعيات المناهضة للعبودية في الغرب
- 1779 مجلس نيويورك يقر الإلغاء التدريجي للعبودية .
- 1780 تتبنى **بنسلفانيا** قانونا للعتق التدريجي للعبيد .
- 1781 في ((تأملات حول عبودية الزنوج)) يدين **كوندورسي** العبودية مقترحا إلغاءها التدريجي.

- 1786 في إطار ((حركة اليقظة العظمى ينشر **توماس كلاركسون** في لندن وفيلاديلفيا ((رسالة حول العبودية والمتاجرة بالجنس البشري، وخاصة الأفارقة))
- 1787 تأسيس ((جمعية من أجل إلغاء المتاجرة بالرقيق في لندن)) وهي الجمعية الأوروبية الأولى المناهضة للعبودية .
- 1788 تأسيس ((جمعية أصدقاء السود)) في باريس وهي جمعية مؤيدة لقمع تجارة الرقيق وتدعو إلى الإلغاء التدريجي للعبودية.
- 1815 إلتزام الدول الأوروبية في مؤتمر فيينا بإعلان مشترك يلغي تجارة الرقيق .
- 1834 تأسست في باريس ((الجمعية الفرنسية لإلغاء العبودية)) .
- 1869 التوصل للحظر النهائي للعبودية في البرتغال .
- 1885 تجديد منع ممارسة تجارة العبيد والدعوة إلى الإلتزام بإيقافها في مؤتمر برلين.
- 1888 البرازيل أخر دولة تقر عتق العبيد [4].

رغم هذه الإجراءات الصادرة في بعض الدول الأوروبية وفي الولايات المتحدة الأمريكية المناهضة لتجارة الرقيق يمكن لنا أن نتساءل : هل ارتبطت حركة تحرير الرقيق بالقسوة البالغة التي رافقت هذه التجارة والظروف المأساوية التي عاش فيها هؤلاء الرقيق ؟. وما مدى صحة إدعاءات بعض المؤرخين الغربيين الذين ربطوا حركة تحرير الرقيق بالبعد الإنساني ؟ وهل ارتبطت تلط الحركة بأسباب إستراتيجية تتعلق ببنية النظام الرأسمالي وآفاقه المستقبلية آنذاك ؟.

لقد ارتبط تخلي بريطانيا عن تجارة الرقيق بالعوامل التالية :

أ- رغبتها في فرض زعامتها على البحار من خلال تفتيش سفن الدول الأخرى .

ب-عدم الحاجة إلى الرقيق بسبب الاختراعات الحديثة ، والنهضة الصناعية ، واستخدام الآلات بدل اليد العاملة .

ت-استقلال الولايات المتحدة الأمريكية و ضياع المستعمرات الأوروبية هناك ، ورغبة الدول الأوروبية في استغلال الموارد الإفريقية داخل إفريقيا نفسها .

ث-الضغط الذي مارسته الحركات الإنسانية المناهضة لتجارة الرقيق [5].

ويمكن القول أن تحول الرأسمالية الأوروبية من الرأسمالية التجارية إلى الرأسمالية الصناعية وما ارتبط بها من توسع استعماري على حساب القارة الإفريقية واستقلال الولايات المتحدة الأمريكية كانت عوامل مشتركة دفعت تقريبا جميع الدول الاستعمارية للتخلي عن ظاهرة الاسترقاق البشري .

التنوير وتجارة الرق :

كانت أفكار عصر التنوير ملهمة لعدد من الثورات الاجتماعية، ودافعا للتحرر من الظلم، والسلطتين الزمنية والدينية. وقد ساهمت في إحداث ثورة شاملة في أوروبا مست مختلف الجوانب الاقتصادية، والسياسية، والثقافية والدينية جعلت أوروبا مركز العالم. فهل استفادت منها الشعوب الإفريقية؟ وإلى أي مدى وقع فلاسفة التنوير ومفكروه في تناقض بين النظرية والممارسة؟.

الواقع أن قراءة متأنية لبعض ما كتب أولئك تجعل الباحث لا يفرق بين العسكري والرأسمالي اللذين يمارسان الغزو ونهب الإمكانيات الاقتصادية وتشغيل البشر، وبين المفكر والفيلسوف اللذين يبرران الاستعمار، بل وينخرطا في سياسته تحقيقا لمكاسب مادية بحتة. وعلى أساس ذلك اتجه بعض المؤرخين في بداية القرن العشرين نحو: "اعتبار تجارة العبيد والعبودية مؤسسة لعبت دورا ايجابيا وحضاريا في تاريخ إفريقيا. فتجارة العبيد نقلت من القارة السوداء عبدة الأصنام البدائيين، وأغبياء وضعتهم في محيط متمدن ليتعلموا عادات الغرب المسيحي وأضافت أخرى أن تجارة العبيد اندرجت في إطار تجربة تربوية إيجابية هدفت في نفس الوقت فسح المجال للتأثير الحضاري الأوروبي في قارة إفريقية الغارقة في الجهل ، ومنحت العبيد فرصة الحصول على رعاية رحيمة من طرف ملاكيهم الأوروبيين والأمريكيين " [6].

ورغم إدانة بعض فلاسفة القرن الثامن عشر لنظام الرق والعبودية إلا أن بعضهم كان يجد له جوانب إيجابية ك**فولتير** و **مونتيسكيو** اللذين كانا يعتقدان بأن الاستعمار والمتاجرة بالعبيد هما سبب التقدم المادي في أوروبا . وفي هذا السياق كتب **مونتيسكيو** : "هؤلاء اللذين نتحدث عنهم سود من أعلى رأسهم إلى أخمص قدميهم ، وأنفهم أفطس إلى درجة لا يمكن أن تحزن عليهم أو تتعاطف معهم . إنه لمن المستحيل أن تعتقد أن أشخاصا من هذا النوع هم بشر". وكتب **فولتير** : "عيونهم المدورة ، وأنفهم الأفطس ، وشفاههم الغليظة دائما ، وصغر دماغهم ، كل ذلك يضع بينهم ، وبين بقية البشر اختلافات ضخمة . وهذا الاختلاف ليس مرده البيئة الإفريقية الحارة على عكس ما نتوهم . والدليل على ذلك أنه حتى لو نقلنا الزنوج الزنجيات من بيئتهم الأصلية إلى بلاد أخرى باردة فإنهم يظلون ينجبون حيوانات من أشكالهم". أما **جول فيري** فقد صرح أمام البرلمان الفرنسي قائلا : "ينبغي ان نقولها بكل صراحة : الأعراق العليا يقع على كاهلها مسؤولية تجاه الأعراق الدنيا . إن عليها واجب تحضيرها وترقيتها ونقلها من حالة الهمجية إلى الحالة الحضارية "[7]. وفي نفس السياق تعكس قصيدة الشاعر البريطاني **كليبينغ** فلسفة الغرب والعبء الكبير الذي يتحمله حسب نظره في تطوير ونشر الحضارة في العالم المتخلف . ولذلك ناشد الولايات المتحدة الأمريكية احتلال الفيليبين مبررا ذلك بالقول: "هيا تحملي عبء الرجل

الأبيض ، أبعثي بأفضل ما عندك من شباب ، اذهبي وابعثي أولادك غلى المنفى حتى نخدم مطالب من نستعمرهم"[8] . كما وقع بعض أعمدة الليبرالية في المعايير المزدوجة . فرغم أن **جون لوك** و **جون ستيوارت** قد انتقدا الاستبداد ودافعا عن الحقوق الطبيعية للإنسان في وطنه إلا أنهما قد انخرطا في الاستثمار في تجارة العبيد . وحتى **كارل ماركس** المعروف بدفاعه عن **البروليتاريا** لم يشذ عن القاعدة وأيد العبودية . كما اعتبر **إنجلز** بأن الرق هو أحد مرتكزات الصناعة البورجوازية [9]. وإذا كان الأوروبيون لم يشعروا بالكثير من وخز الضمير حول أخلاقية الإسترقاق ، فإن الكنيسة هي الأخرى قد لعبت دورا فاعلا ورئيسيا في استعباد شعوب الإفريقية ، وطالبت بإرغام العبيد على اعتناق المسيحية [10]. والواقع أن دعاوى التنوير وتحضير المجتمعات التي ترتبط عادة بأدبيات عصر التنوير في أوروبا مازالت حاضرة في لاوعي رجال السياسة ، وبعض النخب الفكرية في أوروبا . ولعل ما يؤكد ذلك قانون تمجيد الاستعمار الذي أصدره البرلمان الفرنسي في 23 فبراير 2005، والمرتبط بالدور الإيجابي للوجود الفرنسي في ما وراء البحار خصوصا في شمال إفريقيا . وعليه يصبح من وجهة نظر أوروبية استعمارية الذي يذبح الشعوب ويشردها ، ويحطم الهوية ويشوهها ، والذي يمارس عملية الإلغاء التاريخي والثقافي يحمل رسالة حضارية . ولعل هذا ما يبرز المعايير المزدوجة التي تميز سلوك الغرب . فكيف نبرر تحديد 10 ماي من كل سنة في فرنسا يوما وطنيا لاستذكار تجارة الرقيق ومعاناة الملايين من الأفارقة في العالم الجديد في الوقت الذي مجدت استعمارها للبلدان في مختلف القارات ؟ وعليه يمكن القول أن التوسع الاستعماري قد خان المبادئ التي أرستها حقبة الأنوار وتراجع عنها ، بينما قدمت الأخيرة تبريرات وأهداف حداثية إيديولوجية للحركة الاستعمارية.

خلاصة واستنتاجات :

لم يكن هدف الغرب من تجارة الرقيق تحضير الشعوب الإفريقية والارتقاء بها في مدارج المدنية ، والنهضة ، والتطور بقدر ماكان الهدف استغلال ثرواتها المادية والبشرية ، والسيطرة على مواقعها الإستراتيجية كآلية لاستمرار تطور الغرب الصناعي و، ضمان هيمنته وسيطرته على العالم كمركز حضاري مقابل أطراف هامشية ، مما يؤكد زيف دعاة التنوير والمعايير المزدوجة ، والرؤى المتناقضة بين النظرية والممارسة . وإذا كانت تجارة الرقيق جريمة إنسانية لا تنتهي بالتقادم تصبح الدعوة إلى إقامة محاكمات تاريخية تفضح فاعليها مسؤولية أخلاقية وقانونية على المجتمع الدولي تحملها، حتى لا تتكرر تجارب مماثلة ومآسي مشابهة في الألفية الثالثة .

الهوامش :

1- عبد الله عبد الرزاق ، ابراهيم ، شوقي الجمل ، **دراسات في تاريخ غرب افريقيا الحديث والمعاصر** ط1، القاهرة ، 1998 ص18.

2- رياض ، زاهر **استعمار افريقيا** ، ط1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965، ص ص 66، 67.

3- عبد لله ، عبد الرزاق ، ابراهيم ، **دراسات** مرجع سابق ، ص 18.

4- باتريسيا ، دلبيا نو ، **العبودية في العصر الحديث** ، ترجمة أماني فوزي حبشي ، مراجعة الدكتور عز الدين عناية ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، الإمارات العربية المتحدة ، 2001 ، ص ص 233 ، 247.

5- عبد الله ، عبد الرزاق ، ابراهيم ، **دراسات** مرجع سابق ص ص 30، 31.

6- Han , Steven , **Du cœur de l afrique au Nouveau monde. Aproches americain de l histoire de l esclavage , le monde diplomatique ,** num special , mai 2006 , p 21.

7- صالح ، هاشم ، **الآخر في مرآة فلاسفة التنوير** ، مجلة الأوان ، 21 أكتوبر 2011 ، ص 7.

8- محمد، عبد الستار البدري ، **هل يستمر عبء الرجل الأبيض** ، الشرق الأوسط ، العدد 12064، الجمعة 13 محرم 1433 – 9 ديسمبر 2011، ص 17.

9- موسى ، الفقي ، **متى يستريح الرجل الأبيض من أعبائه** ، www.achr.eu/art1133.htm

10- عبد السلام ، الترمنيني ، **الرق ماضيه وحاضره** ، عالم المعرفة ، العدد 23 ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1990 ، ص 146.

بناء و انتاج الخطاب السوسيولوجي بالجامعة الجزائرية بين رهانات التجديد لتحليل الواقع الاجتماعي وبين انتكاسات التعالي والفبركة –دراسة لنخبة من اساتذة علم الاجتماع بجامعة الجزائر2.

د/ طارق تواتي
جامعة أبو القاسم سعد الله(الجزائر2)

د/دناقة احمد
جامعة بشار

ملخص الدراسة :

إن إنتاج الخطاب السوسيولوجي مرهون بالواقع الاجتماعي المعاش ، فيسعى علم الاجتماع إلى تحليل بناء الواقع الاجتماعي وبنيته الاجتماعية من خلال آلياته البحثية ومناهجه العلمية وكذا مداخله النظرية التحليلية ، كما أن المشتغلون بهذا العلم هم جزء من هذا الواقع وهذا ما يجعل من الصعوبة بمكان تحرر الممارسة السوسيولوجية من أحكام القيمة، وبالتالي من الانتماءات القيمية والاديولوجية– وهذه ظاهرة قد تشترك فيها كل العلوم الاجتماعية الأخرى– فتظهر الممارسة السوسيولوجية منقوصة وعاجزة في بعض الحالات،جاءت هاته الدراسة لتبحث عن أشكال الإخلال التي تمس الممارسة السوسيولوجية في المجتمع الجزائري والعربي على العموم ، والتي تجعل علم الاجتماع عاجز عن تحليل الواقع الاجتماعي المعاش في الوطن العربي وفي الجزائر بالخصوص.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السوسيولوجي، الجامعة الجزائرية، رهانات التجديد، انتكاسات التعالي الفبركة.

Résumé de l'étude :

Pour La production de discours Sociologique dépend de la réalité sociale de la pension, la sociologie cherche et à analyser la structure la réalité sociale et sociale grâce à des mécanismes de recherche et des programmes scientifiques, ainsi que ses méthodes d'essais analytiques théorique et Engagé dans cette science font partie de cette réalité et c'est ce qui rend difficile de libérer la pratique sociologique des jugements de valeur, les affiliations idéologiques- et ce phénomène peuvent être partagés par toutes les sciences sociales sont montré la pratique sociologique d'autres déficients et sans défense dans certains cas, ces circonstances est venu l'étude de chercher des formes de préjugés qui affectent les bonnes pratiques dans la société algérienne et le monde arabe en général, ce qui rend la science incapable de répondre à la pension et la réalité sociale dans le monde arabe et dans l'analyse de l'Algérie en particulier.

Mots clés : Discours sociologique, Université d'Algérienne, Paris sur le renouvellement, Inversion de transcendance, Effleurant.

مقدمة :

يعتبر علم الاجتماع علم شديد الارتباط بالواقع الاجتماعي بوصفه موضوعا له، لعل هذا ما زاد من تعقيد عملية تحديد مفهوم موحد ومتفق عليه لهذا العلم، كما أن المشتغلون بهذا العلم هم جزء من هذا الواقع وهذا ما يجعل من الصعوبة بمكان تحرر الممارسة السوسيولوجية من أحكام القيمة، وبالتالي من الانتماءات القيمية والاديولوجية– وهذه ظاهرة قد تشترك فيها كل العلوم الاجتماعية الأخرى– فتظهر الممارسة السوسيولوجية منقوصة وعاجزة حتى على إعطاء تعريف موحد لعلم الاجتماع، لأنها ببساطة تعطي تعريفات لعلم الاجتماع في بعض الأحيان تعرف لنا المجهول بالمجهول، وكذلك تعطي تعريفات قد تكون جامعة ولكنها غير مانعة إذ أنها لم تستطع إيجاد تعريف يميز علم الاجتماع كعلم عن غيره من العلوم الاجتماعية الأخرى[1].

ولا يبتعد علم الاجتماع في الجزائر كثيرا عن هذه الإشكاليات بل و يتجاوزها إلى إشكاليات تتعلق بظروف نشأته ومكانته في المجتمع، على اعتبار أن العلوم الاجتماعية نشأت في سياق تاريخي كجزء من تكنولوجيا السلطة التي شكلت المجتمع الرأسمالي الليبرالي، بحيث بدأت تظهر في البداية كإجراءات انضباطية للتحكم تعمل على إيجاد تراكمية للمعرفة العلمية، تستخدم فيما بعد كأدوات للسيطرة[2]، "فقد نشأ علم الاجتماع في الجزائر بداية لخدمة المطامع الكولونيالية في الجزائر"[3].

وحتى بعد عمليات الإصلاح الجامعي وتبني الجزائر للنظام الاشتراكي أصبح مطلوبا من علم الاجتماع والمشتغلين به التجنيد لخدمة الإيديولوجية الاشتراكية كذلك من خلال الدراسة والتنقيب وجد أن مسيرة هذا العلم قد تميزت: بالاستقرار (L'instabilité) من حيث البرامج، وطغيان سياسة الكم على الكيف، ويظهر هذا من خلال انتشار أقسام علم الاجتماع عبر أغلب الجامعات الجزائرية[4].

لذا أصبح لزاما على الأستاذ الباحث ربط قضايا بحوثه بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الذي يتواجد فيه و التعجيل بتطوير ممارساته حتى يستطيع القيام بمهمة إنتاج المعرفة، هذا في الوقت الذي أصبحت فيه الجامعات العربية بصفة عامة، والجامعات الجزائرية بصفة خاصة بعيدة نسبيا عن الالتزام بالشروط العلمية العالمية التي تجعل من إنتاج المعرفة عملية فعالة وواقعا مجسدا.

---

[1] أيميل دوركايم، **قواعد المنهج في علم الاجتماع**، دار موفم للنشر، القاهرة، 1985، ص21.

[2] بول فين، **أزمة المعرفة التاريخية "فوكو وثورة في المنهج"**، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1993، ص2.

[3] عبد القادر لقجع، **علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص 96.

[4] **نفس المرجع**، ص 193.

فرغم الاهتمام المتزايد على مستوى جامعاتنا بإنتاج المعرفة العلمية، نلمس ضعف أداء النشاط العلمي داخل النسق الجامعي الجزائري، ومنه لابد من وجود فهم نقدي لأنظمة إنتاج المعرفة، وفق المقاربات السوسيولوجية النقدية الحديثة، حتى تحقق الجامعة الجزائرية أهدافها المنشودة وتستطيع القيام بفعل إنتاج المعرفة في حقل علم الاجتماع من أجل تقديم تشخيصات دقيقة للمشاكل التي يعيشها المجتمع الجزائري.

إذ يظهر جليا في واقع بلداننا ما نراه من عدم اهتمام جدي من طرف السياسي بإقامة مراكز أبحاث تدعمها وترعاها الدولة، كونها تسلط الضوء على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وكذا على مكامن الخلل في السياسات التنموية الجاري إتباعها، وتكشف طبيعة البنى و التشكلات القائمة وتطرح مباشرة وسائل الإصلاح والتطوير للخروج من الأزمة، ومما يزيد الأمر سوء أن الإصلاحات قد تفرض على مراكز إنتاج المعرفة، وخضوع تقارير الأساتذة الباحثين الموكل إليهم مهمة إنتاج المعرفة، إلى موافقة مسبقة من طرف أطراف معينة، تقوم بتعديل ما تراه غير ملائم مع مصالحها وسياساتها العامة وهو ما ينفي عن الأبحاث مصداقيتها العلمية، وتحقيق الموضوعية التي تعتبر من الشروط الأساسية للمعرفة العلمية، ومنه نحاول الإجابة على الإشكال التالي:

هل الممارسة البيداغوجية بالجامعة الجزائرية تستجيب لتطلعات ومطالب المحيط الخارجي ؟هل الممارسة السوسيولوجية بالجامعة الجزائرية كفيلة في توطيد العلاقة بين الواقع النظري في التكوين والممارسة الفعلية في المحيط الخارجي؟ هل الممارسة السوسيولوجية كفيلة باعطاء تشخيص حقيقي للواقع الاجتماعي ام هي مجرد فبركة وتكهنات تضعف مكانة خريجي علم الاجتماع في الواقع المهني والاجتماعي؟

❖ **<u>ثانيا/أهداف الدراسة</u>:** تسعى هاته الدراسة إلى تبيين جملة من الالتباسات التي أضحت هاجسا يقف إزاء إنتاج المعرفة بالاستناد إلى تحليل يقتضي في مضمونه أن المعرفة بكل مضامينها وإشكالها تبنى اجتماعيا وهذا أيضا في ضياع فهم الاجتماعي بالاجتماعي وتتمحور هاته الدراسة بناءا على ذلك في الأهداف التالية :

✓ الوقوف على واقع الممارسة السوسيولوجية من خلال خطابات الأساتذة الباحثين في الحقل السوسيولوجي داخل الجامعة الجزائرية.

✓ محاولة معرفة واقع إنتاج المعرفة السوسيولوجية داخل النسق الجامعي الجزائري.

- ✓ محاولة الوقوف مدى ارتباط الممارسة السوسيولوجية بالمشكلات الاجتماعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي الجزائري.
- ✓ محاولة الوصول إلى إيجاد أرضية معرفية من أجل التمهيد بلوغ معرفة اجتماعية عربية تبني أدواتها النظرية والمنهجية الخاصّة بها من أجل فهم وتفسير قضايا مجتمعنا.

❖ ***ثالثا :الدراسات السابقة:***

لقد اظهر البحث المكتبي أن الدراسات السوسيولوجية حول الممارسة السوسيولوجية وعلاقتها بالمشكلات الاجتماعية، هي قليلة جدا وسوف نقوم بعرض بعض الدراسات التي تحصلنا عليها والتي كانت ذات صلة بموضوع بحثنا، محاولين تحليلها بالتعرف على أبعاد تناولها النظري والمنهجي.

الدراسة الأولى" :علم الاجتماع في الجزائر بين الأكاديمية والخصوصية [1]:

هدفت هاته الدراسة إلى محاولة لتشخيص واقع الجانب المعرفي السوسيولوجي السائد داخل الجامعة الجزائرية، وكذا تسليط الضوء على أهمية علم الاجتماع وفاعليته في تشخيص المشاكل الاجتماعية، وذلك بمحاولة إخراجه من جدران الجامعة إلى تبني قضايا ومشكلات المجتمع.

كما هدفت الدراسة إلى تحديد وضعية علم الاجتماع في المجتمع الجزائري من خلال الحيز الجامعي ومحاولة وضع إطار عام لتقييمه، وتقديم منطلق لدراسات أخرى أكثر تعمقا من أجل تحقيق التراكم المعرفي، وتكوين رؤيا واضحة في هذا المجال، ومحاولة الخروج من منطق ردود الفعل إلى منطق صناعة الفعل السوسيولوجي– حسب صاحب الدراسة– على المستويين المنهجي والنظري بطريقة علمية من أجل التحرر من الهيمنة الأجنبية ومحاولة إيجاد البديل الواضح والملائم لفهم ودراسة المجتمع الجزائري .

ولتحقيق الأهداف السالفة الذكر انطلقت الدراسة من التساؤلات التالية:

– هل تقوم الجامعة الجزائرية بالوظيفة المنوط بها لمواكبة التغير الحاصل داخل المجتمع؟.

– كيف يجب أن تتكيف بنياتها من اجل الوصول إلى الغاية التي وجدت من أجلها؟.

– ما مدى تجاوب البرنامج الرسمي لعلم الاجتماع داخلها مع القضايا المطروحة؟

– وهل هو نتيجة دراسة ميدانية للمجتمع الجزائري؟.

– هل يدخل الأساتذة المختصون في حلقة الفاعلون لتخطيط هاته البرامج؟ .وما هو دورهم في هذا المجال؟

[1] أمينة مساك، **علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية بين الأكاديمية والخصوصية**، رسالة ماجستير(:غير منشورة)، جامعة **الجزائر**، 2002.

– هل أتوا بفكر جديد أم اكتفوا بتكرار النظريات الغربية وتطبيقها على المجتمع الجزائري وإلقاء دروس ومحاضرات لاغير؟

وجاءت الدراسة بثلاث فرضيات:

–**الفرضية الأولى** :علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية مهما كان التخصص أكاديمي بحت ولا يعبر عن خصوصية المجتمع الجزائري.

– **الفرضية الثانية** :طبيعة برامج علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية تلدي إلى القطيعة بين المشتغلين بعلم الاجتماع والمجتمع م جهة، وبين الطلبة والحياة العملية م جهة أخرى.

– **الفرضية الثالثة** :اقتصار المشتغلون بعلم الاجتماع على التدريس وتكرار النظريات الغربية أدى بهم إلى عدم إنتاج نظرية سوسيولوجية نابعة من خصوصية المجتمع الجزائري.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج جاءت كالتالي:

– يعيش الأستاذ في نسق من التفاعلات المركبة يتأثر بها ويتأثر بمقتضاها.

– الأساتذة يقدمون دروس لا تتناسب مع الخصوصية التاريخية و الثقافية للمجتمع الجزائري.

– إن فعالية الأساتذة لا تخضع لرصيدهم من المقالات مما يجعل العلاقة بينهما مبهمة وغير منطقية، بينما تتأثر بمدى تجديدهم للدروس التي يقدمونها للطلبة خلال فترة تكوينهم، ومدى مشاركتهم في الملتقيات العلمية في إطار تخصصهم لما لها من دور في تكوين فرص التعارف وتبادل الاراء والاحتكاك بالعالم الخارجي.

– إن الأساتذة في علم الاجتماع منهمكين في تقديم الدروس بعيدا عن البحث ومقتصرا على التدريس.

الدراسة الثانية" :إشكالية السؤال السوسيولوجي في الفكر العربي المعاصر الواقع العربي بين ماضي الأنا وحاضر الأخر–دراسة تحليلية نقدية[1].

الدراسة تطرح إشكالية وضع علم الاجتماع على اعتبار أن إشكالية علم الاجتماع هي إشكالية الفكر العربي المعاصر، وانطلقت الدراسة من تساؤل مفاده : لماذا لم يتحول فكر النهضة العربي إلى نظرية اجتماعية على غرار ما حدث في الغرب؟، ولماذا بقي الفكر العربي يراوح مكانه ؟ يجتر نفسه ويستشكل إشكالاته من خلال العودة إلى أصل الإشكال أو حتى أصل الفكر أو العقل المنتج لذلك الإشكال ؟

[1] يوسف حنطابلي، **إشكالية السؤال السوسيولوجي في الفكر العربي المعاصر" الواقع العربي بين ماضي الأنا وحاضر الآخر"**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي(:غير منشورة)، جامعة الجزائر .2008.

افترض الباحث أن أزمة علم الاجتماع وأزمة الفكر العربي المعاصر عبارة عن وجهين لأزمة واحدة، ألا وهي أزمة الوعي" الابستيمي "والتي بدورها تكون نتيجة عدم انخراط علم الاجتماع في الوطن العربي في إشكالات الفكر العربي المعاصر، بالإضافة إلى عدم تحول الفكر العربي المعاصر إلى قاعدة معرفية لنشأة النظرية السوسيولوجية .

وتوصل الباحث إلى أن علم الاجتماع في الوطن العربي كان قد يكتب له النشأة والتطور لو انه استطاع أن يكون ترجمة معرفية للانشغال الفكري والمعرفي الهي عرفة عصر النهضة وبالتالي تحويل قضايا العصر من قضايا فكرية فلسفية إلى قضايا علمية سوسيولوجية.

الدراسة الثالثة" :الأبعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية"،وهي أطروحة دكتوراه نشرت من طرف مركز دراسات الوحدة العربية 2009 .[1]

فالسؤال الرئيسي الذي يطرحه الباحث من خلال الدراسة هو :ما هي المعوقات التي تواجه إنتاج واكتساب المعرفة العلمية داخل الجامعة؟.

وتندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من الأسئلة :

- 1-هل تقدم المقررات الدراسية معرفة سوسيولوجية كافية لتشكيل الهابيتوس العلمي لطلاب علم الاجتماع، على نحو يؤسس لممارسة علمية انعكاسية في ما بعد مرحلة الليسانس ؟

2-ما هي الخصائص العامة للإنتاج العلمي ؟

3-كيف يتصور أعضاء هيئة التدريس والطلاب الأبعاد الاجتماعية والابستمولوجية المؤثرة في إنتاج واكتساب المعرفة في الجامعة المصرية؟.

تعتبر الدراسة من البحوث التحليلية التفسيرية، ويستخدم الباحث المنهجين الكمني والكيفي في جمع البيانات، ويعتمد في التحليل على الجانب الكيفي بشكل أساسي .واستخدم الباحث منهجية التحليل النقدي للخطاب كأداة رئيسية لتحليل النص العلمي- رسالة جامعية، كتاب جامعي -وقام بإنشاء مقياسين أحدهما لتصنيف المراجع والأخر لطرق الاستشهاد، واستخدم المقابلة والاستبيان كأداتين مدعمتين وتساهمان في اختبار نتائج التحليل البيبلوغرافي.

[1] أحمد زايد، **الأبعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة "حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية"**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009.

وقد اقتصر هذا البحث على التحليل البيبلوغرافي وأهمل الجانب الميداني الامبيريقي إلا من خلال استبيان به سؤال وحيد وهو :إذا أتيحت لك الفرصة الآن للتحويل من قسم علم الاجتماع إلى أي قسم ترغب فيه فهل تقبل؟طبق على خمسة طلبة في علم الاجتماع.

الدراسة الرابعة" :فعالية النظام الجامعي الجزائري في إنتاج المعرفة العلمية واستهلاكها– طلبة قسم علم الاجتماع نموذجا نشرت في مجلة العلوم الإنسانية في العدد 17/جوان 2002 بجامعة منتوري : قسنطينة[1].

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة تحديد فعالية النظام الجامعي الجزائري فيما يتعلق بإنتاج المعرفة واستهلاكها، فإنتاج المعرفة في قسم علم الاجتماع كنموذج للدراسة :عبارة عن نشاط إنساني تربوي على شكل تكوين يشمل جانب نظري وأخر تطبيقي، يعني به الباحث تكييف جميع الموارد المتاحة حسب ضرورات التكوين ، بالمقابل يغدو استهلاك المعرفة من وجهة نظر الباحث هو الأخر نشاطا إنسانيا يزاوله الباحثون والمختصون الاجتماعيون لإشباع حاجات المجتمع من خدماتهم.

وصل الباحث من خلال نتائج دراسته إلى:

– وجود رفض غير معلن من المحيط للجامعة إذ لا تستعين الشركات أو المجموعات المحلية بالمختصين الاجتماعيين.

– وجود إنتاج علمي مكدس ولا يتم الاستفادة منه.

– ضعف الإعلام الجامعي.

– مخرجات التعليم الجامعي لا يتم استيعابها من طرف المجتمع.

– عدم فتح قنوات الاتصال المرن بين الوزارة الوصية ومختلف الفاعلين في عملية إنتاج المعرفة واستهلاكها.

– لم يوفق النظام الجامعي الجزائري في إنتاج أجيال مسلحة بالمعارف الضرورية لمواجهة تعقيدات المحيط.

❖ **رابعا: منهج الدراسة:**

اعتمدنا في هذه الدراسة التي تنتمي إلى البحوث القصيرة على "**المنهج الوصفي**"، الذي يسمح بوصف طبيعة العلاقة بين "إنتاج الخطاب السوسيولوجي بين قراءة الواقع وفوبيا الأرقام"، وصفا دقيقا

[1] عبد الله ساقور، **فعالية النظام الجامعي الجزائري في إنتاج المعرفة العلمية واستهلاكها" طلبة قسم علم الاجتماع نموذجا**"، مجلة العلوم الإنسانية،عنابة، العدد 22 ،جوان2002 .

والنفاذ بعمق إلى أهم ارتباطاتها من أجل الحصول على نتائج علمية دقيقة، حيث لا يكتفي الباحث عند استخدام هذا المنهج بمجرد الوصف، بل عليه أن يسعى إلى استخلاص الدلالات والمعاني المختلفة التي تنطوي عليها البيانات، وقد اعتمدنا من خلال ذلك على أسلوبين للتحليل هما:

الأسلوب الكمي: من خلال جداول إحصائية بسيطة، ثم محاولة الكشف من خلال جداول إحصائية مركبة عن العلاقات الارتباطية بين مؤشرات ومتغيرات الظاهرة المدروسة.

الأسلوب الكيفي: كمحاولة لإظهار وتبيان وتفسير الدلالات والمعاني.

❖ **خامسا: الأدوات المستعملة في الدراسة:**

لا يمكن لأي تقنية من تقنيات البحث السوسيولوجي أن تدعي وحدها المقدرة على رصد كل مكونات الظاهرة المدروسة وعناصرها المتشعبة تداخلا وتعقيدا، لذلك اعتمدنا على "**الاستمارة**" كأداة رئيسية في هذا البحث بالإضافة إلى "**المقابلة**" كأداة مدعمة.

❖ **سادسا: عينة الدراسة :**

اعتمدنا في دراستنا على المسح الشامل إذ تم استجواب جميع الأساتذة الباحثين والمتخصصين في علم الاجتماع بجامعة الجزائر2 على طريق توزيع الاستمارة.

❖ **سابعا :عرض وتحليل نتائج الدراسة :**

الجدول رقم(01): عوائق إنتاج المعرفة السوسيولوجية بالنسبة للأساتذة الباحثين

عوائق إنتاج المعرفة السوسيولوجية	التكرار	النسبة%
سيطرة السياسي	10	27.77
عدوانية المجتمع وانغلاقه	8	22,2
ضعف منظومة التكوين	7	44,19
تعقد الواقع	6	66,16
إهمال البحث وتهميشه	5	88,13
المجموع	36	100

نلاحظ من خلال الجدول الذي يبين عوائق إنتاج المعرفة السوسيولوجية بالنسبة للأساتذة الباحثين أن أغلب الأساتذة يرون أن سيطرة السياسي على العلمي تعتبر أولى عوائق إنتاج المعرفة السوسيولوجية بنسبة 27.77% ثم نجد 22,2 من الأساتذة يرون أن عدوانية المجتمع وانغلاقه كانت كأولى عوائق

إنتاج المعرفة السوسيولوجية بينما نجد أن 19.44 % منهم يرون أن ضعف منظومة التكوين هو العائق الأساسي أمام إنتاج المعرفة، ثم نجد 18,1 % تعتبر أن تعقد الواقع هو العائق الأساسي لإنتاج المعرفة، وفي الأخير نجد أن 13.88% من الأساتذة يرون أن إهمال البحث وتهميشه هو العائق الرئيسي لإنتاج المعرفة السوسيولوجية.

نستنتج من خلال الجدول أن اغلب الأساتذة الباحثين يرون أن من أكثر العوائق تأثيرا على إنتاج المعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي هي سيطر ة السياسي على العلمي، وكذا عدوانية المجتمع وانغلاقه، فبالنسبة للعائق الأول نجد أن السياسي لا يزال يتدخل في العلمي، فبدل أن يكون رجل السياسة يستلهم من رجل العلم نجد أن الواقع يثبت أن رجل السياسة لا يستمع كثيرا إلى رجل العلم خاصة إذا تعلق الأمر بالعلم السوسيولوجي بصفة خاصة والعلوم الاجتماعية بصفة عامة، ما يشكل أهم عوائق البحث العلمي في العلوم الاجتماعية في الجزائر، أما بالنسبة للعائق الثاني فنجد أن المجتمع الجزائري لا يتقبل فكرة البحث والاستجواب العلمي في غالب الأحيان فضلا عن انه لا يعي الدور الحقيقي للعلوم الاجتماعية ولا يكترث أصلا لذلك.

الجدول رقم (02) مدى استجابة الدراسات السوسيولوجية لمشكلات المجتمع الجزائري حسب متغير المؤهل العلمي لدى الأساتذة.

استجابة الدراسات السوسيولوجية للمشكلات الاجتماعية		المؤهل العلمي		المجموع
		ماجستير	دكتوراه	
نعم	التكرار	5	4	9
	النسبة %	55.55	44.4	% 25,0
لا	التكرار	5	0	5
	النسبة %	100	0	% 13.38
نسبيا	التكرار	19	3	22
	النسبة %	86.36	13.63	% 61,1
المجموع	التكرار	29	7	36
	النسبة %	80,5	19,5	% 100

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن 61,1 %من الأساتذة الباحثين يرون أن الدراسات السوسيولوجية تستجيب نسبيا فقط للمشكلات الاجتماعية، منهم 86.36 % يحملون شهادة الماجستير و 13.63 % يحملون شهادة الدكتوراه. بينما نجد أن 25,0 % من الأساتذة يعتبرون أن الدراسات السوسيولوجية تستجيب تماما للمشكلات الاجتماعية، منهم 15,3 % موزعين على متغير المستوى ألتأهيلي بنسبة 55.55% يحملون شهادة الماجستير و44.44 % يحملون شهادة الدكتوراه. في حين نجد أن 11,1 % يعتبرون أن الدراسات السوسيولوجية لا تستجيب تماما للمشكلات الاجتماعية، وهم 100% يحملون شهادة الماجستير.

نستنتج من ملاحظة الجدول أعلاه أن اغلب الأساتذة يعتبرون أن الدراسات السوسيولوجية لا تستجيب للمشكلات الاجتماعية، ربما لان الممارسة السوسيولوجية تعالت نوعا ما عن الفعل الاجتماعي، ولم تعطي القيمة الكافية للنظرية الاجتماعية من حيث هي نشاط منتج للمعرفة، والتركيز على الأعمال النظرية التي تتم لذاتها ما جعلها مجالا مخاطبيا منفصلا ومنغلقا لا يبت بصلة إلى المشكلات والقضايا الاجتماعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي الجزائري.

ومنه ومن الواجب على الباحث السوسيولوجي خوض غمار البحث الميداني والذهاب به بعيدا مما يجعله يخلق نوعا من الألفة بينه وبين موضوع بحثه، وتمتزج بذلك التجربة العالمة بالتجربة الساذجة للواقع الاجتماعي والتجربة العالمية بالتجربة المحلية للمجال الاجتماعي ليتمكن الأستاذ الباحث من إنتاج معرفة سوسيولوجية تمثل استمرار للتراث العلمي السوسيولوجي وقطيعة معه في نفس الوقت، انطلاقا من النموذج النظري العام بالصيغ الممكنة لتحققه في المكان والزمان أو حسب تعبير بورديو "الممكنات الثقافية في إطار رؤية انعكاسية"[1].

[1] أحمد زايد، **مرجع سابق**. ص143.

الجدول رقم(03): مدى تجاوب الممارسة السوسيولوجية مع المشكلات الاجتماعية وعلاقته بحضور الأساتذة إلى الملتقيات العلمية.

تجاوب الممارسة السوسيولوجية		الحضور إلى الملتقيات		المجموع
		أقل من 4	4-7 من	
تتجاوب	التكرار	7	6	13
	النسبة %	%53.84	%46.15	% 36,1
لا تتجاوب	التكرار	16	7	23
	النسبة %	%69.56	%30.43	% 63,9
المجموع	التكرار	23	13	36
	النسبة %	% 63,9	% 36,1	% 100

يتبين لنا من خلال الجدول الذي يوضح مدى تجاوب الممارسة السوسيولوجية مع المشكلات الاجتماعية وعلاقته بحضور الأساتذة الباحثين إلى الملتقيات العلمية أن أكبر نسبة من الأساتذة الباحثين يرون أن الممارسة السوسيولوجية لا تتجاوب مع المشكلات الاجتماعية بنسبة 63,9 % منهم 53.84% يحضرون أقل من أربع ملتقيات سنويا، و46.15% يحضرون من أربعة إلى سبع ملتقيات سنويا، بالمقابل نجد أن 36,1 % من الأساتذة الباحثين يرون بأن الممارسة السوسيولوجية تتجاوب مع المشكلات الاجتماعية، و تساهم في حلها، منهم 69.56% يحضرون أقل من أربع ملتقيات سنويا و 30.43% يحضرون من أربعة إلى سبع ملتقيات سنويا.

نجد من خلال الجدول أن أغلب الأساتذة الباحثين يحضرون أقل من أربع ملتقيات سنويا وفي نفس الوقت يرون أن الممارسة السوسيولوجية لا تتجاوب مع المشكلات الاجتماعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي الجزائري، حيث يبرر أحد الأساتذة الباحثين بقوله: "لأنها لا تتطابق مع الواقع الاجتماعي"، وهذا ما يؤشر على أن الممارسة السوسيولوجية لم تتوفر لها الشروط الابستمولوجية والاجتماعية من اجل أن تأخذ على عاتقها مفرزات الواقع الاجتماعي.

الاتجاه العام للجدولين السابقين يبين أنه كلما كان الأساتذة أكثر مشاركة في الملتقيات العلمية كان رأيهم أكثر ايجابية بخصوص تجاوب الممارسة السوسيولوجية مع المشكلات الاجتماعية، وكلما قلت مشاركة الأساتذة الباحثين في الملتقيات العلمية أتجه رأيهم إلى أن الممارسة السوسيولوجية لا تستجيب للمشكلات الاجتماعية.

نستنتج أنه كلما كان الأساتذة أكثر انهماكا في إنتاج خطابات علمية وممارسات سوسيولوجية أصيلة، حصل لديهم تصور أكثر وضوح للأبعاد التي تتحكم عملية إنتاج واكتساب المعرفة السوسيولوجية.

رغم ذلك قد يقع هذا النوع من الأساتذة الباحثين في فخ ما وصفه "بورديو" بسيادة العلم القياسي، حيث يتجه المسيطرون في المجال العلمي إلى إخضاع المجال العلمي بما يتناسب مع خبراتهم واهتماماتهم العلمية، وبالتالي فهم يحددون مدى مشروعية المنافسة وأشكالها، ويكرسون مسافة ثابتة بينهم وبين الوافدين الجدد إلى الحقل.

يبقى رأي الأساتذة الباحثين يميل إلى أن الممارسة السوسيولوجية لا تستجيب للمشكلات الاجتماعية، من خلال أراء الأساتذة حول سبب عدم تجاوب الممارسة السوسيولوجية مع المشكلات الاجتماعية، إذ يقول أحد الأساتذة بهذا الصدد: «لأن عروض التكوين ومحتوياته في غالبها مستوردة وليست أصلية».

وحتى يكون المجال العلمي أكثر استجابة للمشكلات الاجتماعية التي ينتجها ويعيد إنتاجها الواقع الاجتماعي، لا بد أن يتم الصعود على أساس الإنتاج العلمي الذي يمثل "رأس المال العلمي الصافي"، وليس على أساس رأس المال البيروقراطي أو السياسي المادي أو الرمزي.

الجدول رقم(04): بدائل إنتاج المعرفة حسب متغير الجنس

بدائل إنتاج المعرفة		الجنس		المجموع
		ذكر	أنثى	
خطاب حول المعرفة	التكرار	3	1	4
	النسبة %	%75	%25	% 11,1
إعادة إنتاج للمعرفة	التكرار	9	6	15
	النسبة %	%60	%40	% 41,7
استهلاك المعرفة	التكرار	10	6	16
	النسبة %	%62.5	%37.5	% 44,4

بدون إجابة	التكرار	1	0	1
	النسبة %	%100	% 0	% 2,8
المجموع	التكرار	23	13	36
	النسبة %	% 65,3	% 34,7	% 100

نلاحظ من خلال الجدول الذي يبين بدائل إنتاج المعرفة العلمية حسب متغير الجنس لدى الأساتذة الباحثين أن أغلب الأساتذة يرون أنه يوجد استهلاك للمعرفة في الحقل السوسيولوجي بدل إنتاج المعرفة بنسبة 44,4 %، موزعين على متغير الجنس ب: 62.5% من الذكور و 73.5 % من الإناث، تليها نسبة الأساتذة الذين يعتبرون انه يوجد إعادة إنتاج للمعرفة بنسبة 41,7 % ، منهم 60% من الذكور و40% من الإناث، بينما نجد الأساتذة الذين يعتبرون انه توجد خطابات حول المعرفة يمثلون نسبة 11,1 % منهم 75% من الذكور و25% من الإناث.

نستنتج من خلال الجدول أن أغلب الأساتذة الباحثين يرون أنه يوجد استهلاك للمعرفة العلمية بدل إنتاجها، وهذا يدل على أن الحقل العلمي السوسيولوجي يعاني اللافعالية وعدم الاندماج قي قضايا المجتمع، هذه الحالة أنتجت عدم التكامل بين النخبة "الأساتذة الباحثين" والفئات والطبقات الاجتماعية الأخرى، هذا ما يجسد غياب الإجماع حول هوية واحدة سواء داخل المجال السوسيولوجي أو داخل المجال المجتمعي بصفة عامة[1].

ثم نجد نسبة الأساتذة الذين يرون انه يوجد إعادة إنتاج للمعرفة السوسيولوجية بدل إنتاجها وهنا لا تظهر فروق واضحة بين الجنسين فيما يخص رأيهم حول اعتبار الممارسة السوسيولوجية تمثل مجرد خطابات حول المعرفة وليس إنتاج حقيقي للمعرفة السوسيولوجية، وهذا يحتاج تفسيره إلى قراءة حول نشأة الخطاب السوسيولوجي داخل المجتمع الجزائري مع مراعاة التصنيف التاريخي الذي يتحكم في تكون الخطاب السوسيولوجي الجزائري خلال سيرورته التاريخية.

يصنف الخطاب السوسيولوجي بمراعاة جملة المعطيات الاجتماعية التي صاحبت عملية إنتاج الخطاب في إطار تاريخي محدد. وقد شهد الخطاب السوسيولوجي الجزائري ثلاث أنواع: سوسيولوجيا ما قبل كولونيالية، وسوسيولوجيا كولونيالية، وسوسيولوجيا ما بعد كولونيالية، جاءت الأولى كمقدمات

[1] علي سموك، **إشكالية إنتاج المعرفة في المجتمع الجزائري ومحددات الفجوة الإستراتيجية في التنمية البشرية** من اجل مقاربة سوسيواقتصادية، الملتقى الدولي حول التنمية البشرية وفرص الاندماج في اقتصاد المعرفة والكفاءات البشرية، جامعة ورقلة كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية ، 09 10مارس2004.

استكشافية للتعرف على هذه البلدان الشمال افريقية تمهيدا لغزوها، وتبدو ملامح الثانية في طغيان المنظور الاثنوغرافي و الانتروبولوجي المبرر للسيطرة الاستعمارية، وجاءت الثالثة لتجسد "إعادة الإنتاج" كون الباحثين الجزائريين بعد الاستقلال واجهوا ركاما من المعارف السوسيولوجية ذات التوجهات والاديولوجية المشوهة، حيث انصب الجهد السوسيولوجي على محاولة لإزاحة ذلك الركام [1] ، مما أوقع الممارسة السوسيولوجية في مجرد إعادة إنتاج خطابات سوسيولوجية حول الخطابات التي كانت موجودة بدل إنتاج خطابات سوسيولوجية تعالج قضايا الواقع الجزائري الجديد.

❖ **ثامنا نتائج الدراسة:**

نجد من خلال هذه الدراسة أن الدراسات السوسيولوجية في الغالب لا تستجيب للمشكلات الاجتماعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي الجزائري وتصبح دلالات إنتاج الخطاب البحثي في مجال السوسيولوجيا متجاوزة لهذا الواقع وتصبح هنالك بنية أرقام ونسب لهذا الواقع في قالب مفبرك ويمكن حصرها في الأسباب التالية:

- ✓ لأنها لا تعالج المشاكل الاجتماعية معالجة حقيقية بدليل قلة البحوث والدراسات السوسيولوجية حول الواقع الجزائري.
- ✓ لان الواقع يتناقض مع أهداف المنهج العلمي للمعالجة السوسيولوجية.
- ✓ لان البحوث التي تنجز ضمن هذا الاختصاص تهمش.
- ✓ بسبب النظرة الدونية لكل من التخصص ومن يدرسه.
- ✓ لان المؤسسات الاجتماعية خاضعة للمجتمع ومتأثرة به.
- ✓ لأن السوسيولوجيا تعالت نوعا ما عن الفعل الاجتماعي، ولم تعطي القيمة الكافية للنظرية الاجتماعية من حيث هي نشاط منتج للمعرفة، والتركيز على الأعمال النظرية التي تتم لذاتها ما جعلها مجالا مخاطبا منفصلا ومنغلقا لا يبت بصلة إلى المشكلات والقضايا الاجتماعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي.

وقد حاولنا جمع مجموعة من الأسباب التي يعتبرها الأساتذة بمثابة عوائق لإنتاج المعرفة السوسيولوجية منها:

- ✓ عدم الاهتمام الكافي بالبحث العلمي وتهميشه مما أفرز قصور نسق التعليم والبحث.

---

[1] أحمد زايد، **مرجع سابق**، ص98.

- ✓ عدوانية المجتمع وانغلاقه جعل الواقع الاجتماعي أكثر تعقيدا.
- ✓ اتهام الفاعلين في حقل علم الاجتماع بأنهم يفتقدون إلى القدرة الكافية على تفسير قضايا مجتمعهم.
- ✓ اعتبار علم الاجتماع مجرد مهنة.
- ✓ عدم الاستقرار المادي والمهني للأستاذ الباحث.
- ✓ الموقف السلبي من طرف السلطة الوصية تجاه جدوى الدراسات السوسيولوجية.

فقد صرح أحد الأساتذة الباحثين بهذا الخصوص أنه لا يؤخذ برأي الأساتذة الباحثين في مختلف القضايا الاجتماعية قائلا: «كل التعليمات والقرارات تكون بصفة عمودية و تؤخذ من الأعلى ولا يؤخذ برأي الأستاذ». واعتبر أستاذ أخر سبب إهمال الدراسات السوسيولوجية من طرف السياسي أن السوسيولوجيا تشكل تهديد للسياسي بقوله:«لأن السوسيولوجيا تشكل خطرا على السياسي». واعتبر أستاذ أخر السبب لكون العلاقة بين السلطة والمثقف هي علاقة تبعية وخضوع تاريخي بقوله: «لأن علاقة المثقف بالسلطة هي علاقة سيطرة ومن جهة واحدة». وأرجع أحد الأساتذة السبب إلى الصراع بين الأجيال لأن الجيل الذي يمثل السياسة مختلف تماما عن الجيل الذي يمثل العلم بقوله: «الصراع بين الأجيال جيل الثورة الممثل للسياسة وجيل الاستقلال الممثل للعلم».

ومنه نجد أن الحقل السوسيولوجي يعاني من التبعية للسياسي ويعاني من التهميش على اعتبار أن الدراسات السوسيولوجية لا تمثل بالنسبة للسياسي معرفة منتجة للثروة وبالتالي فالدولة تركز على تنمية التكنولوجيا باعتبارها منتجة للثروة على حساب العلم الاجتماعي.

يظهر أن نشاطات سياسات الدولة أخيرا تتجه نحو الاهتمام بالبحث العلمي الذي يرتكز مباشرة على الإبداع والابتكار وهذا مؤشر ايجابي، لكنها بالمقابل لا تعطي الأهمية الكافية للبحوث في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية ونتيجة لذلك نلمس قلة الاهتمام الموجه لهذه العلوم الاجتماعية سواء على مستوى الخطاب السياسي أو على مستوى الممارسة الفعلية، الانخفاض الواضح للتمويل المخصص للتدريس و البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية مقارنة بالعلوم التطبيقية.

ويعبر بعض الأساتذة الباحثين عن رأيهم بخصوص الموضوع حيث يقول أحد الأساتذة:« لان الفاعلين في صنع القرار يهتمون بالدراسات في العلوم التطبيقية ولا يعيرون الاهتمام للدراسات الإنسانية والاجتماعية». ويرجعه أستاذ أخر إلى الاتجاه نحو المادة بقوله:«لأن الحضارة المادية هي المسيطر والإنسان ليس له قيمة عند الدول المتخلفة». وبالمقابل هناك من يرى أن الانحياز نتيجة عدم إدراك قيمة الإنسان الحقيقية حسب أحد الأساتذة بقوله: «هناك انحياز واضح لأنهم لم يدركوا بعد أهمية الإنسان لكنهم يدركون أهمية دراسة الزجاج والخشب!! ». ويرجع أحد الأساتذة ذلك إلى كون اعتبار الدولة أن

العلوم الاجتماعية غير منتجة: «لأن العلوم التطبيقية تعتبرها الدولة منتجة مقارنة بالعلوم الإنسانية التي تعتبرها غير منتجة ». « هناك انحياز من طرف الدولة إلى جانب العلوم التطبيقية ظنا منها أن التطور والتقدم واللحاق بركب الحضارة يكون فقط بالاهتمام بهذه العلوم ».

رغم ذلك يوجد خطاب متفائل من طرف أحد الأساتذة الباحثين بقوله: «لقد أصبحت العلوم الإنسانية محل اهتمام من طرف الدولة».

هذا التهميش الذي تعاني منه السوسيولوجيا في الحقيقة له امتداد تاريخي فالسوسيولوجيا في المغرب العربي ظلت علما غير مرغوب فيه على مدى عقود من الزمن، وهي الآن مازالت تحت تأثير مفاعيل تلك الإعاقة التي لحقتها بصفتها مجالا معرفيا لا يتطور الا ضمن سياق اجتماعي وثقافي وعلمي له قواعده الخاصة به. إذ برزت السوسيولوجيا ضمن شروط سياسية وثقافية مميزة تحكم بها سؤال أساسي مرتبط بهوية هذا الاختصاص في ظرف تاريخي بقيت فيه الأبحاث التي أنجزتها البعثات الكولونيالية[1]، تحتم على الأساتذة الباحثين أخذ زمام المبادرة من اجل إنتاج معرفة سوسيولوجية نابعة من خصوصية المجتمع الذي يتفاعلون معه وينفعلون فيه.

ومنه ومن الواجب على الباحث السوسيولوجي خوض غمار البحث الميداني والذهاب به بعيدا مما يجعله يخلق نوعا من الألفة بينه وبين موضوع بحثه، وتمتزج بذلك التجربة العالمة بالتجربة الساذجة للواقع الاجتماعي والتجربة العالمية بالتجربة المحلية للمجال الاجتماعي ليتمكن الأستاذ الباحث من إنتاج معرفة سوسيولوجية تمثل استمرار للتراث العلمي السوسيولوجي وقطيعة معه في نفس الوقت، انطلاقا من النموذج النظري العام بالصيغ الممكنة لتحققه في المكان والزمان، في إطار الممكنات الثقافية في إطار رؤية انعكاسية" حسب "بيار بورديو".

الخاتمة:

وعلى الرغم من الإصلاحات التي تمت في قطاع التعليم العالي من أجل تطوير البحث العلمي وقد شمل ذلك جميع التخصصات بما فيها تخصص علم الاجتماع، غير أن هذا العلم في الجزائر لم يرقى إلى المستوى المطلوب ولم يثبت وجوده على الساحة الأكاديمية من خلال إقامة الدراسات وتوجيه البحوث في خدمة المجتمع، لهذا من واجبنا إعادة الاعتبار لهذا العلم من خلال تكوين أساتذة وطلبة على أعلى مستوى وإنشاء المخابر المتخصصة ونشر البحوث والدراسات الأكاديمية الجادة التي ترقى إلى

---

[1] محمد الغيلاني، **السوسيولوجيا الكولونيالية في المغرب أصولها واتجاهاتها**، جريدة المساء، 3 سبتمبر 2008 .

المستوى الأكاديمي المطلوب، وكل الإمكانيات موجودة ومتوفرة ويبقى على الباحث السوسيولوجي أن يقدم دراسات جادة ترقى إلى المستوى المطلوب لتجسيد تنمية فعلية بالمجتمع.

وقد نجد طروحات التي أدلى بها احد الباحثين في علم الاجتماع بالمغرب العربي وهو الأستاذ عبد الرحيم العطري من خلال السؤال الذي طرح عليه / **أين يبرز هذا التهميش الذي يطال الموقف السوسيولوجي؟** تعبيرا كافيا على إنتاج الخطاب السوسيولوجي بالجزائر والعرب عامة حيث يؤكد ان :

" إن السوسيولوجيا بفضل ما تنتهي إليه من خلاصات تضع المجتمع أمام حقيقته أي أنها تفضح عورته وتكشف بالتالي حالات السوء والخلل فيه وهو ما يفيد عمليا في تخطيط السياسات الوطنية وبناء المستقبل وعلميا فتنافي البحوث السوسيولوجية فيه خدمة أساسية للمعرفة السوسيولوجي لدينا يعاني من التهميش والإقصاء.

إن واقع البحث السوسيولوجي هو جزء من إشكالية البحث العلمي الذي لا تشكل أولوية سياسية لدينا بالرغم من تخصيص الحكومة القائمة لكتابة دولة في البحث العلمي, والبحث السوسيولوجي لا يكاد ينفصل في وضعيته الهشة عن واقع السوسيولوجيا عموما والذي يعتل خطأ وتعسفا بالتهميش والإقصاء.

أن السوسيولوجيا كانت ولا زالت معرفة تمتهن الشغب والشقاء وترتكن دائما إلى النقد والمساءلة, وهذا الرهان السوسيولوجي يجعلها كمعرفة وكسؤال ثقافي متهمة "بالتطاول على الاختصاصات" وبالخروج على قواعد "اللعبة" ولهذا يلاحظ دائما حتى في تخطيط السياسات التنموية أن هناك أهمية خاصة للموقف السياسي على الموقف السوسيولوجي إذ نادرا ما يتم الإنصات للرأي السوسيولوجي.

البحوث السوسيولوجية – تظل سجينة رفوف المكتبات و خلاصات تبقى في الظل و ما يعاب على هذه البحوث هو اعتمادها في التحليل والتفسير على نظريات غريبة قد لا تتناسب مع معطيات واقعنا.[1]

- **التوصيات:**

هذا يدفعنا في الأخير وبالاستناد إلى وجهات النظر السابقة حول مجال إنتاج الخطاب السوسيولوجي بالجامعة الجزائرية إلى محاولة تقديم جملة من التوصيات التي لا تكاد أن تخرج في محتواها عن ما سبق من أراء الباحثين في علم الاجتماع حول المعرفة السوسيولوجية بالجزائر وبالواقع العربي وبالرجوع إلى موضوع الملتقى انه يجب أن يكون هنالك :

---

[1] عبد الرحيم العطري –السوسيولوجيا معرفة تعيش حالة الاستثناء.الحوار المتمدن– مجلة الكترونية–العدد: 1303 – 31 / 8 / 2005 – 11.08 .

–التحرر من النظرية الغربية لأنه ومن غير الممكن ولا اللائق أيضا أن ننساق إلى سياقات غربية بعيدة كل البعد على تحليل ومقومات المجتمع العربي مما يجعل انتاجات هاته البحوث في مجال السوسيولوجيا العربية مجرد تكهنات لا قيمة لها في الواقع .

–وبالاستناد إلى تحليل توماس كوهن في كتابه بنية الثورات العلمية التي ترتكز على تحول النظرية إلى براديغم والذي يعرفه " مجموعة القوانين والتقنيات والأدوات المرتبطة بنظرية علمية والمسترشدة بها، والتي بها يمارس الباحثون عملهم ويديرون نشاطاتهم وحالما تتأسس تتخذ اسم العلم العادي " ويرى كون انه عندما تصدر نظرية علمية ما وتحظى بقبول المختصين شيئا فشيئا حتى تتحول إلى شبكة متكاملة من النظريات والتطبيقات والأدوات التي أصبحت تعطي الجواب الحاسم في مجالها ويصبح الغالبية من العلماء يفكرون من خلالها وينشغلون في داخلها، في هذه الحالة تصبح هذه النظرية براديغم بمعنى نموذج لابد من الاحتذاء به داخل العلم وإلا تم الاستبعاد والتجاهل، تستمر الأمور على هذه الحال حتى يبدأ هذا البراديغم في التأزم حين يعجز عن الإجابة على أسئلة معينة ،في البداية يتم الالتفاف على هذه الأسئلة من أجل الإبقاء على البراديغم ولكن مع باحثين شباب في الغالب ومع تزايد الأسئلة تحين الثورة العلمية التي تبدأ بتصورات ونظريات خارج إطار البراديغم السابق، بل ومعارضة له وتحمل تصورا للكون والمجال يختلف عن السابق وبهذا يتكون براديغم جديد وهكذا. وإذا ما نظرنا إلى إنتاج النظرية السوسيولوجية في الواقع العربي سنجد هنالك غياب تام لنظرية اجتماعية عربية ،وبالتالي النظرية التي انشات عند الغرب في مجال علم الاجتماع نبعت من واقعه واستطاعت أن تحل مشاكله في فترة معينة وتحولت إلى براديغم ساعد العديد من الباحثين في فهم واقعهم الاجتماعي أما بالنسبة إلينا نجد أن هذا الأمر وتحول النظرية إلى براديغم يوجه الباحثين في علم الاجتماع الى فهم الواقع الاجتماعي يكاد يسير في اتجاه غير صائب مطلقا ،مما تصبح نواتج البحوث لدينا أشبه بتكهنات وأيضا في ظل عدم استيعاب النظرية الغربية في علم الاجتماع نتاج الترجمات إلى العربية التي تؤول النظرية وبسبب أننا في الثقافة العربية نفتقد للفكر العلمي فما بالك الثورات العلمية، فإن أطروحات توماس كون برأينا تأخذ أهميتها الكبرى في محاولة تطبيقها على إنتاج المعرفة السوسيولوجية العربية من خلال محاولة إدراك "براديغم" أو نموذج كل فترة من الفترات أو كما يسميه فوكو "الأبستمي" وربما نجد أن هناك براديغم فكريا، لم يتغير منذ البدايات الأولى وبالتالي فإن إحداث التغيير الحقيقي يكون في تغيير هذا النموذج أو النظام المعرفي كما يسميه عابد الجابري يعمل بهذا المستوى من العمق والجذرية هو برأيينا ضرورة هذه الفترة من تبني فكرة"الثورات العلمية" في مجال السوسيولوجيا العربية..

-الاستناد إلى تكوين الباحثين في مجال السوسيولوجيا بمشروع وطني يجمع كل المتخصصين في علم الاجتماع بالجامعات الجزائرية عن طريق نخبة الباحثين الاجتماعيين الذين يمتلكون قدرة بيداغوجية ومعرفية راقية في نقل المعرفة الاجتماعية الى الباحثين الجدد والجامعة الجزائرية تمتلك نخبة من الأساتذة الذين تشهد لهم الجامعة الجزائرية وحتى الغربية بالكفاءة.

-تحرير المعرفة السوسيولوجية من القيود التي ترهنها وتوجهها وتدحضها في العديد من المرات والتحرير حيث يقول بيار بورديو ""إن علماء الاجتماع أشبه ما يكونون بمشاغبين يفسدون على الناس حفلاتهم التنكرية"" بهذا لابد من سياسة تشرك وتسمح للباحثين في علم الاجتماع بالجزائر والعرب عامة من اجل تكون الدراسات السوسيولوجية تكشف عن الواقع الذي لا يرغب العديد من تغيير والكشف على سلبياته فنجد أن العديد من مسيري المؤسسات لا يقبلون بان تكون هنالك بحوث ميدانية بمؤسستهم مما يستلزم على أن يكون هنالك باحث اجتماعي في كل مؤسسة ولابد من نص قانوني يشجع البحوث الاجتماعية لما لها من أهمية وخاصة في الواقع الحالي من اجل الإسهام في تنمية الاجتماعية.

قائمة المراجع المعتمدة في الدراسة:

1. أيميل دوركايم، **قواعد المنهج في علم الاجتماع**، دار موفم للنشر، القاهرة، 1985، ص21.
2. بول فين، **أزمة المعرفة التاريخية "فوكو وثورة في المنهج"**، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1993.
3. عبد القادر لقجع، **علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.
4. أمينة مساك، **علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية بين الأكاديمية والخصوصية**، رسالة ماجستير(:غير منشورة)، جامعة **الجزائر 2002/2001**.
5. يوسف حنطابلي، **إشكالية السؤال السوسيولوجي في الفكر العربي المعاصر" الواقع العربي بين ماضي الأنا وحاضر الآخر"**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي(:غير منشورة)، جامعة الجزائر .**2008**.
6. أحمد زايد، **الأبعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة "حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية"**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009.
7. عبد الله ساقور، **فعالية النظام الجامعي الجزائري في إنتاج المعرفة العلمية واستهلاكها" طلبة قسم علم الاجتماع نموذجا"**، مجلة العلوم الإنسانية،عنابة، العدد 22 ،جوان2002 .
8. علي سموك، **إشكالية إنتاج المعرفة في المجتمع الجزائري ومحددات الفجوة الإستراتيجية في التنمية البشرية** من اجل مقاربة سوسيواقتصادية، الملتقى الدولي حول التنمية البشرية وفرص الاندماج في اقتصاد المعرفة والكفاءات البشرية، جامعة ورقلة كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية ، 10 09 مارس2004.
9. محمد الغيلاني، **السوسيولوجيا الكولونيالية في المغرب أصولها واتجاهاتها**، جريدة المساء، 3 سبتمبر2008 .

10.(عبد الرحيم العطري –السوسيولوجيا معرفة تعيش حالة الاستثناء.الحوار المتمدن– مجلة الكترونية–العدد: 1303 – 31 / 8 / 2005 –11.08) .

تأثير القيادة التحويلية على أداء الموظفين

(دراسة ميدانية بالمركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان)

د/ معروف هواري
المركز الجامعي أحمد زبانة – غليزان.

الباحثة/ دراعو فاطمة
جامعة وهران -2-

ملخص الدراسة :

هدفت هذه الدراسة للتعرف على العلاقة بين متطلبات التطوير التنظيمي (القيادة التحويلية) والأداء لدى الموظفين، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي وأداة الإستبيان على عينة قوامها 200 موظف بالمركز الجامعي " أحمد زبانة " بغليزان، وأسفرت الدراسة على النتائج التالية :

- عدم وجود تفاعل بين الجنس مع القيادة التحويلية في تفسير الأداء .
- وجود تفاعل بين المؤهل العلمي مع القيادة التحويلية في تفسير الأداء .

الكلمات المفتاحية : القيادة التحويلية ، الأداء ، الموظف .

Résumé de l'étude :

Cette étude a eu pour objectif d'identifier la relation entre les Exisences du développement organisationnel (le leadership transformationnel) et la performance chez l'Employeurs , la chercheuse a appliqué la méthodologie descriptive ainsi que le questionnaire sur un échantillon comportant 200 fonctionnaires au centre universitaire « Ahmed Zabana » de Relizane et a abouti aux résultats suivants :

- l'absence d'une quelconque interaction entre le sexe et le leadership transformationnel en matière d'interprétation de la performance.
- l'existence d'une interactionentre la qualification scientifique et le leadership transformationnel en matière d'interprétation de la performance.

Les Mots clés : le leadership transformationnel, la performance, l'employé.

المقدمة :

إن التطورات السريعة التي شهدها العالم في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مع نهاية القرن العشرين قد جلبت الكثير من التحديات أمام المجتمعات وألقت على الإدارة عبء الإعداد لتغيير أساليب العمل، من خلال تطوير المنظمات داخليا لكي تتلاءم مع البيئة الخارجية ولتهيئة الظروف المواتية للنجاح بما ينعكس بشكل مباشر على الأداء عبر تحقيق التوازن والتناسق المرغوب بين المتغيرات

وسلوك الأفراد والعلاقات بين جماعات العمل وبين أساليب ونظم الأداء (**المربع ، 2004 : 01**)، ومن أهم السمات التي تتميز بها الإدارة الفعالة هي القيادة الإدارية الناجحة و الإخلاص في العمل ، أي يؤدي القائد عمله على أكمل وجه وينظر إلى جميع الذين يعملون معه على أنهم سواء ولا تفضيل لأحدهم على الأخر بما يقدمه من عمل متقن(**سليمان ، 2010 : 01**)، وبالتالي فان أهم مقومات نجاح أي منظمة في تحقيق أهدافها يتوقف على مدى تحقيق هذه الأهداف وإشراك كل الأعضاء الفاعلين في المنظمة حتى تصل إلى بر الأمان و تحمي نفسها من ألللاستقرار ، وبالاعتماد على عدة ركائز و دعائم لتحقيق التطور التنظيمي المنشود ، والذي ينعكس على أداء المنظمة بصفة عامة و الموظفين بصفة خاصة ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لإلقاء الضوء على مدى التفاعل ما بين متطلبات التطوير التنظيمي و أداء الموظفين في المنظمة.

أولا – الإطار العام للدراسة :

مشكلة الدراسة و تساؤلاتها :

يشكل التطوير التنظيمي امتداد للمدارس السلوكية التي دعمت جهود المدرسة الفكرية الحديثة حول النظرة الجديدة للإنسان الفرد، وركزت بشكل أساسي على الجانب الإنساني واعتبرته الأساس في العمليات الإنتاجية، حيث انصبت التعريفات حول أهمية البعد الإنساني في العمليات التنظيمية، ويعرّف التطوير التنظيمي بأنّه يتضمن إشارة إلى مختلف مداخل العلوم السلوكية المستخدمة لتوجه المنظمات الإدارية نحو الإنفتاح (**العمري، 2008 : 04**)، وهذا يبرز الانسجام الرائع بين بيئة التنظيم المريحة والمرضية والتي تعد ضرورية لإحداث نوع من الرضا لدى العامل، إضافة إلى العمليات والاستراتيجيات المنتهجة، والأفراد كونهم العنصر الأساسي في العملية التنظيمية وتوفر الثقافة التنظيمية وتطوير حلول مناسبة لخلق نوع من الإبداع والتحفيز في المنظمة، وأهم عنصر فعّال ويكمّل هذه العناصر هو الالتزام المهني الذي يجب أن يتوفر لدى كل عامل في المنظمة حتى يتم تسطير أهداف تنظيمية وتطبيقها بتظافر جهود الجميع في المنظمة، وبالتالي تطوير أدائهم وإنجاز الأهداف المسطرة وتبني المنظمة لاستراتيجيات منظمة تهدف إلى التغيير والتطوير التنظيمي بتطبيق متطلباته أو البعض منها حسب دراسة العربي وقشلان(2009)، إضافة إلى مدى إسهام هذه المتطلبات في رفع أداء الموظفين بالمركز الجامعي وتحسين قدراتهم، ومدى تقبلهم للتطورات الجديدة، حيث أن التطوير التنظيمي يساعد العنصر البشري بصفة خاصة والمركز الجامعي بصفة عامة ليكون أكثر كفاءة وهذا ما يتوافق مع دراسة المربع

(2004) ومن هذا المنطلق جاءت إشكالية الدراسة للبحث في العلاقة بين القيادة التحويلية وأداء الموظفين بالمركز الجامعي "أحمد زبانة " بغليزان من خلال التساؤل التالي :

- ما مدى مساهمة متطلبات التطوير التنظيمي في التنبؤ بالأداء لدى الموظفين ؟
- هل يساهم التفاعل بين الجنس مع التعلم التنظيمي، والجنس مع القيادة التحويلية، والجنس مع تمكين الموظفين في تفسير الأداء ؟
- هل يساهم التفاعل بين المؤهل العلمي مع التعلم التنظيمي، والمؤهل العلمي مع القيادة التحويلية، والمؤهل العلمي مع تمكين الموظفين في تفسير الأداء ؟

1- فرضيات الدراسة :

و للإجابة على التساؤلات التالية تمت صياغة الفرضيات التالية :

- توجد مساهمة لمتطلب القيادة التحويلية في التنبؤ بالأداء لدى الموظفين .
- يساهم التفاعل بين الجنس مع التعلم التنظيمي، والجنس مع القيادة التحويلية، والجنس مع تمكين الموظفين في تفسير الأداء .
- يساهم التفاعل بين المؤهل العلمي مع التعلم التنظيمي، والمؤهل العلمي مع القيادة التحويلية، والمؤهل العلمي مع تمكين الموظفين في تفسير الأداء .

2-نموذج الدراسة :

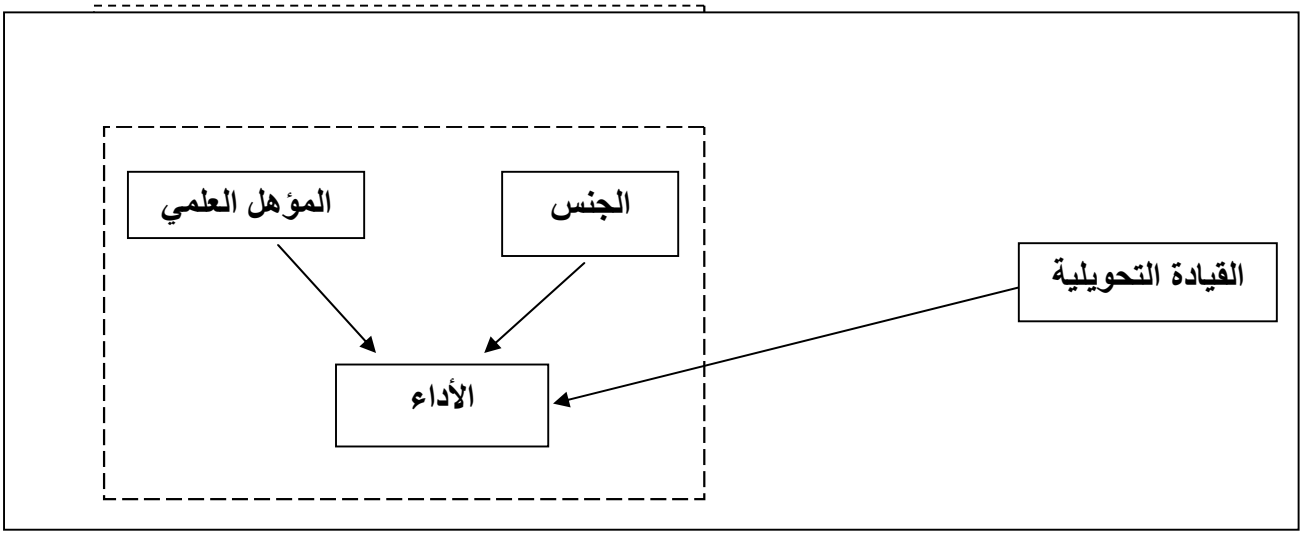

3- دواعي اختيار موضوع الدراسة :

- دراسة واقع التطوير التنظيمي بالمركز الجامعي .
- بناء إطار مفاهيمي حول متطلبات التطوير التنظيمي(القيادة التحويلية) والآليات المساعدة في تطبيقها على أرض الواقع .
- توضيح مضامين ودلالات التغيير بالنسبة لعينة الدراسة بهدف تفعيل القيادة التحويلية على مستوى المركز الجامعي .
- توضيح مفهوم القيادة التحويلية ودورها في رفع أداء الموظفين بالمركز الجامعي .
- السعي للوصول إلى نتائج محددة واقتراح توصيات تسهم في علاج نقاط الضعف التنظيمية – إن وجدت – مع إبراز كيفية الإستفادة من عناصر القوة الدافعة في إدارة المركز الجامعي لتحقيق القيادة التحويلية المنشودة الذي يستهدف رفع كفاءة الأداء في المركز الجامعي .
- إثراء المكتبة العلمية بدراسات من هذا النوع .

4- أهداف البحث :

تتمثل أهداف البحث فيما يلي :

- التعرف على العلاقة بين متطلبات التطوير التنظيمي(القيادة التحويلية) والأداء من وجهة نظر الموظفين بالمركز الجامعي غليزان .
- مدى إسهام القيادة التحويلية في رفع أداء الموظفين .
- أهم المعوقات التي تواجه إدارة المركز الجامعي في تطبيق القيادة التحويلية .
- التعرف على أثر القيادة التحويلية في تفسير الأداء .
- علاقة القيادة التحويلية بالأداء تبعا لإختلاف : الجنس، المؤهل العلمي .

5- أهمية الدراسة :

- تتجسد أهمية الدراسة في كونها تتناول متطلبات التطوير التنظيمي (القيادة التحويلية) وعلاقتها بأداء العاملين بالجامعة الجزائرية عموما و المركز الجامعي بغليزان خصوصا .
- التركيز على القدرات والإمكانات المتاحة إدارة الجامعة بالانتقال من قيادة كلاسيكية إلى قيادة تحويلية متطورة ومتعلمة .
- إتباع أساليب وآليات مستجدة للرفع من أداء الموظفين بها .

- استكشاف الوضع القائم عن مدى استخدام إدارة المركز الجامعي للقيادة التحويلية بتوفير قاعدة معلوماتية عن اتجاهات الموظفين نحوها ومدى تحقيقها للكفاءة والفعالية لما يعود من مزايا معنوية واكتساب مهارات جديدة تحقق لهم التفوق في الأداء .
- تناول موضوع القيادة التحويلية في إطاره النظري والعملي وهو أمر مهم في حد ذاته .
- رفع مستوى الوعي لدى المسؤولين في المركز الجامعي عن واقع القيادة التحويلية لتحديد مواطن الضعف وعلاجها، والتأكيد على نقاط القوة وتحسينها والإستمرار فيها .
- معالجة موضوع لم يتم التطرق إليه بالدراسة الميدانية في المركز الجامعي، ويتوقع أن تسهم هذه الدراسة من خلال نتائجها في تقديم التوصيات العملية لتطوير إدارة المركز الجامعي، إضافة إلى ما تثيره من قضايا لها بعدها الفكري المتعلق بالتطوير التنظيمي والإداري .

المفهوم الإجرائي لمتغيرات الدراسة :

1- القيادة التحويلية : هي قدرة المسؤول على كسب ثقة الموظفين وتحسين مهاراتهم المهنية في العمل، وتساوي الدرجة التي سيحصل عليها المفحوص في بعد القيادة التحويلية .

2- الأداء : هو المجهود الذي يبذله العامل عند قيامه بالمهام المنوطة به في المركز الجامعي ، ويساوي الدرجة التي سيحصل عليها المفحوص في بعد الأداء .

3- الموظف : وهو العنصر الفاعل في إدارة المركز الجامعي

مفهوم القيادة التحويلية :

حسب مزيان فإنّ العمري يعرّف القيادة على أنّها " القدرة على التأثير على الآخرين أفراد وجماعات في قيمهم وأفكارهم وسلوكهم، والقدرة على توجيههم لتحقيق الأهداف التي يرغب فيها القائد " **(مزيان، 2012 :18)**.

حيث يعرض **(المراد ، 2015 : 221)** عدة تعريفات للقيادة التحويلية لأهم الباحثين في هذه النظرية : حيث عرف **بورن Burns** (1978) القيادة التحويلية بأنّها " القيادة التي تبحث عن تحفيز المرؤوسين ما أمكن، وإشباع احتياجاتهم المتزايدة، والانغماس معهم بشكل متكامل ". كما عرّف **روش Rouche** (1989) القيادة التحويلية بأنّها " قدرة القائد على التأثير في قيم واتجاهات ومعتقدات وسلوكيات الآخرين بالعمل معهم أو من خلالهم من أجل تحقيق هدف المنظمة ومهمتها "، وحسب **(فيصل ، 2014 : 99)** فإنّ العولمة وتقنية المعلومات (الأنترنت) والتداخل الاقتصادي بين دول العالم جعل درجة اليقين عالية جدا

وحجم التغيرات الخارجية كبيرا، الأمر الذي ترك أثرا بالغا على جميع المؤسسات بغض النظر عن طبيعة نشاطها، وفي ظل هذه التغيرات كان لابد أن يكون هناك قادة قادرون على قيادة منظماتهم إلى برّ الأمان وهؤلاء القادة هم من يسمّون بالقادة التحويليين .

وقد عرّف العامري القيادة التحويلية بأنّها تلك التي تركز الإهتمام على الأهداف بعيدة المدى مع التأكيد على بناء رؤية واضحة وحفز وتشجيع الموظفين على تنفيذ تلك الرؤية والعمل في الوقت نفسه على تغيير وتعديل الأنظمة القائمة، مع الأخذ بعين الإعتبار تدريب المرؤوسين على تحمل أكبر قدر من المسؤولية في تنمية وتطوير أنفسهم والآخرين .

وحسب جيمس **بورن** (Burns) فإنّ القيادة التحويلية هي نمط من القيادة المعيارية بمعنى أنّها لا تصف كيف يتصرف القادة في الواقع، بل كيف عليهم أن يتصرّفوا، وإنّ **بورن** يرى أن القادة يجب أن يعملوا أكثر من أجل رغبات وحاجات الأفراد، لهذا فهذه القيادة يجب أن تتحرك إلى ما بعد رغبات الأفراد من خلال الإهتمام بحاجاتهم وقيمتهم الحقيقية، فعند الإرتقاء بالقيادة والمرؤوسين إلى مستويات أعلى من التحفيز والقيم الأخلاقية، فإنّ القيادة التحولية تمثل الاختيار الملائم . **(نجم ، 2015: 87)** .

مفهوم الأداء الوظيفي : حسب بوزيان فإنّ درة والصباغ (2008) يعرّفان الأداء على أنّه ما يقوم به فرد أو مجموعة من الأفراد من أعمال ونشاطات ترتبط بوظيفة أو مهمة معينة، وهو نتيجة لجهد قام به الفرد أو مجموعة الأفراد لإنجاز عمل أو مهمة، وقد يكون ذلك بطرق وأساليب بسيطة أو معقدة ،وقد يستعان في الأداء باستخدام أدوات أو أجهزة، أو استخدام أعضاء الجسم المختلفة، والنتيجة التي نرمي إليها في أداء الأفراد والجماعات هو أداء محسن، أي أداء وصل إلى حد مقبول من الإتقان والجودة والمستوى، وهذا يستتبع وضع معايير محددة لقياس الأداء والقيام بعملية التقييم في ضوء تلك المعايير، ومن المهم أن نشير هنا إلى أنّ الأداء قد يكون لفرد معين، أو مجموعة من الأفراد يعملون في بقسم معين كقسم الإنتاج أو المالية أو المحاسبة، وقد يكون الأفراد جماعة صغيرة في شكل فرق أو لجنة يوكل إليهم إنجاز مهمة ما **(بوزيان، 2015 : 116)**.

كما يمكن تعريف الأداء على أنّه درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة للوظيفة، بحيث يمكن للفرد أن يشبع متطلبات هذه الوظيفة. **(بحوث و أوراق عمل المؤتمر العربي الثاني، 2010: 238)**.

و حسب دورون و باروت فإنّ الأداء يمكن أن يبقى تحت إمكانية الشخص ولا يستخدم، ولكن لا يعني بالضرورة ترجمة فعلية لمكانته (**زريبي ، 2014 : 63**).

ومن هنا يمكن القول أنّ كل هذه التعاريف تنصب في قالب واحد لتعريف الأداء على أنّه العلاقة الوطيدة بين الفرد والمنظمة التي يعمل فيها عن طريق إنجاز المهام الموكلة إليه من طرف منظمته لتحقيق أهدافها ورقيها .

منهجية الدراسة و إجراءاتها :

نظرا لطبيعة الدراسة وتساؤلاتها تم تطبيق المنهج الوصفي التحليلي .

1- عينة الدراسة :

شملت عينة الدراسة على (200) تلاميذ يدرسون بالمدرسة المتخصصة للأطفال المعوقين سمعيا "درقاوي بدرة "بغليزان ، وقد تم اختيارهم بطريقة قصدية ، وجاءت خصائص العينة كالآتي :

جدول رقم 01 يوضح الخصائص الشخصية لأفراد عينة الدراسة حسب متغير الجنس والمؤهل العلمي.

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	129	% 64.5
	انثى	71	% 35.5
المؤهل العلمي	ثانوي	18	% 09
	ليسانس	103	%51.5
	ماستر	58	% 29
	ماجستير	16	% 08
	دكتوراه	06	% 3
المجموع		200	

يوضح الجدول التالي خصائص عينة الدراسة والذي يحتوي على المتغيرات التالية :

الجنس حيث نجد عدد الذكور بنسبة (64.5 %) وعدد والاناث بنسبة (35.5 %) ، وبالنسبة لمتغير المؤهل العلمي فنجد مستوى ثانوي بنسبة (09 %) ومستوى ليسانس بنسبة (51.5%) ومستوى ماستر بنسبة (29 %) ومستوى ماجستير (08 %) ومستوى دكتوراه بنسبة (3 %) .

2- أدوات جمع المعطيات :

تم اعتماد الإستبيان تم اقتناؤه بناءا على الجانب النظري والدراسات السابقة وهذا حسب الجدول التالي :

جدول رقم 2 يوضح : أسئلة الاستبيان وما تقيسه .

البعد	رقم السؤال	محتوى السؤال
القيادة التحويلية	**1-2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-16**	يمتلك القائد ثقة المرؤوسين – يعبر القائد بكلمات بسيطة عما يجب علينا فعله – يقدّر القائد مشاعر الموظفين و يحسن معاملتهم – يساعد القائد على حل مشكلات العمل بطريقة ذكية – يمتلك القائد رؤية للمستقبل بالمركز الجامعي – يدرك القائد مدى الحاجة للتغيير نحو الأفضل– يعطي القائد الوقت الكافي للموظفين في الاستماع اليهم – لدى القائد من القدرات ما يساعده على التحكم في زمام الأمور التنظيمية– تعتبر كلمات القائد و توجيهاته دافعا لنا في العمل – يكلّف القائد الموظفين بأنشطة متعلقة بالعمل دون إكراه– يستعمل القائد وسائل التكنولوجيا الحديثة لتحقيق الاهداف المشتركة–لدى القائد القدرة على رفع دافعية الموظفين–يسعى القائد للإرتقاء بأداء الموظفين إلى مستويات أعلى –هدف القائد الرئيسي هو توحيد جهود الموظفين–يشارك القائد الموظفين في انجاز الاعمال– تحقيق القائد للنتائج المرغوبة يزيد من حماس الموظفين للعمل
الاداء	**2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13**	تقوم الادارة بتقويم الموظفين – غاية المسؤولين من تقويم اداء الموظفين تعزيز نقاط قوتهم و معالجة نقاط ضعفهم– تحاول الادارة تقويم ادائنا لعملنا من اجل تقدير مدى كفائتنا العملية– تسعى الادارة لتقويم ادائنا لتحديد مقدرتنا على اداء العمل المطلوب الحالي و في المستقبل– هدف المسؤولين من تقدير جهودنا خلق جو للمنافسة الايجابية – يساهم تقويمنا

		الوظيفي في خلق مهارات جديدة (تحمل مسؤولية اكبر ، ترقية)- التقويم الذاتي للموظف ينمّي قدرته في الاعتماد على النفس- يستخدم المسؤول عدة ادوات لتقويم ادائنا (تقرير كتابي)- نجاح أو فشل الإدارة يعتمد بالدرجة الأولى على أداء موظفيها - يستخدم المشرف المباشر احيانا معايير تقديرية لتقويم أداء موظفيه (اصدار احكام ، تقديرات)- لا يجد المديرون و موظفوهم الوقت الكافي لمناقشة المشكلات المهنية بسبب ضغوط العمل- التقويم السلبي للموظفين يحبطهم في كثير من الاحيان- توحّد الإدارة جهودها مع الموظفين لمناقشة مشكلات العمل

يحتوي الاستبيان على بعدين: بعد القيادة التحويلية، و بعد الاداء، و تم استعمال نموذج ليكرت الخماسي على النحو التالي (5-4-3-2-1) .

الجدول رقم (03) يوضح مقياس ليكرت(Likert) الخماسي.

سلم الإجابـــــات				
موافق بشدة	**موافق**	**محايد**	**غيرموافق**	**غير موافق بشدة**
5	**4**	**3**	**2**	**1**

عرض النتائج ومناقشتها :

عرض نتائج الفرضية الأولى: والتي نصت على مدى مساهمة متطلبات التطوير التنظيمي (القيادة التحويلية) في التنبؤ بالأداء، وللتحقق من صحة الفرضية تم حساب تحليل الانحدار المتعدد (Multiple Régression) .

و للتأكد من أنّ نموذج الانحدار المفترض الذي ينطوي على متغيرات مستقلة معينة (القيادة التحويلية) دون غيرها من المتغيرات الأخرى العديدة ومتغير تابع معين (الأداء) ينطوي على علاقة دالة إحصائيا ، ويستعمل الانحدار في ذلك طريقة تحليل التباين ANOVA .

جدول رقم (04): يوضح تحليل التباين (ANOVA).

مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة "ف"	مستوى الدلالة
بين المجموعات	3	3084,161	1028,054	4,574	0.04 (دالة)
داخل المجموعات	196	44057,419	224,783		
الكلي	199	47141,580			

يظهر من خلال الجدول قيم تحليل التباين(ANOVA) ، حيث بلغت قيمة "ف" المحسوبة (4.57) عند مستوى الدلالة (0.04) وهي اقل من (0.05) ، وهذا يعني قبول معادلة الانحدار بنسبة مئوية تقدر بـ (22.4%) ، أي أنّ استعمال المتغير المستقل (القيادة التحويلية) أمدّ النموذج بقوة تفسيرية للمتغير التابع (الأداء) .

– و للتأكد من مدى مطابقة نموذج الإنحدار المفترض للبيانات لابد من فحص معامل الإرتباط المتعدد Coefficient of multiple corrélation (ر) ، ومربع معامل الارتباط المتعدد أو معامل التحديد المتعدد Coefficient of multiple détermination (ر2).

جدول رقم (05): يوضح نتائج تحليل الانحدار المتعدد(Multiple Régression) باستخدام طريقة Enter ،للتأكد من مدى مطابقة نموذج الانحدار المفترض للبيانات .

المتغير التابع	الطريقة	معامل "ر"	معامل "ر 2 "	معامل "ر" المصحح	مستوى الدلالة
الأداء	إدخال المتغيرات ENTRE	0.25	0.065	0.05	0.004

يتبين من خلال الجدول أعلاه من تحليل تباين الانحدار أنّ معامل الارتباط المتعدد "ر"بلغ (0.25)، بينما بلغ معامل التحديد "ر 2 " (0.06) ، و معامل التحديد المصحح " ر "(0.05) عند مستوى

الدلالة (0.04)، ومن هنا يمكن القول أن المتغير المستقل القيادة التحويلية تعد مؤشرا ضعيفا في تفسير المتغير التابع و استطاعت أن تفسر 6% على مستوى العينة ، في حين أن 94% تعزى إلى عوامل أخرى .

– وللإنتقال من الفحص العام للنموذج إلى الفحص التفصيلي تتم معاينة مساهمة المتغير المستقل (القيادة التحويلية) في التنبؤ بالمتغير التابع (الأداء) عن طريق معامل الانحدار الجزئي غير المعياري Unstandardized Partial regression coefficient [A] ومعامل الانحدار المعياري Standardized Regression Coefficient "بيتا " و الجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم (06): يوضح معاملات الانحدار .

المتغير المستقل	معامل الانحدار B	معامل الانحدار المعياري Béta	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
ثابت الانحدار	**87,511**		**9,213**	**0,000**
القيادة التحويلية	**-,293**	**-0 222,**	**-3,151**	**0,002**

يظهر من خلال الجدول أعلاه معاملات الارتباط الجزئي " A "ومعاملات الانحدار المعياري Béta (الدرجة المعيارية) ،حيث نجد أنّ القيادة التحويلية تساهم في تفسير الأداء ، حيث قدّرت قيمة Béta (-0,222) بنتيجة سلبية وعند مستوى الدلالة (0.02) أي أقل من (0.05)، و هذا يعني أنّه كلما انخفضت درجة القيادة التحويلية بدرجة انخفضت درجة الأداء بنفس الدرجة المعيارية .

أظهرت نتائج الفرضية الأولى و التي تنص على مدى مساهمة متطلبات التطوير التنظيمي (القيادة التحويلية) في التنبؤ بالأداء لدى الموظفين بالمركز الجامعي على أنّ هناك مساهمة للقيادة التحويلية في التنبؤ بالأداء وهذا يمكن إرجاعه إلى أنّ القيادة التحويلية تعتبر عنصر مهم في رفع الأداء نظرا للدور الكبير الذي يلعبه القائد على اعتباره الموجه الفعال للعملية التنظيمية والإدارية من خلال إسهاماته كمنشط لدافعية الموظفين ، و الرفع من حماسهم بغرس الثقة بينهم بناءا على مهاراته الإنسانية والفنية ، وهذا ما جاءت به دراسة (الرشودي ، 2002) حيث أشارت نتائجها إلى أنّ المهارات القيادية الذاتية والإنسانية والإدارية مهمة جدا مع توفر المهارات الفنية و توصلت أيضا إلى وجود علاقة إرتباطية موجبة بين

المهارات القيادية وفعالية الأداء الوظيفي ، وتركز دراسة الغبيوي (2003) على أنّ إتساع دور المنظمات وكبر حجمها وتشعّب أعمالها وتعقدها و تنوع العلاقات الداخلية وتشابكها وتأثير البيئة الخارجية كلها أمور تستدعي مواصلة البحث والإستمرار في إحداث إحداث التغيير والتطوير وهذه مهمة لا تتحقق إلا في ظل قيادة واعية .

إضافة إلى العمل على تطبيق إستراتيجيات التسيير الفعال ، عن طريق وضع خطة تنظيمية تطبق على مراحل و تحتوي على أهداف تنظيمية تخدم الصالح العام للمركز الجامعي بصفة عامة والموظفين بصفة خاصة، وكل هذا يتجلى من خلال إنجاز هذه الأهداف المسطرة وتعاون طرفي العملية التنظيمية (القائد والموظفين) وهذا التعاون الذي نشده كل مسير تعاقب على تسيير الصرح الجامعي أي حوالي أربع مدراء إلى غاية إنجاز الباحثة العمل الميداني، حيث لكل مسير ثقافة تسيير خاصة به و يراها مناسبة للسير الحسن للأمور و رفع الأداء الوظيفي للعمال و إتباع نمط قيادي يتلائم مع طبيعة التسيير المطبق في المركز الجامعي ممّا يخلق نوعا من الرضا الوظيفي لدى الموظفين وهذا ما يتفق مع دراسات مشابهة كدراسة الغبيوي (2003) حول علاقة النمط القيادي بأداء الأطباء في المستشفيات العسكرية ودراسة المزروع (1999) حول الأنماط القيادية للمديرين و علاقتها بالرضا الوظيفي لدى العاملين، وتنص نتائج الدراسات على أنّ استخدام أسلوب القيادة المناسب يؤدي إلى رفع الرضا الوظيفي و هذه النتائج تتعارض مع ما توصلت إليه دراسة الشريف (2004) حول الأنماط القيادية وعلاقتها بالأداء الوظيفي والتي توصلت نتائجها إلى أنّ القادة يتجنبون التغيير في أسلوب العمل ويطلبون من المرؤوسين تنفيذ الخطط دون الإسهام في وضعها ، و يتقيدون في حرفية الأوامر والتعليمات، كما يلزمون العاملين بمستويات معينة من الأداء و يقضون وقتا كبيرا في مناقشة تفصيلات مشكلات العمل، و من الأنماط القيادية التي أفرزها التقدم العلمي والتقني نمط القيادة التحويلية و الذي يميزه قدرته العالية على إدارة المركز الجامعي في مواجهة التحديات والتطورات الحديثة من خلال التأثير في سلوكات الموظفين وتنمية قدراتهم الإبداعية عن طريق فتح المجال لهم وتشجيعهم على حل المشاكل والصعوبات التي تواجه منظماتهم ،إذ أنّ المركز الجامعي يعتبر من المنظمات التي تحتاج أكثر من غيرها إلى ذلك النمط القيادي الذي يستطيع تفجير الطاقات الكامنة داخل الموظفين العاملين فيه، و إتاحة الفرصة لهم للبحث عن التجديد في مجال العمل والتحديث المستمر لأنظمة العمل بما يتفق والتغيرات المحيطة وهذا ما يتوافق مع دراسة (العازمي ، 2006).

ومن أهم سمات القيادة الإدارية الناجحة الإخلاص في العمل ، أي يؤدي القائد عمله على أكمل وجه وينظر إلى جميع الذين يعملون معه على أنهم سواء ولا تفضيل لأحدهم على الآخر بما يقدمه من عمل متقن و إيجابي ، والإعتماد على العلاقات الإنسانية و المشاركة و تفويض السلطة وبالرفق مع الموظفين، لأنّ القيادة التحويلية هي عملية يتم عن طريقها إثارة إهتمام الآخرين وإطلاق طاقاتهم وتوجيهها في الإتجاه المطلوب، و أنّ نجاح القائد يتوقف أساسا على استخدامه النمط القيادي المناسب والمؤثر على العاملين تحت إشرافه حسب ما جاءت به دراسة (الشريف ،2004)، وحسب المراد (2015) فان القيادة هي التي تغير الأفراد و تحوّلهم ، و ترفع مستواهم من أجل الإنجاز والتنمية الذاتية، مرتكزة على القيم والأخلاق و المعايير والأهداف طويلة الأجل، ومتضمّنة تقويم دوافع الأفراد وإشباع حاجاتهم ومعاملتهم بإنسانية، ليبذلوا جهودا عالية لتحقيق أهداف المنظمة، ومدى تمكن مسؤول الميدان و رئيس القسم بالمركز الجامعي من ذلك، وهذا ما لمسته الباحثة من خلال دراستها الميدانية، إضافة إلى الإلتزام بالحضور في الوقت المحدد مع إنجاز المهام اليومية، والتعاون من فرق العمل لتحقيق أهداف المنظمة كلها أمور ترفع مستوى الأداء الوظيفي حسب ما جاءت به دراسة المنديل (2004)

1-2 عرض نتائج الفرضية الثانية :

نصت الفرضية الثانية للدراسة على مدى مساهمة التفاعل بين الجنس مع القيادة التحويلية في تفسير الأداء، و للتحقق من صحة الفرضية تم حساب تحليل التباين الثنائي و المتعدد و الجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم (07): يبين تحليل التباين الثنائي والمتعدد لمساهمة التفاعل بين الجنس و القيادة التحويلية في تفسير الأداء .

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	مستوى الدلالة
الجنس	351,017	1	351,017	1,542	غير دال
القيادة التحويلية	288,886	1	288,886	1,269	غير دال
الجنس * القيادةالتحويلية	257,137	1	257,137	1,129	غير دال

يتبين من خلال الجدول أن مستوى الدلالة لمتغيرات الجنس (0.21) و القيادة التحويلية (0,261) كلها نسب اكبر من (0.05) ما يدل على عدم تحقق الفرضية، أظهرت نتائج الفرضية الثانية على عدم وجود مساهمة للتفاعل بين الجنس مع القيادة التحويلية في تفسير الأداء و ترجع الباحثة أسباب عدم تحقق الفرضية إلى أن متغير الجنس لا يؤثر في الأداء باعتبار أن كلا الجنسين يمارسان نفس المهام تقريبا أي ما يقوم به الموظف في الإدارة تستطيع القيام به الموظفة ، و تشابه المهام الإدارية بالمركز الجامعي و هذا ما يفسر التجانس والإنسجام بين الموظفين ذكور و إناث مما يعكس ذلك التلاحم الوظيفي لإنجاز الأهداف المحددة من طرف إدارة المركز الجامعي في جميع المستويات الإدارية و التنظيمية ، و الذي بطبيعته يخلق نوع من الرضا لدى الموظف و يحفزه على انجاز مهامه في وقتها و بالتالي انجاز أهداف الإدارة و أهداف المنظمة ككل ، على إعتبار أنّ نسبة الذكور أكثر من 64 % و نسبة الإناث أكثر من 35 % و هذه النسب لم تؤثر في أداء الموظفين لأنّ كلاهما يسعى لتحقيق رسالة المركز الجامعي في قيادة الحركة العلمية و هذا ما يتوافق مع دراسة السليّم وعليمات (2010)، ولاحظت الباحثة أنّ مستوى الأداء لدى الموظفين و الموظفات متقارب و لا فرق في من يؤدي المهام ، حيث أنّ تدرج الهرم التنظيمي يحوي إطارات من كلا الجنسين و تقسيم المهام من طرف المسؤول لا يفرق بين ذكور و إناث ، إذ أنّ الغاية من وراء كل هذا هو إنجاز المهام الإدارية الموكلة للموظفين على حد سواء، أما على المستوى الإداري فإن عدم وجود ذلك التجانس و التلاحم ينعكس سلباً على المناخ النفسي السائد داخل المؤسسة أو الإدارة وكذلك على العلاقات بين الزملاء وهو ما يؤدي في النهاية إلى عدم الرضا وعدم الشعور بالأمان الوظيفي والذي يعدّ أحد أهم العوامل المهمة في زيادة الإنتاجية والرغبة في العطاء والإنجاز إلى جانب البقاء داخل المركز الجامعي و هذا ما يتوافق مع دراسة الغزالي (2012) و دراسة (المربع 2004) حيث أكدت نتائج الدراستين على أن أفراد العينة لهم رؤية متشابهة حول علاقة متطلبات التطوير التنظيمي بالأداء على اختلاف جنسهم ذكور و إناث، وفي ميدان آخر نجد دراسة لـ السليّم و عليمات (2010) حول قياس الأداء الديمقراطي لدى طلبة كلية التربية ،حيث أظهرت نتائجها إلى وجود فروق لمتغير الجنس نحو الأداء الديمقراطي ،ممّا يعني رضا العينة عن مستوى أداء الكلية و هذا يأخذ طابعا إيجابيا .

وقد تعارضت نتائج دراسة المنديل (2004) مع الدراسات السابقة حيث توصلت إلى وجود إختلاف في مستوى الأداء الوظيفي بإختلاف الجنس أي أنّ مستوى الأداء لدى الذكور والإناث متقارب والاختلاف بينهم ليس بالإختلاف الجوهري، ودراسة العربي (2009) حول تقويم أداء مديري مدارس

التعليم الثانوي العام لمهامهم الوظيفية، فقد توصلت نتائجها إلى أنّ هناك إختلاف في تقديرات المديرين للأداء الوظيفي تعزى لعامل الجنس.

1-3عرض نتائج الفرضية الثالـثة :

نصت الفرضية الثالثة للدراسة على مدى مساهمة التفاعل بين المؤهل العلمي مع القيادة التحويلية في تفسير الأداء ،و للتحقق من صحة الفرضية تم حساب تحليل التباين الثنائي و المتعدد .

جدول رقم (08): يبين تحليل التباين الثنائي والمتعدد لمساهمة التفاعل بين المؤهل العلمي مع القيادة التحويلية ، في تفسير الأداء .

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	مستوى الدلالة
المؤهل العلمي	2068,542	4	517,136	2,318	0,05
القيادة التحويلية	1825,478	1	1825,478	8,184	0,005
المؤهل العلميٌالقيادةالتحويلية	1456,971	4	364,243	1,633	غير دال

يتبين من خلال الجدول أن مستوى الدلالة لمتغيري المؤهل العلمي (0.05) و القيادة التحويلية 0.05) أكبر من (0.05) ممّا يدل على قدرتهما على تفسير الأداء و هذا يدل على تحقق الفرضية .

أظهرت نتائج الفرضية الثالثة على وجود مساهمة بين المؤهل العلمي مع التعلم التنظيمي، والمؤهل العلمي مع القيادة التحويلية، والمؤهل العلمي مع تمكين الموظفين في تفسير الأداء مساهمة فعالة وهذا يدل على أن التعلم التنظيمي يساهم في تفسير الأداء وهذا راجع لدور التعلم التنظيمي في رفع كفاءة الموظف بالمركز الجامعي نظرا لإسهامه في مساعدة الموظف على صقل مهاراته المهنية وتجديدها لتواكب التطور التكنولوجي الحاصل، وأيضا دور البيئة المهنية والتي لها التأثير المباشر على سير العملية التنظيمية لاشتراكها مع احتكاك الموظفين مع بعضهم البعض وتبادلهم للخبرات والمعلومات المستقاة من بيئات أخرى، وهنا نقصد جامعات أخرى أكثر تطورا في رفع أداء الموظفين حسب دراسة لـ

الحنيطة (2003) والتي توصلت نتائجها إلى إرتفاع أداء الموظفين نتيجة توفر إمكانيات حديثة تساعد على إنجاز المهام في وقتها المحدد، و أظهرت نتائجها أيضا على وجود علاقة ارتباطية بين المؤهل العلمي وكفاءة الأداء مما يدل على انّه كلما ارتفع مستوى المؤهل العلمي ارتفع معه مستوى الأداء، وفي ميدان آخر نجد دراسة السليّم و عليمات (2010) حول قياس الأداء الديمقراطي لدى طلبة كلية التربية حيث توصلت نتائجها إلى أنّ درجة مستوى الأداء الديمقراطي لدى أفراد العينة كانت كبيرة ،إضافة إلى وجود فروق لأثر التخصص على مستوى الأداء الديمقراطي ،أي وجود علاقة تأثير بين جميع التخصصات أي أنّ تنوع التخصصات يؤثر على درجة مستوى الطلبة و آرائهم في جوانب الحياة الديمقراطية .

أما بالنسبة للقيادة التحويلية لاحظت الباحثة إسهامها في تفسير الأداء وهذا راجع إلى مدى تمكن القائد مهما كانت رتبته المهنية بالمركز الجامعي من التحكم في زمام الأمور التنظيمية وعلاقته المباشرة مع من يعملون معه، إضافة إلى قدرته وذكائه في إشراك موظفيه في عملية اتخاذ القرارات الإدارية المهمة والفورية سواء بعقد اجتماعات فورية آو فصلية، ومدى مساهمة الموظفين بدورهم في خلق الإبداع الوظيفي الذي يعد بدوره متنفسا للعديد من الموظفين لتجديد طاقاتهم والاستعداد لمواكبة التطور الحاصل، على اعتبار أن أغلب الموظفين بالمركز الجامعي يرصدون التطورات الحاصلة في الجامعات الأخرى وهذا ما نعتبره مؤشرا من مؤشرات التطوير التنظيمي ودلالة بارزة لتطلعات الموظفين الإداريين بالمركز الجامعي للأفضل وهذا ما يتوافق مع دراسة مرزوق (2006) والتي توصلت نتائجها إلى أنّ إهتمام الإدارة ببرامج وخطط التطوير التنظيمي يرفع من مستوى الأداء ووجود إهتمام إلى حد ما من قبل الإدارة بالأفكار و المقترحات التي يقدمها العاملون لتحسين الأداء وتطوير العمل ، كما أكدت نتائج الدراسة الحالية على وجود مساهمة للتعلم التنظيمي في تفسير الأداء وهذا يشير إلى اعتقاد واسع وعام لدى الموظفين في المركز الجامعي بضرورة ممارسة التعلم التنظيمي لأنه يؤدي إلى تحسين أداء المركز الجامعي وتحسين الأداء المهني لموظفيه، وقد يرجع السبب إلى البيئة التنظيمية لإسهامها في توفير الجو المناسب للعمل وكذا توفر الإمكانيات المادية، إضافة إلى العلاقة الوثيقة بين دعم الإدارة لعملية التعلم وبين ممارسة هذه العملية بسبب الأدوار المهنية التي لابد أن تتبناها إدارة المركز الجامعي من حيث الحرص على وجود التصور المشترك لمهمة إدارة المركز وأهدافها التعليمية و بناء هياكل و فرق تنظيمية، والالتزام بتثقيف وتعليم الموظفين في جميع المستويات الإدارية ورصد الإمكانيات المادية والطاقات البشرية اللازمة لذلك ، وهذا ما إتفق مع دراسة " المربع ، 2004 " والتي أشارت نتائجها إلى

أن هناك علاقة قوية بين التعلم التنظيمي والأداء المهني للموظفين ، إضافة إلى دراسة "العميان 2005" والتي تشير إلى أن أهم أسباب التطوير التنظيمي زيادة مستوى الأداء من خلال معرفة نقاط القوة وتأكيدها مثل: عمليات التحفيز، وتحسين مناخ العمل، وزيادة الرغبة في التفاعل الايجابي مع العاملين ، والولاء والارتباط بالعمل ، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة " المنديل 2004 " والتي أشارت نتائجها إلى أن التطوير التنظيم يؤدي دورا هاما في الدفاع المدني وهو عملية قائمة وموجودة من حيث المبدأ ، وأنّ غياب الإستراتيجيات والتخطيط بعيد المدى والثقافة التنظيمية من الإستفادة من برامج التطوير التنظيمي ، كما أنّ هناك دعم للتطوير التنظيمي وشموليته وأوصت الدراسة على ضرورة المساعدة على مواجهة مشكلة ضعف مستوى الأداء ، واتفقت أيضا النتيجة مع دراسة"السويلم 2003" والتي أشارت نتائجها إلى أن اقل استخدامات تقويم الأداء الوظيفي تتمثل في ضعف سياسات تحفيز الموظفين، كما أشارت نتائج دراسة الرشودي (2002) إلى وجود تأثير سلبي على مستوى الأداء نتيجة عدم توفر الحوافز المادية والمعنوية ، كما أثبتت نتائج الدراسة الحالية مساهمة التفاعل بين المؤهل العلمي والتعلم التنظيمي، وهذا راجع إلى طبيعة المناخ التنظيمي الموجود في الموظف وطبيعة البيئة التنظيمية وكذا سير الأمور في إدارة المركز الجامعي ونجد دراسة نواف(2003) إلى إعتبار الإجتماعات إحدى الأنشطة المهنية والاجتماعية في حياة المنظمات والتي يمثل فيها العنصر البشري محورها الرئيسي لتبادل الأفكار والآراء والمعلومات وتحقيق التفاهم بحضور الإطارات المتعلمة والذين يتمتعون بمؤهلات علمية عالية ، وإيجاد حلول للمشاكل في العمل ونفس النتائج توصلت إليها دراسة المزروع (1999) حيث توصلت إلى أن من بين عوامل زيادة الإنتاجية زيادة عدد الموظفين ذوي الإختصاصات المناسبة وتنمية روح التعاون بين العاملين وأنّ هناك إختلاف في رؤية العاملين اتجاه العوامل المؤدية إلى زيادة الإنتاجية إعتمادا على أساس علمي، وهذه النتائج تتفق أيضا مع دراسة المنديل (2004) .

التوصيات :

- تنمية المهارات القيادية لدى الرؤساء ومديري المعاهد ورؤساء الأقسام بالمركز الجامعي .

تحسين الأداء الوظيفي من خلال التنسيق بين المستويات الإدارية المختلفة بالمركز الجامعي وعدم رجوع الموظفين إلى الرئيس في الأعمال الروتينية البسيطة و التي لا تحتاج إلى إتخاذ قرار، وتحسين أساليب العمل .

- الاستمرار في منح المزيد من الصلاحيات في اتخاذ القرارات وتفويض مزيد من السلطات لما لذلك من دور ايجابي في رفع مستوى الأداء لدى الموظفين .
- الاعتماد على خطة تنظيمية الهدف منها تطوير عملية التعلم التنظيمي في المركز من خلال وضع برامج منظمة ومخططة بناءا على احتياجات الموظفين، ومسايرة التطورات الحاصلة في مجال تطوير تقنيات الإدارة الحديثة، والحرص على تطبيق هذه الخطة وتعميمها على مستوى إدارات المركز الجامعي حتى تصبح ملموسة ومتداولة بين جميع الموظفين و ليست مجرد مؤشرات

قائمة المراجع :

1. **الحنيطة، خالد بن عبد الله.(2003).القيم التنظيمية وعلاقتها بكفاءة الأداء . رسالة ماجستير في العلوم الإدارية. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية . كلية الدراسات العليا .المملكة العربية السعودية http://www.shatharat.net.**
2. **العربي، شريف عبد المعطي و القشلان، أحمد حسن . (2009) . تطوير الأداء في مؤسسات التعليم العالي في ضوء مدخل التعلم التنظيمي وإدارة الجودة الشاملة . المجلد الثاني . العدد 03 . المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي .**
3. **محمود ، سلمان العميان .(2005). السلوك التنظيمي في منظمات الاعمال . ط03 . عمان . الاردن . دار وائل للنشر .**
4. **نواف ، بن سعد بن عبد الله . (2003) .اتجاهات المديرين نحو التطوير التنظيمي .رسالة الماجستير .قسم العلوم الادارية . اكاديمية نايف العربية للعلوم الادارية . المملكة العربية السعودية . http://www.shatharat.net**
5. **المراد ،حسين محمد .(2015). تحليل العلاقة بين الذكاء العاطفي و أنماط القيادة و تأثيرها في زيادة فاعلية القيادة الإدارية . . مصر : منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية.**
6. **الرشودي ،محمد بن علي. (2002). المهارات القيادية لدى ضباط الشرطة وعلاقتها بفعالية أدائهم الوظيفي . رسالة ماجستير في العلوم الإدارية. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية . كلية الدراسات العليا .المملكة العربية السعودية. http://www.shatharat.net.**
7. **مرزوق، إبراهيم ابتسام .(2006) . فعالية متطلبات التطوير التنظيمي وإدارة التغيير . رسالة ماجستير في كلية التجارة . قسم إدارة الأعمال. الجامعة الإسلامية . غزة . فلسطين .**
8. **ناصر سعدي الغبيوي .(2003). علاقة النمط القيادي بأداء الاطباء في المستشفيات العسكرية . رسالة ماجستير في العلوم الإدارية. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية . كلية الدراسات العليا .المملكة العربية السعودية. http://www.shatharat.net.**

9. المزروع،بدر بن سليمان. (1999) . الأنماط القيادية وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى العاملين . رسالة ماجستير في العلوم الإدارية. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية . كلية الدراسات العليا .المملكة العربية السعودية .http://www.shatharat.net

10. الشريف، طلال عبد الملك .(2004).الأنماط القيادية وعلاقتها بالأداء الوظيفي . رسالة ماجستير في العلوم الإدارية .جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية . كلية الدراسات العليا .المملكة العربية السعودية http://www.shatharat.net..

11. العازمي ، محمد بزيع وحامد، بن تويلي. (2006). القيادة التحويلية وعلاقتها بالإبداع الإداري .رسالة ماجستير في العلوم الإدارية .جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية . كلية الدراسات العليا .المملكة العربية السعودية ..http://www.shatharat.net

12. المنديل، خالد ين فيحان.(2004) . المركزية و اللامركزية في إتخاذ القرار وعلاقتها بالأداء الوظيفي . رسالة ماجستير في العلوم الإدارية. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية . كلية الدراسات العليا .المملكة العربية السعودية .http://www.shatharat.net

13. السليّم، بشار عبد الله و عليمات، محمد منيزل. (2010).قياس مستوى الأداء الديموقراطي لدى الطلبة . مجلة جامعة دمشق . المجلد 26. العدد . (1+2) . الأردن .

14. الغزالي،حافظ عبد الكريم .(2012). أثر القيادة التحويلية على فاعلية عملية اتخاذ القرار في شركات التأمين الأردنية . رسالة ماجستير . قسم إدارة الأعمال . جامعة الشرق الأوسط . الأردن.

15. بحوث و أوراق عمل المؤتمر العربي الثاني بالتعاون مع معهد الإدارة العامة .(2010). أثر الموارد البشرية في تعزيز الاقتصاد الوطني . مصر: منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية

16. بوزيان، يعقوب .(2015) . إتجاهات المسيرين نحو القانون الأساسي للوظيفة و علاقته بأدائهم . أطروحة دكتوراه في علم النفس العمل و التنظيم . جامعة وهران . الجزائر .

17. زريبي، أحلام . (2014) . استراتيجيات التصرف اتجاه الضغوط المهنية وعلاقتها بفعالية الأداء . مذكرة ماجستير .كلية العلوم الاجتماعية . جامعة وهران 2 . الجزائر .

18. فيصل ، بن معيّض ال سميّر .(2014). استراتيجيات الاصلاح و التطوير الاداري و دورها في تعزيز الامن الوطني . ط . الاردن . الاكاديميون للنشر و التوزيع .

19. مزيان، بشرى .(2012). العلاقة بين أساليب القيادة و أنماط الإتصال . رسالة ماجستير في علم النفس الجماعات و المؤسسات . جامعة وهران . الجزائر .

20. نجم ، نجم عبود . (2015) . القيادة و ادارة الابتكار .. ط 02 .عمان . الاردن : دار صفاء للنشر و التوزيع .

21. هاني ، العمري .(2008). التطوير التنظيمي و اعادة التنظيم . مذكرة مادة ، ط01 . العراق .

22.ماجد ، محمد صالح سليمان .(2010) . أثر أبعاد القيادة التحويلية في إدارة التغيير التنظيمي . مداخلة في المؤتمر العلمي الدولي السنوي الثامن (ادارة التغيير و مجتمع المعرفة) . كلية الاقتصاد والعلوم الادارية . جامعة الزيتونة الأردنية . الأردن .

23.صالح ، بن سعد المربع .(2004). التطوير التنظيمي و علاقته بالاداء. رسالة ماجستير ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية . الرياض . السعودية .

تطوير المناهج الدراسية في الوطن العربي – التحديات والآفاق –

د/ فنطازي كريمة.
جامعة باجي مختار– عنابة– الجزائر.

الباحثة/ مراد فاطمة الزهراء.
جامعة باجي مختار –عنابة–الجزائر.

الملخص :

هدفت الدراسة إلى التطرق لموضوع تطوير المناهج. حيث تسعى الدول إلى مواكبة التغيرات العلمية والتكنولوجية عبر تطوير مناهجها الدراسية باعتبارها السبيل الأوحد لتحقيق التنمية البشرية.

وقد تم التطرق للموضوع بإتباع المنهج الوصفي بأسلوبي التحليل والمقارنة بين ما كتب من أدبيات حول الموضوع، وما يجري من دراسات مواكبة لعمليات التطوير المتعددة في وطننا العربي على الخصوص.

وقد تم التوصل إلى أن : ما يعرفه وطننا العربي من عمليات تطوير للمناهج تنقصها الجدية في الطرح والفعالية في التطبيق ومشاركة كل القائمين على العملية التعليمية، كذلك ضرورة التنفيذ الفعلي لما يوضع من خطط ، كما انه أصبح من الضروري اعتماد التكنولوجيا في التخطيط والتنفيذ، في قاعات الدرس كما في أروقتها، وأخيرا الاحتكام لكل ما هو علمي والابتعاد عن الذاتية والارتجال اللذان أضرا بنظمنا التعليمية.

الكلمات المفتاحية: المنهج التربوي– تطوير المناهج– التحديات– الآفاق.

abstract :

This study aims to focus on developping curriculums. We used the discreptive – analysing methode comapring what was written about this topic and what studies had as conclusions, espicially in arabic countries.

We deduced that this process in arabic countries misses seriousness and effictiveness. Also, it misses being realised. We insist on using technology during the planning and the realisation. Finally, this process must be based on scientific facts far from subjectivity and improvisation.

المقدمة :

الأساس في الحياة التغير والتطور لا الجمود والتخلف. ولذلك يسعى الإنسان دوما دون كلل نحو التجديد. ولقد شهدت السنوات الأخيرة اهتماما خاصا بتطوير المناهج على ضوء الربط بين حاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبين محتوى المناهج ....وتكفل المراجعة المستمرة للمنهج دوام تطوير الحقائق والمعرفة التي يكتسبها المتعلم، بحيث تظل مسايرة لأحدث ما وصل إليه الإنسان، في سعيه الدائب نحو الأعلى وهذه المراجعة تزيد من فعالية EFFECTIVE العملية التربوية وكفايتها EFFHCIENCY (**محمد مازن، 2009، ص543**). كما أن أهمية المناهج الدراسية تكمن في كونها السبيل لتكوين رجل الغد، أي

الولوج لعالم الشغل، هذا الأخير يتطور مع تطور الزمن والمعرفة الإنسانية ولذلك تعد عملية تطوير المناهج في حد ذاتها من الصعوبة بمكان لأن عليها مسايرة تلك التطورات.

(12 : 2015, Geraldine Oneill)

وعليه فإن الاهتمام بالمناهج التعليمية بناءا وتنفيذا وتطويرا من الأهمية بمكان باعتبارها الوسيلة المباشرة لتأهيل الرأس المال البشري المنشود. ومنه سنركز في بحثنا الحالي على :

–مفهوم تطوير المنهج كعنصر أساسي من عناصر المنهج وأسس ومبادئ واليات ونماذج هذا التطوير، بعد أن نكون قد بينا معنى المنهج قديما وحديثا والفرق بينهما، ثم نتطرق لمعيقات التطوير التي تواجه النظم التعليمية العربية وسبل تعديها وتحقيق التطوير المنشود.

الإشكالية :

إن حاجتنا إلى التطوير تنبع من تطور الحياة وتغيرها المستمر في حد ذاتها، وحاجتنا إلى التطوير أيضا مرتبطة بالحاجة إلى تحقيق أحلام وأفكار مختلفة عن من سبقنا. فالحاجة إلى قيم جديدة كالديمقراطية والانفتاح على الآخر وتقبله وروح المنافسة الشريفة واحترام الفروق الفردية مثلا، كلها حاجات يمليها عصر العولمة والتكنولوجيا والتطور العلمي الذي نعيشه، ومن البديهي أن تساير المناهج الدراسية تلك الحاجات والتغيرات سواء الفردية منها أو الاجتماعية أو العلمية.

يقول **(مازن محمد، 2009، ص544)** أن المنهج الدراسي بالمفهوم الحديث: هو منظومة متكاملة من العناصر المتفاعلة مع بعضها من أهداف ومحتوى ووسائل وطرق تدريس وعمليات تقويم، وكل عملية تطوير له لا بد أن تتصف بالشمولية والعمق، كما يكون في ذات الوقت جذريا لا سطحيا وأن يشمل فلسفة المنهج ...حتى التقويم.

وللتطوير أشكال مختلفة، فقد يكون كليا أو جزئيا. المهم فيه أن براعي كل العناصر المكونة للمنهج وعلاقاتها ببعضها حتى لا يختل توازنها ومردودها العام.

ودولنا العربية باعتبار أغلبها من الدول النامية في حاجة كبيرة لتطوير مناهجها التعليمية لمواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية وتحقيق النمو اللازم، خاصة وأنها دول فتية يشكل الشباب فيها نسبة معتبرة وهو في المقابل من يعول عليه في عملية البناء والتشييد، وبالتالي فتكوينه بمخرجات تواكب العصر من أولى الأولويات لمواجهة ثالوث الفقر والجهل والمرض الذي يخيم على شعوبه ويشكل تحديا لا زال قائما ومنذ عهود، والتربية عبر مناهجها المواكبة للعصر قادرة على تحقيق ذلك.

ولعل ما يجري من تغيير أو تطوير للمناهج التربوية في دولنا العربية في الفترة الأخيرة دليل على اهتمام المسؤولين وتفطنهم لضرورة التطوير وفي المناهج خاصة. وقد أخذت هذه الأخيرة أشكالا ومناحي متعددة

وقطعت أشواطا كبيرة، غير أن المتتبع للمنظومة التربوية العربية لا يزال يلاحظ جوانب قصور متعددة في أشكال التطوير ومضامينه ونواتجه، وخير دليل على ذلك: تراجع ترتيب الدول العربية عالميا في المسابقات والتصنيفات التربوية العالمية وعجزها على دخول المنافسة الإنتاجية والتكنولوجية ...وغيره مما تعيشه دول العالم المتسارع النمو نموا رهيبا. زد على ذلك ندرة الدراسات والأبحاث حول المناهج الدراسية وملاءمتها لثقافة الأمة, وتراثها وحضارتها كما يذكر(**مرعي والحيلة، 2004، ص238**) حول فعالية عملية الاختيار من الثقافات الأخرى ومدى صدقها وتمثيلها لواقع الأمة وطموحاتها ...خاصة عندما تكون عملية وضع المناهج وتطويرها قد كلفت الخزينة مبالغ طائلة. كما أن الفجوة بين النظرية والتطبيق على المستوى التربوي في البلدان النامية قد تعود في معظم أسبابها إلى سوء الفهم والتقدير لمدى الترابط والتأثير المتبادل بين ما هو فني وبين ما هو إداري في العملية التربوية. مما يدفعنا لطرح التساؤلات التالية :

-هل كل تغيير في المناهج هو تطوير فيها؟

- ما نقصد بتطوير المنهج إذا ولماذا التطوير وكيف يكون ناجحا وفعالا؟

أهداف الدراسة : تهدف الدراسة الحالية إلى :

-التعريف بالمنهج التربوي لغة واصطلاحا.

-تبيان الفروق بين المنهج قديما وحديثا والتطور الحاصل فيها.

-استنتاج دواعي تطوير المناهج وفقا لتطور مفهوم المناهج.

-تحديد مبادئ وأسس التطوير الناجح.

-إعطاء فكرة عن أساليب التطوير التقليدية والحديثة واستنتاج أسباب ذلك.

-تقديم نماذج متنوعة في التطوير والتركيز على النماذج الأكثر واقعية منها.

-الخوض في أهم التحديات التي تواجه مناهجنا التعليمية العربية مع تحليل لدراسات سابقة لتطوير المناهج العربية.

-مناقشة المعيقات التي تحول دون التطبيق السليم لما يجري من تطوير لمناهجنا.

-تقديم اقتراحات لتفعيل عملية تطوير المناهج التعليمية.

أهمية الدراسة : تتأتى أهمية الدراسة الحالية من أهمية :

-موضوعها ألا وهو المناهج الدراسية باعتبارها أساس كل عملية تعليمية تعلمية، ولا احد ينفي أهمية هذه الأخيرة في دفع عجلة التنمية باعتبارها المسؤولة عن تكوين الرأس المال البشري المؤهل.

-عملية التطوير في المناهج والتي تعد عصب الحداثة وتعبير صادق عنها في عصر تسارعت وتيرته وفاقت كل التوقعات.

-ضرورة التطرق بالدراسة والبحث في أسباب تراجع ما تقوم به دولنا العربية من إصلاحات تربوية وتطوير للمناهج ومحاولة لإيجاد حلول عملية تفعل مجهودات القائمين على الشأن التربوي وترجع بالفائدة على التعليم في بلداننا.

منهج الدراسة : تتبع الدراسة الحالية المنهج الوصفي بأسلوبي التحليل والمقارنة، باعتباره مناسبا للطرح المرجو منها حتى نوضح ما وقع حوله لبسا من مفاهيم وتحليلا لوضع المناهج في دولنا العربية ومعيقات نجاح كل تطوير يجري فيها وسبل تفعيل عمليات التطوير تلك.

ـ مفاهيم الدراسة:

تعريف المنهج التربوي : لتدقيق أكثر في مفهوم المنهج لنعرفه :

لغة *:* ترجع أصول الكلمة إلى اللاتينية من الفعل Currere معنى لنجري أو ميدان السباق ومنه اشتق معنى قاعة الدرس أو غرفة الدرس أو ميدان التدريس ويعني بصفة مختصرة الخطة التعليمية وهذا ما تم استعماله كمعنى في أمريكا. **(Anette Thjis and Van Den Akker،2009،09، بتصرف)**

مفهوم المنهج التربوي: هو وسيلة التربية التي يعدل من خلالها السلوك وتنمي القدرات والمهارات والاتجاهات الايجابية وتكون العادات وتهذب الأخلاق وتنمي الميول، فالمنهج بما يشتمل عليه هو الغذاء الذي تقدمه التربية للأفراد، ولذلك فإن المنهج هو المحور الحيوي في العملية التربوية. فهو يتطور مع تطور الحياة وزيادة تعقيداتها، مما يجعل الاهتمام بالمنهج تخطيطا وتنفيذا وتقويما وتطويرا من ضرورات التربية للحاق بركب المستجدات و الاتجاهات التربوية الحديثة. **(رافدة الحريري، 2011، ص91)**.

ومن هذا التعريف للمنهج نلمس ضرورة التطوير لأي منهج تربوي تبعا لتطور الحياة نفسها بكل عناصرها والعرض الموالي للمناهج التقليدية والحديثة يوضح الفروق الواضحة بين النظرتين التقليدية والحديثة للمناهج التربوية.

المنهج التربوي بين الأمس واليوم : مقارنة بين المنهج التقليدي والمنهج الحديث. تجعلنا نسجل الآتي :

عناصر المقارنة في المنهج	المنهج التقليدي	المنهج الحديث
مفهوم	مجموعة مواد دراسية منفصلة معارف ومعلومات ينحصر مفهومه في المقررات الدراسية فحسب وكان يعرف بالبرنامج الدراسي	يتجاوز حدود المعلومات إلى الخبرات معارف مهارات قيم اتجاهات أساليب تفكير كما يشمل أهداف ونشاطات التعلم وطرق التدريس والتقييم أي كل ما يتعلق بالعملية التعليمية التعلمية
معنى التعلم حسب	تلقي واستقبال وحفظ وتكرار للمعلومات	بناء واكتساب واستعمال وانتقال أثره في الحياة العملية
دور المعلم في	نقل المعلومات وشرحها وتوضيحها والتكرار والتمثيل لها واسترجاعها من المتعلم	منشط قائد محاور مناقش ميسر موجه للمتعلم مبدع ومنوع في تيسير التعلم
دور المتعلم في	متلقي مستقبل للمعلومة سلبي اتجاهها لا ناقد ولا مشارك في إنتاجها يفتقر فعله للإبداع والتميز يحفظ ويستظهر المعلومة كما قدمت له	مشارك نشط متفاعل ايجابي متعاون مبدع ناقد باحث باني لتعلماته فهو محور العملية التعلمية متمكن من تعلماته تظهر في أداءاته واتجاهاته
مصادر التعلم في	الكتاب المدرسي يكاد يكون المصدر الأوحد لها والفكر الواحد موجها لها	كل ما يمكن أن يفيد المتعلم ويكون لديه الخبرة المطلوبة داخل المدرسة أو خارجها
طرق التدريس والتقييم في	الإلقاء التلقين التكرار والحفظ الصم والاسترجاع والاختبارات التحصيلية الشفهية والكتابية	متنوعة نشطة جماعية وفردية اكتشاف تجريب تعاونية تفاعلية تعتمد المناقشة والحوار والنقد والإبداع

النظرة للمتعلم في	ضيقة لا تتعدى حدود العلاقة التعلمية وتهمل جوانب مهمة في شخصية المتعلم وجدانية فكرية اجتماعية	شاملة لكل جوانب شخصية المتعلم الجسدية والنفسية والانفعالية والاجتماعية
العلاقة بالمحيط الاجتماعي العام في	انفصال المدرسة عن قضايا المجتمع وبعدها هن قضاياه تكاد تكون مخرجاتها مثالية لا تمس الواقع المعاش	علاقة تأثير وتأثر بالمحيط تأخذ منه وتكيف محتوياتها حول متطلباته وتحاول وضع المتعلم وهو يتعلم في واقعه وتعده له

(عادل سلامة، 2008، ص 16-22، بتصرف)

المنهج التقليدي هو مجموعة مواد دراسية منفصلة.

-يعدها مؤلفون ويطبقها المعلمون ويسعى الطلاب إلى حفظها واسترجاعها عند اختبارهم فيها.

-تدور عملية التعليم فيها في عالم المعلومات، وجودة التعلم تقاس بالقدر المخزن منها في ذاكرة المتعلم.

-الكتاب مصدرها، والفكر الواحد هو السائد.

-تهمل النمو العقلي والجسمي والانفعالي للمتعلم ولا تعطيه فرصة لتوكيد الذات.

المنهج الحديث هو مجموعة الخبرات والنشاطات والممارسات المخطط لها التي توفرها المدرسة لمساعدة المتعلم على النمو الشامل وتعديل كسلوكه.

-يتجاوز حدود المعلومات إلى الخبرات المهارية والوجدانية والاتجاهات والقيم.

-يهتم بتطبيق الخبرات على ارض الواقع ويأخذ منه المحتويات المتنوعة ويواكب مستجداته.

-المعلم فيه موجه والمتعلم، محور العملية التعليمية.

-يسعى لإكساب الخبرة, وتشجيع الإبداع والتميز.

مفهوم تطوير المنهج :

-هو عملية نمو شامل متكامل للمنهج تمر عبر عدة مراحل منذ أن كان مجرد فكرة وحتى يصبح المنهج حقيقة واقعة ومطبقة على المتعلمين في الميدان التربوي ...استعمال مصطلح النمو بدلا من مصطلح التغيير أو التغير لأن التطوير دائما يكون ايجابيا ويسير نحو الأفضل ويكون متدرجا.

أما التغيير أو التغير فيكون ربما ايجابيا أو سلبيا ويكون فجائيا أي غير متدرج وربما أيضا يكون جزئيا وليس كليا. **(محمد مازن، 2009، ص547)**

-كما يرى آخرون أن مفهوم تطوير المناهج التربوية هو من عمليات المنهج الأربع ... وهو من عمليات هندسة المنهاج، حيث يتم فيه تدعيم جوانب القوة ومعالجة أو تصحيح نقاط الضعف في كل عنصر من عناصر المنهج تصميما وتقويما وتنفيذا. وفي كل عامل من العوامل المؤثرة فيه والمتصلة به وفي كل أساس من أسسه في ضوء معايير محددة وطبقا لمراحل معينة ...قد يمس التطوير عنصر أو أكثر من عناصر المنهج كأساليب التدريس أو محتوى أو الأنشطة المقترحة.

-وقد أشارت بعض الأدبيات التربوية إلى أن تغيرات حدثت في بعض هذه العناصر فقط أدت إلى تحسن في الأداء لدى الطلاب وفقا لتطور تلك العناصر من المنهاج. **(مرعي والحيلة، 2004، ص 227-229)** على أن يراعى في التطوير الجزئي هذا علاقة الأجزاء المعدلة بالأجزاء الأخرى للبرنامج التعليمي التي تحتاج إلى تعديل. **(محمد مازن،2009، ص546)**.

مفهوم آخر للتطوير : يقصد به أيضا إحدى العمليتين إما إدخال منهج جديد أو بناء منهج لم يكن موجودا من قبل.

-بالنسبة لإدخال منهج جديد لم يكن موجودا من قبل، مثل منهج القيم والأخلاق أو التربية الوطنية والحاسوب.

-أما بالنسبة لتحسين المنهج الحالي وتحديثها، وإدخال تعديلات عليه بحيث يصبح أكثر مناسبة للظروف والمتغيرات وتحقيقا للأهداف المرجوة وهنا يتم إعادة النظر في الأهداف والمحتوى، وطرق التدريس وغيرها من مكونات المنهج أو الحذف أو الإضافة أو الاثنين معا وهو ليس إدخالا لمنهج جديد. **(سلام عبد السلام، 2006، ص286، بتصرف)**

دواعي تطوير المناهج وإعادة النظر المستمرة فيها :

1-الأحداث والمشكلات والتطورات العلمية : فقد يواجه الأفراد أو المجموعات أو العالم اجمع آفات أو أمراض أو تغيرات توجب البحث عن حلول أو تأثر في بنية المعرفة في حد ذاتها، مما يستوجب تطور لمناهج التعليمية وفق ذلك حتى تواكب التغير الحاصل وتستشرف مستقبل هذه التغيرات كغزو الفضاء مثلا وانتشار المخدرات والعنف وانتشار الانترنت.

2-الأحداث والمشكلات والتطورات الداخلية والمحلية وحتى العالمية : كالحروب والمجاعات والتغيرات السياسية والمناخية والزيادة السكانية الجفاف التصحر و والتعددية الحزبية وغيرها.

3-التطورات في المعرفة العلمية والتربوية والتكنولوجية: مما يتطلب مواكبة المناهج لهذه التطورات والإفادة منها كذلك كما يحدث اليوم مع ثورة التكنولوجيا الحديثة.

4-نتائج تقويم المناهج والعملية التعليمية والمشروعات القومية والدولية : والتي من الضرورة بمكان أن تواكب تطبيق المناهج وإعدادها لتفادي كل قصور فيها.

كل هذه العوامل تستلزم إعادة النظر في المناهج التعليمية كل فترة لتكييفها مع التغيرات الحاصل, وتنمية مهارات ومعارف المتعلمين والقائمين عليهم لمواجهتها. **(سلام مصطفى عبد السلام، 2006، ص288-291، بتصرف)**

5-تحديات العولمة : وهذا العنصر يعتبر من العناصر الجديدة التي فرضت نفسها على عالم التربية ككل مجالات الحياة والذي بموجبه فرضت على العالم اجمع صور.

أسس وشروط التطوير :

لعملية تطوير المناهج الدراسية أسسا وشروطا لابد من توافرها حتى تنجح العملية ويكون لها الفعالية المطلوبة، ويمكن إيجازها في :

1 -أن يكون التطوير **عملية قيمية**، أي أن يقوم على أساس مجموعة من القيم الفلسفية والسياسية و التربوية التي يلتزم بها المجتمع و يلتزم بها العاملون قي التطوير سواء على مستوى القرارات الإستراتيجية أو التقنية أو الإجرائية.

2 -أن يكون التطوير **عملية بشرية سلوكية**، أي أن يقوم التطوير ويرتبط بنوعية السلوك والأداءات التي نسعى إلى توافرها لدى التلميذ الذي نعده ليصبح مواطن المستقبل، ومن ثم فعلينا أن نتساءل كيف يمكن ترجمة القيم التي حدثت في الشرط السابق إلى سلوك؟ وكيف يمكن تطوير خبرات المنهج؟ أو ما الخبرات التي ينبغي وصفها في المنهج المطور بما يساعد التلاميذ على اكتساب هذه القيم؟

3 -أن يقوم التطوير على أساس انه **عملية علمية**، أي تستند إلى التخطيط السليم وليست مجرد عملية عفوية وهذا يقتضي الدراسة والبحث والتجريب المستمر ووضع النظم المالية والإدارية الملائمة لعملية التطوير ليمكننا أن نقارن في النهاية أن المنهج المطور صالحا للتعميم، كذلك الأخذ بالأساليب الحديثة في هذا الشأن مثل أسلوب تحليل النظم.

4 -أن يكون التطوير **عملية جماعية**، فيسهم فيه المشتركون في العملية التعليمية على اختلاف مستوياتهم وخاصة المعلم والمستفيدون منها والمهتمون بها، فلا ينفرد بعملية التطوير شخص أو مجموعة من الأشخاص مهما بلغت درجات علمهم وتجاربهم، كذلك تحتاج عملية التطوير التعاون العديد من الهيئات بالمجتمع.

5-أن يكون التطوير **عملية مستقبلية**، أي ننتظر صورة جديدة للمواطن المستقبلي الذي سيشارك في صناعة مستقبل أفضل لبلده فلم يعد مقبولا أن تنعزل عملية التطوير عن مجريات الأمور والأحداث من

حولها، كما لا ينبغي أن تنفصل عن سمات هذا العصر ومتغيراته العديدة ويتطلب هذا محاولة رسم صورة لمستقبل المجتمع والإستراتيجية المقترحة في ضوء ذلك دون تجاهل الواقع، أي أن تنطلق عملية التطوير من الواقع إلى المستقبل حتى لا تفقد الاستمرارية.

6-الاستمرارية، أي أن عملية تطوير المنهج تتصل اتصالا وثيقا بمختلف مظاهر التطور في المجتمع وفي العالم من تغيرات ثقافية واقتصادية وسياسية وكذا نتائج البحوث التربوية والنفسية، وبهذا يكون تطوير المنهج مستمرا وفقا لعمليات التقويم المواكبة له مع عملية المتابعة.

7-أن يكون التطوير **عملية شاملة ومتكاملة**، أي النظر إلى جوانبه المختلفة نظرة تأثير وتأثر في إطار العلاقات المتداخلة والمتبادلة بينها، فلا يقع التطوير على جانب دون آخر. فتطوير المحتوى له اثر على إعداد المعلم وعلى غيره من الجوانب المتصلة بالمنهج أو العملية التعليمية التعلمية.**(فتحي يونس وزملاؤه، 2004،ص 307-308-309-310)**

مبادئ تطوير مناهج : عند القيام بأي تطوير للمناهج هناك مبادئ علينا مراعاتها، لعل أهمها :

1-تتم عملية التطوير في ظل الطريقة العلمية في البحث والتفكير وتعتمد التخطيط ولا تكون مزاجية وعشوائية، ومنه لابد أن تسبق عملية التطوير عملية التقويم التي بها تحدد نقاط القوة وجوانب الضعف.

2-تستدعي عملية التطوير مسايرة تطور الاتجاهات العالمية وروح العصر الذي نعيش فيه، مثل الانفجار المعرفي والتغير المتسارع.

3-تتوخى عملية التطوير أن تكون العملية شاملة لعناصر المنهاج وأسسه وعملياته ومتكاملة بحيث تشمل تطوير الكتب والأدلة والوسائل والاختبارات ...طرق التعليم وإعداد المعلمين ومتوازنة بين جوانب النمو لدى المتعلمين وبين ما هو نظري وما هو عملي وبين ما هو أكاديمي وما هو مهني وهكذا.

4-تتم عملية التطوير بتعاون مع كل ن له علاقة بالمنهاج ويتأثر به مباشرة أو بطريقة غير مباشرة مثل المعلم والطالب وولي الأمر والموجه وطبعا ليس مهما أن تكون المشاركة بمقادير متساوية.

5-تستخدم في عملية التطوير كل الإمكانات المادية والبشرية في البيئة التعليمية.

6-تتسم عملية التطوير بالاستمرارية وذلك حتى يتمكن المنهاج من مسايرة التغيرات والتطورات في مجالات العلم والمعرفة والحياة، مع أن التطوير الجزئي للمنهاج يمكن أن يتم سنويا إلا أن التطوير الشامل له يستدعي مرور فترة زمنية تسمح بالتطبيق ولإعطاء الوقت الكافي لعملية التقويم.

7-تنطلق عملية تطوير المنهاج من المبادئ التربوية والنفسية التي بنيت عليها عملية تصميم هذا المنهاج فقد تقبل المبادئ نفسها كما وضعت، وقد تخضع هي نفسها إلى لعملية التطوير إضافة أو حذفا أو استبدالا.

8-تتم عملية التطوير بعد التأكد من تهيئة العاملين في عملية التطوير لهذه العملية والتأكد من توافر القدرات والاستعدادات والدافعية لديهم.

9-مراعاة الموازنة في عملية التطوير بين الكم والنوع، وإذا كانت هناك مفاضلة فالنوع هو الأصل.

10-مراعاة إمكانية تطبيق ما تقترحه عملية التطوير بأقل كلفة وأعلى فاعلية وبوقت قصير.

(مرعي والحيلة، 2004، ص 230-231)

أساليب تطوير المنهج : يمكن أن نقسم أساليب تطوير المنهج إلى:

1-أساليب التطوير التقليدية, ومنها:

-الحذف والإضافة ، ويعني هذا الأسلوب حذف موضوع أو جزء منه أو وحدة دراسية أو مادة بأكملها لسبب من الأسباب التي يراها المسؤولون والمشرفون التربويون، وإضافة معلومات معينة إلى موضوع أو موضوع بكامله أو وحدة دراسية إلى مادة أو مادة دراسية كاملة.

-التقديم والتأخير، حيث يعدل تنظيم مادة فتقدم بعض الموضوعات ويؤخر بعضها الآخر لدواعي تعليمية أو سيكولوجية أو منطقية.

-التنقيح وإعادة الصوغ، وفي هذا الأسلوب يخلص المنهج من بعض الأغلاط الطباعية أو العلمية التي علقت به أو يعاد النظر في أسلوب عرضه ولغته.

-الاستبدال والتعديل، ويعني هذا الأسلوب استبدال معلومات أو موضوعات محدثة أو موسعة أو ملخصة بموضوعات مشابهة في المنهج أو العودة إلى تلك المعلومات والموضوعات المتضمنة في المنهج وإعادة النظر فيها وتعديلها بما ينسجم والمعطيات الحديثة.

-تطوير واحد أو أكثر من عناصر المنهج, كتطوير أساليب التقويم أو تطوير طرائق التدريس، أو تطوير تنظيم المنهج من مواد منفصلة إلى مواد مترابطة أو مندمجة.

2- أساليب التطوير الحديثة :

وترى في التطوير عمليّة شاملة تتناول المنهج عموماً بدءاً من فلسفته وأهدافه وانتهاء بعمليّة تقويمه. وعليه فإنّ خطّة التطوير الشامل للمنهج يجب أن تبدأ بتطوير الأهداف؛ تحديداً وصياغة وتنويعاً. وفي ضوء ذلك يعاد النظر في اختيار المحتوى وأساليب تنظيمه بناء على أحدث ما وصل إليه مجال المادّة ،وأساليب التربية ونظريّات علم النفس، ثمّ يتمّ اختيار طرائق التدريس وأساليب التعلّم التي قد تتغيّر بعض الشيء عن الأساليب القديمة نظراً لحداثة المحتوى والخبرات التعليميّة، فقد يتمّ على سبيل المثال التركيز على الطريقة الكلّيّة في تدريس القراءة بدلاً من الطريقة الجزئيّة التي كانت سائدة في المنهج السابق، أو تستخدم أساليب التدريس الجمعيّ بدلاً من الفرديّ نظراً

لزيادة أعداد التلاميذ في المدارس، وقد يتمّ إدخال تقنيّات حديثة لزيادة قدرة المعلّم على ضبط الفروق الفرديّة بين المتعلّمين. وينتج عن ذلك كلّه تطوير في أساليب القياس والتقويم والامتحانات بحيث تصبح قادرة على تقويم مقدار النموّ الذي حقّقه كلّ تلميذ في مختلف المجالات العقليّة والمهاريّة والوجدانيّة.

ويعدّ هذا التطوير ناقصاً إذا لم يصاحبه تطوير في التوجيه والإشراف الفنّيّ، لاسيما إذا كان نظام التعليم مركزيّاً. كما ينبغي أن يشمل التطوير تدريب المعلّمين على تطبيق المنهج المطوّر، بل يجب أن يمتدّ إلى برامج الإعداد في كلّيّات التربية وكلّيّات المعلّمين؛ بغية إكساب الخرّيجين المهارات والمعلومات والاتّجاهات التي تؤهّلهم للتعامل مع المنهج المطوّر بكلّ كفاءة واقتدار.

(الموقع www.dhd4train.netresearcheducation)

نماذج في تطوير المناهج : لقد قام العديد من الباحثين والعلماء المهتمين بموضوع المناهج بوضع نماذج عديدة لتطويرها، ولعل ما نراه أكثر واقعية وسلاسة في التطبيق هما نموذجين أكثر تداولا في كتب المناهج و هما :

1-نموذج اليونسكو في بناء وتطوير المنهج :

يشتمل النموذج على أربع مراحل لعملية تطوير المنهج, ويعتبر نموذج واقعي ومنطقي وتم إعداد هذا النموذج من قبل فريق مكلف من قبل منظمه اليونسكو ويمكن تلخيص مراحل النموذج كالآتي:

-**تحديد المشكلة:** وتشتمل على تحديد مواصفات الخريج المبينة على أساس الاحتياجات الصناعية والمهينة والاجتماعية، بغية الوصول إلى تحديد المواصفات الوظيفة.

-**تصميم وترتيب المنهج:** يتم اعتماد الأهداف التي تم التوصل إليها كأساس في اختيار المحتوى التعليمي وطرائق التدريس والوسائل التعليمية ومعايير التقييم.

- **تقييم المنهج:** من قبل مختصين لكي يتم التأكد من مصداقيته.

-**تجريب المنهج:** للحصول على التغذية الراجعة لكي تقوم اللجان بالتعديل الضروري على المنهج.

(الموقع: maysaaalshabatat.weebley.com.uploads)

2- **نموذج لتوظيف تكنولوجيا التعليم في تطوير المنهج :** ويتكون هذا النموذج للتطوير من خمس مراحل, تربطها مرحله التغذية الراجعة وعمليات المراجعة والتعديل كما يأتي :

- مرحله **الدراسة والتحليل**(Study and Analysis)

- مرحلة **التصميم.**

- مرحلة **الإنتاج والإنشاء** للمواد والوسائط ومصادر التعلم للمنهج.

- مرحلة **التقييم**.

-مرحلة **الاستخدام والتعميم** للمنهج.(**الموقع: maysaaalshabatat.weebley.com uploads**)

وهي تقريبا نفس المراحل التي قامت عليها عملية تطوير المناهج الاسترالية مثلا كما ذكرها، وهي مرحلة التصميم ثم مرحلة الكتابة والتأليف ثم مرحلة التحضير للتعميم بعد التحكيم ثم مرحلتي التقييم والمراجعة. **(Cara,2012 :6,7)**

معوقات تحول دون تفعيل التطورات الحاصلة في المناهج :

عملية تطوير المناهج التربوية كغيرها من العمليات الموجهة للمجتمع قد تواجه عراقيل وصعوبات تحول دون التطبيق السليم والناجح لها، وهذا كونها بالأساس من الإنسان وللإنسان، وكلنا نعرف تعقد وتشابك عناصر الظاهرة الإنسانية على العموم. ويمكن تلخيص أهم هذه المعوقات في الجدول التالي :

ما يخص طبيعة التطوير في حد ذاته	كان يكون في غير وقته المناسب أولا يلقى الاهتمام اللازم ولم يستوفي شروط إعداده فجاء ناقصا سيئا أو قد تدل عليه المخرجات المتدنية للمتعلمين.
ما يخص الجوانب الفنية لعملية التطوير	كالتركيز على المستوى دون بقية مكونات المنهج وهذا في الغالب الشائع. كذلك التأسيس غير العلمي له ومنها عدم التخطيط له ونقص تدريب القائمين عليه وتوفير الوسائل اللازمة له وانعدام التجريب والتقويم والمتابعة للمنهج المطور، نقص تمثيل من تجب مشاركتهم في عملية التطوير أو ضعف مشاركتهم.
ما يخص القائمين على عملية التطوير	وبشكل خاص قصور في فهمهم للمنهج الدراسي بصفة خاصة وعملية التطوير وأسسها وكيفياتها وخوفهم من العملية في حد ذاتها والشعور بغرابتها ورفض كل جديد فيها ونقص التعاون فيما بينهم، وبالتالي استحالة إقناع الآخرين بها.
ما يخص النواحي الإدارية	الروتين الإداري القاتل، والتماطل في تطبيق التوجيهات التي تحتاج لسرعة وبراعة كذلك مركزية الإدارة من أهم المعوقات، إذ لا تترك للمبادرات الفردية والمبدعة المجال.
ما يخص المجتمع	تدخلات كل الأفراد دون علم ودراية ومحاولة فرض آرائهم في العملية. تدخلات الإعلام الخاطئة أحيانا وفرضها على الرأي العام. نقابات العمال وما قد تحمله من مقاومة للتطوير تخوف أولياء الأمور, من كل جديد ومجهول. مشكلات الاقتصاد والأمية المتفشية في المجتمعات المتخلفة كثيرا ما تقاوم كل عملية تطوير.

	المشكلات الجغرافية كاتساع رقعة الدولة وصعوبة تضاريسها ناهيك عن التعدد الطائفي أو الحزبي وغيرها.
معوقات سياسية	تغير خطط التطوير بتغير المسؤولين وكذا اللعب بورقة التعليم في المناسبات الانتخابية ووقت الأزمات.
ما يخص الظروف الطارئة	الكوارث الطبيعية، الحروب، المجاعات، الأوبئة، التغيرات المفاجئة في الحكم والنظام السياسي.
معوقات مالية	نقص الميزانية اللازمة للتطوير، الروتين في الصرف، قلة الحوافز.

(عن موقع esraa-2009ahlamountada .com)بتصرف

أهم التحديات التي تواجه مطوري المناهج : في الدول النامية ودولنا العربية منها نواجه تحديات خاصة ، علينا أن نراعيها ونحن نعمل على تطوير مناهجنا التربوية باعتبار التربية الوسيلة الأنجع للتغيير والتطوير. ونستطيع تلخيصها في نوعيين أساسيين هما :

1-تحديات كمية : أبرزها :

-محاولة استيعاب الكم الهائل من الأطفال في المراحل الأساسية الأولى للتعليم إلى حدود التعليم الثانوي على الأقل.

-محاولة جعل التعليم التحضيري عام لكل الأطفال.

-التوسع في التعليم الثانوي ونسبة التعليم عامة بمعدلات مقبولة.

-التوسع في تعليم فئات ذوي الاحتياجات الخاصة.

-التوسع في إنشاء مراكز البحث العلمي.

-وضع قنوات متعددة للتعليم غير النظامي تمكن كل من يريد مواصلة دراسته من تحقيق رغبته دون عقبات أو قيود.

2-تحديات نوعية: أبرزها :

-اختلاف مفاهيم عديدة نظرا للتطور الحاصل في المعرفة والتكنولوجيا كمفهوم الأمية مثلا، من غير المتعلم إلى غير الحاصل على المعرفة في مجالات متعددة وهذا لاختلاف العامل مع مجالات الحياة المختلفة، وهذا يحتم حصول تطور في المناهج الدراسية.

-تغير مفهوم التعليم الابتدائي من تعليم أولي إلى إلزامي وأساسي، وبالتالي ضرورة اختلاف وتطور مناهجه.

-تقليل الفروق بين التعليم العام والفني وخاصة من حيث فرص مواصلة الدراسة، وبالتالي احتياج المناهج إلى التطوير المستمر.

-العمل على إدخال مجالات تعلمية جديدة وأساليب دراسية جديدة أيضا كالتعلم الذاتي والتعاوني واللاصفي لاستغلال أوقات الفراغ وتنمية القيم والاتجاهات الاجتماعية والإنسانية، وهذا يتطلب إحداث تغييرات أساسية في المناهج الدراسية.

-الاهتمام باللغة القومية باعتبارها تمثل الهوية وتعطي الثقة للمتعلم في ذاته وقوميته وهذا خاصة في المراحل التعليمية الأساسية، خاصة في ظل تسجيل تراجع في تعلمها السنوات الأخيرة.

-دق ناقوس خطر عملية الاقتباس من النظم التعليمية للدول المتقدمة والعمل على ابتداع أشكال وصيغ جديدة في تطوير المناهج تنبع من واقعنا وتعبر عنه.

-الاهتمام الكبير ببرامج إعداد المعلمين وتدريبهم وذلك بما يواكب التغيرات الحادثة في نظم التعليم ومناهجه ووظائف المعلم.

-ابتكار صيغ جديدة وأنماط تعليمية تعلمية تراعي الفروق بين المتعلمين وكذا المتفوقين منهم.

(حسام محمد مازن، 2009، ص 572-573، بتصرف)

آفاق وحلول مقترحة لإنجاح عملية تطوير المناهج التعليمية العربية :

من خلال ما يجري من دراسات وبحوث متابعة لعمليات تطوير المناهج في الدول العربية وما سجلناه من تحديات تواجه مطوري المناهج في لدول النامية ودولنا العربية منها وكذا ما سجلناه من معيقات هذا التطوير، نحاول استخلاص أهم ما يمكن من اقتراحات توصيات لإنجاح عملية تطوير المناهج. وعليه سنتعرض إلى :

***دراسات سابقة عن تجارب في تطوير المناهج العربية :**

ذكرت الباحثة "ميساء شبطات" عدة دراسات تناولت موضوع تطوير المناهج في دولنا العربية ومنها :

-**دراسة لادن سليمي وعلي رضا 2011:** وركزت على التطور الحاصل في المدارس في ما إذا استعملت التكنولوجيا الحديثة في عملية التدريس بدل الطرق التقليدية على الرغم مما في عملية التطبيق من صعوبات الأخذ بالتكنولوجيا ووسائلها، وبينت الدراسة الفائدة الكبيرة لاستعمال الوسائل التكنولوجية بدل التقليدية والعائد التعليمي المرتفع منها إذا ما رافقت المناهج المطورة.

-**دراسة علي الرحيمي وآخرون2010:** وركزت على جانب مهم في تطوير المناهج وهو إعطاء فرصة للمعلم كي يشارك ولو بطريقة غير مباشرة في إثراء وتقييم المنهج عن طريق استخدام خريطة المنهج Curriculum Mapping بدل خريطة الدرس المعتادة ومنها نستطيع إتباع التطبيق الفعلي للمنهج من ما

يسجل يوميا من المدرسين ونتفادى التكرار، ونسجل جوانب القصور والنجاح في تطبيق المناهج .وقد أكد الكثير من الباحثين والعلماء ومنهمbrown et maclntyer1993 على ضرورة إشراك المدرسين والأخذ بأرائهم وعدم تجاهلهم في عملية التطوير والابتعاد عن المركزية في اتخاذ القرارات.

-**دراسة الخليلي:** والتي ركزت على الربط بين التعليم والتكنولوجيا وحاجات المجتمع في العالم المتقدم، والتجربة الأمريكية خير دليل بعد تحول مناهجها للربط بين العلم التكنولوجيا والحاجات الاجتماعية بعد النجاح العلمي السوفياتي مما دفع بالتقدم العلمي والتكنولوجي في أمريكا. وركز الباحث على ضرورة الأخذ بهذه المبادئ عند تطوير مناهجنا التربوية خاصة والعلوم في تقدم مستمر ومتسارع مع محاولة إيجاد مساقات تطبيقية فعلية للأنشطة المقدمة والاستفادة من التجارب التعليمية الناجحة وتبادلها عربيا.

-**دراسة متولي1990:** وتناولت موضوع استخدام تكنولوجيا المعلومات على نطاق واسع في التعليم، أي باتخاذها أسلوب ووسيلة عمل وتفكير وإبداع، والتجارب العالمية خير دليل على ذلك. وقد حاولت الباحثة إسقاط ذلك على عالم المكتبات والمعلومات في إحدى الجامعات العربية ومقارنتها بجامعة أمريكية وتوصلت إلى ضرورة الأخذ بالتكنولوجيا الحديث, في تطوير مناهج التعليم ودعم نجاحها.

-**دراسة فهمي 2004:** ودارت الدراسة حول أهمية تطوير مناهج التعليم في الأطوار التعليمية المختلفة، وأخذت من تطوير المناهج التعليمية المصرية نموذجا وهذا منذ السبعينات، وقد توصلت إلى أن ما يجري من تطوير تغلب عليه الشكلية في الطرح والبعد عن الواقعية. فالتطبيق الفعلي لتكنولوجيا مثلا يكاد يكون منعدما، والحشو والتلقين ما زال يلازم المناهج. وعليه وجب الاهتمام بكل عناصر العملية التعليمية عند التطوير والتطبيق الفعلي لما يسطر والجدية في ذلك مع التأكيد على ضرورة مواجهة واقعنا العربي التعليمي والنهوض به قدما.

-**دراسة الدسوقي 2004:** و هدفت إلى محاولة إيجاد تجارب مستجدة في تطوير أساليب التدريس بالطرق الحديثة وفق اتجاهات عالمية وإقليمية، وقد أخذت الدراسة تجربة التعاون المصري الفرنسي نموذجا في تطوير طرائق التدريس والعقبات التي تحول دون تطبيقها في المدارس الخاضعة للتجربة. وركزت الدراسة على ضرورة تنمية أساليب البحث والتحري لدى تلاميذنا وإشراك المجتمع المحلي في عملية إثراء وتطوير التعليم والأخذ بالتجارب الناجحة عالميا ومحليا.

(الموقع: maysaaalshabatat.weebley.com uploads)

***تعليق على الدراسات السابقة** : من خلال نتائج الدراسات المذكورة والملاحظات المسجلة منها نستنتج أن :

-عملية تطوير المناهج التربوية في الوطن العربي عملية فتية تحتاج إلى اكتساب الخبرة وتطوير الآليات والأساليب وتفعيل عمل كل القائمين عليها لإنجاحها.

-ضرورة تغيير الذهنيات التقليدية قبل الشروع في أي تطوير بمناقشة أهمية وضرورة وفائدة تطوير المناهج على المستوى العام لكل المجتمع والخاص للقائمين على عملية التطوير لتفادي الرفض وبالتالي إعاقة التطبيق وإفشاله.

-النزول إلى الواقع ومواجهته بكل شجاعة وتسجيل ما له وما عليه بكل صدق ضرورة لإنجاح كل عملية تطوير.

-الاعتناء بالمضمون لا الشكليات والشمولية لكل عناصر المنهج أساس كل تطوير ناجح.

-الابتعاد عن المركزية في اتخاذ القرارات وتنفيذها يسهل ويسرع كل عملية تطوير، لأن التعليم عملية يومية حياتية لا تماطل فيها.

-إشراك الفاعلين في عملية الإعداد والتنفيذ والتقييم الواقعي للعمل التعليمي هو ضمان للتطبيق الفعلي لكل تطوير ومتابعة له.

-الربط بين المعرفة العلمية والتكنولوجيا، وحاجات المجتمع مدخل لا بديل عنه اليوم لمسايرة العالم واللحاق بركب التقدم.

-رصد الجهود المعنوية والمادية اللازمة لإنجاح التطوير(قرار سياسي، أموال، كفاءات، مباني، مراكز بحث، أفراد، مؤسسات، نظريات، خبراء ...الخ)

الخاتمة : مما تم عرضه سابقا يتضح أن عملية تطوير المناهج التعليمية هي :

عملية أساسية وضرورية وهي من بين عمليات المناهج الأربعة توجب على القائمين على العملية التربوية القيام بها كل فترة وأخرى نظرا لأن :

-التجدد و الحداثة من مقومات المنهاج الناجح لمواكبة العصر والتطورات

-الأصالة في النواحي العلمية والاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية المتغيرة على الدوام.

-المراجعة المستمرة للمنهاج بالتقييم والتعديل الجزئي أو الكلي تكفِل دوام تجدده ونجاعته، على شرط أن يكون كل تطوير يقوم على مبادئ وأسس سليمة و مدروسة.

التطورات الحاصلة في مناهجنا العربية ينقصها :

-تظافر جهود كل القائمين على عملية التطوير ورصد الإمكانات المادية والمعنوية لإنجاح هذا التطوير.

-التخلي عن مركزية اتخاذ القرار وتنفيذه والتقليدية في الطرح والتطبيق.

-إشراك كل من له علاقة مباشرة بالعملية التعليمية التعلمية للوقوف على الواقع ووضع حلول لمشكلاته والابتعاد عن التنظير الفارغ.

-عملية التطوير تحتاج لوسائل وإمكانات مادية تدعمها وكوادر بشرية تجسدها في الميدان وإشراف يوجهها لتحقيق النجاح.

قائمة المراجع :

المراجع العربية :

الكتب :

-توفيق أحمد مرعي ومحمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، 2004، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

-حسام محمد مازن، المنهج التربوي الحديث والتكنولوجي، 2009، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

-رافدة الحريري، الجودة الشاملة في المناهج وطرق التدريس، 2011، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

-فتحي يونس وزملاؤه، المناهج والأسس والمكونات والتنظيمات والتطوير، 2004، ط1، دار الفكر، الأردن.

المؤتمرات :

-سلام مصطفى عبد السلام، تطوير مناهج التعليم لتلبية متطلبات التنمية ومواجهة تحديات العولمة، مؤتمر التعليم النوعي ودوره في التنمية البشرية في عصر العولمة، 2006، كلية التربية النوعية، المنصورة – مصر.

مواقع الكترونية :

-ميساء عيسى الشباطات، تطوير المناهج التعليمية، على الموقع: Maysaaalshabatat.weebly.com.

-غازي مفلح، تطوير المناهج، على الموقع: www.dhd4train.netresearcheducation

-إسراء إيمان حسين، على الموقع: esraa-2009ahlamountada.com

الكتب الأجنبية :

-Geraldine Oneill, Curriculum design in higher education theory of practice,2015, first edition.

-Annette thjis and Jan Van Den Akker, Curriculum in developement, 2009, institute for curriculum developement, Netherlands.

-cara, australian curriculum assessment and reporting authority, April 2012, curriculum development process, version6.

دلالات صدق وثبات مقياس السلوك الفوضوي –دراسة سيكومترية–

أ/عدة بن عتو ـ جامعة الشلف . أ/ بلعربي عادل عبد الرحمن ـ جامعة تيارت.
أ.د/ ماحي إبراهيم ـ جامعة وهران.

ملخص البحث:

يهدف البحث الحالي للكشف عن دلالات الصدق والثبات لمقياس السلوك الفوضوي لدى عينة من تلاميذ التعليم الثانوي، ومن ثم التحقق من دلالات الصدق والثبات، حيث تكونت عينة الدراسة من(404) تلميذا وتلميذة من التعليم الثانوي، منهم(298) يدرسون بولاية الشلف، و(106) يدرسون بولاية تيارت، حيث أظهرت النتائج أن مقياس السلوك الفوضوي يتمتع بكفاية سيكومترية مرضية وقد ظهر هذا الأمر في مؤشرات الاتساق والثبات التي تم استخراجها، كما ظهر في دراسة صدق البناء، والصدق التمييزي، وبالتحليل العاملي لبنود الأداة والذي أتاح استخلاص ثلاثة عوامل أساسية.

الكلمات المفتاحية: مقياس السلوك الفوضوي، التحليل العاملي الاستكشافي والتحليل الموازي، التحليل العاملي التوكيدي، الصدق التمييزي، الثبات.

Abstract:

The current research aimed to study the reliability and validity in addition to the factorial structure of disruptive-behavior-scale. Disruptive behavior scale was applied to a sample consisted of (404) students studying at the secondary school from different academic levels, after analyzing data the results showed that the disruptive behavior scale has satisfactory psychometric indicators, and factorial and confirmatory analysis structure of three basic factors

Keywords: Disruptive behavior scale, factor analysis, confirmatory analysis , discriminate validity, reliability

الإطار المفاهيمي للبحث:

إن الإطار المفاهيمي يهدف إلى تصنيف ووصف المفاهيم الأساسية للدراسة، ووضع خريطة للعلاقات ببنيتها ولتحقيق هذا الهدف يلجأ الباحثين إلى تضمين النظريات والأبحاث الإمبريقية التي تساعد على تنظيم هذا الإطار المفاهيمي الذي يهدف إلى: بناء أساس نظري للبحث، وكيف تطورت الدراسة المعرفية لموضوع البحث، ووضع تصور للدراسة، وتقييم تصميم البحث وأدواته، وأخيرا إعطاء مرجعية لتفسير النتائج.(Merriam & Simpson, 2000) **(Tonette S Rocco, Maria S. Plakhotnik,2009: 123).**

وبناءا على ما تم ذكره عن أهمية وأهداف الإطار النظري سيتطرق الباحث إلى عرض مجموعة من الدراسات السابقة التي لها علاقة بمتغيرات البحث والعلاقة بينها من أجل تأصيل مفاهيم البحث.

تكثر المشكلات السلوكية بين الطلاب وتتنوع من ممارسات عدوانية ومخالفة الأنظمة والتعليمات، وعدم الانضباط داخل الفصل الدراسي، والعبث في الممتلكات وإثارة الفوضى وإزعاج الآخرين، وغيرها من الممارسات السلوكية غير السوية والتي تتعد أشكالها وتؤثر على سير العملية التعليمية التربوية وتعيقها عن أداء أهدافها، والسلوك الفوضوي يعد من أكبر التحديات التي تواجهها الهيئات التدريسية.(**هاني، داخل، رسلان، 2016: 10**). تعد ظاهرة السلوك الفوضوي بين طلبة المدارس من أكثر المشكلات المدرسية سلبية وانتشارا وإعاقة للعمل التربوي التعليمي المتوقع من المدرسة، إذ يجعل المدرسة بيئة غير ملائمة لتحقيق الأهداف التربوية المنوطة بها، فظاهرة السلوك الفوضوي باتت تشكل عبئا ثقيلا على كاهل العاملين في المدرسة لتعاملهم اليومي مع هذه السلوكات، وأصبحت مشكلة رئيسية لإدارة المدرسة والمعلمين والمرشدين النفسيين والآباء والمختصين في مجال الصحة النفسية المدرسية.(**رغداء نعيسة، 2015: 126**). يتمثل السلوك الفوضوي في غرفة الصف المدرسي بالخروج من المقعد الدراسي والتحدث دون استئذان والتحرك وإلقاء الأشياء على الأرض والإزعاج اللفظي والضحك والصياح بطريقة غير مناسبة، وإصدار أصوات غير مفهومة وغيرها من الأفعال غير الانضباطية، مما تخلق حالات متفاوتة من الفوضوي والتعثر وسوء التوافق، مما يتطلب التدخل السريع في بعض الأحيان وإلى إعادة تأهيل الفرد القائم بها من أجل تحقيق التوافق وفرض السيطرة.(**محسن الزهيري، 2016: 586**).

1-تعريف السلوك الفوضوي:

أ-لغة: الفوضى هي الاختلاط بلا نظام، ويقال ": قوم فوضى" أي لا رئيس لهم، ويقال أموالهم فوضى بينهم أي هم شركاء متساوون فيها، ولا تباين في الحصص بينهم وصار الناس فوضى أي متفرقين وهو جماعة الفائض ولا تفرد (كما يفرد الواحد من المتفردين) وكذلك جاء القوم فوضى وأمرهم فيض (وفوضى) مختلط (**ابن منظور،1990: 19**).

ب-اصطلاحا: يذكر كل من(أحمد أبو زيد، وهبة جابر، 2015)، تعددت مفاهيم السلوك الفوضوي بتعدد الدراسات التين تناولته، ويتعدد الثقافات والبيئات التي بحثت فيه، فيرى البعض أن السلوك الفوضوي مفهوما عاما يتضمن مجموعة من الاضطرابات مثل:(اضطراب النشاط الزائد، اضطراب العناد، واضطراب المسلك)، ومنهم من يرى بأنه مفهوم خاص يستدل عليه من خلال مجموعة من الأعراض مثل:(السلوك العدواني وسلوك العنف) ويتمن خصائص منها (الشتم،الضرب،الركل، رمي الأشياء، التهديد

اللفظي) ومنهم من صنفه على أنه يتضمن(عدم الراحة، كثرة المشاجرة، سرعة الغضب، التمرد والعصيان، الكذب، الارتباك والتلوي في الجلوس، عدم المشاركة، عض وضرب الآخرين).(**أحمد أبو زيد، وهبة جابر، 2015: 22-26**).

والملاحظ أن اختلاف الباحثين في تصنيف السلوك الفوضوي من مصف الاضطراب إلى مصف سلوك عدواني وعنيف يتضمن مجموعة من الخصائص المختلفة من بيئة إلى بيئة، هو نتاج اختلاف البيئات الثقافية، واختلاف أنماط السلوكات، وكذا تداخل بعض أعراض الاضطرابات مع بعضها البعض، وأخيرا ندرة الدراسات العربية التي تناولت السلوك الفوضوي كمفهوم مستقل عن الاضطراب تتداخل فيه مجموعة من خصائص كالسلوك العدواني والعنيف والعناد والتحدي، لاسيما في البيئة المدرسية، مما يتطلب مزيدا من الدراسات والنتائج القاطعة لتحديد مفهوم السلوك الفوضوي، لكن رغم ذلك سوف نتطرق لمختلف التعاريف الاصطلاحية التي تناولت السلوك الفوضوي سواء كسلوك يتضمن مجموعة من الخصائص الخاصة الدالة عليه، وليس كاضطراب كما أشار إليه بعض العلماء وفق مايلي:

يعرفه(محمود كاظم، وحسن سهيل،2008) في ضوء المعايير السلوكية يمكن تحديد الطالب الفوضوي والذي يوصف بأنه طالب كثير العِناد والفوضى، ومحاولاً جذب انتباه الآخرين إليه، ويكون ضعيف الدافعية للتعلم ، وغالباً ما يتحدى سلطة مُدَرسيه ويسبب التوتر والإرباك لسير الدرس، وأما عن الصفات التي يتميز بها الطالب الفوضوي، فأنه يكون كثير الانفعال والتقاطع مع المدرسين، ويميل إلى الاستهزاء وإثارة الفوضى باستمرار، ويتعامل بعنف مع زملائه، وتكون إجاباته فَظّةَ وغليظة، ويتميز بانحراف في السلوك والتَغَيُب وعدم الانتظام في دوامه، ويقوم بأعمال تخريبية داخل الفصل الدراسي، ويكون منفلتا في قدرته على ضبط سلوكه الحركي واللفظي، ويعمل على إثارة المشكلات السلوكية مع الآخرين.(**محمود كاظم، حسن سهيل، 2014: 455**).

ويعرفه أيضا (القصاص، 2002)، أن السلوك الفوضوي يتضمن المشكلات التي تمثل حالة من الفوضوي، والإزعاج والتشويش، والتي تؤثر سلبا على المحيط الاجتماعي(الآباء، والزملاء، والمعلمين)، وأنها تسبب للفرد ضعفا جوهريا في الوظائف الاجتماعية والأكاديمية والمهنية، وهذه المشكلات تتضمن: التشتت، والحركة الزائدة، والعدوان، والتخريب، والإغاظة وإزعاج الآخرين، والشغب، وخرق القواعد والمعايير الاجتماعية والتربوية.(**نقلا عن الصميلي، 2009: 83**).

ويعرفه الصميلي السلوك الفوضوي أو "السلوك المعرقل "كما تشير إليه بعض الكتابات بأنه السلوك الذي يقوم به الطالب ضد الآخرين (الزملاء، المعلمين، الممتلكات المدرسية ،التعليمات والأنظمة المدرسية) في شكل يعمل على إثارة الفوضى، ويهدف إلى إلحاق الضرر بالآخرين بصورة تنتهك فيها

حقوقهم الشخصية ، ويصاحبه إصرار من القائم به ، وتذمر وقلق من المتلقي له، والذي يتحدد في الأبعاد التالية(الإثارة والإزعاج، العدوان، التخريب، مخالفة الأنظمة والتعليمات المدرسية).(**حسن عبده الصميلي، 2009: 20**).

يظهر من خلال التعاريف السابقة الذكر:

-أنها أبرزت أن للسلوك الفوضوي أبعاد تتمثل في العدوان، والعنف، والإثارة والإزعاج، وخلق حالة من التشويش على الآخرين، وعلى المعلم داخل الفصل الدراسي، وخرق القوانين الداخلية للمؤسسة التربوية والاعتداء على الزملاء.

-إن السلوك الفوضوي يؤثر على مفهوم الذات لدى الفرد كما يؤثر على الآخرين.

-أن السلوك الفوضوي مفهوم مركب من عدة أبعاد متداخلة معه تشكله، كما له أسبابا متداخلة أيضا تدل عليه.

-أنه من الصعب تحديد مفهوم قاطع للسلوك الفوضوي في ظل تداخل المفاهيم الدالة عليه.

2-المفاهيم المرتبطة بالسلوك الفوضوي: هناك مجموعة من المفاهيم والتي تتداخل بشكل مباشر مع السلوك الفوضوي حيث تتشابه في كثير من الممارسات القائمة عليها وكذا في الآثار الناتجة عنها وجميعها متضمنة إلحاق الضرر المادي والنفسي أو البدني بالآخرين وهذه المفاهيم يمكن عكسها في جدول توضيحي كالآتي:

جدول رقم(1) يوضح الفروق الجوهرية بين السلوك الفوضوي وبعض المصطلحات المرتبطة به

المصطلح تعريفه وخصائصه	الاستنتاج
السلوك الفوضوي: السلوك الذي يقوم به الطالب ضد الآخرين (الزملاء، المعلمين، الممتلكات المدرسية ،التعليمات والأنظمة المدرسية) في شكل يعمل على إثارة الفوضى، ويهدف إلى إلحاق الضرر بالآخرين بصورة تنتهك فيها حقوقهم الشخصية ، ويصاحبه إصرار من القائم به ، وتذمر وقلق من المتلقي له، والذي يتحدد في الأبعاد التالية(الإثارة والإزعاج، العدوان، التخريب، مخالفة الأنظمة والتعليمات المدرسية.	-يتصف السلوك الفوضوي بالشمولية والعموم من مفهوم الشغب والعدوان، والعدائية، والتخريب، لأنهم يعتبرون أبعاد من السلوك الفوضوي كما صنفها العلماء. -السلوك الفوضوي يتداخل مع العدوان والعنف في جوانب معينة مثل(الإيذاء البدني، والتخريب)، والجانب اللفظي مثل(التهكم والسخرية، واستخدام ألفاظ سيئة). كما يتداخل أيضا في تقارب التفسيرات النظرية وتشابه الأسباب الرئيسية التي تقف ورائه. -تتنوع أبعاد السلوك الفوضوي لتشمل أشكال متعددة من الممارسات العدوانية والممارسات الدفاعية المتحدية والمتمثلة في رفض الانصياع لتعليمات وأوامر الكبار مثل الآباء والمعلمين. معظم أشكال السلوك الفوضوي الملاحظ في المدارس هو النمط البسيط، وأحيانا تصل إلى المستوى المتوسط، أما المستوى الحاد فهو
العدوان:يعرفه " **Banetoun**" بأنه الاعتداء المادي نحو الآخرين والذي يتضمن الهجوم أو الضرب وما يعادله من اعتداء معنوي كالإعانة والازدراء كما أنه محاولة لتخريب ممتلكات الآخرين، وهو أيضا سلوك يحمل عواقب مخربة تتضمن تدمير الذات، كالانتحار أو إيذاء الذات. إنه سلوك ينطوي عن شيء من القصد أو النية يأتي بها الفرد في مواقف الغضب والإحباط التي يعوق فيها من إشباع دوافعه أو تحقيق رغباته، وقد تنتابه حالة من الغضب وعدم الالتزام تجعله يأتي من السلوك ما يسبب أذى له وللآخرين، والهدف من ذلك السلوك تخفيف الألم الناتج من الشعور بالإحباط أو الإسهام في إشباع الدافع المحيط فيشعر الطفل بالراحة، ويعود الاتزان لشخصيته .(**أسامة فاروق مصطفى** ،**2011**: **121**).	
العداء والغضب: يُقصد بالعداء شعور داخلي بالغضب العداوة والكراهية موجه نحو الذات أو نحو شخص أو موقف ما، وتستخدم المشاعر العدائية كإشارة إلى الاتجاه الذي يقف خلف السلوك أو المكون الانفعالي للاتجاه فهي استجابة اتجاهية تنطوي على المشاعر العدائية التقويمات السلبية للأشخاص	

والأحداث(**عصام عبد اللطيف العقاد،2001 :100**). وحسب" طلعت منصور وآخرون " فالعدائية حالة دافعية قد تؤدي إلى سلوك عدواني (**خليل قطب أبو قورة،1996: 40**). **<u>أما الغضب:</u>** يعني حالة انفعالية التي يمكن الإحساس بها في الموقف غير المرغوب فيها وهو غالبا ما يصاحب العدوان، ولكن لا يُعد شرطا مهما للتعبير عنه، والغضب من ناحية أخرى هو أحد الانفعالات أو العواطف الأساسية للإنسان و التي تعتبر إشارة أو دلالة على مواجهة الضغوط و عوامل الإحباط في الحياة	محدود جدًا ويكاد يكون نادرا. -إن مصطلحات (العنف المدرسي، السلوك العدواني، السلوك الفوضوي)، جميع هذه المفاهيم تؤخذ بطريقة تبادلية في كثير من الأحيان، وجميعها تعنى تجاوز النظام المدرسي، وعدم الالتزام بالتعليمات المدرسية، وإثارة الفوضوي داخل بيئة المدرسة.
العنف: يشير مفهوم العنف إلى الشكل التطرفي للعدوان الذي يتضمن محاولة إحداث إصابة بدنية أو نفسية خطيرة للآخرين، وهو نهاية المطاف لسلوك عدواني مستمر وهو أيضا إحدى وسائل التعبير عن النزوات العدوانية.وفي قاموس أكسفورد يعرف بأنه ممارسة القوة لإنزال الضرر بالأشخاص أو الممتلكات، وكل ممارسة تميل لإحداث ضرر جسماني أو تتداخل في الحرية الشخصية.(**محمود الخولي،2008: 59**).	-وفيما يتعّلق بالفرق بين مفهومي العدائية و العدوان فقد ميز بينهما "**باص**" حيث أن مفهوم العدوان يشير إلى تقديم منبهات منفرة إلى الآخرين، في حين يشير مفهوم العدائية إلى الاتجاهات العدائية ذات الثبات النسبي والتي تعبر عنها بعض الاستجابات اللفظية التي تعكس مشاعر سلبي. (**محمد علي عمارة،2008: 32**).
التخريب: تعرفه "إجلال سري " بأنه تكسير الممتلكات وإتلافها وتدميرها ويكون التخريب من قبل المخربين مزعجًا لمن حولهم، وذلك لأنه يؤدي إلى الإتلاف والخسارة المادية والمعنوية. كما يذكر "**ملحم**" بأن التخريب يتمثل في الرغبة في تدمير أو إتلاف الممتلكات الخاصة بالآخرين أو المرافق ،وقد يشمل السلوك التخريبي من قبل الأفراد مقتنيات الأسرة في المنزل أو الحديقة أو الحاجات الخاصة والعامة ،ويتفاوت الأفراد فيما بينهم في درجة الميل نحو التدمير.(الصميلي ،2009).	- أما عن السلوك العنيف عادة ما تكون دوافعه ضعيفة إن لم تكن معدومة، فهو سلوك تلقائي متكرر له طابع النزوة، فقد يتضمن السلوك الفوضوي سلوكات عنيفة أحيانا، وذلك حسب الفروق الفردية، وحسب المرحلة المعرية.
العنـــاد: هو اضطراب سلوكي شائع يحدث ولفترة وجيزة من عمر الفرد ،وربما يأخذ نمطًا متواصلا وصفة ثابتة في السلوك	

،ويصنف ضمن النزعات العدوانية عند الأطفال، ويعتبر محصلة لتصادم رغبات وطموحات الطفل ورغبات الطفل ورغبات ونواهي الكبار وأوامرهم.(الصميلي ،2009).	–والفرق بين الغضب والسلوك الفوضوي، هو أن الغضب انفعال يتميز بدرجة عالية من النشاط في الجهاز العصبي السمبتاوي وبشعور قوي من عدم الرضا سببه خطأ وهمي أو حقيقي، والسلوك الفوضوي قد يضمن أحيانا الشعور بالغضب والاستياء من النظام التربوي أو من بعض المدرسين، وليس بالضرورة أنه مرتبط في جميع الأحيان بالسلوك الفوضوي داخل القسم. –أما عن العناد فهو يعتبر بعد مكون للسلوك الفوضوي نتيجة العصيان النتائج عن رفض إتباع الأوامر والتعليمات وامتداده يكون من الأسرة فالمدرسة. –أما عن التخريب فيعتبر أحد أبعاد ومكونات السلوك الفوضوي داخل المؤسسة التربوية أو داخل الفصل الدراسي، نتيجة لارتباطه بتحطيم وتخريب الممتلكات المدرسية. ويتصف الطالب الذي يصدر منه السلوك الفوضوي بقصور القدرة على التوافق مع النظم الإدارية والتعليمات المدرسية.

3-المشكلات المرتبطة بالسلوك الفوضوي: يوجز(الصميلي،2009: 90-93)، مجموعة من المشكلات المرتبطة بالسلوك الفوضوي كالأتي:

المشكلات الاجتماعية: غالبًا ما يكون لدى ذوي اضطرابات السلوك الفوضوي علاقات اجتماعية معقدة ومن الممكن أن يظهروا مهارات اجتماعية هزيلة ولا يستطيعوا قراءة التلميحات الاجتماعية للأشخاص الآخرين بصورة جيدة ، ومن الممكن أن يكون لديهم صعوبة في الحصول على منظور الأشخاص الآخرين مثل(فهم أفكار الآخرين ومشاعرهم)، وهم ضعفاء في حل المشاكل المتعلقة بالعلاقة بين الأشخاص، أضف إلى ذلك أن الفوضويون يتميزون بالشعور بالاضطهاد فهم يفكرون بصورة خاطئة نحو الآخرين وفي النهاية نجد أن الأقران يرفضون ذوي السلوك الفوضوي، ونتيجة لذلك نجد صعوبة في التفاعلات الاجتماعية لهؤلاء الأطفال نجد أيضًا أن هؤلاء الأطفال يميلون إلى مضايقة الأشخاص الآخرين والتصرف بالسلوك الفوضوي في المواقف الاجتماعية.

المشكلات العاطفية: على مدار الوقت، يتلقي كثير من الأطفال ذو الاضطراب السلوكية الفوضوية تغذية راجعة أكثر سلبية من الإيجابية من بيئتهم مثلا (الأقران، والآباء، والمدرسين والجيران،وغيرهم من المحيطين بهم)، وأحيانًا ما ينتج عن هذه التغذية الراجعة السلبية تنمية الطفل للاعتزاز القليل بالذات، ومن الممكن أن يصبح الطفل فاسد أخلاقياً وبالتالي سيستسلم وأحيانًا ممكن أن يتحول الاعتزاز القليل بالذات والتثبيط إلى الإحباط ، وتزيد احتمالية إصابة هؤلاء الأطفال بالهم إلى أن يصبحوا ذو تفكير سلبي.

المشكلات التعليمية: من الواضح أن هناك علاقة وثيقة بين اضطرابات السلوك الفوضوي والصعوبات التعليمية، حيث نجد أن كثيرًا من الأطفال ذو اضطراب القدرة على الانتباه المصحوب باضطراب النشاط الزائد أو الأطفال الفوضويين لديهم عجز تعليمي قابل للتشخيص حتى لو لم يتم تشخيص حالة الطفل بالإعاقة التعليمية، من الممكن أن تستمر مناضلته بالمدرسة، ونجد أن الأطفال ذوي الاضطرابات السلوكية لا يعملون في أغلب الأوقات ولا يجدوا من يتمم لهم العمل من الممكن أن يكونوا غير منظمين وأن يكون لديهم مهارات تعليمية هزيلة ، ولديهم صعوبة في تدبير وقتهم على نحو فعال، ومن الممكن أن يكون لدى هؤلاء الأطفال علاقات ضعيفة مع المدرسين والتي يمكن أن تؤثر على أدائهم التعليمي، وهناك علاقة ثنائية الاتجاه بين الأداء الأكاديمي واضطراب السلوك فالأطفال الذين لديهم اضطرابات في السلوك كثيرًا ما يظهرون مستويات متدنية من التحصيل الأكاديمي مع بداية سنوات الدراسة، وتظهر هذه المستويات المتدنية، بصفة خاصة في صعوبات القراءة والتي ترتبط مع اضطرابات السلوك، وعلاوة على

ذلك فإن معدلات التقصير والأداء الأكاديمي أظهرت وجود علاقة بينها وبين ملامح البيئة المدرسية نفسها، وهذه العوامل تشتمل على الملامح الطبيعية للمدرسة ومدى توافر المدرسين في المكان المناسب في الوقت المناسب واستخدام المعلم لأساليب المدح والتعزيز التي تركز على أداء الفرد ومسؤولياته والتأكيد على الأداء الأكاديمي وعلاقة المعلم بالتلميذ بصفة عامة.

المشكلات الأسرية: إن التفاعلات الإكراهية بين الطفل والأبوان والرعاية الوالدية غير الكفء تشارك في زيادة سوء مشاكل السلوك الفوضوي على مدار الوقت، ومن الممكن أن يتأثر الأقارب من الأطفال ذوي المشاكل السلوكية، ومن الممكن أن يكون هناك تفاعلات سلبية مع الأقارب، وأحيانًا يكون لدي الأقارب مشاكل في مجاراة هؤلاء الأشخاص المضطربين سلوكيًا، وأن الأسلوب الإكراهي للأسر يوجد في كثير من أسر الأطفال ذوي مشاكل السلوك الفوضوي ، ويتضح هذا السلوك عندما يكون الآباء غير مؤهلين في عملية التحكم في تربية أطفالهم ، ففي الأسرة الإكراهية، نجد أن الآباء يعطون الأوامر متكررة ، ويصرخون ، ويلومون ، ويحتجوا،مما يؤدي إلى سيادة تفاعلات سلبية قد تؤدي إلى استسلام الأبوان أو الأبناء إلى الآخر.(**الصميلي، 2009: 90-92**).

4-الدراسات السابقة: فمن خلال الاطلاع على الأدب النظري الذي تناول بالدراسة السلوك الفوضوي التخريبي كما يصنفه بعض العلماء باستخدام الدليل التشخيصي والذي يعتبرونه اضطراب السلوك الفوضوي أو التخريبي، أمكننا حصرها في دراسات سيكومترية تطرقت للمقياس كمايلي:

ففي دراسة (Waschbusch, Porter, Carrey, Kazmi, Roach, and D'Amico,2004)، والتي هدفت إلى تقييم التقديرات الشخصية للآباء والمدرسين على عينة من أطفال المدارس في كندا، قوامها(1579)، حيث تم الاعتماد على ثلاثة مؤشرات لاضطراب السلوك الفوضوي التخريبي بالاعتماد على دليل تشخيص الاضطرابات النفسية والعقلية (الدليل الرابع)، وهي: (سلوك المعارضة، سلوك الاستباقي القاسي، سلوك الاندفاع المفرط)، والتي تقيس السلوك الفوضوي التخريبي لدى هؤلاء التلاميذ، وقد أثبتت نتائج الدراسة بعد استخدام التحليل الموازي لهون على استخراج ثلاثة عوامل، حيث تم التعامل معها في التحليل العاملي الاستكشافي باستخدام طريقة التدوير المائل وبطريقة (Promax)، وهناك مصداقية للمقياس المستخدم من خلال مؤشرات كل من الصدق والثبات، غير أن هناك حدود لتعميم النتائج على نطاق واسع. **(Waschbusch, & al,2004 : 97)**

أما عن دراسة لـ(Feliciano H Veiga. 2008)، والتي هدفت إلى استعراض كل من إجراءات البناء والنتائج التي تم الحصول عليها باستخدام مقياس للسلوك الفوضوي (التدميري) المتكون من 16 بندا أعد

للطلاب البرتغاليين، على العينة من 915 شخصا من الصفوف السابع والثامن والصف التاسع، وقد تم تحليل النتائج التي تم الحصول عليها باستخدام أداة التقرير الذاتي، وتم تقدير الموثوقية والبناء الداخلي والصدق التمييزي، وتقدير الثبات عن طرق ألفا كرومباخ وإعادة الاختبار، وبعد استخدام التحليل العاملي الاستكشافي، حيث تم استخلاص ثلاثة عوامل (تشتت الانتباه، العدوان على الزملاء، والعدوان على سلطات المدرسة) مثلت ما نسبته51% من التباين الكلي، وفي الإجمال أسفرت النتائج عن وجود موثوقية كبيرة في الأداة المستخدمة وذلك بالنظر لقيمة الارتباط والثبات، حيث أن هذه الأداة تصلح للتقييم النفسي.**(Feliciano H Veiga. 2008 ,203).**

وذهبت دراسة أخرى لـ(Mamoona and Anila Kamal 2011).والتي هدفت إلى ترجمة وتكييف مقياس اضطراب السلوك الفوضوي، حيث تم ترجمة مقياس تصنيف اضطراب السلوك التخريبي (DBD) الذي وضعه Pelham & al 1992 وتم تكييفه من أجل تقييم المشاكل السلوكية للأطفال في الباكستان، على عينة قوامها(280)، حيث تم ترجمة مقياس تصنيف السلوك الفوضوي التخريبي إلى اللغة الأردية باستخدام تقنية الترجمة العكسية والتحقق من صحتها من خلال تحليل العوامل، والذي أتاح استخلاص أربعة عوامل(فرط الحركة والانتباه، وفرط الحركة والاندفاع، التحدي، اضطراب السلوك)، وأثبتت النتائج على درجة عالية من المقبولية والموثوقية من خلال مؤشرات صدق البناء، معاملات الثبات الممثلة في ألفا كروميا خ والتجزئة النصفية ومعامل ارتباط النصفين. **(Mamoona and Anila Kamal,2011 :149)**.

وفي دراسة حديثة لـ(María and Jesús, 2017)، حيث كان الهدف من هذه الدراسة هو تطوير والتحقق من صحة الاستبيان إدراك الوالدين للسلوك الفوضوي التخريبي (PRDB) لأبنائهم على عينة قوامها (420)، مشارك من الآباء وأطفالهم، تم تقسيم العينة إلى قسمين وذلك من أجل اختبار النموذج البنائي للدراسة والتأكد من صحته، حيث أجاب كل من الآباء والأطفال المشاركين في التجربة على الاستبيان، وبعد المعالجات الإحصائية، أفرزت النتائج على أن النموذجين البنائين للوالدين والأبناء حققا شرط الصدق التقاطعي من جهة، وتم حساب مؤشرات الثبات والتي أبرزت نتائجها عن موثوقية كبيرة ومرضية، وأظهرت نتائج صدق البناء أيضا نتائج ذات موثوقية ومرضية، واتضح أن الاستبيان له بنية مفسرة متسقة مع النموذج المقترح.**(María and Jesús, 2017 :689).**

5-مشكلة البحث: لقد حاولت الدراسات السابقة استقصاء الخصائص السيكومترية لمقياس السلوك، حيث تنوعت العينات من مراحل مختلفة من المتوسط إلى الثانوي، وتعدد عدد العينة المستخدمة أيضا حيث تراوحت ما بين:(280-1579)، كما توصلت جميعها إلى أن مقياس السلوك الفوضوي يتمتع بمؤشرات

صدق وثبات لا بأس بها ويمكن الاعتماد عليها في التشخيص كذلك، لكن الملاحظ أن هذه الدراسات تعامل مع السلوك الفوضوي على أساس أنه اضطراب، يذهب البحث الحالي في نفس الاتجاه لكن سيتم التعامل مع السلوك الفوضوي على أنه مفهوم خاص يشتمل على الأبعاد التالية:(الإثارة والإزعاج، العدوان، التخريب، مخالفة الأنظمة والتعليمات المدرسية) ويصدر في مرحلة معينة من مراحل الدراسة في الوسط المدرسي، وفي ظل هذه الفجوة المنهجية والتي تخص تطبيق أداة خاصة بالسلوك الفوضوي بأبعاده السابقة، والتعامل معه على أساس مفهوم خاص هو ما تحاول الدراسة الحالية التوصل إليه وذلك من خلال التأكد من الخصائص السيكومترية لمقياس السلوك الفوضوي لصاحبه(الصميلي، 2009) حيث سيتم توظيف أيضا التحليل العاملي الاستكشافي لكن بطريقة مختلفة عن الدراسات السابقة، حيث سنستخدم طريقة كوارتيماكس، وبقيمة تشبع قدرها(0.45)، على عينة تضم تلاميذ التعليم الثانوي، وعليه نطرح الإشكاليات التالية:

ما دلالات صدق وثبات مقياس لسلوك الفوضوي لدى تلاميذ التعليم الثانوي؟

الإشكاليات الفرعية:

-ما طبيعة البناء العاملي الاستكشافي لمقياس السلوك الفوضوي لدى تلاميذ التعليم الثانوي؟

-ما الخصائص السيكومترية التي يتمتع بها مقياس السلوك الفوضوي لدى فئة تلاميذ التعليم الثانوي؟

-**أهداف الدراسة:** من جملة الأهداف التي يرمي إليها البحث الحالي مايلي:

-التأكد من البناء العاملي لمقياسي السلوك الفوضوي باستخدام التحليل العاملي الاستكشافي والتحليل الموازي لهورن.

-تثبيت البنية العاملية لمقياس السلوك الفوضوي باستخدام التحليل العاملي التوكيدي.

-التأكد من الخصائص السيكومترية المعبر عنهما بالصدق التمييزي وصدق البناء وألفا كرومباخ والتجزئة النصفية.

أهمية الدراسة: تبرز أهمية الدراسة في جانبين هما:

بالنسبة للجانب النظري: قد تفيد هذه الدراسة كلا من المعلم والمتعلم لإبرازها للعوامل التي تؤدى إلى فهم طبيعة السلوك الفوضوي وخطورته بالنسبة للتلاميذ والزملاء من جهة، كما تفيد الأساتذة في فهم الحاجيات النفسية والاجتماعية في مثل هذا السن من مرحلة المراهقة من جهة ثانية. كما يأمل الباحثين إلى تزويد المكتبة بأدب نظري ولو بسيط يغطي جميع عناصر السلوك الفوضوي لفتح المجال أمام بحوث مستقبلية تتناول السلوك الفوضوي بمتغيرات شخصية أخرى.

بالنسبة للجانب التطبيقي: يأمل البحث الحالي إلى تزويد المعلمين والطاقم الإداري بأسباب السلوك الفوضوي وعواملها المختلفة وكيفية علاجها من خلال وضع برامج إرشادية رشيدة للتصدي للمشكلات السلوكية التي تبرز في المدارس والثانويات.

-يأمل الباحثين إلى تفسير نتائج هذه الدراسة وفقا للبيئة المحلية وإمكانية التنبؤ على عينات مماثلة للحصول على نفس النتائج إذا ما وظفت الشروط الإمبريقية بشكل صحيح وواعي.

-محاولة التأكد من صلاحية مقياس السلوك الفوضوي على عينة جزائرية من خلال التحليل الموازي في إبراز العوامل الكامنة والتحليل العاملي التوكيدي في ضوء بعض المعطيات الثقافية السائدة في البيئة الجزائرية.

6-التعاريف الإجرائية:

السلوك الفوضوي: ويعرف السلوك الفوضوي أو(السلوك المعرقل) كما تشير إليه بعض الكتابات بأنه السلوك الذي يقوم به الطالب ضد الآخرين) الزملاء، المعلمين، الممتلكات المدرسي، التعليمات والأنظمة المدرسية (في شكل يعمل على إثارة الفوضى، ويهدف إلى إلحاق الضرر، ويصاحبه إصرار من القائم به، وتذمر وقلق من المتلقي له، وهو الدرجة الكلية المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات السلوك الفوضوي لصاحبه (حسين بن إدريس عبده الصميلي، 2010)، هي ممثلة في الأبعاد التالية:

أ-**بعد الإثارة والإزعاج:** وهي الممارسة السلوكية المتضمنة قيام بعض الطلاب بالإقدام على إثارة أجواء من الغضب والتوتر داخل بيئة الفصل أو المدرسة، وتوجه تلك الممارسات السلوكية تجاه الطلاب الآخرين أو تجاه الهيئة التعليمية (معلمين ومديري المدارس)، وهو الدرجة المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات هذا البعد بالذات.

ب-**بعد العدوان:** وهو الاستجابة التي تتسم بتوجيه الأذى البدني والنفسي للآخرين ، وتهدف إلى إلحاق الضرر بهم، والذي يعبر عنه في صورة فعل أو سلوك يقوم به الطالب وبصورة ظاهرة وواضحة للعيان، وهو الدرجة المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات هذا البعد بالذات.

ج-**بعد التخريب:** ويقصد به قيام بعض الطلاب بإتلاف أو تكسير في مرافق المدرسة المتنوعة من مقاعد دراسية ونوافذ وأبواب الفصول وأجهزة الحاسب والمختبرات، مما ينتج عن تلك الممارسات إحداث تلف وأضرار في المبنى المدرسي والمرافق التابعة له، وهو الدرجة المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات هذا البعد بالذات.

د-بعد مخالفة الأنظمة: ويقصد به قيام -بعض الطلاب بتجاهل الأنظمة المحددة لأطر العلاقة بين محاور العمل المدرسي عن قصد، وتجاوز التعليمات المنظمة للعملية التربوية من خلال الإقدام على بعض السلوكيات والتي ترمي في معظمها إلى التجاوز المتعمد لكل قواعد الضبط المدرسي، وهو الدرجة المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات هذا البعد بالذات.

منهج وطريقة إجراء الدراسة: لقد تم إتباع المنهج الإحصائي لتحليل معطيات الدراسة إحصائيا، باعتبار انه المنهج الملائم لطبيعة هذه الدراسة.

طريقة اختيار العينة الأساسية وخصائصها: يتمثل المجتمع الذي اتخذناه مجالا بشريا لدراستنا من تلاميذ التعليم الثانوي بالشلف وعدهم (298) وتلاميذ التعليم الثانوي بولاية تيارت وعدهم(106)، ، لقد تم تحديد هذه الفئات بطريقة قصدية وذلك في حدود ما أتيح لنا الاتصال به بالمؤسسات التربوية، حيث حدد عدد العينة الكلية ب(404) من المستويات التعليمية المختلفة ، حيث قدر عدد الذكور ب(174)، أما عدد الإناث ب(230)، في حين تراوحت الفئات العمرية بين (14-16) سنة ب(136)، أما الفئة العمرية بين(17-19) فقدرت ب(241)، أما عن الفئة العمرية(+20) فقدرت ب(27). في حين قدر عدد سنة أولى ب(146)، والسنة الثانية ب(104)، أما السنة الثالثة فقدرت ب(154).

7-أدوات الدراسة:

مقياس السلوك الفوضوي: لصاحبه (حسين بن إدريس عبده الصميلي، 2010)، وهو أداة للتقرير الذاتي لقياس طبيعة السلوك الفوضوي، حيث يتكون من (40) فقرة تقيسه، يحتوى على أربعة أبعاد أساسية.

أ-صدق وثبات مقياس السلوك الفوضوي: والذي يوضح علاقة كل فقرة ببعدها، ولقد تم اعتماد (معامل بيرسون) لتوضيح هذا الاتساق، كما تم استخدام طريقتي ألفا كرومباخ والتجزئة النصفية للتأكد من الثبات، حيث أسفرات النتائج على:

أن بعد **<u>الإثارة والإزعاج:</u>** تراوحت قيم صدق البناء فيه ما بين (0.34 و0.65) عند مستوى الدلالة(0.01، 0.05)، تم حذف فقرتين)، وقدرت قيمة ألفا كرومباخ والتجزئة النصفية ب(0.65-0.68)، في حين قدرت قيم صدق **<u>بعد العدوان</u>** ما بين (0.48 و0.63) عند مستوى الدلالة(0.01، 0.05)، تم حذف فقرتين، وقدرت قيمة ألفا كرومباخ والتجزئة النصفية (0.75-0.60)، وقدرت قيم صدق **<u>بعد التخريب</u>** ما بين(0.31 و0.71) عند مستوى الدلالة(0.01، 0.05)، تم حذف فقرتين، وقدرت قيمة ألفا كرومباخ والتجزئة النصفية ب(0.67-0.83)، وتراوحت قيم صدق البناء **<u>لبعد مخالفة الأنظمة</u>** ما بين(0.35 و0.63) عند مستوى الدلالة(0.01، 0.05)، تم حذف فقرتين، وقدرت قيمة ألفا

كرومباخ والتجزئة النصفية ب(0.67-0.67). بعد إجراء عمليتي الصدق والثبات، أن جل معاملات الارتباط والثبات جاءت بدرجة معقولة ومقبولة إحصائيا، وعليه يمكن الاطمئنان على استخدام المقياس في الدراسة الحالية.

8-الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة: تم استخدام معامل الارتباط لبيرسون لاستقصاء البناء الداخلي لمقياس السلوك الفوضوي، كما تم استخدام أيضا التحليل العاملي لاستخراج البنية العاملية له، وأيضا استخدم التحليل الموازي والتحليل العاملي التوكيدي أيضا، والصدق التمييزي، وأخيرا تم التأكد من الثبات بطريقتي ألفا كرومباخ والتجزئة النصفية، وطريقة إعادة الاختبار.

9-عرض تفسير النتائج:

9-1-عرض وتفسير الفرضية الأولى:

والتي تنص: ما طبيعة البناء العاملي لمقياس السلوك الفوضوي لدى التلاميذ التعليم الثانوي.

ولقد تضمنت عملية إجراء التحليل العاملي فحص الخطوات التالية، حيث تم إجراء التحليل العاملي على عينة قوامها (404) بأسلوب المكونات الأساسية وبطريقة (كوارتيماكس)، حيث أفرزت النتائج بعد التدوير على بروز(3) عوامل.

أ-**فحص توفر شروط استخدام التحليل العاملي:** (وذلك حسب ما أشار إليه تيغزة،2012: 87-88).

-أغلب معاملات الارتباط تعدت القيمة (0.30)، جاءت القيمة المطلقة لمحدد المصفوفة أكبر من (0.001) حيث قدر ب(0.016). مما يفسر أنها ليست مصفوفة منفردة (Singular matrix) التي تنطوي على اعتماد خطي تام (أي وجود ارتباط قوي Multicollineraity) بين المتغيرات، وأنها لا تنطوي على مشكلة ارتفاع الارتباط المبالغ فيه بين المتغيرات.(أمحمد بوزيان تيغزة، 2011: 303). وجاءت قيمة اختبار (KMO) *Kaiser-Mayer-Olkin* تعدت قيمة 0.50، حيث قدرت ب0.79، في حين قدرت قيمة (MSA) *Measures of Sampling Adequacy*، وهو مقياس عام لكفاءة التعيين كانت أكبر من (0.50)، حيث استوفت جميع الفقرات هذا الشرط. لكن قيم الشيوع لبعض الفقرات جاءت منخفضة ما بين(0.01-0.22) وهي:(30،32) فتم حذفها وإعادة التحليل العاملي.

ب-اعتبارات استخدام طريقة المكونات الأساسية والتدوير بطريقة كوارتيماكس Quartimax:

-إن طريقة المكونات الأساسية تمكننا من اختزال المتغيرات العديدة إلى عدد قليل من المتغيرات، ولأنها تمكننا من جهة أخرى للكشف عن البنية التحتية التي تحقق لنا أقصى تباين في فقرات المقياس بالعامل ممثلة بالتشبعات لتشكيل العلاقة الخطية.

-تمكن طريقة كوارتيماكس من تحقيق البنية البسيطة على مستوى مصفوفة العوامل، أي على تبسيط التشبعات على مستوى الصفوف، مما يجعلها تتشبع تشبعا مرتفعا على عامل واحد فقط وتشبعا منخفضا على بقية العوامل الأخرى، وهكذا فقط يمكن لكل فقرة من تحقيق لأقصى تشبع على عامل واحد فقط مما يجعلها تتمركز في هذا العامل دون غيره، أنظر(**تيغزة، 2012: 67-68**). وبغية التأكد من صحة استخراج العوامل والاحتفاظ بها تم إجراء التحليل الموازي نظرا لجدارته ونجاعته ودقته في استخراج العوامل.

ج-التحليل الموازي لمقياس السلوك الفوضوي: Horn Parallel analysis: يشير كل من (**Hayton & Ledesma ;2004**)" يشير هورن، 1965 إلى أنه من الممكن أن نحدد عن طريق بيانات عشوائية المكونات التي يمكن أن تفسر نسبة معينة من التباين، حيث يتم رسم منحنيين أحدهما يمثل الجذور الكامنة المحسوبة على هذه البيانات، والمنحنى الثاني يمثل الجذور الكامنة للبيانات التجريبية، ويتم مقارنة نسب التباين لبيانات المجموعتين، ولكي يكون العامل فعلا معبرا ومقبولا ينبغي أن يكون جذره الكامن أكبر بكثير من ذلك الذي حصلنا عليه من البيانات الافتراضية العشوائية.(**في كروم موفق، 2016: 62**). يرتكز منطق التحليل الموازي على إجراء التحليل العاملي لعينة عشوائية من أصل العينة الأساسية، وذلك باستخدام (spss) والنقر على أمر (syntaxe) ثم تحرير الأوامر الخاصة بتطبيق منطق التحليل الموازي لصاحبه هورن، حيث تم إجراء التحليل العاملي ويتم مقارنة قيمة (Eiganvalues) بين التحليل العاملي الأول والبيانات العشوائية التي يختارها البرنامج، حيث أفرزت النتائج على استخراج ثلاثة عوامل تم الاحتفاظ بهم من أجل معالجة البيانات، كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم (02) يوضح قيم مخرجات التحليل الموازي لمقياس السلوك الفوضوي

قيمة Eigen value/ latent root **للتحليل العاملي الأول ن=710**	**قيمة** Eigen value/ latent root **للتحليل العاملي للبرنامج** (Spss)
العامل الأول= 5.12	العامل الأول= 1.61
العامل الثاني= 1.91	العامل الثاني= 1.52
العامل الثالث= 1.50	العامل الثالث= 1.45
العامل الرابع=1.39	**العامل الرابع=1.40**

نلاحظ من خلال الجدول بأن هناك فروق بين قيمة إيقن (Eigenvalues) بين التحليل العاملي الأول والثاني، حيث جاءت قيمه مرتفعة مقارنة بالتحليل العاملي لهورن، مما يدل على أنها قيم جيدة وتحقق شرط التحليل الموازي، ماعدا العامل : (الرابع) حيث جاءت قيمته مرتفعة عن التحليل العاملي الذي تبناه

الباحثين، وعليه فالنموذج النهائي سيحتوى على مجموع ثلاثة عوامل كما أفرزتها نتائج التحليل الموازي على اعتبار دقته وأهميته ونجاعته في تحديد العوامل، وهو النموذج النهائي الذي سنتبناه في المعالجة النهائية للفرضيات، وبذلك سيحتوى مقياس السلوك الفوضوي على مجموع (20) فقرة، بعد الفقرة رقم(8): والتي جاءت تشبعها منخفض تماما.

د-التحليل العاملي التوكيدي لمقياس السلوك الفوضوي: وبغية التأكد من البنية التوكيدية لمقياس السلوك الفوضوي، تم إجراء التحليل العاملي التثبتي، حيث أفرزت النتائج كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم (03) يوضح نتائج التحليل العملي التوكيدي لمقياس السلوك الفوضوي قبل التعديل

المؤشرات والقيم المسجلة					
مربع كاي (Cmin)	350.621	(DF)	167	IFI	0.843
مربع كاي المعياري(Cmind/ Df)	2.100	(CFI)	0.840	RMSEA	0.052
مستوى الدلالة (P-value)	0.000	(TLI)	0.813	SRMR	0.028

نلاحظ من خلال جدول مؤشرات المطابقة بأن النموذج الحالي سيء وغير مطابق للشروط وذلك بالنظر لدلالة مربع كاي المتضخمة، وأن قيمة مؤشر توكر لويس (TLI) جاءت منخفضة ولا تحترم الشروط، في حين جاء أيضا مؤشر المطابقة المقارن(CFI) والمطابقة التزايدي(IFI) لا يحترمان شروط المطابقة، ماعدا مؤشر جذر متوسط مربع الخطأ التقريبي(RMSEA)، ومؤشر جدر متوسط مربعات البواقي (SRMR) واللذان جاءا يحترمان الشروط، وعليه يمكن القول بأن النموذج الحالي بحاجة للتعديل ومن أجل ذلك عمد الباحثين إلى مراجعة مؤشرات التعديل (Modification Indices)، حيث يمكن ملاحظة مؤشرات جودة المطابقة بعد التعديل في الجدول التالي:

جدول رقم (04) يوضح مؤشرات جودة المطابقة لمقياس السلوك الفوضوي بعد التعديل

المؤشرات والقيم المسجلة					
مربع كاي (Cmin)	231.209	(DF)	156	IFI	0.936
مربع كاي المعياري(Cmind/ Df)	1.482	(CFI)	0.935	RMSEA	0.035
مستوى الدلالة (P-value)	0.000	(TLI)	0.920	SRMR	0.023

نلاحظ من خلال الجدول بأن مؤشرات المطابقة جاءت مقبولة، حيث تراوحت قيمة مربع كاي (312.551) بعدما أن كانت(350.621)، وانخفض معها مربع كاي المعياري حيث أصبح (1.482) بعدما كان يساوي(2.100)، وارتفعت قيمة مؤشر المطابقة المقارن (CFI) حيث أصبحت (0.93) بعدما كانت(0.84)، وارتفع بالمثل مؤشر توكر لويس(TLI)، حيث أصبح يساوي(0.92)، وكذا الأمر بالنسبة لمؤشر المطابقة التزايدي(IFI) والذي قدر ب(0.93)، وهذه المؤشرات كلها تدل على وجود مطابقة جيدة، ماعدا أن مستوى الدلالة بقي دال، حيث في هذه الحالة يجب مراعاة المؤشرات الأخرى فإذا كانت جيدة ومقبولة يتم الاحتفاظ بجودة النموذج، وذلك حسب ما أشار إليه (تيغزة، 2012)، وفي الإجمال يمكن القول بأن كل هذه القيم جاءت بدرجة مقبولة مما يبدل أن هناك مطابقة معقولة للنموذج التوكيدي لمقياس السلوك الفوضوي.

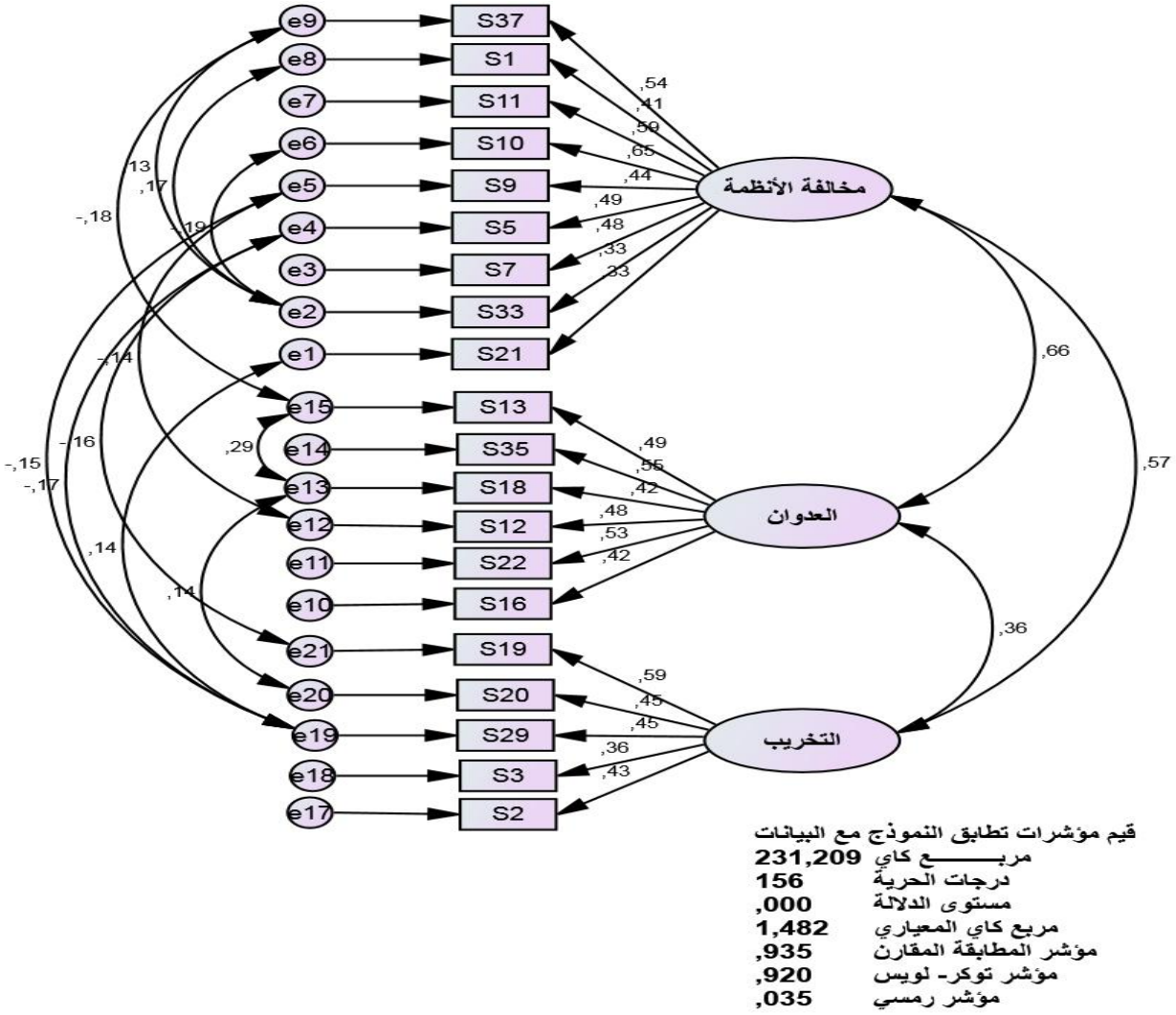

شكل رقم(01) يوضح نموذج السلوك الفوضوي بعد التعديل.

انطلاقا من النتائج الموضحة في الشكل البياني رقم(01) أعلاه لنموذج التعلق بالأم، درجة التأثر، أو تشبع الفقرات المعبرة عنها، فكل قيمة من القيم الموجودة على كل سهم من الأسهم المتجهة تعبر عن درجة التشبع كل متغير كامن، وللمقارنة بين هذه المؤشرات من حيث درجة تشبعها نعتمد على الأوزان الانحدارية المعيارية (Standardized) وغير الانحدارية (unStandardized)، تسمى بمعاملات الصدق، حيث يتضح لنا أن أكثر المتغيرات إشباعا هو الفقرة رقم (10) وهي: (أسعى إلى إضاعة وقت الحصة)، إذ بلغت الدرجة غير المعيارية للتشبع ب(1.59) وبدرجة معيارية تساوي=0.62، وأن أقل المؤشرات إشباعا هي الفقرتين رقم(21) ونصها: (ألجأ إلى الهروب من المدرسة)، إذ بلغت الدرجة غير المعيارية للتشبع ب(1.00) وبدرجة معيارية تساوي=0.33، والفقرة رقم(33) ونصها: (أكثر من الشكوى للمعلم دون سبب واضح)، إذ بلغت الدرجة غير المعيارية للتشبع ب(1.00) وبدرجة معيارية تساوي=0.33، أما باقي الفقرات فجاءت تتراوح درجاتها المعيارية وغير المعيارية بين هاتين القيمتين السابقتين.

كان الهدف الرئيسي للدراسة هو الكشف عن البنية العاملية لمقياس السلوك الفوضوي والمعبر عنه بكل من طرق التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي والتحليل الموازي لهورن، والذي أتاح استخراج ثلاثة عوامل كامنة وهي: **(مخالفة الأنظمة، والعدوان، والتخريب)**، وقد يعزى تفسير ذلك في ضوء أن المعتقدات الخاطئة والسلبية وغير عقلانية التي يؤمن بها الفرد ذات تأثير مباشر على إدراكه وعلى سلوكه الفوضوي ومن ثم تأويل الأحداث والمواقف بشكل غير منطقي وغير متوافق مع الواقع، ولاشك أيضا أن النماذج التي يتبناها الفرد في سلوك هي نتاج معاملات والدية، واحتكاك بالأقران، تقمصها وطورها الفرد وقلدها في مراحل لاحقة، ولاشك أيضا أن مرحلة المراهقة والتي هي مرحلة مهمة في بناء الشخصية.وما يتبعها من تغيرات فسيولوجية وعقلية ونفسية تؤثر هي الأخرى على السلوك الفوضوي لدى هؤلاء التلاميذ، إن السلوك الفوضوي بأبعاده المتنوعة يؤثر في مجموعة من الجوانب التي تشكل الممارسات الشخصية للفرد في مجالات عدة ،لأن السلوك الفوضوي كممارسة سلوكية تدفع الفرد إلى التصرف الخاطئ وبالتالي تتعدد الآثار الناتجة عن هذا السلوك، ومن المشكلات التي ترتبط بالسلوك الفوضوي تلك التي تتعلق بالجوانب الاجتماعية والتحصيلية والأسرية، الأمر الذي يؤكد المدى الذي تنتشر فيه هذه الآثار المعيقة في بناء شخصية الفرد.

ونتائج الدراسة الحالية لا تتسق مع كل من دراسة(Waschbusch & al, 2004)، والتي هدفت لاختبار المؤشرات الثلاثة (سلوك المعارضة، سلوك الاستباقي القاسي، سلوك الاندفاع المفرط) للسلوك الفوضوي التخريبي تبعا للدليل التشخيصي الرابع، وتتعارض مع دراسة (Feliciano,2008)، والتي

استخدمت مقياس السلوك الفوضوي التخريبي واستخلصت ثلاثة أبعاد: (تشتت الانتباه، العدوان على الزملاء، والعدوان على سلطات المدرسة).

9-2-عرض وتفسير نتائج الفرضية الثانية:

والتي تنص: ما الخصائص السيكومترية التي يتمتع بها مقياس السلوك الفوضوي لدى فئة تلاميذ التعليم الثانوي.

ولاختبار هذه الفرضية تم حساب تمييز الفقرات وذلك باستخدام اختبار(ت) للمقارنة بين المتوسطات على المجموعتين المتطرفتين، ولقد تم التأكد من صدق المقارنة الطرفية بإتباع الخطوات التالية: بعد ترتيب عينة الدراسة الأساسية من أعلى درجة إلى أدني درجة، ثم قسمة عدد العينة على 100ثم ضربها في33% فتحصلنا على ناتج يساوي =133.3، ثم أخذنا الثلث الأعلى ما يعادل (134 فردا) مع الثلث الأدنى (134 فردا) وطبقنا اختبار (ت)، فدلت النتائج على مايلي:

جدول رقم(05) يوضح مؤشرات تمييز الفقرات باستخدام اختبار (ت)

الفقرة	قيمة (ت)	م. الدلالة	الفقرة	قيمة (ت)	م. الدلالة	الفقرة	قيمة (ت)	م. الدلالة
1	4.62	**0.01**	12	4.81	**0.01**	29	3.60	**0.01**
2	2.74	**0.001**	13	5.94	**0.01**	7	5.29	**0.01**
10	6.65	**0.01**	18	5.16	**0.01**	9	2.84	**0.01**
11	8.37	**0.002**	35	3.84	**0.01**	21	2.72	**0.01**
16	3.89	**0.01**	5	6.18	**0.01**	22	4.53	**0.01**
33	1.96	**0.01**	19	5.38	**0.01**	37	4.61	**0.01**
3	3.14	**0.01**	20	3.03	**0.01**			

نلاحظ من خلال الجدول وبالنظر للقيم التائية المستخرجة بأنها جاءت كلها دالة عند مستوى الدلالة (0.01)،(0.002)، وعليه فان طرفي المقياس يقيس نفس السمة المراد قياسها وبالتالي يميز بين أداء المجموعة العليا والدنيا في مقياس السلوك الفوضوي، إذا يمكن التأكد من صدق الأداة في قياس ما وضعت لقياسه.

صدق البناء الداخلي لمقياس السلوك الفوضوي: والذي يوضح علاقة كل فقرة بالمقياس ككل، ولقد تم اعتماد (معامل بيرسون) لتوضيح هذا الاتساق، حيث دلت النتائج كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم(06) يوضح صدق البناء الداخلي لفقرات مقياس التعلق السلوك الفوضوي

الفقرة	معامل الارتباط	م. الدلالة	الفقرة	معامل الارتباط	م. الدلالة			
1	0.44	**0.01**	12	0.45	**0.01**	29	0.37	**0.01**
2	0.38	**0.01**	13	0.41	**0.01**	7	0.48	**0.01**
10	0.59	**0.01**	18	0.45	**0.01**	9	0.38	**0.01**
11	0.57	**0.01**	35	0.47	**0.01**	21	0.39	**0.01**
16	0.42	**0.01**	5	0.46	**0.01**	22	0.45	**0.01**
33	0.40	**0.01**	19	0.43	**0.01**	37	0.55	**0.01**
3	0.33	**0.01**	20	0.40	**0.01**			

نلاحظ من خلال الجدول بأن جميع معاملات الارتباط لفقرات مقياس التعلق الوجداني بالأم جاءت بدرجة معقولة ومقبول إحصائيا ودالة عند مستوى الدلالة(0.01).

ثبات مقياس السلوك الفوضوي: تم استخدام طريقتي ألفا كرومباخ والتجزئة النصفية وكذا معامل ارتباط النصفين، حيث أفرزت النتائج على:

جدول رقم(07) يوضح قيم معامل الثبات بطريقتي ألفا كرومباخ والتجزئة النصفية

المتغير	عدد الفقرات	ألفا كرومباخ	سبيرمان براون	معامل ارتباط النصفين
م. الأنظمة	09	0.725	0.751	0.602
العدوان	06	0.664	0.665	0.498
التخريب	05	0.566	0.609	0.430

نلاحظ من خلال الجدول بأن جميع معاملات الثبات جاءت على قدر كافي من الثبات والاستقرار، وهو ما يحقق حسب ما أشار إليه كل من **(Cecil ;R & Ronald ;2013 : 225)** قضيتين رئيسيتين وهما، مواءمة المفردات Item Relevance)، وهو ما يعكس محتوى رئيسي في النطاق المعين، والثاني شمول المحتوى (Content coverage)، وهو درجة اشتمال المفردات على النطاق المعين، وهذا يعني أن جميع

الفقرات المتشبعة والتي أفرزتها نتيجة التحليل العاملي تحقق شرط مواءمة المفردات للتكوين الفرضي أو نطاق المحتوى الذي تنمي إليه من جهة ويحقق شرط آخر وهو أن العينة شاملة وممثلة لهذا التكوين الفرضي أو نطاق المحتوى المحدد من جهة ثانية.

لقد أفرزت نتائج التحليلات الإحصائية المعبر عنها في كل من الصدق التمييزي، ومعامل ارتباط النصفين، وكذا الثبات بنوعيه ألفا كرومباخ والتجزئة النصفية، عن كفاية سيكومترية ذات مقبولية وموثوقية كبيرة لمقياس السلوك الفوضوي، حيث يمكن الاعتماد عليه في تحديد أنماط وخصائص النفسية والسلوكية لمختلف أنواع السلوك الفوضوي، وقد يعزى تفسير ذلك إلى أن المقياس يتمتع بنوع من الاستقرار فيما صمم لقياسه، غير أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار المؤشرات الثقافية وخصائص العينة بعين الاعتبار عند تطبيق المقياس في البيئة الجزائرية المحلية، فالعوامل التي تم استخراجها تنم عن وجود بنية عامليه ذات تصميم مختلط في فقراتها، فما صنفه الباحث(الصميلي، 2009) على أنها فقرات تخص الإثارة والإزعاج تداخلت مع فقرات العدوان في بعد واحد أثناء استخراج نتائج التحليل العاملي، وهذا راجع باعتقادنا إلى تصميم العينة وطبيعة المقياس وصياغة فقراته هذا من جهة، ومن جهة ثانية نجد أن خصائص السلوك الفوضوي تدعم الأسس النظرية لدراسة(الصميلي، 2009)، حيث أن السلوك الفوضوي له مستويات مختلفة تتراوح ما بين الخفيف والمتوسط والشديد الذي يعتبره بعض الباحثين استنادا إلى نتائج الدراسة ونوع المقاييس والدليل التشخيصي على أنه اضطراب سلوكي يستوجب التدخل السريع، وفي نتائج هذه الدراسة تم استخدام مقياس السلوك الفوضوي ذي مستوى يعتبر إلى حد ما خفيف في بعض الأحيان ومتوسط في بعض الأحيان الأخرى تبعا لمراحل النمو وتبعا للفروق الفردية وتبعا للمؤسسات التربوية ومناخها ومواردها المادية والبشرية.

خاتمة: كان الهدف الأساسي للدراسة هو الكشف عن دلالات صدق وثبات مقياس السلوك الفوضوي لدى تلاميذ التعليم الثانوي، ومن ثم التحقق من دلالات الصدق والثبات، حيث تكونت عينة الدراسة من(404) تلميذا وتلميذة من التعليم الثانوي، منهم(298) يدرسون بولاية الشلف، و(106) يدرسون بولاية تيارت، حيث أظهرت النتائج أن مقياس السلوك الفوضوي يتمتع بكفاية سيكومترية مرضية وقد ظهر هذا الأمر في مؤشرات الاتساق والثبات التي تم استخراجها، كما ظهر في دراسة صدق البناء، والصدق التمييزي، وبالتحليل العاملي لبنود الأداة والذي أتاح استخلاص ثلاثة عوامل أساسية.

التوصيات والاقتراحات: في ضوء النتائج المتوصل إليها يوصي الباحثين بما يلي:

-تطبيق المقياس على عينات واسعة تضم تصاميم مختلطة من العينات(التعليم الابتدائي، والمتوسط والثانوي) وذلك بغية التأكد من الاستخدامات الواسعة له.

-إجراء الصدق التقاطعي على عينات مشتقة باستخدام تقنية توليد العينات واختبار صدق واستقرار النماذج العاملية وصحتها وقابليتها للتعميم.

-إجراء المزيد من الدراسات حول السلوك الفوضوي لتحديد أبعاده ومؤشراته السلوكية في البيئة المحلية ليتوافق مع مخرجات الثقافية وطبيعة العينة ومراحل نموها.

-وأخيرا يجب الإشارة إلى أن المقياس لا يتعدى أن يكون شكله تقرير ذاتي لقياس اتجاهات المفحوصين في أنماط السلوك الفوضوي، وعليه يرجى أخذ نتائجه واستخدامات بنوع من التروي والحيطة في الاستخدام.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد مكرم.(1990).لسان العرب.(مج 10).بيروت: دار صادر.

2-أحمد محمد أبو زيد، وهبة جابر عبد الحميد.(2015).اضطرابات السلوك الفوضوي.(ط1).القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.

3-أمحمد بوزيان تيغزة.(2011).*اختبار صحة البنية العاملية للمتغيرات الكامنة في البحوث: منحى التحليل والتحقق*.بحث علمي محكم. جامعة الملك سعود.السعودية.

4-أمحمد بوزيان تيغزة.(2012).*التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي مفاهيمها ومنهجيتها بتوظيف حزمةSPSS وليزرلLISREL*.(ط1).عمان: دار المسيرة.

5-حسن بن إدريس عبده الصميلي.(2009).فاعلية برنامج إرشادي عقلاني انفعالي في خفض السلوك الفوضوي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمنطقة جازان التعليمية"دراسة شبه تجريبية".رسالة دكتوراه غير منشورة.جامعة أم القرى السعودية.

6-رغداء على نعيسة.(2015).السلوك الفوضوي وعلاقته بمستوى الانتماء الأسري والمدرسي لدى عينة من طلبة الأول ثانوي.*مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس*.دمشق.13(3)،125-153.

7-سيسيل راينولد، ورونالد ليفينقستن.(2013). *إتقان القياس النفسي الحديث النظريات والطرق*. صلاح الدين محمود علام (مترجم).(ط1).عمان: دار الفكر ناشرون وموزعون.

8-عصام عبد اللطيف العقاد.(2001).سيكولوجية العدوانية وترويضها"منحى علاجي معرفي جديد".(ط1).القاهرة: دار غريب.

9-محسن صالح حسن الزهيري.(2016).السلوك الفوضوي وعلاقته بالفشل المعرفي لدى طلاب المرحلة الإعدادية.*مجلة الآداب العراق*.(116)،585-614.

10-محمود سعيد الخولى.(2008).العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة.(ط1). القاهرة: الأنجلو مصرية.

11-محمود كاظم محمود، وحسين أحمد سهيل.(2008). فاعلية الذات وعلاقتها بالسلوك الفوضوي.*مجلة الأستاذ*.العراق.(72)،453-486.

12-موفق كروم.(2016).البنية العاملية لاختبار المهارات الاجتماعية وعلاقتها ببعض متغيرات الشخصية.أطروحة دكتوراه منشورة.جامعة وهران.

13-Feliciano H Veiga.(2008).Disruptive Behavior Scale Professed by Students (DBS-PS): Development and Validation. *International Journal of Psychology and Psychological Therapy*.8(2),203-216

14-Mamoona Ismail Loona and Anila Kamal.(2011).Translation and Adaptation of Disruptive Behaviour Disorder Rating Scale.Pakistan. *Journal of Psychological Research*. Vol. 26 (2), 149-165

15-Tonette S Rocco, Maria S. Plakhotnik,(2000) .Literature Reviews, Conceptual Frameworks, and Theoretical Frameworks: Terms,Functions, and Distinctions. *Human Resource Development Review*. Vol. 8(1), 120-130.

16-Waschbusch, Porter, Carrey, Kazmi, Roach, and D'Amico.(2004).Investigation of the Heterogeneity of Disruptive Behaviour in Elementary-Age Children.Canadian .*Journal of Behavioural Science*. 36(2), 97-112.

سياسة ديغول في فصل الصحراء الجزائرية-1958-1962م

الباحث / بن موسى محمد ـ المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة ـ الجزائر.

الملخص :

شكلت قضية الصحراء الجزائرية إحدى القضايا الهامة في مسار ثورة نوفمبر الخالدة، ذلك أن الإستعمار الفرنسي أراد أن يجعل منها قاعدة لإرساء إمبراطوريته الجديدة، ليس بسبب ثرواتها فحسب، بل وكذلك بسبب موقعها الإستيراتيجي الذي يتربع على مساحات معتبرة، ومن ثم لم يتوان في استصدار ترسانة من القوانين والمراسيم الرامية لتكريس سياسته الإستعمارية الهادفة لفصل الصحراء عن بقية التراب الوطني، التي شكلت في الأخير محور صلابة المواقف والمبادئ المستمدة من بيان أول نوفمبر، التي تمسك بها المفاوض الجزائري حتى الإستقلال.

الكلمات المفتاحية : الصحراء الجزائرية- ديغول- السياسة الاستعمارية- الثورة الجزائرية-المفاوضات.

Résumé :

Le cas(La caisse) du Sahara algérien a formé une des questions (publications) importantes dans le chemin de la révolution de novembre éternelle, la colonisation française, il a voulu faire une base pour l'établissement du nouvel empire, pas à cause de leur richesse(fortune), mais aussi à cause de sa position(poste) géostratégique, étant assis en tailleur sur le grand, la considération et n'a pas donc hésité dans l'émission(la publication) d'un arsenal de lois et les décrets ont visé à se consolider la politique(police) coloniale a eu pour but de séparer le désert du reste du territoire national, formé dans le dernier axe de la solidité des positions(postes) et les principes tirés de la déclaration du premier novembre, par le négociateur algérien jusqu'à l'indépendance.

Mots-clés: Sahara algérien - De Gaulle - Politique coloniale - Révolution algérienne - Négociations

01- وصول ديغول إلى الجزائر:

في 26-04-1958م، قام آلاف المستوطنين الموجودين بالجزائر، بمظاهرات طالبين فيها بتغيير الحكومة الفرنسية بعدما تأكدوا من عجز الحكومة القائمة آنذاك –حكومة فيليكس غايار[1]– من القضاء

[1] ولد بباريس سنة 1919م،عين مفتشا للمالية 1943 ثم مفوض عام للحكومة الفرنسية، كان ينتمي إلى التيار الراديكالي الإشتراكي، عين سنة1947م وزيرا للمالية ثم أصبح رئيسا للحكومة شهر نوفمبر من نفس السنة. وفي عام 1958م إنتخب رئيسا للحزب الراديكالي بفرنسا.أنظر:

-Le grand larousse encyclopédique-éd.larousse.montronge France-Volume5.p 327

على الثورة التحريرية[1]. وتطور الأمر إلى أن قام هؤلاء باحتلال دار الحكومة الفرنسية بالجزائر يوم 13-05-1958م، ثم إنضم إليهم الجيش العامل بالجزائر، وعلى رأسه الجنرال "راؤول سالان"[2]، قائد الأركان وجاك ماسو قائد فرقة المظلات. وأمام ذلك تدخل الرئيس الفرنسي "روني كوتي"، وقام بإجراء تغيير في الحكومة، وصل على إثره "بيير بفيلمين" إلى رئاسة الحكومة عوضا عن فيليكس غايار[3].

رفض هؤلاء المتظاهرين الحكومة الجديدة، وتشكلت لجنة الأمن الوطني من الأوروبيين المناهضين لأية حكومة يرأسها "بفيلمين" بزعامة الجنرال "ماسو" الذي بعث ببرقية مستعجلة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، يطلب فيها تشكيل لجنة الأمن العمومي في باريس بدلا من تشكيل حكومة فرنسية، ومن ثم طالب بدعوة الجنرال ديغول إلى الحكم الذي كان ينوي إقامة نظام رئاسي يتمتع فيه رئيس الجمهورية بصلاحيات واسعة[4].

وعلى هذا الأساس تشكلت في 14-05-1958م حكومة في باريس يرأسها بفيلمين، وسلطة أخرى في الجزائر يتزعمها الجنرال"ماسو". وفي 17-05-1958م وصل "جاك سوستال"[5] إلى الجزائر وبدأ يخطط مع الجنرال سالان[6] لعودة ديغول إلى الحكم بالقوة، وعدم التفاوض مع الحكومة بقصد إقناع رئيسها بالتنازل عن السلطة لديغول. وتوسط "غي مولي" بين الحكومة والجنرال ديغول وذلك للحيلولة دون قيام الجيش بهجوم مفاجئ على فرنسا. وفي مؤتمر صحفي للجنرال ديغول يوم 19-05-1958م أعلن هذا

---

[1] محمد الميلي، **مواقف جزائرية**،ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984م، ص 54

[2] ولد سنة 1899م، من عائلة حرفية، عينه الرئيس الفرنسي "غي مولي" على رأس الجيوش الفرنسية بالجزائر، ينتمي إلى تيار اليسار، وكان يؤكد فكرة بقاء الجزائر فرنسية. راجع : محمد شبوب، **إجتماع العقداء العشر من 11أوت إلى 16 ديسمبر 1959**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص الثورة الجزائرية 1954-1962م،جامعة وهران، 2008-2009، ص 26

[3] Benjamin stora.**Histoire de la guerre d'Alger1954-1962**.éd la couverte paris. 2002 p48

[4] عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1997م،ص 428

[5] ولد بن سوسان في 1912م،من عائلة نقابية بروتستانتية، في 15-01-1955م عين حاكما عاما للجزائر من قبل ماندس فرانس خلفا لروجي ليونار، وفي 02-02-1956م غادر الجزائر وخلفه روبير لاكوست .للمزيد راجع :محمد شبوب، المرجع السابق،ص 27

[6] ولد في مدينة flert الفرنسية في 31-12-1905، في 1923 إنضم إلى الحزب الإشتراكي، شارك في الحرب العالمية الثانية، شغل رئيس بلدية أراس 1945م، عين رئيسا للحكومة من فيفري 1956 إلى ماي 1957م. أنظر: نفسه، ص 27

الأخير عن تشكراته للجيش الذي حافظ على الأمن في الجزائر. وفي 23 ماي من نفس السنة إستولى العسكريون على السلطة في جزيرة كورسيكا وهددوا الحكومة بالإستيلاء على السلطة في فرنسا.[1]

وأمام ذلك تأكد أعضاء الحكومة الفرنسية، أن تسليم السلطة إلى الجنرال ديغول هو الخروج الوحيد من الأزمة. ولهذا دخلوا في مفاوضات سرية معه بقصد إقناعه أن يستنكر فكرة العنف واستعمال القوة من طرف المسؤولين في الجيش الذين تمردوا على حكومتهم.[2]

وعلى هذا الأساس وفي إجتماع قصير لمجلس الوزراء يوم 28-05-1958م إعترف بيير بفيلمين بأنه من المستحيل تجنب حرب أهلية، وأن الحل الوحيد هو تسليم السلطة إلى الجنرال ديغول بطريقة قانونية، وهكذا قدم إلى رئيس الجمهورية إستقالة حكومته، وهناك تدخل روني كوتي، وطلب من ديغول أن يتولى رئاسة الحكومة بشرط أن يأتي إلى البرلمان، ويقف أمام النواب ويوافقون على تعيينه رئيسا للحكومة. وفي 01-06-1958م وافق البرلمان الفرنسي بأغلبية 329 صوت ضد على تعيين ديغول رئيسا للحكومة[3].

02- أسباب وأهداف إهتمام ديغول بالصحراء الجزائرية :

تعد الجزائر في ذهنية "ديغول" الجوهرة التي يجب المحافظة عليها مهما كان الثمن، فقد تحدث عنها بإعجاب مبينا إمكانياتها وأهميتها بالنسبة للفرنسيين من الناحية المادية والمعنوية[4]. لأن هذا من شأنه الحفاظ على الجزائر للحفاظ على مصالحهم هم أيضا.[5] من هذا المنطلق يمكن أن نوضح أسباب وأهداف ديغول من وراء إهتمامه بالصحراء الجزائرية.

أ-الأسباب والأهداف الإستيراتيجية :

* الصحراء من الناحية الجغرافية هي بمثابة القلب في القارة الإفريقية، فهي نقطة إتصال بمجموعة هامة من الدول الإفريقية، والدولة التي تسيطر على هذه الرقعة تتمكن مستقبلا من التأثير في مجريات الأحداث الداخلية والخارجية. وقد شعر الفرنسيون بأهمية الصحراء بعد نهاية الحرب العالمية الثانية،

---

[1] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 429

[2] نفسه، ص 27

[3] نفسه،ص 430

[4] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، **فصل الصحراء في السياسة الإستعمارية الفرنسية**، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، دار القصبة للنشر،2009.ص 128

[5] محمد الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب**،ط2،دار الكلمة ،بيروت، 1983، ص 68

فبدؤوا يضعون الخطط ويدرسون المشاريع لإقامة قواعد عسكرية تحمي ظهر أوروبا الغربية ومن خلالها فرنسا، فهي أفضل مكان تهرب إليه أوروبا مصانعها الحربية وإمكانياتها العسكرية وتتخذه قاعدة هجوم على المعسكر الإشتراكي[1].

* المساحات الشاسعة التي تمكن من إجراء كل أنواع التجارب العلمية بما فيها المحرمة دوليا:

- كالتجارب النووية بالهقار ورقان[2].
- التجارب الكيميائية والبكتيريولوجية بواد النموس(شمال بشار)
- التجارب الفضائية المتمثلة في إطلاق صواريخ فضائية Fusée Diamant بحمقير جنوب بشار.
- البحوث العلمية في ميدان علم الفلك في الهوقار التي تقع على إرتفاع 3380م، ولها رؤية واضحة ليلا نهارا.

* إستغلال ثروات باطن الأرض الصحراوية بما فيها من بترول وغز طبيعي والمعادن الثمينة بالهقار دون ولاية بشار حاليا وممن أجل إستغلال مناجم الفحم، ثم فتح خطوط السكك الحديدية وإستعمال الفحم في توليد الكهرباء.

* دراسة معطيات الملاحة الجوية التي تهم ميادين الفلاحة والتغذية وذلك لمعرفة المستقبل الإقتصادي الإفريقي بصفة عامة.

ب-الأسباب والأهداف الإقتصادية:

* الخيرات والثروات الهائلة التي يزخر بها باطن الصحراء[3]، فأساس النهضة الإقتصادية هو التصنيع الذي يعتمد على المواد الأولية والطاقة الضرورية لكل صناعة وهذا ما تحتويه الصحراء بكميات هائلة تجعلها هدفا لمطامع فرنسا من أهمها :

- منجم الحديد الذي اكتشف بتندوف وفي نواحي غار جبيلات وفورغور وغيرهما.
- المنغنيز الذي يوجد بمنجم القطارة ويقدر بحوالي مليون و400ألف طن[4].

---

[1] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م ،المرجع سابق، ص 260

[2] لزرق بديدة،**دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية وأبعادها الإفريقية**،الطبعة الأولى، وزارة الثقافة،الجزائر، 2009،ص 196

[3] عماربوحوش، المرجع السابق،ص 432

[4] " **الصحراء الجزائرية مصدر رخاء وتقدم للجزائر والمغرب**"،جريدة المجاهد، العدد 91، الصادر في 13-03-1961، ص7

- النحاس يوجد بمنجم أقجوجت بحوالي 500 ألف طن ومعادن أخرى كالزنك، الرصاص والقصدير والذهب واليورانيوم بمنطقة أدراروتيميمون، الغاز الطبيعي[1] بمنطقة حاسي الرمل على امتداد 2200كلم والبترول[2] بحاسي مسعود، وهذا على سبيل الحصر لا الجرد.فقضية الصحراء في نظر ديغول هي قضية المصلحة العليا لفرنسا، فقد ذكر :"...إن حفاظ فرنسا على أبارها البترولية في الصحراء، وعلى مراكز تجاربها، واجب وطني"[3].

* قيام الحكومة الفرنسية بحملات توعوية وتحسيسية في المدارس والجامعات والكليات العسكرية لإقناع الشعب الفرنسي بما اكتشف في الصحراء من معادن نفيسة، وأن تخليها عن الصحراء سيصيب فرنسا بخسارة فادحة في ميدان المحروقات الطاقوية الضرورية لمصانعها ومنازلها والتي تضطر إلى إستيرادها بالعملة الصعبة ...وأنه لا تقدم ولا إزدهار لفرنسا إلا بالصحراء أي بثروات الصحراء[4]

* وأمام هذه الإكتشافات للثروات الطبيعية بالصحراء الجزائرية، شرعت السلطات الإستعمارية في إستثمار رؤوس الأموال في المنطقة.إذ كانت بنسبة 9.3% رأس مال تساهم به الدولة و28.8% رؤوس أموال فرنسية خاصة و8.6% رؤوس أموال أجنبية و53.3% قروض.

من هنا نرى أن تركيز ديغول على ضرورة التحكم الإقتصادي الفرنسي في الصحراء الجزائرية، يمثل قوة إقتصادية هائلة لجزائر المستقبل، ولأن فرنسا محتاجة أكثر لتلك الثروات لإنعاش إقتصادها وصناعتها الحربية، فقد جاء هذا على لسان الجنرال ديغول في مذكراته:" إننا مستعدون للحفاظ على الصحراء والبقاء فيها مهما كان الثمن"[5].

ج-الأسباب والأهداف السياسية:

* تمسك الجنرال ديغول بمبدأ الحفاظ على الصحراء الجزائرية لصالح فرنسا سياسيا من خلال منح فرنسا الإستقلال لجيران الجزائر(تونس والمغرب 1956 على وجه الخصوص).

---

[1] أكتشف في 1954م لأول مرة في جبل برغة قرب عين صالح، راجع : "**الصحراء الجزائرية من ماكس لوجان إلى ديغول**"، جريدة المجاهد،العدد10، الصادرة في 23-04-1961م، ص 8

[2] أكتشف في مارس 1956م بمنطقة إيجلي، وبعد أسابيع قليلة أكتشف في تيفشورين، وفي 12-06-1956م،توجت الأبحاث في حاسي مسعود على بعد 100كلم شرقي ورقلة، حيث اكتشف على عمق 3300م حقل بترول هام تبلغ كثافته 140م. انظر: "**الصحراء الجزائرية من ماكس لوجان إلى ديغول**"، المرجع السابق،ص 8

[3] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المرجع سابق،ص259

[4] Jean Lacouture.**Algérie la guerre est fini**.1ere edition complexe Bruxelles.1985.p84

[5] الجنرال ديغول، **المذكرات الأمل 1958-1962م**، ترجمة سموحي فوق العادة، منشورات عويدات بيروت،1971، ص 122

* إصرار جبهة التحرير الوطني على الإستقلال الكامل أي عدم فصل الصحراء عن الجنوب[1].

* محاولة ديغول إبقاء الجزائر فرنسية لتنفيذ مخططه الرامي إلى إنشاء جمهورية الصحراء المستقلة.[2]

* ضمان مساندة الغرب الإمبريالي، وفي نفس الوقت حذره من الإنسياق نحو الإتحاد الفرنسي الذي كان منافسا قويا في الميدان السياسي، والذي يخشى أن يجتاح الجزائر والصحراء في حالة إنتصار جبهة التحرير الوطني.[3]

* وفي إطار هذا الشق من الإستيراتيجية الديغولية وقع الإتصال بعدد من رؤساء الدول الأوروبية، وسيرت الوفود إلى مختلف أنحاء العالم من أجل إقناع الرأي العالمي بالرسالة الحضارية التي تقوم بها فرنسا في الجزائر، وبمسألة شغور الصحراء التي إكتشفتها فرنسا وهي"بحر شاسع تقع على سواحله مجموعة من البلدان من جملتها الجزائر" على حد تعبير الجنرال ديغول الذي كان قد صرح بذلك للصحافيين أثناء الندوة التي عقدها يوم 23-10-1958م[4]

وبالتالي ومن خلال الأفكار السالفة الذكر يمكن إستنتاج ما يلي :

- أن فرنسا كانت بأمس الحاجة إلى دعم خارجي في مسألة الصحراء أو بعبارة أوضح كانت تريد الوصول إلى قناعة دولية مفادها إستحالة إستقلال الجزائر وخاصة جزئها الجنوبي في أي حال من الأحوال، بكل السبل لأن هذا الأمر يعني ضياع الكثير من المصالح ليس لفرنسا وحدها بل للجميع.

- لم تكن فرنسا تربط مصالح الدول بالصحراء الجزائرية بنفس الإستيراتيجية السياسية وهذا من المنظور السياسي الطبيعي جدا، لأن التي تتكل هي لغة المصالح الفرنسية.

- أما الدول الإفرقية منها وخاصة المغاربية كانت الإستيراتيجية الفرنسية مبنية على توريط هذه الدول ، ومن خلال اللعب على دغدغة بعض الاطماع فمنطقيا ما الذي يجعل فرنسا تتنازل لهذه الدول التي كانت هي أصلا تحتلها وتتحكم فيها.

- إن سلطات الإحتلال الفرنسي إستعملت الأوراق الإقتصادية لأهميتها في الساحة السياسية والإقليمية والدولية وتأثيرها فيها، ما يعني أن لها اهدافا إقتصادية أيضا ما دامت تستعملها كأوراق إغراء وضغط.[5]

---

[1] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المرجع السابق، ص 197

[2] Alain Peyrefitte.**Faut il partager lAlgerie**.édition Plon.paris.1961.pp201-205

[3] محمد الميلي، المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، المرجع السابق، ص 163

[4] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المرجع السابق ، ص 199

[5] كديدة محمد مبارك، المرجع السابق، ص 53

د-الأسباب والأهداف العسكرية:

* سيطرة الفرنسيين على شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة من طرف عسكريين، وقد ذكر هذا مصطفى الأشرف ناقلا لنا وجه نظر أحد المفكرين الفرنسيين"... لا بد في الجزائر أن يفرض المسؤولون الشبان أنفسهم بحكم الأمر الواقع وهؤلاء الشبان أنفسهم لن يكونوا في الغالب إلا من العسكريين..." وهذا الأمر إستمر إلى غاية آخر لحظة في ما أطلقوا عليه هم حرب الجزائر.[1]

* دخول فرنسا في سباق مع الزمن لإكتساب التكنولوجيا النووية وخاصة السلاح النووي فبدأت ببلورة فكرة أن تكون الصحراء الجزائرية إحدى ميادين تجاربها النووية، وسعت جاهدة للسير وبخطى ثابتة نحو بلوغ هدفها العسكري المنشود، حيث فجرت أول قنبلة نووية في فرنسية بالصحراء الجزائرية في 13-02-1960

* حرص فرنسا على ضبط الوضعية الأمنية في كل الجهات المتاخمة للصحراء ، وهذا لرصد التحركات الجارية على الخط الفاصل بين تل الجزائر وصحرائها والمتمثل في جبال الأطلس الصحراوي الممتد من مرتفعات جبال عمور غربا إلى جبال الأوراس شرقا مرورا بمناطق أولاد نايل،هذه السلسلة الجبلية التي يتخذها الثوار قاعدة من قواعد العمليات الحربية وملاجئ للإختباء.[2]

* حماية المنشآت البترولية وتأمين وصول النفط إلى السواحل الجزائرية، حيث كثفت السلطات الفرنسية نشاطها على ثلاث مناطق كانت أكثر عرضة لهجومات الثوار هي :

- منطقة كولومب بشار والاغواط وتقرت.، وقد كان الدفاع الفرنسي مرتكزا على التدخل السريع والعنيف في نفس الوقت. كما حملت الشركات البترولية مسؤولية مراقبة العمال ورصد تحركات رواد المراكز الصناعية وإنجاز شبكة للطوارئ.[3]

03- وسائل ديغول لفصل الصحراء الجزائرية عن الشمال :

إعتمد الجنرال ديغول على مجموعة من الوسائل لتحقيق مطامحه في الصحراء الجزائرية، وقد جعل مشروعه فصل الصحراء من اولى اولوياته الكبرى بالمنطقة ولتحقيق الأغراض التي سبق التطرق إليها. ومن هذه الوسائل نجد :

---

[1] مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 185

[2] نفسه ، ص 309

[3] الحاج موسى بن عمر ، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1945-1962م**، مذكرة نهاية السنة ثانية ماجستير، معهد التاريخ،1992-1993، ص ص 8-9

أ- في الميدان السياسي :

1- بدأت السلطات الإستعمارية تنسج الخطوط الأولى لفصل الصحراء منذ إكتشاف البترول والغاز الطبيعي عام 1956م، فسارعت إلى ضرب الحصار وتطويق المنطقة، وذلك بإصدار قوانين تفصل الجنوب إداريا عن بقية جهات الوطن وهي :

أ)- مرسوم 24-12-1902م إلى1957م كانت الصحراء الجزائرية مقسمة إلى أربع مناطق هي غرداية -تقرت-الواحات وعين الصفراء، وتغير هذا النظام من 1957م إلى 1962م حيث أصبحت الصحراء الجزائرية تنقسم إلى عمالتين بموجب مرسوم 903/57 بتاريخ 07-08-1957م هما الواحات ومركزها الأغواط، والساورة ومركزها بشار. وقد كانت المرحلة الأولى تابعة للحاكم العام بالجزائر، يحكمها باسم فرنسا والثانية أصبحت تحت إشراف وزارة الصحراء التابعة لباريس. يعين على رأس كل عمالة حاكم عسكري برتبة "لواء" وفي كل عمالة سبع دوائر. يرأس كل واحدة ضابط وموظف مدني[1]

ب)- في 10 -01-1957ما صدر البرلمان الفرنسي قانون فصل الصحراء والقاضي بإنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية (O.C.R.S)، وسوف تعرف قضية فصل الصحراء منذ سنة 1958م التي تصادف عودة دوغول إلى الحكم على رأس الجمهورية الخامسة، تطورات عميقة بعد تعيين السيد" لويس جوكس" Louis Joxe كاتب الدولة بمكتب رئيس الوزراء "ميشال دوبري" Debré Michel وتكليفه رسميا بوضع آليات فصل الصحراء الجزائرية ومخطط الإلحاق.[2]

ج)- قرار 07-12-1960م الذي يحدد ظروف تطبيق النصوص التشريعية والتنظيمية التي تهدف إلى وضع عمالتي الساورة والواحات في وضعية تتبع للجمهورية الفرنسية مباشرة والهدف الحقيقي هو الإحتياط للمستقبل، فهذا عبارة عن بداية التمهيد للفصل النهائي للصحراء في حال إضطرت فرنسا للإعتراف بالإستقلال، فغنها ستعترف بذلك للجزء الشمالي من الجزائر فقط.[3]

2- مجيئ فرنسا بمشروع مواز لمشروع فصل الصحراء وهو"الجمهورية الصحراوية المستقلة" وادركت لأول وهلة أن المشروع يقتضي إستمالة كبار أعيان الصحراء ذات الشأن والسمعة فكان الإتصال بـ"حمزة

---

[1] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المرجع السابق ، ص 143

[2] عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 148

[3] "**الخفايا العسكرية لتثبث الفرنسيين بالصحراء**"، جريدة المجاهد،الجزء الرابع، 14-08-1961،ص 131

بوبكر"[1] للظفر بمباركة وتأييد الشيوخ وكبار الأعيان، وكلف بالإتصال بهم وعقد مع عدد منهم إجتماعا بالأغواط في مرحلة أولى، ثم بالجزائر العاصمة، لكن محاولاته باءت بالفشل. كما عارض الشيخ بيوض[2] فكرة فصل الصحراء.

3- استحداث وزارة الصحراء يترأسها "لويس جوكس"[3] ، ومن إسمها يتضح أنها تعنى بشؤون الصحراء والتطورات المتعلقة بها التي تمثل جزءا من طموحاتها الإفريقية.[4]

4- عملت الإدارة الإستعمارية على إيجاد كيانات عرقية منفصلة عن الجزائر بإقحام الطوارق في مؤامرة ملغمة أطلقت عليها فرنسا :" الجمهورية الإسلامية الصحراوية"[5].وحاولت إقناع الطوارق بإمكانية إنشاء كيان سياسي خاص بهم يكون من الناحية الجغرافية إطار تجمع طوارق الجزائر ومالي وتشاد وليبيا والنيجر. وكان المكلف الرسمي بهذه المهمة"ميشال دوبري". لكن هذا المشروع لم يكتب له النجاح.[6]

5- قامت بإغراء أعيان ميزاب وبالتحديد في 1959م أرسل الجنرال دوغول "أوليفي غيشار"[7] إلى المنطقة المنطقة وعرض عليهم فكرة إنشاء مملكة ميزابية[1] ولم يكتب لها النجاح بعد حملة من الإتصالات التي قام

---

[1] من مواليد 15-06-1912، ببير زينة بالبيض، تحصل على البكالوريا من ثانوية وهران ودخل كلية الآداب بجامعة الجزائر وتحصل على شهادة الكفاءة المهنية لتعليم الثانوي، عين كاتبا ورئيسا لزاوية سيدي الشيخ في 1949م، كان أستاذا مكلفا بالدروس وأستاذ جامعي، عين بتاريخ 18-05-1957م مديرا لمسجد باريس إلى غاية 1982م. للمزيد راجع: عاشور شرفي، **قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962م**، دار القصبة الجزائر،2007، ص ص 82 83

[2] ولد بتاريخ 21-04-1899 بمدينة القرارة بوادي ميزاب ببسكرة، حفظ القرن الكريم في صغره، أصبح عضوا في حلقة العزابة ببكرة 1922م، ثم رئيسا لمجلس العزابة سنة 1944م. وضع تحت الإقامة الجبرية عند إندلاع الحرب العالمي التانية بسبب نشاطه المعارض لقانون التجنيد، إنتخب سنة 1951م ممثلا لوادي ميزاب في المجلس الجزائري، عين في اللجنة التنفيذية المؤقتة كمكلف بالشؤون الثقافية، توفي 1981م. أنظر: عبد الحميد نجاح، **منطقة ورقلة وتوقرت من مقاومة الإحتلال إلى الإستقلال**، الأمال للطباعة، الجزائر،2003م ص 57

[3] ولد في 1901 سياسي فرنسي، عمل في الحقل الدبلوماسي في ظل الجمهورية الرابعة، وتولى منصب مدير عام بالخارجية مابين 1946-1952م، ثم سافر بموسكو وبون ما بين 1952م حتى 1956م، وامينا عاما لوزارة الخارجية 1956-1959م، وفي 1960 عين وزيرا للتربية، ثم وزيرا مكلفا بالشؤون الجزائرية 1960-1961- وبعدها وزيرا للصحراء1961-1962، ثم الشؤون الجزائرية 1962م. ترأس الوفد الفرنسي خلال مفاوضات إيفيان. أنظر: الغالي غربي، **فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1958م،دراسة في السياسة والممارسات**، غرناطة للنشر والتوزيع،الجزائر، 2009م، ص 261

[4] يوسف الحاج السعيد بن بكير، **تاريخ بني مزاب**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 215

[5] عمار ملاح، **محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954م**، دار الهدى الجزائر، 2004م، ص 215

[6] " **الخفايا العسكرية...**"، جريدة المجاهد، الجزء الرابع،14-08-1961م،، ص 130

[7] مستشار مكلف بملف الصحراء، أنظر: نجاح، المرجع السابق، ص ص219-221

قام بها "الشيخ بيوض" مع عدة شخصيات صحراوية، فاتصل بالقايد العيد بورقلة وأحمد التيجاني زعيم الحركة التيجانية.

6- توظيف فرنسا بعض الحركات المناوئة للثورة التحريرية التي يتزعمها "بلونيس"بعد أن قدمت له العون العسكري والدعم لمضايقة جيش التحرير عند الحدود الفاصلة بين الشمال والجنوب، كي يفرض على الثورة منطق منعها من التحكم في الصحراء أو حتى التنقل فيها، سعيا لتحقيق مشروع صحراء مستقلة عن الجزائر في إطار حكم ذاتي.

ب- في الميدان الإقتصادي :

1- ظهور المرسوم التشريعي رقم 85-1111 [2] الصادر في 22-11-1958م المتعلق بالبترول أو ما سمته فرنسا ب"القانون البترولي". هذا التصريح سمح للشركات الاجنبية(الأمريكية-الهولندية-البريطانية والإيطالية) بالإستثمار في الجزائر،ومنها "بريتيش بتروليوم" والشركة الامريكية Standart oil[3] وغيرها.من بنود القانون نجد :

* منح إمتياز لمدة50 سنة تتحصل خلالها الشركات البترولية على تخفيض هام في الضرائب.

* في إستطاعة هذه الشركات نقل البترول إلى المكان الذي تريده بواسطة الأنابيب[4].

* إعطاء الشركات المشتغلة نصف الأرباح أي أكثر بكثير من نسبة الأرباح التي تقام على أساس إتفاقيات البترول.[5]

* ومن أهم المشاريع الإقتصادية التي جاءت بها المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية نذكر:

- تطوير الري وإستصلاح الزراعة، حيث عملت شركات التنمية الصحراوية S.A.S على إعطاء الأولوية لبعض الواحات كواحة القليعة (المنيعة حاليا) واستصلحت 30000 هكتار، وإنشاء واحة زلفانة بعد تفجير المياه الجوفية.

- استغلال المياه الجوفية مع تكييف التقنيات الحديثة مع الطبيعة الصحراوية.

---

[1] محمد الأمين بلغيث، **تاريخ الجزائر المعاصر**،ط1، دار ابن كثير ،لبنان، دار البلاغ، الجزائر، 2001،ص 204

[2] سليمان عاطف، **معركة البترول في الجزائر**،ط1، دار الطليعة، بيروت، 1974، ص 15

[3] " **معركة البترول جزء من معركة الإستقلال**"، جريدة المجاهد، الجزء الأول، 28-08-1958م، ص 396

[4] محمد العيد مطمر، **حامي الصحراء أحمد بن عبد الرزاق حمودة والعقيد سي الحواس**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 1990م، ص 122

[5] الحاج موسى بن عمر، المرجع السابق، صص 10 11

– قدوم الشركات الأجنبية لتنشيط الحركة التجارية مع تطوير قطاع الخدمات إذ بلغ عدد المحلات التجارية في ميزاب 485 منها 47 محلا تديره الجالية الاوروبية.

– تزايد الإهتمام بالصحراء وتأطيرها بأجهزة ومؤسسات إدارية وإقتصادية نتج عنها توفر فرص العمل للسكان بعد إكتشاف المناجم المعدنية.[1]

ج)– في الميدان العسكري :

تبنت السلطات الفرنسية إستيراتيجية عسكرية لفصل الصحراء ولتعزيز موقعها الأمني وتكثيف قدراتها العسكرية بالمنطقة جندت قوة بشرية ومادية هائلة :

1– إنشاء وتدعيم القوات العسكرية التي بلغت حوالي ألف جندي.

2– إنشاء مراكز نووية وصاروخية لتثبيت نفوذها مستغلة إتساع الصحراء للتجارب الذرية. وتعتبر هذه القواعد إمتداد لقواعد الحلف الأطلسي كمنطقة "كولومب بشار" وفعلا في سنة 1957م إتخذت الحكومة الفرنسية قرارا يقضي باختيار منطقة رقان لإجراء تجاربها النووية بصحراء تنزروفت بتاريخ 13–02–1960 وتلاه إنفجارين في 01–04 و27–12 من نفس السنة.

3– إنشاء المناطق المحرمة بالجنوب بأزيد من 6000 كلم مربع (شبكة متليلي والمنيعة).

4– إشتداد القمع بالمنطقة كالقيام بعملية التفتيش والإعتقالات على نطاق واسع وإعلان حالة الطوارئ.

5– محاصرة الثورة بجميع الوسائل، كإنتشار الدوريات والقواعد العسكرية وتسميم الآبار ومنابع المياه، استعمال الطائرات الإستكشافية[2]، منع الإتصال بين المواطنين وجيش التحرير الوطني كتقييد المواطنين برخص أثناء تنقلاتهم.[3]

6– إنشاء جيش بلونيس(إحدى الحركات المناوئة للثورة).

7 –إقامة الحواجز على طول الحدود الجزائرية مع تونس والمغرب، مغطاة بعوائق من الألغام والأسلاك المكهربة ومراكز لتطويق الثورة وقطع الإمدادات عنها.[4]

---

[1] " **مؤامرة الإستعمار على صحرائنا**" جريدة المجاهد، العدد 22،113–01–1962، ص3

[2] الطائرات التي تدعمت بها من الولايات المتحدة الأمريكية والمقدرة بـ 145 طائرة سنة 1958م. أنظر: محمد مبارك، المرجع السابق، ص 41

[3] نفسه ، ص 41

[4] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المرجع السابق ، ص ص 53–55

د)- في الميدان الإعلامي :

1- مما يؤكد تعلق فرنسا بالصحراء الجزائرية هي تلك التصريحات للجان الفرنسية، والمسؤولون في الدولة الذين رددوا باستمرار :الصحراء هي فرنسا أو الصحراء هي أوروبا"[1]

2- أثناء زيارة الجنرال دوغول لتوقرت عام 1958م صرح ما يلي:" يجب ان تكون الصحراء هي الأرض العظيمة للمستقبل بين العالمين، عالم البحر المتوسط وعالم إفريقيا السوداء، عالم الأطلنطي وعالم النيل والبحر الأحمر.....ليفهم الذين إنضموا أخيرا إلى الحرب الأهلية أن صفحة القتال قد طويت وتبدأ الآن صفحة التقدم والحضارة والإخاء الذي وجدناه من جديد، إنها صفحة الرجال، لتحيا صحراؤنا....لتحيا فرنسا".[2]

3- وفي 16-12-1959ميعلن ديغول عن عرض تحقيق المصيرويعد بإجراء انتخابات قبل أربع سنوات من وقف إطلاق النار وعلى الناخبين أثناء ذلك إختيار الحكم الذاتي أو الإندماج أو الإستقلال التام، مع إشارته إلى أن فرنسا ستحتفظ بالإشراف على الصحراء إذا الجزائريون الإنفصال.

4- كما صرح الجنرال ديغول قائلا:" يجب أن نقول أن إستغلال البترول وسحبه باق من إختصاص فرنسا، وان للغرب مصالح فيه سنحافظ عليه ولن ندعه للغير ولو أدى إلى متاعب كثيرة".[3]

04- مصير الصحراء في المفاوضات الجزائرية الفرنسية:

تعتبر المحادثات الجدية أو المفاوضات بين طرفي الصراع معركة قائمة بحد ذاتها لها أسلحتها وأساليبها[4]، فقضية الصحراء قضية هامة في مصير المفاوضات الجزائرية الفرنسية سواء الرسمية أو غير الرسمية، منها :

1- محادثات مولان29-06-1960م[5] رفضت السلطات الفرنسية الخوض في مسألة الصحراء،واعتبرتها فرنسا جزء من التراب الفرنسي، وان الصحراء غير معنية بالإستفتاء الذي تقرر 14 جوان1960 [1]، بل ورفض الطرف الفرنسي التفاوض من أجل وقف إطلاق النار في كامل التراب الوطني.

---

[1] عبد السلام بوشارب، المرجع السابق ، ص ص 141-142

[2] محمد لحسن أزغيدي ، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية1956-1962م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989م،ص 277

[3] نفسه، ص40

[4] بن يوسف بن خدة، **شهادات ومواقف**، دار النعمان، الجزائر، 2004، ص 131

[5] شارك فيها بومنجل وبن يحي مع مندوبا دوغول ، دامت أربعة أيام في منطقة معزولة عن الصحافة والعالم الخارجي. أنظر: سعد دحلب، **المهمة المنجزة من أجل إستقلال الجزائر**، منشورات دحلب، الجزائر 2007، ص 117

2- في لقاء لوسارن[2] السري20-02-1961م أكدت السلطات الفرنسية أن قضية الصحراء لا نقاش فيها وإدعت بأن الصحراء بحر داخلي له سواحله والجزائر واحدة من تلك الدول. هدفت فرنسا من هذا الطرح الجديد إلى إغراء الدول المجاورة بخيرات الصحراء مما يوضح محاولة فرنسا إرغام الجزائريين على التخلي عنها وذلك بكسب أطراف أخرى إلى جانبها.لقد إعتبر الفرنسيون أن الصحراء ملك لهم ، فهم يذكرون انهم وجدوها قاحلة وغير مسكونة أساسا، فرد بولحروف قائلا:"إذن، كذبوا علينا في المدرسة، كانت الجزائر باللون الرمادي على الخرائط والصحراء والصحراء جزء منه."[3]

3- في نيوشاتيل 05-03-1961 رفض الفرنسيون الخوض في قضية الصحراء، وجاؤوا بمناورة أخرى، وذلك بأن أخلطت بينها وبين الإستثمارات الممكن التعاون فيها في الصحراء، بل وزاد من مناوراته بأن إقترح مسألة الصحراء لا يمكن مناقشتها إلا بعد إجراء إستفتاء تقرير المصير وخير دليل على هذا الكلام ما قاله بومبيدو:"... التنازل الوحيد الذي يمكن لفرنسا أن تقوم به هو أن تجري نقاشها بعد تقرير المصير..."[4]

4- وحتى إيفيان الأولى[5](20ماي إلى 13-06-1961م) ولوغران (28-07-1961) بقي الطرف الفرنسي متمسكا بطروحاته حول الصحراء، وطرحت فكرة التعاون لإستثمار الثروات التي تعتبر الجزائر واحدا من الأقطار التي تمر بها هذه الثروات في طريقها للتصدير، بينما السيادة عليها وعلى الإقليم المستخرجة منه فرنسية. وكأن الصراع بين الطرفين تحول إلى صراع حول الثروات الباطنية للصحراء أكثر من الصراع على السيادة على هذا الإقليم أو الحق في السيادة عليه.[6]

---

[1] نفسه، ص106

[2] شارك فيها كل من جورج بومبيدو وبرونو دولوس ممثل الطرف الفرنسي وممثل الطرف الجزائري كل من الطيب بولحروف وأحمد بومنجل.أنظر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المرجع السابق ، ص 296

[3] نفسه، ص 296

[4] رضا مالك، **الجزائر في إيفيان تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962**،ط1،منشورات ANEP، الجزائر دار الفرابي، بيروت، 2003م ،ص 134

[5] ترأس الوفد الجزائري المتشكل من سعد دحلب، محمد بن يحي،الطيب بولحروف ،رضا مالك، قايد أحمد علي منجلي، كريم بلقاسم، أما الوفد الفرنسي الذي قاده لويس جوكس تشكل من رولان كادي، فيكتوري جان بيرنار تريكو وكلود شاييه وفنسان لابوريه، وبرونو دولوس

[6] محمد لحسن أزغيدي، المرجع السابق،ص232

5- أما في لقاء بال أثيرت نقطة وصفها رضا مالك" العصبية في المفاوضات" التي أجاب "برونو دولوس" عنها قائلا: "على ضوء تصريح الجنرال دوغول في 15 سبتمبر لن يكون هناك ليس الكثير حول موضوع السيادة على الصحراء ما إن يتم الإتفاق على التعاون الفرنسي- الجزائري.إن موقفنا واضح إذن، وكل شيئ يصبح ممكنا عندما نتفق على سياسة عامة للتعاون"[1]

ومما نستنتجه هنا هو بروز تراجع فرنسا على السيادة في الصحراء مع التمسك بإستغلال تلك الثروات المستخرجة من باطنها.

6- ولكن المناورات لم تنته هنا، ففي محادثات بال الثانية 09-11-1961م طرح لويس جوكس قضية الإستفتاء من جديد، حيث يقترح إستفتاء منفصل لقبائل التوارق والرقيبات، وطلب الطرف الفرنسي أيضا متابعت تجاربه النووية والفضائية في الصحراء الجزائرية لمدة تتراوح ما بين خمس وعشر سنوات، وهي نفس المدة التي طلبها لإستغلال مطارات ومواقع كولومب بشار ورقان وإينكر.

7- وفي مفاوضات ليروس(18-02-1962) إفتتحت الجلسة بموضوع الصحراء، ولم يظهر الكثير من التغيير في الموضوع ، وتحفظ بن طوبال على المدة التي إعتبرها مبالغا فيها للإحتفاظ بالقواعد العسكرية في الصحراء، وتم في هذا اللقاء مناقشة كل الملفات العالقة والتفاهم حولها حيث :

*- تمت الموافقة على إستخدام القواعد العسكرية في الصحراء مع تخفيض مدة إستغلالها إلى خمس سنوات.

*- منح تسهيلات جوية للهبوط والتموين في مطارات الصحراء مثل ورقلة وبسكرة وبشار[2].

8- وفي مفاوضات إيفيان الثانية (07-03 إلى 18-03-1962) تم التوقيع على الإتفاقيات النهائية والتي تحققت بموجبها الوحدة الترابية للوطن، وجنبت الجزائر التفكيك والتجزأ، وتتمتع بالسيادة في الداخل والخارج.[3]

---

[1] رضا مالك، المصدر السابق، ص 233 -239

[2] رضا مالك، المصدر السابق ،ص ص 285-286

[3] نفسه،ص 308

05- إستيراتيجية جبهة التحرير الوطني لمواجهة سياسة فرنسا في الصحراء :

1- سياسيا :

أ*- السعي والعمل على مقاطعة الشعب للإدارة الفرنسية لإفشال المخططات الفرنسية بتشكيل تنظيمات سرية داخل المدن والقرى تعمل على حل النزاعات والتكفل بمختلف المشاكل التي تظهر على الساحة المحلية.[1]

ب*- نشر اليقظة والتوعية في الأوساط الشعبية ودعوتهم إلى الإستقالة من كافة هياكل الإدارة الإستعمارية والتعبير عن دعمهم للثورة وجبهتها[2].

ج*- دعوة المواطنين إلى مقاطعة الإنتخابات والنشاطات السياسية التي ترعاها سلطات الإحتلال الفرنسي ومنع النواب من حضور إجتماعات "حمزة بوبكر" المروجة لمشروع الجمهورية الصحراوية الفرنسية.[3]

د*- تحذير الشركات البترولية الأجنبية والذي رافقه تحرك من الحكومة المؤقتة[4] إثر تصريحها بعدم جدوى وفعاليات الصفقات المبرمة مع الحكومة الفرنسية سنة 1959م التي لا تمتلك شرعية عقدها.[5]

هـ*- إتخاذ 05 جويلية 1961م يوما وطنيا ضد سياسة التقسيم، حيث خرج الشعب في مظاهرات ضد التقسيم في كل من بسكرة والجلفة والأغواط وغرداية 1960 وتوقرت 1961 وورقلة 1962[6].

و*- وعلى الصعيد الدبلوماسي، دعت جبهة التحرير الجامعة العربية بإجراءات عملية منها قيام الدول العربية بالمقاطعة السياسية والإقتصادية للحكومة الفرنسية، والسعي على نفس المنحى لدى الدول الإفريقية والآسيوية ودعوتها لدعم الثورة التحريرية بالسلاح والمال[7]. وما الإعترافات التي تحصلت عليها الحكومة

---

[1] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المرجع السابق ،ص 63 -64

[2] نفسه، ص 92-93

[3] نفسه، ص 92

[4] الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هيئة تنفيذية لجبهة التحرير الوطني، تأسست في 1958م وفرحات عباس أول رئيس لها، وقد خلفتها لجنة التنسيق والتنفيذ وتشكلت بالقاهرة ثم إنتقلت إلى تونس،إستبدل هذا الجهاز بمكتب سياسي في أوت 1962، للمزيد أنظر :عاشور شرفي، المرجع السابق، ص ص 152-153

[5] نجاح، المرجع السابق،ص 229

[6] الهادي درواز، المصدر سابق، ص ص 136 137

[7] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح مذكرات – مع ركب الثورة**،ج3،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1988، ص ص505 -506

المؤقتة للجمهورية الجزائرية إلا دليل على إنتصارها[1]. ففي المجال الإعلامي قامت صحافة الثورة بكشف المؤامرة الفرنسية على الوحدة الترابية في صحافتها العربية الفرنسية ،وصدر كتاب محمد بجاوي"الثورة الجزائرية والقانون" بمدينة بروكسل باللغة الفرنسية يفند فيه مزاعم الفرنسيين حول الصحراء.[2]

ي*- إستقطاب وجهاء القبائل وعلمائها وتجنيدهم لخدمة الثورة وتوعيتهم من مخاطر السياسة الفرنسية وتنويرهم بأهدافها الحقيقية.

2- عسكريا :

*- أعطيت التعليمات لجيش التحرير الوطني لتحويل وحداته الكبرى والثقيلة إلى فرق صغيرة وخفيفة حتى تتمكن من مواجهة عمليات التمشيط.[3]

*- التمسك بحرب العصابات كأسلوب حسن لمواجهة ظروف المعركة كما خطط لها ضباط الزركان الفرنسيون.[4]

*- توسيع جبهة الثورة التحريرية جنوبا إلى غاية أدرار وتيميمون وفي الجزء الشرقي إلى غاية تامنغاست، ولما شددت قوات الإحتلال الفرنسي على الصحراء وكثفت من تواجدها العسكري، كان رد فعل الثورة أن أقدمت على إجراء آخر وهو إنشاء منطقة اقصى الجنوب سنة 1960م بقيادة عبد العزيز بوتفليقة[5] ونائبيه ونائبيه عبد الله بلهوشات[6] ومحمد الشريف مساعدية إنطلاقا من الحدود المالية.[7]

---

[1] إسماعيل دبش، **السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962**، دار هومه ،الجزائر،2007، ص 254.

[3] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المرجع السابق ، ص 199.

[4] نفسه، ص 200.

[5] ولد بتاريخ 02-03-1937م بوجدة بالمغرب، في 1957 إلتحق بالثورة وتولى عدة مهام منها مراقب عام بالولاية الخامسة وعضو هيئة الأركان، وبعد الإستقلال شغل منصب وزير الشباب والرياضة، ووزير الشؤون الخارجية، أنتخب رئيسا للجمهورية في 1999م. للمزيد أنظر: عبد المجيد رمضان، **ثوار الجزائر**، دار نزهة الالباب، الجزائر، 2004، ص 62

[6] ولد في 1923م في الجيش الفرنسي سنة 1945م، سرح برتبة ضابط سنة 1959م ثم جند في أكتوبر 1956ملكنه فر وحكم عليه غيابيا، وفي 1958م إعتقل في تونس بتهمة الإنقلاب على الحكومة المؤقتة، وصدر عفو في حقه سنة 1960، وأرسل إلى الحدود المالية لنشر الثورة في أقصى الجنوب، توفي سنة 2003م، راجع : شرفي، المرجع السابق، ص62 -63

[7] محمد مبارك، المرجع السابق، ص 47

*- القيام بتجنيد عدد أكبر من الشبان في شتى المجالات مثقفين وأدلاء وميكانيكيين لإستخدامهم في زرع الألغام وتنظيم مكاتب سرية هدفها جمع المعلومات عن العدو والشركات البترولية والجالية الأوروبية و المناوئين للثورة.

*- إستهداف جيش التحرير الوطني منشآت دوغول في الصحراء وخاصة البترولية مثل العملية التي كانت في 21-09-1957م والتي إستهدفت إثنين من ناقلات البترول على الحدود الجزائرية الليبية، وأصبحت الطريق بين غات وجانت تحت مراقبة جيش التحرير الذي قام بعدة عمليات ونصب عدة كمائن.[1]

*- توسيع رقعة المعارك العسكرية للقضاء على الهدوء الذي تحاول سلطات الإحتلال الفرنسي رسمه على المناطق الصحراوية كعين صالح وتامنراست وتيميمون وأدرار أمام الرغبة الفرنسية في السيطرة على كامل الصحراء.[2]

3- إعلاميا :

*- كان نداء أول نوفمبر1954م[3] أول عمل إعلامي ودعائي موجه للداخل والخارج، وكان للجبهة منهج يهدف إلى تحقيق غاية إستعادة السيادة الوطنية وهذا ما جعلها موجهة ومتأثرة بالظروف التي تمر بها الثورة[4]. والهدف الاول للإعلام هو دعم الثورة على الساحتين المحلية والدولية. ويذهب محمد يزيد وزير الاخبار في الحكومة المؤقتة الجزائرية، إلى أن إعلام الثورة وصل إلى التأثير في الرأي العام الفرنسي الذي أصبح يطرح الكثير من التساؤلات خاصة في المسألة الجزائرية، وهذا لأنه يهدف وعن طريق الصحافة المسموعة والمكتوبة إلى تحقيق ما يلي

- نشر الوعي السياسي في معاقل الثورة.[5]
- الرد على إدعاءات وأكاذيب الإحتلال الفرنسي.
- توضيح أوامر جبهة وجيش التحرير.
- التعبئة الروحية للجماهير وبث الحماس فيهم.
- تأكيد قوة جبهة التحرير دعم وثقة الجماهير به.

---

[1] عمار قليل، **ملحمة الجزائر الجديدة**،دار البعث، قسنطينة، دون تاريخ، ص42

[2] محمد مبارك، المرجع السابق، ص 48

[3] **النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954م**، تصدير عبد العزيز بوتفليقة،الجزائر، 2008،ص ص 9-13

[4] أحمد حمدي، **الثورة الجزائرية والإعلام**، ط3، الطباعة الشعبية للجيش،2007م، ص 133

[5] أحمد حمدي، المرجع السابق،ص ص 135 - 137

– نشر أخبار الثورة وفضح السياسة الإستعمارية أمام العالم.

*– دور جريدة المجاهد الدعائي والدعائي المضاد في مختلف القضايا التي كانت تطرحها، ومثال ذلك المقال الوارد في العدد 113 الصادر بتاريخ 01 نفمبر1962م والذي حمل عنوان "مناورات في الصحراء".[1]

خاتـمـــة :

مما خلال ما سبق ذكره، يمكن أن نستنتج مايلي :

* شساعة مساحة الصحراء التي إنطبعت عليها عديد الثروات السطحية والباطنية أسالت لعاب الكثير من الأعداء.

* الجنوب الجزائري لم يكن وليد إهتمام ديغول على وجه الخصوص وإنما كانت سياسة فرنسا تجاه المنطقة منذ الغزو في 1830م، ولكن باكتشاف البترول 1956م ومعه الغاز الطبيعي كثفت فرنسا بعثاتها الاستكشافية لأجل تدعيم الغزو العسكري بالغزو الإقتصادي.

* حاولت فرنسا إغراق الجميع معها في معركة الصحراء الجزائرية وذلك بتعليقهم بها وإغراقهم بامتيازات إقتصادية كما فعلت مع دول حلف الناتو التي كانت تقف وراء فرنسا في مسعاها هذا بل لم تقف عند هذا الحد بل ومحاولة إغراء دول الجوار الإفريقية.

* لقد كان للجنرال دوغول أهدافا عسكرية وإقتصادية واستيراتيجية كبيرة كانت وراء تفكيره في فصل الصحراء عن باقي أجزاء الجزائر.

* أحاطت السلطات الفرنسية الصحراء الجزائرية بظروف إستثنائية إدارية وسياسية وعسكرية وكأنها كانت تهيئ أوضاعها للفصل حتى قبل ظهور المشاريع التي كان هدفها واضحا وهو فصل الصحراء.

* حسمت فرنسا أمرها في الإحتفاظ بالصحراء حتى عندما تعترف باستقلال الجزائر وذلك من خلال طرحها لخيارات تقرير المصير الذي يخير الجزائريين بين فرنسا أو الإستقلال مع استثناء الصحراء من هذا الإستفتاء ما يعني أنها في كلا الخيارين وضعها واحد.

* لم يكن يهم سلطات الإحتلال الفرنسي سوى فصل الصحراء والإحتفاظ بها تابعة لفرنسا، إذ جربت جميع المشاريع وطورتها، وكلما فشل مشروع أتت بغيره فتارة تلعب على الوتر الديني وتارة على الوتر العرقي وأخرى بدعوى الإهتمام بشؤون السكان في الصحراء.

---

[1] محمد مبارك، المرجع السابق، ص 50

* قامت جبهة التحرير الوطني بتعزيز تواجدها بالصحراء من خلال دعم الولايتين الخامسة والسادسة، ثم بإنشاء جبهة أخرى أو فتح جبهة جديدة على الحدود المالية الجزائرية لضرب الهدوء الذي تريد فرضه على مناطقها، وضرب مصالحها التي تحاول إنشاءها فيها.

ببليوغرافيـــــــا البحـث :

1*- المصادر :

1-1- الكتب :

01*- الأشرف مصطفى ، **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

02*- الجنرال ديغول، **المذكرات الأمل 1958-1962م**، ترجمة سموحي فوق العادة، منشورات عويدات بيروت،1971.

03*- المدني أحمد توفيق ، **حياة كفاح مذكرات – مع ركب الثورة**،ج3،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1988.

04*- **النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954م**، تصدير عبد العزيز بوتفليقة،الجزائر، 2008.

05*- بن خدة بن يوسف ، **شهادات ومواقف**، دار النعمان، الجزائر، 2004.

06*- دحلب سعد ، **المهمة المنجزة من أجل إستقلال الجزائر**، منشورات دحلب، الجزائر 2007.

07*- مالك رضا ، **الجزائر في إيفيان تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962**،ط1،منشورات ANEP، الجزائر دار الفرابي، بيروت، 2003م.

1-2- الجرائد :

01*- **الخفايا العسكرية لتشبث الفرنسيين بالصحراء**"، جريدة المجاهد،الجزء الرابع، 14-08-1961

02*- " **الصحراء الجزائرية مصدر رخاء وتقدم للجزائر والمغرب**"،جريدة المجاهد، العدد 91، الصادر في 1961/03/13

03*- **الصحراء الجزائرية من ماكس لوجان إلى ديغول**"، جريدة المجاهد،العدد10، الصادرة في 23-04-1961م.

04*- **مؤامرة الإستعمار على صحرائنا**" جريدة المجاهد، العدد 22،113-01-1962.

05*- **معركة البترول جزء من معركة الإستقلال**"، جريدة المجاهد، الجزء الأول، 28-08-1958م.

2*- المراجع :

2-1- باللغة العربية :

01*- أزغيدي محمد لحسن ، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية1956-1962م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989م.

02*- الحاج السعيد بن بكير يوسف ، **تاريخ بني مزاب**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

03*- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، **فصل الصحراء في السياسة الإستعمارية الفرنسية**، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، دار القصبة للنشر،2009.

04*- الميلي محمد، **المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب**،ط2،دار الكلمة ،بيروت، 1983.

05*- بديدة لزرق ،**دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية وأبعادها الإفريقية**،الطبعة الأولى، وزارة الثقافة،الجزائر، 2009.

06*- بلغيث محمد الأمين ، **تاريخ الجزائر المعاصر**،ط1، دار ابن كثير ،لبنان، دار البلاغ، الجزائر، 2001.

07*- بوحوش عمار ، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1997م.

08 *- حمدي أحمد ، **الثورة الجزائرية والإعلام**، ط3، الطباعة الشعبية للجيش،2007م.

09*- دبش إسماعيل ، **السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962**، دار هومه ،الجزائر،2007.

10*- رمضان عبد المجيد ، **ثوار الجزائر**، دار نزهة الالباب، الجزائر، 2004.

11*- شرفي عاشور ، **قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962م**، دار القصبة الجزائر،2007.

12*- عاطف سليمان ، **معركة البترول في الجزائر**،ط1، دار الطليعة، بيروت، 1974.

13*- غربي الغالي ، **فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1958م**،**دراسة في السياسة والممارسات**، غرناطة للنشر والتوزيع،الجزائر، 2009م.

14*- قليل عمار ، **ملحمة الجزائر الجديدة**،دار البعث، قسنطينة، دون تاريخ.

15*- مطمر محمد العيد ، **حامي الصحراء أحمد بن عبد الرزاق حمودة والعقيد سي الحواس**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 1990م.

16*- ملاح عمار ، **محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954م**، دار الهدى الجزائر، 2004م.

17*- نجاح عبد الحميد ، **منطقة ورقلة وتوقرت من مقاومة الإحتلال إلى الإستقلال**، الأمال للطباعة، الجزائر،2003م.

2-2- باللغة الفرنسية :

01- Jean.**Algérie la guerre est fini**.1ere edition complexe- Lacouture Bruxelles.1985

02 - **Le grand larousse encyclopédique**-éd.larousse.montronge France-Volume5

03- Peyrefitte Alain.**Faut il partager lAlgerie**.édition Plon.paris.1961 .

04 - stora Benjamin.**Histoire de la guerre d'Alger1954-1962**.éd la couverte .paris 2002

المذكرات :

01*- بن عمر الحاج موسى ، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1945-1962م**، مذكرة ماجستير، معهد التاريخ،1992-1993.

02* شبوب محمد ، **إجتماع العقداء العشر من 11أوت إلى 16 ديسمبر 1959**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص الثورة الجزائرية 1954-1962م،جامعة وهران، 2008-2009.

رحلة حياة.. بدايتها النار (دراسة أثرية)

د / زينب عبد التواب رياض خميس ـ جامعة أسوان ـ مصر.

ملخص:

اعتمد الإنسان في عصور ما قبل التاريخ على التأمل والتجربة للوصول إلى مراده، وكانت النار أحد أهم الأشياء التي اكتشفها الإنسان وعرفها بحكم الصدفة أولاً، وذلك بحدوثها في الطبيعة ضمن الظواهر الطبيعية التي كانت تحدث آنذاك، ومن الصدفة إلى معرفة كيفية الإتيان بالنار كان التحول الذي مهد إلى نشأة الحياة والاستقرار بكل ما تعنيه الكلمة، فبمعرفة النار عرف الإنسان طهي الطعام، وتعرف على طرق الإضاءة التي جعلته غير مضطر للهروب باحثا عن الضوء، وعرف طرق التدفئة، وعرف العديد من الصناعات لاسيما الصناعات الفخارية، بل واستخدم النار في إحداث شقوق في الصخور ليستخدم الحجر في صناعة الأدوات الحجرية، وشيء فشيء بدأ الأمر يتحول من أهمية دنيوية إلى أهمية عقائدية، فبدأ الإنسان البدائي ينظر إلى النار نظرة تقديس، فأصبح لها داخله مكانة كبيرة تقارب العبادة. فغيرت النار بذلك من حياة وفكر إنسان عصور ما قبل التاريخ، وأخذت منحى يتجه به نحو نشأة الدين والبحث عن الإله، الذي كان يهابه مهابته لكل خطر يحيط به، فمن الخوف عرف التدين، ومن النار وضع تخيل لطبيعة الإله ولكن بصورة غامضة يخافها ويقدسها.

كلمات مفتاحية: (النار، الاستقرار، الإضاءة، الأمان، طهو الطعام، صناعة الفخار، التعدين، الفكر الديني)

Abstract:

The prehistoric man depended on meditation and experimentation to reach his goal, fire was one of the most important things discovered by man, it was known by chance at first, because it was a natural phenomenon, Gradually the transition done from instability to stability. By knowing fire, man knew how to cook food, and he knew the ways of lighting which made him not forced to escape from darkness, He knew the means of heating, and he Learned a lot of industries, especially pottery industry, The fire also was used to make cracks in the rocks to use it in the manufacture of stone tools, then fire began to turn from everyday life importance to ideological importance, The primitive man began to look at the fire as a holy thing, It was worshiped, the early man feared the fire and sanctified it.

Keywords: (Fire, stability, lighting, safety, cooking, pottery, mining, religious thought)

مقدمة:

كان استخدام النار من أعظم الاكتشافات التي توصّل إليها الإنسان في عصور ما قبل التاريخ، وتتفق كل الدراسات على أن علاقة البشر بالنار علاقة أزلية وضاربة في عمق التاريخ، حيث لا تخلو حضارة من حضارات عصور ما قبل التاريخ من إشارة أو أثر يؤكد حقيقة تلك العلاقة. ولقد كانت النار بمثابة المحرك الفعلي لمسيرة الحضارة الإنسانية، ذلك أنها مكنته من أمور عده؛ فقد وفرت له الإضاءة ومكّنته من التدفئة والطهي، ووفرت له الأمان باستخدامها في تخويف الحيوانات المتوحّشة وإبعادها عنه، وبعد ذلك أتاحت له معرفة العديد من الصناعات التي كان أهمها صناعة الفخّار. (غلاب، 1997: 244)

وإذا كانت النار قد لعبت دور هام في تغيير حياة الإنسان البدائي وتحولها نحو شيء من الاستقرار، فقد لعبت ايضا دور هام في فكر وعقيدة الإنسان الأول، ولم يحدث ذلك فجأة ولكنه حدث بخطوات وئيدة من التأمل، اذ ذهب خياله يتصور أشياء عديدة ارتبطت في ذهنه بأمور غامضة وبعالم غيبي يخشاه، وارتبطت بالعالم الآخر أو العالم السفلى فيما بعد، وكانت معظم اساطير أصل النار أو غالبيتها تشترك في الاعتقاد بان مصدر النار ومكانها الاول الذي جلبت منه هو العالم السفلي.(Salo, U.,1990)

بداية معرفة الإنسان للنار :

كانت بداية معرفة الإنسان للنار قد تحققت من خلال رؤيته للنار التي أوقدتها أسباب الطبيعية، وكان ذلك يحدث بوسائل مختلفة؛ فأحياناً يثور بركان ويقذف كميّات كبيرة من الحمم (اللافا)، ممّا يؤدي إلى إشعال النار في المنطقة المحيطة به، وقد تحمل الرياح جمراتٍ متقّدة إلى مسافاتٍ بعيدةٍ عن مبعث النار، وفي المناطق الشديدة الحرارة، يسبّب الجفاف ووطأة حرارة الشمس المسلّطة على الحشائش الجافة أحياناً حدوث احتراق ذاتي، وهذا ما لا يزال يحدث اليوم في بعض المناطق. (Craig D., 2002:143-150) وكان البرق أيضاً من العوامل الطبيعية التي أدت إلى معرفة النار فيمكن أن يؤدي البرق إلى إشعال نارٍ في شجرة خلال عاصفةٍ رعديّة، وتنتقل جمراتها بفعل الرياح من مكان إلى آخر ومن كل ذلك كانت خبرات الإنسان الأول في معرفة النار.

(Heinselman, M.L, 1973:329–382) و (Stephens, S,2007:205-216)

وعندما يؤرخ العلماء لمسيرة الإنسان في رحلة تطوره فإنهم عادةً يلاحظون أهمية اكتشاف النار وتأثيرها على هذه المسيرة، ولو تركنا العنان لنتخيل حياة مليئة بالمتناقضات رغم بساطتها، وبالأخطار والخوف والبحث عن الأمان؛ لأدركنا أنه لابد وأن إنسان هذا العصر كان متأملا ومراقبا للطبيعة كي يتمكن من السيطرة عليها. وأغلب الظن أن معرفة الإنسان للنار في البداية كانت عن طريق تعرفه وإدراكه لمصادرها

الطبيعية كالبراكين والصواعق التي تصيب الأشجار من حوله مخلفة حرائق كبيرة، وأغلب الظن أن ذلك قد حدث خلال العصر الحجري القديم الأسفل، اذ كان يحصل على هذه النار من مصادرها السابق ذكرها، ويحاول الحفاظ عليها وذلك قبل اكتشافه لطريقة إيقاد النار بنفسه، والتي يعتقد أنها كانت عن طريق المصادفة. (غلاب، 1981: 109-116)

فلطالما راقب الإنسان البدائي الطبيعة والتي كانت النار أحد أهم مفرداتها، إلى أن استطاع بفرط تجاربه معها من السيطرة عليها بفضل عقله الذي تطور إلى درجة كافية تمكنه من الملاحظة والربط بين المعطيات والنتائج، ولقد لاحظ الإنسان أن كافة الأحياء تخشى النار وتتفادها وفي نفس الوقت لاحظ أن النار تتبع قانون معين لكي تستمر، وهي حاجتها للاحتراق على شيء فإذا انعدم المصدر انطفأت، والملاحظة الأخيرة وهي قدرة الماء على إطفائها بسهولة إذا كانت محدودة.

(Early Humans, 2010:1-2)

بهذه الأمور الثلاثة الأولية والهامة وجد الإنسان ما يكفي من معطيات تؤدي به إلى إمكانية السيطرة على النار والتحكم بها ،والمؤكد أن استغلال الإنسان للنار متقدم على قدرته على إشعالها ، أي أن الإنسان حاول استغلال النار التي تنشب طبيعياً من حوله بالتواجد على حوافها ثم احتاج إلى نقل النار إلى حيث يريد فتمكن من اخذ قبس منها ثم احتاج إلى إطالة عمرها فأخذ يغذيها بالمواد التي لاحظ انها تشتعل عليها، وبعد أن ألف النار واستأنها لهذه الدرجة، اعتادها فاحتاج إليها أكثر من المرات التي تجود عليه بها الطبيعة وحينها اكتشف أول وسيلة لإشعالها. **(De Lumley,2006:149-154)**

جاءت أقدم الأدلة التي تثبت معرفة النار وتمكن الإنسان من إيقادها بنفسه والسيطرة عليها في أكثر من مكان، ففي جنوب أفريقيا عثر في كهف Wonderwerk وهو من الكهوف جيدة الحفظ، عثر على أدلة أثرية ثبت من خلالها معرفة واستئناس النار منذ نحو مليون عام مضت **(Parker, C.H, 2015:31)** وفي فلسطين ثبت معرفة الإنسان للنار وسيطرته عليها منذ 800.000 على الأقل **(Gilligan, I,2010: 38)** وقد عثر في العديد من المواقع الأشولية بمنطقة نحال أورين وعين الملاحة بفلسطين على أدلة استئناس النار والسيطرة عليها من خلال ما عثر عليه هناك من بقايا أدوات حجرية ومصنوعات حجرية وقطع خشب يبدوا عليهم آثار الاحتراق **(Alperson-Afil, N.,2007:1)**، وهناك أدلة أخرى ترجع منتصف العصر الحجري القديم الأوسط تؤكد على تمكن الإنسان من إيقاد النار بنفسه، فقد عثر على بقايا مواقد وعثر كذلك على قطع من كبريتيد الحديد الطبيعي تصلح للاستخدام كقداحات للنار في كهوف ومأوي

عده بإنجلترا وألمانيا وأمريكا الشمالية، كانت تلك القطع قد اختلطت مع بقايا من الفحم مما يؤكد على الاستخدام الفعلي لها. **(Parker,2015:65-66,71)**

ويمكن القول أن تأريخ سيطرة الإنسان على النار سواء في أفريقيا أو أسيا أو أوروبا إنما يرجع تقريبا لما يزيد عن 1.25 مليون عام ق.م. **(Robert J. & others, 2009:6)** & **(Bird, M.,1995:141)** ولابد من إدراك أن معرفة الإنسان للنار وحاجته لإشعالها في الحضارات المبكرة كان أمرا متفاوتا من حضارة الى أخرى طبقا لظروفها البيئية والجغرافية. **(Marshack, A.,1991:172)** وأقدم استخدام للنار معروف حتى الآن – حسب ما تؤكده الشواهد الأثرية – كان من قبل إنسان بكين منذ حوالى خمسمائة ألف سنة ق.م ، حيث عثر في كهف شيكوتين في شمال الصين على آثار للنار وللمواقد التي طهى عليها هذا الإنسان طعامه **(Weiner, S., Goldberg, J., Bar-Yosef, 1998:251-253)**، ويرى الباحثون في علوم الإنسان أن إنسان بكين عرف النار واستخدمها في التدفئة والطهو وإبعاد الحيوانات المفترسة عن كهفة ، ويضع هؤلاء الباحثون إنسان بكين في فترة العصر الحجري القديم الأسفل، مؤكدين ان إنسان بكين قد عرف النار واستخدمها ، ولكنه لم يعرف كيفية إشعالها، لذلك فقد اعتمد على ما توفره له مصادرها الطبيعية. **(Desmond, C.,1976:106)** وهذا على النقيض من أصحاب الحضارة الأشيلية الذين تمكنوا من صناعة النار كما يظهر بوضوح في كهف الطابون بجبل الكرمل وكهوف وادى "ماكابان" بأفريقيا. **(غلاب، 1997: 244)**

كيفية اشعال النار:

بعدما معرفة الإنسان للنار كان لابد من الوصول إلى طريقة لإشعالها والسيطرة عليها كي ينتفع بها وقت احتياجه لها، وقد عرف الإنسان البدائي طريقتين لإشعال النار هما: –

أولا: الطرق

كانت طريقة الدق أو "الطرق" هي الطريقة الأولى التي ساد استخدامها في العصر الحجري القديم والعصر الحجري المتوسط، اذ تمكن بعض سكان الكهوف من اشعال النار بواسطة طرق قطعة من الصوان مع كتلة من حجر الدم **(غلاب، 1997: 244)**، مما كان ينتج معه شرر ساخن، ومع وجود بعض الأعشاب والأخشاب الجافة فإنها تشتعل كنتيجة طبيعية لهذا الشرر، ولعل هذه الطريقة كانت قد عرفت عن طريق المصادفة. **(De Jesus, S.,1984:278)** ويبين (شكل:1) أداة صوانيه استخدمت لإشعال النار من قبل إنسان النياندرتال، عثر عليها في محجر كامبيتلو بإيطاليا وترجع الى حوالي 200.000 ق. م، ويلاحظ عليها وجود بقايا مواد لاصقة بدراستها تبين أن إنسان النياندرتال كان يستخدم لحاء شجر البتولا

وهو من المواد سريعة الاشتعال، ويبدو انه قد أدرك تلك الخاصية فاستخدمه ليساعده على اشعال النار عند طرق تلك الأدوات الحجرية معا. **(Roebroeks, W.,2011:5210, fig.1)**

وكان من أهمية أدوات اشعال النار أو "المطارق الحجرية" أن عثر عليها موضوعه قصدا كنوع من المتاع الشخصي بدفنه آدمية ترجع للعصر الحجري الحديث، تم اكتشافها بموقع Schipluiden, بهولندا، جاء المتوفى راقدا في وضع القرفصاء (شكل: 2) وكان يصحبه ثلاثة من الأدوات التي كانت تستخدم لإشعال النار، من بينهم اداة معدنية كربونية، اذ كان استخدام حجر الصوان والمعدن من أفضل الطرق البدائية التي عرفت لإنتاج شرار مباشر. **(Sorensen, A.C.,2012:19-20)**

ثانياً: الاحتكاك

كانت طرقة الاحتكاك هي الطريقة الثانية لإشعال النار، وقد عرفت هذه الطريقة في العصر الحجري الحديث، فمنذ حوالي 10.000 ق. م، عثر في ملجأ صخري بالقرب من نهر بيكوس، وهو أحد أماكن سكنى الإنسان الأول غرب تكساس بأمريكا، على ساق نبات اليوكا وعليه وجد أثار ثقوب عديدة، وثبت بالدراسة أنها أداة استخدمت في إشعال النار بالاحتكاك حيث كانت تمسك عصا ساقها منتصبة، ويديرها الإنسان بين يديه، فيؤدي الاحتكاك بين ساق الغزل ذو الثقوب والعصا المنتصبة في يديه إلى شيء من الدخان، ثم شرر، ثم يلمع الجمر. وهي طريقة استخدمتها نساء السكان الأصليون جنوب غرب أمريكا، حيث استخدمت المرأة الجمر لإشعال النار في كومة صغيرة من نبات اليوكا المجففة الذي تميز بأوراقه ذات الألسنة الرقيقة، والتي عندما تجف تشتعل فيها النيران بسهولة.

(Robert J. & others, 2009:10-11)

(شكل:3) ولقد اشتملت هذه الطريقة على ثلاثة أنواع من طرق الإشعال بالاحتكاك وهي:

1. **طريقة حرث النار:** وفيها يُستخدم قطعة خشب صلبة في حك قطعة أخرى طويلة من الخشب اللين.
2. **نشر الخشب:** وهي طريقة مشابهة للطريقة الأولى حيث يمرر أو يحرك الطرف الحاد لعصى كالخيزران عبر مجرى ضيق.
3. **مثقاب النار:** وفيها تحرك عصى ذات طرف مدبب حاد حركة دائرية في ثقب (غلاب،**1997: 244**)، ولابد من وضع بعض الأعشاب الجافة أو كسرات الخشب أو أفرع الأشجار الجافة بالقرب من الثقب الذي تدار فيه قطعة الخشب المدببة، فتشتعل النار نتيجة عن هذا الاحتكاك

(Robert J. & others, 2009: p.11, fig.11) & Desmond, C.,1976:106)

ويبدو أن طريقة أو أكثر من تلك الطرق كانت قد استخدمت قبل نهاية العصر الحجري المتوسط، غير أن اختراع النار قد ظهر مستقلا في أقاليم مختلفة ومن ثم فهناك اختلاف في الطرق تبعا لطبيعة الأخشاب المتوفرة، واختلاف نوع الوقود؛ ففي المناطق الغابية مثلا كانت الأخشاب متوافرة ومن ثم استخدمت في اشعال النار **(Pausas, J., & Keeley, J. E.,2009:595)** ، على حين عوض سكان التندرا وصياد الماموث فقر بيئتهم في الأخشاب باستخدام عظام الماموث كوقود. **(غلاب، 1997: 245)**

ولقد استمرت طريقة اشعال النار بالاحتكاك متبعة في مصر ليس فقط في عصور ما قبل التاريخ؛ وإنما طوال العصور المصرية وحتى عصر الدولة الحديثة على أقل تقدير، اذ يبين (شكل: 4- 5) مثقاب لإشعال النار، وهو من أكثر القطع تشويقا ضمن مجموعة الأدوات المنزلية واللعب التي وجدت في مقبرة الملك توت عنخ آمون، والموجودة بالمتحف المصري، المثقاب عبارة عن يد أو عود خشبي ولوحة خشبية بها اثنى عشر ثقبا محفورة في لوحة الإشعال، وقد وجد بداخل هذه الثقوب كمية من الراتنج لإمكانية عمل شرارة بواسطة الاحتكاك كي يلتقطها الفتيل ويعلو العود الخشبي رأس منفصلة لتسهل التحكم فيها أثناء الدوران. **(Burton, H., 2004:1317)**

أهمية وتأثير النار في حياة إنسان ما قبل التاريخ :

كانت معرفة النار من أهم خطى التطور التي غيرت من مسيرة حياة الإنسان على كافة الأصعدة، سواء اجتماعيا، سلوكيا أو نفسياً،**(Bellomo, R.V.,1994:173)** فلقد أسهمت السيطرة على النار، التي بدأت في الفترة الموستيرية خلال العصر الحجري القديم الأوسط في تطور البنى الاجتماعية من خلال الدور المهم والأساسي الذى لعبته في تغيير الحالة النفسية للجماعات البدائية، حيث أسهمت النار في رفع معنوياتهم وذلك لتبديدها الظلمة الموحشة، مما ساعد على تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد الجماعات المتجاورة من جهة، وزاد من قدرتها على طرد الحيوانات المفترسة التي يمكن أن تنافسهم بالالتجاء إلى الكهوف. **(أبو غنيمة، 2010: 142)** كما أسهمت النار في تنمية الروح الجماعية عند الإنسان، مما جعلته يتعود على العيش ضمن الجماعة على نحوٍ أكثر تقبلا من السابق، بفضل الدفء والنور الصادر عن النار المشتعلة في المواقد، التي كان يتجمع حولها أفراد الجماعة في أوقات راحتهم بعد عمليات الصيد أو الجمع، أو في أوقات المساء. **(أبو غنيمة، 2010: 142)** ومثلما تغير سلوك الإنسان الغذائي بفضل النار، فإن الحرارة المنبعثة عنها أكسبته سلوك مقاومة البرد، فقد وفرت تلك الحرارة له الآلية المثالية لتوفير الأجواء الدافئة، وهذه الآلية منحته بالتالي فكرة جديدة لسلوك جديد ومهم لم يكن ليتحقق لولا وصوله لهذه المرحلة من تطويع النار.. وهو الاستيطان **(Ancient Civilizations,2017:27, 30)**، إذ لم يعد مضطراً

للهرب من البرد، بل يبقى في مكانه وتتكفل النار بالباقي، وهنا نلاحظ كيف تطورت الحياة بشكل متتالٍ، والاستيطان كان بلا شك أحد أهم الأبواب التي طرقها، فهو المدخل الأول لمفهوم لازلنا نتداوله ونربي عليه أنفسنا وأجيالنا حتى اليوم، إنه مفهوم الانتماء، فالإنسان الذي لا ينتمي إلى وطن يحبه ويستميت للدفاع عنه إنسان بلا شك ضائع ومحروم ويفتقد للأمان، ومما ساعد الإنسان الأول على الاستيطان كذلك تمدد أسرته بشكل عرضي، أب وأم وأخوة وأخوات وأبناء وأحفاد النواة الأولى لتشكل العشيرة التي ينحدر جميع أفرادها من سلالة شخص واحد، ولأن المكان بادئ الأمر يقطنه مجموعة من الأسر، فمن البديهي أن تتحول هذه الأسر إلى عشائر متعددة سميت فيما بعد بالقبيلة ومن هنا كانت معرفة لنظام الاجتماعي. **(مونتاغيو، 1982: 83-88)**

وأيضاً من التأثيرات التي أحدثتها النار في حياة الإنسان البدائي تغير نمط نشاطاته اليومية **(Steven R.J., 1989:1)**، فلم يعد مقتصراً على ساعات النهار فقط، إذا ساعده ضوء النار في توسيع تحركاته لتشمل ساعات الليل كذلك، كما وأن النار حققت له الكثير من التأمين الذاتي والحماية اللازمة ضد الحيوانات المتوحشة التي لاحظ أنها تخاف من وهج النار، فأمست النار رفيقته حينما يتحرك ليلاً، وجارته حينما يبيت برفقة عائلته، الأمر الذي أدى بالحيوانات للهرب والانزياح نحو مناطق بعيدة غير مأهولة بالإنسان والنار. **(أبو غنيمة، 2010: 146)**

استخدامات النار في عصور ما قبل التاريخ :

تعددت استخدامات النار وتداخلت أغراضها التي شكلت طبيعة حياة إنسان عصور ما قبل التاريخ كما يلي:

الإبداع الفني: كان التحول نحو معرفة النار والسيطرة عليها والتحكم فيها هو أول خطى تحكم الإنسان الأول في حياته، اذ أصبحت النار بالنسبة لإنسان ما قبل التاريخ هي الدافع لتقدمه في شتى النواحي، فبنظرة متفحصة لما تركه إنسان عصور ما قبل التاريخ على جدران الكهوف من رسوم ولوحات فنية، يمكننا ان نتخيل كيف تمكن من رسم تلك اللوحات، لاسيما وأن العديد من تلك الرسوم كانت بداخل كهوف مظلمة وذلك على غرار رسوم كهف لاسكو بفرنسا **(Mauriac, M.,2011:10)** (شكل: 6) والتي رسمت في عمق الكهف بالداخل في طيات الظلام وصعوبة الرؤية، ورغم ذلك أجاد الرسم وأجاد استخدام الألوان التي لاتزال باقية حتى اليوم ، بل وعبر برسوماته عن حركات الحيوانات في واقعية واضحة، ولم يكن الإنسان البدائي ليستطيع رسم مثل هذه اللوحات الرائعة دون استخدام النار كوسيلة للإضاءة. **(Genty D., 2011:479)**

الإضاءة : يُعتقد أن أولى استخدامات الإنسان للنار كانت في إنارة ظلمات الليل الداكن وتبديد ظلام الكهوف التي كان يأوي إليها، ولابد أنه كان هناك أشكال مختلفة لوسائل الإضاءة البدائية والتي كان منها الشعلة التي استخدمها إنسان ما قبل التاريخ في إضاءة ظلمة الليل من حوله (**أبو غنيمة، 2010: 142**)، ولعل الإنسان كان قد لاحظ أن دهن الحيوانات يؤجج لهب النار حين يسقط عليها، وتوهج لهبها وتزداد إضاءة كهفه ويسري في أركانه نوراً ساطعاً، وربما اهتدى بذلك إلى تهيئة فجوة في كهفه يضع فيها الدهن والأعواد وما تعرف عليه من مواد الاحتراق لتكون بمثابة مصباح ثابت، وبمضي الزمن استدل على أداة مجوفة يوقد فيها النار فيحملها أثناء تنقله، وكان ذلك هو المشعل أو المصباح الذي وفر أول وسيلة إضاءة عرفها الإنسان. (**العاني، 2002: 22**) ثم تطورت وسائل الإضاءة بعد ذلك وعثر على العديد من نماذج المشاعل في مصر منذ أقدم العصور (**للمزيد :إبراهيم، 1987**)

الحماية: بعد أن ساعدت النار الإنسان على أن يسيطر جزئياً على بيئته، استطاع حماية نفسه بواسطتها من الحيوانات الضارية التي كانت تهاب النار وتفزع منها، فمنحته النار بذلك الشعور بالأمن بعد أن هدأت نفسه واستقوى بها على الحيوانات التي كانت تنازعه وجوده. (**العاني، 2002: 22**) ففي جنوب غرب الولايات المتحدة استخدم السكان الأصليين النار كوسيلة للحماية وصيد الحيوانات أو إبعادها تجنباً لأذاها، إذ كانت تثبت شعلة نار في السهم ويتم اطلاقها على الحيوان المراد إبعاده أو صيده، ويتم عمل حلقة من النار حول الحيوان حتى لا يتمكن من الهروب.

(Fowler, C., & Konopik, E., 2007:167-177)

التدفئة: كانت النار بالنسبة للإنسان البدائي تعد من أهم وسائل التدفئة في برودة الشتاء القارس (**Ancient Civilizations,2017:27, 30**)، التي لم يكن لينجو منها الا بارتداء بسيط الملابس التي لا تغنى من شعور بالبرد. (**ديورانت، 1988: 12-13**) فقد قدمت النار الدفء والنور والحماية لأفراد الجماعة في مناطق سكناهم أو في المناطق الخارجية، حيث انتشر وجود المواقد في مواقع العصر الحجري القديم الأوسط والأعلى بمناطق عدة. (**أبو غنيمة، 2010: 142**)

طهو الطعام: مما لا شك فيه أن معرفة الإنسان للنار كانت بمثابة نقطة تحول جوهرية في حياته، اذ نقلته من مصاف آكلي اللحوم النيئة إلى إنسان ذي صفات حضارية تميزه عن غيره من المخلوقات. (صالح، 1980: 64) ومن ثم كان طهو الطعام أهم ابداعات النار في حياة إنسان عصور ما قبل التاريخ، فلقد أثر استئناس النار على التكوين الطبيعي للإنسان (**Ancient Civilizations,2017:33**)، كما أثر ايضاً على حضارته وعلى تطوره الفسيولوجي والجسدي، اذ لم يعد بحاجة إلى بذل الجهد في تناول

طعامه **(Kakade M.L. & Liener. I.L., 1973: 231-241)** فمعرفته للطهو وفرت جهده الذي كان يتطلب لتناول الطعام نيئا، الأمر الذي انعكس على تحسن صفاته الشكلية وخاصة صغر حجم الفكين عما كان عليه من قبل معرفته لتناول الطعام المطهو. (شكل: 7) **(سيد،1999 :2)**

ولعل أول ملامح استفادة الإنسان من النار في الطهو أيضا تعدد نوعية طعامه، لأنه بدأ يطهو عليها أنواعاً مختلفة من ثمار الأرض، وبدأ يميز النكهات المختلفة، ومن المؤكد أنه بعد سلسلة من تجارب الطهي على النار أصبحت لديه قائمة بما يصلح طبخه وما لا يصلح، ولقد كان من المظاهر الأساسية التي ميزت العصر الحجري الحديث هو وجود تنوع كبير في المواد الغذائية كنتيجة لمعرفة الزراعة واستئناس الحيوان من ناحية، وتعدد طرق طهو الطعام من ناحية أخرى. **(غلاب، 1997: 312)** ولقد عرف الإنسان البدائي خلال عصور ما قبل التاريخ منذ 10.000 ق. م تقريبا طريقة للطهو تجمع بين تقنية استخدام النار والحجر معاً، ففي شمال أمريكا عرف السكان الأصليين هناك طريقة طهو الطعام على الحجر بعد تحميته بالنار، بحيث تعمل شدة درجة حرارته المكتسبة على إنضاج أنواع معينه من الطعام.**(Parker,2015:71-72)**

استخدام النار في صناعة الأدوات الحجرية :

ربط أغلب الباحثين بين معرفة الإنسان للنار وبين تشكيله للأدوات الحجرية، فقد كان من أهم اسهامات النار دورها في تطوير المستوى التقني لاقتلاع الأحجار واقتطاعها لتشكيل وصناعة الأدوات الحجرية بعد تعريضها للنار **(Ancient Civilizations,2017:32)** ، وهذا ينطبق أيضاً على الأدوات المصنوعة من الخشب والعظام حيث كان للنار دور في تشذيبها وصقلها. **(أبو غنيمة، 2010: 142)**

ولقد أشارت أحدث الأبحاث الى استخدام النار في تقنية صناعة الأدوات الحجرية في بعض مواقع عصور ما قبل التاريخ، حيث عثر باحثون من جنوب أفريقيا والولايات المتحدة على مجموعة من الأسلحة الصخرية المعالجة حرارياً بالنار، في أقصى الطرف الجنوبي لأفريقيا، وتعود إلى أوائل البشر المحدثين قبل حوالي 72 ألف سنة، وربما أبكر من ذلك، قبل 164 ألف سنة.

(Goldberg, P., & Others,2009:95-122)

وبحسب ما تم اكتشافه يمكن القول أن استخدام النار لمعالجة الأدوات حرارياً بواسطة الإنسان كان أقدم بخمسين ألف سنة مما كان يعتقد أهل الاختصاص، ووفقاً لنتائج الاكتشاف، فقد توصّل إنسان العصور الحجرية في جنوب أفريقيا إلى إدراك أن تسخين قطع من الصخور النارية ييسر عملية ترقيقها، بما يتيح تشكيلها كشفرات، وسكاكين، وأدوات أخرى **(Jacobs, Z., & Others,2008:733-735)**، وقد قام العديد من

الباحثين بإجراء تجارب عملية كنوع من المحاكاة لعملية صناعة الأدوات الحجرية بمساعدة النار، تماماً كما يفعل الأفارقة الأوائل عند تصنيعهم لأدواتهم الحجرية، إذ كانت معالجة الصخور حرارياً إحدى التقنيات التي أتاحت لهم التكيف في البيئات التي كانوا ينتشرون فيها بأفريقيا.

(Wadley, L., & Others, 2009:9590-9594)

لذلك قام الباحثون بتسخين أنواع من الصخور فوق حفرة نار، حيث ترققت واتخذت لوناً أحمر مصقولاً **(Watts, I.,2002:1-14)** وأصبح من اليسير تشذيبها والمرجح أن الإنسان البدائي في تلك القبائل كان قد استخدم تلك الأدوات الحجرية وثبتها في مقابض خشبية لصيد وذبح الحيوانات. **(Clark, L.,2015:A5)** ولا شك أن هذه الحرفية تطلبت تفكيراً مركباً، وهو مؤشر على ذكاء عال لإنسان العصور الحجرية؛ فقد كان عليه جمع الحطب، وإضرام النار فيه، وتشكيل الحجر، ثم تثبيت مقبض للحجر باستخدام مواد لاصقة طبيعية، ونظراً لأنها كانت تقنية متطورة، فهو أمر ينطوي على استخدام اللغة لنقل التقنية للأجيال التالية، **(Wadley, L., & Others, 2009:9591)** ومن ثم فإن استخدام النار في تلك التقنية، يعكس السيطرة الماهرة على النار من قبل الإنسان البدائي، ويشير إلى نقطة تحول فريد في تاريخ الإنسان، فقد كان أولئك البشر في غاية الذكاء، مما يخالف الصورة النمطية لإنسان الكهوف.

(Vaquero. M.,2008:3178)

وفي مصر ثبت استخدام النار في فصل الكتل الحجرية من محاجرها وتصنيع الأدوات الحجرية بنفس التقنية التي عرفت منذ العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث في أفريقيا.

(Heldal, T., & Storemyr, P.,2015:291)

وذلك بإضرام النار وتسخين الحجر لدرجة معينة، ثم تعريضه لدرجة من البرودة فيتم انشطار الكتلة الحجرية الى شظايا وأجزاء حجرية أصغر يسهل استعمالها في تصنيع الأدوات الحجرية أو المنحوتات الحجرية **(Heldal, T., & Storemyr, P.,2015:292)** وعثر على أدلة ذلك في محاجر البر الغربي بأسوان، حيث وجدت أثار الحرق والدخان على العديد من الكتل الحجرية سواء المنفصلة أو التي كانت لاتزال عالقة بمحاجرها، وخطوط أو قنوات توضح تأثير النار في الحجر بعد الدق بشدة عليه.

(Heldal, T., & Storemyr, P.,2015:294)(شكل:8)

التعدين:

لا تؤرخ بداية عصر التعدين بتاريخ اكتشاف المعدن، بل يبدأ ذلك العصر بتحوير المعادن بواسطة النار، ويعتقد علماء المعادن أن أول استخراج للنحاس من مناجمه الحجرية جاء بفعل المصادفة، حين أذابت نار أوقدها الناس ليستدفئوا، نحاساً كان لاصقاً بالأحجار التي أحاطوا بها انار، ولقد لوحظت أمثال هذه

المصادفة مرارا في اجتماعات البدائيين حول نارهم في عصرنا هذا، ومن الجائز أن تكون هذه الحادثة العابرة هي التي أدت بالإنسان إلى أن يجعل من هذه المادة المرنة عنصراً يتخذ منه آلاته وأسلحته، لأنها أيسر من الحجر في صياغته وأدوم في البقاء. **(ول ديورانت، 1988: 178)** ولقد مر العالم القديم بمراحل عدة من التطور بدء من العصور الحجرية مرورا بالعصر الحجري النحاسي ثم البرونزي ثم عصر معرفة الحديد إلى أن استطاع الوصول إلى المجتمع المتمدن الحديث **(Reardon, A.C.,2011: 73-74)** وتشير الكثير من الدراسات أن أول المعادن التي عرفها الإنسان في عصور ما قبل التاريخ كان النحاس ربما لأن بريقه كان يميزه ويلفت النظر إليها أكثر من أي معدن آخر، وربما لأنه يوجد عادة في الصخور بشكل حر مما يسهل الوصول إليه ، ويشير العلماء إلى معرفة النحاس ربما كانت ترجع إلى 4000 آلاف عام قبل الميلاد ، ثم عرف الذهب والفضة ثم الحديد **(Ottaway, B.S.,2001: 87-112)** ولسنا بصدد الحديث عن التعدين في حد ذاته، وإنما كأحد الآثار الهامة التي ترتبت على معرفة النار في عصور ما قبل التاريخ.

استخدام النار في صناعة الأواني الفخارية:

كان التأمل والمصادفة أولى المحركات التي أدت بالإنسان إلى معرفة العديد من الصناعات والتي كان أهمها الفخار، فربما كانت الصدفة قد أدت إلى وقوع قطعه من الطين أو الصلصال إلى جانب نار موقدة، ولابد أنه لاحظ أن الطين بفعل النار كان قد تغير لونه وأصبح أكثر قساوة، فاستغل الإنسان ذلك الطين في صناعة أواني حفظت له الماء والطعام في البداية، ثم استغلها في طهو طعامه بعد ذلك. **(العاني، 2002: 22-23)**

لقد عرف الإنسان صناعة الفخار منذ عصور ما قبل التاريخ، حيث استطاع أن يشكل الطين على هيئة معينة، واستطاع أن يحول هذا الطين إلى مادة صلبة عن طريق تعريضه للنار، واستطاع أن يزين الأواني الفخارية بالرسومات والنقوش الجميلة، فصناعة الفخار هي حرفة قديمة جداً، ولعلها أقدم حرفة في التاريخ، فقد عرفها الإنسان منذ أكثر من 10.000 سنة قبل الميلاد؛ أي في العصور الحجرية، ويشهد لهذا الأمر الكثير من الآثار التي اكتشفت في الكثير من المناطق حول العالم.

(Montague, J.,1981: 273-279)

والطريقة التي كان الإنسان يتبعها قديماً في صناعة الفخار هي التشكيل اليدوي للآنية الفخارية، ثم بعد ذلك كان يقوم بتجفيفها تحت أشعة الشمس، ولكن تطور الأمر فيما بعد وصار يحرقها في النار؛ حتى تصبح أكثر صلابة ومتانة **(Spencer, A. J.,1997:44-49)** ولقد استطاع الإنسان في عصور ما قبل التاريخ أن يتحكم في استخدام النار بحيث جعل منها وسيلة طبيعية لزخرفة شكل الإناء واكتسابه اما اللون

الأسود أو الأحمر أو ذو الشفة السوداء وذلك بحسب تعرض الاناء الفخاري لدرجة حرارة النار، فكلما اشتدت درجة حرارة النار كلما كان لون الإناء صافي يميل إلى الاحمرار، بينما إذا قلت درجة حرارة النار أصبح الإناء ذو لون أسود أو ذو حافة سوداء كما يتبين في (شكل: 9).

ولقد عثر في هيراكونبوليس على ورش لصناعة الأواني الفخارية اشتملت على بقايا العديد من الأواني الفخارية غير مكتملة الحرق، وعلى بقايا مواقد وأفران بسيطة استخدمت لحرق الأواني الفخارية.

(Baba, M.,2009:1-23) & (Allen, R.O. and M.S. 1982:149-150) ، ويبين (شكل:10-11) كيفية حرق الأواني الفخارية من خلال ما تم اكتشافه في ورش حرق الأواني الفخارية بهيراكونبوليس

(Baba, M. and Saito, M., 2004:575-589)

دور النار في العقيدة والفكر الديني في عصور ما قبل التاريخ:

وقف الإنسان البدائي أمام الكثير من الظواهر الطبيعية مندهشاً ومن ثم خائفاً حائراً، لأنه يجهل تفسيرها أو تعليلها وطريقة حدوثها ، مما اضطره أمام هذا الكم الهائل من الظواهر التي فرضت عليه الطبيعة التعامل معها والتعايش وإياها، فكان لزاماً عليه أن يبحث عن اسرار حدوثها، ولما أعيته الحيل لعدم توفره على وسائل التفكير المنطقية اللازمة للتفسير والتأويل مما دفعه نحو الميثولوجيا متخذاً منها فلسفة حاول من خلالها الإجابة عن الأسئلة التي تولدها الظواهر الطبيعية التي تستدعي تفسيراً أو تبريراً، فاتجه إلى نسج القصص التي عرفت فيما بعد بـ (الأساطير). وتعد الأساطير والخرافات السمة الغالبة في ثقافة الشعوب القديمة، والملجأ الأخير لتفسير الظواهر الطبيعية المبهمة التي قد تحدث في محيطها، كالصواعق والأمطار والعواصف وغيرها. والنار في الأزمنة القديمة لم تكن بالنسبة للناس كما نعرفها اليوم بأنها تفاعل كيميائي بين عنصر الأكسجين والمادة المحترقة ينجم عنها حرارة وغازات أكاسيد الكربون، بل كانت مبهمة ويكتنفها الغموض، وربطها الإنسان الأول بعالم الآلهة والأساطير. **(نعمه، 1994: 25)**

ومن المرجّح أنّ إنسان ما قبل التاريخ أُصيب بالفزع من النار أوّل الأمر، فهو لم يفهمها ولم يعرف من أين جاءت، وربّما تصوّر أنّها من الآلهة أو الأرواح، وبدأ خياله ينسج الأساطير نحوها.. وبعد مضيّ بعض الوقت، تأتّى للإنسان أن يدرك أنّ النار ليست عدواً بالضرورة، بل يمكن في الواقع أن تكون ذات قيمةٍ عظيمةٍ له، وشيئاً فشيئاً بدأ يقوم بتجارب مع النار، وحاول أن يفهم كيف يمكن التحكّم بها ويسيطر عليها.**(Watts, I.,1999: 113-146)** فقد كان اكتشاف النار واستعمالها أمر ينطوي على الكثير من الأبعاد العملية والروحية للإنسان، فلقد كانت النار تحمي كهوف الإنسان من الحيوانات المفترسة من ناحية ومن البرد القارس من ناحية أخرى، فجعل استخدام النار الإنسان أكثر قوة من ذي قبل، وبدء

يحيطها بهالة من القدسية تنوعت أساليب التعبير عنها في مختلف الثقافات. وبعد أن قامت النار بتحريك النوازع الدينية الأولى باعتبارها المقدس الأول انفتحت أحاسيس الإنسان ومشاعره باتجاه معرفة دين أعلى" حيث بدأت تظهر لبعض ملامح تقديس الإنسان للحيوان **(Kulmar, T.,2005: 18)** ولقد ارتبط الحيوان بالنار في طقوس افتراسيه مشحونة بالترقب والتأمل، وقد نجد تفسيرا منطقيا في الديانات الطوطمية التي رأت في الحيوان المقدس مبدأ جمع شمل القبيلة وأن افتراسه في طقوس دينية جماعية كان يعني توزع هذا المقدس على أبناء القبيلة حيث يقوم بجمعها في صلة واحدة قوية بما عرف بالطوطم. **(الماجدي، 1997: 36)**

وقد لعبت الحيوانات الدور الرئيسي في اساطير اصل النار، اذ قام الإنسان البدائي بتعليل وتفسير بعض ما امتازت به الحيوانات أو الطيور من ألوان أو علامات فارقة، إلى تأثير النار على الحيوان، لذلك فأساطير النار ترتبط بعالم الحيوان اكثر من ارتباطها بعالم الطبيعة، ففي اساطير بلاد الرافدين يظهر "إيل" إله النار **(Brisch, N.,2008: 15)** ويعد الإله " إيل" في اعتقاد الكنعانيين هو من أسس منطقة جبيل أو بيبلوس شمال بيروت، ومن ثم اطلق عليه احيانا اسم الإله "جبيل"، وهو الذي يخرج من العالم الأسفل من باطن الأرض في دورات غير متكاملة أو مضبوطة ، ويجمع في طياته بين الخير والشر ليدل على النار بكل أشكالها، فهو مصدر خير أو شر تحدثه النار بالاتجاهين. **(الماجدي، 1998: 109)**

القربان المحروق وحفر النار:

كان من ضمن شعائر تقديم القرابين في المعابد أو أمام تماثيل الأفراد في مقابرهم، تقديم القرابين المحروقة، وكان الغرض من تقديم القربان المحروق يتمثل غالبا في نقطتين: –

1– قربان يقدم للآلهة بغرض الإمداد بالطعام الرمزي: (وينطبق نفس الشيء على الأفراد المتوفين)، وكانت القرابين لا تترك حتى تحترق تماما وتختفي في النار، ولكن ربما كان يكتفى فقط بشوائها وذلك لأن قربان الأضاحي لو حرق كلية فلن يتبقى منه ما يوضع على موائد القرابين الموجودة بالمعبد، أو لن يتبقى ما يقدم للكهنة بعد أن يبقى الطعام فترات محدودة على موائد القرابين بالمعبد.

2– قربان يحرق بغرض استكمال شعيرة إفناء الأعداء، والذي ترمز لهم بهذه الأضحيات المحروقة. **(باسم، 1999: 127)**

وكانت طقسة تقديم القربان المحروق قد وضحت في أجزاء عدة من مناطق الشرق الأدنى القديم منذ عصور ما قبل التاريخ، اذ عثر على بقايا عظام حيوانية محترقة في كهف هايونيم الذي يقع غرب جبل

الجليل بفلسطين؛ وهو من مواقع الحضارة الناطوفية (Alber, R.M.,2003:461- 480) وربما كانت هذه العظام المحترقة تمثل اما بقايا طعام، او بقايا قرابين محروقة، وعثر على غرار تلك القرابين في مواقع وكهوف عدة ببلاد الشام (Shahack-Gross, R., O. Bar-Yosef,1997: 439-446)

وكثيرا ما عثر على القرابين المحروقة مقترنة باللون الأحمر، مما يشير إلى الدور العقائدي الذي لعبه اللون الأحمر في عقيدة إنسان عصور ما قبل التاريخ، واقترن هذا اللون بعادات الدفن، وتقدمة القرابين وبعض الممارسات الطقسية الأخرى في حضارات عدة سواء في أفريقيا أو بلاد الشرق الأدنى القديم، ففي أفريقيا ظهر الهيماتيت أو أكسيد الحديد في العديد من الكهوف والمآوى الصخرية التي ترجع للعصر الحجري القديم الأوسط (Watts, I.,2002:1-14) وفى بلاد الشام عثر عليه أيضا في العديد من الكهوف التي كان من بينها كهف جبل قفزة ، وفى الأناضول تم العثور على دلائل أثرية تجمع ما بين القربان المحروق واللون الأحمر في تركيبة طقسية سحرية واضحة، اذ عثر على بعض من القرابين المحروقة التي وضعت عن قصد في مواقد جنائزية مجصاة وملونة بالأحمر في أحد مقاصير العبادة التي تؤرخ بالعصر الحجري الحديث في المستوى الثاني من شاتال هويوك بالأناضول، وذلك ضمن مجموعة من الودائع الجنائزية الأخرى، وظهر تأثير الحرق فقط على الحبوب النباتية المتفحمة دون سواها مما كان موضوعا في تلك الودائع الجنائزية الموضوعة بالمقصورة. (Mellaart, J.,1967: 78)

حفر النار:

كانت حفر النار أحد المظاهر المرتبطة بعادات الدفن والتقدمة الجنائزية في عصور ما قبل التاريخ، ووجدت حفر النار بكثرة في جبانات عصر ما قبل وبداية الأسرات في العراق، لاسيما جبانة أور وأريدو.. وهي تظهر دور النار في العقيدة والفكر الديني لإنسان بلاد الرافدين، اذ كانت النار وسيلة هامة تلعب دور طقسي باعتبارها الرباط الذي يصل ما بين الموت والحياة، وهي وسيلة للتطهير وتنقية الإحساس من الفظاظة والأخطاء، ولقد تعددت التفسيرات بشأن حفر النار، فربطها البعض برمزية معينة باعتبارها وسيلة جيدة للتعبير عن نوع معين من الاحتفالية الجنائزية الخاصة بالمتوفى والتي تزوده بقوة الحياة، فكما كانت تزوده في الحياة بالطاقة اللازمة لإنجاز أعماله، جعلت معه في المقبرة كوسيلة لإعادة ميلاده وتجديد حياته. (Wright, G.R.H.,2002: 90-91)

هيكل النار وأرواح البشر:

تعتمد دراسة عصور ما قبل التاريخ على الاستقراء، والاستنباط ومقارنة الحاضر بالماضي، ومن ثم كانت دراسة ثقافة القبائل البدائية وأصحاب الديانات الوضعية واحدة من أهم الوسائل التي تساعدنا على فهم

طبيعة عقائد وفكر إنسان عصور ما قبل التاريخ، ولقد كانت الديانة الزرادشتية واحدة من الديانات الوضعية التي وضح فيها دور النار وأهميتها، اذ رأى زرادشت الذي نسبت إليه الديانة الزرادشتية كان كاهناً وبحكم طبيعته الدينية رأى أن طقوس النار القديمة هي رمز النور والقانون الكوني للإله، واعتقد أصحاب تلك الديانة أن الماء والهواء والنار والتراب عناصر طاهرة وقدسوا النار خصوصاً، واتخذوها رمزاً إلى جانب الشمس" لقوة الإله"، ولذا حرصوا على بقاء شعلة النار مشتعلة في هياكلهم بالمعنى الرمزي والمعنوي، وكانوا يقدمون لها وقوداً من خشب الصندل، وأخشاب عطرية أخرى، فتعبق الهياكل بروح قدسية فيها النشوة والطهر والخلود. **(بارندر، 1993: 104)** وتمارس في هياكل النار طقوس وممارسات شعائرية الغرض منها التقرب الى الإله "أهورا مازدا"، ويتحتم على الكهنة الذين يمارسون طقوس النار في هياكلهم أن يشعلوا ويراقبوا ويطهروا النار المقدسة، ويزودونها بخشب الصندل، وهم يتلون الصلوات والأدعية وأفواههم مغطاة – مثل الأطباء – خشية أن تتنجس النار المقدسة من أنفاسهم. **(سعد، د.ت: 158)**

وفى العقيدة أو الديانة الشامانية التي ترجع جذورها الأولى الى عصور ما قبل التاريخ، كان للنار دور هام، ولازال للشامانية تواجدها في الوقت الحالي لدى العديد من القبائل البدائية في بقاع عده من العالم، ففي قبائل (البوريات) إحدى قبائل المغول يُعتقد أن للنار روحاً تسكن فيها ومنها تُخلق الأرواح في سائر البشر، لهذا لا يخلو قطعاً أي بيت من بيوت أفرادها من موقد النار، وفي معتقدات البوريات تعاليم صارمة تجاه النار، ومنها تحريم رمي النفايات والأوساخ داخلها، لأن ذلك يهين روحها، وكذلك يمنع تحريكها بسكين أو آلة حادة فقد يعرض روحها للجرح أو الأذى، فتأذي روح النار معناه حلول اللعنة على المكان الذي تأذت فيه وعندها لن تستثني اللعنة أحداً يعيش في ذلك المكان، هذه القدسية المفرطة للنار كان لابد أن يصاحبها طقوس خاصة، والتي منها تقديم القرابين والأضاحي لها بشكل دوري ومنتظم، وأن يتكفل أحدهم برعايتها والاهتمام بها، هذا المتكفل بروح النار عليه أن يتسم بسمات معينة، وأن يكون وريثاً لهذه المهمة المقدسة، وعادة ما يطلق عليه اسم (شامان)**(Smart, N., 1959: 53)**

الخاتمة:

– كانت المصادفة ثم التجربة هي أولى خطى الإنسان نحو معرفة واستخدام النار، ولقد تعلم الإنسان تفادي النار قبل أن يتعلم السيطرة عليها، وبسيطرة الإنسان على النار استطاع أن يتحكم في بيئته.

– كان تأمل الإنسان في عصور ما قبل التاريخ للبيئة من حوله يكفي وحده لتحفيزه حتى يكتشف أسرار الوجود، فراح بخياله ينسج أفكار ومعتقدات حول الآلهة والنار وتقديسها وكيفية إرضائها، وربما كان

الإنسان البدائي قد تخيل النار التي تحركها الرياح وتنقلها من مكان إلى مكان، أشبه في ناظريه بـ "أجنحة النار" ترفرف لتنقل النور والنار في ثنائية يخافها ويحتاج إليها.

– أثرت النار في حياة الإنسان البدائي، اذ باستئناسه لها والتحكم فيها استطاع أن يضئ ظلمات كهفه، وأن يصور بيئته بكل مفرداتها على جدران تلك الكهوف، ومن ثم يمكن اعتبار فن الكهوف أحد إبداعات النار في عصور ما قبل التاريخ.

– كانت النار سبب في شعور إنسان عصور ما قبل التاريخ بالأمان، فجعلته أكثر اطمئنانا على حياته، سواء أبات في كهف أو بات في الخلاء، فقد أبعدت عنه النار الوحوش الكاسرة وأضاءت له ظلمة الليل وأمدته بالدفيء من قسوة الطقس البارد، كما مكنته من تناول طعامه بأسلوب أيسر وأسهل بمعرفته طهو الطعام.

– ارتقت النار بحاسة التذوق لدى الإنسان البدائي، اذ عدلت وغيرت من طبيعة ما كان يتناوله من طعام نيئ، إلى أخر مطهو فبدأ يدرك منافعها ودورها في حياته.

– لعبت النار دور هام في حياة إنسان عصور ما قبل التاريخ، اذ حولته من طور الاستهلاك إلى طور الانتاجية والتصنيع، فعرف صناعة الأواني الفخارية، وعرف صناعة الأدوات الحجرية وعرف التعدين فتعدلت بذلك سلوكيات وأنماط حياته.

– إذا كانت النار قد أثرت وغيرت في دنيا الإنسان الأول، فإنها أيضا غيرت وأثرت في دينه وفكره ومعتقداته وتصوراته بشأن العالم الأخر والآلهة، وغيبيات تخيلها ونسج حولها ما عرف فيما بعد بالأساطير، واحتلت النار دور هام في هذه الأساطير.. وكانت الديانات الوضعية في العصر الحالي خير دليل على ما كان سائدا لدى إنسان عصور ما قبل التاريخ من أفكار عقائدية ربطته بالنار.

قائمة الأشكال



(شكل:1) أداة صوانيه استخدمت لإشعال النار من قبل إنسان النياندرتال –محجر كامبيتلو بإيطاليا – 200.000 ق.م.

Roebroeks, W., on the earliest evidence for habitual use of fire in Europe, in: PNAS, Leiden, vol.108, 2011, p.5210, fig.1.

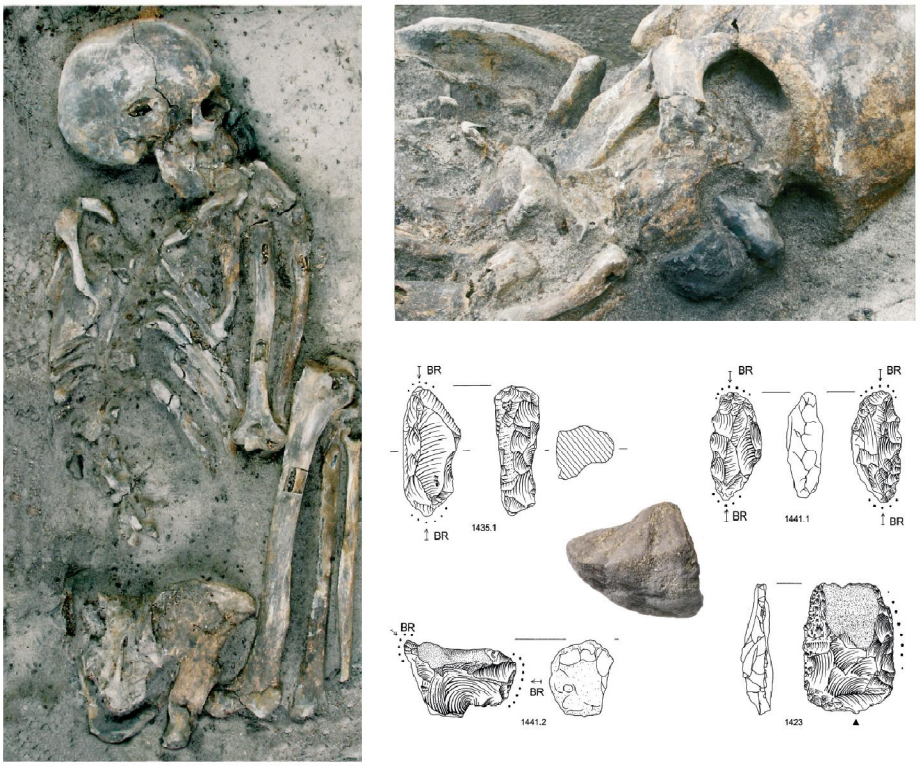

(شكل:2) دفنه من العصر الحجري الحديث محاطة بثلاثة من أدوات الطرق للإشعال النار – هولندا.

Sorensen, A.C., The Invisible Fire Starters A use wear-based approach to identifying evidence of fire production by Neanderthals, Leiden, 2012, p.20, fig.1.2.



(شكل:3) – إعادة تخيل لسيدة من العصر الحجري الحديث تشغل النار داخل الكهف بطريقة الاحتكاك

Robert J. & others, The Neolithic Revolution and the Birth of Civilization, in: Early Human Societies, 2.5 million–1000 B.C.E.: Origins and Development, London, 2009, fig.1.1.



(شكل :4) – مثقاب لإشعال النار – من متاع الملك توت عنخ أمون بالمتحف المصري

Egyptian Museum, JE 61322A, B

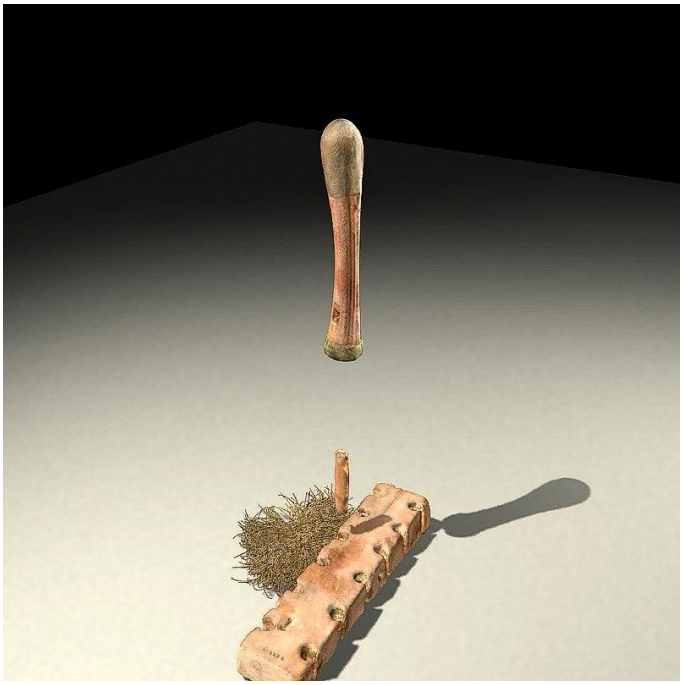

(شكل:5) – شرح لكيفية استخدام المثقاب في اشعال النار

http://www.globalegyptianmuseum.org.



(شكل:6) – "صالة الثيران" احدى لوحات كهف لاسكو بفرنسا

Mauriac, M., Lascaux the history of the discovery of an outstanding decorated cave, Paris, 2011, p.10, fig.13.



(شكل:7) – جمجمة إنسان الهوموهابيليس واختلاف شكل وحجم الفك والجمجمة

Alles, D.L., & Others, A Review of Current Research on Human Evolution, U.S.A, 2008, p.36.



(شكل:8) – منظر يوضح تأثير النار على الحجر تكسيره بسهوله– محاجر البر الغربي بأسوان

Heldal, T., & Storemyr, P., Fire on the Rocks: Heat as an Agent in Ancient Egyptian Hard Stone Quarrying, G. Lollino et al. (eds.), Engineering Geology for Society and Territory – Volume 5, Switzerland 2015, Fig. 56.1



اناء فخاري أسود اللون– البدارى – متحف بترى UC9045



اناء فخاري ذو شفة سوداء– البدارى – متحف بترى UC14515

(شكل:9) – تأثير النار في تغيير لون الأواني الفخارية عند حرقها

Wodzińska, A., A Manual of Egyptian Pottery Volume 1: Fayum A–Lower Egyptian Culture AERA Field Manual Series 1, Poland, 2009, Plate 4.1 - Plate 4.5.



(شكل: 10) – منظر يوضح فرن حرق الأواني الفخارية – بـ "تخن" هيراكونبوليس HK11C.

Friedman, R., "Predynastic Kilns at HK11C: One Side of the Story", in: *Nekhen News*, vol.16, p.17.

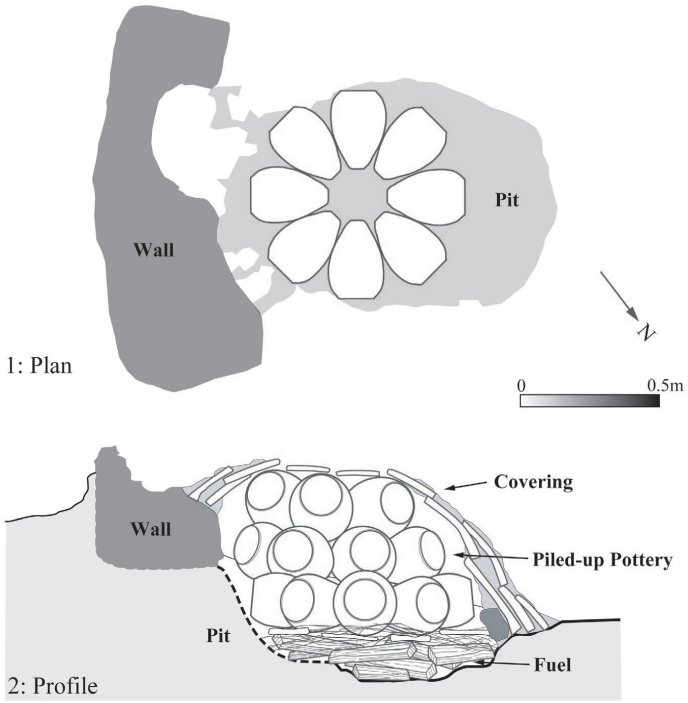

(شكل:11) – رسم توضيحي لفرن حرق الأواني الفخارية في "نخن" هيراكونبوليس

Baba, M., Pottery production at Hierakonpolis during the Naqada II period: Toward a reconstruction of the firing technique, in: British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan, 13, London, (2009), fig.15.

قائمة المراجع العربية والمترجمة:

- إبراهيم، عبد الواحد عبد السلام، الإضاءة ووسائلها في مصر الفرعونية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1987.
- أبو غنيمة، خالد محمود، أنماط المعيشة ودورها في تكوين التشكيلات الاجتماعية في عصور ما قبل التاريخ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد الرابع، العدد الأول، 2010.
- بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، الكويت، 1993.
- ديورانت، ول، قصة الحضارة، نشأة الحضارة الشرق الأدنى القديم، المجلد الأول، بيروت، 1988.
- سعد، حبيب، أديان العالم، القاهرة، (د.ت).
- سيد باسم، محمد، النار في الحضارة المصرية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1999.
- صالح، عبد العزيز، حضارة مصر القديمة وآثارها، ج1، القاهرة، 1980
- العاني، دحام إسماعيل، موجز تاريخ العلم، الجزء الأول، الابتكارات الأولية المؤسسة للعلم، الرياض، 2002.
- غلاب، محمد السيد، تطور الجنس البشرى، القاهرة، 1981
- غلاب، محمد السيد؛ الجوهري، يسرى، الجغرافية التاريخية، عصر ما قبل التاريخ وفجره، الإسكندرية، 1997.
- الماجدي، خزعل، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دمشق، 1997

- الماجدي، خزعل، متون سومر، الكتاب الأول، التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس، ط1، دمشق، 1998
- مونتاغيو، أشلى، البدائية، مترجم، الكويت، 1982.
- نعمه، حسن، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة واهم المعبودات القديمة، بيروت، 1994.

قائمة المراجع الأجنبية:

- **Alber, R.M., Quantitative Phytolith Middle Paleolithic Levels of Hayonim Cave (Galilee), *Journal of Archaeological Science*, 30, (2003), pp. 461–480**
- **Allen, C. D., lots of lightning and plenty of people: an ecological history of fire in the upland southwest, in: Thomas R. Vale (edit.,) FIRE; native peoples and the natural landscape, London,2002, pp.143-150.**
- **Allen, R.O. and M.S. Rogers. Preliminary Findings of the Technology of Ceramic Manufacturing at Hierakonpolis, in M.A. Hoffman (ed.), The Predynastic of Hierakonpolis - An Interim Report. Egyptian Studies Association Publication 1. Cairo, 1982, pp. 149-150**
- **Alperson-Afil, N., Richter, D., & Goren-Inbar, N., Phantom hearths and the use of fire at Gesher Benot Yaàqov, *PaleoAnthropology Society*, Israel 2007.**
- **Baba, M. and Saito, M., "Experimental Studies on the Firing Methods of the Black-topped Pottery in Predynastic Egypt", S.Hendrickx, R.F.Friedman, K.M.Cialowicz and M.Chlodnicki (eds.), Egypt at its Origin. Studies in Memory of Barbara Adams, Leuven, 2004, pp.575-589.**
- **Baba,M., Pottery production at Hierakonpolis during the Naqada II period: Toward a reconstruction of the firing technique ,in: *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan* , 13,London, (2009): pp.1–23**
- **Bellomo R.V., Methods of determining early hominid behavioral activities associated with the controlled use of fire, *Kenya*, vol 27, (1994), pp.173–195**
- **Bird, M., Fire, prehistoric humanity, and the environment, in: *Interdisciplinary Science Reviews*, vol.20, No.2,1995.**
- **Brisch, N., Religion and power, divine kingship in the ancient world and beyond, in: *Oriental institute Seminars*, number 4, Chicago, 2008.**
- **Burton, H., Tutankhamun: Anatomy of an Excavation; The Howard Carter Archives, Griffith Institute, Oxford, 2000 – 2004, p1317.**
- **Charvat, p., Mesopotamia before history, London,2002.**
- **Clark, L., "The Still Bay and Pre-Still Bay Fauna from Sibudu Cave (South Africa): Implications for Understanding Behavioral Variability in the Southern African Middle Stone Age", in: *Paleo Anthropology Society* , 2015,pp. A1−A39**
- **De Jesus, S., Origin and early development of food, producing cultures in north – eastern Africa, Poland,1984.**
- **De Lumley. H., IL y a 400 000 ans: la domestication du feu, un formidable moteur d'hominisation. C R, *Paleorient*, vol., 5, Paris, (2006), pp.149–154.**
- **Desmond, C., the human revolution from the Ape to Artist, London, 1976, p.106.**
- **Early Humans and Their Culture, in: The Birth of Civilization, part.1, 2010.**

- **Fowler, C., & Konopik, E., The History of Fire in the Southern United States, Special Section on Fire Human Ecology, *Human Ecology Review*, Vol. 14, No. 2, 2007, pp.167-177.**
- **Genty D., Dating the Lascaux Cave gour formation, Vol 53, Nr 3, Paris, 2011, p. 479-500**
- **Gilligan, I., The Prehistoric Development of Clothing: Archaeological Implications of a Thermal Model, *Journal of Archaeological Method and Theory*, 17 (2010).**
- **Goldberg, P., & Others," Bedding, hearths, and site maintenance in the Middle Stone Age of Sibudu Cave, KwaZulu-Natal, South Africa", in: *Science*, 2009, Vol. 1, pp. 95–122.**
- **Heldal, T., & Storemyr, P., Fire on the Rocks: Heat as an Agent in Ancient Egyptian Hard Stone Quarrying, G. Lollino et al. (eds.), Engineering Geology for Society and Territory – Volume 5, Switzerland 2015, pp.291-295.**
- **Heinselman, M.L., Fire in the virgin forests of the Boundary Waters Canoe Area, Minnesota, 3, 1973,**
- **Jacobs, Z., & Others,"Ages for the Middle Stone Age of southern Africa: Implications for human behavior and dispersal", in: *Science*, Vol. 322, 2008, pp.733-735.**
- **Jidéjian, N., Byblos through the ages ،Dar al Machreq, Bayreuth, 1968**
- **Kakade M.L., & Liener.I.L., "The increased availability of nutrients from plant foodstuffs through processing" in: Rechcigl.M., (editor) Man, food, and nutrition, Cleveland, 1973, p 231-241.**
- **Kulmar , T., on supreme sky god from the aspects of religious history and in prehistoric Estonian material, in: *FEJF*,31 , Turku ,2005.**
- **Marshack, A., The roats of civilization, New York, 1991, p.172.**
- **Mauriac, M., Lascaux the history of the discovery of an outstanding decorated cave, Paris, 2011.**
- **Mellaart, J., Çatal Ḧüyük, A Neolithic town in Anatolia, New York, 1967.**
- **Montague, J., The Conch in Prehistory: pottery, stone and natural, in: *World Archaeology*, vol. 12:3, 1981, pp. 273- 279.**
- **Ottaway, B.S., Innovation, production and specialization in early prehistoric copper metallurgy, in: *European Journal of Archaeology*, vol .4 (1), 2001, pp.87-112.**
- **Parker, C.H., on the evolution of human fire use, a dissertation submitted to the faculty of The University of Utah in partial fulfillment of the requirements for the Doctor of Philosophy degree of Department of Anthropology, the University of Utah, May 2015.**
- **Pausas, J., & Keeley, J. E., A Burning Story: The Role of Fire in the History of Life, *Bio Science*, Vol. 59, No. 7, 2009, p.595.**
- **Reardon, A.C., Discovering Metals— A Historical Overview, in: Metallurgy for the Non-Metallurgist, New York,2011.**
- **Robert J. & others, The Neolithic Revolution and the Birth of Civilization, in: Early Human Societies, 2.5 million–1000 B.C.E.: Origins and Development, London, 2009.**

- **Roebroeks, W., on the earliest evidence for habitual use of fire in Europe, in: *PNAS*, Leiden, vol.108, 2011, p.5210, fig.1.**
- **Salo, U., Fire-Striking Implements of Iron Age and Finnish Myths of the Birth of Fire, in: *Scripta Archaeologica*, vol.9, Turku, 1990.**
- **Shahack-Gross, R., O. Bar-Yosef, and Weiner, S., Blackcoloured bones in Hayonim Cave, Israel: differentiating between burning and oxide staining, *Journal of Archaeological Science*, 24, 1997, pp. 439–446.**
- **Smart, N., the Religious Experience of Mankind, in: *The Encyclopedia Britannica,* Vol. 8, (1959).**
- **Sorensen, A.C., The Invisible Fire Starters A use wear-based approach to identifying evidence of fire production by Neanderthals, Leiden, 2012.**
- **Spencer, A. J., Pottery in Predynastic Egypt. In: Pottery in Making. World Ceramic Traditions, edited by I. Freestone and D. R. M. Geimster, London, 1997, pp.44–49.**
- **Stephens, S., & Others, Prehistoric fire area and emissions from California's forests, woodlands, shrublands, and grasslands, in: *Forest Ecology and Management*, vol.251, Mexico, (2007), pp. 205–216**
- **Steven R.J., Hominid Use of Fire in the Lower and Middle Pleistocene: A Review of the Evidence, Current Anthropology, Chicago, 30,1989, pp.1-26.**
- **Vaquero. M., The history of stones: Behavioural inferences and temporal resolution of an archaeological seemblage from the Middle Palaeolithic, in: *Journal of Archaeological Science*, 35, *Philadelphia*, 2008, pp.3178–3185**
- **Wadley, L., & Others "Implications for complex cognition from the hafting of tools with compound adhesives in the Middle Stone Age, South Africa", in: *Proceeding of the National Academy of Science of the United States of America*, Vol. 106 (24), 2009, pp. 9590–9594**
- **Watts, I., " Ochre in the Middle Stone Age of Southern Africa: Ritualised Display or Hide Preservative?", in: *The South African Archaeological Bulletin*, Vol. 57, No. 175 (Jun., 2002), pp. 1-14.**
- **Watts, I., The origin of symbolic culture. In: Dunbar, R., Knight, C. & Power, C. (eds) The evolution of culture, Edinburgh, 1999.**
- **Weiner, S., Goldberg, J., Bar-Yosef, Evidence for the use of fire at Zhoukoudian, China, *Science*, 281, New York (1998) 251–253.**
- **Wright, G.R., H., "the fire of life and the fire of death", in: *Journal of prehistoric Religion*; vol.16/17,2003, pp.53-56**

دور الزوايا في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الفرد الجزائري

د/ زيوش سعيد
جامعة حسيبة بن بوعلي ـ الشلف.

د/ بومدفع الطاهر
جامعة حسيبة بن بوعلي ـ الشلف

الملخص:

تعتبر الزوايا في الجزائر من أهم أقطاب القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية التي ساهمت في بناء المجتمع الجزائري عبر أزمنة مختلفة، وهو ما يتجلى في مدى أهمية الزوايا في المحافظة على التراث العربي الإسلامي والمحافظة على الانتماء للهوية الجزائرية، حيث نجدها تقوم بعدة أدوار ووظائف ترمي من خلالها إلى تقديم مختلف الخدمات الاجتماعية لكل فئات المجتمع الجزائري بدون استثناء، وإلى العمل الجاد على إرساء مبدأ التعاون والمعاملة بالحسنى.

إن الزوايا في الجزائر جزء لا يتجزأ من تركيبة المجتمع بل وتعتبر من كمركز أساسي للمحافظة على التقاليد و القيم والنظم الاجتماعية، وبالرغم من تأثير العولمة على مختلف نواحي الحياة إلا أنها بقت ولازالت صامدة للتصدي ومواجهة المخاطر التي يواجهها المجتمع.

كلمات مفتاحية: الزوايا، المجتمع، الفرد، المواطنة، الأدوار، الحماية.

Abstract:
The Zawaya in Algeria are among the most important social, cultural and political values that have contributed to the building of Algerian society through different times. This is reflected in the importance of Zawayas in preserving the Arab Islamic heritage and preserving the identity of Algeria. To provide various social services to all categories of Algerian society without exception, and to work hard to establish the principle of cooperation and treatment.
Zawaya in Algeria is an integral part of the structure of society and is considered as a central center for the preservation of traditions, values and social systems. Despite the impact of globalization on various aspects of life, it remains steadfast in confronting and confronting the dangers faced by society.
Keywords: zawayas, community, individual, citizenship, roles, protection.

مقدمة :

تعتبر المواطنة من بين أهم مقومات المجتمع، حيث بدونها يعتبر الفرد غريباً عن مكان انتمائه، فهي تتميز بوجه خاص بولاء المواطن والانتماء إلى الوطن وعملية الانتماء هنا تشير إلى علاقة المواطن بالوطن في حدوده الجغرافي وتاريخه الثقافي والحضاري، ينتج عنها حب المواطن لوطنه.

وفي خضم السيرورة الاجتماعية التاريخية وتحت تأثير موجات العولمة مس المجتمع الجزائري تغيرات سريعة مؤلمة على مستوى منظومة القيم وسلم الممارسات ومدونة السلوكيات، خلقت نماذج اجتماعية شاذة تنكرت لهويتها وانتمائها، وما الأحداث التي مست المجتمع الجزائري في السنوات القليلة الماضية إلا خير دليل على وجود شريحة واسعة فضلت الحياة الشخصية على المصلحة الوطنية، فهي لا تهتم لأمر الوطن ولا لأمر المجتمع ولا تعمل لصالح الأفراد ولا لفائدة المواطنين، والكثير من الشباب يرغبون في الهجرة والابتعاد بحجج متعددة.

وبالتالي وجد قطاع معتبر من الأفراد في المجتمع الجزائري غير مهتمين بتحقيق الانتماء أو المحافظة على أركان هذا الوطن، مما قد يترتب عنه مشكلة حقيقية إذا لم يتم تداركها، وهنا يتأكد مرة أخرى دور الزوايا في حماية المجتمع ككل من المظاهر السلبية للعولمة لكن باتباع منهجية علمية وأسس معرفية متعلقة بالدرجة الأولى بالنهج الديني لهذه الزوايا.

إن ما تعيشه الجزائر من تغييرات على كافة المستويات قد ساهمت بصورة أو بأخرى في ظهور فئات اجتماعية هشة تتجاذبها التيارات الوافدة والغريبة، مما قد يسبب مشكلات مستقبلاً، وعليه تتمحور إشكالية هذه الورقة البحثية في التساؤلات الآتية:

ولمحاولة استكشاف دور الزوايا الجزائرية في المحافظة على الهوية الجزائرية يتبادر إلى أذهننا سؤالين هامين وهما كالآتي :

1- كيف يمكن للزوايا الجزائرية حماية المجتمع من مظاهر العولمة.

2- ما هو مدى قدرة الزوايا الجزائرية في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الفرد الجزائري؟

وللإجابة على هاذين السؤالين سنحاول في هذه الورقة البحثية أن نتطرق إلى الموضوع عن طريق مجموعة من النقاط الآتية:

أولاً: نشأة الزوايا في الجزائر.

ثانياً: أهمية الزوايا في نشر القيم.

ثالثاً: دور الزوايا في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الفرد الجزائري.

أولاً : نشأة الزوايا في الجزائر

لقد عرف تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والديني زوايا عظيمة كان لها دور عظيم في نشر الوعي الديني والثقافي، وتحرير البلاد من السيطرة الاستعمارية، كما كان لها الدور الكبير في الحفاظ على الهوية الوطنية ومقومات الشخصية الوطنية ، حيث كانت تقوم على مجموعة من المبادئ التي تعتبر في

الأساس المحددات الرئيسية التي تقوم عليها الزوايا في الجزائر، ومن أهم هذه المبادئ التي نشأت عليها نذكر ما لي:

1- الدعوة إلى الله :

إن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من أعظم وأحسن المهام والواجبات التي كلف بها الإنسان خليفة في هذه الأرض، فلا تكتمل حياة الإنسان، ولا تستقيم أحواله الفرضية والاجتماعية والحضارية إلا بالقيام بواجب الدعوة على الوجه الأمثل الذي به يبين الحق للناس.

إن الدعوة الإسلامية اليوم تضع أمام كل المسلم ومجتمع إسلامي، وأمام الأمة بأكملها مسؤولية الأداء والإنجاز، والعمل الدعوي الذي يحقق للرسالة الإسلامية عالميتها الشاملة، ويجعلها حلا نافعا لمشكلات الناس. فالدعوة اليوم مسؤولية وأمانة في عنق الفرد والجماعة والمجتمع والأمة بغض النظر عن مسألة على من تجب. ومن هنا ينبغي عدم التركيز على مسألة "على من تجب الدعوة؟"، ولكن ينبغي تحقيق الاستنفار العام في الأمة باستعمال الوسائل والمناهج المعاصرة، وكذلك نشر الدعوة عن طريق الجماعات أو المؤسسات الدعوية، ومن أهم أسس الدعوة نجد ما يلي[1]:

* نداء الحق أي الله سبحانه وتعالى: للخلق ليوحدوا الله سبحانه وتعالى: ويعبدوه.
* جلاء محاسن الإسلام وتجيب الإيمان للنفوس.
* الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.
* تعريف وتبصير وتذكير وإنذار وتبشير لما يريده سبحانه وتعالى: للناس.
* النصيحة والتصحيح – وبيان العقيدة الصحيحة.
* بلاغ الرسل وأمانة العلماء – علم وعمل.
* جهاد في سبيل الله وإعداد المسلمين للانتصار على أنفسهم وعلى أعدائهم.
* كلمة طيبة في قول رشيد، ورأى سديد وتوجيه صحيح، وعلم نافع وكتاب مفيد

وإذاعة طيبة، وكتاب مبارك مستمد من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

كل ذلك يدخل في قوله تعالى: {**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**} (سورة فاطر،الآية **10**).

[1] أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 34.

2- تبصير الناس بأمور دينهم:

وهو العمل على توضيح الأشياء التي قد تبدو مبهمة للناس من خلال عقد المحاضرات والندوات والخطب الدينية التي تتناول في طياتها أمراً من أمور المسلمين سواء كان في العقيدة أو الفقه أو في غيره، هذا الأمر الذي يؤدي بطبيعة الحال لمعرفة أعمق بالدين وبطريقة سليمة وصحيحة، بل وأنها تأتي من مصدر موثوق ألا وهو الزوايا التي أخذت على عاتقها واجب تبصير كل من يرتادها بأهمية الدين العلاقات في الإسلام و الإلحاح على واجب التعاون بين الناس في الخير[1].

3- التمسك والمحافظة على شعائر الدين الإسلامي ومعالم:

ونقصد به هو تلك المسؤولية الملقاة على كاهل الزوايا في المحافظة على الأخلاق العامة وتشجيعها، والعمل على توضيح الأفكار التي تخدم بناء الدولة الجزائرية من خلال المحافظة على مكتسبات هذه الأمة من أمن وسلام ووئام، كما أنها تعمل على إرساء قواعد المعاملة الحسنة بين فئات المجتمع وترسيخ مبدأ الإيثار بين أفراده[2].

3- الدعوة إلى الجهاد:

قد قامت الزوايا في الجزائر بدور تاريخي في دحر الاستعمار الفرنسي الغاصب، الذي أتى إلى الجزائر ليس للنزهة أو لبنائها بل كانت وجهته محددة وموجهة في نفس الوقت إستنزاف خيرات البلاد، ثم محاولة جعل الجزائر دولة تابعة لفرنسا وهو ما كان أمراً مستحيلاً وذلك لجملة من العوامل أهمها التفاف أفراد المجتمع الجزائري بالمؤسسات الدينية وفي مقدمتها الزوايا التي حاربت المستعمر بكافة الوسائل والطرق المتاحة آنذاك، أما والجزائر الآن تعيش في أمن وسلم وأمان وهذا بفضل الله ثم بفضل أولائك الرجال الذي أبوا إلا أن يضحوا بجهدهم وأموالهم وأنفسهم في سبيل حفظ الجزائر وشعبها فقد أصبحت الزوايا تؤكد وبصفة مستمرة على المحافظة على السلم الوطني والأمن الذي ننعم به الآن.

4- مراكز علمية:

لا يخفى على أحد أن الرباطات نشأت أول ما نشأت بالمشرق في مطلع الدولة العباسية، وهي عبارة عن ثكنات عسكرية وأمكنة لتجميع الجيوش للدفاع عن الدولة ودفع المغيرين والهاجمين عليها من النصارى، كأربطة العباسيين بثغور الشام، فإن الرباط الجزائري كان أكثر نفعا وأبعد أثرا، إذ أن مهمته لا

---

[1] حسن عبد الرحمان، السلوادي، عبد الحميد بن باديس مفسراً، المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر، 1984، ص 75.

[2] عبد الرحمان، الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة بيروت، 1980، ص 68.

تقتصر على الدفاع فقط، بل يزيد على ذلك بأنه معهد علمي تدرس به سائر العلوم وخاصة الدينية، وهو مكتبة جامعة تضم نفائس الكتب والمخطوطات، وهو مستشفى لعلاج المرضى، ومأوى يضم الفقراء والمساكين ومن لا ملجأ لهم .

ولم تعرف الجزائر الزوايا إلا بعد القرن الخامس الهجري، ومع مرور الزمن تطور أمر الزاوية وزادت أهميتها، وخاصة خلال القرن العاشر الهجري، بعد سقوط الأندلس، وامتداد الأطماع الأوربية إلى السواحل الجزائرية[1].

ما القصد من مصطلح الزاوية؟

تعريفها :

أ . **لغة** :كلمة زاوية مشتقة من الفعل انزوى، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبّد. كما يطلق على الزوايا لفظ: الخوانق، وهي جمع خانكاه. كلمة فارسيّة تعني بيت، وأصلها خانقاه، وهي الموضع الذي يأكل فيه الملك.

ولفظ زاوية مشتق من زوى، ويقصد به: زوى، زُويا، زيا الشيء، أي جمع الشيء وقبضه، كما تعني الركن. ولما تكلم مؤلف "قوت القلوب" على أقسام العلماء ذكر منهم الخاصة وهو "العالم بعلم التوحيد والمعرفة وهؤلاء أهل الزوايا وهم المنفردون ."

ويقول الشيخ السنوسي " :إن كلمة الزاوية دال على معناها، وهي من زوى، يزوي إذا جمع الشيء ." وبالتالي فالزاوية جامعة، لكونها تجمع العباد على حب الله ورسوله، وذكره تعالى، وكانت العرب تقول ": تزاوى القوم" ، أي تضامنوا، وتحلقوا في بقعة لغرض ما من أغراض الحياة.

وكما هو معروف أن أهل الزاوية يتحلقون، ويجتمعون ذاكرين الله تعالى، ومنه فاللفظ مشتقّ من الفعل انـــــــــــــــــــزوى[2] .

ب . اصطلاحا :

لعل أقدم تعريف لها هو ما ورد عن ابن مرزوق الخطيب في كتابه (المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن) في قوله " : هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين." ثم ذكر أن الزاوية هي ما يعرف في المشرق بالرباط.

---

[1] عبد الحميد، زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1900)، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 103.

[2] أبو القاسم، سعد الله، مرجع سابق، ص 89.

على أننا في دائرة المعارف الإسلامية نجد لها تعريفا شاملا "يطلق هذا اللفظ في شمال إفريقيا على مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني: غرفة للصلاة، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة قصرت على تلاوة القرآن، مدرسة لتحفيظ القرآن، غرفة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، وغرف للطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا بها[1].

ويمكن تعريفها أيضا بأنها مدرسة دينية، ودار لضيافة الأغراب، وتعتبر مراكز لمشائخ الطرق الصوفيّة، مخصّصة للعلم، والثقافة العربيّة الإسلاميّة في مراحل الدراسة.

ويظهر أن مصطلح" زاوية "لم يتحدد معناه إلا بعد عصر الغبريني الذي كان من الأوائل الذين ذكروا مصطلح زاوية في كتاباتهم، ففي ترجمته للشيخ أبي زكريا الزواوي نجد ما يلي ..." :ثم دخل زاويته دون أن يختم مجلسه بالدعاء المعهود عنه"، وفي مقام آخر ذكر الرابطة ففي ترجمة ابن يبكى وصفه بـ "صاحب الرابطة المعروفة الآن رابطة بن يبكى بداخل باب أمسيون من أعلى سند بجاية ."

وقد نشأت الزاوية تحت ظروف بيئية واجتماعية ودينية معينة، وعرفت تطورها الكامل في القرن 14م أثناء الفترة المرينية وحكم بني عبد الوادي، الذين أخذت الزوايا في عهديهما شكلها الأخير وإطارها المحدد المعروف[2] .

اشتهر الكثير من سلاطين الدولة الزيانية ببناء الزوايا والتحبيس عليها، مثلما جاء في مناقب السلطان أبي فارس عبد العزيز والسلطان أبي عمرو بن عثمان. وقد حرص الكثير من سلاطين بني مرين على بناء الزوايا والاهتمام بها، مثلما هو الحال بالنسبة للسلطان يعقوب بن عبد الحق " :وبنى الزوايا في الفلوات وأوقف لها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات .."..

واستمرت عمليات بناء الزوايا والتحبيس عليها مع كل سلاطين بني مرين تقريبا، مثلما قام به السلطان أبو عنان" :ومن تلك الأحباس ما عيّن برسم المدارس والزوايا والمارستانات المعدة للرفق بأهل البلايا ."ومن حيث المعمار جمعت الزاوية بين تقليد الرباط وبين الروح الجديدة التي أشاعها التصوف، وهي تمثل أكمل تطور اجتماعي مرت به الحركة الصوفية في المغرب العربي، فمنذ القرن السابع الهجري بدأت تتكون الجماعات الصوفية في بلاد المغرب الأوسط، . وكان التصوف قبل هذا

[1] بن شهرة، المهدي، الطرق الصوفية في الجزائر السنية، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 111.

[2] صلاح مؤيد، العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشأتها، دار البراق، بيروت، 2002، ص 55.

يقتصر على الأفراد، وهذا ما نستنتجه من خلال انتشار الزوايا ، وبدأ تطورها التدريجي: فمن ركن أو مسجد صغير مخصص للعبادة والصلاة والذكر، إلى مكان لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج إلى مؤسسة فريدة قائمة تؤدي عدة مهام وأدوار في أوساط المجتمع[1].

واستقر مفهوم الزاوية فيما بعد على المكان الذي يلتقي فيه المتعبدون الراغبون في الحياة بمعزل عن العالم، لكنها احتفظت إلى جنب ذلك بالوظائف التي مارستها في بداية نشأتها، كمكان يستقبل عابري السبيل وطلبة العلم. وتؤدي وظائف مختلفة[2] .

ثانياً : أهمية الزوايا في نشر القيم :

تتمثل أهمية المؤسسة الدينية في حياة الفرد تربية الفرد تربية روحية وأخلاقية: وذلك عند دخول الفرد إلى هذه المؤسسة سيشعر بالخشوع والطمأنينة فذلك سيربيه تربية روحية لا يشعرها الأفراد الذين لا يدخلونها ، أمّا أخلاقياً فإنّه عند دخول الفرد المسلم إلى الزاوية سيتجرد مما يملكه في حياته بل سيكون بين يدي الخالق، لأن هذا المكان مكان عبادة وتقرب إلى الله عزل وجل ومكان تقام فيه الصلوات الخمس ومثله مثل المساجد أو المدارس القرآنية، ونجد أيضاً تربية الفرد على التزام واحترام المواعيد: فإنّ الفرد المقيم في الزاوية يجب عليه إتباع النظام الداخلي – الذي يختلف إختلافاً طفيفاً بين مختلف الزوايا الجزائرية – إذا التزم بإقامته لصلواته الخمسة في الزاوية وذلك يجعله ملتزماً في أمور حياته الأخرى، والعمل على تربية الفرد على النظافة والطهارة: فيستحب أن يكون الفرد متعطراً، ورائحة فمه زكية، وثيابه نظيفة، ممّا لها من آثار ايجابية على صحة الفرد نفسه، وصحة المجتمع بأكمله، وتتمثل أهمية الزاوية في حياة المجتمع في تربية المجتمع على أساس الوحدة وعدم التفريق بينهم، فالزاوية للجميع فلا يفرق فيها بين أبيض وأسمر، وبين غني وفقير، وبين متعلم وغير متعلم، وهي تجعل أفراد المجتمع كلهم سواسية لا يتعدى فرد على حق فرد آخر، العمل على تربية المجتمع على الشورى، وهي مكان للتشاور في الأمور الدينية وإعطاء الرأي الأصح، فذلك يجعل المجتمع متشاوراً ومتقارباً في ما بين أفراده. المساهمة في القضاء على الفقر، ففيها سيتعرف الغني على الفقير ويقدم له المساعدة المادية، أو عن طريق صناديق

---

[1] أبو القاسم، سعد الله، مرجع سابق، ص 96.

[2] عمار، هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1962)، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 128.

خاصة حيث يقوم القائمون على الزاوية بتوزيع الأموال حسب مستحقيها للمساهمة تحقيق نوع من أنواع الرضا الاجتماعي بين أفراد المجتمع[1] .

ويمكننا أن نلخص أهمية الزوايا في المحافظة على القيم والتقاليد الجزائرية كما يلي:

أ- الأهمية الدينية والعلمية:

تباينت الآراء حول مؤسسة الزاوية وتشعبت البحوث حول تحديد مفهوم يمكن الاتفاق عليه لتعريفها أو تاريخ محدد لنشأتها إلا أن هذا الاختلاف يتلاشى في مسألة الوظائف التي مارستها ولا تزال تمارسها ، فلا خلاف في أن الزاوية أولا مؤسسة دينية تمارس فيها العبادات من صلاة وتلاوة القرآن والأذكار ومن اعتكاف ومدارسة للعلوم، فهنالك تلازم عميق وترابط وثيق بين الزاوية ووظيفتها الدينية والعلمية، إذ تنطلق من تربية روحية ومعرفية في آن واحد وتستهدف في المريد أن يقوي إيمانه بالله تعالى ويتعلم شرع الله ، فالزاوية لم تفصل بين رسالتها الدينية ومهمتها العلمية ، بل جعلت من المهتمين معا صورة واحدة للإسلام الصحيح الذي لا يقبل التجزيء أو الفصل بين الإيمان والعلم والعمل [2].

1- تحفيظ القرآن الكريم والقراءات :

أجمع شيوخ الزوايا على تحفيظ القرآن الكريم لمن يرتاد زواياهم من أطفال ومريدين وطلبة، إذا كان الأطفال يبدؤون في سن مبكر بحفظ الحروف الهجائية يحفظون فاتحة الكتاب فسورة الناس، فسورة الفلق، ولا يزالون يوالون حفظ سور القرآن الكريم.

كما تمثلت عناية الزوايا بالقرآن الكريم في دراسة القراءات القرآنية وتعليم الرسم القرآني، كذا يحفظ المريد والطالب القرآن كتابة، رسما وضبطا ويحفظ القراءات وقواعد التجويد، ثم يشرع في دراسة تفسير معاني القرآن الكريم، مستعينا في ذلك بما يحفظه من متون كالأجرومية والألفية، كما يدرس أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها من علوم القرآن[3].

---

[1] تركي، رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية،دراسة تربوية للشخصية الجزائرية(1931-1956)، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981، ص 121.

[2] أحمد، الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان العربي خلال القرن 19، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، ص 45.

[3] تركي، رابح، مرجع سابق، ص 75.

2- تحفيظ الحديث:

بعد أن يختم المريد القرآن الكريم ختما يشرع في حفظ الحديث النبوي حيث يبدأ بحفظ الأربعين النووية أولا، وبعد استظهارها ينتقل إلى حفظ غيرها من الأحاديث من موطأ الإمام مالك ومن صحيح البخاري ومسلم، ومن كتاب الشفا للقاضي عياض، وتتنوع مواضيع هذه الأحاديث من أحاديث العقيدة وأحاديث العبادات وأحاديث الأحكام والأخلاق والسلوك... [1].

3- تدريس الفقه وأصوله:

تقوم مؤسسة الزوايا بالمغرب بتدريس الفقه المالكي ويتم التدرج بالمريد والطالب في دراسة المسائل الفقهية من خلال الموطأ وشروحه والبيان والتحصيل والمقدمات وغيرها من الأمهات ، وفي العصور المتأخرة وضعت منظومات تسير للمريد معرفة أحكام الفقه المالكي في إيجاز واختصار، أصبحت تحفظ وتستظهر عن ظهر قلب منها المرشد المعين، ومنظومة العاصمية وغيرها[2].

4- المكتبات:

قامت الزوايا بدور مهم في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية وغيرها، ولعل من أبرز الشواهد على ذلك هو المستوى الثقافي ما خلفته هذه الزوايا في مختلف العصور من مكتبات زاخرة بتراث نفيس، وناذرا ما نجد مثيله في المكتبات العالمية.

كما إن حجم هذه المكتبات وقيمة محتوياتها تختلف من زاوية إلى أخرى، وتتفاوت بين الزاوية الأم والزاوية الفرعية ولكن الشيء الملاحظ هو أن الزاوية مهما كان حجمها أو مكانتها، لا تكاد تخلو من خزانة للكتب ،وهذا وإن دل على شيء ، فإنما يدل على ارتباط الممارسة الصوفية بالعلوم الشرعية ارتباطا وثيقا [3].

من خلال هذه الأدوار جميعا لعبت الزوايا في تاريخ المجتمع الجزائري أدوارا ثقافية وتأطيرية وسياسية اختلف عمقها باختلاف الظروف المعطيات.

وهكذا خلفت الزوايا تراثا هائلا كما أنهم ساهموا في نقل الثقافة المشرقية إلى المغرب العربي، من خلال ما حملوه من مؤلفات أثناء رحلاتهم الصوفية، وما تعلموه من علوم بثوها في مؤلفاتهم أو درسوها لتلامذتهم ومريديهم.

---

[1] عمار، هلال، مرجع سابق، ص 98.

[2] تركي، رابح، مرجع سابق، ص 77.

[3] تركي، رابح، مرجع سابق، ص 79.

ب-الأهمية الاجتماعية للزوايا:

كانت الزاوية لا تزال تقوم بوظائف سامية في المجتمع الجزائري خاصة وفي العالم الإسلامي عامة، وهاته الوظائف لم تقتصر على المجال التعبدي والعلمي كما سبق الإشارة إليه بل تعدت ذلك إلى المجال الاجتماعي.

اشتهرت الزاوية بإسهامها الكبير في التكافل الاجتماعي بمختلف أنواعه ونورد هنا بعض مظاهره كالمساعدة على الإيواء وإطعام الطعام وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد اللطيف الشاذلي موضحا دور الزاوية في هذا المجال :" تمثل عمليات الإيواء والإطعام عنصرا أساسيا في الجهاز الصوفي ونخرج من قراءة نص التشوف بانطباع واضح قوامه أن حركة الصلحاء بشكل كبير وبأعداد كثيرة ومظاهر تلك الحركة متنوعة كانتقال القروي إلى المدينة أو انتقال الحضري من مدينة إلى مدينة فلو لم يكن الأمن فيه قائما ولا الاستقرار دائما ما كانت لتتم البنية الاستقبالية التي تهيء نظام الإيواء والإطعام المرتبط بجهاز التصوف وهو نظام تطوعي تكافلي مبني على التعامل بالمثل بكيفية توفر لكل مسافر من الصوفية إمكانية الاستفادة من بنية استقبال في أي مكان ذهب إليه[1].

ولا شك أن هذه الوظيفة كانت تجتذب عددا من الناس وتصور ما تقول الرواية التالية:" فقد تساءل بعض الطلبة بفاس عن كيفية قضاء ليلتهم فقال بعضهم هل لكم في المبيت معهم (المريدين) فتتفرج في حضرتهم أي السماع وتشبع من الكسكسو"[2] ، فكان هذا الجانب النفعي عنصر جاذبية لاشك فيه.

كذلك كان للصوفي دور بارز في التصدق على المحتاجين وبتفريق ما يحتاجه الفقراء من المأكل والمشرب، أما في الوقت الحاضر فتطور دور الزاوية من الناحية الاجتماعية فلم يقتصر على إطعام الطعام وإيواء المحتاجين، بل تعدت إلى توفير كل ما يحتاجه الفرد الفقير من لوازم مدرسية عند الدخول المدرسي وتقديم دروس التقوية والدعم إضافة إلى إلقاء دروس توعية في المجال الديني والاجتماعي.

استطاعت هذه المؤسسة أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد وعمل رجالها على إرجاع الضالين إلى سواء السبيل وتعليم الناشئين وبثّ العلم في صدور الرجال ولو لا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي تقف أمامها موقف المعترف المعجب في بلادنا أثرا للغة العربية و لعلوم الدين وهؤلاء المجاهدين الأفذاذ

---

[1] بن شهرة، المهدي، مرجع سابق، ص 101.

[2] عبد الرحمان، الجيلالي، مرجع سابق، ص 133.

كانوا على الطريق وجها لوجه مع الثائرين الأولين بالروح الإيمانية التي طبقت حياة رمز الثورة، ولكن النفوس الكبيرة التي تؤمن بالله إيمانا عميقا، وتناضل من أجل تحرير الوطن، فهؤلاء هم الذين ارتقوا إلى المستوى فوق الخوف والموت فوق الشك والتردد، وتعمقوا في فهم الحياة وأدركوا قيمة الكرامة ومثلوا الجزائر في أصالتها وعظمة أمجادها[1].

ج- الأهمية السياسية:

1- الجهاد:

فالزاوية إلى جانب كونها عبارة عن مدارس تربوية وأخلاقية وتثقيفية فقد كانت بمثابة حصون عسكرية تعمل على التسلح من اجل الجهاد في سبيل الله من الناحية العسكرية وكذلك تسليح المجاهد من الناحية النفسية بتصحيح حقيقة الإيمان وتقوية اليقين في الله تعالى ،وتطهير النفس من التعلق بهاته الدار الفانية لأن المسلم المرابط إذا لم يكن قوي اليقين في الله تعالى لا تتوفر لديه القوة المعنوية التي هي الركن الأساسي لتكوين الجندي المجاهد الشجاع فالمؤمن المسلم المرابط بالزاوية تتكون لديه القناعة الكاملة بما وعد الله به المجاهدين.

ففي جهاد النفس والصبر على نزواتها وشهواتها قال تعالى : **{ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}** (سورة العنكبوت، الآية 69) ومعلوم أن جهاد النفس أشد جهاد وأصعبه وأدومه وهو جهاد الليل والنهار وفي العسر واليسر، وفي الضيق والسعة وفي العقيدة والعبادة والمعاملة وفي العزلة عن الناس والاجتماع بهم وهو جهاد بالفكر والذكر والصوم والصبر وكل أسباب التقوية الروحية ،وهو جهاد يستدعي أن يكون الإنسان يقظا واعيا "فالصوفي الحقيقي هو الذي يهتم بتصفية نفسه، وتزكيتها ومجاهدتها للانتقال من النفس الأمارة إلى اللوامة المطمئنة فالراضية فالمرضية[2].

وهذه المجاهدة النفسية هي التي لا تزال الزاوية تقوم بوظيفتها أما الجهاد العسكري فقد تقلص دوره وانعدم بخروج المستعمر واستقرار الدولة سياسيا وعسكريا تحت ظل الدين والقانون.

2- الصلح والتحكيم :

إن من أهم الوظائف الزاوية قيامها بدور التحكيم للفصل في مشاكل الأفراد والجماعات المحيطة بها، نظرا لما يرمز إليه شيخ الزاوية من تجسيد للحقيقة والحق والعدالة الدنيوية والأخروية.

---

[1] أبو القاسم، سعد الله، مرجع سابق، ص 122.

[2] نفس المرجع، ص 109.

ويتدرج عمل شيخ الزاوية في هذا المجال من التوسط لتحقيق الصلح بين الأفراد إلى دور التوسط بين القبائل لحل مشاكلهم مع بعضهم البعض أو بين بعضهم مع ممثلي السلطة.

بل وفي بعض الحالات يتدخل شيخ الزاوية لتحقيق الصلح بين المتنازعين على السلطة فهو بذلك بشكل عامل استقرار وأمن لأنه يطفئ نار الفتن والحروب الأهلية ويحقن الدماء ويؤلف بين القلوب المتنافرة والاتجاهات المتصارعة "[1].

ثالثاً: دور الزوايا في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الفرد الجزائري:

يتمحور دور الزوايا في الجزائر في الجانب الروحي البحت والجانب العلمي، من خلال تحفيظ القرآن والفقه والسنة الشريفة وفي مبادئ اللّغة العربية ضمن نظام داخلي لكل زاوية، إلى جانب العمل على توعية المواطنين بأمور دينهم ودنياهم، وهي أيضا أماكن للتجمّعات وإحياء المناسبات الدينية وكذا الوطنية، وترتبط الزوايا حديثا بالطرق الصوفية التي تصل وحدها في الجزائر إلى أكثر من ثلاثين طريقة، أهمها الرحمانية، التيجانية، القادرية، العلوية وبدرجة أقل السنوسية، وهذه الطرق تفرّعت منها طرق ومدارس أخرى وزوايا متعدّدة عبر أنحاء العالم في أسيا وأوروبا وإفريقيا وحتى بأمريكا. [2]

وعلى سبيل المثال لا الحصر لا يزال سكان القبائل متمسكين بالزوايا، حيث كان يوجد في منطقة القبائل ككل أكثر من 60 زاوية قبل الاستقلال، وقد قام الاستعمار بهدم بعضها، بعد أن حاول أن ينشئ بجانب كل زاوية كنيسة، ولعبت الزوايا بالجزائر أكثر من دور في الوقت الحالي، ويعود هذا لاختلافها من منطقة إلى أخرى؛ فالزوايا بالغرب الجزائري ليس هي نفسها الزوايا التي تجدها في مناطق الصحراء خاصة ولاية أدرار المعروفة بالانتشار الكبير لها، وتؤدي زوايا الغرب الجزائري وبمنطقة القبائل دورًا علميا بحتا بتدريس القرآن الكريم ومختلف العلوم الشرعية وتكوين الأئمة والإطارات الدينية للمجتمع الجزائري [3].

وقد لعبت الزوايا في الجزائر ولا تزال، تلعب دورا اجتماعيا متميزا ورائدا في مجال الحفاظ على الهوية الوطنية ومقومات الشعب الجزائري، ناهيك عن مساهماتها في غرس أواصر الترابط بين أفراد المجتمع، إلى جانب المؤسسات المسجدية، يكفيها فخرا بأنها وقفت في وجه المستدمر الذي حاول مسخ هوية المجتمع الجزائري، كما ساهمت في تجنيد الأحرار لمقاومته، ونشير في هذا الصدد إلى وجود فئة من أفراد المجتمع بمجرد أن تُذكَر أمامه كلمة "زاوية"، تتبادر إلى ذهنه الأمور البدعية والتصرفات

---

[1] صلاح مؤيد، العقبي، مرجع سابق، ص 105.

[2] عمار، هلال، مرجع سابق، ص 111.

[3] صلاح مؤيد، العقبي، مرجع سابق، ص 123

المرتبطة بطقوس السحر والشعوذة وإقامة الزردات والولائم، إلا أن واقع هذه الأخيرة شيء آخر، حيث تتمثل أهم الأدوار التي تقوم بها الزاوية في الجزائر من أجل الحفاظ على الهوية الجزائرية الإسلامية ما لي :

1- دور الزاوية في غرس التعاليم الدينية والاهتمام بالجانب العلمي

أن الزوايا في الجزائر لها عملان اثنان؛ الأول عمل روحي بحت يتمثل في إعطاء الأوراد والأذكار وتزكية النفوس وتطهير القلوب بذكر الله، أما العامل الثاني فيتمثل في المجال العلمي، من خلال حفظ القرآن والتفقه في الدين وإعطاء الدروس في الفقه وفي السنة الشريفة وفي مبادئ اللغة العربية ضمن النظام الداخلي، مضيفا بأن الطلبة يحفظون القرآن الكريم على الطريقة التقليدية والزوايا تساهم بشكل كبير في توجيه مرتديها من الطلبة إلى الإمامة عن طريق إخضاعهم لامتحان من قبل مديريات الشؤون الدينية والأوقاف، حتى يتسنى لهم مزاولة تكوينهم في معاهد تكوين الأئمة، مشيرا إلى أن الزوايا في الجزائر حافظت على الهوية الوطنية من لغة ودين، والحمد لله، الدولة توليها في الفترة الأخيرة عناية كبيرة لأنها تمثل المرجعية الدينية في الجزائر. وحول نظرة الناس اليوم إلى حقيقية الزوايا، قال الشيخ عاشور بأن ذلك يعود إلى مشكلتين أساسيتين؛ الأولى قد يكون القائم على الزوايا ليس مؤهلا علميا أو ثقافيا، والثانية عزوف الناس عنها بسبب عدم مواكبة بعض تلك الزوايا للتطور التكنولوجي الحاصل في مجال التعليم والتربية[1].

2- دور ريادي للزاوية في مرحلة البناء والتشييد

وقفت الزاوية وقفة الرجل الواحد مع كافة أبناء الشعب الجزائري ومؤسساته ولم تتخلف الزوايا عن أداء دورها الهام في توحيد وتعليم المجتمع الجزائري بعد الاستقلال وظلت تؤدي أدوارا مختلفة من تعليم القرآن الكريم واللغة العربية وعلوم الدين، إلى جانب الحفاظ على قيم المجتمع الجزائري وتقاليده وتماسك أبنائه، وهو ما يؤكد عراقة الزوايا الجزائرية وقوتها في المجتمع، وأهمية الدور الذي تؤديه جعلها تقدم أعمالا جليلة حتى بعد الاستقلال لتعرف الجزائر نمطين من التعليم، التعليم المعاصر الذي له مدارسه وثانوياته وجامعاته والتعليم التقليدي الذي تجسده الزوايا والكتاتيب القرآنية [2].

---

[1] بن شهرة، المهدي، مرجع سابق، ص 99.

[2] أحمد، الأزمي، مرجع سابق، ص 45.

3- وفاء للزوايا وترسيخ مكانتها

وبعد أن حققت الجزائر الاستقلال ظلت وفية للزاوية التي ساهمت بشكل واضح وكبير فيه فأعادت الدولة الجزائرية للزاوية شأنها، حيث تم تجديد البعض منها وإعادة بناء ما هدمه الاستعمار، وظلت الزوايا متماسكة تؤدي دورها بثبات عبر كل المراحل التي عرفتها الجزائر إبان الاستقلال وبعده، فرغم وجود الجامعات والمعاهد العلمية إلا أن التعليم داخل الزوايا ما زال موجودا ومحافظا على مكانته وأثره في المجتمع.

وينقسم عمل الزوايا الذي تقوم به الزاوية خلال الاستقلال إلى ثلاثة محاور مهمة، الأول يتعلق بالمحافظة على القرآن الكريم والمتون والتعليم التقليدي، أما الثاني فيتعلق بالمحافظة على الثقافة الوطنية من خلال مظاهر التعامل واللباس والمأكل والضيافة والإكرام. بينما يتمثل المحور الآخر الذي لا يقل أهمية عن سابقيه في إبراز وسطية واعتدال الدين الإسلامي، وبذلك أعطت الجزائر صورة للعالم المعاصر كله عن اعتدال الإسلام، ومدت الجزائر يدها بعد الاستقلال من خلال الزوايا إلى الضفة الأخرى للحوار والوئام والسلام، وبقيت الزوايا رائدة وأسست لها تنظيماتها الخاصة وما زالت تؤدي هذه الرسالة وظهر ذلك جليا في معاملاتها وفي محافظتها على الهوية الجزائري[1].

وبقي دور الزاوية الذي لعبته قبل أكثر من 55 سنة في لم شمل الجزائريين ودفعهم نحو الجهاد وإخراج المستعمر، وكانت سندا قويا للثوار وأنجبت العلماء، وتمكنت خلال الاستقلال من إسماع صوتها وساهمت في المحافظة على وحدة المجتمع ومكاسب ثورته المجيدة، وهو ما يوضحه بجلاء مشاركتها في الكثير من القضايا المصيرية لمجتمعنا وخاصة في الوقت الذي تعيش فيه بعض البلدان العربية ما سمي بالربيع العربي، حيث ساهمت في توحيد رؤية المجتمع نحو هذه القضايا وتوحيد صفه وحفظ الوطن وصون كرامته.

كما ساهمت الزوايا، في دعوة المواطنين إلى المشاركة بفعالية في الأمور المصيرية التي تتعلق بالأمة وزادت من تعلقهم بقضاياهم الوطنية التي تصون وحدتهم وتلم شملهم [2].

---

[1] أبو القاسم، سعد الله، مرجع سابق، ص 134.

[2] عمار، هلال، مرجع سابق، ص 89.

4-دور الزاوية في نشر العلم وتعليمه:

لقد بلغت الزاويا في الجزائر شهرة لا بأس بها ويتوافد عليها طلاب العلم من كل أنحاء الوطن، وحقّقت نتائج إيجابية، بالدور الذي اضطلع عليه رجالاتها وما قدموه من جهود علمية وتربوية خدمة للوطن،

ولا يـــزال دورهـــا فعـــالا فـــي الحفـــاظ علـــى مقومـــات ووحـــدة الأمـــة الدينيـــة والوطنيـــة. هذه الزوايا عبارة عن مجمعات من البيت والمنازل مختلفة الأشكال، تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم، وأخرى لنيل المعرفة بأصول الدين وغيرها من الأقسام المتنوعة [1].

كان التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830، منتشرا انتشارا كبيرا يعتمد على الكتاتيب القرآنية والمساجد والزوايا، وكان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين مراكز تعليمية باهرة يؤطرها أساتذة متمكنون من علوم الفلسفة، الفقه، الأدب، النحو، الطب والفلك.

كما كانت المدارس الكثيرة العدد منتشرة في ربوع البلاد، وكانت هناك أكثر من 2000 مدرسة للتعليم الإبتدائي والثانوي والعالي، فكان الشباب المتعطش للعلم والمعرفة، فقد كانت أكبر المعاهد العلمية التربوية في مدن الجزائر منها تلمسان، مازونة، بجاية، قسنطينة وكانت هناك مدارس يُزاول فيها التعليم في المرحلتين: الثانوية والعالية.

أكد الواقع والأحداث عبر عقود من الزمن، فقد تزعمت في بداية الاحتلال المقاومة باسم الجهاد، فلما أدرك الاستعمار قوة تأثيرها في النفوس سعى إلى تحييدها أو ترويض شيوخها بشيء من الوسائل إلى أن تمكن من صرف بعضها عن دورها الروحي والتثقيفي [2].

وتعتبر مركز الإشعاع العلمي ومنابع الهداية، وحصونا منيعة تحفظ هوية الأمة من جميع أشكال البدع والدمار [3].

وتضع الزوايا في الجزائر أولى رسائلها منذ نشأتها هو حماية الأمة من كل أنواع الطمس، وذلك من خلال قراءة القرآن وتعليمه، أين يحضى معلمه ومتعلمه الخير والإرشاد وفقا للكتاب والسنة، والوقوف أمام الزحف التنصيري – التبشيري – من خلال نشر تعاليم الإسلام وفضّ النزاعات القائمة بين الناس بطرق ودية وفقا لأحكام الشريعة.

---

[1] عبد الحميد، زوزو، مرجع سابق، ص 99.

[2] تركي، رابح، مرجع سابق، ص 144.

[3] أبو القاسم، سعد الله، مرجع سابق، ص 156.

رابعاً: آليات غرس روح المواطنة

إن للمواطنة أثر بالغ في نفسية الفرد الجزائري من حيث خلق اهتمام واضح بما يدور حوله، وأيضاً لما له من دور فعال في المساهمة في التنمية المستدامة، ومن بين أهم الأسس التي يجب أن تبنى عليها المواطنة نجد ما يلي[1] :

أولا: إن المواطنة الحقيقية ليست مجرد التلويح بالعلم الجزائري، وأنها ليست في الغالب فقط عن تأمين حدودنا، ووضع الجدران والحفاظ علي الآخرين، إنها تعنى بالتكاتف والتضامن معا لخدمة الصالح العام.

ثانيا: المواطنة الحقيقية ليست سهلة بل يتطلب ذلك الأخذ بنصيب عادل من الأعباء الموجودة على عاتق الموظفين والتجار وكل من له علاقة بالاقتصاد الوطني وذلك عن طريق المساهمة في تأدية الواجبات الضريبية التي سنها المشرع الجزائري نظير خدمة معينة أو نشاط معين .

ثالثا: إن المواطنة هي الحفاظ على ديمقراطية وتقويتها وحمايتها، وليس إغراقها بالمال الكبير وشراء السياسيين. وهذا يعني الدفاع عن الحق في التصويت وضمان سماع المزيد من الجزائريين وليس العدد القليل منهم.

رابعا: المواطنة الحقيقية تعني أن الوطنيون الحقيقيون لا يكرهون الدولة الجزائرية – بكافة أجهزتها–، بل إنهم فخورون ببلادهم ويعرفون تمام المعرفة بأن الحكومة ما هي إلا أداة لمساعدتنا في حل المشاكل معا،لذا فمن الطبيعي أن يوجد بعض الأفراد لا يوافقون على ما تقوم به السلطة السياسية، لكن السلوك غير المقبول هو عندما يلجأ هؤلاء إلا التعبير عن عدم رضاهم بالسلوك الذي يتنافى والتقاليد والأعراف والنظم التي تحكم المجتمع الجزائري .

وأخيرا، المواطنة تهتم بالسلوك الجمعي لا الدعوة إلى الفرقة أو الانقسام، فهي لا تغذي الانقسامات العنصرية أو الدينية أو العرقية، إنها مبنية على احترام متبادل بين كل الأفراد.

ولتحقيق هذه الأسس يجب علينا أن نفكر جدياً في وضع بعض الآليات التي من شأنها أن تخلق لنا فرداً مشبعاً بروح المواطنة ولديه تلك النزعة القوية حول الحفاظ على موروثه الحضاري والتاريخي من خلال المبادئ الآتية[2]:

---

[1] نفس المرجع، ص 189.

[2] تركي، رابح، مرجع سابق، ص 149.

1- استهداف الطبقة التعليمية:

حيث نقصد بها إدراج مواد علمية تُعنى بالوطن والمواطنة والفرد الصالح في المجتمع، حيث من خلال هذه المواد يتكون لدى التلميذ رؤية أولية حول المكان الذي ولد فيه والمجتمع الذي يتعايش معه، ومن المعلوم أن التلميذ لديه حب الاستكشاف والفضول الفطري فإن القائمين على مجال التربية مجبرين على وضع إستراتيجية مدروسة للنهوض بالجيل الجديد الذي يعاني من تأثيرات غربية مست جوانب حياتية كثيرة منها طريقة اللباس والكلام و الأكل ومختلف السلوكيات الأخرى.

إن التربية تلب دوراً مهما في تهيئة التلميذ إلى أن يكون خير خلف لخير سلف من حيث الحفاظ على هذا الوطن، والعمل على المساهمة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى السياسية.

2- إعطاء أولوية لمنظمات المجتمع المدني:

عندما نتحدث عن دور للمجتمع المدني في الحفاظ على الوطن، يتبادر إلى الذهن فوراً الشريك الأخر والأساسي في مسئولية الحفاظ على الوطن ألا وهو الدولة، فهذه العملية من المهام الرئيسية لهذه الأخيرة، بيد أن هذه العملية لا تنطلق من فراغ، فهي عملية ذات طابع ديناميكي ونتاج تفاعل أطراف عديدة حكومية وغير حكومية، داخلية وخارجية، وما يتضمنه ذلك من مشاورات واتصالات .

كما أنه قد شهدت الجزائر خلال العقود الثلاثة الأخيرة إحياء مصطلح المجتمع المدني من جديد، ليشير إلى مجموعة التنظيمات والجمعيات التطوعية والاختيارية القائمة فعلاً في معظم المجتمعات المعاصرة، مثل النقابات المهنية والعمالية واتحادات رجال الأعمال واتحادات الفلاحين والجمعيات المحلية وغيرها من تنظيمات.

وربما يكون من المفيد الإشارة إلى أن إحياء مفهوم المجتمع المدني بصياغته الجديدة لم يكن إلا نتاج أزمة ففي حين كان لأحداث أوروبا الشرقية الفضل في تسليط الأضواء على دور المجتمع المدني في عملية التحول الديمقراطي، فإن أزمة دولة الرفاهة في أوروبا الغربية قبل سنوات مما حدث في أوروبا الشرقية هي التي أدت إلى إحياء مفهوم المجتمع المدني من جديد.

3- مشاركة المواطنين في الحكم:

هذا يعني بأن تعطي لمواطنيها الحق المشاركة في الحكم وعن طريق الممارسة الصحيحة لجملة من المعاير والمتطلبات ،والتي تعطي الفرصة المناسبة لكل مواطن في أعطاء الرأي والتعبير عن آماله ورغباته وطموحاته في المساهمة لوضع قوانين ومشاريع بخصوص دولته التي ينتمي إليها والتي يدفع حياته لآجل انتمائه لدولته.

لكن كيف يستطيع المواطن المشاركة في الحكم، وكيف يكون مصدر في اتخاذ القرارات المصيرية لدولته ،خاصة إذا علمنا بأنه من حق المواطن ممارسة حقوقه السياسية ومن هذا المنطلق، فأنه يستطيع أن يمارس حقوقه السياسية والتي تتمثل بحق الانتخابات في السلطات المحلية والبلديات والترشيح وحقه بالعضوية في الأحزاب وتنظيم حركات وجمعيات ومحاولة في رسم القرار السياسي وكيفية اتخاذه من خلال المعطيات والمعلومات ضمن القانون التي تحدده دولته الديمقراطية .

ومن خلال تلك الحقوق السياسية والتي تعطي الدافع القوي لدى المواطن في اكتساب المعلومات والتي تمكنه في آخذ القرار المراد اتخاذه، ويعطيه الحق في الاطلاع على الجداول المقترحة من قبل الدولة، وفهمها والتي من خلالها يوضع القضايا التي يجب مناقشتها في جدولة الأعمال، ومن هذه المعايير والمعطيات والتي بدورها تشكل المنهج الديمقراطي والتي من خلالها يستطيع المواطن المشاركة في الحكم وبدون هذه الفعالية وهذه المشاركة يصبح مفهوم المواطنة شكلية لا أساس لها وغير منطقية للتطبيق.

لذا يجب أن تكون المشاركة في الحكم من خلال الفعل الديمقراطي والتي لا تعتمد على حكم الفرد أو القلة والاعتراف بدور العمل المؤسساتي، وبدور هيئة المواطنين التي تساهم في المشاركة في الحكم، مع اخذ الاعتبارات للأهلية القانونية والسن المعتمد عليه من قبل الدولة [1].

خاتمة:

مما سبق يمكننا القول بأن للمؤسسة الدينية ومن بينها الزوايا أهمية عظيمة في الإسلام؛ لما يقوم به من توعية المسلمين، واجتماعهم، وتآلفهم، وتفقد حال من يحتاج إلى إعانة، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين، وتنقي القلب من الشوائب ، وأدناس الحياة الدنيا، وقد كانت ولا تزال مأوى للضعفاء وعابري السبيل والمحتاجين على اختلاف أصنافهم وتوجهاتهم.

وينظرُ الإسلام إلى المؤسسة الدينية نظرة خاصة وهامة من حيث اعتبارها ميداناً واسعاً، ومكاناً رحباً؛ يُعْبَدُ اللَّهُ – تعالى – في أرجائه، ويطاع في سائر نواحيه وأجزائه, ولذا منحه فضائل فريدة، وميَّزَه بخصائص عديدة، باعتباره منطلق الدعوة إلى الله – عز وجل –، ومركز الإشعاع الذي تنبعث منه أحكام التشريع وأصول الفقه وأسس العقيدة، وانبعثت من ردهاته أشعة الإيمان، بدون تكلف أو تعقيد بل بالحكمة

[1] تركي، رابح، مرجع سابق، ص 175.

والموعظة الحسنة فأضافه اللَّهُ – تعالى – إليه إضافةَ تشريفٍ وتكريم فقال تعالى: **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}**(سورة الجن، الآية 18)

هذه القدسية أكسبت المؤسسة الدينية مكانة مرموقة من بين سائر الأمكنة، إلا أننا لا نكتفي عند هذه القدسية وحسب بل لابد أن يكون لهذا المكان المقدس تأثير واضح، وملموس في أوساط من حوله من المسلمين؛ ولأن الزوايا في الجزائر في وقتنا الحاضر ومع هذه الهجمة الشرسة على الدين، والبعد الواضح من المسلمين عن تعاليم ربهم نجد أن دورها قد اقتصر على أن يكون مكاناً لأداء العبادة فقط، وأكثر الزوايا لا يوجد لها تأثير ملموس أو اهتمام يذكر على من يقطن حولها من الناس ونرى أنه من واجبنا أن نوفر بعض الأسس التي تمنح مجال أكبر للممارسة مختلف الأنشطة المتعلقة بالزوايا وهي كالآتي :

أولاً: إتاحة المجال للزوايا لتؤدي دورها كما كان من سابق في عهد الاحتلال فهو المدرسة، والجامعة، وهو مكان الصلح...إلخ.

ثانياً: على الجهات المسئولة أن تعمل على تأهيل القائمين على الزوايا بإقامة الدورات التأهيلية، ودعم الأنشطة الدينية؛ كي يكون القائمين على الزوايا أصحاب وعي وفهم سليم.

ثالثاً: على الإعلام أن يعرف الجماهير بالدور الحقيقي للزوايا ومكانتها في المجتمع.

رابعاً: على الأئمة والوعاظ والقائمين على الزوايا أن يكون لهم دورهم البارز والملموس في المدينة والقرى المحيطة بهم.

قائمة المراجع :

القرآن الكريم

1- **أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.**
2- **أحمد، الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان العربي خلال القرن 19، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000.**
3- **بن شهرة، المهدي، الطرق الصوفية في الجزائر السنية، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.**
4- **تركي، رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية،دراسة تربوية للشخصية الجزائرية(1931-1956)، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981.**
5- **حسن عبد الرحمان، السلواوي، عبد الحميد بن باديس مفسراً، المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر، 1984.**
6- **صلاح مؤيد، العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشأتها، دار البراق، بيروت، 2002.**
7- **عبد الحميد، زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1900)، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.**

8- عبد الرحمان، الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة بيروت، 1980.

9- عمار، هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1962)، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

الأمثال الشعبية كموروث ثقافي في المجتمع الجزائري.

الباحثة / أم هاني سعداوي ـ جامعة علي لونيسي– البليدة – الجزائر.

ملخص المقال :

يمكن القول أن كلمة المثل الشعبي اشتملت على عدة معان أهمها: الشبه والنظير والحكمة، والقرآن الكريم بدوره احتوى على العديد من الأمثال التي تدعو الناس للهداية وإرشادهم لطريق الحق.

كما أن المثل اختلفت تعارفه وتنوعت لكن الكل يركز على أنه يمثل خلاصة وعصارة تجارب الأمم ، فهو يحتل بذلك مكانة هامة بين الأنواع الشعبية الأدبية الأخرى ، ودراسة الأمثال الشعبية هي دراسة لحياة الأفراد الاجتماعية ، وبذلك فالمثل الشعبي يعد كصورة حية للحياة الشعبية بما فيها من تيارات ظاهرة أم خفية تكشف الواقع الاجتماعي بتناقضاته وصراعاته المتواصلة .

الكلمات المفتاحية : المثل الشعبي – التراث الشعبي – العلاقات الاجتماعية – الحياة الاجتماعية – المجتمع .

Article summary:

We can say that proverb has a lat of meanings and most important ones are: resembling, parallel, wisdom and Koran that contains a lot of proverbs that call people for guidance to the night path.

The definition of proverb differs and varies but all people think that it represents the experiences and extraction of nations. Thus it occupies an important rank among the popular for other forms of proverbs .and the study of proverbs is the study of social life of people. Therefore proverb belongs to a living picture for the popular life with its flows public or se cut flows that unveil the social reality with its contradictions and continued conflicts

The key words : proverbs- social legacy – The relations – social life - society

مقدمة:

إن المثل الشعبي شكل من أشكال التعبيرية الأكثر انتشارا و تداولا بين مختلف فئات الناس ، ولا تخلو منها أمة من الأمم فهي تعكس مشاعر الشعب على اختلاف طبقاتها وانتمائها ، كما أنها تجسد أفكارها ، وعاداتها ، وتقاليدها ، وصيرورتها في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية . ومجتمعنا الجزائري كغيره من المجتمعات الإنسانية، ثري بأمثاله الشعبية هذا الإرث العظيم والضخم الذي أودع فيه المبدع الشعبي الجزائري عصارة أحاسيسه، وتصوراته، وسلوكياته إزاء العالم الذي يحيط به ،فكان بحق الشعوب ، ومرآة عاكسة لأفراحه وأحزانه.

ومن هذا المنطلق نريد في بداية الأمر التعرف على هذه المادة التراثية من مضامين، وذلك بطرح مجموعة من التعاريف التي جاءت بتناوله ومن بعد ذلك نبرز مصادر ومميزات ودور هذه المادة التراثية وأهميتها ثم التعرف على هدفها وخصائصها، وإن للأمثال الشعبية مكانة في المجتمع التي يتداولها ويرددها .

وتشير كلمة "**مثل**" في اللغة العربية إلى المثل (بكسر الميم وتسكين الثاء) وهو الشبه والنظير، والمثل (بفتح الميم والثاء) هو المثيل والجمع الأمثال، وجاء في تعريف اللغوي آخر أن أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام كقولهم "كما تدين تدان"، وقد تشترك الكثير من اللغات في لفظ مثل، بحيث أن الأصل السامي لهذه الكلمة والذي يعني كما رأينا في العربية مثل، وفي العبرية "**Masal**"، وفي الأرمية "**Matla** " ، وفي الحبشية "**Mesel** " ، وفي الأكادية "**Meslum** "، كلها تعاريف ومضامين تعني المماثلة والمشابهة بين شيئين، وبذلك يصبح مثلا سائرا، ثابتا ومتداولا، ولكن رغم ذلك فالمثل ليس تعبيرا لغويا فحسب بل يحمل في مدلولاته الكثير من الصور التعبيرية التي تلجأ إليها الشعب في التعبير الصائب عما يختلج حياتهم الاجتماعية من إرهاصات وتناقضات.

ويعرف المثل الشعبي اصطلاحا بأنه جملة من التعاريف التي تحصلنا عليها في هذا المقام متعددة ومتنوعة، بحيث نجد بأن هناك تعاريف قد أعطت الأولية أو غلبت الجانب الأدبي على الجانب الاجتماعي[1].

ونجد التعاريف التالية:

عرف المثل العالم الألماني "**فريدريك زيلر**" " بأن المثل هو عبارات متداولة بين الناس تتصف بالتكامل ويغلب عليها الطابع التعليمي وتبدو في شكل ففي أكثر اتفاقا من أسلوب الحديث العادي".

ويعرف العالم "**سوكولوف**" الذي يرى أن المثل" جملة قصيرة صورها شائعة، تجري سهلة في لغة كل يوم، أسلوبها مجازي، وتسود مقاطعها الموسيقى اللفظية"[2].

وكذلك يعرفه العلماء العرب القدامى الذين يرون أن المثل هو" نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى، ولطيف التشبيه، وجودة الكناية".

وأيضا هناك من يزيد على ذلك بالقول أن المثل الشعبي هو " جملة موجزة شائعة بين الناس"[1].

---

[1]– فتيحة بن فرحات ، الأمثال الشعبية الجزائرية – دراسة سوسيوثقافية ، دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، الجزائر ، 2014، ص ص 7-8.

[2]– أحمد بن نعمان ، نفسية الشعب الجزائري ، دار الامة للطباعة والترجمة والنشر و لتوزيع ، ط2 ، الجزائر ، 1997 ، ص90

و يترتب للأمثال الشعبية مصادر هي كالتالي:

من الأمثال الشعبية ما تفرزه " حادثة " أو " حكاية " حيث تلخص خبرة حياتية أو موقف في عبارة أو تعليق موجز، و قد وجد المثل سبيله إلى البلاغة العربية فيما عرف باسم الاستعارة التمثيلية،

حيث يوحي بإجراء تشبيه بين حالتين : الحالة الراهنة التي يستعير فيه القول المتمثل به ، والحالة التي صدر عنها ذلك القول، ويكون المثل إشارة موحية تتكئ على خبرة حياتية سابقة، وباستعراض هذا المجال في المثل الشعبي نرى أنه يستمد من عدد من مصادر :

- ما أستمد من حكاية أو نكتة شعبية .
- ما أقتبس عن الفصحى بنصه، أو بشيء من التغيير الطفيف.
- ما أستمد من كتب التراث .
- المستمد من الأغاني الشعبية .
- هو خلاصة تجارب و ممارسات عديدة كانت تلجأ إليها بعض الشعوب .
- أمثال تحمل توصيف دقيق لأعماق النفس البشرية، أو التجربة الإنسانية العامة[2].
- أمثال مستمدة من خلال التعامل مع شعوب و ثقافات أخرى، و منها كتب الديانات الثلاثة.
- مستمد مما يلحق بالأمثال تعابير ، أعجب الناس بجماليتها أو بالصورة الكاريكاتيرية الساخرة .
- وهناك أمثال تحمل بصمات معتقدات قديمة جدا، مما يشير إلى قدم هذا التراث الذي وصلنا[3]

تعد الأمثال أداة منتشرة بين فئات شعبية بسيطة التفكير، فهي تعتبر حكمة الشعب، وفلسفته أو حكمة الأجيال السابقة والمثل الشعبي يمثل للتجربة اليومية البسيطة، مصدره الشعب وتجربة الحياة اليومية البسيطة التي يعيشونها ، ومن ثمة فالمثل يصلح لزمان ومكان معينين، وليس دائما صالح لكل زمان ومكان، وهو من إنتاج فردي لأنه من صنع شخصية مفردة تنتمي إلى عامة الشعب، فإذا مس هذا الابتكار الفردي حس المستمعين وأثر على عاطفتهم وتفكيرهم، وكان في إطار ثقافتهم وديانتهم أدى ذلك إلى استحسانهم له وبالتالي انتشاره بينهم، فالمثل هو ملك للشعب وليس ملكا للفرد .

---

[1]- أحمد بن نعمان ، مرجع سابق ، ص90.

[2]- غادة محمد سعيد ، الأمثال الشعبية ، ص ص 4-5.

[3]- غادة محمد سعيد ، مرجع سابق ، ص ص 4-5.

وانطلاقا من هذا فالمثل هو مرآة الأمة، ونقلا عن " **جلا وجي** " قال عبد الرحمان التكريتي : " أمثال كل أمة خلاصة تجاربها ومستودع خبراتها، ومثار حكمتها، ومرجع عادتها، وسجل وقائعها، وترجمة أحوالها، ومصدر ثرائها، ومتنفس أحزانها، فهي مرآة الأمة تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح " ، ومن الواضح أن الشيء الذي رسخ المثل الشعبي، وضمن بقاءه وانتشاره وتداوله هو صدوره من قبل فئات اجتماعية بسيطة لا تتمتع بقدر من المعرفة، فالمجتمع هو الذي يحافظ على المثل من النسيان والاندثار[1] .

وبهذا فإن الأمثال الشعبية تعتبر كوصفات اجتماعية جاهزة، تعالج مواقف الحياة الاجتماعية، في صيغ مختصرة، معبرة عن التجربة المشابهة للموقف الذي يسايرها، و بما أنها وصفات جاهزة فإن استعمالها وتداولها يساهم في الحفاظ على هذا الكيان التراثي للمجتمع الذي يتبناها.[2]

و تكمن أهمية المثل و دوره في:

تعد الأمثال الشعبية تعبيرا شعبيا يعكس الخلفية التاريخية و خبرة الإنسان من خلال ممارسة الحياة نفسها " و هي خبرة أدركها الإنسان من خلال عملية إدراكية جمعية تخرج به من إطار التجربة الذاتية إلى مجال الخبرة الجماعية التي تعبر عن فكر ووجدان جمعي " .[3]

والأمثال الشعبية هي تسجيل قولي كلامي في جمل قصيرة لبعض ما مر بالإنسان من إحداث استخلص منها مآثر ومواعظ فقل أن تجد مثلا لا يحمل معه الشرح الكاشف لمجرى أحداث القصة وما كان من أشخاصها فهي تكشف بدلالتها عن أن فعل الإنسان إذا فقد قيمه الايجابية في الحياة تحول هذا الفعل إلى انتقاص من قيمة الإنسان نفسه صاحب هذا الفعل وقد أبى الشعب أن يهمل أو ينسى هذه الأحداث فسجلها في هذه الكلمات التي يتناقلها الناس بالرواية جيلا بعد جيل و عصرا بعد عصر " مما جعل الأمثال تأخذ جانبا خاصا من ألوان القول وهي تؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على الأمور وعلى السلوك الإنساني وذلك عكس الحكمة التي تبقى كما هي كلمات ليس معها هذا التفصيل الكاشف"[4].

فالمثل أقوى تأثيرا في العلاقات الاجتماعية وألصق بحياة الناس حتى الوقت الحاضر ومرد هذه الظاهرة في رأي " **التلي بن الشيخ** " أن المثل الشعبي لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف مرحلية معينة مثل القصة الشعبية، و إنما يركز على السلوك الإنساني في ظروف وحالات متغيرة ، سواء أكان السلوك

---

[1]– جلا وجي عزالدين ، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف ، مديرية الثقافة ، دار الثقافة ، سطيف ، د ط ، د ت ، ص11.

[2]– جلا وجي عزالدين ، مرجع سابق ، ص11.

[3]– حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، الفلكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية /مصر ، 1993، ص41.

[4]– بن الشيخ التلي ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990، ص157

فرديا أم جماعيا، وارتباط المثل بالسلوك يعني الاهتمام بالفروق الفردية بين الأشخاص والجماعات والعكس واضح في القصص، والشعر معا، فالقصيدة الغزلية مثلا قد تحتفظ بتأثيرها مدة أطول من تأثير شعر الحماسة أوشعر الرثاء، لارتباط موضوع الغزل بعاطفة أقوى وأبقى بينما لا تحافظ قصيدة الحماس على نفس التأثير لهذا قيل " إن المثل الشعبي أهم من الشعر والقصة، وأقرب إلى الصدق في التعبير عن الظواهر الاجتماعية "[1]

الهدف من المثل الشعبي :

للمثل دور كبير بالإضافة إلى وظائفه التي يؤديها في حياة الفرد والمجتمع ، إلا أن مفهومه ودوره أوسع من كل هذا ولما كانت تجارب الإنسان تشغله إلى حد كبير، فإن الإنسان لا يعيش في عالمه الكبير بقدر ما يعيش في عوالمه الصغيرة أي في تجاربه وكلما عاش الإنسان في هذه التجارب وأحس بوقعها على نفسه كان أشد ميلا للتعبير عنها وعن نتائجها فقد يحدث أن يفشل في أمر ما كان يتوقع نجاحه فيه، فإذا شاء هذا الشخص أن يصف سوء مصيره و عجزه لشخص آخر يدرك موقفه تماما ، فإنه يعبر عن ذلك بكلمة " **حظ** " [2].

فالمثل هو وسيلة لنقل تجارب الفرد سواء كانت مفرحة أو محزنة فهذا التعبير عن موقفه يحيل إلى موقفين : إما إصراره على مشاركة الناس لأفراحه وهمومه وإطلاعهم عليها ، وإما بهدف أخذ الغير العبرة منها ، فالمثل هو رصد للسلوك الإنساني في حالات ومواقف متغيرة ، فهو يهتم بالعلاقات الاجتماعية المتداخلة كما أنه يستعمل طريقة الإرشاد، حيث يقوم بعرض المواقف ثم يترك الفرصة للفرد في الالتزام بذلك السلوك أو بتجاهله، ومن هذا يمكن القول بأن المثل الشعبي ينسجم تمام الانسجام مع نظرية التربية المعاصرة التي تحاول أن توافق بين استعدادات الفرد ومتطلبات البيئة الاجتماعية المعقدة، وعملية التوفيق في جوهرها تتخلص في وضع المرء أمام حقائق عليه أن يهتدي بنفسه إلى إدراك ما هو صالح، وما هو طالح فيها[3] ، فالهدف من المثل يبقى أولا وأخيرا محاولة تقويم سلوك الفرد للإنسان بتوجهيه الوجهة السليمة التي فيها الخير والسلام له ولأبناء مجتمعه وبالتالي فالمثل يحتل مكانة مرموقة بين أشكال الأدب الشعبي الأخرى ، فهو الأداة التعبيرية الأكثر تداولا بين الناس إننا نعيش جزءا من مصائرنا في عالم الأمثال ولعل هذا يفسر استعمالنا الدائم للأمثال على عكس الأنواع الشعبية الأخرى ، فالأمثال تنبع من

---

[1]– بن الشيخ التلي ، مرجع سابق، ص157.

[2]– ابراهيم نبيلة ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، 2000 ، ص177.

[3]– بن الشيخ التلي ، مرجع سابق ، ص 181.

الشعب وهدفها هو التعبير عن واقعه وعن ظروف عيش السكان وعن نسائه ورجاله ، عن مختلف المواقف الاجتماعية التي تحدث في الحياة ورغم بساطتها إلا أن لديها أهمية ومكانة متميزة تنفرد بها عن سائر أشكال التعبير الشعبي[1].

فالمثل الشعبي بما أنه نابع من عمق الشعب فهو يصور الحياة الاجتماعية ويرسي الأعراف والتقاليد ، لأنه يملي عليهم ما يأخذون ويلتزمون به وينبههم إلى ما يجب تركه والابتعاد عنه فهو يلعب دور الرقيب أو الضابط الاجتماعي، كما أن المثل يمثل عراقة الشعب وجذوره وأصوله أو هو بمثابة إرث حضاري تاريخي، يروي عبر ثناياه عن أخلاق ومبادئ هذه الأمة المستمد من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وتبدو أهمية الأمثال والحكم أنها وسيلة تربوية لأن فيها التذكير و الوعظ والحث و الزجر و تصوير المعاني [2].

فالمثل عبارة عن تكريس للخلق الحميد كونه يعبر عن طبقات الشعب خاصة منها المحرومة والمحتاجة من الفقراء والمعوزين أو ذوي العاهات ، يتحدث عن مختلف مراحل حياة الناس من الطفولة إلى الشباب إلى الشيخوخة ، كما يتحدث عن المرأة والرجل وعن حقوقهما والتزاماتهما وعن مختلف العلاقات أو المشاكل التي تنشأ بينهما ، إن مكانة وأهمية المثل الشعبي نجدها في تعريفه المعمق لبعض فئات المجتمع.

وللمثل أهمية في المجال النفسي حيث يعتبر متنفسا عن الرغبات الإنسانية ، فالإنسان يمر في حياته بلحظات أليمة فيجد نفسه محبطا أو يائسا من الحياة أو فاقدا الأمل من ناسه ومجتمعه ، فنجد الأمثال الشعبية تساعده على إيجاد الحل للحالة التي هو عليها فالشخص يلجأ إليها بطريقة غير مقصودة ، كما يقلل من توتره الناتج عن شعوره بالخيانة أو بالفشل والإحباط و**يقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب في إحدى رباعياته :**

لا تخمم في ضيق الحال شف عند الله ما وسعها

الشدة تهزم الأرذال أما الرجال لا تقطعها [3]

---

[1]– ابراهيم نبيلة ، مرجع سابق ، ص 147.

[2]- الماوردي علي ، الأمثال و الحكم ، دار الوطن ، 1999، ص20.

[3]- المجذوب عبد الرحمن ، القول المأثور ، ص8.

بمعنى كل شيء بالنسبة إلى الله سهل لا صعوبة فيه لذلك لا داعي إلى اليأس والجبن فصبر المرء يظهر في الشدائد وأن أرباب الشجاعة والمروءة والهمة يقاسون الشدائد ونوائب الزمان، لكنهم يصبرون ويتغلبون عليها بقوة إرادتهم وشدة عزيمتهم .

كما أن للمثل الشعبي تأثيرا قويا على السامع فهو يجعل الأفراد ينصاعون كما تقتضي به قوة العرف والمعتقد الشعبي فتأثيره عليهم بهذه الطريقة يبرر ما له من مكانة وأهمية في الثقافة الشعبية[1].

ونستنتج أن المثل له دور وأهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع وكما كانت الأمثال فنا من الفنون الأدبية الشعبية الحية تعلقت بكل شيء وتناولت كل شيء يتصل بالحياة فتراها تعالج الأخلاق والحكمة والتربية والتوجيه والسخرية ، والفكاهة والعبرة ، والحب والكره ، والاضطراب والاطمئنان ، والخوف والأمن والسعادة والشقاء ، والحرب والسلم ، والحياة والموت ، وكل ما يتصل بالحياة ، إذ فالأمثال عالجت كل موضوعات فقد ركزت الأمثال الشعبية بهذه الجهة على مبدأ العلاقات الاجتماعية فكان المثل فلسفة تشع أفكارا نيرة ، يسعى القائل من خلاله إلى تأسيس هرم العلاقات المتينة بين أفراد المجتمع ، وبالتالي المثل يمثل بابا مفتوحا بمصراعيه على مختلف المواقف التي يمر بها الفرد في حياته إن لها فلسفة تقوم أساسا على التجربة المعاشة.

ومن كل هذا تبرز أهمية ومكانة المثل في الحياة ، ومدى قدرته الكبيرة على التعبير عن مختلف مواقف الحياة ومعالجتها أو إيجاد حلول بديلة لها ، كل هذا يؤكد على أولويته وأسبقيته في التعبير عن أشكال الأدب الشعبي الأخرى ، وهذا ما جعل له نوعا من العصمة والخلود والرسوخ في نفوس الناس ، كما كان له أثر عليهم ، وسلطان على آرائهم حتى أنهم يلجئون إلى تداوله وترديده في مواقف مختلفة لحسم الخلاف أو إثراء حوار أو إسكان عدو أو ثرثار ....الخ [2].

خصائص و مميزات المثل الشعبي :

يمتاز المثل الشعبي كغيره من فنون الأدب الشعبي بمجموعة من الخصائص والميزات، وهي تشترك في أكثرها مع عناصر الأدب الشعبي الأخرى و هذه الخصائص هي :

- اللغة المستعملة في المثل فيما أن المثل ذات طابع شعبي ، فإن اللغة المعتمدة فيه هي لغة الحياة اليومية المستعملة والسائدة بين الشعب بمختلف فئاته ، ومن المعروف أن اللهجة العامية

[1]- مرتاض عبد المالك ، العامية الجزائرية و صلتها بالفصحى ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، د ط ، 1981، ص112.

[2]- مرتاض عبد المالك ، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ،ص11.

لا تخضع لقواعد ولا لضوابط لغوية ، وهذا ما ساعد الأمثال على سهولة التداول لأن العامية هي لغة البيت والشارع والمجتمع ولغة الأمي والمتعلم ، الغني والفقير ، أي هي لغة اللا حواجز .

- المثل الشعبي مجهول المؤلف و حتى وإن وجدنا نسبته فهي موضع شك فالأدب الشعبي عموما يتميز بالجماعية ، والشيء نفسه ينطبق على المثل ، فصاحبه الأصلي هو فرد من عامة الناس أطلق مثله ثم ذابت ذاتيته في جماعة مجتمعه ، ليبقى مثله سائرا وصاحبه مجهولا و حتى وإن تم التعرف على المرحلة الزمنية التي قيل فيها أو عن المكان الذي أنتج فيها أول مرة حسب المضمون كالأمثال التي أنتجت في الفترة الاستعمارية فالذاكرة الشعبية لا تعطي الحق لمعرفة قائل المثل الشعبي

- المثل الشعبي لا يخضع لعملية التدوين أثناء نشأته الأولى إلا بعد أن يستكمل نموه على أيدي الناس.

- المثل الشعبي صادق في تعبيره فهو ينقل حالة الفرد والجماعة بصدق ودون خوف من قوة الرئيس أو الحاكم أو المسؤول ولا من نقد النقاد والدارسين " فالمثل يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكرة في الصميم "[1].

- معظم الأمثال الشعبية تقتضي نوعا من الإيجاز بحيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير فهو مكون من أقل قدر من الألفاظ ، وأكبر قدر من الدلالة [2] ، وتتميز بجودة المعنى والاختصار والتركيز فهي أكثر ما تتسم من حيث مستواها بالإيقاع الخارجي التام أو الناقص ولكن هذا الإيقاع ثابت في الحالتين (**التام ، الناقص**) ، وثانيهما الاتصاف بالإيجاز والدقة [3] ، وقد استمدت هذه الميزة شكلها ومرونتها من اللهجة العامية لكونها منطوقة وبالتالي فهي لا تعتمد على قواعد الإعراب وتضبط كلماتها فقط بالطريقة التي تتوافق مع شكل إيقاع المثل وظروفه الاجتماعية .

- المثل الشعبي يمثل فلسفة الفرد والمجتمع في الحياة فهو خلاصة تجارب الشعب ، كما أنه يمثل مرآة لثقافة الأمة واتجاهاتها ونظرتها إلى الحياة فالأمثال تنقل لنا بصورة أمينة الحياة الاجتماعية

---

[1]- ابراهيم نبيلة ، مرجع سابق ، ص 174.

[2]- بدير حلمي ، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية /مصر ، 2002، ص 32.

[3]- مرتاض عبد المالك ، عناصر التراث الشعبي في " اللاز " دراسة في المعتقدات و الأمثال الشعبية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1987، ص 100.

للشعوب في فترات مختلفة ، كاشفة النقاب عن مكنونات الواقع الاجتماعي فهي أصدق أداة للتعبير عن حالة الفرد و الجماعة .

- بما أن المثل الشعبي هو جزء من التراث الشعبي ، لذا فهي تقتضي في سيرها وتداولها التناقل شفويا بين أفراد المجتمع وهي تبدو في المقام الأول جزءا لا يتجزأ من التراث الإنساني بوجه عام ولشعب بعينه بصفة خاصة، حيث تضم في طياتها الخبرة الطويلة، والتجربة العلمية الحسية ، والحكمة الشعبية، وآداب السلوك، وكذلك الأمثال تنقل من شفاه إلى شفاه عبر أجيال متعددة [1]، فالرواية الشفوية تعد خاصية أو ميزة أساسية لانتقال المثل الشعبي بل هو جزء من الرواية الشفوية والأدب الشعبي أيضا يدخل في هذا الجانب، أي ينتقل عن طريق الرواية الشفوية عامة، معتمدا على اللغة المنطوقة التي تعارف المجتمع على فهم رموزها ومدلولاتها ، وتعد الذاكرة الناقل الأساسي لهذا الإبداع الشفوي ، واللغة الشفوية تتميز بالمرونة والسهولة ولا تعتمد على قواعد الإعراب وهي اللغة الأم التي يتعلمها الطفل ويتلقاها من أسرته ويتعامل بها في حياته اليومية.

- الأمثال ذات طابع شعبي متصلة بالحياة الاجتماعية فهي تمتاز بألفة شعبية لأنها نابعة من أوساطه ، نمت من صميم البيئة تبناها الشعب وحافظ عليها من عوامل الزوال والاندثار وتشير صفة شعبي إلى أنها نتاج الشعب كله وزاده على اختلاف طبقاته، وفئاته، وبيئاته ، ومراحله التاريخية.[2] فالمثل الشعبي هو وليد التجربة الذاتية من إنتاج فردي ثم زالت التجربة الفردية في الجماعة ، لتصبح جماعية ومشتركة بين الناس، تمس واقعهم ومعاناتهم ، أفراحهم ، وأتراحهم في إطار المجتمع الذي وافق عليها من خلال عملية التداول والتناقل .

- يحمل المثل الشعبي في طياته وظائف مختلفة أهمها الوظيفة التربوية التعليمية ، فهو يتميز بالطابع التعليمي ، حيث يقوم بعرض الفكرة أو الموقف ، ثم يترك المجال للغير مفتوحا سواء يتقبل النصيحة أو التوجيه والعمل بهما ، أو برفضهما .

- تتميز الأمثال بالإيقاع فمن العوامل الأساسية التي جعلت معظم الأمثال الشعبية القديمة الموجزة تتماسك وتصمد أمام الزمن توفرها على مصادر إيقاعية تتجسد في الاعتدال والتناسب بين الأجزاء، وفي التقديم والتأخير ، والتراكيب البلاغية والسجع والجناس ، فالإيقاع إذا ما وجد في

---

[1]- أبو الفتوح علي ، التحليل المقارن للأمثال الشعبية في اللغتين العربية والروسية ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1995، ص1.

[2]- سلام رفعت ، بحثا عن التراث العربي – نظرة نقدية منهجية – دار الفرابي ، ط1، بيروت / لبنان ، 1989، ص227.

المثل عمل على إظهاره أكثر من الكلام العادي ، والمتكلم عندما يعتمد على الأمثال في حديثه فإن السامع يتفطن إلى التعابير المثلية ، وذلك لتغير نبرة صوت المتكلم [1]، وهذا لما تتسم به من

- خصائص بلاغية وإيقاعية وتركيبية وانطلاقا من كل هذا هناك تعريف قدمه الأستاذ " **فريدريك زايلر** " في مقدمة كتابه " **علم الأمثال الألمانية** " يشمل خصائص المثل الشعبي يقول بأنه " القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي و شكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المعروفة "[2].

يتبين من خلال هذه الخصائص أن المثل الشعبي يأتي في مقدمة أشكال التعبير الأدبية المعروفة لأنه يعبر عن الواقع الاجتماعي بكل تناقضاته و صراعاته و يكشف الكثير عن العلاقات الاجتماعية السائدة بين أفراده ، بل و يمتاز عن هذه الأشكال بخصائص دقيقة ، إنه الصورة الواقعية و الحية التي تكشف أحوال المجتمع ، و هذا الأخير هو من أعاد خلق و إثراء المثل و الحفاظ عليه في أبسط صوره المعروفة، وهذا ما ضمن له الديمومة و الاستمرارية.

و يحمل المثل الشعبي مكانة في الثقافة الجزائرية :

نظرا أن المجتمع الجزائري في نسبة غالبة من أفراده هو مجتمع تقليدي يعيش على الإنتاج الزراعي في الأرياف وبعض الأنشطة التجارية و الحرفية في المدن والحواضر، وقد ورث من عهد الاحتلال (الذي لم يمض على انقضائه أكثر من **30سنة**) نسبة من الأمية بين أفراده بلغت غداة الاستقلال **80% بين الذكور و 95 %بين الإناث**، فإن الأدب الشعبي ظل يحتل مكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية وازدهرت فنون التعبير الشفهي العامي في غياب معرفة القراءة والكتابة، وفي غياب إلمام العامة من الناس باللغة العربية الفصحى التي ظلت محظورة التعليم والتداول على النطاق الرسمي بأوامر صارمة من سلطات الاحتلال [3]، وكان من الطبيعي والحالة هذه أن يتبوأ المثل الشعبي مكان الصدارة لدى مختلف الفئات الاجتماعية حيث أصبح يمثل الوسيلة المفضلة في الإقناع والتوجيه والتربية، ولا يقل في درجة حجيته لدى العامة من درجة الحديث النبوي الشريف، حتى إن العديد من الأمثال والحكم الشعبية قد اختلطت في عرف العامة من أفراد الشعب بالأحاديث المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه و سلم ، وقد

---

[1]– ابراهيم نبيلة ، مرجع سابق ، ص175.

[2]– ابراهيم نبيلة ، مرجع سابق ، ص175.

[3]– أحمد بن نعمان ، مرجع سابق ، ص100.

ساعد على ذلك تفشي الجهل و الأمية وسرعة التصديق و سهولة الاقتناع، وهي من السمات الواضحة لدى المجتمعات الأمية بصفة عامة في كل أقطار العالم .

والأمثال الشعبية في الثقافة الجزائرية من أكثر عناصر الأدب الشعبي شمولية للفئات الاجتماعية وأكثرها تعبيرا عن نفسية غالبية أفراد الشعب وإحساساتهم ، وبهذا الخصوص الإذاعة الوطنية الجزائرية لم تخل في حصصها الثقافية والتربوية على امتداد أكثر من **40 عاما** من إنشائها من برنامج حول الأدب الشعبي وتصادف تجاوبا وإقبالا كبيرين من طرف أفراد الشعب الذين يراسلون البرنامج باستمرار ويزودنه بالأمثال والحكم والمأثورات الشعبية المتداولة في مناطق مختلفة من البلاد وذلك باختلاف في اللفظ ويلتقي بعضها في المعنى بحسب اللهجات المحلية المتداولة في البلاد[1]

خاتمة :

لقد ميز المثل الشعبي بين أشكال الأدب الشعبي وظهرت مكانته في كونه لا يلزم الأفراد في سلوكا تهم ولا يحتوي على الإكراه أو التوجيه الملزم بل هو نصيحة وتوجه إلى التمسك بالفضائل والأخلاق.

إن أهميته ومكانته بين أشكال الأدب الشعبي والثقافة الشعبية جعلت له نوعا من العصمة والقداسة في نفوس الناس و له سلطان على آرائهم ، حتى أنهم يلجئون إلى تداوله وترديده في مواقف مختلفة لحسم الخلاف ، أو إثراء حوار ، أو إسكات ثرثار .

قائمة المراجع :

1- أحمد بن نعمان ، نفسية الشعب الجزائري ، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر ، 1997.

2- بدير حلمي ، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية /مصر ،2002، ص 32.

3- بن الشيخ التلي ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990.

4- حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، الفلكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية / مصر ، 1993.

5- سلام رفعت ، بحثا عن التراث العربي – نظرة نقدية منهجية – دار الفرابي ، ط1، بيروت / لبنان ، 1989.

[1]- أحمد بن نعمان ، مرجع سابق ، ص100.

6- عبد الرحمن المجذوب ، القول المأثور .

7- عبد المالك مرتاض ، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982.

8- عبد المالك مرتاض ، عناصر التراث الشعبي في " اللاز " دراسة في المعتقدات و الأمثال الشعبية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1987.

9- عبد الملك مرتاض ، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، 1981.

10- عز الدين جلاوجي ، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف ، مديرية الثقافة ، دار الثقافة ، سطيف ، د ط ، د ت .

11- علي أبو الفتوح ، التحليل المقارن للأمثال الشعبية في اللغتين العربية والروسية ، جامعة الملك سعود، الرياض ، 1995 .

12- علي الماوردي ، الأمثال والحكم ، دار الوطن ، 1999.

13- غادة محمد سعيد ، الأمثال الشعبية .

14- فتيحة بن فرحات ، الأمثال الشعبية الجزائرية – دراسة سوسيوثقافية، دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1، 2014.

15- نبيلة ابراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار النهضة للطبع والنشر ، القاهرة /مصر ، 1990 .

دور المعلم أمام التكنولوجيا الرقمية في الغش في الامتحانات من وجهة نظر التلاميذ.

أ.د/ قادري حليمة
جامعة وهران2 .

الباحثة/ قويدر خيرة
جامعة وهران2

الملخص :

هدفت الدراسة الحالية إلى تناول موضوع " دور المعلم أمام التكنولوجيا الرقمية في الغش في الامتحانات من وجهة نظر التلاميذ " ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمنا الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وتكون مجتمع الدراسة من (125) تلميذ من مدينة وهران، بتطبيق دليل المقابلة الذي يتكون من مجموعة أسئلة مفتوحة وزعت على أربعة أبعاد (محاولة الغش في الامتحان، أسباب الغش، الوسائل المعتمدة في الغش، الإجراءات المتخذة من قبل المدرس) ، توصلنا إلى النتائج التالية: الذكور والإناث يصرحون بممارسة الغش في الامتحان، الرغبة في الحصول على العلامة المرتفعة وقلة الإعداد للامتحانات من أسباب الغش، يستخدم التلاميذ التكنولوجيا الرقمية في الغش، يلجأ المدرس إلى سحب الورقة أو تغيير مكان جلوس الممتحن كإجراء للتخفيف من الغش.

الكلمات المفتاحية : المعلم–التكنولوجيا الرقمية–الغش في الامتحانات.

Abstract:

The current study aims to identify the role of the teacher in the face of digital technology in cheating exams from the point of view of students, to achieve this the researchers employed the descriptive survey method and the study population was comprised of 125 pupils (76 females, 49 males), and we are applied interview guide who consists of open questions, distributed on four dimensions (Try cheating, the causes of cheating, Means of cheating, The procedure taken by the teacher) , The results indicated that : The females and males practice the cheating, One of the causes of cheating in pupils is Desire to get high mark and Lack of preparation for examinations, The pupils used of digital technology for cheating, The Teachers pull the paper Or Change the seat of the examiner as a procedure to reduction the cheating.

Key's word: The teachers-Digital Technology-Cheating on exam.

مقدمة :

تعد المدرسة البيئة الثانية بعد الأسرة لجأت إليها المجتمعات الحديثة من أجل تلبية حاجات أبنائها لذلك فهي المسئولة عن إكسابهم القيم السليمة المتوافقة مع أهدافها بغية مواكبة عادات المجتمع وتقاليده، وهي مسئولة أيضاً عن تنمية اتجاهات إيجابية لدى المتعلمين نحو الجوانب الحياتية المختلفة، ولتطوير

المدرسة لا بد من رفع مستوى الأداء للعملية التعليمية التي تقوم على ثلاثة أركان (المنهج، المتعلم المدرس) والقصور في أي منها يؤثر في الآخر فهي وحدة مترابطة لا يمكن فصلها، أو تجزئتها. ومادام المدرس أحد أركانها فهو بمثابة حجر الزاوية في العملية التعليمية ،فهو المرشد والموجه والمنظم لها ،وله دور كبير في الصحة النفسية لإدارة صفه ،وتنمية الصحة العقلية لتلاميذه، لكن المدرسة اليوم أصبحت تعيش عصرا رقميا نتيجة التطور التكنولوجي الذي مس وسطها المدرسي، وشهد إقبالا كبيرا من قبل التلاميذ والتي من شأنها التأثير عليهم بصفة خاصة والمدرسة الجزائرية بصفة عامة، هذا التطور صاحبه تقدم وسائل الاتصال الحديثة، ولا سيما الهواتف الذكية، التي انتشرت بينهم، وأتاحت لبعضهم الغش التكنولوجيي فيما بينهم، فتنوعت فنونه، وتطورت أساليبه لتواكب أحدث التطورات التقنية من خلال توظيف الأدوات والوسائط التكنولوجية المعقدة ، واستغلال إمكاناتها العديدة في تسهيل الحصول على المعلومة أو بالأحرى الإجابة المطلوبة بشكل غير شرعي، وأهمها الهاتف المحمول الذي يستخدمه المتعلم لتصوير ورقة الأسئلة، ثم إرسالها إلى آخرين ، عبر "واتس آب" أو "تويتر" أو "فيسبوك" لإعداد الإجابات النموذجية عليها ثم إعادة إرسالها للممتحن عبر قنوات التواصل نفسها ، أو الاستعانة بسماعات الأذن اللاسلكية التي تعمل بخاصية البلوتوث، التي تتيح لمستخدمها سماع الصوت، وإرسال رسائل سرية عبر البلوتوث دون أن يكشفه أحد، ويمكن لهذه السماعة أن ترتبط بأي جهاز محمول يعمل بخاصية البلوتوث، أو أي جهاز آخر خارج نطاق قاعة الامتحان ، مما يدعو إدارات المدارس إلى ضرورة التفكير في كيفية التصدي لمحاولات الغش ومكافحته للحيلولة دون انتشاره بين الطلاب.

فالغش في الامتحان سلوك انحرافي يخل بالعملية التعليمية ويهدم أحد أركانها الأساسية وهو ركن التقويم الذي يقوم به المدرس إذ يعد بمثابة تزييف لنتائج التقويم والتي ستضعف حتما من فاعلية النظام التعليمي ككل، ويعوقه عن تحقيق أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وبهذا يمكننا القول أن ظاهرة الغش في الامتحانات ظاهرة غير صحية تربويا قد تعصف بمصداقية مخرجات المؤسسات التربوية حتى وإن رأها البعض من المتعلمين حقا من حقوقهم ولا يمكن التنازل عنه.

الإشكالية :

إن الانفتاح الذي يشهده عالمنا اليوم جعلنا نعيش في ظل الثورة المعلوماتية والإعلامية، وما سهل ذلك هو التواصل عبر الانترنيت الذي صار لزاما على الفرد على اختلاف جنسه، وعمره مواكبة كل ماهو جديد؛ والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية يعد من المجتمعات المستهلكة لما ينتجه الغرب،

بما فيها تكنولوجيا الإعلام والاتصال، لكن بضرورة أخذ بعين الاعتبار للزاوية الأخلاقية من أجل مواجهة الجوانب السلبية لهذه التقنيات، والاستخدام الفاعل منها، وتوظيف الايجابي فيها .

و بمأن المدرسة بيئة تعليمية تضم تلاميذ من ثقافات مختلفة ، فحتما سنشهد أنماط سلوكية متباينة على اختلافهم، فمنهم من يلجأ إلى تحقيق طموحاته وأهدافه بطريقة غير مشروعة؛ ونظرا لأهمية التعليم وكثرة متطلبات الحصول على الشهادات العلمية ، وضعف الدافع للجد والاجتهاد، وعدم الرغبة في الدراسي يتوجه بعض المتعلمين نحو التزوير والخداع للحصول على نتائج مرتفعة مما يولد منافسة غير شريفة بينهم ، فتبنوا اللامعيارية من أجل تحقيق أهدافهم حتى ولو كانت الوسيلة لذلك لا تمت للقيم الأخلاقية بصلة ولا تتماشى، والضوابط الاجتماعية كظاهرة الغش المدرسي المتفشية بكثرة في السنوات الأخيرة .

لبلوغ أعلى الدرجات وأرقى الشهادات، وأسمى المناصب عبر الحيل الملتوية، فتنوعت فنون الغش فلم يعد يقتصر على قصاصات صغيرة يستعين بها المتعلم، أو الاعتماد على النظر الثاقب لإجابة أحد الزملاء بل أصبح يخطط له لو ويدرس وتهيئ لو أدوات وتقنيات مختلفة، والغش في الامتحانات أصبح اليوم في حد ذاته هدفاً، وهاجس العلامة هو المسيطر على عقول التلاميذ وتفكيرهم، سواء كان في الأطوار التعليمية الثلاثة أو في الثانوي أم الجامعي، لا يدل على الشعور بالمسؤولية الأخلاقية، لأنه طريقة مختصرة للحصول على ما يريد الطالب، دون جهد، ودون تحصيل، لنيل الدرجات العالية، بلا مشروعية ولا حق.

وقد وسع التقدم التكنولوجي الطرق التي يمكن من خلالها للناس تحقيق الغش فقبل عام 2002 ، كان من المتوقع أن لن يكون طويلا قبل إدراك المتعلمين الذين يستخدمون هواتفهم الخلوية للبحث على شبكة الإنترنيت خلال امتحان ، وقد وجدت دراسة استقصائية أمريكية أن اعتَرف 31 ٪ من طلبة المدارس الثانوية اعتَرفوا الذين حققوا مستوى عال وجيد أنهم قاموا بالغش أثناء الامتحان 51٪ من طلاب المدارس الثانوية لا يعتقدون أن الغش كان خطأ، 95٪ من طلاب المدارس الثانوية الذين اعتَرفوا بالخيانة قالوا إنهم لد يتم القبض عليهم ، اعتَرف 24 ٪ من طلاب الجامعات بالغش في الامتحان، 90٪ من طلاب الجامعات لا يعتقدون أن الغشاشين سيتم القبض عليهم ، وقال 34 ٪ من طلاب الجامعات أن الغش كان ضروريا للمضي قدما فالأساليب التقليدية للغش لد تعد تلبي احتياجات أولئك الذين يحاولون الغش في الامتحانات. سبب ذلك هو أن هناك حاجة إلى مزيد من المعلومات حول للامتحان وقد جعلت التكنولوجيا الغش في الامتحانات ببساطة أسهل بكثير و بهذا أيضا بمثابة إغراء للطلاب الذين كانوا

صادقتُ عند أخذ الامتحان وهناك أيضا العديد من الدوافع مع تعليمات خطوة بخطوة وتقنيات المختلفة للغش **(Kevin Curran : 2013, 234-235)**

أهمية الدراسة :

إن مشكلة الغش تعد سلوكا منحرفا لا يتفق مع معايير الجماعة المدرسية، ومخالف لتعليمات المدرسة والتي تعد إطارا مرجعيا لسلوكيات المتعلمين، في حين أن المتعلم مُطالب بمواكبة التكنولوجيا ولكن استثمارها فيما يخدمه ، و ماهو ملاحظ أن بعض المتعلمين يقومون بتوظيفها بصورة تؤديهم في حاضرهم ومستقبلهم، فالغش في الامتحان قد يعطي انطباعا غير حقيقيا للنتائج المدرسة، وفي تزييف قدرات المتعلم ومن هنا تتلخص أهم نقاط لهذه الدراسة في:

-معرفة ظروف الامتحان والتي تساهم في خلق أو مضاعفة فرص الغش .

-إن الاستقلالية التي يتميز بها المتعلَم في استعمال كل ماهو تقني ضاعفت رغبته في اكتشاف احدث ما أفرزته التكنولوجيا حتى في فترة الامتحانات والتي تعد كمحفز للإقبال عليها، والت انعكست سلبا على منظومة القيم الأخلاقية والاجتماعية..

أهداف الدراسة :

إن الغش في الامتحان هو مشكلة سلوكية يحتاج إلى الوقوف على أسبابها ، فالمتعلم بهذا يعتمد على الطرق الملتوية في الانتقال من غير وجه حق للحصول على الدرجات، فهو يطمح للنجاح دون بذل جهد، أو استحقاق. ومن أهداف الدراسة الحالية هو معرفة هل الجنسين يقومون بعملية الغش في الامتحان، ماهي الأسباب ، والوسائل المعتمدة في ذلك ؛ كما تهدف الدراسة الحالية إلى رصد واقع التعليم والتعرف على مدى مساهمة المدرس في التخفيف من سلوك الغش. من حيث طبيعة الامتحانات، نوعية المراقبة، نوع الأسئلة ، صعوبة المادة، نوع العقاب.

المفاهيم الإجرائية :

المعلم : هو أهم أركان العملية التعليمية يقوم بمهمة تلقين المعلومات (لا يقصد به حشو الأذهان) إلى التلاميذ بطريقة تتناسب مع مستوى قدراتهم العقلية وعمرهم الزمني.

الغش في الامتحانات : هو فعل مخالف لأهداف المدرسة يلجأ إلى المتعلم لتعزيز نتائجه لكن بطريقة مزيفة ولا تعبر عن مصداقية أدائه الدراسي، وتقاس باستجابات التلاميذ نحو الأسئلة المطروحة في المقابلة المفتوحة.

التكنولوجيا الرقمية : هو آخر ما طوره الإنسان في عالم الحواسيب لها من حيث إنتاج المعلومة وتخزينها واستعادتها.

حدود البحث :

الحد الموضوعي : تقتصر الدراسة على دور المعلم عند توظيف التلاميذ التكنولوجيا في تزييف نتائج تقويمهم.

الحد المكاني والزماني : أجريت الدراسة على إكمالية علي زناقي وإكمالية عبد المؤمن بمدينة وهران خلال السنة الدراسية الحالية .

الأدب النظري والدراسات السابقة :

أولا : تعريف التكنولوجيا الرقمية : هي دراسة وتصميم وتطوير أنظمة المعلومات خصوصا بعلوم الحاسب بحيث تستخدم أحدث التقنيات في تخزين وحماية ومعالجة ونقل واستعادة البيانات.

. (Karhka ramey : 2013)

يقصد بثورة تكنولوجيا الاتصالات، تلك التطورات التكنولوجيا في مجالات الاتصالات التي حدثت خلال الربع الأخير من القرن العشرين والتي اتسمت بالسرعة والانتشار والتأثيرات الممتدة من الرسالة إلى الوسيلة، إلى الجماهير داخل المجتمع الواحد أو بين المجتمعات، وهي تشمل ثلاث مجالات:

1- ثورة المعلومات أو ذلك الانفجار المعرفي الضخم، المتمثل في الكم الهائل من المعرفة.

2-ثورة وسائل الاتصال المتمثلة في تكنولوجيا الاتصال الحديثة، التي بدأت بالاتصالات السلكية واللاسلكية، وانتهت بالأقمار الصناعية والألياف البصرية.

3-ثورة الحسابات الإلكتروني التي امتزجت بوسائل الاتصال واندمجت معها والانترنت أحسن مثال على ذلك.

أما مفهوم **تكنولوجيا المعلومات** فيشير إلى جميع أنواع التكنولوجيا المستخدمة في تشغيل ونقل وتخزين المعلومات في شكل إلكتروني، وتشمل تكنولوجيات الحسابات الآلية ووسائل الاتصال وشبكات الربط، وأجهزة الفاكس وغيرها من المعدات التي تستخدم بشدة في الاتصالات .

وما يمكن قوله أن ثورة تكنولوجيا الاتصال ظهرت بالتوازي مع ثورة تكنولوجيا المعلومات **(حسن عماد مكاوي،د.ت)**.

عرفها الاتحاد الأوروبي بأنها قائمة النشاطات الشاملة لثلاث قطاعات المتمثلة في المعلوماتية بما فيها صناعة الحاسوب والبرمجيات والاتصالات عن بعد الشاملة لشبكات الانترنيت أساسا والإلكترونيك **(طارق محمود عباس: 2004، 149)**.

ثانيا : تعريف الغش :ورد في لسان العرب لإبن المنظور الافريقي **(1994، 223)** :الغش : نقيض النصح و مأخوذ من الغشش، المشرب الكدر.

غش :يغش، غشا، غاش غشاش، غش في الامتحان :استعان بغيره في الإجابة (**مجموعة المؤلفين: 1989**).

الغش في الامتحان : يعرف فيصل محمد خير الزراد (2002) أن الغش في الامتحانات داخل المؤسسات التعليمية سلوك غير سوي وغير مسموح، يكون مدفوعا بمدركات وأفكار خاطئة لدى الفرد الغاش، وذلك في سعيه وراء إشباع بعض الدوافع أو الحاجات مثل الحصول على النجاح، أو على الدرجات العالية من أجل التفوق، ويكون ذلك دون الاعتماد على النفس.

فالغش مشكلة تروية ,دينية ,قيمية لا تقتصر أضرارها على المدرسة بل تمتد أثارها إلى أخلاق الفرد والمجتمع وسوق العمل.**(سعد على وزميله:2012 , 52)**

عوامل الغش :

العوامل النفسية: تلعب العوامل النفسية دورا في تأثير على التحصيل الدراسي للمتعلم نذكر منها :

القلق من الامتحانات: فالتلاميذ القلقون بدرجة كبيرة يعطون نتائج هزيلة عند الإجابة على الأسئلة الصعبة أو الغامضة التي يمكن أن يساء فهمها وقراءتها ويكون أدائهم سيئا جدا في المواقف التي يتعرضون فيها إلى ضغوط أو إرهاق كالامتحانات **(لندال دافيدوف: د.ت، 499)**.

الخوف من الامتحانات: فحسب ما أتت به نتائج دراسة تشالز شيفر وهوارد ملمان (**1989 ، 128)** تشير الإحصائيات العامة إلى وجود أكثر من 20 بالمئة من الطلبة يخافون من الامتحانات بحيث ينخفض أداؤهم بسبب هذه المخاوف ، فهم يشعرون دائما بأنهم يستطيعون أن يفعلوا شيئا صحيحا ويتوقعون دائما الاستجابات السلبية .

ضعف الدافعية للدراسة : التلاميذ الذين لا توجد لديهم دافعية ،واستعداد ورغبة للتعلم لا يبذلون جهدا يتناسب مع إمكانياتهم، أو لأنهم مسئولون يبحثون عن النجاح فقط، فهم مضطرين لاجتياز مرحلة معينة والغش في الامتحانات يكون الحل البديل،" ضعف الدافع للمذاكرة وعدم التأكد من صحة الإجابة، هي من أسباب الغش في الامتحان **(لورانس بسطا ذكرى وزميله: 2012، 161)**.

فقدان الثقة بالنفس: إن التلاميذ الذين يشعرون بأن معلميهم غير راضيين عنهم ينخفض اعتبار الذات لديهم كما ينخفض تحصيلهم الأكاديمي وغالبا ما يتصرفون على نحو سيئ (**فرنسيس عبد النور، 2002 ، 68**).

العوامل العقلية: إن القدرات العقلية من العوامل المرتبطة بشخصية المتعلم وما يبذله من جهد من أجل نجاحه الدراسي ،وبمأن برامج المواد الدراسية في المرحلة التعليمية الثانوية تتطلب القدرة العقلية الكافية للتحليل والاستيعاب ،والاستدلال المنطقي فأي ضعف في هذه الأخيرة يؤثر على النتائج الدراسية حيث تكون ضعيفة دون المستوى ولا تؤهل التلميذ للنجاح فيلجأ إلى ممارسة الغش كحل له.

العوامل الجسمية : إن تلاميذ القسم الواحد إذا ما تأملنا نجد اختلافا بينهم وعدم تشابههم فمنهم من يعاني من أمراض خاصة أو عاهات خلقية ،وأمراض جسدية مزمنة يصاب بها ، وتلزمه طيلة حياته فهي "عوامل تحد من قدرة التلميذ على بذل الجهد ومسايرة زملاؤه في الفصل ولكن يبدو أن أكثر العوامل انتشارا في مدارسنا فتمثل في ضعف حاستي السمع والبصر وعيوب النطق وهي وسائل التعلم الأولى في المجتمع تعتمد فيه التربية على المقروء المسموع (**محمد العربي ولد خليفة، 1989، 411**).

العوامل الأسرية : إن البيت الذي يعاني فيه المتعلم من علاقات أسرية مفككة يخلق جو غير ملائم للدراسة ، فيدفعه أحيانا لاستخدام الغش في الامتحانات (**لورانس بسطا زكرى وزميله، 2012 ، 22**).

التكنولوجيا الرقمية والغش في الامتحانات : إن التكنولوجيا والتقنيات الحديثة حولت الغش وطورت في أساليبه فقد أخذ منحى تصاعدي لدرجة أصبحت لا تنفع معها طرق الحراسة والمراقبة التقليدية وسنعرض بعض أحدث وأغرب الطرق التي لا يتوقف تطورها حيث اقتحمت تكنولوجيا المعلومات والاتصال الحديثة وفي مقدمتها الهواتف النقالة والأنترنيت بخدماتها المتعددة فأصبح يطلق عليه الغش الذكي، الالكتروني.

-نظارة طبية للغش تحتوي على سماعة لا سلكية جد صغيرة بلون الجلد وفي منتصفها كاميرا تنقل ما يقرأه الممتحن ورقة الأسئلة لشخص خارج قاعة الامتحان عبر حاسوب أو هاتف نقال ليعطيه إجابة عبر السماعة اللاسلكية.

-البلوثوث أو السماعات (kit men) لتلقي الإجابات لذلك بمساعدة أشخاص من الخارج.

-أظافر اصطناعية تقوم بعض الطالبات بإضافة ورقة صغيرة وإخفائها تحتهم.

-طرف اصطناعي اخترع في الصين، إذ يقوم بتركيب اليد الاصطناعي لتبدو ليده بينما يده الحقيقية تعبث في الهاتف الذكي أسفل الدرج.

-اعتماد التلميذ على إخفاء الهاتف النقال في ملابسه، وتوصيله بسماعة أو البلوتوث وبتحويل رنينه إلى اهتزازي حتى لا يسمعه أحد، ويتلقى الإجابة من شخص آخر خارج قاعة الامتحان خاصة لدى المحجبات (**هادي مشعان ربيع: 2005، 216**).

-الساعات الذكية التي يدمن للتلاميذ النظر إليها والإجابة على الأسئلة المطروحة أمامهم لإصدارات صوتي.

-خاتم ذكي من موتا **Mota smart ring** صمم لإعلان المستخدمين بالرسائل والمكالمات الهاتفية الواردة والتي رأى بعض الخبراء إمكانية استخدامها في الغش في الامتحانات فور إصدارها للعلن **www.voanenis.com** .

الدراسات السابقة : هناك عدة دراسات تناولت موضوع تعامل الشباب مع شبكة الانترنيت نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

دراسة **فيصل خير الزراد (1980)** التي تعرضت إلى ظاهرة الغش في الاختبارات الأكاديمية لدى طلبة المدارس و الجامعات: تشخيص و أساليب الوقاية و العلاج أجراها على عينة من طلبة و طالبات المرحلة الثانوية في سوريا و توصل إلى أن نسبة 31 % من الذكور يغشون في امتحاناتهم مقابل 18 % من الإناث و نسبة 42 %من طلبة الآداب مقابل 15 %من العلميين كذلك الدراسة التي أجراها في الإمارات العربية المتحدة على عينة في الرحلة الإعدادية و الثانوية أن 47 %من الطلاب مقابل 25 % الطالبات يقومون بعملية الغش ويتخذ التلميذ تقنيات عديدة للغش غالبا ما تنحصر على نقل الإجابة من ورقة صغيرة أو صديق مجاور، أو مقعد الامتحان أو الحائط ، الثياب، جزء من الجسم، أو بعض الوسائل التعليمية ، استعمال أجهزة اللاسلكي. .

أما **دراسة ولد غويل خليدة (2007)** فقد هدفت إلى التعرف على طبيعة استعمال الهاتف النقال عند التلميذ الثانوي، و المؤثرات الاجتماعية المتمثلة في التصورات الاجتماعية التي يحملها المراهق حول هذه التقنية ، و تأثير الأسرة من خلال الضبط الاجتماعي الممارس من طرف الوالدين و كذا إدارة الثانوية .من خلال دراسة ميدانية بثانويات العاصمة شملت عينة مكونة 319 تلميذ خضعوا للاستبيان ، 30 تلميذ خضعوا لطريقة التنشيط الجماعي ، 160 ولي تلميذ خضعوا للاستبيان ،إضافة ل8 مستشارين تربويين أجريت معهم مقابلات ، وكانت نتائج الدراسة أن الهاتف النقال يمثل وفق التصورات الاجتماعية التي يحملها التلميذ المراهق رمزا للاستقلالية، الافتخار الموضة و إثبات الذات والتي تظهر بإلحاح في فترة المراهقة، وقد أكد جميع المبحوثين عن عدم قدرتهم عن الاستغناء عن هواتفهم النقالة، أما عن

مجالات استخدام الهاتف النقال هناك إقبال كبير على خدمات الترفيه:الألعاب ، استخدام الكاميرا و آلة التصوير ، الدردشة. أكثر من خدمات يحتاجها التلميذ في حياته اليومية:كالاتصال لحل و الاستفسار عن الواجبات المدرسية ، استخدام المنبه ، كما يتم تكييفه في القيام بعدة عمليات بما فيها الغش المدرسي.

في حين تطرقت دراسة كريستوف ميشو (2013) إلى موضوع الأدوات و التقنيات الجديدة للغش المدرسي في الثانويات حيث هدفت دراسته إلى أن وصول الهواتف المحمولة إلى الأقسام واستخدام الانترنيت أثناء الأنشطة المدرسية أصبح للتلاميذ الفرصة لسرقة الأبحاث و الاحتيال في الاختبارات ، وإمكانية احتلال الأدوات الرقمية لزل الأدوات التقليدية للغش وهل لمستخدمي هذه الأدوات خصائص معينة ؟ حيث كشفت نتائج المسح على عينة من طلاب الثانويات قوامها 1919 ، وجد أن 21 % منهم استخدموا أثناء دراستهم الهاتف النقال للغش ، مع بقاء الاستعانة على قصاصات الورق ، أما عن الميزات المشتركة لمختلف الأدوات إن تلاميذ البكالوريا يستخدمون عادة الآلة الحاسبة المبرمجة في حين من يعانون صعوبات أثناء دراستهم تزيد احتمالية استخدامهم الهاتف النقال .

أما اوديت (Audet, 2009) فقد أجرت دراسة استقصائية لعام2009 من الشباب الأمريكيين تتراوح أعمارهم من 13–18 سنة، ان35 % منهم يستخدمون الهاتف النقال في الغش و38 % وثائق مسروقة من شبكة الانترنيت فتحويل طرق العمل و استخدام الانترنيت كأداة تعليمية والوصول إلى المعلومات سهل بدوره عملية الانتحال و الغش و عملية تزايده في السنوات الأخيرة .

أما **زيناث خان (2015)** فقد عرض في جامعة ولونغونغ بدبي بحثاً على ظاهرة الغش في الإمارات في محاولة لمعرفة الأسباب التي تدفع الطلاب للغش، و أظهر استطلاع الرأي الذي شمل أكثر من 1,000 طالب في مختلف جامعات الإمارات أن 78% من الطلاب يحاولون الغش في الامتحانات .و علق خان على نتائج الدراسة بالقول: "الغش يمثل ظاهرة خطيرة في الإمارات العربية المتحدة، و تعود هذه الظاهرة إلى العديد من الأسباب أهمها أن الطلاب يتكاسلون طوال العام الدراسي، ويحاولون تعويض ما فاتهم في اللحظات الأخيرة، ويجدون أنفسهم مضطرين إلى الغش لتحصيل الدرجات في الإمتحان، وأضاف خان في حديث لصحيفة خليج تايمز :"يتصرف المعلمون في أحيان كثيرة بطريقة ساذجة في التعامل مع الطرق الحديثة للغش و يشجع هذا الطلاب على استخدام الأساليب الملتوية في الامتحانات (الهاتف المحمول)، كما أن الطلاب يتعرضون لضغوطات شديدة من قبل الأهل للحصول على أعلى الدرجات في المدرسة **(http://www.snyar.net)**

بحسب ما أظهرته **دراسة جديدة لاستطلاع للرأي أجرته منظمة "كومون سانس ميديا" (2012)** ، أن ظاهرة الغش تنتشر خلال الامتحانات المدرسية بين 50 % من الطلاب الأمريكيين شملت 1013 مراهقا بين سن الثالثة عشرة والثامنة عشرة، وأنهم يستخدمون الإنترنت للغش، في حين يؤكد أكثر من الثلث أنهم فعلوا الشيء نفسه بواسطة الهاتف المحمول. وقال 65% تقريبا من مجموع المراهقين الذين شملهم الاستطلاع إنهم رأوا أو سمعوا عن تلاميذ آخرين استخدموا هواتفهم النقالة للغش خلال الدروس. واعتبرت الدراسة أن هذا الاستطلاع يظهر أن أحد الانعكاسات غير المتوقعة لهذه التكنولوجيات المرنة هي تسهيل الغش. وأن العالم الرقمي بطبيعته بعيد ويصعب تقفي أثر أي شيء سلبي فيه، وتقنيات الغش تشمل خصوصا تخزين معلومات على الهاتف النقال لاستخدامها خلال الامتحانات أو تبادل الأجوبة عبر الرسائل القصيرة خلال الامتحانات ذاتها. ويستخدم المراهقون كذلك هواتفهم النقالة للبحث مباشرة على أجوبة عبر الإنترنت خلال الامتحانات أو لإرسال نسخة من الأسئلة إلى تلاميذ يستعدون لخوض الامتحانات ذاتها في وقت لاحق. ويعتبر 36% فقط من الطلاب في مرحلة المراهقة أن النسخ عن الإنترنت يشكل أمرا سيئا. ويعتبر نصفهم فقط أن الغش عبر الإنترنت أمر خطأ ويرى تلميذ من كل أربعة أن تخزين المعلومات على الهاتف النقال واستخدامها خلال الامتحانات لا يعتبر غشا. كما يظهر الاستطلاع أن الأهل يعتبرون أن هذه التصرفات تندرج في إطار الغش لكنهم يؤكدون أن أولادهم لا يقومون بها http://www.alittihad.ae/details.php?id=59000&y=2012&article=full .

تعقيب على الدراسات السابقة :

من حيث الهدف : هدفت دراسة فيصل محمد خير الزراد (2002) إلى تناول ظاهرة الغش في الاختبارات الأكاديمية لدى طلبة المدارس و الجامعات: تشخيص و أساليب الوقاية و العلاج، في حين أرادت دراسة ولد غوبل خليدة (2007) التعرف على طبيعة استعمال الهاتف النقال عند التلميذ الثانوي،و المؤثرات الاجتماعية المتمثلة في التصورات الاجتماعية التي يحملها المراهق حول هذه التقنية، أما **تطرقت دراسة كريستوف ميشو 2013** إلى موضوع الأدوات و التقنيات الجديدة للغش المدرسي في الثانويات، أما أوديت (2009) فقد أرادت معرفة استخدامات الانترنيت في العملية التعليمية ، أما زيناث خان (2015) فقد هدفت إلى معرفة الأسباب التي تدفع الطلاب للغش، أما استطلاع التي أجرته منظمة "كومون سانس ميديا" (2012) فقد تناولت الغش الالكتروني في الامتحانات في المدارس.

من حيث الأدوات : لم تحدد أي دراسة نوعية أداة المستخدمة ماعدا دراسة ولد غوبل حورية التي استعانت بالاستبيان.

من حيث المنهج :

من حيث العينة: تعاملت الدراسات المشار إليها إلى عينة المراهقين سواء كانوا في المرحلة الثانوية أو في المرحلة الجامعية.

الإجراءات المنهجية :

عينة الدراسة: قوامها 125 تلميذ (76 تلميذة، 49 تلميذ) أخيتروا بطريقة عشوائية .

ـ خصائص العينة :

من حيث الجنس وتكرار السنة :

الجدول رقم (1) يبين خصائص عينة الدراسة من حيث الجنس وتكرار السنة.

تكرار السنة / الجنس	نعم		لا		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
الإناث	53	42،4	23	18،4	76	60،8
الذكور	37	29،6	12	9،6	49	39،2
المجموع	90	72	35	28	125	100

يلاحظ من الجدول رقم (1) أن نسبة الإناث التي وجهن للإجابة على أسئلة المقابلة (60،8%) في الدراسة تفوق نسبة الذكور (39،2 %) ويفسر ذلك بإقبال الإناث على الدراسة أكثر من الذكور .

ـ أدوات الدراسة :

المقابلة :

يذهب كل من دافيد ناشيماز و شافا فرانكفورت ناشيماز (2004، 236) إلى أن المقابلة الشخصية هي مقابلة وجه لوجه، حيث يقوم من يجري المقابلة بتوجيه الأسئلة للمستجيبين بقصد استخلاص إجابات ذات صلة بفروض البحث و تتحدد بنية المقابلة بالأسئلة و صياغتها و طريقة تتابعها.

وقد تم طرح الأسئلة المفتوحة التي أدرجت في أربعة أبعاد هي : بعد محاولة الغش، محاولة أسباب الغش، بعد الوسائل المعتمدة على الغش، بعد الإجراءات المتبعة من قبل الأستاذ في حالة ضبطه من يغش.

عرض ومناقشة نتائج الفرضيات :

فيما يتعلق باستجابات المفحوصين من التلاميذ ارتأينا أن نصنفها إلى أربعة أبعاد وهذا حسب ما جاء من ملاحظاتهم وتقديراتهم بعد طرح السؤال مفتوح عليهم كما اشرنا سابقاً، وسيتم مناقشة النتائج وفقا لأهداف البحث التالية:

نتائج الهدف الأول: عند تحليل نتائج أسئلة دليل المقابلة بأسئلته المفتوحة في :

بعد: **المتعلق بمحاولة الغش.**

جدول رقم (2) يبين استجابة التلاميذ على محاولة الغش.

استجابات التلاميذ	الإناث				الذكور			
	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%
1-هل تقوم بعملية الغش؟	57	45،6	19	15،2	42	33،6	07	5،6
2-هل تؤمن(ي) بفكرة من نقل انتقل؟	57	45،6	19	15،2	40	32	09	7،2

يظهر من الجدول رقم (2) أن الهدف الأول من الدراسة قد تحقق إذ أن الجنسين من الذكور والإناث يصرحون بممارسة الغش من أجل الحصول على علامات غير حقيقية في تقييم نتائج الامتحانات التي يجتازونها ولعل هذا ما يتفق مع ما جاءت به دراسة فيصل خير الزراد (1980) فالغش في الامتحان هي في نظرهم بمثابة ثقافة البحث عن الانتقال والنجاح دون جهد أو عناء، و يدركون أنه سلوك غير مرغوب فيه المدرسة ، ولكن يلجأون إليه وكأنه عدوى منتشرة بينهم، وبهذا فالغش سلوك مكتسب ممَا يجعلهم ينظرون إلى النجاح غاية يجب إدراكها بكافة السبل حتى ولو كانت بطرق غير أخلاقية ، وهذا يرجع للضغوط و الأهمية التي توليها الأسرة ، المدرسة ، المجتمع بصفة عامة، والمتعلم نفسه للامتحانات كونها الطريقة الوحيدة المعتمدة في التقييم وحتى ولو تمسكوا بفكرة"من نقل انتقل ومن اعتمد على نفسه بقي في قسمه" .

نتائج الهدف الثاني يجيب عنه بعد: **أسباب الغش.**

الجدول رقم (3) يبين أسباب الغش من وجهة نظر التلاميذ.

استجابات التلاميذ	الإناث				الذكور			
	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%
1-صعوبة المادة.	24	19،2	06	4،8	17	13،6	08	6،4
2- كثافة البرنامج.	39	31،2	15	12	31	24،8	10	8
3-تغاضي الأستاذ عن الغش.	11	8،8	43	34،4	09	7،2	21	16،8
4-إكتظاظ القسم بالممتحنين.	27	6،21	13	10،4	24	19،2	07	5،6
5-مراجعة الدروس في آخر لحظة.	51	40،8	08	6،4	32	25،6	04	3،2
6-قلة المراقبين.	19	15،2	01	0،8	22	17،6	11	8،8
7-الرغبة في الحصول على العلامة المرتفعة.	52	41،6	07	5،6	34	27،2	01	0،8
8-الخوف من الرسوب.	57	45،6	03	2،4	41	32،8	02	1،6

يتضح من الجدول رقم (3) أن من أسباب الغش عند التلاميذ هو الرغبة في الحصول على العلامة المرتفعة، و قلة الإعداد للامتحانات والاكتفاء بالمراجعة في آخر لحظة إذ ظهرت فقرة " مراجعة الدروس في آخر لحظة. "بنسبة 40،8 **%** عند الإناث، وعند الذكور بنسبة 25،6**%**، والخوف من الرسوب بنسبة 45،6 **%** عند الإناث، وعند الذكور بنسبة 32،8**%**؛ فمعظم التلاميذ قد يلجأون إلى التسويف في أداء واجباتهم المدرسية ومراجعتها، خاصة إذا كانت الدروس كثيرة ولم تراجع في حينها؛ هذا ما يدفع بعض التلاميذ إلى سلوك غير سوي وغير متزن في الإجابة على أسئلة الامتحان، متناسين أن هذا السلوك يخل بأركان العملية التعليمية المتمثلة في التقويم ، وحسب تصريحات التلاميذ أن التلميذ يعمد إلى تزوير إجابات الامتحان إما لكثرة الدروس، وأحيانا أخرى كرد فعل على معاملة الأستاذ خاصة إذا سيئة أو لصعوبة المادة، أو كرهه للمادة التي هو مكلّف به ولعل هذا ما يتفق مع دراسة زيناث خان (2015).

نتائج الهدف الثالث يظهر في بعد: **الوسائل المعتمدة على الغش:**

الجدول رقم (4) يبين الوسائل المعتمدة من قبل التلاميذ في الغش.

استجابات التلاميذ	الإناث				الذكور			
	نعم	%	لا	%	نعم	%	لا	%
1-قصاصات ورقية	11	8،8	03	2،4	07	5،6	00	00
2-مد البصر إلى ورقة أحد الزملاء.	32	25،6	04	3،2	27	21،6	05	04
3-الكتابة على الجدران، الطاولة.	28	22،4	19	15،2	08	6،4	04	3،2
4-الاعتماد على MP3أو MP4	34	27،2	07	5،6	39	31،2	02	1،6
5-صور الدروس على الهاتف.	49	39،2	12	9،6	41	32،8	00	00
6-البلوتوت.	32	25،6	04	3،2	32	25،6	03	24
7-الانترنيت من الهاتف.	12	9،6	01	0،8	27	21،6	07	5،6
8-القلم الذكي.	28	22،4	12	9،6	33	26،4	16	12،8
9-شريحة الكترونية على مستوى الأذن.	18	14،4	00	00	29	23،2	10	8

ماهو ملاحظ من الجدول رقم (4) أن أكبر نسبة من التلاميذ سواء الذكور أو الإناث تقر باستخدام التكنولوجيا الرقمية في الغش ، إذ ظهرت فقرة " صور الدروس على الهاتف " عند الإناث بـ39،2 % ، وعند الذكور بـ 32،8 %، مع الاعتماد على MP3أو MP4 ، إذ تتساوى بين الفئتين في فقرة " الاستعانة بالبلوتوت" بنسبة 25،6 %، ويفسر ذلك بسهولة توفر هذه التقنيات للتلاميذ إذ لكل متعلم هاتف الذي يساعده على تخزين الدروس، واستعادتها حين حاجاته لها، وما يسهل هذا السلوك إذ وُجد الممتحن نفسه في قاعة مكتضة بالتلاميذ الذي يُصعب على المدرس التجول بين أسوراها وهذا ما يتفق مع دراسة كريستوف ميشو (2013)، ودراسة أوديت (2009) وما جاء به استطلاع كومون ساندس ميديا (2012)؛ ومع ذلك لا زال من المتعلمين من يعتمد على الأساليب التقليدية في الغش لبساطتها من خلال النظر في إجابات الآخرين والتواصل مع الآخرين، وتبادل الإشارات مع الزميل .

نتائج الهدف الرابع بعد: **المتعلق بالإجراءات المتخذة من قبل الأستاذ**

الجدول رقم (5) يبين الإجراءات المتخذة من قبل الأستاذ.

الرقم	استجابات التلاميذ	ك	%
1	إستدعاء ولي الأمر.	89	71،2
2	المجلس التأديبي.	67	53،6
3	اللامبالاة	72	57،6
4	خصم النقاط.	79	63،2
5	عدم إكمال الامتحان	102	81،6
6	تغيير مكان الجلوس.	112	89،6
7	سحب الورقة.	110	88
8	الطرد من الامتحان.	57	45،6
9	الصفر في الامتحان.	28	22،4

يبين الجدول رقم (5) أن من الإجراءات التي يتبعها المدرس عند ثبوت الغش عند التلميذ ومن أجل ترسيخ مبدأي المساواة وتكافؤ الفرص بين المتعلمين ، وتعزيز الشفافية والمصداقية أثناء إجراء الامتحانات فإنه يلجأ إما تغيير مكان جلوس الممتحن والتي ظهرت بنسبة 89،6 %، أو سحب الورقة منه التي ظهرت بـ 88 %،أو عدم ترك الممتحن ينهي إختباره والتي ظهرت بنسبة 81،6 %؛ هذه الإجراءات قد يراها الممتحن غير صارمة في تعامل مع الغاش إن ثبت عليه ذلك فيطور سلوكه خاصة أن فكرة تحويل الغاش إلى المجلس التأديبي جاءت بنسبة 53،6%، والذي يكون قراره مجرد إنذار، فيستمر ويجتهد في معرفة أحدث طرق الغش.

الخاتمة : لقد بات الغش يهدد مسيرة التعليم والتقويم السليم في مؤسساتنا التربوية ، ويظهر أن هذا السلوك في الانتشار في ظل غياب تطبيق القوانين الرادعة ، إذ معظم مدارسنا بشكل عام تعاني من سلبية المتعلمين في التعامل مع واجباتهم وامتحاناتهم، فلم يعد ذلك الفعل المخجل الذي يمارس في سرية من طرف أقلية عاجزة عن إفتكاك نجاح بعد تعب، فقد تحول إلى ثقافة تلقن في الأوساط التربوية، لم يعد مظهرا من مظاهر عدم الشعور بالمسؤولية وحسب بل إفسادا لعملية القياس والتقويم وتلويثا لنتائج الاختبار وبالتالي عدم تحقيق أهداف التعليم على المدى القصير والطويل.

التوصيات : في ظل النتائج المشار إليها سابقا نوصي بـ:

-على المدرس أن يتجنب الأسئلة التقليدية التي تعتمد على الحفظ الدروس مع الاعتماد على الأسئلة التي تقيس المستويات العقلية الأخرى (كالفهم، التحليل، التطبيق، التركيب، الاستنتاج).

-لتدريب المتعلمين على كيفية توظيف المعلومات التي تعلموها واستوعبوها في حل مشكلات مطروحة.

-تفعيل دور المرشد التربوي والنفسي في مساعدة الطلبة على كيفية الاستعداد للامتحان والتخفيف من القلق الناجم عنه لما لذلك من أثر على أداء الطالب

قائمة المراجع :

1-ابن منظور الإفريقي (1994)، **لسان العرب**، المجلد السادس، بيروت، دار صادر .

2-دافيد ناشيماز و شافا فرانكفورت ناشيماز (2004) ، **طرائق البحث في العلوم الاجتماعية** ترجمة :ليلى الطويل ، دمشق، سوريا، دار بترا للنشر و التوزيع.

3-حسن عماد مكاوي (دون تاريخ) ،**تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات** ،القاهرة، دار المصرية اللبناني.

4-سعد علي ,عسان الصالح2012 , اتجاهات طلبة الجامعة نحو ظاهرة الغش الامتحان- دراسة ميدانية-, **مجلة العربية للتربية** , تونس ، دار المنظومة.

5-لورانس بسطا ذكرى واعتدال بنت عبد الرحمن حجازي (2012) ، **الغش في الامتحانات** -أسبابه، نتائجه-، مقتَرحات الحد منه، دون ذكر دار الطباعة والبلد.

6-لندال دافيدوف، **مدخل علم النفس**، ترجمة سيد طوب وآخرون ، السعودية، ط2، دار ماكجرو هيل للنشر.

7-تشارلز شيفر هوراد ملمان (1989)، **مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها**، ترجمة نسيمة داود ،ونزيه حمدي، عمان ، الجامعة الأردنية.

8- فرنسيس عبد النور (2002)، **التربية و المناهج** ، القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع .

9-فيصل محمد خير الزراد (2002) ، **ظاهرة الغش في الاختبارات الأكاديمية لدى طلبة المدارس و الجامعات** :تشخيص و أساليب الوقاية و العلاج ، دار المريخ للنشر ، الرياض .

10-محمد العربي ولد خليفة (1989)، **المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية**، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية.

11-طارق محمود عباس (2004) ،**مجتمع المعلومات الرقمي** ،القاهرة ،الدار الأصيل للطباعة والنشر والتوزيع.

12-تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين (1989) ، **المعجم العربي الأساسي** بتكليف من المنظمة العربية للتَربية والثقافة والعلوم.

13-هادي مشعل ربيع (2005)، **الإرشاد التَربوي والنفسي من المنظور الحديث**، عمان، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.

14- تزايد انتشار "الغش الإلكتروني" بين الطلاب في الإمارات ، http://www.snyar.net

15-الغش الإلكتروني في الامتحانات «وباء» يجتاح مدارس العالم ، http://www.alittihad.ae/details.php?id=59000&y=2012&article=full

16-Audet L (2009) : **les pratique et défis de l'évaluation en ligne** montréal ، REFAD

17-Christophe michaut (2013)، **les nouveaux outils de la tricherie scolaire au lycée** ، CREN-université de Nantes139-138

18-karehka ramey **(**2013)، **what is technology:meaning of technology and its use** ، www.use of technology .com

19-Kevin Curran (2013) , **Gary Middleton and others** , Ethical Technology Use Policy and Reactions in Educational Settings, P234 ,235

20-www.voanenis.com

21-http://www.alittihad.ae/details.php?id=59000&y=2012&article=full

دور التفاعلات الاجتماعية والأنشطة الرياضية في الحد من العود للجريمة

من وجهة نظر السجناء الشباب المفرج عنهم.

د/ وسيلة بن عامر
جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ الجزائر.

د/ فايزة حلاسة
جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ الجزائر.

ملخص:

يتضمن العنف إيذاء للذات أو الآخرين، والذي ينطلق أساسا من دوافع نفسية أو غريزية أو اجتماعية، وفي بعض الأحيان قد يكون دافع واحد هو القائم وراء سلوك العنف وأحيانا نجد تضافر أكثر من دافع، وباعتبار أن السلوك الإجرامي متضمن للسلوك العنيف التدميري للآخرين مهما بلغت شدته ونوعه، فهو يتضمن ركن إيذاء الطرف الآخر والمساس بحقوقه المشروعة، وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دور الأنشطة الرياضية في تفريغ العنف لدى المسجون المفرج عنه من شباب مدينة بسكرة، كذلك ما إذا كان للتفاعلات الاجتماعية دورا في الحد من العنف لديهم أيضا ، وتوصلت الدراسة بعد تحليل مضامين المقابلات إلى عدم تحقق الفرضيتين نتيجة العلاقة بين العنف ودوافع ارتكاب الفعل الإجرامي ، والعود إلى الجريمة وفشل مجموعة من الآليات التي تطبق على المساجين سواء خلال قضائهم الفترة العقابية داخل السجون أو بعد الخروج من السجن.

الكلمات المفتاحية: التفاعلات الاجتماعية، الأنشطة الرياضية، العود للجريمة، السجناء الشباب

Abstract:

Violence mayinclude self-harm or others, based primarily on psychological, instinctive or social motives. In some cases, one of these motives maybe behind violent behaviour. In other cases, we sometimes find more than one motive of these. Therefore, criminal behavior is included in the destructive behaviour of others .Infact, it includes the corner of harm to the other party and the violation of legitimate rights. In line with this problematic, this study aimed to identify the role of sport activities in the discharge of violence amongre leased young prisoners in Biskra , as well as whether social interactions played a role in reducing such a resulting violence.

Keywords: social interactions, sport activities, recidivism, young prisoners

مقدمة:

يعد السلوك الإجرامي من أخطر الظواهر التي تهدد المجتمعات في أمنها واستقرارها، ينعكس سلبا على مختلف مصالح المجتمع ككل، وهو انتهاك وخرق للقواعد والمعايير الأخلاقية. ، كما يعتبر مؤشر قوي يهدد نظام المجتمع، ويؤثر على بيئاته الاجتماعية وتضطرب من خلاله حياة الأفراد.

ونظرا للتغيرات الاجتماعية المعاصرة تسارعت الجريمة وتعددت، وقد أسهمت العوامل المختلفة في تنوعها منها طبيعة التنشئة الأسرية وتأثير الأقران، وسائل الإعلام والاتصال، الظروف الاقتصادية، تحديات العولمة وأثارها وغيرها. وإن المتصفح لحال المجرم ودوافعه قد يصل إلى أنه كان ضحية ظروف نشأته وتربيته، في وسط سمح له أن يقبل على ارتكاب الأفعال المسيئة للآخرين بكل سهولة وأن تعرضه للعقاب لا يعد أحيانا استيراتيجية للعلاج، ونقصد في هذا المقام عقوبة سجنه والإفراج عنه ، والمدة التي يقضيها بالسجن وأساليب إعادة التربية التي توجه له قصد تغيير سلوكاته ودورها في الحد من العود إلى الجريمة مرات عديدة ، ومن الفئة المستهدفة في هذه الدراسة فئة الشباب المفرج عنه.

1-مشكلة الدراسة:

تعد دراسة السلوك الإجرامي في مرحلة الشباب بالغة الأهمية لما لهذه المرحلة العمرية من دور في بناء المجتمع، والعمل على تماسكه والمحافظة على قيمه ومعايير تطوره، وإذا سلك الشباب طريق العنف أصبح المجال متاح للإقبال على ارتكاب الجريمة مع اختلاف أنواعها، وقد تكون الأسرة المسؤول الأول عن هذه السلوكات الخارجة عن قانون المجتمع، بسبب الفقر والجهل والإهمال للأبناء أو التقليد لسلوك الآباء، وعجزت المدرسة على أداء الدور التربوي قبل التعليمي في ظل التغيرات الاجتماعية، كما أن وسائل التواصل أتاحت فرص الخروج عن المعايير والقيم، بشكل انعكس على الشاب وشخصيته بصفة سلبية، وتؤكد المدرسة الكلاسيكية التحليلية أن الجريمة ما هي الا تعبير عن أزمة نفسية داخلية واشباع لاشعوري لغريزة عدوانية مكتسبة من فترة النشأة والتكوين، والتي نمت نتيجة فشل الأسرة في عمليات التربية.

تعتبر التفاعلات الاجتماعية مؤشر للعلاقات الاجتماعية، ويتوقف عليها سلوك الفرد وقد يكون لها أثر ايجابي في تعديل السلوك العنيف المضر بالآخرين، اذا استطاع الطرف المؤثر في سلوك الفرد أن يصل إلى أهدافه من خلال تهذيب السلوك المستهدف. ويتأثر الفرد بمشجعيه وأقرانه وأهله والمحيطين به، ولا نقصد أن الفرد فقط يبدي استجابة لمؤثر ما حسب ما تراه النظرية السلوكية فحسب بل للمعتقدات

والأفكار أثر في ذلك أيضا، فما يعتقده الفرد من إدراك ردود فعل الآخرين اتجاهه يؤثر في شخصيته وتصرفاته، والمسجون المفرج عنه يتأثر بردود الفعل نحوه الناتجة عن تفاعلاته مع المحيطين به.

ومن الاستراتيجيات التي تساعد على تهدئة الفرد و تعديل مزاجه العنيف ممارسة النشاط الرياضي لضمان الاسترخاء العضلي والمعنوي، خاصة أن الشاب المفرج عنه في حاجة إلى مساعدة لاختيار حياة أفضل، وأن تعود الفرد على السلوك والإقبال على تنفيذه، ونقصد هنا ممارسة العنف والجريمة وانقضاء مدة العقوبة وإمكانية العود لهما مرة أخرى، لذلك نتقصى في هذه الدراسة إجابة عن تساؤلين هما:

-هل للتفاعلات الاجتماعية دورا في الحد من العود للجريمة من وجهة نظر السجناء الشباب المفرج عنه؟

-هل للأنشطة الرياضية دورا في الحد من العود للجريمة من وجهة نظر السجناء الشباب المفرج عنه؟

وتكمن أهمية الدراسة في البحث عن الاستراتيجيات التي يمكن أن تفيد الشاب المفرج عنه في تعديل سلوكاته، ولفت انتباه المسؤولين إلى ضرورة تأهيل الشاب لدور اجتماعي أفضل بدلا من الإفراج عنه دون تكفل وتوجيه وإرشاد، فيعود لارتكاب الجريمة وربما بطرق أكثر خطورة من قبل.

وتتجسد أهداف الدراسة في التعرف على الدور الذي يقدمه المجتمع من خلال تفاعله مع حالات الدراسة، كذلك الدور الذي تلعبه الأنشطة الرياضية في مساعدته للتغلب عن سلوكاته المضرة بالمجتمع.

2-مصطلحات الدراسة:

1- الجريمة:

اختلف العلماء في تعريف الجريمة حسب اختصاصاتهم فعلماء النفس عرفوها بأنها: " تعارض سلوك الفرد مع سلوك الجماعة "، وعلماء الاجتماع عرفوها بأنها: " كل فعل يتعارض مع ما هو نافع للجماعة وما هو عدل في نظرها(**العيسى، 2014، ص1+**)

ومن الناحية القانونية فهي: سلوك إنساني منحرف يمثل اعتداء على حق أو مصلحة من الحقوق أو المصالح التي يحميها الشرع أو القانون الصادر بناء عليه. ويعني كل سلوك إنساني غير مشروع إيجابيا كان أم سلبيا عمديا كان أم غير عمدي يرتب له القانون جزاء جنائيا.

وعلماء الاجتماع الجنائي عرفوا الجريمة بأنها: "الفعل الحاصل والمرتكب من قبل الفرد والذي لم يستطع أن يتلاءم مع القوانين التي تحكم النظام الاجتماعي". أما علماء الإجرام فعرفوا الجريمة بأنها: "كل مخالفة لقاعدة من القواعد التي تنظم سلوك الإنسان أو الجماعة"(**صبحي،2006، ص34**).

وترتبط الجريمة بالعنف وهي ناتجة عن إحدى مظاهره، ولا يمكن أن نتحدث عن الجريمة دون أن نشير إلى العنف ومظاهره.

2- العنف:

عرف العنف في العلوم الاجتماعية بأنه "استخدام الضبط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما".

أما التعريف القانوني فيشير إلى أنه " كل فعل ظاهر أو مستتر، مباشر أو غير مباشر، مادي أو معنوي، موجه لإلحاق الأذى بالذات أو بالآخر أو جماعة أو ملكية واحد منهم . وهذا الفعل مخالف للقانون، ويعرض مرتكبه للوقوع تحت طائلة القانون لتطبيق العقوبة عليه" (**حسين، 2008**).

والعنف سلوك يؤدي إلى إيذاء شخص لشخص آخر، قد يكون هذا السلوك لفظيا يتضمن أشكالا بسيطة من الاعتداءات الكلامية أو التهديد، وقد يكون السلوك فعليا حركيا كالضرب والسرقة والاغتصاب والقتل وغيرهم، وقد يؤدي إلى حدوث ألم جسدي أو معاناة أو كل ذلك، وهذا طبعا أمر غير مرغوب فيه لما يؤدي إليه من نتائج.

يرجع فرويد العنف إما لعجز (الأنا) عن تكييف النزعات الفطرية الغريزية مع مطالب المجتمع وقيمه ومثله ومعاييره، أو عجز الذات عن القيام بعملية التسامي أو الإعلاء، من خلال استبدال النزعات العدوانية والبدائية والشهوانية بالأنشطة المقبولة خلقيا وروحيا ودينيا واجتماعيا، كما قد تكون (الأنا الأعلى) ضعيفة، وفي هذه الحالة تنطلق الشهوات والميول الغريزية من عقالها إلى حيث تلتمس الإشباع عن طريق سلوك العنف.

وتفترض نظرية التعلم الاجتماعي أن الأشخاص يتعلمون العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى، وأن عملية التعلم هذه تبدأ بالأسرة ، فبعض الآباء يشجعون أبناءهم على التصرف بعنف مع الآخرين في بعض المواقف، ويطالبونهم بألا يكونوا ضحايا العنف (**حلمي ، 1999 ، ص235**).

3- التفاعلات الاجتماعية:

عرف التفاعل الاجتماعي بأنه:" العملية التي يرتبط بها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض عقليا ودافعيا، وفي الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف وما شابه ذلك" **(أبو جادو، 2010، ص 87).**

وبمعنى آخر فهو سلوك متبادل بين شخصين أو أكثر يتوقف سلوك أحدهما على سلوك الطرف الأخر ويتعلم الفرد أنماط السلوك المتنوعة والاتجاهات التي تنظم العلاقات بين الأفراد في إطار القيم السائدة والثقافة والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها.

ويتأثر الفرد بالآخرين ويواجه المشكلات الناتجة عن عمليات التفاعل، فقد يكون للتفاعل الاجتماعي الدور الايجابي من خلال علاقات المساعدة والتقدير والاحترام والرضا والقبول المتبادل وغيرهم ، كما قد يكون للتفاعل الاجتماعي دورا سلبيا ينعكس على سلوك الفرد وردود أفعاله كمواقف العدوان وحب الذات أو الدفاع عن الذات بأساليب مضرة للآخرين، ومواقف القلق والتوتر والمعاملة السيئة أو النظرة الدونية للآخر، والتفاعل الرمزي السلبي خاصة ما يتعلق بالسجين المفرج عنه بحكم أن لديه سوابق. فقد يتولد لديه الشعور بنبذ الآخرين له وعدم تقبله وسط الجماعة، أو النظر له والتفاعل معه بحذر.

4- الأنشطة الرياضية:

تعد الأنشطة الرياضية من أهم التقنيات المساعدة على عمليات الاسترخاء و الترويح وتفريغ الضغوط النفسية وإعادة نشاط الجسم وتنظيمه، وهي جزء أساسي من التربية العامة تهدف إلى تحسين قدرات الفرد في مجالات عديدة أهمها توجيه السلوك الحركي.

و تعرف النشاطات البدنية و الرياضية على أنها: " مجموعة السلوكيات الحركية التي ترتبط باللعب، ويمكن استغلالها في المنافسات الفردية و الجماعية و تطبيقاتها المنتظمة هي تطوير و تحسين أو صيانة الصفات البدنية و النفسية التي تسهم في تفتح الفرد و تكييفه مع محيطه و كذلك النشاطات البدنية و الرياضية تسعى إلى تكوين الإنسان تكوينا كاملا" **(A. storm : p 09).**

ب-الجانب التطبيقي:

1-منهج الدراسة:

يستعمل المنهج العيادي في الدراسات المعمقة والمركزة حول دراسة الشخصية، و يهدف إلى علاج و تشخيص من يعانون من مشكلات سلوكية واضطرابات نفسية ، وقد وظف المنهج العيادي لتحليل المقابلات من خلال معرفة التنظيم النفسي للأحداث كما يدركها المبحوث.

2- عينة الدراسة:

اشتملت الدراسة على حالتين ذكرين تتراوح أعمارهم مابين (21-23) سنة، مرتكبين لعدة جرائم على التوالي، بفارق زمني لا يتجاوز العام بين الجريمة والأخرى ، تتنوع ما بين السرقة والسكر العلني والاعتداء على الآخرين بالضرب، وهم حاليا مفرج عنهما في قرار العفو الصادر عن رئيس الجمهورية في تاريخ 5 جويلية 2015 .

3-الأدوات المستخدمة في الدراسة:

للتأكد من صحة ومصداقية المعلومات المتوفرة في أي بحث علمي، يجب الاعتماد على طرق منهجية و تقنيات موضوعية للقياس والاختيار، لذا اخترنا في بحثنا هذا تقنيات تتماشى مع تساؤلات الدراسة وهي المقابلة العيادية نصف الموجهة، ومقياس العنف وتتمثل هذه التقنيات فيما يلي:

3-1 المقابلة نصف الموجهة:

تعتبر من التقنيات التي لا يمكن الاستغناء عنها عند القيام ببحث علمي، خاصة في المجال العيادي لأنها تسمح بالتقرب أكثر من المبحوث وجمع المعلومات والبيانات وتهيئة الفرصة أمام الأخصائي العيادي للقيام بدراسة شاملة للحالات المطروحة، وذلك عن طريق المحادثة الهادفة والفهم الشامل لما يعانيه المبحوث **(ابو غزالة،2000-ص45)**.

وقد احتوت المقابلة على ثلاث محاور:

-محور البيانات العامة

-محور العنف الرمزي

-محور العنف الجسدي

3-2-مقياس أشكال العنف:

يتكون مقياس العنف من 50 بندا مقسمة إلى محورين محور العنف اللفظي ومحور العنف الجسدي، بحيث يحتوي كل محور على 25 بندا، وقد كانت البنود موزعة على ثلاث بدائل استجابة دائما/4، نادرا/3، مطلقا/2، ليحصل على درجة تتراوح مابين100 إلى 200 درجة على المقياس الكلي، وقد تم تقنينه على مجموعة من المراهقين البالغ عددهم 100، والجدول التالي يبين الخصائص السيكومترية للمقياس:

الخصائص السيكومترية لمقياس أشكال العنف

الخاصية	القيمة
صدق الاتساق	0.59
الصدق الذاتي	0.81
الثبات بالتجزئة النصفية	0.66
الثبات وفق معادلة الفاكرونباخ	0.70

من خلال حساب المؤشرات السيكومترية لمقياس العنف المشار اليه سابقا، أظهرت النتائج على أن المقياس صالح للاستخدام على عينة الدراسة الحالية.

4-عرض وتحليل نتائج الدراسة:

4-1- تقديم الحالة الأولى:

السن:21سنة، لرتبة بين الإخوة: الأخير ،المستوى التعليمي:2متوسط ، الوضع الاقتصادي: متوسط حالة الأبوين:أب متوفي.

نوع الجريمة: سرقة الحكم:عام و 6 أشهر الوضعية الحالية: مفرج عنه في عفو5 جويلية .

4-1-1 عرض و تحليل محتوى المقابلة والمقياس مع الحالة الأولى:

العدد الكلي للوحدات 174 وحدة.

جدول يوضح تكرارات الوحدات للمقابلة مع الحالة الأولى

المحاور	التكرارات	ت	%	المجموع
العنف اللفظي	شتم الآخرين	20	%11.49	%35.04
	الدخول في شجارات كلامية	22	%12.64	
	الاستهزاء بالغير	19	%10.91	
العنف الجسدي	الميل إلى ممارسة ألعاب الضرب والتكسير	18	%10.34	%64.93
	الاعتداء بالضرب على الغير	50	%28.73	
	عدم التحكم في النفس	45	%25.86	

4-1-2 تحليل محتوى المقابلة:

تم جمع محتوى المقابلة مع الحالة الأولى وتقسيمه إلى وحدات التي بلغت 174 وحدة، وتم بعد ذلك تقسيم كل محور من المقابلة إلى مؤشراته الفرعية، بحثا عن وحدة المعنى الدال عن العنف اللفظي والجسدي، وقد كانت نتيجة المحور الثاني الذي يحمل عنوان العنف الجسدي أكبر نسبة مئوية والتي قدرت ب64.93% مقسمة إلى 28.73%على مؤشر الاعتداء بالضرب على الآخرين ، وبعدها نسبة25.86% لمؤشر عدم القدرة على التحكم في النفس، ثم مؤشر الميل إلى ممارسة ألعاب الضرب والتكسير بنسبة 10.34% ، وهي أقل نسبة في هذا المحور، ويأتي بعد ذلك المحور الأول الذي يحمل عنوان العنف اللفظي الذي تحصل على نسبة35.04% كنسبة كلية للمحور، مقسمة على المؤشرات الدالة على العنف الرمزي بدءا بأعلى نسبة والتي قدرت ب12.64% على مؤشر الدخول في شجارات

كلامية مع الآخرين، وعده مؤشر شتم الآخرين بنسبة11.49%، ثم المؤشر الأخير وهو الاستهزاء بالغير بنسبة10.91%.

ويوضح الجدول الآتي الدرجة التي تحصلت عليها الحالة على مقياس أشكال العنف.

جدول يبين درجة الحالة الأولى على مقياس أشكال العنف.

المحور	الدرجة	التقييم
العنف اللفظي	90	مرتفع
العنف الجسدي	110	مرتفع
الدرجة الكلية	179	شديد

4-1-3 التحليل العام للحالة الأولى:

من خلال تطبيق أدوات الفحص العيادي، توصلنا إلى مجموعة من النتائج الدالة على وجود أشكال العنف، الذي يمارسه المراهق المفرج عنه، الذي يمارس بعض الأنشطة الرياضية كممارسة كرة القدم،الجري لمسافات طويلة... والذي يعيش داخل أسرة شبه مفككة، ينعدم الحوار فيها بين أفرادها خاصة بين السلطة العليا والأبناء ومن بينهم المراهق حالة الدراسة، ومن خلال تحليل محتوى المقابلة مع الحالة للبحث عن مؤشرات نوعية لأشكال العنف لديه، بما أنه يمارس بعض الأنشطة الرياضية التي من شأنها تفريغ شحنات الأدرينالين المسببة للعنف من وجهة نظر فيزيولوجية، ومن خلال ذلك التحليل لمسنا أن الحالة لديها عنف جسدي مرتفع بدرجة كبيرة تكفيه إلى أن يعتدي على الآخرين بالضرب، حيث بلغت نسبة هذا المؤشر28.73%، والذي ظهر من خلال تصريحاته بأنه عندما يقدم على الضرب والشجار يرتاح، فالطاقة الهائلة الدافعة بالمراهق إلى هذا السلوك العنيف هي ليست وليدة الصدفة، وإنما هي صادرة من الشحنات الانفعالية المكبوتة، النابعة من مكنونات رفض الوضع الاجتماعي الذي يعيشه المراهق، بالإضافة إلى تطابق نتيجة مقياس أشكال العنف مع محتوى المقابلة مع الحالة، ودلت الدرجات المشار إليها سابقا على ارتفاع ممارسة العنف ، والسلوك العنيف الذي يصدر عنه قد لا يعتبره المجتمع والمحيطين به على أنه سلوك سلبي، بل قد يعتبر سلوك رجولي ينم عن القوة وهذه النظرة استدخلت للحالة عبر آليات التنشئة الاجتماعية، وقد أشار إلى أن استعماله للعنف يعجب من يحيطون به من الأهل والرفاق، وذلك أنهما المقياس الذي يمكن من خلاله معرفة المقدار الذي يتصف به الإنسان من الرجولة في نظرهم. وهذا النوع يتناسب طرديا مع الثقافة التي يحملها المجتمع، وخصوصا الثقافة الأسرية،

فكلما كان المجتمع على درجة من الثقافة والوعي، كلما تضاءل دور هذه السلوكات حتى ينعدم في المجتمعات ذات الثقافة الراقية، وعلى العكس من ذلك في المجتمعات ذات الثقافة المتدنية، إذ تختلف درجة تأثير هذه الدوافع باختلاف درجة انحطاط ثقافات المجتمعات وهذا ما يوضح لنا ميل الحالة إلى العاب الضرب والتكسير، لأن تفاعله مع المجتمع هو الذي حددها له منذ الصغر لتمهد لظهور نوع من العنف لديه .

يري سيجموند فريد (freud,S) أن الجريمة تعبير عن طاقة غريزية لم تجد لها مخرجا اجتماعيا، أدت إلى سلوك لا يتفق والأوضاع التي يسمح بها المجتمع، حيث يرى أن الإجرام ماهو إلا تعبير عن أزمة نفسية داخلية واشباع لا شعوري لغريزة عدوانية مكتسبة من فترة النشأة والتكوين وقد نمت في ظل فشل الأسرة في عمليات التربية سواء بالقسوة والحرمان أو الاشباع الزائد للرغبات **(ال سعود، 1998)**.

وبما أن الحالة في فترة المراهقة فهو يعيش في قطبية العلاقة الثلاثية للصراع كما ترى النظرية التحليلية الكلاسيكية، وهو في الحالة الطبيعية ويجد صعوبة في المرور من تلك المرحلة، والحالة يمر في صراع حقيقي وليس هوامي نفسي مع العنصر الذكوري في المنزل وهو الأب، فلم يجد الحالة منفذا لتخفيف الضغط من جراء الصراع فلجا إلى العنف كآلية تسوية بين ما يعيشه هو داخليا ولاشعوريا كمتطلب للنمو النفسي الجنسي وما يعيشه في واقعه الاجتماعي، وبما أن الصراع مزدوج لدى الحالة من الداخل والخارج فنجده قد أسقط عنفه على الجانب الجسدي وما هذا إلا مؤشرا عن شدة المعاناة النفسية التي يعيشها الحالة، وتطور هذا العنف الجسدي إلى إجرام وبهذا الصدد لو نفسر الحالة تبعا **لملير ودولارد** أصحاب نظرية الإحباط والعدوان، فالحالة لديها نوع من الإحباط في اشباع حاجات الاستقرار الأسري، يتولد عن ذلك الإحباط في اشباع مشاعر العدوان، والتي يسقطها الحالة ويزيحها إلى موضوع خارجي غير الموضوع الآلي المثير للإحباط، فيعتدي على شخص آخر في متناول يده والذي أطلق عليه دولارد وميلر كبش الفداء، ولكنهما لم يحدد حجم هذا الإسقاط للطاقة العدوانية النابعة من الاحباط، ولكن يستنبط الباحثان في هذه الحالة انه اذا بقي الإحباط الناتج عن عدم وجود مصرف طبيعي لشحنات العنف في تصاعد فإننا نتوقع أن تطور العنف لدى الحالة نوعية الإجرام قد يبدأ بصورة غير منظمة وغير مقصودة (سرقة– ضرب– تكسير..)، وقد يتطور إلى جريمة مقصودة ومنظمة.

إن الشخص الذي يمكن أن يقوم بأعمال عنف لديه مشكلات في التفاعل مع أقرانه ولديه مهارات اجتماعية ضعيفة، وغالبا ما يميل للبعد عن الواقعية وتكثر لديه الاندفاعات، ويميل للمواقف العنادية

ويشعر دائما بانتقاص في قدر الذات فيشعر بالنبذ والتوتر مع عدم القدرة على التعامل مع الضغوط، بالإضافة إلى انخفاض في مستوى الذكاء اللفظي والاجتماعي والتحصيلي مع شعور بعدم الأمان والاضطهاد. وليست المشكلة فقدان الأب ولكن المشكلة فشل القيم في تعليم الأبناء عواقب الأمور أو مترتبات أفعالهم. أيضا التكوين البيولوجي الذكاء وجنس الفرد واندفاعيته ونمط تكوينه الجسمي من الأمور التي تسهم في ظهور السلوك العنيف لما لذلك من علاقة بقدرة الفرد على فهم قوانين المجتمع وما يترتب على أفعالهم من عواقب بالإضافة إلى اتسامهم بالاندفاعية (أي عدم القدرة على تأجيل إشباع حاجاتهم مقارنة بمعظم الناس(**اسعد،2012،ص20**).

أظهرت دراسة أجريت في 40 بلدا ناميا أنّ معدلات تعرّض الذكور للتنمّر(العنف) تراوحت بين 8.6% إلى 45.2% ، ويزيد عنف الشباب، بشكل كبير، من التكاليف الصحية وتكاليف خدمات الرعاية والعدالة الجنائية، ويتسبّب في خفض الإنتاجية وتراجع قيمة الممتلكات وتفكيك النسيج الاجتماعي عموما.(**عرقسوسي ،2017**).

4-2-عرض وتحليل نتائج الحالة الثانية:

4-2-1 تقديم الثانية:

السن:23سنة ، الرتبة بين الإخوة: الأوسط ، المستوى التعليمي: 4 متوسط، الوضع الاقتصادي: متوسط، حالة الأبوين: غير مطلقين.

نوع الجريمة: سرقة وسكر علني ، الحكم:عام و6اشهر، الوضعية الحالية:مفرج عنه في عفو 5 جويلية.

4-2-2 عرض وتحليل محتوى المقابلة والمقياس مع الحالة:

العدد الكلي للوحدات277 وحدة

جدول يوضح تكرارات الوحدات للمقابلة مع الحالة الثانية.

المحاور		التكرارات	النسب	المجموع
العنف اللفظي	شتم الآخرين	40	%14.44	%44.04
	الدخول في شجارات كلامية	52	%18.77	
	الاستهزاء بالغير	30	%10.83	
العنف الجسدي	الميل إلى ممارسة العاب الضرب والتكسير	60	%21.66	%39.87
	الاعتداء بالضرب على الغير	50	%18.05	
	عدم التحكم في النفس	45		

4-2-3 تحليل محتوى المقابلة:

من خلال تحليل محتوى المقابلة مع الحالة الثانية ، بلغ عدد الوحدات الكلي277 وحدة، وقد كان المحور الأول الذي يحمل عنوان العنف اللفظي قد حصل على أعلى نسبة مئوية(44.04%)، بحيث تحصلت الحالة على نسبة18.77% في محور الدخول في شجارات كلامية، وتحصلت أيضا على نسبة ليست بعيدة عن نسبة هذا المؤشر وهي14.44%على مؤشر شتم الآخرين ثم مؤشر الاستهزاء بالغير ليسجل أقل نسبة بالنسبة للمحور الأول وهي10.83%، ثم ننتقل إلى المحور الثاني الذي يحمل عنوان العنف الجسدي، بحيث بلغت النسبة المئوية الكلية له39.87%، وكانت أعلى نسبة فيه لصالح مؤشر الميل إلى ممارسة العاب الضرب والتكسير بسنبة21.66%، بعدها مؤشر الاعتداء بالضرب على الآخرين بنسبة18.05%، وآخر نسبة التي قدرت ب16.24% كانت لصالح مؤشر عدم القدرة على التحكم في النفس.

أما عن نتائج مقياس أشكال العنف تمثلت في ما يلي:

جدول يبين درجة الحالة الثانية على مقياس أشكال العنف

المحور	الدرجة	التقييم
العنف اللفظي	100	مرتفع
العنف الجسدي	97	مرتفع
الدرجة الكلية	197	شديد

4-2-4-التحليل العام للحالة الثانية:

من خلال النتائج السابقة للحالة الثانية، يظهر أن العنف اللفظي هو المسيطر عليها، فقد بلغت درجة محور العنف اللفظي 44.04%، وهي أكبر من درجة محور العنف الجسدي، بحيث قال :"عندما أتكلم مع الآخرين ولا يعجبني كلامهم أشتمهم" أحب الشتم... عندي قاموس للشتائم... بحيث بلغت درجة الحالة على مؤشر شتم الآخرين 14.44%، بالإضافة إلى الدخول في شجارات كلامية مع الآخرين ، بحيث بلغت درجة المؤشر 18.77%، والحالة يحب أن يعبر عن مكنونات العنف لديه من خلال اللفظ الجارح للآخرين، باعتباره وسيله لرد الاعتبار المزعوم، ولتفريغ شحنات القلق غير المبرر التي لا تتناسب مع المثير الاجتماعي المستثير للعنف . وبذلك ستكون هي الأرضية التي تبني عليها الحالة استجاباتها العنيفة، ردا على الوضع الأسري غير المستقر التي تعيشه الحالة المتمثل في انعدام العلاقات بين الحالة ووالديه، وعيشهما تحت سقف واحد ولكن مثل الضيوف، وهذا يدل على وجود نوع من الطلاق النفسي للوالدين، والذي يؤثر على الصورة الوالدية للمراهق وبقية إخوته بصورة عامة، بالإضافة إلى أزمات المراهقة التي يمر بها.

إن تراجع دور الدين كمرجعية لسلوكات الكثير من الشباب: وسيادة التدين المظهري الأجوف بعيدا عن جوهر الدين كالتزام حقيقي في صورة سلوكات ومعاملات (الدين المعاملة). والإيهام بممارسة الحرية في كل شيء ولو كان متصادما مع الدين ،الأخلاق، العادات، التقاليد، القيم المتعارف عليها اجتماعيا. وقد توصلت بعض الدراسات إلى انخفاض تأثير مشاهدة الفضائيات والأنترنت على زيادة التمسك بالدين، لاسيما مع كثرة الفضائيات التي تروج صراحة للانحلال والفساد، فضلا على أن الكثير من الشباب يعترفون أنهم أصبحوا ينشغلون عن الصلاة بفعل تفاعلاتهم الاجتماعية في متابعة الفضائيات أو الجلوس أمام الإنترنت. ناهيك على أن متابعة هذه الوسائل كانت سببا في الإدمان على الخمر والمخدرات

والجنس، وهي كلها من انعدام الالتزام الديني لدى الشباب (بلغيث، ب س، ص46). وذلك ما تؤيده نظرية المخالطة الفارقة لـ سذر لاند اذ ترى هذه النظرية أن العنف سلوك يتعلمه الفرد من خلال محيطه الاجتماعي المختلط به، وأنه كلما زادت درجة التقارب بين الفرد ومحيطه زادت إمكانية التعلم والاقتناع بالسلوك العنيف، وتعتبر هذه النظرية أن الأسرة هي أكثر المحيطات التي يتعلم منها الفرد بحكم تفاعله المستمر معها، ثم تأتي بعدها المدرسة.

كما تبين الدراسات اللسانية كذلك أن الشاتم والمشتوم كثيرا ما يفقدان السيطرة على عملية تبادل العنف اللفظي، فإذ بشتيمة قد تبدو تافهة وعادية تفضي إلى سيل عارم من الألفاظ النابية، وقد يتحول العنف اللفظي في كثير من الأحوال إلى عنف جسدي، قد يؤدي أحيانا إلى الموت أو السجن. ولعل أهم ما يجب أن تفيده هذه الدراسات هو كيف نمنع مثل هذا التصرف المتهور، وكيف نربي الناشئة على عدم الخضوع لاستفزاز الشتائم وعدم الإجابة عن الشتيمة إجابة تختلف عن المعمول به في أغلب الأحيان وهو شتيمة تضاهيها أو أتعس منها (**الحبيب،2009، ص1**).

5-استخلاص عام للنتائج:

من خلال إجراء المقابلات وتطبيق مقياس العنف مع الحالتين تبين غياب الدور الايجابي للأنشطة الرياضية في الحد من العود للجريمة ، كذلك أن الدور السلبي للتفاعلات الاجتماعية من أهم العوامل المؤدية بالسجين المفرج عنه – في حالتي الدراسة – من أن يعود لممارسة السلوكات التي تؤدي به إلى ارتكاب العنف والذي يعاقب عليه القانون أو ما يعرف بالجريمة.

وحسب ما لوحظ من خلال تحليل المعطيات أن الحالتين يستغلان السلوك الإجرامي للفت الانتباه الاجتماعي والأسري على حد سواء، لتعويض ما يعيشانه من نقص أو فتور في العلاقات الاجتماعية والأسرية، بحيث أجمعت مدارس علم النفس في تحليل السلوك البشري إلى أن ظاهرة العود أو الهدف من تكرار السلوك هو استحضار اللذة، وقد ردته إلى التعلم الخاطئ وهذا ما يبرر عدم استجابة الحالتين إلى العقاب الذي يتعرضان له.

خاتمة:

إن اتسام السلوك الإجرامي بصبغة العنف هو أمر مسلم به، إذ لا تخلو جريمة من العنف سواء كان ماديا أو معنويا، ولكن عندما يلتحق السجين بالمؤسسات العقابية، والتي من أهدافها تهذيب السلوك من خلال برنامج مسطر وزاريا له أهداف طويلة الأمد، والتي نلمس أثارها بعد الخروج من تلك المؤسسات والاندماج داخل أفراد المجتمع، خاصة لدى فئة المسجونين المفرج عنهم في قرارات العفو

الرئاسية، أي أن الدولة كافأتهم على حسن سلوكهم، وهذا سيكون بمثابة تعزيز لهم للحفاظ على السلوك المرغوب الخالي من العنف، إلا أن الواقع يفرض العكس إذ أن السجين بعد خروجه من السجن سيلتف إما إراديا أو قهريا حول ثلة من أصحاب السوابق الذين يشعر بالانتماء لهم هروبا من الوصم المجتمعي، وهذا ما يشجع فيه انتهاج سلوك العنف المفضي للعود للجريمة.

وقد توصي الدراسة بضرورة إعداد برامج لإعادة التربية تهتم بشخصية السجين وماضيه وكيفية إرشاده وعلاجه من السلوكات المضرة للفرد والمجتمع.

قائمة المراجع:

1. **ابوجادو صالح محمد (2010): سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط1، عمان الأردن. دار الميسرة.**
2. **أبو غزالة، هيفاء (2000): العنف ضد المرأة، نشرة دورية. الوكالة الأميركية للتنمية،عدد رقم 2 .**
3. **أحمد، ممدوح صابر(2012) ،اشكال العنف الاسري الموجه نحوى المراة وعلاقته ببعض مهارات التوكيد الذات في العلاقات الزوجية،المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد1،العدد8.**
4. ***أسعد، علي (2012)، وظيفة الطاقة الاستلابية للعنف الرمزي. www.watfa.net***
5. **الحبيب، شيخ روحه (2015): يومية اخبارية سياسية جامعة ،المقر : شارع المحمد البوعزيزي – المنزه تونس http://www.assabah.com.tn/content/.**
6. **العيسى، ابراهيم بن عيسى (مستخرج 2014): الجريمة تعريفها وأنواعها http://www.aleqt.com/2006/02/13/article_4327.html**
7. **آل سعود، عبد الرحمن بن سعد(1997): الإجرام دراسة تطبيقية تقويمية ، مكتبة العبيكان الرياض.**
8. **بلغيث، سلطان(مستخرج سنة2017) ، تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب ،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري جامعة ورقلة الجزائر. /https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream**
9. **حسين، طه عبد العظيم (2008): إساءة معاملة الأطفال- النظرية والعلاج-دار الفكر، ط1، ، عمان، الأردن.**
10. **حلمي ، إجلال إسماعيل (1999): العنف الأسري ، القاهرة مصر، دار قباء للطباعة والنشر.**
11. **عرقسوسي ، محمد أيمن (مستخرج 2017) .عنف المراهقين من الوجهة النفسية دراسات نفسيّة موقع (المستشار) التابع لمركز التنمية الأسرية،المشرف العام خالد بن سعود الحليبي. http://www.almostshar.com/**
12. **صبحي، نجم محمد (2006) ، المدخل إلى علم الإجرام وعلم العقاب، ب ط ، الرياض، م العربية السعودية، مكتبة العبيكان.**
13. **A. storm.U.C.L , et Autres(1993) Activites physiques et sportives, Belgique, print Marketing SPRL.**

سياسة فرنسا الصحية بالمغرب زمن الحماية: التهدئة المؤدية للاحتلال.

د/ محمد أيت جمال ـ المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين ـ أكادير ـ المملكة المغربية.

ملخص:

كان من نتائج الوضعية المتردية التي كان يعيشها المغرب بداية القرن العشرين، والمتمثلة في استفحال مشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وصول الحالة الصحية للسكان إلى الدرك الأسفل من التدهور فلم تعد تجدي تمائم الفقهاء، ولا وصفات العشابين والدجالين، ولا اعتصام الناس بالمساجد والأضرحة. هذا الوضع استغلته فرنسا، فسخرت ما حققه الطب من تقدم لاختراق شرنقة القبائل، إذ جعلت الصحة عاملا رئيسا لإرساء قواعد تواجدها بالمغرب، فكان أحد أهم أدوات سياسة التهدئة.

Résumé :

Une des conséquences de l'état dégradée du Maroc au début du XXe siècle est la détérioration de la situation sanitaire du pays, qui a atteint son plus bas niveau de délabrement. La France a profité de l'occasion pour pénétrer le cocon des tribus en utilisantle progrès médical, elle a fait de la santé un facteur clé de sa politique de pacification pour forcer les bases de sa présence au Maroc.

مقدمة:

لا يخفى ما كانت تخلفه الأوبئة والأمراض من أثار في معيش الناس، فكان من النادر أن لا يخطف الموت أفرادا من الأسر، إن لم يكن قد أفنى جلها؛ وغالبا ما كان يقف الطب التقليدي[1] عاجزا أمام تفاقم الأمراض والأوبئة، فلا تجدي معه نفعا تمائم الفقهاء، ولا وصفات العشابين والدجالين، ولا اعتصام الناس بالمساجد والأضرحة، فكان للأطباء الأوربيين حضورا سحريا عند المغاربة ملوكا ومملوكين، وتاريخ البلاد يذكر تبوأ الكثير منهم مكانة مرموقة في قصور السلاطين والأمراء. وهو ما فطنت إليه الدول الأوربية، فشجعت إرسال الأطباء والمستكشفين تحت قناع تقديم خدمات طبية سواء قبل الاحتلال أو بعده، ودعمتهم ماديا ولوجستيكيا لتمكينهم من اختراق النسيج القبلي العصي، فلعب الكثير منهم دورا استخباراتيا يسّر احتلال البلاد، ونذكر من الطلائع الأولى لهؤلاء الطبيب فيرناند لينريس(Fernand Linéres) الذي

[1]- فإلى جانب العشابين والحلاقين، كان الفقهاء يتعاطون للتطبيب بالأعشاب، ويصنعون العقاقير المختلفة، ويعالجون بالرقي والتمائم والجداول والأحجبة. أنظر ما عدده المهدي السعيدي في مقومات التعليم العربي في سوس وبعض سماتها، ضمن ندوة مدينة تزنيت وباديتها في الذاكرة التاريخية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، 1996، ص: 241.

مكث بالمغرب ما بين سنتي 1877م و1902م، والطبيب المشهور إميل موشان(Emil Mauchamp) ،[1] وفيزجيربير (Weisgerber) ، ورينو(Raynaud) ،[2] وجوردان (Jourdan)، والطبيب بول شاتتييغ (Paul Chatinières)،[3] وغيرهم كثر.[4]

1. تاريخ حضور الأطباء الأوربيين بالمغرب:

كانت فرنسا سباقة لبناء مستشفى بطنجة سنة 1905م، تكلفت بتشييده شعبة الشؤون الخارجية، وأقامت مستوصفات في بعض المدن كفاس والعرائش والرباط والدار البيضاء ومزگان وأسفي وموگادور ومراكش.[5] وتعزز هذا التوجه بعد توقيع قانون 21 أكتوبر 1912م، الذي كان من ثماره إحداث "مصلحة الرعاية الصحية للأهالي".

سلكت اسبانيا هذا المنحى نفسه خاصة في المنطقة الخليفية بشمال المغرب، فكان تردد الأطباء الاسبان على المغرب أمرا شائعا، ونذكر منهم على سبيل المثال خواكين گاتيل (Gatel)،[6] والطبيب كول(Coll).[7] لم يقتصر الأمر على الدولتين السالفتي الذكر، بل نجد دولا أخرى حاولت التغلغل في الأراضي المغربية هادفة البحث عن موضع قدم لها، وذلك عن طريق تقديم خدمات طبية للسكان. فعلى سبيل المثال نجد أن رئيس البعثة البلجيكية إلى سكان طرفاية البارون لهور(Baron Lahure) قد رخص للطبيب المرافق له

---

[1]- لم يخف هذا الطبيب مهمته التي يقوم بها تحت غطاء ممارسة التطبيب، فقد صرح في إحدى الرسائل " إنني أدافع عن مصلحتنا كلما استطعت، وأشعر أنه حاليا ومن الأن أستطيع المحافظة بواسطة هيبتي الخاصة على هيبة بلادي. إن الكل يحترمني على الأقل ظاهريا، والذين لا يفعلون يحترموننني خوفا، وسأبدل ما في وسعي ليكون ذلك عن طريق مهنتي." وهو الأمر الذي لم يتحقق بعد إقامته لعمود التلغراف فوق سطح عيادته، مما جر عليه سخط السكان. لمزيد من التوسع يرجع إلى كتاب علال الخديمي، الحركة الحفيظية، أو المغرب قبيل فرض الحماية الفرنسية: الوضعية الداخلية وتحديات العلاقات الخارجية، 1894-1912،دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2009، من الصفحة 168إلى الصفحة 175 .

[2]- voir : Raynaud (L), étude sur l'hygiène et la médicine au Maroc, Alger, imprimerie Typographique et Lithographique, 1902.

[3]- كان طبيبا ضمن الفرقة الصحية المتنقلة لمراكش، استدعاه القايد حمو بمنطقة تلوات سنة 1915م لمعالجة إحدى زوجاته، حيث تعرف عن قرب على مجال گلاوة. توجه بعج ذلك إلى ورززات محميا من طرف فرقة مسلحة تابعة للقائد السالف الذكر، مات بتارودانت بسبب وباء 1928م.

[4]- voir Le docteur René Cruchet, la conquête pacifique du Maroc, Berger-Levrault, 1930.
Voir aussi Nelcuya Delanoë, la femme de Mazagan, Casablanca, EDDIF, collection BAB, 2007.

[5]-*Historique et situation actuelle de service prévisions*, Rapport sur l'assistance médicale indigène au Maroc, année 1913.

[6]- جاسوس إسباني، تمكن من اختراق مخزن المولى عبد الرحمان حتى أضحى قائدا لجيش المدفعية، وحاول التسرب إلى جنوب المغرب في مرحلة لاحقة تحت غطاء طبيب يريد خدمة سكان المنطقة. وقد تمكن من جعل بيروك سيد گلميم يحسن وفادته ويحميه، وبعد رجوعه قامت الجمعية الجغرافية لمدريد بإصدار يوميات رحلته سنة 1874م.

[7]- أرسله ملك إسبانيا شارل الرابع تلبية لطلب المولى سليمان بعد فاجعة طاعون 1898- 1889م.

روسيل (Russel) بفحص أهل المنطقة ومعالجتهم من الرمد والجدري، تعبيرا منه عن حسن نيته تمهيدا للسماح له بإقامة مركز تجاري بمنطقة أفطوط.[1]

ولم تتوان انجلترا وألمانيا بدورهما عن إرسال بعض الأطباء إلى المغرب للاستكشاف وللتمهيد لتواجد مأمول في المستقبل، فكان منهم الإنجليزي جون دافدسون(John Davidson)،[2]والألماني أوسكار لينز(Oscar Lenz)،[3] والطبيب هولتزمان(Holtzmann) الذي استقر بمراكش.[4]

كانت اسبانيا[5] وفرنسا على الخصوص ترومان من سياستهما الصحية بالمغرب اصطياد عصفورين بحجر بحجر واحد، فهي كانت تهدف محاصرة العدوى والقضاء على جيوب الوباء حماية لرعاياها بالمغرب، واستبعاد أي انتقال له إلى أراضي الدولتين المستعمرتين، موظفتين للتراكمات المحققة خلال القرون السابقة.

يبدو أن الدول الأوربية التي لها طموحات توسعية في الأراضي المغربية كانت متفقة بالإجماع على أهمية الموضوع الصحي في إرساء اللبنات الأولى للتقرب من المغاربة، وتكسير جدار الاحتراز، وكانت أولى الخطوات في هذا الباب إحداث المجلس الصحي بطنجة،[6] والذي كان مكونا من ممثلي الدول الأوربية القوية، وقد وقع المولى عبد الرحمان في 28 أبريل 1840م ظهيرا يعطي لممثلي هذه الدول الحق في التداول في كل ما يتعلق بالصحة في المغرب. وتعززت صلاحياته بجملة من الظهائر، كظهير 5 يناير 1916م الذي فوض للمجلس الإشراف على الشرطة الصحية البحرية. أعلن المجلس منذ البوادر الأولى لتكوينه أن غاية تأسيسه حماية أوربا وأهلها من تسرب عدوى الأوبئة إلى ترابها، لكنه مع المرور الأيام وتفاقم ظروف التردي التي كان يمر بها المغرب، زاد المجلس من ضغوطاته، مستغلا ما تحقق من نتائج طبية نتيجة للتدابير التي اتخذها، فقد سلم المغرب من خطر الكوليرا التي تفشت بجبل طارق سنة 1828م، ولم تصله العدوى في وقت عاث فيه الوباء في الجزائر سنة 1931م وفي اسبانيا في سنة

---

[1] - المكاوي أحمد، الدور الاختراقي والاستعماري للطبابة الأوربية في المغرب، منشورات الزمن، 2009، ص: 74.

[2] - في طريقه إلى تنبكتو سنة 1835م أقام بالمغرب لفترة كطبيب بقصر السلطان عبد الرحمان بن هشام، واستطاع ربط الصلة ببيروكالوادنوني لدفعه إلى قبول إقامة علاقات تجارية مع دولة انجلترا.

[3] - في طريقه إلى تنبكتو تجول في المغرب من طنجة إلى أطراف سوس، واكتسب شهرة كبيرة بسبب ما كان يقدمه للناس من خدمات طبية. أنظر كتاب:

Guillen(P), *l'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1907*, PUF, Paris, 1967, pp :117-129.

[4] - من أصل يهودي يحمل الجنسيتين العثمانية والسورية، وكان يعمل لصالح ألمانيا، أنظر كتاب :

Edmond Doutté, au pays de Moulay Hfid, in. *Revue de Paris*, 1907.

[5] - ورد وصف لهذه الخدمات في كتاب أمين الريحاني، المغرب الأقصى، ط 2 ، دار الثقافة، بيروت، 1975.

[6] - تحدث عنه بإسهاب البزاز محمد الأمين في كتابه المجلس الصحي الدولي في المغرب : 1792 – 1929 ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط، 2000.

1832م.[1] وهو ما كان يحرج المخزن خاصة فيما يتعلق بموضوع الحجر الصحي "الكرنتينة"[2] الذي كان يخضع له العائدون من مناسك الحج خاصة بجزيرة الصويرة، والذي كان يتم في ظروف بعيدة عن المعاملة الإنسانية العادية، فكانت هذه الإجراءات تحط من كرامة الزائرين للمقام الشريف، الذين كانوا في العادة يستقبلون بالتبجيل والاحترام. وتطور الأمر إلى إقرار أعضاء المجلس ما يحلو لهم دون الرجوع إلى إدارة المخزن، فأصبحوا يقررون مكانه، ولنا فيما أورده ميج (Miège) دليل على ذلك، فقد أمر عامل الصويرة بضغط من النائب الصحي بها سكان المدينة بتنظيف الساحات العمومية والطرقات والأسواق وبتبيض الدور "بالجير". وقد أثار موضوع الحجر الصحي جدالا كبيرا بين الناس، فرفضته العامة والخاصة، وجاء ذكره في كثير من المؤلفات ككتاب محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير(ألف الكتاب سنة 1779م)، تحقيق وتعليق محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م. وكتاب محمد بن المدني گنون، أجوبة گنون الكبير، المطبعة الحجرية الفاسية، 1311هـ، وفي كتاب الاستقصا، الجزء الخامس الصفحتين 183 و185. ونجد تفاصيل الحجر الصحي في يوميات إميل گيرن، رحلة مراقب صحي إلى المغرب 1911م، ترجمة وتقديم بوشعيب الساوي، منشورات القلم المغربي، مطبعة القرويين، 2011م، ويخبرنا أن انه كان ضمن المسافرين ابنا الوزير المقري الحاج الطاهر وسي محمد، واللذان لم يسمح لهما بمغادرة السفينة إلا بعد فحص طبيب فرنسي لهما.

3 . التطبيب وسيلة فعالة لاحتلال المغرب وترسيخ تواجده :

كان من نتائج الوضعية المتردية التي كان يعيشها المغرب بداية القرن العشرين، والمتمثلة في استفحال مشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تراجع مهول في عدد الأطباء التقليديين، فوصلت الحالة الصحية للسكان إلى الدرك الأسفل من التدهور فلم تعد تجدي في شيء التمائم، ولا وصفات العشابين والعطارين، ولا إلتزام الناس بالمساجد والأضرحة. هذا الوضع استغلته فرنسا، فسخرت ما حققه المجلس الصحي، وجعلت الصحة عاملا استأثر باهتمامها خلال بدايات إرساء قواعد تواجدها بالمغرب، فكان أحد أهم أدوات سياسة التهدئة، ولتحقيق هذه الغايات مارست فرنسا ما سماه ريفي "بالديكتاتورية

[1] - البزاز محمد الأمين، المجلس الصحي، م.س، ص: 44.
[2] - الكرنتينة مشتقة من كلمة (Cuarantena)، التي تعني الحجز لمدة أربعين يوما، وهي الحد الأقصى لظهور العلامات السرسرية للأوبئة.

الصحية".[1] لخصت قولة المارشال ليوطي الشهيرة: "طبيب واحد يعادل فيلقا" سياسة فرنسا الصحية بالمغرب. لقد تبين لفرنسا أهمية التغلغل الهادئ عوض استعمال السلاح لإخضاع المغاربة،[2] خصوصا وأن تطبيق هذه السياسة أملته مشاركة الفرنسيين في الحرب العالمية الأولى.

قام ليوطي أول المقيمين العامين الفرنسيين بالمغــرب، ما بين 1812م و 1925م، بصياغة السياسة الصحية الفرنسية بالمغرب،[3] والتي نجمل أهم أهدافها فيما يلي:

- جعل الخدمات الصحية وسيلة للتوغل السلمي، ومطية لاحتلال مزيد من الأراضي وتدعيما للتواجد العسكري في الجهات التي تم التمكن منها، فكان الاقتناع عند الفرنسيين أن نتائج استخدام القوة، تكون في الغالب أقل من المجهود المبذول، ومن الأهداف المسطرة لاستخدامها.[4]

- إن تطبيق سياسة صحية صارمة بالمغرب سبيل لتأمين سلامة الرعايا الفرنسيين فوق الأراضي المغربية، وضمان لسلامة فرنسا نفسها.

- إن استشفاء المغاربة، ومحاربة الأوبئة بالمغرب هو رعاية للسواعد التي ستنفد سياسة فرنسا الاستعمارية، وهو ضمان لليد العاملة سواء في الفلاحة أو الصناعة وفي أوراش تشييد البنية التحتية التي تفكر سلطات الحماية في إنشائها لتسهيل عملية الاستغلال، فالمغاربة هم أداة إنتاج، وكذلك أداة استهلاك، فهم سيشكلون لا محالة سوقا لاستهلاك ما تنتجه فرنسا بعد أن تكسد سلع الصناع المحليين.

عبر ليوطي مرارا على أهمية التغلغل الطبي في المغرب، فروج لقناعاته في هذا الباب، فلم يفوت أية مناسبة ليؤكد رجاحة سياسته، فقد ألح على سبيل المثال خلال انعقاد مؤتمر الطب الاستعماري ببروكسيل خلال شهر يونيو 1926م على "**أن عمل الطبيب هو بعثة ورسالة تعلل وتثمن التوسع الاستعماري،**

---

[1] - Rivet (D), Lyautey et l'institution de protectorat française au Maroc (1912-1925), T. 2, L'harmattan, Paris,1988, p:320.

[2]-كتب محمد حسن الوزاني في كتابه من مذكرات حياة وجهاد، الجزء الأول، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، د-ت، ص:174، كان ليوطي يؤكد لسلطات فرنسا " زودوني بطبيب أزودكم بفيلق من الجنوب".

[3]-voir Rivet (D), Op. Cit. Pp : 224-241

[4]- Oberlé et Renaud (H. P. J), la pénétration pacifique par le médecin au Maroc, *Archives de médecine et pharmacie militaire*, septembre 1922, pp:229- 261.

وتحسن عيوبه وفظاظته."[1]ومن أمثلة النصائح التي كانت تشد من عضد هذه السياسة ما صرح به الطبيب كريستياني (Le Docteur cristiani)، الذي كان يعمل بمستشفى كوكارد (l'hôpital Cocard)[2] بفاس منذ السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للمغرب، إذ أوصى بأن لا يتم تكليف الأطباء القادمون حديثا إلى المغرب بفحص المغاربة، والذين يجهلون في الغالب عادات السكان، ويعتقدون أنهم يقدمون معروفا لهم بفحصهم بالطريقة التي يقومون بها في أوربا. إذ يجب مراعاة عادات وقيم أهل البلد، حتى لا تنقلب النتائج المتوخاة إلى نقيضها.

وهكذا بمجرد أن عين ليوطي مقيما عاما للحماية بالمغرب طالب حكومة باريس بإرسال 60 طبيبا للعمل بشكل رسمي بالمغرب، وهو الخبير بتأثير المرض والتطبيب في نفوس الناس، فقد خبر ذلك خلال عمله بمدغشقر.

صورة للطبيب بول شاتنيير بلباس أعيان سوس.



[1]- Lyautey, discours au congrès de médecine coloniale, Bruxelles, le 26 Juin 1926. D'après Rivet (D), Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc (1912-1925), T.2, L'Harmattan, Paris, 1988, p:320.

[2] - أصبح إسم هذا المستشفى بعد الاستقلال مستشفى ابن الخطيب.

3.التدابير الطبية خلال فترة الحماية:

تم إحداث مديرية الصحة العسكرية منذ 1912م، وكان يشتغل بها إلى جانب المدير المركزي مديران مساعدان، الأول مكلف بالشؤون العسكرية والثاني بالشؤون المدنية، وتم في نفس السنة بناء معهد باستور وشباك لإنتاج اللقاح، وتشكلت لجنة كلفت بوضع لائحة للمؤسسات الصحية التي يجب الشروع في بنائها مع تحديد الأوليات التي ستباشر فرنسا تنفيذها؛ وفي 19 أبريل من السنة الموالية تم إعادة تنظيم المصلحة المسؤولة عن التنسيق ما بين المصلحة العسكرية والمدنية للصحة ومصلحة المساعدة العمومية، فأصبحت مصلحة واحدة تحمل اسم "مصلحة الصحة والوقاية العمومية"،وفي سنة 1926م تحولت إلى مديرية. وبهذا تمت هيكلة قطاع الصحة بالمغرب، الذي صار يتكون من مصالح مركزية لتدبير وإدارة أمور الصحة، ومصالح خارجية مهمتها تنفيذ القرارات.

كانت **المصالح المركزية للصحة** خلال هذه الفترة تتكون من الأجهزة التالية:

المصالح الإدارية، والتي تكونت من ستة مصالح، هي كالتالي:

المصالح الادارية المركزية للصحة خلال فترة الحماية:

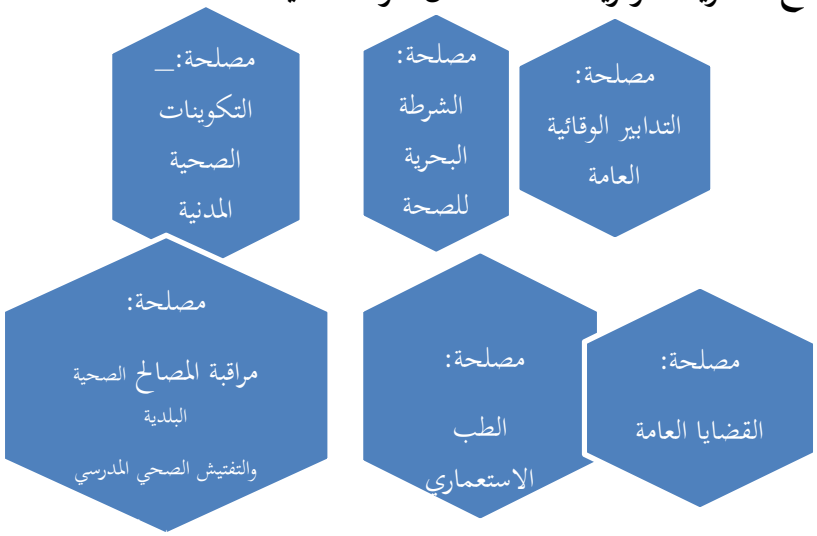

2- المعهد الوقائي بالمغرب:

كانت مهمته جمع وتنسيق المعلومات المتعلقة بالصحة والوقاية من الأمراض. ويتضمن شعبة تقنية تتشكل من الفرق الطبية، والمختبرات المختلفة، وشعبة عامة للوقاية من العدوى.

3- **المصلحة المركزية لمحاربة حمى المستنقعات.**

4- **الصيدلية المركزية بالدار البيضاء.**

5- **مكتب المساعدة،** الذي أصبح تحت إشراف إدارة الصحة والوقاية المدنية بموجب قرار مقيمي مؤرخ ب31 مارس 1937م، وكان من مهامه:

- ✓ مساعدة المسنين والمرضى الذين لا أمل في شفائهم، وحراسة الأطفال الذين هم في وضعيات صعبة.
- ✓ إشراف وتأطير عمل اللجنة المركزية للمساعدة.
- ✓ وضع المختلين عقليا من المغاربة في مراكز الملاحظة.
- ✓ مساعدة الحوامل أثناء الوضع وتوزيع منح للأمومة.

أما **المصالح الخارجية،** فكانت تتكون من المستشفيات العسكرية والمدنية الموجودة بالمدن الكبيرة، كمستشفى الدار البيضاء وفاس وبرشيد والجديدة وأسفي والصويرة وأكادير ومكناس وواد زم والرباط وتارودانت ومراكش، ومن مجموعة من المستوصفات والمعازل (Les lazarets) وكان يوجد بكل بلدية مكتب للوقاية يسيره طبيب. وتدخل ضمن المصالح الخارجية للصحة الفرق الصحية المتنقلة، والتي وصل عددها على سبيل المثال سنة 1935م إلى 16 فرقة قامت ب 229 387 من الفحوصات المختلفة.[1] وقد لعبت هذه الفرق دورا كبيرا في معرفة سلطات الحماية للمناطق التي لم تحتلها بعد، فإلى جانب دورها الاستكشافي سهلت عملية التغلغل الهادئ للاحتلال بما كانت تقدمه من خدمات طبية للسكان، وهو ما جعل المارشال ليوطي ينوه بالعمل الكبير الذي قامت به هذه الفرق" **لقد قدمت لنا الفرق الصحية المتنقلة خدمات لا تحصى، إذ كانت تنتشر كقاعات تمريض متنقلة ... في المجموعات السكنية النائية لتبحث عن الزبون الأهلي... وأحيانا تتقدم إلى الأمام في مناطق لم يتم التغلغل فيها بعد، لتلعب دور الاستمالة والأخذ بألباب الناس بفعالية أقوى من طلقة البندقية. آه على مجموعاتنا الصحية المتنقلة**

---

[1]- Guernier (E), (sous la direction*), le Maroc*, sixième édition, Encyclopédie Colonial et Maritime, Paris, 1943, p : 167.

الرائعة، كم ندين لها بما سهلته من اتصالات ، وما ساعدت عليه من جلب الناس وكسب عطفهم بل وخضوعهم."[1]

حرصت سلطات الحماية على جعل أغلب الخدمات مجانية، لكن هناك من يؤدون مقابل العلاجات التي تقدم لهم، والذين تم تصنيفهم إلى مجموعتين: الأولى تضم الذين بمقدورهم تسديد فواتير الخدمات المقدمة لهم، والمجموعة الثانية كانت تؤدي نصف التعريفة المقررة لهذه الخدمات.

ومن بين الإجراءات التي كانت تتخذها السلطات الصحية عند اكتشاف جيب للوباء للإسراع بتطويقه:[2]

- ترحيل الدوار الذي ظهرت به العدوى بأكمله إلى مكان مناسب يبعد عنه ب 150 متر على الأقل.
- إفراغ المنازل من محتوياتها، ولا يسمح لأصحابها باسترجاعها إلا بعد تبييضها بالجير، وحرق ما يعتقد أنه غير صالح.
- حرق الأكواخ التي كان يسكنها المصابون، هي وملابسهم وأفرشتهم، ويتم تعويض الخسائر الناتجة عن الحرق مباشرة بعد انتهاء العملية لأصحابها.
- تقسيم الدوار الجديد إلى ثلاثة أجزاء:

- جزء خاص، تنصب فيه خيام للعناية بالمصابين.
- الجزء القريب من الأول خاص بعزل أسر المرضى وجيرانهم لمدة 8 أيام، فبعد تسجيلهم تتم مراقبتهم طبيا، ويتم إجلاؤهم إلى الجزء الثالث إذا لم تسجل أية حالة بعد انصرام المدة المحددة للمراقبة.
- جزء بعيد جدا عن الجزأين السابقين يتم فيه إيواء الأسر التي لم تسجل بها أية إصابة، ويمكن لأفراد هذه الأسر القيام بأشغالهم العادية، لكنهم يبقون تحت المراقبة، ويمنع عليهم زيارة المدينة والتبضع من الأسواق الأسبوعية، باستثناء من ينتدب منهم للتسوق وتموين الجيران.

---

[1]- Lyautey, *paroles d'action sud-Oranais-Oran-Maroc 1900-1926*, Armand Colin, Paris, 1927, 440.

نقلا عن رويان بوجمعة، الطب الاستعماري الفرنسي في المغرب 1912 – 1945،أطروحة مرقونة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط،السنة الجامعية 2003 – 2004.، ص : 312.

[2] -Etat du service de la santé et de l'assistance publique du protectorat et considération sur l'épidémiologie marocaine à la fin de l'année 1913, direction de la santé et de l'assistance publiques.

- رش مسحوق (D.D.T)[1] ممزوجا بالنفط على الوديان والبرك لمحاربة جيوب التيفوس، وتجفيف المياه الراكدة والآسنة، التي ينتشر بها البعوض الناقل للملاريا، وتكثر بها يرقاته المقاومة لكل معالجة.

ويمنع على أهل الدوار حضور ولائم العزاء أو الرجوع إلى المكان القديم لسكناهم الذي يجب هجره نهائيا، ويتم العمل بهذه الإجراءات لمدة 15 يوما بعد ظهور آخر حالة إصابة، ليرجع الناس بعد ذلك شيئا فشيئا إلى سابق حياتهم.

خريطة توزيع المؤسسات الاستشفائية في المغرب زمن الحماية

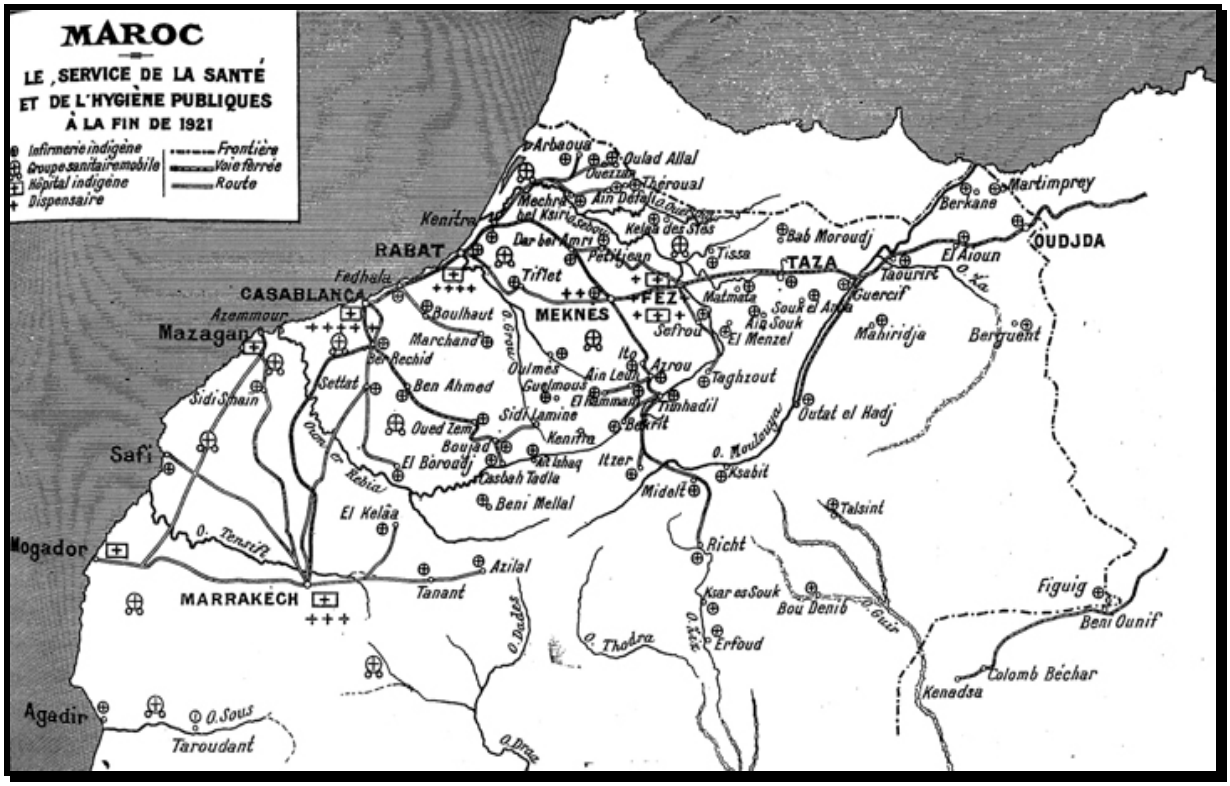

تم تقسيم المغرب إلى ست مديريات لتنفيذ أوامر وقرارات الإدارة المركزية، ففي كل جهة عسكرية كانت توجد مديرية، وهكذا كانت في كل من فاس ومكناس والرباط والدار البيضاء والجديدة، وفي كل منها كانت توجد تشكيلات طبية قارة وأخرى متنقلة؛ وكان من مهام هذه الأخيرة تقديم الإسعافات الطبية في الأرياف والقرى، والوصول إلى أماكن تفشي الوباء، لتلقيح المصابين والحيلولة دون تسرب العدوى إلى مناطق أخرى. وفي نهاية 1912م انضافت فرقتان متنقلتان في كل من فاس ومراكش. واللتان لعبتا دورا كبيرا في

[1]- عياش ألبير، *المغرب والاستعمار*: حصيلة السيطرة الفرنسية، *ترجمة عبد القادر الشاوي* ونور الدين سعودي، دار الخطابي، *الدار البيضاء، 1985*، ص: 297.

اختراق مناطق جديدة، وفي الترويج "لفضائل" الحماية، فاستطاعت فرقة مراكش من اختراق مناطق الأطلس الكبير، حيث استقبلت بحفاوة من طرف زعماء قبائل كندافة وسكتانة.

قامت سلطات الحماية بوضع أول مخطط للدفاع الصحي وحماية الصحة العامة سنة 1913م، فأحدثت الفرق الصحية المتنقلة الأولى، وعينت على رأس مصالحها الصحية بالمغرب الطبيب العام مارسيل أبيرلي (Marcel Oberlé) ما بين سنة 1921م و1926م، وتم إحداث إدارة الصحة الوقائية العمومية سنة 1926م، التي عين على رأس إدارتها الطبيب جول كولومباني (Jules Colombani) حتى سنة 1934م، ليخلفه الطبيب موريس گود(Maurice Gaud) حتى 1944م، ثم موريس بونجان(Maurice Bonjean) حتى نهاية سنة 1944م، وبعد هذه السنة تغير اسم الإدارة فأصبحت تسمى إدارة الصحة العامة والأسرة، فعين على رأسها الطبيب جورج سيكولت (Georges sicault) حتى سنة 1956م.

مستشفى برشـــــــيد الخاص بالأهالي "Hôpital indigène"



المستشفى المدني بمدينة الدار البيضاء



خاتمة:

أكدت التجربة لسلطات الحماية أن إخضاع السكان لا يستدعي بالضرورة استعمال القوة، وأن استمالة الناس بأعمال الخير والاحسان أيسر من أعمال القتل والبطش، فالجبروت لا يكسر شوكة القبائل وإنما اللين والرفق كانا كفيلان بذلك.

لهذا انخرط الأطباء والصيادلة[1] بحماس كبير في سياسة التهدئة، فقاموا إلى جانب عملهم المعروف بإعداد تقارير استخباراتية، وانجزوا بحوثا في مواضيع متنوعة تهم طبيعة البلاد وخصوصياته الاجتماعية، فتمكنوا عن طريق ما كان يقدمونه من خدمات صحية من التمهيد لاستحكام احتلال باقي جهات المغرب، مروجين لما سيجنيه الناس من محاسن تطور فرنسا، فعملوا على استقطاب الناس وربح ثقتهم؛ وعلى المستوى الطبي بذلوا ما بوسعهم لتطويق انتشار الوباء، فكانوا مؤمنين برسالة الطبيب خلال هذه المرحلة، الذي "عليه أن يسبق طوابير الاحتلال، ويكسب ود سكانها البدائيين."[2] كما كتب بول شانتيير.

---

[1]Nauroy (J), Les Pharmaciens militaires Français au Maroc (pour l'histoire du «colonialisme»), in. *Revue d'Histoire de la Pharmacie*, 50e année, n° 173- 174, 1962, pp : 315-125.

[2] -Chatinières (P), *Dans le grand Atlas Marocain, extrait du carnet de route d'un médecin d'assistance médicale indigène 1912-1916*, Paris, Librairie Plon, 1919.
نقلا عن أبراهيم ياسين، م. س، ص: 346.

قائمة المصادر والمراجع:

1. المراجع والمصادر باللغة العربية:

ـ أحمد المكاوي، الدور الاختراقي والاستعماري للطبابة الأوربية في المغرب، منشورات الزمن، 2009.

ـ أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الخامس، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1965.

ـ ألبير عياش، *المغرب والاستعمار*: حصيلة السيطرة الفرنسية، *ترجمة عبدالقادر الشاوي* ونور الدين سعودي، دار الخطابي، *الدار البيضاء، 1985*، ص: 297.

ـ إميل گيرن، رحلة مراقب صحي إلى المغرب 1911م، ترجمة وتقديم بوشعيب الساوي، منشورات القلم المغربي، مطبعة القرويين، 2011م.

ـ أمين الريحاني، المغرب الأقصى، ط 2 ، دار الثقافة، بيروت، 1975.

ـ بوجمعة رويان، الطب الاستعماري الفرنسي في المغرب 1912 – 1945،أطروحة مرقونة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 2003 – 2004.

ـ علال الخديمي، الحركة الحفيظية، أو المغرب قبيل فرض الحماية الفرنسية: الوضعية الداخلية وتحديات العلاقات الخارجية، 1894–1912،دار أبي رقراق للطباعة والنشر،, 2009.

ـ محمد أمين البزاز،المجلس الصحي الدولي في المغرب : 1792 – 1929 ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2000.

ـ محمد بن المدني گنون، أجوبة گنون الكبير، المطبعة الحجرية الفاسية، 1311هـ.

ـ محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير(ألف الكتاب سنة 1779م)، تحقيق وتعليق محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م.

ـ محمد حسن الوزاني في كتابه من مذكرات حياة وجهاد، الجزء الأول، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، د–ت.

ـ المهدي السعيدي في مقومات التعليم العربي في سوس وبعض سماتها، ضمن أعمال ندوة مدينة تزنيت وباديتها في الذاكرة التاريخية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، 1996.

2. المراجع باللغة الفرنسية:

-Chatinières (P), *Dans le grand Atlas Marocain, extrait du carnet de route d'un médecin d'assistance médicale indigène 1912-1916*, Paris, Librairie Plon, 1919.

-Direction de la santé et de l'assistance publiques,Etat du service de la santé et de l'assistance publique du protectorat et considération sur l'épidémiologie marocaine à la fin de l'année 1913.

-Edmond Doutté, au pays de Moulay Hfid, in. *Revue de Paris*, 1907.

-Guernier (E), (sous la direction*), le Maroc*, sixième édition, Encyclopédie Colonial et Maritime, Paris, 1943.

-Guillen(P), *l'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1907*, PUF, Paris, 1967.

***-Historique et situation actuelle de service prévisions*, Rapport sur l'assistance médicale indigène au Maroc, année 1913.**

-Le docteur René Cruchet, la conquête pacifique du Maroc, Berger-Levrault, 1930.

-Lyautey, *paroles d'action sud-Oranais-Oran-Maroc 1900-1926*, Armand Colin, Paris, 1927.

-Nauroy (J), Les Pharmaciens militaires Français au Maroc (pour l'histoire du «colonialisme»), in. *Revue d'Histoire de la Pharmacie*, 50e année, n° 173- 174, 1962.

-Nelcuya Delanoë, la femme de Mazagan, Casablanca, EDDIF, collection BAB, 2007.

-Oberlé et Renaud (H. P. J), la pénétration pacifique par le médecin au Maroc, *Archives de médecine et pharmacie militaire*, septembre 1922.

-Raynaud (L), étude sur l'hygiène et la médicine au Maroc, Alger, imprimerie Typographique et Lithographique, 1902.

-Rivet (D), Lyautey et l'institution de protectorat française au Maroc (1912-1925), T. 2, L'harmattan, Paris, 1988.

-Rivet (D), Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc (1912-1925), T. 2, L'Harmattan, Paris, 1988.

تطور الثورة بمنطقة بسكرة*- الجزائر-1954 م

أ/ أكرم بوجمعة ـ جامعة باتنة 01،الجزائر.

الملخص:

منذ الحرب العالمية الثانية إهتم الوطنيون الجزائريون بمسألة جمع السلاح، وظهرت على إثر ذلك تجارة مزدهرة في هذا المجال، فقد تم تجميع مختلف الأسلحة والمؤن المتنوعة من مخلفات الحرب العالمية الثانية التي دارت بين قوات المحور والحلفاء على الأراضي الشمال افريقية، ونشير هنا إلى المعارك التي دارت رحاها في ليبيا وتونس، وكذا توغل دول المحور عبر الحدود الشرقية للجزائر من أجل مقاتلة دول الحلف، هذا بالإضافة إلى نزول الحلفاء بالجزائر عام 1942 في إطار عملية طورش، وقد ساعدت كل هذه المعطيات الجزائريين من الحصول على أسلحة كثيرة، وكانت الحدود بين الجزائر وتونس وحتى ليبيا كانت مفتوحة والرقابة عليها كانت قليلة، وهذا ما ساعد على رواج تجارة السلاح وإنتقالها على الطريق الرابط بين بسكرة والأوراس شمالا .

وبعد أن تمكنت خلايا المنظمة الخاصة المتواجدة ببسكرة من عملية جمع الأسلحة بمختلف أنواعها أو على ضرورة التعبئة الجماهرية وذلك بتوعيتهم بمبادئ وأهداف الثورة المباركة بهدف ضمان الدعم المادي والمعنوي لها هذا من جهة، ومن جهة أخرى العمل على تكوين عناصر جيش التحرير الوطني بمنطقة بسكرة للتتوج هذه التحضيرات المادية والمعنوية بإنطلاق الثورة التحريرية عبر كامل التراب الجزائري عموما ومنطقة بسكرة على وجه الخصوص.

الكلمات المفتاحية :بسكرة، الإستعمار الفرنسي، الثورة التحريرية، الأسلحة، لتعبئة الجماهيرية.

Abstract :

since the second world war the Algerian national interest issue of collecting arms, popping the thriving trade in this area, we have compiled various weapons and supplies various remnants of World War II, between axis and Allied North African territory, referring to battles fought

*تقع مدينة بسكرة في الجهة الجنوبية الشرقية للجزائر، تبعد عن عاصمة البلاد بـ 400 كلم، حيث يحدها من الشمال مدينة باتنة ومن الشمال الغربي مدينة المسيلة ومن الشمال الشرقي مدينة خنشلة ومن الغرب ولاية الجلفة، أما من الجنوب مدينة الوادي، تلقب مدينة بسكرة بعروس الزيبان وبوابة الصحراء الكبرى.

in Libya and Tunisia, as well as the incursion of the axis powers across the eastern border of Algeria for the Allied fighter, along with allied landings in Algeria in 1942 as part of operation , And each has helped the Algerians of many weapons, and the border between Algeria and Tunisia Even Libya was open and control were few, and this helped the popularity of the arms trade and travels on the road between Biskra and Aures northward.

And after the cells organization stationed with his Biskra from the collection of various types of weapons they need for grassroots mobilization by making them aware of the principles and objectives of the revolution is blessed with a view to ensuring the physical and moral support this, on the one hand, and on the other hand work to configure elements of the National Liberation Army in the region of Biskra for this material and moral preparations the launching editorial revolution throughout Algerian territory in General and the region of Biskra.

Key words: Biskra, French colonization, liberation revolution, armed, mass mobilization

- **مقدمة:**

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية بدأ الاهتمام بقضية التسليح لاسيما وأن الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية عن طريق المنظمة الخاصة قد أولى عناية لهذا الجانب، ولذا فقد شرعت المنظمة الخاصة منذ سنة 1947م في عملية التحسيس على ضرورة جمع الأسلحة وكذا العمل على تخزينها لأنها بصدد عمل ثوري تحرري في كامل ربوع الوطن بما فيها منطقة بسكرة التي أجريت فيها أكثر من خمس عمليات وفقا لهندسة مصطفى بن بولعيد، كما أبدى أيضا بن بولعيد اهتماما بالبحث عن العناصر الملتزمة بمبادئ المنظمة الخاصة بمنطقة بسكرة والعمل على تنظيمها إداريا وعسكريا بل جعلها قاعدة لنقل السلاح والذخيرة، وبدأت بذلك تحركات في تأطير مناضليها الذين كانوا منخرطين في الحركة الوطنية، وتهيئة الظروف في سبيل الحصول على الأسلحة، والسؤال الذي يطرح كيف إستطاعت الثورة أن توظف الأسلحة القليلة عشية انطلاقتها، وكيف تم الحصول على هذه الأسلحة وما هي مصادرها المختلفة؟، وكيف تمت انطلاق وتطور الثورة بمنطقة بسكرة ؟ وكيف تم تنظيمها أداريا سواء أثناء الفترة الاستعمارية أو طيلة الثورة أي إلى غاية الاستقلال؟

أولا / جمع السلاح :

تشكلت المنظمة الخاصة بعد عدة تجارب ومحاولات، حيث يمكن القول أنها لم تأت صدفة ولا من فراغ، فهي امتداد لتلك المنظمات والأحزاب السرية التي نشطت أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، والتي شكلت محاولات جادة وهادفة للإعداد للكفاح المسلح من قبل أولئك الشباب الذين سئموا روتين الخلاف والنقاش السياسي العقيم؛ فطالبوا بضرورة الإسراع في الإعداد للثورة المسلحة كمنهج وحيد لتحرير الشعب والوطن.

وفي بداية الشهر فيفري 1947 حضر إلى بسكرة المناضل احمد محساس المسؤول الحزبي لناحية سطيف ليبلغ محمد عصامي المسؤول الحزبي لناحية بسكرة والأوراس على ضرورة حضور المؤتمر أين تم إنشاء المنظمة العسكرية في 15 فيفري 1947، حين انعقد المؤتمر الثاني لحزب الشعب الجزائري، والمنظمة هي تنظيم شبه عسكري هدفه الإعداد للثورة المسلحة كوسيلة للقضاء على النظام الاستعماري، بحيث عملوا في بداية الأمر بتشكيل أعضاء وخلايا لها في عدت مناطق، منها منطقة بسكرة التي اوجد بها المناضل محمد عصامي بأمر من المناضل محمد بلوزداد وعلى ضرورة كل عضوا تابع لها أن يمتلك سلاحا له.

لقد كان جلب السلاح هو الوسيلة التي اعتمدت عليها الثورة الجزائرية لتحرير البلاد وسميت بالثورة المسلحة نسبة إلى استعمال السلاح من طرف المجاهدين ضد القوات الفرنسية، ولذا فقد استرجعت الجزائر سيادتها بالسلاح في مواجهة الإحتلال، ونلاحظ أن قيادات الثورة الجزائرية قد لجأت إلى السلاح بعد أن تأكدت من فشل الوسائل السلمية الأخرى لتحقيق الحرية والاستقلال، ولهذا بدؤوا في جمع السلاح وقد كانت بسكرة فعالة في ذلك بحيث كان مجاهدو منطقة بسكرة يحصلون على السلاح من الداخل عن طريق تبرعات من المواطنين أو الشراء، أما من الخارج وبالخصوص على الحدود الشرقية للجزائرمن تونسوليبيا عن طريق التبرعاتوالشراء من بقايا أسلحة الحرب العالمية الثانية[1].

ويصرح عبد القادر العمودي أن السلاح كان يستعمل في مهمتين : سلاح للتدريب المناضلين ويتم توزيعه بالخصوص على مناضلين بسكرة والوادي سوف وغيرها من المناطق الأخرى، وسلاح أخر لتخزينه ليوم الموعود لتفجير الثورة وهنا قاموا بجلب أول كمية من الأسلحة عن طريق المنضمة الخاصة من طرابلس إلى الأوراس مرورا ببسكرة[2].

كما رسمت عدة مخططات لجمع الأسلحة وفق الطرق الآتية :

---

[1]–علي زغدود : **شهادات العقيد محمود الشريف قائد ولاية الأوراس النمامشة وزير التسليح والتموين في الحكومة المؤقتة** , متيجة للطباعة ، الجزائر ، 2010 م،ص35.

[2]–خضراء بوزايد :"**الطريق إلى نوفمبر 54 مقتطفات من لقاء المناضل عبد القادر عمودي عضو مجموعة 22** "، مجلة المصادر ، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، مجلة سداسية ، العدد 4، الجزائر ،ص199.

الطريقة الأولى :غنائم العدو وهي غير مضمونة وليست منتظمة بحيث يمكن أن تغنم سلاح أو يمكن أن تخسر سلاح أخر [1].

الطريقة الثانية: فهي عن طريق الشراء والحصول على الأسلحة من الدول العربية ودخولها على الجارتين تونس والمغرب، لذا قد كانت هي أكثر مردودية على الثورة الجزائرية و الحصول الثوار على الأسلحة أيضا منمخلفاتالحرب العالمية الثانية التي كانت موجودة بليبيا وجنوب تونس وكذا الدعم المصري بالأسلحة وهي من بقايا الحرب العربية الإسرائيلية في 1948[2].

وبعد تأسيس المنظمة الخاصة في سنة 1947 كلف المناضل محمد عصامي على رأس الولاية الحزبية والتي تتكون من ناحيتين بسكرة والأوراس وما يحيط بهما وعن هذه المهمة يقول السيد محمد عصامي : " قمنا بتأدية المأمورية واجتمعنا بالحاج يحي أزراري بحضور السادة : محمد الأمير صالحي، ومختاري محمد الصالح المعروف بـ الشيخ في أريس، ومصطفي بن بولعيد وبوسعد الصالح وتخلف السنوسي عبد السلام ونصبنا القسمة كفرع للحزب في أريس و في مخبزة الحاج أسما يحي أزراري وعينا لجنة يرأسها مختاري محمد الصالح، يجمع مالها عند الحاج أزراري وكلفنا مصطفى بن بولعيد بالتنظيم " وكذا العمل على تكوين مجموعة من الخلايا التي تقوم بجمع الأسلحة ومن ثم نقلها إلى الأوراسوحسب شهادة محمد عصامي فقد مرت في بادئ الأمر بعمليتين أساسيتين هما[3]:

1 / العملية الأولى :

الأكيد أن هذه النقطة من بين أولويات التي نالت اهتمام القادة فبعد أن أصبح محمد بلوزداد رئيس المنظمة الخاصة طلب كل من مسؤول ناحية بضرورة امتلاكهم للأسلحة شخصية ولذا أن امتلاك كل مناضل لسلاح قد كان قبل بروز المنظمة الخاصة لكن مع تأسيسها اخذ العمل أكثر تنظيما وبناء على هذا طلب محمد بلوزداد من محمد عصامي بضرورة البحث وكذا شراء الأسلحة وخاصة بعد أن

---

[1]–مصطفى طلاس، بسام العسلي:**الثورة الجزائرية** ، طبعة خاصة ، دار الرائد للكتاب ،الجزائر ، 2010 م، ص103.

[2]–مصطفي الهشماوي:**جذور نوفمبر 1954 في الجزائر** ، دار هومة ،الجزائر، 2010 م ،ص75.

[3]–محمد لحسن زغيدي: **شخصيات نموذجية في المقاومة والإصلاح والحركة الوطنية والثورة التحريرية**، ط1، دار الحبر ، الجزائر ، 2009 ، ص88.

علم بوفرة الأسلحة بكميات كبيرة بناحية وادي سوف والقريبة من الحدود الليبية والتونسية وهي من مخلفات الحرب العالمية الثانية بالخصوص[1].

وبناء على تعليمات محمد بلوزداد في 1947 تلقى محمد عصامي أول دفعة من الأموال تقدر بـ300 ألف فرنك قديم عن طريق المناضل احمد محساس الذي تولى النيابة عن المناضل بلوزداد الذي كان مريضا، على إثر ذلك تنقل محمد عصامي إلى ناحية وادي سوف على أساس انه في مهمة الإشراف على عقد لاجتماع بوادي سوف لكن المهمة الأساسية لهذه الجولة هي البحث عن الأسلحة والتنسيق مع قائد الناحية وهو ميلودي احمد وعدد من المناضلين أمثال بشيربن موسى وعبد القادر العمودي [2]وبعد فترة تمكنوا من شراء كمية من الأسلحة بأساليب مختلفة وعددها 33 بندقية فردية نصف آلية من نوع ستاتي وقد تم نقلها إلى ناحية بسكرة وذلك بواسطة حافلة التي كانت تعمل على الخط الرابط بين بسكرة والوادي سوف وقد لفت هذه الأسلحة في كل ثمانية منها في وسط الحصيرة وربطة بحبل ووضعت في صناديق على أنها طرود عادية وبمجرد وصولها إلى بسكرة استلمها المناضل زقوني احمد وقام بتخزينها [3].

2 / العملية الثانية :

لقد كان من الطبيعي بعد نجاح العملية الأولى أن تكون محفزا للحصول على كمية أخرى من الأسلحة بعد التنسيق بين محمد عصامي والمناضل احمد ميلودي من وادي سوف من جديد بحيث شرعوا في جمع الأسلحة وكان العنصر المحوري هو المناضل ميهي محمد بلحاج الذي كان يستأجر دليلا للقافلة التي كان يقودها بنفسه وتتكون من عدد من الجمال مابين أربعة إلى سبعة والتي تحمل معها زاد الطريق والمعدات شحن الأسلحة في صناديق من التمر والغرابر(أكياس من الشعير) وقد كانت حمولة الجمل الواحد تصل إلى أكثر من خمسين بندقية [4].

وبناء على هذا كله كانت هناك العديد من الرحلات وبالخصوص إلي ليبيا لجمع الأسلحة التي كلف بها المجاهد ميهي محمد بلحاج الذي إستطاع جلب كمية معتبرة من الأسلحة والذخيرة

---

[1]–محمد عباس : **خصومات تاريخية (في كواليس التاريخ 1)**،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع و الجزائر ، 2010 م، ص، ص، 233، 234 .

[2]–مصطفي سعداوي: **المنظمة الخاصة و دورها في إعداد لثورة أول نوفمبر**، مطبعة متيجة للطباعة ،الجزائر، ص،ص186،187.

[3]–علي غنابزية: " **الدور الإستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية** " ، مجلة البحوث والدراسات ، يصدرها المركز الجامعي بالوادي ، العدد 9 ، الوادي ،جانفي 2010م ،ص46،47.

[4]–علي غنابزية: **المرجع نفسه** ،ص48.

بمساعدة الخبير بالطرق الصحراوية المدعو ضيف الله مصطفي القطاوي وقد اتجها نحوا بلدة سناون شرق غدامس على بعد حوالي 200 كلم ,كما قام المجاهد محمد بن الصادق برحلة أخرى لجلب الأسلحة مع نهاية 1948 وتمكن من جلب كمية معتبرة من الأسلحة بحيث وصلت سعر البندقية الواحدة نحو 800 فرنك قديم [1].

أما عن الرحلات المتجهة إلى تونس بهدف جلب الأسلحة إلى الجزائر وبالخصوص إلى المناطق الشرقية بطلب من مصطفى بن بولعيد على ضرورة تسليح أعضاء المنضمة الخاصة لذا فقد كانت كثيرة وقد كلف بها كل من محمد بلحاج رفقة زواوي الصادق بن البشير وبطلب من محمد عصامي على ضرورة جلب الأسلحة وكانت بالخصوص من منطقة دوز بالمزاريق وجبل بن اخداجوتمكنه من حصول كمية لا بأس بها من الأسلحة واستمرت حتى بداية 1954 ومن أهم الأسلحة التي تحصل عليها محمد عصامي من قبل مناضلي وادي سوف هي كما يلي :[2].

نوع الأسلحة	الكمية المجلوبة	تاريخ الرحلة
بنادق ستاتي	103 قطعة مع الذخيرة	1947
رشاش	4 قطع ,4 صناديق ذخيرة	1947
بنادق مختلفة	100قطعة مع الذخيرة	أواخر 1948
بنادق مختلفة	66 قطعة مع الذخيرة	1949
بنادق ستاتي	33 قطعة مع الذخيرة	بعد 1949
المجموع	300 قطعة مع الذخيرة	\

بحيث بعد تخزينها بالوادي تقرر نقل هذه الأسلحة المذكورة أنفا إلى بسكرة ومنها يتم نقلها إلى الأوراس في مرحلة لاحقة من اجل توزيعها فيما بعد عبر جميع المناطق وبالخصوص المنطقة الثانية والثالثة والرابعة [3].

---

[1]–علي عون ابو موسي : **مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة التحرير بالسلاح والعتاد**، محاضرة قدمت بدار الثقافة بالوادي ،ص26 .

[2]–علي غنابزية: " **الدور الإستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية** " ، مجلة البحوث والدراسات ، يصدرها المركز الجامعي بالوادي ، العدد 9 ، الوادي ،جانفي 2010م ،ص46،47.

[3]–احمد بن بلة : **مذكرات احمد بن بلة كما أملاها عليه روبير ميرل**، ترجمة عفيف الأخضر ،ط3، دار الأدب، بيروت، لبنان، 2002، ص96.

وقد اتصل محمد عصامي بأحد المواطنين يدعى محمودي محمد وكان يسكن بطوماس وهي واحة بين زريبة حامد وزريبة الواد بأحواز بسكرة وانتقل المناضل محمودي إلى وادي سوف بعد أن زود بكلمة السر وبأسماء وأماكن تواجد المناضلين على أساس انه ذاهب لشراء الشعير ونقله بواسطة الجمال إلى بسكرة بحيث التقى بجماعة المناضلين ميلودي احمد وعبد القادر عمودي ومحمد بلحاج وبشير بن موسى في انتظاره فتبادل كلمة السر وتسليمه لأموال من اجل دفع مستحقات الأسلحة وتم وضع كل الأسلحة على ظهور الجمال وعاد بها إلى بسكرة بعد مشقة وعناء وخوف من أن تكشف العملية وتم تخزينها بطوماس في مطامير الشعير في انتظار التعليمات الجديدة [1].

كما قام أيضا محمد عصامي حسب شهادته في محاولة أخرى لجلب الأسلحة في أواخر 1949 بعد سفره إلى تونس بتكليف من محمد بلوزداد مع مجموعة من المناضلين بناحية بسكرة أمثال محمد بن دحمان من خنقة سيدي ناجي لكن إن هذه العملية فشلت, وأثناء هذه الفترة أصبح العربي بن المهيدي هو المسؤول القيادي للمنضمة الخاصة بالشرق الجزائر لاما على المستوى المحلي – منطقة بسكرة – فقد أصبح المناضلين الهاشمي ترودي وعبد القادر العمودي هم المسؤولين عن الخلية للمنظمة الخاصة ببسكرة[2]. وبعد إكتشاف المنضمة الخاصة في 1950 إعلان حالة الطوارئ على كامل تراب الجزائر وبالخصوص تبسة التي اكتشف فيها هذا التنظيم لكن بقي تنظيم المنظمة الخاصة قائما بناحيتي بسكرة وأريس رغم اكتشاف خلاياه عبر الوطن إلى أن اصدر حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية بقرار حل المنضمة الخاصة حتى التي لم تكشف بعد من طرف القوات الفرنسية ودخول الحزب في أزمة وصراع بين المصاليين وأنصار للجنة المركزية [3].

وبالرغم من هذا كله فقد بقيت بسكرة محافظة على موقفها الريادي في جمع الأسلحة ثم نقلها إلى الأوراس فيم بعد وذلك بالتنسيق مع مناضلين في وادي سوف وقيادات في خارج أمثال احمد بن بلة رحمه الله الذي تمكن من عقد صفقات لشراء الأسلحة من ليبيا وتونس ومن ثم نقلها إلى الجزائر عبر الحدود واغلبها تمر على طريق غدامس بليبيا إلى وادي سوف ثم زريبة حامد ومنها إلى بسكرة ليتم نقلها إلى الأوراس [4].

---

[1]–محمد عباس : **ثوار... عظماء** ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م ، ص ، ص259،258.

[2]–محمد عباس : **خصومات تاريخية** ، المرجع السابق ، ص232.

[3]–محمد عباس : **ثوار... عظماء** ، المرجع السابق ،ص ، ص261 ، 262.

[4]–احمد بن بلة :**المصدر السابق**،ص96 .

بالإضافة إلى وجود مصدر أخر لتزود مناضلين منطقة بسكرة بالأسلحة وذلك عن طريق تنقل البدو والرحل بحيث أقامت فرنسا بإنشاء سوق سنوية حرة بعين الملح ببوسعادة لكل سنة يصادف الشهر أكتوبر ويتزامن هذا التاريخ وهو بعودة البدو من التل إلى الصحاري و خصوصا بدو أو قبائل أولاد زكري من أولاد جلال قبائل الزاب من طولقة وبسكرة وسيدي عقبة[1]. وشملت مختلف أنواع الأسلحة من بندقية صيد و كرابينة إيطالية (ستاتي) والموزر الألماني وبندقية(303،ب،س،أ) ورشاش بريتا الإيطالي [2]..

ثانيا /الجانب التنظيمي والتعبئة الجماهيرية :

بعد تأسيس المنضمة الخاصة في بداية 1947 كجناح ثوري تابع للحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية كلف المناضل محمد عصامي المدعو سي مروان على رأس الولاية الحزبية والتي تتكون من ناحيتي بسكرة ولأوراسوما يحيط بها وقد قسمت الولاية إلى عدت قسمات على رأس كل قسمة مناضل يتولى شؤون إدارتها وقد أمر محمد بلوزداد على ضرورة تأطير وتنظيم قسمة بسكرة وذلك بتعين المناضل عمر محجوب على رأس القسمة وبشير عاشوري أمين المال وخراشي بشير مسؤول التنظيم أما في القسمة الاحتياطية لبسكرة فقد كان يترأسها العربي بن المهيدي والهاشمي ترودي والعمل على تكوين مجموعة من خلايا التي كانت تضم تسعة وثلاثين فرد زائد مسؤول (39 فرد + مسؤول =40) [3].

وبعد اجتماع فيفري 1947 سعى بلوزداد لتكوين خلايا للمنضمة الخاصة بمنطقة بسكرة وكلف محمد عصامي بإختيار العناصر السرية بناحية بسكرة بعد نقاش طويل عين بن المهيدي مسؤول الخلية وأعضائه كلا من الهاشمي ترودي وبحة احمد، السيد عبد الله الذي كان لها دورا بارزا في جمع الأسلحة ونقله إلى الأوراس هذا من جهة [4]، ومن جهة أخري إلى جهود مصطفى بن بولعيد في تأطير وإشراك الناحية بسكرة في ثورة من ليلة الأولى للانطلاق الثورة التحريرية الكبرى في 1954 وخاصة بعد اجتماع أكتوبر في مسيرة الثورة الجزائرية لذا عاد المناضل سي عبد القادر عمودي إلى بسكرة ليخبر المناضلين

---

[1]–عمار حشية : في **الأطلس الصحراوي شهادات**، ترجمة تحت رعاية دار إفريقيا للنشر, مطبعة دركي الوادي، الجزائر ، 2001م،ص ،ص،11، 12.

[2]–عمار حشية : **المصدر نفسه** ، ص10.

[3]–محمد لحسن زغيدي : **المرجع السابق** ، ص، ص، 106،107.

[4]–محمد عباس : **خصومات تاريخية** ، المرجع السابق ، ص232.

المعنيين بأن الساعة الكلام قد أدبرت لتترك المجال لساعة العمل [1] وعلى ضرورة توعية المنطقة بالوجوب الأخذ بالكفاح المسلح وعلى ضرورة دعم الثورة ماديا ومعنويا[2].

إضافة إلى ذلك إلى حنكة بن بولعيد بحيث كلف إخوانه الإشراف على المنطقة وتوزيع المهام عليهم حتى يضمن استمرارية الثورة فيما بعد وصمودها إلى بر الأمان فأنه ركز على شقين أساسين هما:

- أولا العمل على تكوين عناصر الجيش التحرير الوطني وانتشار أفواجه وتحركاته وتموينه وهذا ما طبق في بسكرة مع شرط في ذلك أن الأولوية لمن يمتلك السلاح وهذا راجع للحاجة الثورة للأسلحة.

- أما الشق الثاني فهي القواعد الخلفية للجيش التحرير وتنظيمه وهياكله وضمان دعمه ماديا ومعنويا وهذا يتم بالخصوص عن طري التعبئة الجماهيرية[3]وذلك بإعادة الثقة لدى الشعب ومحاولة نبذ الخلافات القبائلية والتي كانت متواجدة بكثرة بمنطقة بسكرة وذلك راجع للتعدد القبائل والعروشية بها بهدف الالتفاف حول هدف واحد ومصير واحد وهي الثورة المسلحة وقد عملا مناضلين منطقة بسكرة على ذلك أمثال محمد عصامي وعبد القادر عمودي ونور الدين مناني و الهاشمي ترودي [4].

وبعد تدريب المناضلين على أساليب القتالية لمدة ثلاثة أشهر واقتراب اليوم الموعود لتفجير الثورة عملت قيادة الثورة بتوزيع رجالها على المناطق العمل وعددهم أكثر من 270 رجل قد قسموا إلى أنفسهم إلى مجموعات صغيرة وزمرعلى رأس كل مجموعة مسؤول أو قائد عليها على إثري هذا العمل فقد أرسل المجاهد حسين برحايل لقيادة المغاوير ببسكرة وأسندت العمليات العسكرية إلى الطيب خراز مرفقين بنص من وثيقة أول نوفمبر إلى المنطقة لتعريف بأهداف الثورة وأساليب و منهج عملها [5].

---

[1]–محمد حربي: **الثورة الجزائرية سنوات مخاض**، ترجمة نجيب عياد والصالح المثلوثي، سلسلة صاد، 1994 م، ص،ص17، 18.

[2]–محمد عباس : **ثوار... عظماء** ،المرجع السابق، ص263.

[3]–احمد الهادي درواز :**الولاية السادسة التاريخية تنظيم و وقائع (1954– 1962)**،دار هومة، الجزائر، 2002 م ،ص41.

[4]–احمد الهادي درواز: **من تراث الولاية السادسة التاريخية**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع والجزائر، 2009 م، ص31.

[5]–مصطفى طلاس ، بسام العسلي:**المرجع السابق**، ص112.

ثالثا/ الثورة بمنطقة بسكرة(العمليات العسكرية):

بعد العمل التنظيمي والتعبئة الجماهيرية لمنطقةبسكرة وعد العدة للقتال واكتمال جميع التحضيرات المادية والمعنوية في فترة وجيزة اقل من ثلاثة أشهر لتبدأ فيما بعد بالعمليات العسكرية بمنطقة بسكرة منذ الوهلة الأولى أو أول يوم من انطلاق الثورة وفق إستراتيجية التي رسمها لها مصطفي بن بولعيد بحيث أرسل عدد من المجاهدين بالمنطقة من اجل القيام بالعمليات العسكرية بها بعد أن رأى أنها قد أصبحت مهيأة وعلى كامل الاستعداد بفضل مناضليها وقد كان لعب عبد القادر عمودي دورا رياديا في ذلك[1].

وقد تمكن بن بولعيد من تنظيم خمسة وثمانون فوجا عشية ليلة أول نوفمبر 1954 وانطلق بها في معركة التحرير الفاصلة ضد الفرنسيين وما يعنينا في الموضوع كله هي تلك العمليات التي وقعت بمنطقة بسكرة حيث افرز لها الشهيد بن بولعيد 41 مجاهد انطلقت من جبال احمر خدو موزعة على خمسة أفواج على رأس كل فوج مسؤول محدد الهدف والأماكن التي يهاجم فيها العدو بمدينة بسكرة [2].

ووفقا لهذا التنظيم الذي رسمه بن بولعيد كانت كلمة السر(خالد وعقبة) تدوي في كل مكان فتمزق سكون الليل وخرج المغاوير من دار الحجاج بقيادة حسين برحايل ووصلوا في اليوم ذاته إلى بسكرة في الساعة التي كان فيها السكان يغلقون نوافذ شرفاتهم ويحكمون إيصادها بالقضبان الحديدية [3] وعلى إثر ذلك كلف بن بولعيد مسؤولين الأفواج التي أرسلها إلى بسكرة بضرورة القيام بالعمليات العسكرية، أهمها :

- العملية الأولى: مع القائد حسين برحايل برفقة حسين بن عبد السلام وعدد من المجاهدين بالهجوم على ثكنة عسكرية
- العملية الثانية : بقيادة عبد القادر عبد السلام مع عدد من المجاهدين بالهجوم على مركز الشرطة
- العملية الثالثة : بقيادة احمد قادة مع عدد من المجاهدين بالهجوم على محطة القطار [4].
- العملية الرابعة : بقيادة عبد الرحمان عبد السلام برفقة جيماوي إبراهيم مع عدد من المجاهدين بالهجوم على مركز البريد .
- العملية الخامسة : بقيادة عبد الله عقوني مع عدد من المجاهدين بالهجوم على محطة مولد الكهرباء [1].

---

[1]–محمد عباس : **ثوار... عظماء**، المرجع السابق ، ص264.

[2]–محمد الشريف عبد السلام: **الطريق إلي أول نوفمبر**، المنضمة الوطنية للمجاهدين ، المجلد 1، ج 3 ،ص127.

[3]–مصطفى طلاس ، بسام العسلي:**المرجع السابق**، ص113.

[4]–شهادة طيب ملكمي : مسجلة ,**حول اندلاع الثورة التحريرية** ،المحفوظة في قرص مضغوط تاريخ الجزائر ، إعداد مجموعة من الباحثين , المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2002 م .

وهلل المواطنين عموما ومنطقة بسكرة بالخصوص باندلاع الثورة التحريرية وقد دب الهلع والرعب في صفوف الفرنسيين وعملائهم وعقب ذلك قام العدو الفرنسي بنصب الكمائن بعدة مناطق ببسكرة وأهمها ما تم زرعه بناحية مشونش لكن بفضل حنكة المجاهد برحايل تمكن من إفشال مخططات فرنسا وانسحاب أفواجه بنجاح إلى جبل فوشي [2] وتناقلت أخبار نجاح الهجومات التي كان وقعها الشديد على الأعداء وتنفس المجاهدين الصعداء ومع الأيام قد كبرت مهامهم ومسؤولياتهم وراحوا يخططون لما بعد تفجير الثورة ومواصلة الدرب وتنظيم أفواج الجيش التحرير بالمنطقة وكذا تنظيم قواعده الخلفية والمنحصرة أثناء هذه الفترة مع مجموعة من مناضلين للضمان الدعم المادي واللوجستيكي للثورة [3].

ومن خلال تتبع لمسيرة تنظيم جيش التحرير الوطني بناحية الصحراء من المنطقة الأولى, الأوراس من ليلة أول نوفمبر 1954 حتى انعقاد مؤتمر الصومام كما هو موضح في الجدول الآتي، وكذا شهادات المجاهدين، تجمع بأن عناصر جيش التحرير قد اعتمدت على الأفواج الصغيرة لتسهيل التنقل والحركة وأسلوب المفاجئة والمباغتة في ضرب مواقع العدو في مواقعه، وكذا العمل على توسيع رقعة الجهاد عبر كامل تراب المنطقة بهدف زرع الرعب في نفوس المستوطنين من جهة ومن جهة ثانية تشتيت العدو الفرنسي حتى لا يتمكن من محاصرة الثورة [4] كما هو موضح في الجدول التالي الذي يبين لنا أهم نواحي فرع الصحراء مع ذكر أهم مسؤوليها :

---

[1]–جمعية أول نوفمبر : **مصطفي بن بولعيد و الثورة الجزائرية** ، دار الهدي ، عين مليلة 1999 ،ص57، 58.

[2]–جمعية أول نوفمبر : **المرجع نفسه** ، ص58 .

[3]–احمد الهادي درواز: **الولاية السادسة التاريخية تنظيم و وقائع** ،المرجع السابق، ص42.

[4]–مقابلة مع المجاهد بجاوي المداني ، بمقر منظمة المجاهدين بسكرة ،.ببسكرة ، يوم الإثنين 16 أفريل 2012، على الساعة 14 سا زوالا إلى 18 سا .

- **قائمة الطلائع الأولى لجيش التحرير 1 نوفمبر المنطقة الأولى – ناحية الصحراء – حتى مؤتمر الصومام1956** [1].

الناحية الشرقية والشمالية	الناحية الوسطى	الناحية الغربية	الناحية الجنوبية والشرقية
المسؤولون :	المسؤولون:	المسؤولون :	المسؤولون :
- محمد احمد عيدلي	- الحسين	- زيان عاشور	–الطالب العربي قمودي
- الصادق جغروري	بن عبد	- شنوفي محمد	–حمة لخضر لعمامرة
- أحمد عبد الرحمان	الباقي	بن الحاج	–المبروك المقدم
- المناطق:	- الحسين	عيسى	–الجيلالي بن عمر
مشونش،غسيرة ، واد عبدي،	برحايل	- الهاني محمد	– المناطق :
جمورة ، القنطرة ، عين	- احمد عبد	الهادي	وادي سوف ,وادي ريغ ،
زعطوط ، سيدي عقبة ،	الرزاق	- عبد الرحمان	جنوب تبسة ، جنوب
بسكرة ، أمدوكال .	- المناطق :	حاشي	تونس
	أ–بسكرة الزاب	- عمر إدريس	
	الظهراوي:	- الطيب فرحات	الناحية الجنوبية:
	غمرة ، بوشقرون ،	أ–أولاد نايل :	المسؤولون :
	ليشانة ، فرفار،	- أولاد رحمة	–محمد جغابة
	طولقة ، برج بن	- أولاد رابح	–مزيان صندل
	عزوز ، فوغالة ،	- أولاد ساسي	–محمد روينة "قنتار"
	العامري ، العمور	- أولاد حركات	–عثمان حامدي
	، أمخاليف ،	- أولاد جلال	–إبراهيم حليلو
	الدوسن ، لغروس	- سيدي خالد	– المناطق:
	ب–الزاب القبلي:	ب–بوسعادة :	غرداية،منيعة ،متليلي،عين
	ليوة ، أوماش ،	- أولاد سليمان	صالح ،ورقلة ،تمنراست
	أورلال ،بن طيوس	- أولاد خالد	

[1]–احمد الهادي درواز: **الولاية السادسة التاريخية تنظيم و وقائع** ،المرجع السابق،ص 44 .

	،أمليلي ، أمخادمة ، أسحيرة	- أولاد فرج - أولاد عزوز - الشرفة - الحوامد - الضحاوي - الحملات، الصوامع - الجلفة، مسعد، الأغواط.	

وقد تمكن الثوار من ضرب المناطق الحساسة وبالخصوص ثكنة سانت جرمان التي كان يقيم فيها لواء من الرماة السنغال وانطلقت النيران وأصيب حارس المدخل بجروح بليغة كما أصيب الكومسير برتبة لواء برصاصة في فخذه، كما ألقيت قنبلة حارقة على مركز النجارة فاشتعلت فيه النيران وانتشرت الفوضى والدمار وتوقفت أجراس رنين الكنائس.

كما كانت مجموعة أشمول التي أرسلها بن بولعيد والتي تركزت بين بسكرة وباتنة بالقيام مجموعة من الكمائن والسدود من الحجارة على الطرقات لإعاقة تحركات العدو من جهة ومن جهة ثانية قطع كل محاور الاتصالات هذا فيما كانت المراكب والشاحنات تتنقل بين بسكرة وباتنة، حيث تم تنفيذ العملية بكل نجاح ودقة [1]، وحسب شهادة عمار حشية قد جرح شرطي في الحراسة بالمدينة برصاصات أصابته بينما وجهت طلقات نارية للمطار العسكري بمنطقة بسكرة وقد نفذا هذه العمليات فوج مشونش (حسين برحايل) وقد شارك فيها صالح سفيان المدعو القط وكان سلاحه الوحيد هو المنجل [2].

وبعد انسحاب المجاهدين وخصوصا فوج برحايل إلى جبال احمر خدو هنا أعدت فرنسا التعزيزات والإمدادات العسكرية للازمة من كل الجهات لشد الخناق على المجاهدين وقد أطلقة عمليات التمشيط الكبرى بمنطقة بسكرة وتسمى هذه العملية بالعملية البنفسجية واستهدفت جبال احمر خدو، وكان من بين المشاركين فيها رتب من قناصة جزائريين وسنغال ومن صيادين الألبيين والجبليين المغاربة من

---

[1]–مصطفى طلاس ، بسام العسلي: **المرجع السابق**، ص113.

[2]–عمار حشية : **المصدر السابق** ،ص3.

أجل إخماد الثورة ببسكرة وما جاورها [1] ،وقد عبرت السلطات الرسمية الفرنسية الممثلة في وزير الداخلية وهو فرانسوا ميتران بأن هذه الأعمال هي اعمل الإجرامية وحشية في حق الإنسانية وعبر عنها على أنها تمردات فقط يمكن تطويقها والقضاء عليها في مهدها في كل من بسكرة و باتنة وخنشلة [2].

وعلى إثر هذا قامت السلطات الفرنسية بالقيام كرد فعل على الأعمال الثورية التي أقيمت في بسكرة بنقل الحاكم العسكري هرتز في نهاية 1954 من الأغواطإلى بسكرة المعروف بالشدة والعنف ليتولى مهمة قمع المنطقة الممتدة من الصحراء إلى الأوراس فعمل على إثر ذلك ببعث القانون العقوبات الجماعية لذا أصبح أي عمل فدائي أوعسكري داخل المحيط سكاني يعتبر مسؤولية جميع المنطقة وكلما ظهر جيش التحرير الوطني في ناحية من النواحي راحت السلطات الفرنسية أو الجهات المعنية تطبق فيها قانون العقوبات الجماعية [3]، كما قام حاكم بسكرة هرتز بتعين فرقة حركة لمحاولة تكسير الثورة بمنطقة بسكرة وراح يطبق فيها حالة الطوارئ حسب المادة (رقم 55-386 المؤرخ في 06افريل1955) والمتعلق بتطبيق حالة الطوارئ خصوصا في المنطقة الممتدة بين بسكرة ولذي قد ضيق وشد الخناق على جميع المنطقة الأولي [4]، وتحضرني مقولة المجاهد احمد زرواق إذا قلت بسكرة فإنك تقصد الأوراس، لأن بسكرة لم تكن تابعه لها إداريا أو تنظيميا فقط بل ثوريا لذا قد عانت من الحصار بمثل ما عانته الأوراس [5].

- **خاتمة :**

ومنه رغم الطبيعة القاسية بمنطقه بسكرة، المتميزة بشده الحرارة وانعدام الغطاء النباتي وتباعد السكان وقله المياه هذا من جهة، ومن جهة الأخرى قوة العدو الفرنسي العسكرية الضخمة ووسائله الجهنمية المتعددة، إلا أن هذا لم يثني من عزيمة المجاهدين في تخطي تلك الصعاب وذالك بتوظيف

---

[1]–عمار حشية : **المصدر نفسه**،ص، ص3، 4 .

[2]–شهادة فرانسوا ميتران: مسجلة ,**حول ردود فعل فرنسا** ،محفوظة في قرص مضغوط تاريخ الجزائر ،إعداد مجموعة من الباحثين, المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ،2002 م.

[3]–احمد رضوان شرف الدين: " **التعذيب : قراءة في جريدة المجاهد (1957 – 1962)**، مجلة المصادر ، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، مجلة سداسية ، العدد 8 ، الجزائر ، ماي 2003 م، ص19.

[4]–أمال قبائلي: " **قانون حالة الطوارئ بالجزائر سنة 1955**" ، مجلة المصادر ، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954 ، مجلة سداسية، العدد 17، الجزائر، 2008 م، ص، ص186،185.

[5]–مقابلة مع المجاهد احمد زرواق، بمقر منظمة المجاهدين مسيلة, يوم 09 ماي،2012 على الساعة 9 صباحا حتى 12 زوالا .

جميع الإمكانيات التموينية البسيطة، والعمل على جمع الأسلحة وتجنيد المواطنين في صفوفها بهدف تفجير الثورة المباركة وفق المخطط الذي رسم لها.

وهكذا لعبت منطقه بسكره الدور الريادي في الثورة على جميع الأصعدة من تجميعها للأسلحة وتكفل بنقلها إلى الولايات الأخرى إلى جمع المؤونات والتبرعات المالية لصالح الثورة، وتجنيدها للشباب المنطقة داخل صفوف جبهة التحرير والوطني الجزائرية .

- **قائمة المصادر والمراجع :**

- احمد الهادي درواز :**الولاية السادسة التاريخية تنظيم و وقائع (1954- 1962)**،دار هومة، الجزائر، 2002 .
- احمد الهادي درواز: **من تراث الولاية السادسة التاريخية**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع والجزائر، 2009 .
- احمد بن بلة :**مذكرات احمد بن بلة كما أملاها عليه روبير ميرل**، ترجمة عفيف الأخضر ،ط3، دار الأدب، بيروت، لبنان، 2002.
- احمد رضوان شرف الدين: " **التعذيب : قراءة في جريدة المجاهد (1957 – 1962)**، مجلة المصادر ، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، مجلة سداسية ، العدد 8 ، الجزائر ، ماي 2003 م.
- أمال قبائلي: " **قانون حالة الطوارئ بالجزائر سنة 1955**" ، مجلة المصادر ، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954 ، مجلة سداسية، العدد 17، الجزائر، 2008 م
- جمعية أول نوفمبر : **مصطفي بن بولعيد و الثورة الجزائرية** ، دار الهدي ، عين مليلة 1999.
- شهادة فرانسوا ميتران: مسجلة ,**حول ردود فعل فرنسا** ،محفوظة في قرص مضغوط تاريخ الجزائر ،إعداد مجموعة من الباحثين, المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2002 م.
- شهادة طيب ملكمي : مسجلة ,**حول اندلاع الثورة التحريرية** ،المحفوظة في قرص مضغوط تاريخ الجزائر ، إعداد مجموعة من الباحثين , المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2002 م .
- خضراء بوزايد :"**الطريق إلى نوفمبر 54 مقتطفات من لقاء المناضل عبد القادر عمودي عضو مجموعة 22** "، مجلة المصادر ، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، مجلة سداسية ، العدد 4، الجزائر .
- عمار حشية : في **الأطلس الصحراوي شهادات**، ترجمة تحت رعاية دار إفريقيا للنشر, مطبعة دركي الوادي، الجزائر ، 2001.
- علي زغدود : **شهادات العقيد محمود الشريف قائد ولاية الأوراس النمامشة وزير التسليح والتموين في الحكومة المؤقتة** , متيجة للطباعة ، الجزائر ، 2010.

- علي غنابزية: " **الدور الإستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية** " ، مجلة البحوث والدراسات ، يصدرها المركز الجامعي بالوادي ، العدد 9 ، الوادي ،جانفي 2010م .
- علي عون ابو موسي : **مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة التحرير بالسلاح والعتاد** ، محاضرة قدمت بدار الثقافة بالوادي .
- محمد لحسن زغيدي : **شخصيات نموذجية في المقاومة والإصلاح والحركة الوطنية والثورة التحريرية**، ط1، دار الحبر ، الجزائر ، 2009 .
- محمد عباس : **ثوار... عظماء** ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م .
- محمد حربي : **الثورة الجزائرية سنوات مخاض**، ترجمة نجيب عياد والصالح المثلوثي، سلسلة صاد، 1994 م.
- محمد الشريف عبد السلام: **الطريق إلي أول نوفمبر**، المنضمة الوطنية للمجاهدين ، المجلد 1، ج 3.
- محمد عباس : **خصومات تاريخية (في كواليس التاريخ 1)**،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع و الجزائر ، 2010 م.
- مقابلة مع المجاهد بجاوي المداني ، بمقر منظمة المجاهدين بسكرة ،.بيسكرة ، يوم الإثنين 16 أفريل 2012، على الساعة 9 صباحا حتى 12 زوالا .
- مقابلة مع المجاهد احمد زرواق، بمقر منظمة المجاهدين مسيلة،, يوم 09 ماي،2012 على الساعة 9 صباحا حتى 12 زوالا .
- مصطفى طلاس، بسام العسلي:**الثورة الجزائرية** ، طبعة خاصة ، دار الرائد للكتاب ،الجزائر ، 2010.
- مصطفي الهشماوي : **جذور نوفمبر1954 في الجزائر** ، دار هومة ،الجزائر،. 2010
- مصطفي سعداوي: **المنظمة الخاصة و دورها في إعداد لثورة أول نوفمبر**، مطبعة متيجة للطباعة ،الجزائر.

واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التعليم الجامعي.

د/ محلب حفيظة ـ جامعة الجزائر3

الملخص:

إن التطور السريع والمتلاحق للتكنولوجيا جعل الباحثين في مجال التعليم في حاجة مستمرة للبحث عن أساليب تعليمية جديدة، تناسب التطور وتساعد المتعلم على التعلم، وشبكة الويب بملامحها الأساسية وأدواتها أثرت بشكل مباشر في العملية التعليمية، وفي وضع نماذج التعليم الإلكتروني واستراتيجياته، ومع التغير المستمر لتلك الأدوات وسماتها، وبنيتها وظهور إمكانات جديدة، فمن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى تغيري فعلي في ما سبق الاتفاق عليه من خصائص التعليم الإلكتروني المعتمد على الويب، وأدواته ونماذجه واستراتيجياته بما يتماشى مع الشكل الجديد للويب وخاصة بعد ظهور Web 2.0 وتطبيقاتها، وتعد شبكات التواصل الاجتماعي Social Networking وفي مقدمتها (الفايسبوك، التويتر واليوتيوب) من أهم تطبيقات Web 2.0، حيث أصبحت المواقع الأكثر تفاعلية والأكثر قربا من المستخدم، فأصبح بإمكانه التعليق على المادة المكتوبة وإبداء الرأي وكذا الإضافة إلى محتوى الصفحة وأيضا التغيير في محتوى الموقع.

وعليه هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التعليم الجامعي، وذلك من خلال التطرق إلى التعليم الإلكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي كإطار مفاهيمي وكيفية استخدامها في العملية التعليمية، بالإضافة إلى التعرف على أبرز المعوقات التي تحول دون توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في العملية التعليمية وأيضا التوصل إلى مقترحات تعمل على تحسين واقع توظيف شبكات التواصل الاجتماعي لخدمة العملية التعليمية.

الكلمات المفتاحية: التعليم الجامعي، التعليم الإلكتروني، شبكات التواصل الاجتماعي، الفايسبوك، التويتر واليوتيوب، العملية التعليمية.

Abstract:

The rapid and progressive development of technology has made education researchers constantly in search of new learning methods that are appropriate for development, helping the learner to learn, the web with its basic features and tools that have directly influenced the learning process, e-learning modeling and strategies, Characteristics and structure, and the emergence of new possibilities, it is natural that this will lead to a real change in the previously agreed Web-based e-learning features, tools, models and strategies in line with the new format of the Web,Especially after the emergence of Web 2.0 and its applications, Social Networking (Facebook, Twitter and YouTube) is one of the most important 2.0Web

applications. It has become the most interactive and user-friendly site. It can comment on the written material and give an opinion as well as adding to the content of the page as well as the change in the content of the site.
The study aimed to shed light on the reality of the use of social networks in university education by addressing e-learning and social networks as a conceptual framework and how to use them in the educational process, in addition to identifying the main obstacles that prevent the use of social networks in the process. As well as finding proposals that improve the reality of employing social networks to serve the educational process.
Keywords: university education, e-learning, social networking, Facebook, Twitter and YouTube, educational process.

مقدمة:

تعد التكنولوجيا الرقمية عامة وتقنيات شبكات التواصل الاجتماعي وتطبيقاتها على الشبكة العنكبوتية خاصة من المستحدثات الجديدة في المجتمع البشري التي غيرت من أنماط اتصاله وتواصله، فهي من أكثر المواقع الالكترونية التي يستخدمها الإنسان في العصر الحاضر؛ لما لها من ميزات، وانتشار وتفاعل؛ وتستخدم للتعبير الحر عن ما يراه الإنسان، وتشجعه على رصد أفكاره بصفة مستمرة، ومشاركة الآخرين في أفكارهم، أو تشجيع فكر معين أو غير ذلك من الاهتمامات، ولقد فرضت شبكات التواصل الاجتماعي نفسها على العديد مستخدمي شبكة الانترنت، حيث تجد يوميا من الدعوات التي تتلقاها من مستخدمي هذه المواقع، حتى تشعر أنك محاصر من جميع هؤلاء سواء من تعرفهم؛ أو من يرسلون لك الدعوة للتعرف إليهم، وهذا لا يعني أن شبكات التواصل الاجتماعي هي مجرد مواقع للتعرف على أصدقاء جدد، أو التواصل مع الأصدقاء، بل هي أيضا أداة تعليمية فعالة إذا ما تم استخدامها بكفاءة، ويمكن لأعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات استخدامها في درجة استخدام قاعات التدريس من أجل تحسين التواصل، ودمج الطلبة في أنشطة فعالة تختلف عن الأساليب التقليدية في التدريس، كما يؤدي ذلك إلى تطوير التفكير الخلاق لدى الطلبة مثل؛ إكسابهم مهارات حل المشكلات عند مواجهتهم للقضايا المطروحة من زملائهم أو من مدرسيهم .

ومن هنا فقد سعت السياسات التعليمية بشكل عام في العالم وخطط التعليم في الدول العربية بشكل خاص بتحويل من مستوى التركيز على المحتوى التعليمي الذي يجب أن يلقن لكل الطلاب، إلى التركيز على إيجاد الطرق المثلى التي تمكن الطلاب من التعلم حيث يتمكن الطلاب من بناء علاقات جديدة مع آخرين ومشاركة نتاجهم الفكري والمعرفي ونشر هذا كله عبر الوسائط المتعددة من نص وصوت وصورة وفيديو من تقنيات باتت من أهم سمات الجيل القادم لشبكة الانترنت، وبذلك أضحت مواقع التواصل الاجتماعي وسيلة دعم وإثراء في العملية التعليمية وهو ما ساهم في إعادة صياغة علاقة جديدة

بين الطلاب والأساتذة، وهو ما ساهم في تعزيز التعليم الافتراضي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، حيث تتجه معظم الجامعات العالمية نحو استخدام هدا النوع من التعليم إدراكا منها للمميزات الجمة التي يحققها سواء على المستوى الاقتصادي من خلال الأرباح التي يدرها على الجامعات، أو على المستوى الأكاديمي بتوفير فرص التعليم لأشخاص قد يكون من الصعب التحاقهم بنظام التعليم بصورته التقليدية، هذا إلى جانب إسهامها في حل الكثير من المشكلات التي يواجهها التعليم الجامعي.

وعليه نحاول من خلال هذه الورقة العلمية النظرية الإجابة على التساؤل المركزي الآتي: ما هو واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التعليم الجامعي ؟

أولا: مدخل إلى التعليم الإلكتروني

يشهد العصر الحالي تقدما تقنيا كبيرا في وسائل وتقنيات الاتصال والمعلومات والذي استفادت منه العديد من المجالات والقطاعات وأهمها التعليم الذي استثمر هذا التقدم بطريقة فاعلة سواء من خلال دمج هذه التطورات في العملية التقليدية أو من خلال خلق تعليم متطور متكامل يعتمد أساسا على توفر وسائل وتكنولوجيات اتصال عالية الجودة والكفاءة والذي أطلق عليه العديد من المصطلحات والمفاهيم ومن أكثرها شيوعا التعليم الإلكتروني

1- تعريف التعليم الإلكتروني: عرف مصطلح التعليم الالكتروني العديد من التعاريف وفيما يلي نورد البعض منها:

هناك من يعرفه على أنه هو" طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صورة ، ورسومات، واليات بحث، ومكتبات الكترونية، وكذلك بوابات الانترنت سواء كان عن بعد أوفي الفصل الدراسي المهم المقصود هو استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة"[1].

---

[1] - عبد الله بن عبد العزيز الموسى، ***التعليم الالكتروني، مفهومه، خصائصه، فوائده، عوائقه***، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة مدرسة المستقبل في الفترة 16-1423/08/17°، جامعة الملك سعود،http://wwww.ksu.edu.sa/seminars/future-school/index2.ht، روجع يوم: 2018/06/26)، على الساعة الثانية زوالا).

ويعرف التعليم الالكتروني أيضا بأنه " شكل حديث لتوصيل التعلم والمصمم تصميما جيد، والذي يتمركز حول الطالب ويتسم بالتفاعل و يتيح بيئة تعلم من أي مكان و في أي وقت عن طريق استخدام مصادر التكنولوجيا الرقمية المتنوعة والتي تمتاز بالمرونة وبتوفير بيئة تعلم موزعة"[1].

والدراسة عن بعد هي جزء مشتق من الدراسة الإلكترونية وفي كلتا الحالتين فإن المتعلم يتلقى المعلومات من مكان بعيد عن المعلم (مصدر المعلومات) ، وعندما نتحدث عن الدراسة الإلكترونية فليس بالضرورة أن نتحدث عن التعليم الفوري المتزامن بل قد يكون التعليم الإلكتروني غير متزامن، فالتعليم الافتراضي : "هو أن نتعلم المفيد من مواقع بعيدة لا يحدها مكان ولا زمان بواسطة الانترنت والتقنيات".

ويعرف أيضا بأنه "منظومة تعليمية لتقديم البرامج التعليمية أو التدريبية للمتعلمين أو المتدربين في أي وقت وفي أي مكان باستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات التفاعلية مثل الانترنت، الإذاعة، القنوات المحلية أو الفضائية ،الأقراص الممغنطة التليفزيون، البريد الالكتروني، أجهزة الكمبيوتر، المؤتمرات عن بعد[2] ، وذلك لتوفير بيئة تعليمية تفاعلية متعددة المصادر بطريقة متزامنة في الفصل الدراسي أو غير متزامنة عن بعد دون الالتزام بمكان محدد اعتمادا على التعلم الذاتي والتفاعل بين المتعلم والمعلم[3] "، حيث لا يعد التعلم الالكتروني مجرد تجربة، بل أصبح يمثل الاتجاه السائد للتعليم العالي مع بداية اعتباره مصدرا استراتيجيا، كما أن هناك إدراكا لتزايد الحاجة الملحة لمعالجة النواقص الملازمة في التعليم العالي والناتجة عن الاعتماد الزائد على أسلوب المحاضرة ونشر المعلومات في نظامنا الحالي[4].

2- أنواع التعليم الإلكتروني[5]:

أ- التعليم الإلكتروني المتزامن (Synchronous e-learning): هو أسلوب وتقنيات التعليم المعتمدة على الشبكة العالمية للمعلومات لتوصيل وتبادل المحاضرات ومواضيع الأبحاث بين المتعلم والمعلم في نفس الوقت الفعلي لتدريس المادة عبر:

---

[1] - Khan Bodrul, **Managing E.Learning Desingn,Delivery,Implementation and Evaluation**, Science Publishing, London,2005, p 03 .

3- عبد الله بن عبد العزيز الموسى، ***التعليم الالكتروني، مفهومه، خصائصه، فوائده، عوائقه***، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة مدرسة المستقبل في الفترة 16-1423/08/17، جامعة الملك سعود،http://wwww.ksu.edu.sa/seminars/future-school/index2.ht، روجع يوم: (2018/06/26، على الساعة الثانية والربع زوالا).

[2]- نبيل عكنوش،***التعليم الالكتروني والتعليم عن بعد بالجامعة الجزائرية، دراسة للواقع في ظل مشروع البرنامج الوطني للتعليم عن بعد***، مجلة المكتبات والمعلومات، مج3 ، ع3، 2010، ص 132.

[3]- أحمد محمد سالم، ***تكنولوجيا التعليم والتعليم الالكتروني***، مكتبة الرشد، القاهرة، 2004، ص 86.

[4]- د.ر. غاريسون، تيري أندرسون، ***التعلم الالكتروني في القرن الحادي والعشرين، إطار عمل للبحث والتطبيق***، مكتبة العبيكان، الرياض ، 2006، ص 184.

[5]- محمد عبد الكريم الملاح، ***المدرسة الالكترونية ودور الإنترنيت في التعليم، رؤية تربوية***، دار الثقافة، عمان، 2010، ص 112.

-غرف المحادثة الفورية (Real-Time Chat).

-الفصول الافتراضية (Virtual Class room).

ومن ايجابيات التعليم الإلكتروني المتزامن حصول المتعلم على تغذية راجعة فورية وتقليل التكلفة والجهد و الوقت.

ب- التعليم الإلكتروني غير المتزامن (Asynchronous e-learning): وهو التعليم غير المباشر، يحصل المتعلم على دورات أو حصص وفق برنامج دراسي مخطط ينتقي فيه الأوقات والأماكن التي تتناسب مع ظروفه عن طريق توظيف بعض أساليب وأدوات التعليم الإلكتروني مثل:

-البريد الالكتروني (E-mail).

-الشبكة العنكبوتية العالمية (World wide web).

-القوائم البريدية (Mailing list).

-مجموعات النقاش (Discussion Groups).

-نقل الملفات (File Exchange) .

-الأقراص المدمجة (CD).

ومن ايجابيات هذا النوع من التعليم أن المتعلم يختار الوقت والزمان المناسب له لإنهاء المادة التعليمية وإعادة مادة التعلم ودراستها والرجوع إليها إلكترونيا في إي وقت، **ومن سلبياته** عدم استطاعة المتعلم الحصول على تغذية فورية راجعة من المحاضر مباشرة.

ج- **التعليم المدمج (Blended Learning)** : التعليم المدمج يشتمل على مجموعة من الوسائط التي يتم تصميمها لتكمل بعضها البعض، وبرنامج التعلم المدمج يمكن أن يشتمل على العديد من أدوات التعلم، مثل برمجيات التعلم التعاوني الافتراضي الفوري، المقررات المعتمدة على الانترنت، ومقررات التعلم الذاتي، وأنظمة دعم الأداء الالكترونية، وإدارة نظم التعلم، التعلم المدمج كذلك يمزج أحداث متعددة معتمدة على النشاط تتضمن التعلم في الفصول التقليدية التي يلتقي فيها المعلم مع الطلاب وجها لوجه، والتعلم الذاتي فيه مزج بين التعلم المتزامن وغير المتزامن.

3- **خصائص التعليم الإلكتروني**[1]:

- ينضوي التعليم الإلكتروني على تقديم محتوى تعليمي رقمي متعدد الوسائط (نصوص مكتوبة، أو منطوقة، مؤثرات صوتيه، رسومات خطية بكافة أنماطها من رسوم بيانية ولوحات تخطيطية ورسوم توضيحية وغيرها، رسوم متحركة، الصور المتحركة، الصور الثابتة، ولقطات الفيديو).

- يتم تقديم هذا المحتوى التعليمي للمتعلم من خلال الوسائط المتعددة على الكمبيوتر وشبكاته.

- التعلم الإلكتروني تعلم تفاعلي Learning interactif .

- التعليم الإلكتروني تعلم مرن، فهو يتيح الفرصة للمتعلم أن يتعلم في الوقت الذي يريده وفي المكان الذي يفضله وبالسرعة التي تناسب قدرته الدراسية.

- يمثل المتعلم عنصراً رئيسياً في التعليم الإلكتروني باعتبار أن احتياجاته وقدراته ونمط التعلم لديه من الأمور التي تؤخذ في الحسبان عند تصميم هذا التعليم وتنفيذه.

- يدار هذا التعليم إلكترونياً حيث توفر الوسائط المعتمدة على الكمبيوتر وشبكاته عدداً من الخدمات أو المهام ذات العلاقة بعملية إدارة عملية التعليم والتعلم التي يستفيد منها كل من المتعلم والمعلم والمؤسسة التعليمية.

4- تقنيات التعليم الإلكتروني: يشهد هذا العصر تطورات مستمرة في الوسائل التكنولوجية التي يمكن استخدامها في العملية التعليمية و التي تندرج تحت ثلاث تقنيات رئيسية وهي[2]:

أ- **التكنولوجيا المعتمدة على الصوت:** والتي تنقسم إلى نوعين، الأول تفاعلي مثل المؤتمرات السمعية والراديو قصير الموجات، أما الثانية فهي أدوات صوتية ساكنة مثل الأشرطة السمعية والفيديو.

ب- تكنولوجيا المرئيات (الفيديو): يتنوع استخدام الفيديو في التعليم ويعد من أهم الوسائل للتفاعل المباشر وغير المباشر، ويتضمن الأشكال الثابتة مثل الشرائح، والأشكال المتحركة كالأفلام وشرائط الفيديو، بالإضافة إلى الإشكال المنتجة في الوقت الحقيقي التي تجمع مع المؤتمرات السمعية عن طريق الفيديو المستخدم في اتجاه واحد أو اتجاهين مع مصاحبة الصوت

---

[1]- أنسام بنت محمد بن حسين دوم، ***تفعيل التعليم الإلكتروني بالتعليم الثانوي العام بالمملكة العربية السعودية في ضوء أهداف التربية الإسلامية***، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تربية إسلامية، قسم التربية وعلم النفس ، كلية التربية للبنات، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1432/1431ه، ص 78.

[2]- محمد الهادي، ***التعليم الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت***، ط1، الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة، 2005 ، ص ص 32 96.

ج- **الحاسوب و شبكاته:** وهو أهم العناصر الأساسية في عملية التعليم الإلكتروني، فهو يستخدم في عملية التعلم بثلاثة أشكال وهي:

-التعلم المبني على الحاسوب والتي تتمثل بالتفاعل بين الحاسوب والمتعلم فقط.

-التعلم بمساعدة الحاسوب يكون فيه الحاسوب مصدراً للمعرفة ووسيلة للتعلم مثل استرجاع المعلومات أو مراجعة الأسئلة والأجوبة.

-التعلم بإدارة الحاسوب حيث يعمل الحاسوب على توجيه وإرشاد المتعلم.

5- أهداف العليم الإلكتروني: يهدف التعليم الإلكتروني إلى تحقيق العديد من الأهداف على مستوى الفرد والمجتمع منها:

- تحسين مستوى فاعلية المعلمين وزيادة الخبرة لديهم في إعداد المواد التعليمية.
- الوصول إلى مصادر المعلومات والحصول على الصور والفيديو و أوراق البحث عن طريق شبكة الانترنت واستخدامها في شرح وإيضاح العملية التعليمية.
- توفير المادة التعليمية بصورتها الإلكترونية للطالب والمعلم.
- إمكانية توفير دروس لأساتذة مميزين، إذ أن النقص في الكوادر التعليمية المميزة يجعلهم حكرا على مدارس معينة و يستفيد منهم جزء محدود من الطلاب. كما يمكن تعويض النقص في الكوادر الأكاديمية والتدريبية في بعض القطاعات التعليمية عن طريق الصفوف الافتراضية [1].
- تساعد الطالب على الفهم والتعمق أكثر بالدرس حيث يستطيع الرجوع للدرس في أي وقت، كما يساعده على القيام بواجباته المدرسية بالرجوع إلى مصادر المعلومات المتنوعة على شبكة الانترنت أو للمادة الالكترونية التي يزودها الأستاذ لطلابه مدعمة بالأمثلة المتعددة. بالتالي الطالب يحتفظ بالمعلومة لمدة أطول لأنها أصبحت مدعمة بالصوت والصورة والفهم.
- إدخال الانترنت كجزء أساسي في العملية التعليمية له فائدة جمة برفع المستوى الثقافي العلمي للطلاب، و زيادة الوعي باستغلال الوقت بما ينمي لديهم القدرة على الإبداع بدلا من إهداره على مواقع لا تؤدي إلا إلى انحطاط المستوى الأخلاقي والثقافي.

---

[1]- غسان قطيط، ***الحاسوب وطرق التدريس والتقويم*** ، ط1، دار الثقافة، عمان، 2009، ص 34.

- بناء شبكة لكل مدرسة بحيث يتواصل من خلالها أولياء الأمور مع المعلمين والإدارة لكي يكونوا على اضطلاع دائم على مستوى أبناءهم و نشاطات المدرسة.
- تواصل المدرسة مع المؤسسات التربوية والحكومية بطريقة منظمة وسهلة.

6- أهمية التعليم الإلكتروني: إن من أهم العوامل التي تساهم في زيادة استخدام تقنية التعليم الإلكتروني حول العالم ما يلي[1]:

- توفير التعليم الإلكتروني ثقافة جديدة هي الثقافة الرقمية التي تركز على معالجة المعرفة وفي هذه الثقافة يستطيع المتعلم التحكم في تعلمه عن طريق بناء عالمه الخاص به عندما يتفاعل مع البيئات الأخرى المتوفرة إلكترونيا وهو ما يتوافق مع نظرية التعليم البنائي.
- مساعدة التعليم الإلكتروني في إتاحة فرص التعليم لكافة فئات المجتمع .
- توفير التعليم في أي وقت وأي مكان وفقا لمقدرة المتعلم على التحصيل.
- مساهمة في تنمية التفكير وإسراع عملية التعليم.
- مساعدة على خفض تكلفة التعليم.
- مساعدة الطالب على الاستقلالية ويحفزه على الاعتماد على نفسه.

ثانيا: شبكات التواصل الاجتماعي...كوسيلة تعليمية تفاعلية تشاركية

تعد شبكات التواصل الاجتماعي من المساهمات التفاعلية في تطوير التعليم، وتحويل الجامعة من بيئة تعليمية محصورة بجدرانها إلى الانطلاق خارج أسوارها، ليتجاوز التعليم حدود الزمان والمكان، بالإضافة إلى إشراك جميع أطراف العملية التعليمية مع المجتمع ومؤسساته المختلفة، وإضفاء الجانب الاجتماعي على عملية التعليم.

فشبكات التواصل الاجتماعي تزيد من إمكانية فرص التواصل، وترفع من مستوى مهارات التواصل والحوار لدى الطلبة، كما أنها تعمل على ارتفاع مستويات النمو الاجتماعي لدى الطلبة، من خلال مشاركة الطالب لجميع الفئات الاجتماعية في مجتمعه الافتراضي ضمن شبكات التواصل الاجتماعي، والقضاء على مشاكل الخجل والانطواء، وذلك من خلال الفرصة الحقيقية للتواصل الافتراضي، وتنمية

---

[1]- أحمد محمد سالم، مرجع سبق ذكره، ص 295.

مهارات الطالب الاجتماعية، حيث أصبحت هذه الشبكات من المؤسسات الإلكترونية التعليمية الاجتماعية المهمة التي تقوم بدور تعليمي مهم في تعليم الطلبة وإكسابهم المعارف العلمية السليمة، والعادات والتقاليد إذا أُحسن إدارتها.

كما إنها تسهم في تنمية مختلف جوانب شخصية الطالب سواء الأكاديمية أم الاجتماعية أم النفسية، فالعملية التعليمية ليست مجرد تلقين أو كتاب يدرس، إنما هي علمية تفاعلية تشاركية تهدف إلى بناء الشخصية المتكاملة لهذا الطالب.

1- تعريف شبكات التواصل الاجتماعي: تقوم الفكرة الرئيسية للشبكات الاجتماعية على جمع بيانات المشتركين في الموقع ويتم نشر هذه البيانات بشكل علني حتى يجتمع الأعضاء ذوي المصالح المشتركة و الذين يبحثون عن ملفات أو صور وغيرها، أي أنها مواقع فعالة تعمل على تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعة من المعارف و الأصدقاء، وتمكنهم من التواصل المرئي و الصوتي و تبادل الصور وغيرها من الإمكانات التي توطد العلاقة الاجتماعية بينهم[1].

وتعرف وسائل التواصل الاجتماعي أو شبكات الإعلام الاجتماعي (Social Networks) هي "مواقع (websites) أو تطبيقات (Applications) مخصصة لإتاحة القدرة للمستعملين للتواصل فيما بينهم من خلال وضع معلومات، وتعليقات، ورسائل، وصور ...وغيرها"[2].

وعرفت بأنها "مواقع على الانترنت يتواصل عبرها ملايين البشر الذين تجمعهم اهتمامات أو تخصصات معينة، ويتاح لأعضاء هذه الشبكة مشاركة الملفّات، الصور وتبادل مقاطع الفيديو، وإرسال الرسائل، وإجراء المحادثات الفورية، وسبب وصف هذه المواقع بالاجتماعية أنها تتيح التواصل مع الأصدقاء وزملاء الدراسة، وتقوي الروابط بين أعضاء هذه المواقع في فضاء الانترنت"[3].

وهناك من عرفها أيضا على أنها "مواقع تتشكل من خلال الانترنت، تسمح للأفراد بتقديم لمحة عن حياتهم العامة، وإتاحة الفرصة للاتصال بقائمة المسجلين، والتعبير عن وجهة نظر الأفراد أو المجموعات من خلال عملية الاتصال، إذ إنها تتيح التواصل بين الأفراد في بنية مجتمع افتراضي، يجمع بين أفرادها

---

[1]- ليلى أحمد جرار، ***الفايسبوك والشباب العربي***، مكتبة الفلاح، عمان، 2012 ، ص38.

[2] - http://ar.wikipedia.org/wiki, consulté le (28/06/2018, 14 :00h)

[3]- حسنين شفيق ، ***الإعلام الجديد***، ط1، دار الفكر والفن للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص 57.

اهتمام مشترك أو شبه انتماء (بلد ، مدرسة ، جامعة، شركة...) يتم التواصل بينهم عبر الرسائل، أو الاطلاع على الملفات الشخصية، ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض"[1].

أما عن مفهوم شبكات التواصل الاجتماعي التعليمية، فيتم تعريفها بأنها "مواقع ويب تتوفر لمجموعة من الأفراد القدرة على المشاركة في الاهتمامات والأنشطة والآراء العلمية والتعليمية وتكوين صداقات مع أشخاص آخرين لهم نفس التوجهات[2]".

2- أنواع شبكات التواصل الاجتماعي: قسمت شبكات التواصل الاجتماعية على عدد من الأسس المختلفة فقد تنقسم حسب التقنية الفنية التي تبنى عليها أو على حسب جنسية الأشخاص، إذ أن هناك العديد من الشبكات التي تنتمي لأماكن بعينها ولأعراق ولأجناس خاصة، أو على أساس الاهتمام الموضوعي لها وبصفة عامة يمكن تقسيم الشبكات الاجتماعية إلى[3]:

أ- شبكات شخصية أو محلية خاصة بأشخاص معينين: هذه الشبكات تقتصر على مجموعة من الأصدقاء والمعارف والتي تعمل على التواصل الاجتماعي فيما بينهم بجميع الأشكال، إذ تتم إتاحة ملفات للصور الشخصية والمناسبات الاجتماعية فيما بينهم بشكل منتظم للتواصل وعمل حياة اجتماعية من خلال هذه الشبكات، وهذه المواقع عديدة وكثيرة وقد تجد مواقع مغلقة على فئة معينة من الأصدقاء لمثل هذه الأمور.

ب- شبكات خاصة بفئات موضوعية معينة: هذه الشبكات نشأت لتجميع بعض المهتمين بموضوعات بعينها مثل المهتمين بالطب والهندسة وشبكات مهتمة بالكتب والمكتبات مثل Library Thing أو شبكات شاركت التعليم عن بعد لبعض المدارس وشبكات ثقافية.

ب- شبكات مهنية: ظهرت وانتشرت مثل هذه الشبكات في الآونة الأخيرة، لتواجه البطالة واحتياج دول العالم لتنشيط العمل واستخدام هذه التقنية المتطورة لخلق بيئة عمل وبيئة تدريبية مفيدة وحرفية، واستقبال سير ذاتية للمشتركين مع استقبال طلب توظيف من جانب الشركات، وتقدم خدمات على مستوى المهن المختلفة وغيرها، وأشهر هذه الشبكات Linked In .

---

[1] - http://kse.org.kw/AlMohandesoon/issue/113/article/, consulté le (28/06/2018, 15 :00h)

[2] - إحسان محمد الحسن، ***مناهج البحث الاجتماعي***، دار وائل للنشر، عمان، الأردن،2005، ص205 .

[3] - أحمد بن عبدالله الدريويش، ***واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التعليم لدى طلاب كلية المعلمين بجامعة الملك سعود***، مجلة اتحاد الجامعات العربية للبحوث في التعليم العالي، مج 34، ع2، 2014، ص 95.

3-الخصائص التعليمية لشبكات التواصل الاجتماعي[1]:

- تجمع بين الفردية والاجتماعية في التعلّم، بحيث تشكل بيئة تعلّم تعاوني وتكاملي.
- تحويل العملية التعليمية من التعليم إلى التعلم.
- تمتاز الشبكات الاجتماعية بالمعالجة الذاتية، و هو يعتبر من أهم مناهج التعلّم الذاتي الذي يعتمد على البناء، الحوار، الإنتاج، التعاون.
- متابعة الإعلانات الجديدة وإدارة المشاريع المتعلقة بالعملية التعليمية.
- التحفيز على الإبداع، إذ يمكن لمجموعة من الطلبة أن يؤلف أداة أو أكثر للتعليم.
- تبادُل المعلومات والمُناقشة والتّعليق، مما يُساعد على تنشيط مهارات الطلاب عن طريق التعلّم بالأنشطة.
- التعامل مع المعلومات على أنها حق عام.
- التعليم قائم على المشاركة والتفاعل، والمتعلمون مساهمون في بناء المعرفة.
- اشتراك المتعلم في بناء المُحتوى التعليمي.

إن الخصائص التعليمية لشبكات التواصل الاجتماعي في التعليم، والمتمثلة في المشاركة والمحادثة والانفتاح و الترابط بين المعلم و المتعلّم من شأنها أن تخلق بيئة اجتماعية تعليمية تحفيزية من أجل التعلم والاستكشاف.

4- اعتبارات التعليم التنظيمية عبر شبكات التواصل الاجتماعي:

برز دور شبكات التواصل الاجتماعي في مجال التعليم بشكل كبير خلال السنوات القليلة الماضية، حيث اشترك فيها آلاف المدارس والمعاهد والجامعات على مستوى العالم ناهيك عن اشتراك الطلاب بغرض التعليم، حيث استفادوا من خدماتها في إطار ما يعرف بالتعليم الهجين أو المنظومة التعليمية الثقافية، ولكي يكون ثمة تواصل تعليمي بناء واستفادة حقيقية من خدمات شبكات التواصل الاجتماعي فإنه يجب على كل من المعلم والمتعلم الولوج وفق مجموعة من الاشتراطات والاعتبارات التنظيمية نذكر من أهمها:

---

[1]-حمزة إسماعيل أبو شنب، ***تقنيات التواصل الاجتماعي، الاستعمالات والمميزات***، 2013، https://www.alukah.net/culture/0/59302/#ixzz3Kef4SCHPK، روجع يوم: (2018/06/72).

– أن يؤسس مدونة إلكترونية صغيرة للمادة الدراسية التي يقوم بتدريسها تحتوي شرحا للمادة العلمية والتمارين المرافقة لها ويدعمها بروابط لمواقع ومقالات ذات صلة تفتح أفاق الطلاب.

– استخدام المجموعات المغلقة (Closed Group) التي يوفرها موقع الفايسبوك (Facebook) كأحد أهم الوسائل الناجحة في تعزيز التعليم، حيث يمكن للأستاذ أن ينشئ مجموعة على الفايسبوك خاصة فقط بطلاب الفصل أو المادة التي يدرسها ويدعو طلابه للانضمام إليها فيتيح لهم من خلالها النقاش والحوار حول مواضيع لها علاقة بالمادة الدراسية مما يشجعهم على التفاعل والمبادرة والاستكشاف والاعتماد على النفس للحصول على المعرفة وهي الطريق الأفضل للتعلم البديل المثالي عن التلقين.

– يعد تويتر (Twitter) المكان الأمثل اليوم للحصول على المعرفة من أشهر المختصين وبالتالي فإن مجرد تواجد الأستاذ على" تويتر "وحث طلابه على متابعته سيمكنهم من الحصول على معارف من مدرسهم خارج حدود المنهج الدراسي، مما يعزز المعرفة لدى الطلاب ولا يحصرهم بصفحات الكتاب المقرر فتغريدات الأستاذ ستوفر فرصة كبيرة لتعزيز المعرفة لدى الطلاب والتواصل العلمي الإبداعي مع الأستاذ.

– تشجيع الطالب على تأسيس مدونة (Blog) على شبكة الانترنت والتدوين فيها بشكل مستمر سيعزز شخصية الطالب وينمي مهارات الكتابة والإبداع لديه ويساعده في تحديد توجهه المهني في وقت مبكر وبالتالي فإن على المعلم أو المدرسة أو الجامعة أن تعمل على جعل مدونات الطلاب جزء من مشاريع تخرجهم أو نشاطاتهم اللامنهجية وتحفيزهم على الكتابة والتدوين فيها بشكل دائم، ويمكن تشجيع الطلاب الآخرين على إضافة التعليقات على مدونات زملائهم مما يعزز الحوار والتبادل المعرفي بين جميع الطلاب[1].

– الصوت والصورة هي أهم عنصر من عناصر التعلم في عصرنا هذا ولا يمكن لأي محتوى علمي أن ينجح في الوصول للطلاب دون استخدامها فيمكن للأستاذ أن يستغل ذلك بأن يطلب من طلابه إعداد مقاطع فيديو أو رسوم توضيحية أو عروض تقديمية لها علاقة بشكل مباشر أو غير مباشر بالمادة الدراسية التي يقومون بدارستها ثم يطلب منهم مشاركتها عبر يوتيوب (YouTube) مع زملائهم أو حتى مع العالم كله، فهذا سيعزز المهارات الإعلامية لدى الطلاب خصوصا الخطابة وفنون الإقناع والتأثير كما سيدعم فهمه للمادة العلمية بشكل قوي حيث أن عرضها أمام الآخرين يمثل أعلى درجات التعلم.

---

[1]-عبد الكريم الشمري، ***كيفية الاستفادة من الشّبكات الاجتماعية في التّعليم***، 2011، abdulkrem556.blogspot.com/2011/12/blog-post-17.html، روجع يوم: (2018/06/27 على الساعة العاشرة صباحا).

– استخدام لينكد إن في التعليم (Linked–in) يسمح بتسجيل البيانات الشخصية، والمهنية، كالدراسة الأبحاث العلمية، السنوات العملية، والشهادات، فهو يقدم نموذجا احترافيا للأُستاذ والطّالب كما أنه يعتبر مكانا لعرض الوظائف أو البحث عنها[1].

5– توظيف شبكات التواصل الاجتماعي (الفايسبوك، اليوتيوب، التويتروالمدونات) لتعزيز العملية التعليمية:

أ– **الفايسبوك:** إن جيل اليوم يُعرف ب" الجيل الفايسبوكي "، حيث نلاحظ بأن معظم طلبة الجامعات يتواصلون من خلال الفايسبوك فهذا يكتب تعليق وذاك يرفق صورة وذاك ينشئ صفحة للثورة.

–يساهم الفيسبوك في التعليم الإلكتروني من خلال تطبيقاته المتعددة التي تسهم في إثراء العملية التعليمية إذ يستطيع الأستاذ إضافة تدريبات وعرض المحتوى بما يسمى تطبيق (فلاش كارد Card Flash)، ويستطيع الطلاب أيضا من خلال تطبيق (كتاب تاغ Book Tag) تبادل الكتب وإعارتها فيما بينهم، وتطبيق (كورس Courses) التي تعتبر مهمة للأستاذ على وجه الخصوص لأنها توفر مجموعة من الخدمات المهمة لإدارة المادة الدراسية مثل إمكانية إضافة المقررات والإعلانات والواجبات وتكوين حلقات نقاش ومجموعات للدراسة بالإضافة إلى الكثير من التطبيقات التي يمكن توظيفها في العملية التعليمية.

ب– اليوتيوب: لقد أصبح اليوتيوب بمميزاته الجمة، منفذا إعلاميا للكثير من الطلبة والأساتذة، باعتباره الوسيلة الإعلامية التي تتيح لأي كان الظُّهور، وتمنح الفرصة للوصول إلى الملايين، من خلال خدماتها التعليمية ومحتوياتها[2] التي يضفيها أو يستفيد منها المتعلمون عبر العالم ومن هذا الباب نذكر بعض استخدامات اليوتيوب في التعليم، وهي:

- إمكانية تضمين فيديو يوتيوب في العروض التقديمية الخاصة ببرنامج باوربوينت "Powerpoint" .
- توفير بعض مزايا الترجمة، حيث يمكن ترجمة مقاطع الفيديو التي تحتوي على عناوين Captions إلى العديد من اللّغات ومن بينها العربية.

---

[1] - الحسين أوباري، ***كيفية توظيف Linked in في التعليم الاجتماعي***، 2015، http://www.new-educ.com/linkedin-education-social-learning#more-8007، روجع يوم: (2018/06/27، على الساعة الحادية عشر صباحا).

[2] - http://www.wikipedia.org/youtube, consulté le (30/06/2018, 13 :00h)

- يمكن تضمين الفيديو في كافة شبكات التواصل الاجتماعي التي تتبع تقنية الويب2.0، مثل الفايسبوك"Facebook"، المنتديات التعليمية، أنظمة إدارة التعلُّم LMS للاستفادة منها تعليميا من خلال رابط"Embed" ، الذي يوجد في كل مقطع فيديو.
- تخصيص قنوات Channels وفق السمات الخاصة وحسب الحاجة.
- يسمح اليوتيوب في نقل المحاضرات والمؤتمرات.

كل متعلم ينشئ له قناة يعرض فيه ما أنتجه أو أعجبه من المقاطع المتصلة بالمادة[1].

ج- التويتر: هو فن مشتق من التدوين يمكن أن نقول أن التدوين المصغر عبارة عن تحديثات كتابية تصف الأحداث التي تعاصرها في يومك علي مدار الساعة ويحظى" تويتر" بأهمية كبيرة في مجال التعليم، حيث يتمكن المدرسون بفضله من التواصل مع بعضهم وتقاسم كل ما يمكنه إفادتهم من أدوات ونصائح وحلول، ويمنحهم فرصة لتبادل الخبرات ودعم بعضهم بعضا، كما يوفر "تويتر" جميع مزايا شبكات التواصل الاجتماعية ويجلبها للفصول الدراسية وهذا عامل مهم لإبقاء المتعلمين مهتمين ومركزين في عملهم.

د- المدونات: في الغالب المدونات هي مواقع شخصية لكن لها استخدامات كثيرة أخرى فيمكن إنشاء مدونات متخصصة في جانب ما ومثل هذه المدونات تقدم الكثير من الفوائد للمهتمين بهذا التخصص فكل يوم هناك دروس وروابط جديدة كل يوم تحوي أفكارا وحوارات جديدة ومثل هذا التجدد والنشاط لا نجده في المواقع التقليدية إلا نادرا.

أما المؤسسات التعليمية فيمكنها أن تستفيد من المدونات بأن تتواصل مع الطلبة من خلال المدونات فتطرح المشاريع والواجبات من خلال المدونة ويمكن طرح الدروس بوسائل مختلفة من خلال المدونة، ويمكن للمدرسة هي الأخرى أن تتواصل مع أولياء التلاميذ وتخبرهم بأنشطة المدرسة وأخبارها وبالمدونات يمكن للطلبة أن يكتبوا في المدونات لكي يتعلموا مهارات كثيرة مثل الكتابة والحوار وإدارة المواقع.

وفي هذا المضمار تطرح" نسرين التازي "-مبرمجة مواقع إنترنيت – نماذج لاستخدامات متعددة للمدونات مثل: إنشاء مدونات خاصة بالمعاهد العليا كوسيلة أسرع لتبادل المعلومات والتجارب، ومدونات خاصة

---

[1]- أحمد شاهين، ***موقع اليوتيوب واستخداماته التعليمية***، مدونة إلكترونية، 2011 ، http://www.id4arab.com/2011/12/blog-post.htm#.UHJAHDHUTC ، روجع يوم: (2018/06/30، على الساعة التاسعة صباحا).

بجمعيات المجتمع المدني كوسيلة للتربية على روح المواطنة ومدونات خاصة بالشركات كوسيلة لتسويق الإنتاج والاقتراب أكثر من المستهلك، ومدونات خاصة بالثقافة والفنون لتواصل أكبر مع الجمهور[1].

6- مزايا وعيوب استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التعليم الجامعي:

أ- **المزايا:** إن الشبكات الاجتماعية ليست مجرد مواقع للتعرف إلى أصدقاء جدد أو التواصل مع الأصدقاء، أو معرفة ما يجري في العالم، بل هي أداة تعليمية مبهرة إذا تم استخدامها بفعالية، ومورد مهم للمعلومات، ويمكن للمعلمين استخدامه في غرفة الصف خصوصا، من أجل تحسين التواصل، ودمج الطلبة في أنشطة فعالة تختلف عن أساليب التدريس التقليدية، وأيضا بهذا الأسلوب يتعرف الطلاب إلى استخدامات أخرى لشبكات التواصل الاجتماعي أكثر فائدة وفاعلية، ويمكن القول إن هناك الكثير من الأفكار التي يمكن الاستفادة منها لزيادة فعالية التعليم والتعلم، وأيضا لتوجيه أنظار الطلبة من أجل استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في مجالات تعود عليهم بالفائدة ومنها ما يلي:

- **متابعة المستجدات في التخصص:** حيث يمكن للأستاذ أن يكلف طلابه البحث عن المستجدات في مجال المادة العلمية التي يدرسها وبهذا يحافظ على صلة الطلبة بالمعلومات الجديدة في التخصص.
- **مراجعة الكتب والأبحاث بشكل تعاوني:** بإمكان الطلاب والمدرسين مراجعة الأبحاث معا من خلال إرسالها للطلبة في نفس التخصص للإطلاع عليها وكذلك المدرس والتزود بتغذية راجعة على الفايسبوك مثلا.
- **الألعاب التعليمية:** يمكن الاستفادة منها في تحسين مهارات القراءة وخصوصا اللغة الانجليزية كلغة ثانية حيث ستزيد هذه الألعاب من مخزون المصطلحات باللغة الانجليزية لدى الطلبة.
- **استطلاعات الرأي:** يستخدمها الأستاذ كأداة تعليمية فاعلة وأيضا لزيادة التواصل بين طلبة المساق على مواقع التواصل الاجتماعي.
- **تعليم اللغة الانجليزية:** حيث يكون بإمكان الطلبة أن يتواصلوا مع آخرين ناطقين أصليين باللغة الانجليزية من خلال مجموعات أو شبكات.

---

[1]- وليد يوسف محمد إبراهيم، أثر ***استخدام دعامات التعلم العامة والموجهة في بيئة شبكات الويب الاجتماعية التعليمية في تنمية مهارات التخطيط للبحوث الإجرائية لدى طلاب الدراسات العليا وتنمية اتجاهاتهم نحو البحث العلمي***، دراسات عربية في التربية وعلم النفس، 2014، ص ص 15 100.

- **إيجاد مصادر معلومات خاصة بالطالب:** وخصوصا طلبة الصحافة حيث سيكون بإمكانهم التطبيق العملي لتخصصهم ،من خلال استخدام تحديثات مركز تغذية المواقع لمتابعة الأخبار العاجلة السياسية والرياضية وأخبار الجامعات.
- **متابعة الأخبار الجديدة:** من خلال متابعة المجموعات للأخبار الجديدة على المواقع العالمية مثل أخبار الطقس أو الكوارث الطبيعية أو الجديد في الطب و العلوم، حيث هناك الكثير من المواقع على الشبكة المفيدة لطلبة الطب والهندسة والعلوم.
- **إنشاء تطبيقات على الفايسبوك:** حيث يقوم العديد من الطلبة بعرض تطبيقاتهم العملية عليه مثل العديد من طلبة الجامعات العالمية الذين يشكلون مجموعات على الموقع.
- **مشاركة التحدي:** حيث يمكن للأستاذ إشراك طلبة في أنشطة تظهر قدراتهم ومواهبهم مثلا في إعداد مشاريع تخرج أو الترويج لمؤسستهم التعليمية.
- **استخدام الوسائط المتعددة:** يمكن للأستاذ استخدام الفيديو أو الوسائط المتعددة وإرسالها لطلبته لتسهيل عملية التعلم[1].

ب- العيوب: بالرغم من استخدام شبكات التواصل الاجتماعي كوسيلة تعليمية مساندة للتعليم، إلا أنه قد يعتريها تأثيرات سلبية تشكل عائقا للممارسة التعليمية التعلمية لدى الطالب، ونذكر منها ما يلي:

- **عدم الخصوصية:** لا توجد خصوصية للأفراد المسجلين فبمجرد الدخول إلى الملف الشخصي للفرد تجد جميع المعلومات والصور الشخصية الخاصة به، وحل مثل هذه المشكلة لابد أن يتيح لأصحاب هذه المواقع بعض الخصوصية للمستخدمين.
- **حقوق النشر:** يمثل ضياع حقوق النشر أهم الإشكاليات التي تواجه شبكات التواصل الاجتماعي، وقد أثارت جدلا كبيرا بين شركات الإنتاج والنشر، وتجري العديد من المناقشات للتوصل إلى حل لها.
- **قلة الرقابة:** بالرغم من أن هذه المواقع قد حاولت فرض رقابة على محتواها، بحيث تحد من المحتوى الذي قد يثير جدلا، فقد تعرضت هذه المواقع لقضايا عدة متعلقة باحتوائها على مواد تحرض على" العنف"، خاصة أنه بإمكان أي مشترك عرض وتقديم أي مادة ينتجها بنفسه وينشرها على هذه المواقع مهما كانت طبيعتها، وهذا بلا شك يفتح المجال أمام المبدعين لنشر

---

[1] - عبد الرزاق العبد الرزاق، ***الشبكات الاجتماعية في التعليم***، نشر بتاريخ: 10مارس 2012، http://alabdulrazaq.blogspot.com/2012/03/blogpost_10.html ، روجع يوم: (2018/06/29، على الساعة السادسة مساء).

إبداعاتهم بعيدا عن مقص الرقيب ومزاجية الناشر الناشر، ولعل خير مثال على ذلك تحول عدد من المدونين إلى مؤلفين.

- **ضياع الوقت:** كثرة الشبكات الاجتماعية وشغف مستخدميها لتتبع الأخبار والمعلومات وكل ما يطرح فيها يستهلك الكثير من الوقت والجهد، مما يؤدي إلى صرف غالب أوقاتهم في مثل هذه الأخبار والمدونات[1].
- **الإدمان على شبكات التواصل الاجتماعي:** إن الاستخدام المفرط لهذه الشبكات يؤدي إلى إدمان الطّلبة عليها من ناحية الاستخدام السلبي، و استهلاك الأفكار الهدامة، والمخالفة للقيم والقانون، فحرية التعبير والتنفيس عن المكنون الداخلي هو الدافع الأساسي للشاب لقضاء ما يقارب 9-12 ساعة يوميا في استخدام الفايسبوك[2]، وهو ما يجعل الطالب يستبدل القراءة والتعلم بمواقع ترفيهية من موسيقى و أفلام... الخ.
- **عرض المواد الإباحية:** فهناك من المواقع أو الروابط التي تدعو إلى الرذيلة ونبذ الأخلاق والقيم والدين[3]، والتي تستهوي المستخدم وتدخله في متاهات تتنافى والمبادئ العامة للمجتمع.

ثالثا: تجربة الجامعة الجزائرية في التعليم الإلكتروني عبر شبكات التواصل الاجتماعي

بالنسبة للتجربة الجزائرية في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لازالت في بدايتها ومحتشمة وليست بالقدر الكافي، قد يرجع ذلك لعدم الوعي التام بفعالية هذا النوع من التعليم ومدى مساهمته في رفع المستوى العلمي والتأهيلي للفرد، وبالرغم من ذلك فإن التجربة الجزائرية رائدة في ميدان التعليم الإلكتروني وعن بعد، والذي يشرف عليه (EEPAD Etablissement d'enseignement Professionnel à Distance)[4]، وهناك أيضا تجارب ناجحة لمؤسسات خاصة مثل" المركز الوطني للتعليم المهني عن بعد "أول تجربة في ميدان التعليم الافتراضي والتي لازالت قائمة، تتولى الإشراف عليها جامعة التكوين

---

[1]- فوزية عبدالله المدهوني، ***فاعلية استخدام المدونات التعليمية في تنمية التحصيل الدراسي والاتجاه نحوها لدى طالبات جامعة القصيم***، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الوسائل وتقنيات التعليم، كلية التربية، جامعة القصيم، القصيم، 2010، ص31.

[2]- أحمد الردايدة، ***إدمان الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي***، نشر في 2013_08_26، http://www.shababjo.net/، روجع يوم: (2018/06/29، على الساعة الخامسة مساءا)

[3]- أيمن يسن، ***التعليم الإلكتروني والإعلام الجديد***، ط1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص 164.

[4]- وليد الحلفاوي، ***تصميم نظام تعليمي إلكتروني قائم على بعض تطبيقات الويب 2 وفاعليته في تنمية التحصيل المعرفي والتفكير الابتكاري والاتجاه نحو استخدامه لدى طلاب تكنولوجيا المعلومات***، دورية تكنولوجيا التعليم،2009، ص ص 63 158.

المتواصل. وعرض مشروع AUF[1] لفتح فرع (Master) في مجال التبصر والتصور في ميدان التصميم بواسطة الكمبيوتر. و(Transfert AUF): الوكالة الجامعية للفرنكوفونية لتكوين مكونين في ميدان التعليم الافتراضي، و (ACOLAD Apprentissage Collaboratif A Distance) لأرضية التعليم الافتراضي[2].

إلى جانب تجهيز الجامعات الجزائرية بالمعدات اللازمة لتطبيق التكوين عن بعد: تموين هذه العملية قامت به وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التي خصصت ميزانية معتبرة (مليار وثلاث مئة وخمسون مليون دينارا جزائريا).

وهناك أيضا (Communication pour l'Enseignement et la Formation): تكوين اختصاصين في مجال استعمال تكنولوجية المعلومات والاتصال–لفائدة التعليم والتكوين ، جامعة لوي باس تور بـ(ستراسبورج)، ومركز الدراسة والبحث في المعلومات العلمية والتقنية (CERIST) مكلفان بهذه المهمة[3].

أما التجربة الثانية فتصنف ضمن إنجاز شبكة التعليم المرئي عن بعد (التي أقيمت في إطار مشروع وزاري لوزارة التعليم العالي)، اختبرت بين جامعة الجزائر[4] والمركز الجامعي بورقلة[5] حيث ألقيت محاضرة مباشرة من الجزائر تعنى بحقوق الإنسان للدكتور "عروة "من معهد الحقوق أعقبها حوار صحفي من ورقلة مع وزير التعليم العالي آنذاك وكانت تجربة جد ناجحة بالرغم من العقبات التقنية وقلة التجهيزات وقد تم الإشراف على العملية من طرف مركز تنمية التكنولوجيات المتقدمة أستخدم في التجربة خط متخصص بقدرة 2 ميغابايت/ثا يربط كلا المؤسستين ببعضهما.

لكن لم يتواصل العمل بشبكة التعليم المرئي عن بعد، منذ اختبارها لكن عن قريب سوف تستأنف العمل بصفة دائمة حسب برنامج سيسطر بين الجامعتين بعدما أزيلت العقبات التقنية الناتجة عن البعد، بغرض استخدامها في تبادل الخبرات بين المؤسستين وإقامة الندوات والملتقيات الإلكترونية ويتوقع أن تعمم هذه الشبكة على باقي مؤسسات التعليم العالي.

وعلى ضوء هذين التجربتين ينبغي على مؤسساتنا التعليمية خصوصا منها الجامعية أن تستعد وتبذل

---

[1] - http://www.cnepd.edu.dz, consulté le (01/07/2018, 12 :00h).
[2] - http://www.eepad.com, consulté le (01/07/2018, 12 :30h).
[3] http://www.auf.org, consulté le (01/07/2018, 13 :30h).
[4] - http://dessuticef.u-strasbg.fr, consulté le (01/07/2018, 15 :15h).
[5] - http://dessuticef.u-strasbg.fr, consulté le (02/07/2018, 16 :30h).

المزيد من الجهود لتوسيع التجربة لمزيد من تبادل الخبرات وتغطية نقص الأساتذة وإقامة المنتديات والملتقيات العلمية، ضمن إطار المشروع الوزاري الرامي إلى إقامة شبكة إكسترانات وهمية[1] لربط جميع المؤسسات والهيئات الجامعية فيما بينها، ثم ربط هذه الشبكة بالشبكة الدولية، وإقامة مكتبة افتراضية هي في طور التحضير لها في إطار هذا المشروع يرتكز على إقامة شبكات(المركز الوطني للبحث العلمي CERIST) مشروع يشرف عليه مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني، إلى جانب إقامة (انترانت) بكل مؤسسة جامعية، بحيث تكون هذه الشبكة مرتبطة بشبكة الإنترنت عن طريق الحاسب الموزع وأطلق على هذا المشروع اسم (الشبكة الأكاديمية للبحث بالمؤسسة Serveur web) للويب بالمؤسسة[2].

و في الأخير نتطلع لأن تصبح شبكات التواصل الاجتماعي بالجامعات الجزائرية جزءا من نظام التعليم المفتوح داعما لنظام التعليم الإلكتروني والصفوف الافتراضية لكونه موقع اجتماعي ترفيهي بالإضافة لكونه موقع تربوي يساهم في إثراء معرفة الطلاب بطريقة أقرب إلى نفوسهم، بحيث يمكن للجامعة أن تنشر رسالتها من خلاله وبالإضافة إلى نشر ثقافة التعليم الفتوح للعالم الخارجي.

رابعا: الاقتراحات والتوصيات

من خلال ما تقدم يمكن الخروج بالاقتراحات والتوصيات الآتية:

–ضرورة صياغة إستراتيجيات محددة الأهداف خاصة في جامعاتنا التي تشهد تحولا من التعليم التقليدي إلى التعليم الالكتروني والتي لم تنتشر فيها بعد ثقافة استخدام التكنولوجيات الحديثة.

–ضرورة وجود وعي من طرف السلطات المسؤولة بأهمية التعليم الالكتروني عبر شبكات التواصل الاجتماعي ووجوب توفر سياسات تربوية فعالة في هذا المجال.

–إضافة إلى توفير التكوين على استخدام التكنولوجيات الحديثة للطلبة كما للأساتذة و تدعيم الأساتذة من خلال تقديم محفزات مادية لمن يستعمل هذا النوع من التعليم في الجزائر.

– ضرورة إجراء مزيد من الدراسات التي تتعلق بشبكات التواصل الاجتماعي لاسيما الدراسات التي تتعلق بالمعيقات التي تحول دون استخدام هذه الشبكات في الجامعات الجزائرية.

– تطبيق التعليم الإلكتروني عبر شبكات التواصل الاجتماعي على مراحل بحيث يكون التحول تدريجيا من التعليم التقليدي إلى التعليم الإلكتروني.

---

[1] - http://www.univ-alger.dz, consulté le (02/07/2018, 18 :00h).

[2] - http://www.ouargla.dz, consulté le (02/07/2018, 18 :30h).

– قيام إدارات الكليات المختلفة بدورها في إلزام أعضاء هيئة التدريس باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي ومتابعتها بشكل جيد عن طريق لجان التقويم.

– توفير البرامج التوعوية لطلاب الجامعات عن الاستخدام الأمثل لشبكات التواصل الاجتماعي مع العمل على تدعيمها بوسائل لتنمية روح المواطنة والانتماء لديهم.

– الالتزام بالميثاق الأخلاقي للاستخدام واحترام القوانين واللوائح الموضوعة للاستخدام الآمن.

– توفير أماكن بالجامعات للطلاب الذين لا يتوفر لديهم جهاز كومبيوتر أو انترنت وذلك بإتاحة أماكن لهم حتى يستطيعوا الاستفادة من هذه الشبكات ومن كل ما تقدمه من خدمات تعليمية.

– تأسيس شبكة تواصل اجتماعي عربية من شأنها تعزيز التواصل بين الشباب العربي والشباب في العالم.

خاتمة:

أثرت شبكة الويب بملامحها الأساسية وأدواتها بشكل مباشر في التعليم، وكان الاهتمام باستراتيجيات التدريس التي تمنح الطالب دورا فاعلا في عمليات التعلم المختلفة، ومن أهم هذه الملامح شبكات التواصل الاجتماعي، لذا من الضروري محاولة توظيف إمكاناتها وأدواتها في تخطيط وتصميم عمليات التعلم عبر الويب بشكلٍ عام، وفي تخطيط وتصميم التعلم القائم على المشروعات بشكلٍ خاص، باعتبار أن هذه التقنية أصبحت جزء لا يتجزأ من حياتنا اليومية ، فلهذه الشبكات ميزات وايجابيات عديدة يفوق سلبياتها التي غالبا ما تكون بسبب الاستخدام السيئ لها والذي يعود إلى قلة الوعي الثقافي والأخلاقي لمستخدميها.

ومن خلال عرض نموذج التجربة الجزائرية يمكن القول أن التعليم الإلكتروني عبر شبكات التواصل الاجتماعي هو ميدان جديد مزال يحتاج إلى بعض الإمكانيات والشروط منها البيئة التكنولوجية والثقافية التي تسمح بنجاح هذا النمط من التعليم لاسيما الجامعات الافتراضية أو الالكترونية.

قائمة المراجع:

1– باللغة العربية:

أ– الكتب:

1– الحسن إحسان محمد، مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر، عمان، الأردن،2005.

2– الملاح محمد عبد الكريم، المدرسة الالكترونية ودور الإنترنيت في التعليم، رؤية تربوية، دار الثقافة، عمان، 2010.

3– الهادي محمد، التعليم الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت، ط1، الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة، 2005

جرار ليلى أحمد، الفايسبوك والشباب العربي، مكتبة الفلاح، عمان، 2012.

4- سالم أحمد محمد ، تكنولوجيا التعليم والتعليم الالكتروني، مكتبة الرشد، القاهرة، 2004.

5- شفيق حسنين، الإعلام الجديد، ط1، دار الفكر والفن للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.

6- غاريسون د.ر، أندرسون تيري، التعلم الالكتروني في القرن الحادي والعشرين، إطار عمل للبحث والتطبيق، مكتبة العبيكان، الرياض ، 2006.

7- قطيط غسان، الحاسوب وطرق التدريس والتقويم ، ط1، دار الثقافة، عمان، 2009.

8- يسن أيمن، التعليم الإلكتروني والإعلام الجديد، ط1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

ب- الأطروحات والرسائل الجامعية:

1- المدهوني فوزية عبدالله ، *فاعلية استخدام المدونات التعليمية في تنمية التحصيل الدراسي والاتجاه نحوها لدى طالبات جامعة القصيم*، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الوسائل وتقنيات التعليم، كلية التربية، جامعة القصيم، القصيم، 2010..

2- دوم أنسام بنت محمد بن حسين، *تفعيل التعليم الإلكتروني بالتعليم الثانوي العام بالمملكة العربية السعودية في ضوء أهداف التربية الإسلامية*، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تربية إسلامية، قسم التربية وعلم النفس ، كلية التربية للبنات، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1432/1431هـ.

ج- المجلات والدوريات:

1- إبراهيم وليد يوسف محمد، أثر استخدام دعامات التعلم العامة والموجهة في بيئة شبكات الويب الاجتماعية التعليمية في تنمية مهارات التخطيط للبحوث الإجرائية لدى طلاب الدراسات العليا وتنمية اتجاهاتهم نحو البحث العلمي، دراسات عربية في التربية وعلم النفس، 2014.

2- الحلفاوي وليد، تصميم نظام تعليمي إلكتروني قائم على بعض تطبيقات الويب 2 وفاعليته في تنمية التحصيل المعرفي والتفكير الابتكاري والاتجاه نحو استخدامه لدى طلاب تكنولوجيا المعلومات، دورية تكنولوجيا التعليم،2009.

3- الدريويش أحمد بن عبد الله، واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التعليم لدى طلاب كلية المعلمين بجامعة الملك سعود، مجلة اتحاد الجامعات العربية للبحوث في التعليم العالي، مج 34، ع2، 2014.

4- عكنوش نبيل ،التعليم الالكتروني والتعليم عن بعد بالجامعة الجزائرية، دراسة للواقع في ظل مشروع البرنامج الوطني للتعليم عن بعد، مجلة المكتبات والمعلومات، مج3 ، ع3، 2010.

د- المواقع الإلكترونية:

1- أبو شنب، حمزة إسماعيل *تقنيات التواصل الاجتماعي، الاستعمالات والمميزات*، 2013، https:// www.alukah.net/culture/0/59302/#ixzz3Kef4SCHPK، روجع يوم: (2018/06/72).

2- أوباري الحسين ، *كيفية توظيف Linked in في التعليم الاجتماعي*، 015، http://www.new-educ.com/linkedin-education-social-learning#more-8007، روجع يوم: (2018/06/27).

3- الردايدة أحمد، *إدمان الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي*، نشر في 26_08_2013، http://www.shababjo.net/، روجع يوم: (2018/06/29).

4- الشمري عبد الكريم، *كيفية الاستفادة من الشّبكات الاجتماعية في التّعليم*، 2011، abdulkrem556.blogspot.com/2011/12/blog-post- ، روجع يوم: (2018/06/27).

5- العبد الرزاق عبد الرزاق، *الشبكات الاجتماعية في التعليم*، نشر بتاريخ: 10مارس 2012، http://alabdulrazaq.blogspot.com/2012/03/blogpost_10.html، روجع يوم: (2018/06/29).

6- الموسى عبد الله بن عبد العزيز، *التعليم الالكتروني، مفهومه، خصائصه، فوائده، عوائقه*، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة مدرسة المستقبل في الفترة 16-1423/08/17هـ، جامعة الملك سعود،http://wwww.ksu.edu.sa/seminars/future-school/index2.ht،روجع يوم: (2018/06/26).

7- شاهين أحمد، *موقع اليوتيوب واستخداماته التعليمية*، مدونة إلكترونية،2011 ، http://www.id4arab.com/2011/12/blog-post.htm#.UHJAHDHUTC ، روجع يوم: (2018/06/30).

8 - http://ar.wikipedia.org/wiki, consulté le (28/06/2018).

9- http://kse.org.kw/AlMohandesoon/issue/113/article/, consulté le (28/06/2018).

10-http://www.wikipedia.org/youtube, consulté le (30/06/2018).

11-http://www.cnepd.edu.dz, consulté le (01/07/2018).

12-http://www.eepad.com, consulté le (01/07/2018).

13-http://www.auf.org, consulté le (01/07/2018).

14-http://dessuticef.u-strasbg.fr, consulté le (01/07/2018).

15-http://dessuticef.u-strasbg.fr, consulté le (02/07/2018).

16-http://www.univ-alger.dz, consulté le (02/07/2018).

17-http://www.ouargla.dz, consulté le (02/07/2018).

2- باللغة الأجنبية:

أ- الكتب:

[1] - Bodrul Khan, Managing E.Learning Desingn, Delivery, Implementation and Evaluation, Science Publishing, London,2005.

مكانة جهة تطاوين (الجنوب الشرقي التونسي) في التجارة الرومانية

د/ محمد اللّافي ـ جامعة سوسة ـ تونس.

الملخص:

يتعرض هذا المقال بالبحث والتمحيص إلى البعض من خصائص مكانة جهة تطاوين الموجودة في الجنوب الشرقي التونسي في التجارة الرومانية. ولئن يوحي الموقع الطرفي للمنطقة علي التخوم الصحراوية للإمبراطورية الرومانية بصعوبة اندماجها في الاقتصاد الروماني فإن الواقع التاريخي يبدو زاخرا بمعطيات أثرية وتاريخية مهمة. لذلك نرمي إلى تفهم العوامل الطبيعية والبشرية التي تفسر بروز بلاد تطاوين في تجارة روما إبان القرون الثلاث الأولى للميلاد. كما نطمح إلى تبين مظاهر استكشاف روما للمنطقة وطرائق تنظيمها للتنقلات البشرية وأنماط مراقبتها للتجارة القوافلية الصحراوية. أما العنصر الأخير من مقالنا فنخصصه لإبراز كيف أن "بلاد الظاهر" مثلت طرفا فاعلا في التجارة الرومانية.

-**الكلمات المفاتيح:** تطاوين- التريبوليتانيا-الليماس التريبوليتاني-نقيشة أداءات زاراي-تلالط.

-Résumé:

Cet article examine certaines caractéristiques du statut de la région de Tataouine, située dans le sud-est de la Tunisie, dans le commerce romain. Bien que la situation périphérique de la région aux confins du désert de l'Empire romain semble suggérer des difficultés pour sa place dans l'économie romaine, la réalité historique parait plus enrichie en données archéologiques et historiques allant dans un sens inverse. Nous visons donc à comprendre les facteurs naturels et humains qui expliquent la place de Tataouine dans le commerce de Rome au cours des trois premiers siècles de l'Empire. Comme nous aspirons à montrer les aspects de la présence de Rome et les modalités d'organisation de mouvements humains et les modes de contrôle du commerce caravanier. Le dernier élément de notre article est consacré à la mise en évidence de la manière dont la "terre de Dhahar" représentait un acteur important dans le commerce romain.

-Mots clés: Tatahouine-la Tripolitaine-le *limes Tripolitanus*-le tarif de Zaraï-Talalati.

تمهيد:

تتأرجح بلاد تطاوين خلال العصور القديمة بين مجال جنوب أفريقا البروقنصلية وغرب مقاطعة التريبوليتانيا. ولقد تميزت بجملة من الخصائص الطبيعية والجغرافية الفريدة جعلتها منطقة استقرار وعبور لعدد من التجمعات البشرية والقبلية التي ذكرتها عدة أدبيات إغريقية ولاتينية منذ القرن الرابع قبل الميلاد ما يعكس الأهمية الإستراتيجية لسائر جهة الظاهر. وعلى المستوى الإداري ظهرت عدة تقسيمات رسمية

وتسميات غير رسمية شملت جزئيا أو كليا أرض تطاوين على غرار الفازانيا–البروقنصلية–التريبوليتانيا–الأرزوجيتانا–القوروبيس...كما استفادت المنطقة من حالة من الاستقرار السياسي تواصلت عموما بين مطلع القرن 1 م ومنتصف القرن 6 م.

لذلك نرنو في الأسطر الموالية إلى تسليط أضواء جديدة على مكانة تطاوين في التجارة الرومانية عسانا نفلح في إثارة إشكاليات جديدة وطرح أفكار مغايرة قد تكون منطلقا لدراسات أعمق وأشمل. وأملنا أن تكون مداخلتنا المتواضعة مساهمة بسيطة في تأصيل البحث التاريخي في منطقة حبلى بالآثار المتنوعة ولا يزال مجال الدراسة والبحث فيها خصبا ورحبا.

I- عوامل المكانة التجارية لجهة تطاوين في العصر القديم:

1-الإمكانات الطبيعية:

إن دراسة تاريخ جهة تطاوين خلال العهد الروماني تستلزم جملة من التمشيات المنهجية برسم تتبع مسار تطور الإشكاليات المطروقة ومن بينها إشكالية المكانة الاقتصادية لهاته المنطقة الجغرافية الفريدة إبان القرون الست الأولى للميلاد. في ذات السياق لا مناص من الإقرار بداية أن بلاد الظاهر مثلت دائما جزء هاما من عناصر منظومة الليماس التي تتركب من وحدات تضاريسية وإثنية متنوعة وتمتد على 80.000 كم^2 أي ما يناهز 52% من مساحة البلاد التونسية[1].

من أبرز الوحدات التضاريسية المنطقة شبه الصحراوية والمنطقة الصحراوية. تمتد المنطقة شبه الصحراوية شمالا بين جبال بوهدمة وعرباطة وبن يونس إلى حدود واد العكاريت وتتجه ناحية الجنوب الغربي نحو منطقة التقاء الظاهر بالعرق الشرقي الكبير لتنتهي باتجاه الجنوب الشرقي عبر خط يربط قصر غيلان بذهيبة. لا شك أن هاته المنطقة تمثل مجال انتقال مناخي وتنوع ايكولوجي يتجه شمالا بجنوب بين عالم السباسب شبه الجاف وعالم الصحراء[2]. بيد أن تلك الخصائص المناخية لم تحل دون ظهور ملامح تحركية بشرية نشيطة للأفراد و قطعانهم وبضائعهم ولم تمنع أيضا تسرب التأثيرات الثقافية منذ العصر القديم المبكر[3].

أما المنطقة الصحراوية فتطغى عليها الكثبان الرملية للعرق الشرقي الكبير الذي يمتد على الأراضي التونسية والجزائرية والليبية. ونظرا لجفافه ولشح المياه به يتميز هذا الفضاء بإمكانيات أقل قيمة بالنسبة لتنقل السكان ولنمو الأنشطة الاقتصادية ما خلا بعض المسالك التي تستخدم شتاء انطلاقا من الواحات

---

[1] P. Trousset, 1974, p. 1-25.
[2] P. Trousset, 1992, p. 115-120. Idem, 1993, p. 25-33.
[3] D.-J. Mattingly, 1995. p. 33-45.

المتناثرة على مشارف الصحراء ومرورا بها علاوة على مسالك صحراوية تؤمن تنقلات موسمية شمال جنوب وشرق غرب وهذه المسالك تصل إلى إقليم فزان عبر غدامس أو بلاد سوف عبر الجريد. بناء على ما تقدم تتجلى للعيان حقيقة عدم تجانس المنطقة شبه الصحراوية باعتبارها تضم وحدات مجالية وتضاريسية متنوعة كالسهول وخاصة الأعراض والجفارة والجبال كالظاهر ودمر... والواحات الساحلية والقارية[1].

2- العوامل البشرية:

يشرف سهل الجفارة على جبل دمر الذي يمثل قوسا جبليا يفصل الصحراء عن الجفارة كما ينتصب شامخا بين البحر والشطوط والعرق. فجبل دمر يحظى بشخصية جغرافية متميزة جعلت العلاقات البشرية بين سكانه وسكان السهول المجاورة متواصلة منذ العصور القديمة وكذلك الشأن بالنسبة لتحركية السكان المستقرين في جبال مطماطة إلى حدود جبل نفوسة. ومن المؤكد أن بعض القبائل الجبلية لم تكن تكتفي بأراضي الرعي والانتجاع الضيقة في سهل الظاهر ما يضطرها إلى مغادرة مواطنها الأصلية نحو اتجاهات جديدة نفترض أنها تنقسم إلى جزءين رئيسيين[2].

جزء أول متوسط المدى يقود نحو أراضي الجفارة الساحلية عبر السهول العابرة للجبال وجزء ثان بعيد المدى يميم شطر منطقة فازانيا التي لا يبتعد حدها الشمالي كثيرا عن تليباري /رمادة/ Tillibari وتالالاتي /رأس العين تلالط/Talalati. ومن أشهر القبائل التي تذكرها المصادر نشير إلى قبيلتي التيدامنزي والأمانتاس[3]. وإجمالا لا جدال أن الجبال لا تشكل عائقا حقيقيا أمام تنقل الأفراد والسلع في جهة تطاوين بسبب وجود العديد من الأودية والمنافذ التي توفر فرصا دائمة أمام تحركات القبائل البدوية وشبه المستقرة بين مقاطعة طرابلس وجنوب أفريقا البروقنصلية[4].

إن المتمعن في ثنايا المصادر القديمة الإغريقية واللاتينية يلحظ قطعا تعدد القبائل والشعوب التي استوطنت عموم أرجاء الجنوب التونسي الحالي[5]. بيد أننا سنقتصر على أربعة أمثلة للتدليل على أهمية التوطن البشري في جهة تطاوين إبان العصر القديم. هذا الاختيار لا يحجب بالتأكيد وجود أمثلة أخرى ربما أكثر أهمية نحن بصدد سبر كامل تفاصيلها في إطار مشروع يتمحور حول معجم القبائل القديمة في

---

[1] C. Briand-Ponsart et Y. Modéran (éd.), 2011 p. 112-118.
[2] A. Amamou, 2005, p. 13-15.
[3] J. Desanges, 1962 p. 63-65.
[4] C. Briand-Ponsart et C. Hugoniot, 2005.
[5] J. Desanges, 2010b, p. 4710-4712.

جنوب أفريقا البروقنصلية من العصر القديم الكلاسيكي إلى حدود العصر القديم المتأخر لذلك سنسلط الضوء–في هذا المقام– على قبائل الأمنتاس والإيربيدايي والإيروباي والتيدامنزي[1].

✓ **قبيلة الأمنتاس:**

ورد ذكرها على لسان بلينيوس الأكبر إذ أشار إلى أنهم يقطنون غربي مجال قبيلة الماساس وعلى مسيرة 12 يوما من سرت الصغرى أي ما يضارع من 360 إلى 420 كم. لكنه لم يحدد إن كانت هاته المسافة تحاذي الساحل أو تتجه صوب الصحراء. كما يضيف نفس المؤرخ أن مجال الأمنتاس محاط بالرمال مع العلم أن هيرودوتس ذكر قبيلة الأمونيان. فهل نحن إزاء قبيلة تحمل اسمين مختلفين؟ على كل حال يشير أبو التاريخ أن الأمنتاس يسكنون على مقربة من أرض تنتج الملح ملاحظا أنهم يستخدمون قوالب الملح في تشييد مساكنهم[2].

من جهته يرى جيهان ديزانج أن مجال الأمنتاس قد يتطابق مع جبال ورغمة أو القسم الغربي من جبل نفوسة معتبرا وجود صلة وطيدة بين ومحطة أد أمادوم/Ad Amadum التي يذكرها المسلك الأنطونيني[3]. أما بول تروسي فيعتقد أن قد يشكلون فرعا من قبيلة القارمنتاس الضخمة. وعلى ضوء فرضيته هذه يعتبر تروسي أن مجال انتجاع الأمنتاس امتد بين ذهبية وواحة جرمة عاصمة القارمنتاس[4].

✓ **قبيلة الإيروباي:**

يذكر الجغرافي الإغريقي بطليموس أن الإيروباي استوطنوا جنوب مجال قبيلة اللوتوفاج الساحلية وبجوار مجال قبيلة الدولوباس. بالمقابل يضع فيليستوس الاسكندري مجالها إلى الغرب من الجبال الإثيوبية دون تحديد دقيق. والملاحظ أن بلينيوس يشير إلى أن هذه الجبال تمتد بين سرت الصغرى وبلاد القارمنتاس[5].

القارمنتاس[5].

وبالعودة إلى نص الاسكندري نتبين أن الإيروباي اعتمدوا في عيشهم على قنص الحيوانات البرية الصحراوية. ورغم غموض الإشارات النصية يفترض ديزانج وجود علاقة بينهم وقبيلة الريباي التي

---

[1] Corippus, *La Johannide*, traduction partielle par Vincent Zarini: *« Berbères ou Barbares ? » Recherches sur le livre second de la Johannide de Coripe,* ABRA, Nancy, Paris, 1997. Hérodote, *Histoire*, livre IV. Texte établi et traduit par Ph. Legrand, les Belles Lettres, Paris, 1949. Orose, *Historiae Adversus Paganos*, édition C. Zangemeister, in CSEL., tome 5. Vienne 1882, édition/traduction E. Galletier, 3 tomes, CUF, Paris, 1990-1991. Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, XVIII, 188. Traduction H. Le Bonniec, Paris, 1972. Procope de Césarée, *La guerre contre les Vandales*, traduction D. Rocques, les Belles Lettres, Paris, 1990. Sidoine Apollinaire, *Carmina*, édition C. Luetjohann, in MGH, a.a., tome VIII, Berlin, 1885; édition/traduction A. Loyen, CUF, tome I, Paris, 1960. Tacite, *Histoires*. Texte établi et traduit par P. Wuilleumier et H. Le Bonniec. Annoté par J. Hellegouarc'h, Les Belles Lettres, Paris, 1987.

[2] O. Bates, 1914, p. 29.

[3] J. Desanges, 1978. Idem, 1978a, p. 29-41. Idem, 1978b, p. 52-58.

[4] J. Desanges, 1980, *Pline l'Ancien, Histoire Naturelle*. Livre V, Paris.

[5] J. Desanges, 1996a, p. 2682 Idem, 1996b, p. 2677.

استوطنت منطقة فزان. فلعل هاته القبيلة قد تكون تنقلت بين سرت الصغرى وغدامس أين يبدأ الحد الشمالي للقارمنتاس.

✓ **قبيلة الإيربيدايي:**

لقد وردت أقدم إشارة إلى الإيربيدايي في كتاب فيليستوس السرقسطي المؤلف في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد ما يدلل على عراقة هذه القبيلة. أما ستيفان البيزنطي فيورد خلال القرن 7 م أن الإيربيدايي يمثلون فرعا من قبيلة اللوتوفاج المستوطنة للجفارة الساحلية. ونلاحظ هذا السياق أن اسم الإيربيدايي يعني في اللغة الإغريقية ذوي البشرة الداكنة أو السمراء.

فهل كان أفراد الإيربيدايي من الزنوج أو من الصحراويين؟ علما وان بطليموس ذكر الإيربيدايي جنبا إلى جنب مع النبجيني الذين كانوا ربما من ذوي البشرة السمراء؟[1] هذا التساؤل قد يدفعنا إلى سؤال آخر: هل وفد النبجيني على الجنوب التونسي قادمين من الأراضي الإثيوبية في إطار حركة ارتحال تقليدية؟ بخصوص المجال التقريبي للإيربيدايي يفترض ديزانج أنهم تنقلوا بين مجال الإيروباي والحدود التونسية–الليبية الحالية. نحن نتساءل بدورنا عن مدى صدقية إمكانية وجود روابط عائلية وقرابة دمية بين الإيربيدايي والإيروباي؟ وهل كانت هاتان القبيلتان حليفتين لكنفدرالية اللوتوفاج الضخمة؟

✓ **قبيلة التيدامنزي:**

خلال القرن 2 م تحدث بطليموس عن التيدامنزي ذاكرا أن مجالها يمتد بين قبيلة السماموكي وقبيلة النبجيني دون تقديم تفاصيل دقيقة. أما في القرن 6 م فيروي بروقوبيوس أن التيدامنزي هم سكان كيدامي. بينما ذكر الشاعر الإفريقي قورّيبوس أن مدينتي تيليباري وكليبا كانتا ضمن المناطق الثائرة على السلطة البيزنطية سنة 546 م. ومن الجائز جدا وجود تماه كبير بين التيدامنزي والقيدامنزي سكان واحة غدامس. على هذا الأساس يرى ديزانج أن التيدامنزي سكنوا ربما في الجفارة جنوب مجال الإيربيدايي. بدوره يضيف تروسي أن مجال الإيربيدايي شمل أيضا مدينتي كليبا (تليباري–رمادة) وألال (تلالاطي–رأس العين تلالط). على ضوء هذا الرأي بمقدورنا التساؤل إن كانت واحة غدامس تمثل الحد الجنوبي لمجال رعي التيدامنزي؟

بصفة عامة تلوح جهة تطاوين منطقة إستراتيجية أمنت منذ العصور القديمة تنقلات بشرية ومبادلات اقتصادية مهمة بين واحات غدامس و فزان وجهة الساحل والسباسب وصولا إلى الهوامش الصحراوية لمنطقة نوميديا وهي تنقلات تبدو في معظمها موسمية للرعاة–المزارعين وأنصاف المستقرين لمسافات

---

[1] P. Trousset, 2001, p. 59-68.

قصيرة نسبيا إضافة إلى الطرقات القوافلية طويلة المدى وتتم كلها عبر الظاهر والجبل وبلاد الشطوط بين الجريد ونفزاوة.

والحقيقة أن صدى هذه الآراء تردد في كثير من المصادر الوسيطة وتواصل إلى زمن غير بعيد ما يبرهن أن الجنوب التونسي قد مثل مجالا نشيطا للمسالك الصحراوية الشمالية–الجنوبية التي تربط بين فزان وغدامس وواحات سوف وأمبريومات سرت الصغرى وقبصة[1].

II– الحضور الروماني في بلاد الظاهر:

1–روما تستكشف جهة تطاوين:

تتحدث بعض المصادر عما لا يقل عن خمس انتصارات لجنرالات رومان في أفريقا بين سنتي 34 و 19 ق.م غير أن واحدا فقط من ضمنها يبدو أنه قد تم في الجنوب التونسي الحالي و المقصود هنا انتصار القائد سمبرونيوس أترتينوس المحتفى به يوم 12 أكتوبر سنة 21 ق.م[2]. وعمليا نجهل كل التفاصيل عن هذه المغامرة العسكرية باستثناء أن قبائل الموزولام والجيتول كانت من بين الثائرين. والجدير بالملاحظة أن انتصار أترتينوس لم يكن حاسما بدليل أن خلفه القائد قورنيليوس بالبوس واجه ثورة بربرية أشد بما أنها شملت قبائل القارمنتاس وعاصمتهم جرمة[3].

لقد أشارت عدة مصادر إلى مغامرة البروقنصل قورنيليوس بالبوس غير أن بلينيوس الأصغر يعد أكثر مؤلف أسهب في تقديم تفاصيل عديدة. ما يهمنا هنا أن قورنيليوس بالبوس وجه حملة لتأديب قبائل القارمنتاس والفازاني وإخضاعهم. إذ يشير بلينيوس الأصغر إلى سيطرته على ثلاث مدن فزانية وهي رمادة–رأس العين–غدامس قبل اختراق الحمادة الحمراء وكسر شوكة القارمنتاس. فمن الجلي إذن أن الإدارة العسكرية الرومانية بدأت في اكتشاف بلاد الظاهر انطلاقا من هذا التاريخ أو قبله بقليل[4].

ومن المرجح لدينا أن قبائل الظاهر وتطاوين قد تكون شاركت –ولو جزئيا– في الثورات البربرية العديدة منذ مطلع القرن 1م على غرار ثورة سنة 6م التي ذكرها فلوروس والتي يبدو أنها اندلعت في المجال المترامي بين الجنوب التونسي وجنوب بنغازي[5].

المهم حسب رأينا أن روما تعرفت أكثر فأكثر على المجال "التطاويني" وتبينت أهم خصائصه الجغرافية والإستراتيجية. وما يدعم ذلك اتخاذ السلطات الرومانية إجراءين حاسمين يعكسان وعيها المتنامي بأهمية

---

[1] J. Desanges, 1963, p. 41-69.
[2] R. Cagnat, 1912, Chapitre 1.
[3] J. Desanges, 1978c, p. 185-189.
[4] P. Trousset, 1998, p. 2964-2969.
[5] M. Bénabou, 1976.

عموم الجنوب التونسي. فمن ناحية أولى قررت نقل مقر الفرقة الثالثة الأوغسطية من تبسة إلى حيدرة سنة 14م تزامنا مع مد الطريق العسكرية أميدرة–قبصة–تكابس. ومن ناحية ثانية بذلت جهودا حثيثة لإدماج المناطق الخصبة الموجودة بين بلاد الشطوط والظاهر ضمن مجالها الاقتصادي.

2– عناصر منظومة الليماس ووظائفه:

تثبت الدراسات الحديثة المتعلقة بالتنظيم الإداري والعسكري للمنطقة الحدودية في سائر شمال إفريقيا الرومانية أننا إزاء تنظيم براغماتي بمعنى أنه يتأقلم بمرونة لافتة للانتباه مع الضغوطات الطبيعية والأنتروبولوجية للمنطقة شبه صحراوية[1]. والراجح أيضا أن الرهان الأساسي يتمثل في مراقبة فيالق الجيش الروماني لمحاور التنقلات المختلفة وبالفعل يظهر أن روما عولت كثيرا على ثنائية المسالك–الحدود في تعاملها مع منطقة الجنوب التونسي[2]. ودليلنا على وجاهة هذا الكلام تلك النقيشة المكتشفة في واحة كريز على ضفاف شط الجريد والتي تذكر الإله الإغريقي–الروماني هرماس–مرقوريوس إله السفر ودليل المسافرين وحارس الحدود والأبواب والمفترقات.

تشير خارطة أهم المسالك الرومانية المعروفة بالمسلك الأنطونيني (أنجزت في العهد السويري 193–235م) إلى العبارة الجغرافية: الليماس التريبوليتاني. وبصفة عامة يعني هذا المفهوم منظومة المسالك الإستراتيجية التي ترسم حدود مقاطعة تريبوليتانيا بين تكابس إلى لبسيس ماقنا والتي تحفها مواضع محصنة متفاوتة النوعية والقيمة الدفاعية. وعموما ينطلق الليماس من قابس نحو نفزاوة مارا بجبل الطباقا ثم يخترق الظاهر وجبل تطاوين قبل أن يصل إلى ساحل طرابلس عبر جبل نفوسة.

يلاحظ المتمعن في شبكة المواقع العسكرية الرومانية في الجنوب التونسي أنها تعكس حقيقة جوهرية ألا وهي مواضعها الإستراتيجية فهي تيسر إمكانيات رؤية واسعة وتخول مراقبة الممرات التقليدية بين السكان الرحل وأنصاف الرحل.[3] أضف إلى ذلك أن جميع المراكز العسكرية تتسم بقدرة سريعة لحامياتها على التحرك عند اندلاع الأزمات[4].

من أبرز المنشات الدفاعية في جهة تطاوين معسكر القوات المساعدة بتلالط والذي أحدث على الأرجح في عهد الإمبراطور قاليانوس (259–268م) وكان مقرا للفرقة الثامنة المخلصة التي كانت تعمل ضمن جيش الليماس التريبوليتاني. زيادة على معسكر رمادة المشيد في النصف الأول من القرن 2 م وكان مقرا

---

[1] Y.-Le Bohec, 1989a. Idem, 1989b.
[2] R. Rebuffat, 1977, p. 395-419. Idem, 1978-1979, p. 125-138. Idem, 1979, p. 225-247.
[3] R. Rebuffat, 1980, p. 105-124. Idem, 1982a, p. 188-199. Idem, 1982b, p. 475-513. Idem, 1985a, p. 127-141. Idem, 1985b, p. 249-256.
[4] Y.-Le Bohec, 2005. Idem, 2006.

للفرقة الثانية الإفريقية. تجدر الإشارة أن هذا المعسكر لم يكتف بدور عسكري صرف بل كان يراقب الطريق بين سرت الصغرى وغدامس[1]. ولعله كان نقطة انطلاق للتوسع الروماني الذي أدرك واحة غدامس في عهد سبتيموس سويريوس.

ما من شك أن معسكري طلالط ورمادة قاما بمهام إدارية ورقابية أكثر منها عسكرية على منوال ما كان يحدث في معسكر بونجم (قولاس) حيث بينت اللقى الأثرية إشراف الحامية هناك على عملية دخول البدو الرحل ومراقبة بضائعهم فضلا عن القيام بحملات استطلاعية في الصحراء. ناهيك أن معسكر رمادة أرسل في عدة مناسبات بعضا من جنوده للقيام بمهام مماثلة لدى مراكز متقدمة مثل مركز قصر غيلان الذي أحدث في عهد قومّودوس (180–192م) بمحاذاة العرق الشرقي الكبير وكذلك حصن حاسي عون الذي دخل حيز العمل سنة 198 م على طول المسلك المتجه نحو غدامس[2].

تشير الرسالة رقم 46 بين القديس أوغسطنيوس وأحد الملاكين العقاريين الأفارقة المدعو بوبليكولا إلى بلاد الأرزوجيتانا التي تمتد عموما بين بلاد الشطوط والظاهر[3]. ويشير هذا الأخير إلى أن قبائل الأرزوقاس كانت تتنقل في ذلك المجال بعد مرورها بالمراكز الدفاعية وبعد حصولها على ترخيص للدخول[4].

ومن دون العودة إلى تفاصيل إشكالية مجال ومختلف الخصائص الجغرافية والإثنية والتاريخية التي ترتبط بها نشير إلى أننا تطرقنا إليها في إطار رسالة الدكتوراه التي ناقشناها سنة 2017، لكننا نكتفي في هذا المقام بالملاحظات التالية:

أولا: تشير عدة مصادر ووثائق أن الأرزوجيتانا امتدت على أجزاء واسعة من بلاد الشطوط التونسية والظاهر[5].

ثانيا: مثلت الأرزوجيتانا تقسيما إداريا غير رسمي[6] ومجالا جغرافيا له خصائصه وشخصيته المميزة خلال خلال العصر القديم المتأخر على الأقل بين أواخر القرن 4 م ومنتصف القرن 6م[7].

---

[1] R. Rebuffat, 1987, p. 33-68. Idem, 1989, p. 53-62. Idem, 1990, p. 119-157.
[2] P. Trousset, 1994a, pp. 1953-1954.
[3] La traduction de Cl. Lepelley, 2001a, p. 81 et d'Y. Modéran, 2003, p. 365:« *Chez les Arzuges (in Arzugibus), à ce que j'ai entendu dire, les Barbares (barbari) ont la coutume de prêter serment au décurion qui commande le limes, ou au tribun, et ils jurent par leurs démons. Ceux qui concluent des engagements pour accomplir des transports de bagages ou bien les propriétaires ou des fermiers pour protéger les récoltes ont l'habitude de les accueillir comme des gens dignes de confiance pour assurer la garde de leurs récoltes le décurion ayant envoyé une lettre. Les voyageurs qui doivent traverser le pays en les prenant comme guides font de même. (...) Si j'envoyais quelqu'un chez les Arzuges (ad Arzuges), lui serait-il permis de recevoir des barbares ce serment mortel ?* ».
[4] P. Trousset, 2011, p. 201-219. Idem, 2012b, p. 5679-5683.
[5] M. Ellefi, 2017, chapitre premier.
[6] Cl. Lepelley et X. Dupuis (éd.), 1999.
[7] M. Ellefi, 2017, p. 60-63.

ثالثا: تركبت الأرزوجيتانا من تجمعات قبيلة وإثنية متنوعة عرفت في المصادر باسم عام: الأرزوقاس الذين كانوا يتنقلون على طول التخوم الصحراوية للإمبراطورية الرومانية[1]. والظاهر أنهم كانوا مسالمين في جل الأحايين ولم يمثلوا مصدر إزعاج حقيقي لروما التي كانت تراقب مباشرة وضمن أطر إدارية دقيقة عملية دخولهم وخروجهم من الأراضي التابعة للإمبراطورية[2].

من أبرز الاستنتاجات الممكنة بعد استقراء هذه المراسلة أن هؤلاء البربر كانوا يقسمون بأصنامهم وبشياطينهم[3] أمام الفرق المكلفة بحماية الليماس وذلك في أواخر القرن 4م[4]. تؤشر هذه الفكرة إلى وجود علائق اقتصادية هامة نسبيا بين الرحل والمستقرين في بلاد الظاهر[5]. فالأرزوقاس يحصلون على ضوء أخضر يتحولون بمقتضاه إلى يد عاملة فلاحية أجيرة في مواسم الجني والحصاد. كما تشير ذات الرسالة إلى أن قسما من قبائل الأرزوقاس يمارس دور الأدلاء بالنسبة للقوافل التجارية المتنقلة بين الظاهر وبلاد الشطوط ملاحظة أنهم يتلقون أجرا من الذهب مقابل خدماتهم المسداة[6].

ومن غير المستبعد أن هؤلاء مروا خلال عملهم بالعديد من نقاط المراقبة والتفتيش الديواني مثل سور الطباقا الممتد على طول 17 كم والذي يغلق الرواق الطبيعي بين جبال مطماطة وجبل طباقا. إضافة إلى أسوار أقل قيمة في غربي تطاوين على منوال ما تم اكتشافه من لقى لمنشات دفاعية في أودية زرايا والسقيفة وشنني أو في واد المرتبة جنوب رمادة[7].

بقطع النظر عن إشكالية فترة إنشاء مختلف التحصينات العسكرية في بلاد الظاهر نرى أنه من الأجدر تفهم الغائيات من وراء استحداثها وعوامل تركيزها. لذلك لا نعتقد أنها أنجزت لغايات عسكرية صرفة بدليل تواضع حجم الجنود المرابطين بها. وبالتالي ينبغي أن نعيد تقييم وظائف منشات الليماس عبر تنزيلها ضمن البيئة الجغرافية والأنتروبولوجية المحلية للمنطقة شبه الصحراوية[8].

وعلى أساس هذا التفسير حري بنا الحديث عن وظيفة مراقبة المسالك التجارية وتوجيه التنقلات البشرية نحو طرقات معينة في جهات الطباقا وتطاوين ورمادة. هاته الفكرة تجد ما يبررها إذا ما تنبهنا إلى أن عملية المراقبة تأخذ بعين الاعتبار ضرورة احترام رزنامة مواسم الحصاد والرعي وكذلك ممارسة نوع من

---

[1] M. Ellefi, 2015, p. 299-315.
[2] Cl. Lepelley et X. Dupuis (éd.), 1999.
[3] R.-W. Mathisen et D. Shanzer (eds), 2011, p. 123-124.
[4] Cl. Lepelley, 2007.
[5] J.-M. Lassère, 1977, p.234.
[6] M. Ellefi, 2017a, p. 101-116.
[7] P. Trousset, 1997, p. 155-163.
[8] P. Trousset, 2000, p. 579-596.

الرقابة الديوانية على البضائع المنقولة نحو مختلف الأسواق المحلية والجهوية والإقليمية.[1] ولعل النقيشة المعروفة ب"أداءات زاراي" تضفي وجاهة أكبر على هذا الرأي وتسلط أضواء جديدة على مكانة تطاوين التجارية خلال الحقبة الرومانية.

III- بلاد الظاهر طرف فاعل في التجارة الرومانية:

1- إضافات نقيشة زاراي:

بادئ ذي بدء ننوه أن زاراي توجد جنوب سلسلة من الهضاب التي تغلق سهل الحضنة الجزائري والاسم في حد ذاته ذو جذور بربرية[2]. فالجذر ZRY يدل على معنى الحركة والعبور في لهجات الشلحة والقبايل والطوارق. والطريف أن هذا الجذر يتكرر في تسمية واد زرايا في غرب تطاوين أين توجد بقايا سور دفاعي لليماس التريبوليتاني يراقب محور تنقل بدوي نحو الظاهر. تؤرخ نقيشة زرايا بسنة 202 م وهي تفرض أداءات جبائية دقيقة على عدد من السلع التي تعبر الليماس الإفريقي سواء داخل الأراضي الإمبراطورية أو خارجها. وهي سلع تنتمي لمسلك تجاري هام شمالي شرقي وجنوبي غربي[3].

من ضمن تلك المواد المتبادلة نشير إلى الرقيق الأسود أو الإثيوبي الذين يقع أسرهم خلال الغزوات التي تقوم بها قبائل مثل القارمنتاس والفاروزي في الواحات الصحراوية البعيدة. وما يدعم صدقية هذا الاستنتاج أن بعض النصوص القديمة أشارت إلى استخدام القارمنتاس للعبيد عند حفر الآبار في واحات فزان[4].

تتحدث النقيشة أيضا عن الاتجار بالجلود وبعض أنواع الثياب المعروفة لدى قبائل الطوارق وصحراء ليبيا فضلا عن نوع من الغراء المعروف بقلوتن ذو أصول بدوية صحراوية وهو منتوج يتم الحصول عليه بعد تغلية آذان الثيران وأعضاء ذكورتها وجلودها. من الجائز أن هذه السلع الصحراوية تنقلت عبر مسالك تطاوين في طريقها نحو الأراضي النوميدية. وإذا ما تنبهنا إلى حديث بوبليكولا عن الأدلاء الأرزوقاس العاملين على طول منطقة الليماس فإننا قد نفترض لهم دورا ما في التجارة الإفريقية عصرئذ[5].

فنص زاراي يذكر الإسفنج الذي يقع صيده على طول سواحل خليج قابس بين سرسينة وجربة والقاروم الذي أشار سترابون إلى إنتاجه في موقع زوخيس جنوب بحيرة البيبان زيادة على تجارة العنب والتين المزروعين في عدة مناطق من الجنوب التونسي. بالنسبة للتمور يرى تروسي أن الأنواع الجيدة المشار إليها في نقيشة زاراي مصدرها الأول واحات بلاد الجريد.أما الزياتين وزيتها الثمين فلا شك في غراستها

---

[1] J. Desanges, 2010a, p. 93-102.
[2] P. Trousset, 2002, p. 143-168. Idem, 2002-2003, p. 355-374.
[3] R. Rebuffat, 1990b, p. 231-247.
[4] J. Desanges, 1999c, p. 236-246.
[5] D.-J. Mattingly et J. Salomon, 2001.

في معظم مناطق بلاد الظاهر والجنوب التونسي. فعدة تسميات معاصرة تحيل إلى البيئة شبه الصحراوية على منوال "ناب الجمل" و"القفصي" ولا ننسى أن شجرة الزيتون تلوح شجرة ملكية في الوثائق المعروفة بلوحات ألبرتيني المكتشفة شمال بلاد الجريد والتي تعود إلى الفترة الواندالية. ويشير بلينيوس الأكبر أن خليج قابس وجزيرة رودوس من أهم مناطق صيد الإسفنج في العصور القديمة[1].

وبخصوص مادة الشب أشار بلينيوس إلى قيام قبيلة القارمنتاس بمهمة نقله عبر الصحراء وإذا كانت أهم مناطق إنتاجه تتركز في مصر والهغار وواحات غات في بلاد كوار فقد أشار بلينيوس الى منجم للشب موجود في بلاد الشطوط لكننا نجهل إن كان في منطقة الجريد أو بلاد نفزاوة.

أما فيم يتعلق بمادة الملح فهي متوفرة بكميات ضخمة في لاكوس سالينا روم أي بحيرة شط الجريد. وعلى الرغم من صمت المصادر القديمة عن استخراج الملح والاتجار به فمن المحتمل جدا انه كان نشاطا رائجا زمنئذ وخاصة خلال العصر الإمبراطوري المتأخر حيث تشير خريطة لوحة بوتانجي إلى ملاحات ضخمة بجوار شط الحضنة وفي شرق لبدة وجهة بنغازي.

2-دور تجاري مهم:

من المؤكد أن المعطيات السابقة تبرهن على وجود نشاط تجاري معتبر يربط منطقة الحضنة بالصحراء الإفريقية عبر الجنوب التونسي من خلال تفريعتين أساسيتين عبر مسار لليماس التريبوليتاني. تمر الأولى عبر حامة قابس بمحاذاة جبل الطباقا بينما تعبر الثانية منافذ جبل دمر غربي تطاوين والطرقات المحفوفة بالآبار في اتجاه نفزاوة[2]. كأننا إزاء تيار تجاري بعيد المدى يتجه شرقا بغرب وقديم جدا ويتاجر بمحاصيل ومصنوعات ساحل سرت الصغرى وواحات المنطقة الصحراوية وجبالها[3]. ومن أبرز المسالك القديمة العابرة لبلاد تطاوين حسب خريطة بيار سلاما الصادرة سنة 2010[4] يمكن ذكر:

- ✓ تطاوين-زميلة-هنشير الخادمة-جكتيس.
- ✓ تطاوين-هنشير المدينة-العمروني-رمادة-ذهيبة-نالوت.
- ✓ ذهيبة-الماجن-حاسي عون-غرب جبل الأبيض.
- ✓ تلالط-بنية بالخشب -قصر ترسين-قصر شتاوة-سيدي محمد بن عيسى-دوز-تلمين.
- ✓ ذهيبة-الماجن-غدامس.

---

[1] R. Rebuffat, 1990a, p. 111-126.
[2] J. Desanges, 1980a, p. 77-89. Idem, 1984, p. 57-59.
[3] J. Desanges, 1999, p. 215-227.
[4] J. Desanges, N. Duval, Cl. Lepelley et S. Saint Amans (éd.), 2010 voir carte hors texte.

خاتمة:

حاولنا تلمس بعض عوامل المكانة التجارية لتطاوين الرومانية ومظاهرها. فلا مجال للطعن في حضور فاعل لهاته المنطقة في التجارة الإمبراطورية إما عن طريق مسالكها الإستراتيجية أو عبر انخراط قسم من سكانها في تأمين مرور الأشخاص والبضائع والدواب[1]. وما بقايا الضرائح البديعة التي عثر على أثارها في حاسي عون ورمادة وتطاوين وأخيرا في هنشير مغني... سوى دليل آخر على وجود فئة ثرية استفادت من وجود حركية تجارية دائبة في عموم بلاد الظاهر[2].

وعلى ضوء ما تقدم من آراء لا مناص من الإقرار بأن جهة تطاوين لم تكن دوما منطقة عسكرية ومجال الليماس الدفاعي الصرف. بل على العكس من هذه النظرة التقليدية نجد أنفسنا أمام منطقة فيها من مظاهر وقيم الانفتاح والتواصل والحوار والتثاقف الشيء الكثير وهو ما يحرر كثيرا أفاق البحث التاريخي والأثري في مجال لم يبح بعد بجميع أسراره[3].

[1] P. Trousset, 2012a, p. 5578-5589.
[2] A. Laronde et J. Leclant (éd.), 2007.
[3] J. Desanges, 2006b, p. 125-138. Idem, 2007, p. 167-184.

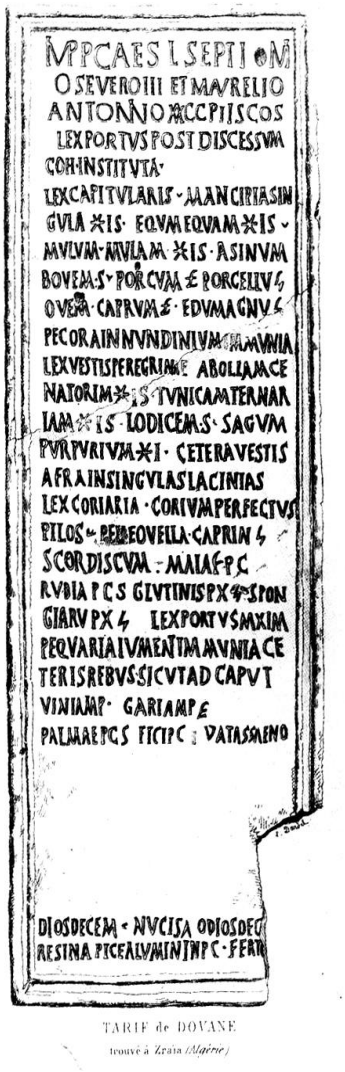

TARIF de DOUANE
trouvé à Zraia (Algérie)

Fig. 3a : Texte du tarif de Zaraï (d'après A. Héron de Villefosse, 1878).

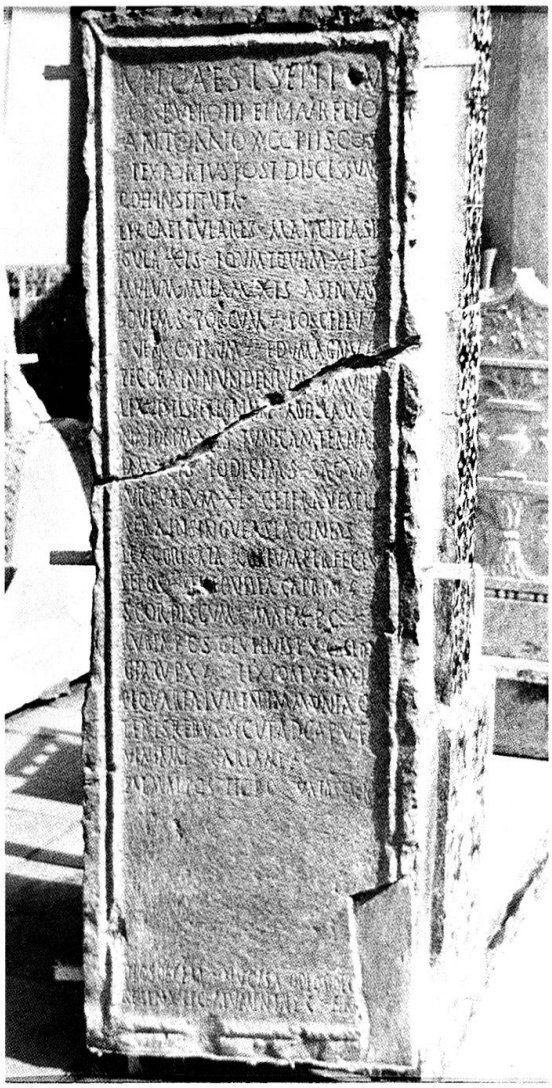

Fig. 3b : Texte du tarif de Zaraï (d'après un moulage pour l'exposition de Bruxelles 1958, cliché P. Salama).

ques relatifs au système douanier romain et non par la mise en évidence de courants commerciaux de marchandises qui, à la lumière du document, pouvaient transiter sur les franges sahariennes, encore mal connues à l'époque, de l'Afrique du Nord romanisée.

Au demeurant, la géographie historique représentée alors par Vivien de Saint-Martin s'appliquait de préférence aux sources littéraires grecques et latines et non aux documents épigraphiques ou aux données archéologiques dont la collecte ne faisait, il est vrai, que commencer. Comme l'observe avec raison J. France dans sa thèse récente[11], il est fort possible que, dans le contexte historique de l'époque, l'intérêt si marqué pour les problèmes douaniers à Rome ait

11. France J., *Quadragesima Galliarum*, 2001, p. 6, n. 5.

© CNRS ÉDITIONS, Paris, 2005

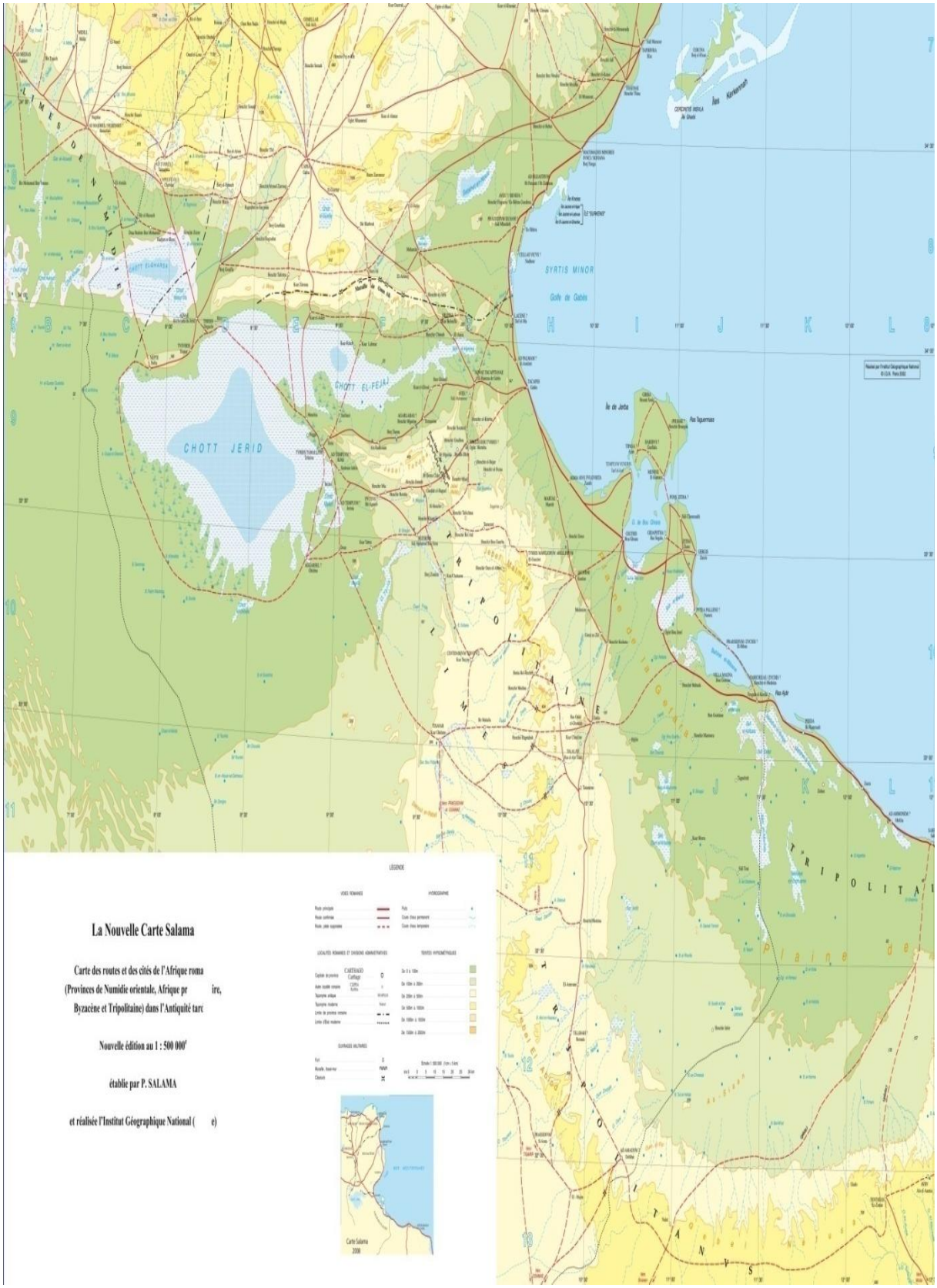
SYRTIS MINOR
Golfe de Gabès
CHOTT EL FEJAJ
CHOTT JERID
Île de Jerba
TRIPOLITAINE
La Nouvelle Carte Salama
Carte des routes et des cités de l'Afrique roma
(Provinces de Numidie orientale, Afrique pr ire,
Byzacène et Tripolitaine) dans l'Antiquité tarc
Nouvelle édition au 1 : 500 000e
établie par P. SALAMA
et réalisée l'Institut Géographique National (e)

La bibliographie:

1- Les sources grecques et latines:

-Corippus, *La Johannide*, traduction partielle par Vincent Zarini: *« Berbères ou Barbares ? » Recherches sur le livre second de la Johannide de Corippe,* ABRA, Nancy, Paris, 1997.

-Hérodote, *Histoire*, livre IV. Texte établi et traduit par Ph. Legrand, les Belles Lettres, Paris, 1949.

-Orose, *Historiae Adversus Paganos*, édition C. Zangemeister, in CSEL., tome 5. Vienne 1882, édition/traduction E. Galletier, 3 tomes, CUF, Paris, 1990-1991.

-Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, XVIII, 188. Traduction H. Le Bonniec, Paris, 1972**.**

-Procope de Césarée, *La guerre contre les Vandales*, traduction D. Rocques, les Belles Lettres, Paris, 1990.

-Sidoine Apollinaire, *Carmina*, édition C. Luetjohann, in MGH, a.a., tome VIII, Berlin, 1885; édition/traduction A. Loyen, CUF, tome I, Paris, 1960.

-Tacite, *Histoires*. Texte établi et traduit par P. Wuilleumier et H. Le Bonniec. Annoté par J. Hellegouarc'h, Les Belles Lettres, Paris, 1987.

2- Les ouvrages et les articles récents:

-A. Amamou, 2005, *Les tribus de la Proconsulaire méridionale sous le Haut-Empire*, Mémoire de DEA en histoire ancienne sous la direction de Pr. A. Mrabet. Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Sousse, Tunisie.

-O. Bates, 1914, *The Eastern Libyans*, 1st edition London.

-M. Bénabou, 1976, *La résistance africaine à la romanisation*, Maspero, Paris.

-C. Briand-Ponsart et **C. Hugoniot, 2005,** *L'Afrique romaine de l'Atlantique à la Tripolitaine, 146 av. J.-C.-533 ap. J.-C.*, Armand Colin, Paris.

-C. Briand-Ponsart et **Y. Modéran** (éd.), **2011,** *Provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine*. Publication du CRAHM, Caen.

-R. Cagnat, 1912, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation de l'Afrique sous les empereurs*, 1ère édition, Paris.

-J. Desanges, 1962, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*. Université de Dakar.

-J. Desanges, 1963, « Un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie Vandale et byzantine », in *Byzantion*, 33, p. 41-69.

-J. Desanges, 1978, *Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique.* C.E.F.R., n°38.

-J. Desanges, 1978a, « Le peuplement éthiopien à la lisière méridionale de l'Afrique du Nord d'après les témoignages textuels de l'antiquité », in *Afrique Noire et monde méditerranéen dans l'antiquité* (Colloque de Dakar: 19-24 Janvier 1976). Dakar-Abidjan, 1978, p. 29-41.

-J. Desanges, 1978b, « Remarques critiques sur l'hypothèse d'une importation de l'or africain dans le monde phénico-punique », in *Actes du IIè congrès international d'étude des cultures de la Méditerranée occidentale*, II, Alger, p. 52-58.

-J. Desanges, 1978c, « Portée et durée de l'expédition de Cornelius Balbus contre les Garamantes (21 ou 20 avant notre ère) », in *Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique*, collection de l'EFR, N°38, 1978, p. 185-189.

-J. Desanges, 1980, *Pline l'Ancien, Histoire Naturelle*. Livre V, Paris.

-J. Desanges, 1980a, « Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine: la Numidie traditionnelle », in *Antiquités Africaines,* 15, p. 77-89.

-J. Desanges, 1984, « Abaritana ou Avaritana provincia », in *Encyclopédie Berbère*, I, p. 57-59.
-J. Desanges, 1996a, « Eropae », in *Encyclopédie Berbère*, XVII, p. 2682.
-J. Desanges, 1996b, « Erebidae », in *Encyclopédie Berbère*, XVII, p. 2677.
-J. Desanges, 1999c, « Aperçus sur les contacts transsahariens d'après les sources classiques », in *Toujours l'Afrique apporte fait nouveau, scripta varia,* Paris, p. 236-246.
-J. Desanges, 1999, « Le peuplement éthiopien à la lisière méridionale de l'Afrique du Nord d'après les témoignages textuels de l'antiquité », in *Toujours l'Afrique apporte fait nouveau, scripta varia,* Paris, p. 215-227.
-J. Desanges, 2006, « Africains des marges vus par des lettrés africains dans l'Anthologie latine », in *Antiquités Africaines,* 42, p. 125-138.
-J. Desanges, 2007, « Aspects de l'hellénisme dans l'Afrique du Nord antique », in A. Laronde et J. Leclant (éd.), Actes du colloque: *La Méditerranée d'une rive à une autre: culture classique et cultures périphériques*, Paris, Diffusion de Boccard, p. 167-184.
-J. Desanges, N. Duval, Cl. Lepelley et **S. Saint Amans** (éd.), **2010,** *Carte des routes et des cités de l'est de l'Africa à la fin de l'antiquité. Nouvelle édition de la carte des Voies romaines de l'Afrique du Nord conçue en 1949 d'après les tracés de P. Salama*, édition Turnhout, Brépols.
-J. Desanges, 2010a, « Quelques travaux récents sur la géographie historique de l'Afrique », in *Quaderni di Vicino Oriente, IV, Roma*, p. 93-102.
-J. Desanges, 2010b, « Maures (Antiquité) », in *Encyclopédie Berbère*, XXXI, p. 4710-4712.
-M. Ellefi, 2015, « De Turris Tamalleni à Telmine: approche de géographie historique », in A. Mrabet (éd.), 2015, *Géographie historique du Maghreb antique et médiéval. État des lieux et perspectives de recherches*. Actes du premier colloque international du laboratoire de recherche «Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval». FLSH de Sousse. Sousse: 14-16 mars 2014. Contraste Éditions, Sousse, avril 2015, p. 299-315.
-M. Ellefi, 2017, *L'Arzugitana. Recherches d'histoire et d'archéologie sur une entité africaine de l'antiquité tardive.* Thèse de Doctorat inédite en histoire ancienne sous la direction du Pr. A. Mrabet, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Sousse.
-M. Ellefi, 2017a, « Les *Arzuges*. À propos de transporteurs et d'éclaireurs nomades du prédésert à l'époque tardive », in A. Mrabet (éd.), 2017, *Vie et genres de vie au Maghreb antique et Moyen-Age*. Actes du quatrième colloque international du laboratoire de recherche «Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval». FLSH de Sousse. Sousse: 04-06 mai 2017, p. 101-116.
-A. Laronde et **J. Leclant** (éd.), **2007,** *La Méditerranée d'une rive à une autre: culture classique et cultures périphériques,* Paris, Diffusion de Boccard.
-J.-M. Lassère, 1977, *Ubique Populus. Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146-235)*, CNRS, Paris.
-Y.-Le Bohec, 1989a, *La Troisième Légion Auguste*, Paris.
-Y.-Le Bohec, 1989b, *Les unités auxiliaires de l'armée romaine en Afrique romaine et en Numidie sous le Haut-Empire*, Éditions du CNRS.
-Y.-Le Bohec, 2005, *Histoire de l'Afrique romaine, 146 av. J.-C.-439 ap. J.-C.*, Éditions A. et J. Picard, Paris.

-Y.-Le Bohec, 2006, *L'armée romaine sous le Bas-Empire*, Éditions A. et J. Picard, Paris.
-Cl. Lepelley et **X. Dupuis (éd.), 1999,** *Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord Antique. Hommage à Pierre Salama*. Actes de la Table ronde réunie à Paris, mai 1997, publication de la Sorbonne, 1999.
-Cl. Lepelley, 2007, *Saint Augustin et le rayonnement de sa pensée*. Chapitre VI: De l'histoire du christianisme, Paris, Seuil.
-R.-W. Mathisen et **D. Shanzer (eds), 2011,** *Roman, Barbarians and the transformation of the Roman World,* Ashgate.
-D.-J. Mattingly, 1995, *Tripolitania*, London.
-D.-J. Mattingly et **J. Salomon**, 2001, *Economies beyond agriculture in the classical world*, London and New-York.
-R. Rebuffat, 1977, « Une zone militaire et sa vie économique: le limes de Tripolitaine », in *Armée et fiscalité dans le monde antique*, colloque du CNRS, n°936, Paris, 14-16 Octobre 1976 (Paris, 1977), pp. 395-419.
-R. Rebuffat, 1978-1979, « L'inscription du Limes de Tripolitaine (Notes et documents X) », in *Libya Antiqua*, XV-XVI, p. 125-138.
-R. Rebuffat, 1979, « La frontière romaine en Afrique: Tripolitaine et Tingitane », in *Ktéma*, 4, p. 225-247.
-R. Rebuffat, 1980, « À propos du limes de Tripolitaine », in *Revue Archéologique*, 1980, p. 105-124.
-R. Rebuffat, 1982a, « Recherches dans le désert de Libye », in *CRAI*, 2, p. 188-199.
-R. Rebuffat, 1982b, « Au-delà des camps romains d'Afrique mineure: renseignement, contrôle, pénétration », in *ANRW*, 10, II, p. 475-513.
-R. Rebuffat, 1985a, « Le limes de Tripolitaine », in Town and country, in Roman Tripolitania. Papers in honour of Olwen Hackett, edited by D. J. Buck and D. J. Mattingly, *BAR international series* 274, p. 127-141.
-R. Rebuffat, 1985b, « L'arrivée des romains en Tripolitaine intérieure », in *BTCH*, Paris, p. 249-256.
-R. Rebuffat, 1987, « Les fermiers du désert », in *L'Africa Romana* V, Sassari 1987, Roma 1988, p. 33-68.
-R. Rebuffat, 1989, « Rapport: citadins, sédentaires, nomades ». *Hommes et richesses dans l'Empire byzantin*, tome I, IV-VIIème siècles, in *Réalités Byzantines*, 1, p. 53-62.
-R. Rebuffat, 1990, « Divinités de l'oued Kébir (Tripolitaine) », in *L'Africa Romana* VIII, Sassari 1989, Sassari 1990, p. 119-157.
-R. Rebuffat, 1990a, « Où étaient les Emporia? » in *Semitica*, XXXIV, p. 111-126.
-R. Rebuffat, 1990b, « Nomadisme et archéologie », in *L'Afrique dans l'Occident Romain*. Collection EFR, 134, Rome, p. 231-247.
-P. Trousset, 1974, *Recherches sur le Limes Tripolitanus de Chott el-Djérid à la frontière tuniso-libyenne*, C.N.R.S.
-P. Trousset, 1992, « La frontière romaine: concepts et représentations », in Actes *de la table ronde internationale de Nemours*, p. 115-120.
-P. Trousset, 1993, « La frontière romaine et ses contradictions », in *La frontière. Séminaire de recherche sous la direction d'Yves Roman*. Lyon, Maison d'Orient et de la Méditerranée, Jean Pouilloux, p. 25-33.
-P. Trousset, 1994, « Cidamus (Ghadamès) », in *Encyclopédie Berbère*, XIII, p. 1953-1954.

-P. Trousset, 1997, « Nouvelles barrières romaines de contrôle dans l'extrême sud tunisien », in *BCTH*, n.s., Afrique du Nord, fascicule 24, Paris, p. 155-163.
-P. Trousset, 1998, « Garama », in *Encyclopédie Berbère*, XIX, p. 2964-2969.
-P. Trousset, **2000,** « Voyageurs et militaires à la découverte archéologique du sud tunisien (1850-1914) », in *L'Africa Romana* XIII, Djerba 1998, Roma, 2000, p. 579-596.
-P. Trousset, 2001, « Territoires de tribus et frontières au sud de l'Africa Proconsularis », in *Histoire des Hautes Steppes. Antiquité-Moyen-Âge*. Actes du colloque de Sbeïtla, sessions 1998 et 1999, publication INP, Tunis, 2001, p. 59-68.
-P. Trousset, 2002, « Les limites sud de la réoccupation byzantine », in *Antiquité Tardive*, 10, p. 143-168.
-P. Trousset, 2002-2003, « Le tarif de Zaraï: essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne », in *Antiquités Africaines*, 38-39, p. 355-374.
-P. Trousset, **2011,** « Une entité frontalière tardive et sa genèse: des Nybgenii aux Arzuges », in C. Briand-Ponsart et Y. Modéran (éd.), *Provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine*. Publications du CRAHM, Caen, pp. 201-219.
-P. Trousset, 2012a, « Nomadisme saharien en Afrique du Nord dans l'antiquité », in *Encyclopédie Berbère*, XXXIV, p. 5578-5589.
-P. Trousset, 2012b, « Nybgenii », in *Encyclopédie Berbère*, XXXIV, p. 5679-5683.

نشاط الأطباء وطلبة الطب الجزائريين بالقاعدة الخلفية الغربية خلال الثورة التحريرية (1954-1962).

الباحثة/ عائشة مرجع ـ جامعة أبو بكر بلقايد ـ تلمسان ـ الجزائر.

الملخص :

يعالج هذا المقال موضوع في غاية الأهمية، بحيث يتطرق إلى نشاط الأطباء وطلبة الطب الجزائريين بالقاعدة الخلفية الغربية التي شكلت متنفسا هاما للثورة التحريرية، فقد استطاع الأطباء الجزائريين وبمساندة الحكومة المغربية من إنشاء المراكز الصحية وإنقاذ العديد من جرحى جيش التحرير الوطني وكذلك الاهتمام بصحة اللاجئين الجزائريين، والإشراف على عملية التأطير الطبي.

الكلمات المفتاحية : الثورة الجزائرية، الصحة، الأطباء، طلبة الطب، القاعدة الخلفية الغربية .

Résumé:

Cet article traite un sujet très important ,car il met en évidence l'activité des médecins et des étudiants Algérienne en la base arrière occidentale, qui était un débouché important pour la révolution Algérienne, Alors que les médecins algériens avec le soutien du gouvernement marocain, ont réussi à établir de nombreux centres de santé et à Sauver de nombreux soldats blessés et fournir des soins de santé aux réfugiés algériens, En plus de superviser la formation médicale.

Les Mots-clés : Révolution algérienne, santé, médecins, étudiants en médecine, la base arrière occidentale.

المقدمة :

اهتمت جبهة التحرير الوطني بالمنظومة الصحية باعتباره جهازا حيويا يتوقف عليه المسلح، وقد برز ذلك جليا من خلال مقرارات مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 التي أكدت بكل وضوح على ضرورة استحداث وتنظيم مصلحة الصحة، ولأجل ذلك أنشأت الوحدات الصحية في الداخل عبر مختلف الولايات والمناطق والنواحي والأقسام وتنوعت بين مراكز ثابتة ومتنقلة تتماشى مع ظروف الحرب، وأخرى قارة بالقواعد الخلفية في كل من تونس والمغرب الأقصى، وبالحديث عن القواعد الخلفية ودورها في دعم المنظومة الصحية للثورة، أود أن أخص هذه الدراسة بالتركيز على نشاط مصلحة الصحة بالقاعدة الخلفية الغربية تحت كفاءات طبية جزائرية استطاعوا تحويل ذلك الواقع الصحي المرير إلى معجزة بإنقاذ أرواح المجاهدين واللاجئين الجزائريين على حد سواء، فلابد من التعرف على هؤلاء الفاعلين في السلك الطبي وانجازاتهم خلال فترة عصيبة من العهد الاستعماري، من حيث كيفية التحاقهم بالقاعدة الخلفية الغربية ونشاطهم بها مع التعرف عليهم، فكيف التحق الأطباء وطلبة الطب الجزائريين بقاعدة الدعم الغربية؟

وكيف ساهموا في إنجاح العمل الثوري من خلال نشاطهم بالقاعدة الخلفية الغربية؟ ومن هم هؤلاء الفاعلين الذين استطاعوا إنقاذ العديد من الجرحى والمرضى الجزائريين؟

1-التحاق الأطباء وطلبة الطب الجزائريين بالثورة عبر القاعدة الخلفية الغربية:

اختلفت طرق التحاق الأطباء وطلبة الطب الجزائريين بالمغرب الأقصى تبعا لظروف كل واحد و أماكن تواجدهم لكن الهدف واحد ألا وهو خدمة الثورة التحريرية الجزائرية، فمنهم من كان مستقرا بالمغرب الأقصى وانضم إلى الثورة عفويا مثل الدكتور "**عبد السلام هدام**" الذي استقر بمدينة وجدة بعد إكمال دراسته وفتح عيادة بوسط المدينة[1]، وكذلك الدكتور "**رحال عباس**" هو الآخر الذي أكمل دراسته وتوجه للعمل في مستشفى ليستو بمدينة وجدة[2]،و الدكتور "**مكاسي مصطفى**" الذي كان يعمل طبيبا بالرباط[3].

وهناك من الأطباء الذين فضلوا العمل إلى جانب جبهة التحرير الوطني على المناصب التي يمكن أن تقدمها لهم الإدارة الاستعمارية، مثل الدكتور"**حسان لزرق**" الذي أكل دراسته في تخصص طب العيون، والذي كان يرى بوضوح حاجة الثورة إلى أفراد الصحة وزادت قناعته بضرورة التحاقه بالثورة بعد دخوله للمغرب الأقصى يوم 16 جوان 1956، وهذا ما يوضحه في قوله :" عند دخولي إلى المغرب الأقصى التقيت بالمحامي تريكي الذي أخذني إلى الدكتور هدام ،فعرفت بوجود طبيبين فقط هما الدكتور رحال وهدام عبد السلام وصيدليين هما بلعيدي وعبروس...ثم التقيت بزاوي عبد الكريم الذي كان قائد لجبهة التحرير الوطني بوجدة، والذي أخذني إلى مستشفى ليستو :وقال لي هؤلاء الجرحى والمرضى الذين يأتون إلينا، يلزمكم أن تبذلوا قصارى جهدكم لعلاجهم، ففوجئت بعدد الجرحى الكبير"[4].

ثم تزايد عدد الأطباء وطلبة الطب بالحدود الغربية بعد إضراب الطلبة الجزائريين اللامحدود 19 ماي 1956، ومن هؤلاء نذكر: الدكتور "**محمد أمير بن عيسى**" الذي آثر النضال على مواصلة دراسته في تخصص أمراض القلب التحق بالقاعدة الخلفية الغربية في أواخر شهر فيفري[5] 1957، والطالب "**يسعد عساني**" الذي كان يدرس سنة خامسة طب ، التحق هو أيضا بقاعدة الدعم الغربية ،ثم واصل تدريبه في

---

[1] SHD - GR 1H3103 : Corps D'Armée D'Oran ;Organisation du FLN –ALN au Maroc ; Fiche de renseignement Docteur Hadam.

[2] SHD-GR1H3106 :Liste Alphabétique des membre connus du F.L.N au MAROC, Rahel Abésse

[3] IBID, Makaci Mustapha .

[4] شهادة البروفيسور حسان لزرق ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،18-06-2002.(قرص مضغوط)

[5] SHD-GR1H3106 :Liste Alphabétique ……Mohamed Amir Benaissa

ميدان الطب عند الدكتور هدام ،ليتم إرساله بعدها للعمل في المنطقة السادسة من الولاية الخامسة[1]، والطالب "**هدام الغوثي**" الذي لبى نداء الإضراب وانقطع عن الدراسة والتحق بمدينة وجدة إلى جانب ابن عمه الدكتور "**هدام عبد السلام**"[2].

كما انضم عدد من الأطباء بعد سنة 1956 إلى القاعدة الخلفية الغربية من بينهم: الدكتور "**حاج سعيد تيجاني**" "التحق بالقاعدة الخلفية الغربية يوم 07 جانفي 1957 ليصبح طبيب ضابطا في صفوف جيش التحرير الوطني منذ يوم 18 نوفمبر 1957[3].

والى جانب هؤلاء سجلت قاعدة الدعم الغربية التحاق العديد من أسماء الأطباء وطلبة الطب الجزائريين مثل : زيغوت لامين، يحي فارس، زيزي عياش، كبير بومدين، صقال محمد، عبروس،قودي بكير،شيالي عبد النور[4].

2-نشاطات الأطباء في القاعدة الخلفية الغربية:

مزج نشاط الأطباء الجزائيين في المغرب الأقصى بين العمل العلاجي والإداري والتكويني، إذ عمل الأطباء وطلبة الطب الجزائريين على تأسيس وتكوين مراكز للعلاج عبر طول المناطق الحدودية الجزائرية المغربية لتصل فيما بعد حتى غرب المغرب الأقصى[5]، وقد تمثلت هذه المراكز الصحية مع بداية الثورة في منازل الجزائريين المقيمين بالمغرب الأقصى وبالأخص الذين يسكنون بالقرب من الحدود الجزائرية، ومستشفى ليستو بمدينة وجدة الذي كان بمثابة أهم المراكز الصحية التي احتوت الجنود الجزائريين وعالجتهم تحت إشراف أطباء جزائريين ومغاربة وأوربيين و كذلك عيادة الدكتور "**هدام عبد السلام**" ومع تطور الثورة والتحاق عدد لابأس به من الأطباء، انتشرت المراكز الصحية على طول الحدود الغربية وأيضا عبر مختلف المدن المغربية الكبرى ،اختلفت مواصفاتها بين عيادات بسيطة وبين مراكز للراحة والنقاهة ،وبين مراكز للعلاج وتكوين الممرضين كما يمكن أن نضيف إليها المستشفيات المدنية المغربية التي قدمت خدمات علاجية كبرى لجنود جيش التحرير الوطني[6].

---

[1] E.M.A.T/S.H-1H 1691 D 2: Fiche concernant le nome : Yassad Hassen (Médecine de la région 4) , 01/06/1957 .

[2] SHD-GR1H3106 :Liste Alphabétique ……,Haddam GHoutti .

[3] SHD-GR1H3106 :Liste Alphabétique …Hadj Said Tédjani.

[4] شهادة البروفيسور حسان لزرق ،المصدر السابق ،ينظر أيضا: مقابلة شخصية مع المجاهد – الممرض شيتاوي أحمد، ممرض خلال الثورة التحريرية في بيته الكائن بدائرة بني بوسعيد ،يوم 2016/04/10،من الساعة 14:00 زوالا إلى الساعة 16:00.

[5] ينظر إلى الجدول في الأخير.

[6] SHD-GR1H3103/D2 : Corps D'Armée D'Oran- Etat Major , 2eme Bureau; Bulletin de renseignements ;carte des services sanitaire au Maroc ,Voir aussi : Répertoire de l'implantation des organismes F.L.N et A.L.N du Maroc –Oriental ,28.07.1958.p2

وفي سنة 1960 تم تنظيم المراكز الصحية على مستوى قاعدة الإسناد الغربية، ليصبح هناك مراكز صحية قريبة من الحدود: وأغلبها عبارة عن منازل خاصة ومراكز الاتصال والعبور :اختصت هذه المراكز باستقبال الجرحى والمرضى من الجنود الوافدين من الداخل، وتوجيهم إلى مراكز أخرى للعلاج حسب درجة الإصابة، ومستوصفات صغيرة من 5 أسرة إلى 60 سرير،إضافة العيادات التي كانت متواجدة داخل المراكز العسكرية ،مثل المستشفى الموجود بقاعدة بن مهيدي[1]، كما استحدث مدارس التكوين العسكرية الشبه الطبية التي أحصاها الدكتور "محمد أمير بن عيس" فيقوله: " كانت ثلاث (03) مدراس تدريب عسكرية شبه طبية بالقاعدة الخلفية الغربية هي: قاعدة بن مهيدي، ومركز العرائش، والمدرسة العسكرية الشبه طبية بزغنغن"[2].

أما مهام الأطباء داخل هذه المراكز فقد تحددت في عنصرين أساسيين هما تقديم العلاج لجنود جيش التحرير الوطني و اللاجئين وكذلك تكوين الممرضين[3]، غير أنه لم يكن بوسع هؤلاء الأطباء الإشراف على كامل المرضى وتكوين كل المتربصين لقلة عددهم ،ولتعويض هذا النقص كانوا يقومون بزيارات منتظمة إلى مراكز العلاج والتكوين بتحديد اليوم والساعة مع الاستجابة للحالات الطارئة ،على سبيل المثال :نذكر الدكتور"**عبد السلام هدام** " الذي كان يقوم بعلاج الجنود وتكوين الممرضين في عيادته الخاصة ،كما كان يقوم بإجراء عمليات جراحية في مستشفى ليستو في مدينة وجدة ويقوم بزيارات منتظمة عبر المراكز الصحية من بينها :قاعدة بن مهيدي ،المراكز الصحية بوجدة والسعيدية وبركان[4].

وعلى غرار ذلك أخذ الأطباء على عاتقهم تأسيس جمعية وطنية إنسانية تتكفل باللاجئين الجزائريين وحمل معانات الشعب الجزائري لكل شعوب العالم، بتأسيس الهلال الأحمر الجزائري من طرف "شنقريحة (سي عبد القادر)" والدكتور "بن سماعين بومدين" وبمساعدة "الصيدلي مراد عبد الله"، الذين قاموا بصياغة تقرير عن تأسيس الهلال الأحمر الجزائري، ليتم الإعلان الرسمي عن تأسيس يوم 07 جانفي 1957 برئاسة الدكتور "بن سماعين بومدين" ، بهدف الاهتمام بمختلف الجوانب ذات أبعاد اجتماعية وإنسانية ،وطبية ومساعدة الجرحى[5].

---

[1] IBID : Carte des services sanitaire au Maroc ,Voir aussi : Répertoire de l'implantation des organismes F.L.N et A.L.N du Maroc –Oriental ,28.07.1958.p2,3 .

[1] Mohamed Amir , Contribution A l'étude de l'histoire de la santé ;Thèse pour le doctorat en médecine ;Université d'Alger .19 juin 1963, p 126.

[2]IBID, p 152.

[3] IBId ,p 76

[4] E.MA.T-1H1594/D1 :Maroc –aide logistique Fiche N :AM13-(6),23-05-1957.

[5] Mustapha Makaci, Le Croissant-Rouge Algérien; ED: Alpha , Alger,2007,pp81-88.

فأدى الهلال الأحمر الجزائري دورا مهما في تحسيس الدول بما يعانيه الشعب الجزائري ،وإغاثة اللاجئين والجرحى الذين فقدوا أطرافهم ،جراء الحرب والأسلاك الشائكة المكهربة والألغام، وقدم نداءات مختلفة من اجل علاج الجرحى وتوفير الأدوية والغذاء ،فاستطاع ترحيل العديد من المعطوبين والجرحى من ذوي الإصابات الخطيرة نحو البلدان الاشتراكية مثل يوغسلافيا، تشيكوسوفاكيا، الاتحاد السوفياتي وألمانيا الشرقية[1].

وبذلك استطاعت هاته الكفاءات الطبية تقديم خدمات جليلة للثورة الجزائرية خاصة والإنسانية عامة، على رغم من كل العراقيل التي خلقها الاستعمار بتطويق الحدود الغربية التي أثرت على شل عملية نقل الجرحى والمصابين إلى المراكز الصحية بالقاعدة الخلفية الغربية، وأدت إلى عرقلة عملية تموين المناطق الداخلية بالأدوية والمعدات الجراحية، فمنذ سنة 1956 عمدت القوات الاستعمارية للغرب الجزائري إلى تكثيف مراكز المراقبة على طول الشريط الحدودي الغربي للجزائر من الشمال إلى الجنوب في المناطق الجزائرية الحدودية ،كما أكدت على ضرورة استخدام مختلف الأساليب العسكرية لتشديد المراقبة المستمرة على مراكز جيش التحرير بالحدود الغربية ،باستخدام القوات العسكرية البرية والبحرية والجوية، والى جانب ذلك قامت السلطة الاستعمارية بتطويق الحدود بالأسلاك المكهربة[2]، ثم غرس الألغام على طول خط الحدود الغربية[3].

3-نماذج من الأطباء وطلبة الطب الجزائريين الذين نشطوا بالقاعدة الخلفية الغربية :

التحق العديد من الأطباء وطلبة الطب بالثورة التحريرية ،بعد أن غادروا مقاعد الدراسة غير مباليين بالامتيازات التي كانوا سيحصلون عليها بعد إتمام دراستهم وممارستهم مهنة الطب ،فالتحق البعض منهم بالجبال فيما تركز أغلبهم بالمناطق الحدودية الشرقية والغربية متحدين الظروف البائسة والسياسة الاستعمارية الجائرة لخدمة الثورة التحريرية، وعليه لا بد من التعرف على البعض من هذه الكفاءات الطبية على سبيل المثال لا الحصر في مايلي:

---

[1] منور الصم، مذكرات المجاهد منور الصم ،مطبعة بوعروج ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ،2009، ص 288.

[2] تكون خط موريس من خط حماية و إنذار، ثم حقل ألغام يلي الخط الأول مباشرة وعرضه ستة أمتار ليليه سياج مكهرب، ثم ممر تقني للمواصلات وصيانة العطب، و سياج مكهرب يشبه الأول، ثم خط حماية و إنذار ثم أرضية مناورة، للتفصيل أكثر ينظر: جمال قندل، خط موريس وشال على الحدود التونسية والمغربية وتأثيرهما على الثورة الجزائرية 1957-1962، ط 1 ، دار الضياء للنشر والتوزيع، الجزائر،فيفري 2006، ص58.

[3] SHD- GR1H3103. D2 : Le Barrage d'Ouest , p p 2 -4.

اسعد عساني :

اسمه الحقيقي يسعد مازيغ واسمه الثوري خالد ،ولد يوم 24 أفريل 193 بالقلعة (مراكش) بالمغرب الأقصى من أصول قبائلية ، تلقى التعليم الابتدائي في مدينة مراكش ،وواصل تعليمه في مدينة الدار البيضاء حتى حصوله على الباكلوريا ،لينتقل إلى جامعة منبوليه لدراسة الطب في شهر نوفمبر 1949 ،ثم انتقل إلى جامعة سترامبورغ في شهر نوفمبر 1950.كان من بين الطلبة الستة عشرة (16) الذين استجابوا لنداء الإضراب اللامحدود عن الدراسة 19 ماي 1956 ،فانضم بذلك يسعد عساني إلى الثورة التحريرية بالالتحاق بقاعدة الدعم الغربية ،حيث عمل بمستشفى ليستو وفي الوقت نفسه كان يتلقى تدريبا طبيا تحت إشراف الدكتور هدام عبد السلام و الدكتور لزرق حسان، ليلتحق بعد ذلك بالمنطقة السادسة للولاية الخامسة كنائب للدكتور دمرجي في شهر نوفمبر 1956،حتى اغتياله يوم 5 مارس1958[1].

بركات سليمان :

ولد الدكتور بركات سنة 1925 في منطقة القبائل تخرج من جامعة باريس ،استقر في الشرق المغرب حيث نشط هناك في علاج جنود جيش التحرير الوطني، عمل بمستشفى ليستو بوجدة ،ومنذ جانفي 1959 أصبح طبيبا بمركز بركان ،أشرف على علاج جنود جيش التحرير الوطني وتكوين العديد من الممرضين والممرضات[2] .

بن سماعين بومدين :

ولد يوم 31 جويلية 1915 بمستغانم ،التحق بجامعة مرسيليا لدراسة الطب وبمجرد تخرجه من الجامعة اعتقلته السلطات الفرنسية بتهمة المساس بالأمن الداخلي للدولة .كان نشيطا في زرع الحماس الجماهيري لمناهضة الاحتلال الفرنسي بالجزائر ،زج به في سجن باريس سنة 1945،وبعد الإفراج عنه عاد إلى مسقط رأسه مستغانم وتفرغ لعلاج الجزائريين والفقراء.

بعد اندلاع الثورة التحريرية وبالضبط في سنة 1956 التحق الدكتور بصفوف جيش التحرير الوطني تحت قيادة سي رشيد وسي بوصوف وعين ممثلا لجيش التحرير الوطني بالمغرب الأقصى ،من هناك أسس الهلال الأحمر الجزائري وعين أمينا له في الفترة الممتدة من سنة 1956الى سنة 1960،كما كان يقوم بعلاج الجنود عبر المراكز الصحية لجبهة التحرير الوطني في المغرب الأقصى، من ذلك إشرافه على علاج جنود جيش التحرير الوطني بمركز العرائش في الفترة الممتدة من شهر ماي 1958 إلى شهر أوت

---

[1] E.M.A.T/S.H-1H 1691 D 2: Fiche concernant le nome : Yassad Hassen (Médecine de la région 4) , 01/06/1957.

[2] SHD :GR1H3106 :Liste Alphabétique des membre connus du F.L.N au MAROC, BARKATE.

1959، وفي الوقت نفسه كان ينتقل إلى المركز الصحي بطنجة من أجل علاج جنود جيش التحرير الوطني[1].

بن عيسى محمد أمير:

من مواليد 08 أكتوبر 1926 بسيدي بلعباس، التحق بالمدرسة الفرنسية فولتير، وفي المرحلة الثانوية درس أمير بثانوية لابرين وفيها نال شهادة البكالوريا عام 1947 ثم شهادة الإجازة من جامعة الجزائر وبعدها انتقل للدراسة إلى باريس لدراسة الطب .

كان من أوائل مؤسسي نواة فيدرالية جبهة التحرير الوطني ديسمبر 1954 ومكلف بالطلبة والدعاية، التحق بالقاعدة الخلفية الغربية في أواخر فيفري 1957 ، قدم خدمات العلاج والتكوين في التمريض عبر مختلف المراكز الصحية بالقاعدة الخلفية الغربية ،حيث قام في هذا المجال بتأسيس المدرسة العسكرية الطبية بزغنغن[2] .

رحال عباس :

ولد يوم 28 سبتمبر 1921 تحصل على شهادة دكتوراه في الطب سنة 1954 في جامعة تلوز ،ليستقر بعدها مباشرة في مدينة وجدة المغربية وبدأ يعمل كطبيب عام ،كان من بين المناضلين في جبهة التحرير الوطني في القاعدة الخلفية الغربية ومن الأطباء الذين اشرفوا على علاج جنود جيش التحرير الوطني[3].

لزرق حسان :

ولد الدكتور لزرق حسان يوم 23 جانفي 1922 بقرية الحروش ولاية سكيكدة ،التي درس بها مرحلته الابتدائية ،ثم أكمل دراسته الاكمالية بجيل فيري ،ثم دراسته الثانوية بقسنطينة ،بعد تحصله على شهادة الباكلوريا ،منحت له منحة دراسية لإتمام دراسته بجامعة منبوليه سنة 1946 ،فتحصل على شهادة طبيب عام سنة 1954 ،ثم تخصص في طب العيون ،ليرجع بعدها إلى مدينة سكيكدة.

التحق في شهر جوان 1956 بالقاعدة الخلفية الغربية ،أين عمل كطبيب لجبهة التحرير الوطني بمستشفى ليستو ،في الوقت نفسه كان يقوم بزيارات المراكز الصحية الأخرى الموجود بالقاعدة الغربية مثل :مركز بركان ،فقيق ،وقاعدة بن مهيدي[4].

زيزي عياش :

ولد يوم 27 مارس 1928 بمنطقة مروانة في باتنة ،تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة مروانة ،ثم انتقل إلى قسنطينة لمواصلة تعليمه ،ثم سكيكيدة حتى حصوله على شهادة الباكالوريا سنة 1948 ،لينتقل بعد ذلك

---

[1] IBID, BENSMAINE BOUMADIENNE .
[2]SHD :GR1H3106 :Liste Alphabétique des membre connus du F.L.N au MAROC, IBID,Mohamed Amir Benaissa.
[3] IBID…,Rahal Abésse ..
[4] SHD :GR1H3106 :Liste Alphabétique ....Hassen.

إلى جامعة منبولييه ،ثم عاد لأرض الوطن وأكمل السنة السادسة طب في جامعة بليدة ،وهناك التقى بالدكتور "فرانز فانون" ،الذي أصبح صديق له ثم رجع إلى فرنسا، ومن ثم اتجه نحو تونس ،حيث عمل هناك بمستشفى الهادي شاكر بصفاقص .بعد انتقال الدكتور زيزة عياش إلى تونس انتقل إلى المغرب الأقصى وعمل هناك في قاعدة بن مهيدي ،بالإشراف على علاج المجاهدين وتكوين الممرضين في المراكز الصحية الحدودية (تويسات ،بوبكر ،تيولي ،برقت ،بوعرفة ..)[1].

مكاسي مصطفى :

ولد يوم 13 فيفري 1923 بعين طبال ،درس بكلية الطب في الجزائر ،التي تخرج منها سنة 1949 ،كان يعمل طبيبا بالرباط .التحق بالثورة التحريرية في المغرب الأقصى ،بحيث كان الطبيب المسؤول عن المركز الصحي بالعرائش ،وطبيبا مسؤولا عن المصلحة الاجتماعية على المستوى الفدرالي بالمغرب ،كما كان الطبيب المسؤول عن مصلحة التسليح و الاتصالات والمواصلات بالمغرب، إضافة إلى أنه كان أمينا عاما في لجنة الهلال الأحمر الجزائري ،و من ممثلي الهلال الأحمر الجزائري في الندوة الدولية للصليبان والأهلة الحمراء في نيودلهي سنة1957[2].

هدام عبد السلام :

ولد يوم 24 ديسمبر 1912 قي تلمسان وسط عائلة معروفة ،تلقى تعليمه الابتدائي في تلمسان والتحق فيما بعد ب" كوليج سالان" إلى غاية حصوله على شهادة الباكلوريا ، انتقل إلى ليون لإكمال دراسته في تخصص الطب ،ناقش أطروحة الدكتوراه في الموسم الدراسي 1941-1942 ،في تخصص الأمراض الجلدية والطب النفسي .ليلتحق بعد ذلك إلى المغرب الأقصى وأسس عيادته بمدينة وجدة.

عمل منذ بداية الثورة التحريرية على فتح عيادته لعلاج جنود جيش التحرير الوطني ،كما كان ينتقل إلى مستشفى ليستو للإشراف على عملية علاج الجنود ،ومراكز العلاج المختلفة من ذلك مشفى قاعدة بن مهيدي ،وفي سنة 1960 أشرف على لجنة تفتيشية تجول حول كل المستشفيات والمراكز الصحية بالمغرب الأقصى[3].

---

[1] Mostéfa KHiati, Dictionnaire biographique du corps de la santé 1954-1962,Ed: ANEP ,ROUIBA,2011., p192

[2] SHD :GR1H3106 :Liste Alphabétique ….Makaci Mustapha .

[3] Mostéfa khiati :op ,cit , p 109.Voir Aussi :SHD- GR 1H3103 : Corps D'Armée D'Oran ;Organisation du FLN –ALN au Maroc ; Fiche de renseignement Docteur Hadam.

الخاتمــة:

من خلال البحث في هذه الدراسة، توصلت إلى عدة نتائج و خصائص ميزت نشاط الكفاءات الطبية بالقاعدة الخلفية الغربية، يمكن أن نوجزها في مايلي:

- تكتل ووحدة الأطباء وطلبة الطب الجزائريين من أجل تحقيق هدف إنساني ووطني، على الرغم من اختلاف أصول هذه الكفاءات الطبية بين الوسط والشرق والغرب الجزائري.

- الدفع القوي الذي أعطاه التحاق هؤلاء الأطباء بالقاعدة الخلفية الغربية للثورة التحريرية، فقد كان لهم الفضل في تجنيد عدد كبير من الإطارات الطبية الذين التحقوا بالقاعدة الخلفية الغربية بعد مغادرة مقاعد الدراسة بعد إضراب الطلبة اللامحدود 19 ماي 1956.

- تعددت مهام الأطباء الجزائريين بالقاعدة الخلفية الغربية، بين الصحة المدنية التي اهتمت بصحة اللاجئين، والصحة العسكرية التي كان شغلها الشاغل صحة جنود جيش التحرير الوطني، و الإشراف على عملية التكوين الشبه الطبي عن طريق تكوين الممرضين والمسعفين والمرشدات الاجتماعيات، ثم نشاطاتهم ضمن هيئة الهلال الأحمر الجزائري التي سهرت على توفير الدعم المادي والصحي،كما ساهموا وبشكل كبير في تأسيس العديد من المراكز الصحية.

- على الرغم من كل المصاعب والعراقيل و مباغتة القوة الاستعمارية لمراكز العلاج، فقد أثبت الطبيب الجزائري أن التصميم على تحقيق النصر هو الأساس، باستمراره في تقديم العلاج لجيش التحرير الوطني ودعم الثورة في الداخل بالممرضين والمسعفين.

جدول يبرز المراكز الصحية بالقاعدة الخلفية الغربية.

المراكز	خصوصياتها	الخدمات المقدمة
مستشفى ليستو	مستشفى مدني بمدينة وجدة – خصص فيه جناح لجيش التحرير الوطني	علاج المصابين والجرحى التكوين الشبه الطبي
عيادة الدكتور هدام	تقع بالقرب من مستشفى ليستو على طريق الدار البيضاء في مدينة وجدة	مزجت العيادة بين تقديم العلاج وتكوين الممرضين والمسعفين والمرشدات الاجتماعيات.
مشفى قاعدة بن مهيدي	أسست القاعدة في شهر أفريل 1959 خصص بها مشفى	استقبال الجرحى وعلاجهم وتوجيهم –اضافة الى التكوين في مجال

	والصيدلية العامة وقيادة مصلحة الصحة للولاية5.	التمريض.
المدرسة الصحية العسكرية بزغنغن E.M.I	تقع شرق المغرب أسسها الدكتور"محمد أمير بن عيسى" سنة 1959.	التكوين الشبه طبي عسكري
مركز العرائش C.I.L	يقع في مدينة العرائش الساحلية في مزرعة بوصافي	تكوين وتأطير الممرضين
مركز بركان (قاعدة لطفي)	أسس بمزرعة أحد الجزائريين المدعو"بلحاج" تبعد حوالي 1 كلم عن مدينة بركان	مركز للعلاج والراحة والنقاهة
مركز ملوية	مزرعة بلحاج مصطفى على بعد 20 كلم عن شمال غرب بركان أسس سنة 1957	مركز للتكوين والتدريب
مركز برقنت	يقع على بعد 30 كلم من الحدود الجزائرية و 83كلم جنوب مدينة وجدة	كان عبارة عن مركز لاستقبال الجرحى والمرضى
مركز فقيق	أسس في شهر أكتوبر 1959 تقع في الشرق الجنوبي المغربي بالقرب من منطقة عين الصفراء الجزائرية	مركز للعلاج والراحة والنقاهة
مركز سيدي بوبكر	يبعد بحوالي 30 كلم جنوب مدينة وجدة على الخط الحدودي.	مركز لاستقبال وعلاج الجنود

مركز بني درار	يقع المركز على بعد 1 كلم عن مدينة وجدة	يوجد مستوصف للعلاج
مركز تيولي	يقع على الشريط الحدودي المغربي الجزائري بالقرب من جبل عصفور	استقبال الجرحى
مركز تندرارة	يقع بقرية تندرارة الحدودية التابعة لإقليم فيقيق	علاج المرضى والجرحى
مركز سيدي يحي	منطقة سيدي يحي تبعد ب6 كلم عن مدينة وجدة	علاج المرضى والجرحى
مركز الديوانة	تقع على الشريط الحدودي يبعد بحوالي 15 كلم عن مدينة أحفير	العبور والتمرير
مركز كبداني	يقع بمدينة الناظور أسس سنة 1959	التدريب في مختلف التخصصات منبينها التمريض
مركز الخميسات	يقع بين مدينة مكناس والرباط أسس سنة 1957	الراحة والنقاهة

المصدر: أنجز الجدول من طرف الباحثة بالاعتماد على المصادر التالية:

- **Service Historique de l'Armée de Terre - GR 1H3103 :** Corps D'Armée D'Oran, Répertoire de l'implantation des organismes F.L.N et A.L.N du Maroc –Oriental ,28.07.1958 .
- **Service Historique de l'Armée de Terre -GR 1H3114**: D **2** : Dossier d'objectifs; le F.L.N au Maroc –Camps et bases de l'A.L.N.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا :قائمة المصادر:

1- الأرشيف الفرنسي :

أ- أرشيف محفوظات وزارة الحربية الفرنسية قصر فانسان(باريس) :

- SHD-GR1H3103/D2 : Corps D'Armée D'Oran- Etat Major , 2eme Bureau: carte des sévices sanitaire au Maroc.
- Fiche de renseignement Docteur Hadam.
- SHD-GR1H3106 :Liste Alphabétique des membre connus du F.L.N au MAROC, Rahel Abésse.

- E.M.A.T/S.H-1H 1691 D 2: Fiche concernant le nome : Yassad Hassen (Médecine de la région 4) , 01/06/1957.
- E.MA.T-1H1594/D1 :Maroc –aide logistique Fiche N :AM13-(6),23-05-1957.
- SHD-GR 1H3114, D2 : Dossier d'objectifs ;le F.L.N au Maroc le F.L.N au Maroc –Camps et bases de l'A.L.N "Camp de Moulouya"05-04-1960.

2- الشهادات الحية:

- شهادة البروفيسور حسان لزرق ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،18-06-2002.(قرص مضغوط).
- مقابلة شخصية مع المجاهد – الممرض شيتاوي أحمد، ممرض خلال الثورة التحريرية في بيته الكائن بدائرة بني بوسعيد ،يوم 2016/04/10،من الساعة 14:00 زوالا إلى الساعة 16:00.

3 – المذكرات:

- الصم (منور) :مذكرات المجاهد منور الصم ،مطبعة بوعروج ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ،2009

4 – الجرائد:

- المجاهد، عدد 41 ،01-05-1959

5 – الكتب:

- Hadj M'hammed Triqui(triki) ,Actions humanitaires d'un comité de Wilaya Du Croissant Rouge Algérien ,Edition : El-Boustane ,2005.
- Makaci (Mustapha), Le Croissant-Rouge Algérien; ED: Alpha , Alger,2007.
- Mohamed Amir , Contribution A l'étude de l'histoire de la santé ;Thèse pour le doctorat en médecine ;Université d'Alger .19 juin 1963.

قائمة المراجع:

1-الكتب باللغة العربية:

قندل (جمال): خط موريس وشال على الحدود التونسية والمغربية وتأثيرهما على الثورة الجزائرية 1957-1962 ،الطبعة الأولى ، دار الضياء للنشر والتوزيع ،الجزائر،فيفري2006.

2-الكتب باللغة الفرنسية:

KHiati Mostéfa, Dictionnaire biographique du corps de la santé 1954-1962,Ed: ANEP ,ROUIBA,2011

واقع السياحة بولاية عنابة: إقليم شطايبي نموذجا

د/ نور الهدى عبادة ـ جامعة الجزائر3. د/ طبيب شريفة ـ جامعة باجي مختار ـ عنابة.

ملخص:

تهتم هذه الدراسة الميدانية بالبحث في واقع السياحية بولاية عنابة، وبما أنها دراسة ميدانية فقد اتخذنا من إقليم شطايبي بالولاية المذكورة نموذجا للدراسة، وذلك بالنظر إلى المقومات السياحية المعتبرة التي يزخر بها الإقليم خاصة الطبيعية منها، على غرار شاطئ سيدي عكاشة وشاطئ الرمال الذهبية...، غير أنه وبالرغم من كل المقومات الطبيعية الموجودة بالإقليم إلا أن القطاع السياحي فيه يعاني عجزا واضحا من ناحية المرافق السياحية.

Résumé:

Cette étude se focalise sur l'état du tourisme dans la province de **Chetaibi** qui est la deuxième plus belle région touristique du monde, à l' égard de ce qu'elle cache comme potentiel touristiques importants, elle renferme un paysage naturel sublime comme la plage de Sidi **Okacha** ainsi la plage des sables d'or qui transporte son visiteur à un autre univers.

Cependant, avec tous les atouts majeurs susceptibles de drainer des investissements très bénéfiques pour la région. La réalité du secteur touristique dans cette contrée n'est pas aussi radieuse que sa beauté.

مقدمـــــــة:

يعيش المجتمع الدولي اليوم سباقا واضحا نحو تعظيم مستوى التقدم في مختلف المجالات، فالدول المتقدمة تسعى إلى المحافظة على صدارتها في مختلف قطاعات الاقتصاد العالمي، أما الدول النامية فتسعى بدورها إلى تحقيق التنمية بالتركيز على قطاع معين أو عدة قطاعات قصد التموضع في الاقتصاد العالمي. والجزائر باعتبارها تُصنف ضمن الدول النامية سعت منذ استقلالها إلى تعزيز مكانتها الدولية ووضع حد لتبعيتها للخارج، من خلال تسطير برامج تنموية مست كل القطاعات (الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي) آخذة تعزيز و تطوير مقوماتها و إمكانياتها المختلفة كأحد أهم أولوياتها، ومتنبهة إلى مميزات الاقتصاد العالمي الذي بات يفرض الكثير من الشروط والتحديات أمام طموحات الدول الراغبة في تحقيق قوتها الاقتصادية. وبذلك كان لزاما عليها التفكير في تنويع مصادر إنتاجها وعدم حصره في الجانب الطاقوي الذي بات مهدد بالنفاذ، من هنا أصبحت الحاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى وبالنظر إلى المتغيرات الدولية إلى التركيز على القطاع السياحي الذي يُحقق عائدات مالية تفوق

في كثير من الأحيان ما تحققه العائدات النفطية (تركيا مثلا). ذلك أن السياحة اليوم لم تعد مجرد نشاط ترفيهي للإنسان، بل أصبحت قوة اقتصادية هائلة إذ ما أُحسن استغلالها.

بالرغم من المقومات السياحية الطبيعية الهائلة التي يزخر بها اقليم شطايبي بولاية عنابة، إلا أن السياحة فيه لم ترق إلى المستوى المطلوب مقارنة بإمكانياته التي قد تجعل منه وجهة سياحية عالمية لو أُحسن استغلالها. **كل هذه الحقائق دفعتنا إلى التساؤل عن واقع السياحة بالاقليم من حيث المقومات والمشاكل .**

المحور الأول: محور المفاهيم

تكتسي المفاهيم أهمية كبيرة في العلوم الاجتماعية وذلك لما تحمله من دلالات ومقاصد نظرية وإمبريقية ، إذ عن طريقها يمكن إزالة جزء كبير من الغموض الذي يكتنف الموضوع بالنسبة للباحث والقارئ معا، لهذا يستوجب على كل باحث التحديد الدقيق لمفاهيم بحثه، ومن أهم المفاهيم المتداولة في الدراسة الراهنة والتي تتطلب توضيح وتحديد دلالاتها الإجرائية المفاهيم التالية:

السياحة :

حتى يمكننا الوصول إلى تعريف علمي و شامل لظاهرة السياحية ، نورد بعض التعاريف :

تعريف جوبير فرولر[1] GUYER FREULLER (1905)

"السياحة ظاهرة من الظواهر العصرية التي تنشأ عن الحاجة المتزايدة للحصول على الراحة والاستجمام وتغيير الجو والإحساس بجمال الطبيعة وتذوقها والشعور بالبهجة والمتعة من الإقامة في مناطق ذات طبيعة خاصة"[1].

هذا التعريف يركز على الراحة كأهم غرض من السياحة ،كما انه يحصرها في نوع واحد وهي السياحة الطبيعية، في حين أن السياحة أنواع ومنها السياحة الدينية والتي يكون الغرض منها آداء طقوس دينية معينة وليس الاستمتاع بجمال الطبيعة.

تعريف الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب : ويعتبر هذا التعريف احد التعاريف الحديثة للسياحة و الذي يعرف السياحة كما يلي :

---

[1]-مصطفى عبد القادر ،**دور الإعلان في التسويق السياحي**،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،لبنان ، 2003 ص.41-42 .

" السياحة هي مجموعة العلاقات و الخدمات المرتبطة بعملية تغيير المكان تغييرا وقتيا و تلقائيا وليس لأسباب تجارية أو حرفية "[1].

هذا التعريف يقصي السياحة الترفيهية التي هدفها الاستجمام وفقط.

تعريف المنظمة العالمية للسياحة :" OMT"

"اصطلاح يطلق على رحلات الترفيه وكل ما يتعلق بها من أنشطة وإشباع لحاجات السائح"[2]

وعليه يتبين مما سبق أن السياحة هي :

1- الترويج أو الترفيه عن النفس .

2- السياحة تتطلب من الإنسان الانتقال من مكان الى آخر على أن تكون عملية الانتقال مؤقتة لا تقل عن أربع و عشرون ساعة واقل من سنة .

3- هي عملية الاتصال الثقافي و الحضاري بين الشعوب .

السائح :

تتعدد التعريفات حول السائح ومن بين التعريفات نجد :

- تعريف مؤتمر الأمم المتحدة للسفر والسياحة الدوليين(روما) 1963

أي شخص يزور دولة أخرى غير الدولة التي اعتاد الإقامة فيها، لأي سبب غير السعي وراء عمل يجزى منه في الدولة التي يزورها"[3]

وهذا التعريف شمل فئتين من الزائرين هما :السائحين ومسافري الرحلات.

أ- **السائحون (Touriste)** : وهم الزائرون المؤقتون الذين يقيمون على الأقل لمدة **24** ساعة في الدولة التي يزورونها

ب -مسافرو الرحلات السريعة:(Excursionnistes): وهم الزائرون المؤقتون لمدة تقل عن 24 ساعة في الدولة التي يزورنها.

الفرق بين السياح و المتنزهون:

السياح : هم الذين يزورون بلاد أو مدينة لأكثر من 24 ساعة للأغراض التالية:

---

[1]-Européennes, Genève R .Christine, **Le Tourisme**, Publication Universitaires d'études1985,P.19 .

[2]-هدى سيف لطيف ، **السياحة النظرية والتطبيق** ،الشركة العربية للنشر والتوزيع ،القاهرة ،1994،ص.14.

[3]-يسرى دعبس، **صناعة السياحة بين النظرية والتطبيق**،الملتقى المصري للإبداع والتنمية،ط1،مصر، 2003 ص.162.

- الترفيه: التمتع ،الرحلة ،العطلة ، الصحة ، الديانة ،الرياضة ،الثقافية ،التاريخ ...
- الأعمال و المؤتمرات .
- زيارات اجتماعية .
- اجتماعات ،أعمال ،مؤتمرات ، ثقافة ...
- أسباب أخرى
- **المتنزهــون :**

هم الذين يزورون مناطق لأقل من 24 ساعة وهؤلاء لا يدخلون ضمن تقسيم السياح وإنما يعتبرون متنزهون .

ومن خلال ما سبق يمكن وضع تعريف شامل للسائح كما يلي :

السائح هو الشخص الذي يقوم بزيارة منطقة معينة غير التي يقيم فيها عادة سواء للترويح عن النفس أو لأسباب عائلية أو صحية أو اقتصادية أو لحضور اجتماعات دولية أو لتمثيل بلاده ،إداريا ،دبلوماسيا ،سياسيا ...عن طريق البر أو الجو أو البحر لمدة تزيد عن 24 ساعة ولا تتجاوز سنة.

المقومات السياحية:

المقومات السياحية هي المغريات السياحية والتي تتمثل في التنوع بين العراقة ،الأصالة والحداثة والطبيعة الساحرة والجو الصحو وغيرها من المقومات التي تعد مغريات سياحية.[1]

الإقليم السياحي :

يعرف الإقليم السياحي على انه "الرقعة الجغرافية التي يوجد فيها المنتوج السياحي ،وهو خليط يشبع رغبات وحاجات السياح وقد يمتاز بصفة التجانس أو عدم التجانس حيث غالبا ما يجزأ الإقليم غير المتجانس إلى انطقه متعددة يتفق عددها مع تنوع مقومات الجذب السياحي المتوفرة "[2]

يشمل الإقليم السياحي أماكن الإقامة (كالفنادق ،المخيمات ...) وأماكن للاسترخاء والترفيه (كالشواطئ والجبال ...) وأماكن التفكير وتأمل الجماليات (مثل المحميات الطبيعية والمناطق التاريخية ...) [3]

---

[1]-فؤادة البكري ، **الإعلام السياحي** ، دار نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، 2001 ، ص.42 .

[2]-سعد إبراهيم حمد، **تخطيط وتنمية خدمات السياحة الدينية وأثرها في نمو الطلب السياحي في محافظة نينوى** ،أطروحة دكتوراه،جامعة بغداد – العراق- ،2008،ص. 73.

[3]-Marc Laplante, **L'échiquier Touristique Québécois**, Presse De L'université Du Québec,2003,P.93.

الروبرتاج السياحي :

الروبرتاج عبارة عن فن من فنون الكتابة الصحفية وواحد من الأنواع الإخبارية يقوم بتصوير الواقع ونقله إلى الجمهور وهو كما يقول سامي ذبيان " تصوير بالكلمات تتحول معه الكلمة إلى كاميرا " وهذا معناه أن الصحفي الذي يكتب الروبرتاج يجب أن يتمتع بمقدرة على الوصف والسرد أي في الروبرتاج يستحسن أن تكون الجمل حية مليئة بالصور و الوصف و أحيانا ذات نفس شاعري. والروبرتاج السياحي لا يختلف عن الروبرتاج الصحفي فهو أيضا يشترط فيه معلومات صحيحة و أسلوب جميل ذلك أنه يستهدف جمهور عريض يهدف إلى إقناعه لاقتناء المنتج السياحي أو الخدمة السياحية .

1. المنهج المستخدم :

إن المنهج المُتّبع في هذه الدراسة هو **منهج دراسة الحالة** لأننا بصدد تشخيص مقومات ومشاكل السياحية في إقليم واحد هو اقليم شطايبي بولاية عنابة .

2. أدوات ومصادر جمع البيانات :

- المقابلة– الاستمارة

3. مجالات الدراسة:

3.1. المجال المكاني : أجريت الدراسة بولاية عنابة تحديدا بإقليم شطايبي .

3.2. المجال الزماني :

قمنا بأول زيارة استطلاعية في مارس 2017، وتلتها زيارات أخرى، وقد تم توزيع الاستمارة يوم 25 ماي 2017.وعليه امتدت الدراسة الميدانية من 25 ماي إلى غاية جويلية 2017 وهي فترة بداية العطلة الصيفية .

3.3. المجال البشري :

استخدمنا عشوائية مُكونة في البداية من 100 مفردة ونظرا لعدم إرجاع 16 استمارة أصبح عدد مفردات عينة البحث 84 مفردة .

المحور الثاني : واقع السياحة في اقليم شطايبي

.تقديم عام للإقليم

نبذة تاريخية :[1]

الاسم الحقيقي للبلدية كان Tacatua،Tacata،Takakia،Takakja،ومن هنا اشتق اسمها العربي وهو تكوش(Takouch) .

Tacatua هو الاسم البربري ومعناه " forteresse" أي المنطقة المحصنة للصمود في وجه العدو.

خلال الاستعمار:

في سنة **1891** أصبح اسم البلدية Herbillon نسبة إلى الجنرال الفرنسي Herbillon بعدما كان اسمها تكوش (Takouch) .

بعد الاستقلال : سميت بعد الاستقلال شطايبي وذلك سنة **1963** نسبة إلى الشهيد عمار شطايبي.

الموقع : تقع شطايبي على بعد **60 كم** من الشمال الغربي لمدينة عنابة مع حدود ولاية سكيكدة .تمتد على مساحة **130.50كلم2** .

الموقع الجغرافي:

- يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط .
- يحدها جنوبا بلدية التريعات وبلدية برحال.
- يحدها شرقا بلديتي واد العنب وسرايدي.
- يحدها غربا ولاية سكيكدة (بلدية المرسى) .

المناخ: تتميز بمناخ جميل صيفا و رطب شتاءا و نسبة التساقط **400 مم / السنة**

السكان: قدر عدد سكانها سنة **2006** ب **7633** نسمة منهم **5010** بوسط البلدية ثم بلغ سنة **2009** "**8033**"وبلغ سنة **2011** "**8030**" .

- **المقومات السياحية لإقليم شطايبي:**

المقومات الطبيعية:

- رأس تكوش cap de Takouche .
- شاطئ سيدي عكاشة بمساحة تقدر ب **400×40 م** يقع على بعد **11 كم** عرب شطايبي.

1- Direction De L'urbanisme Et De La Construction De La Commune De Chetaibi.

- شاطئ الخليج الغربي (la baie ouest) بمساحة تقدر ب **700×20 م** مشكل من الحجارة والصخور يقع على بعد **3 كم** غرب شطايبي(**zet**).
- شاطئ عين الرومان (la fontaine romaine) بمساحة تقدر ب **300×30 م** يقع على بعد **3كم** شرق شطايبي.
- شاطئ واد الغنم (la plage rodais) بمساحة تقدر ب **300×30 م** يقع على بعد **5** كم شرق شطايبي.
- شواطئ الرمال الذهبية **(01)،(02)،(03)**.
- شاطئ الردمة.
- شاطئ شطايبي مركز .
- ميناء برصيف طوله **170** م و رصيف ثانوي طوله **70** م و عمق من **07** إلى **08** أمتار و إنتاج سنوي من الأسماك يقدر ب **10** طن من السمك الأبيض و **22** طن من السمك الأزرق.
- كورنيش شطايبي(corniche) .
- المحاجر(منجم الحجارة)خصوصا من نوع الغرانيت(granit) .وهو مشهور عالميا وقد أنشأت منه عدة مدن فرنسية منها مدينة مرسيليا .
- مادة بوزولان(Puzzolane) وهي مواد بركانية تستعمل في صناعة الاسمنت .
- جبل سيدي يحي.
- الينابيع المائية : تعتبر شطايبي منطقة غنية بالينابيع المائية ذات المياه العذبة خصوصا ينابيع:
  - عين دكارة (الزاوية).
  - عين الرومان (شطايبي مركز).
- الغطاء الغابي والمتمثل خصوصا في أشجار الكاليتوس ،الفلين ،الآراش وتقدر المساحة الغابية ب 6497 هكتار.

2.2. المقومات الأثرية:

- منارة شطايبيle phare.
- القلعة (cap de garde).

2.3. المقومات التاريخية:

- ساحة الشهداء (monument) .

يمثل الجدول رقم(1) أهم المواقع الأثرية والسياحية لبلية شطايبي :

الجدول رقم (1): إحصاء المواقع الأثرية والسياحية لبلدية شطايبي

التعيين	الوصف
القلعة fortin أو مركز المراقبة (cap de garde)	يقع هذا المركز إلى الجهة الشمالية من إقليم بلدية شطايبي في المكان المسمى دزيرة على بعد حوالي 03 كم من مركز البلدية كان مستعملا في الحقبة الاستعمارية كمركز للمراقبة العسكرية يسمح موقعه المرتفع بنظرة بانورامية لمدينة شطايبي.
المنارة Phare	عبارة عن دليل ضوئي للسفن يقع على بعد حوالي كم من القلعة (fortin) يتميز بدوره بالنظرة البانورامية التي يوفرها على الجهة الشمالية الشرقية من التجمع الحضري المركزي.
جزيرة كاف عمر ile sainte – piastre	عبارة عن كتلة صخرية كبيرة تبعد بحوالي 03 أميال عن شاطئ الخليج الغربي وميلين عن شاطئ الرمال الذهبية وتسمى ile st piastre و ile aux pigeons يوجد بها منبع طبيعي للمياه العذبة .
جزيرة الوتبة ile El Ouetba	تقع على بعد حوالي ميل واحد من الكتلة الصخرية الكائنة أسفل القلعة المذكورة أعلاه
المغارات السبع Les 7 grottes	حسب الروايات الشعبية المتداولة تضم هذه المغارات بعض الكنوز التي يعود تاريخها إلى الحقبة الرومانية و يروى أن البحارة كانوا يلجؤون للاختباء داخل هذه المغارات هروبا من هجمات القراصنة كما أحيطت هذه المغارات بالكثير من الأساطير التي لا يوجد أي دليل يؤكدها أو ينفيها حيث لم تخضع هذه المغارات لأي عملية استكشافية أو دراسة علمية.
عين دوكـــارة	منبع طبيعي يقع على الطريق الرابط بين مشتة الزاوية والبهلول ،يتميز بالنوعية الرفيعة لمياهه التي يمكن تصنيفها كمياه معدنية حسب روايات

	غير موثقة ،غير أن مستوى التدفق محدود مما يجعل الاستثمار فيها غير مجد اقتصاديا يقصده الكثير من الوافدين إلى مدينة عنابة لان هناك اعتقاد سائد بجدوى مياهها في التخلص من حصى الكلى
الخلـــيج الغربـــي **LA BAIE OUEST**	واحد من أجمل الخلجان في العالم ،إن لم يكن أجملها على الإطلاق يقع إلى الغرب من التجمع الحضري المركزي على مسافة حوالي 03 كم به شاطئ حجري وأثار ميناء قديم يعود إلى الحقبة الرومانية حسب تقديرات خاصة ويبدو انه كان ميناءا صغيرا للصيد البحري. الطريق المؤدي إلى الخليج الغربي لا يقل جمالا عن الشاطئ حيث يمر عبر غابة كثيفة من أشجار الصنوبر والكاليتوس . اشتهر الخليج الغربي بمنظر غروب الشمس ذي الجمال الشاعري المتميز. بمحاذاة شاطئ الخليج الغربي وقع الاختيار على مساحة أرضية معتبرة لتشكل وعاء عقاريا لمنطقة التوسع السياحي .
جبل سيدي يحي	بعلو يقدر بحوالي 545 م على مستوى سطح البحر يسمح موقعه بنظرة بانورامية في الاتجاهات الأربع لا سيما من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية المواجهتين للبحر
شاطئ وادي الغنم **Plage rodais**	يمكن اعتبار هذا الشاطئ موقعا سياحيا متميزا لكونه يقع تحت سفوح جبال ذات غطاء غابي معتبر ومتنوع مما يجعله مقصدا مفضل للسياح.

المصـدر: بلدية شطايبي

الإمكانيات السياحية (الايواء) :

تقتصر الإمكانيات السياحية للبلدية فيما يلي :

- المخيمات الصيفية وكمثال على ذلك نذكر :
  - مخيم الشركة الوطنية لنقل المسافرين (SNTV).
  - مخيم الشركة الوطنية للنقل بالسكك الحديدية (SNTF)
- التخييم (comping).

- كراء الأهالي لسكناتهم خلال الموسم الصيفي .

المحور الثالث : عرض وتحليل نتائج الاستمارة

تضمنت الاستمارة (28) سؤالا بهدف التعرف على مقومات وعوامل الجذب السياحي بإقليم شطايبي ومعرفة المشاكل التي واجهت عينة الدراسة عند قيامها بجولات سياحية في المكان المذكور وكذا الانطباعات المترسخة، وقد تم توزيع (100) استمارة في البداية، ثم استبعاد 16 استمارة لعدم صلاحيتها للمعالجة الإحصائية لعدم اكتمال تعبئتها، وبذلك يكون عدد الاستمارات التي خضعت للمعالجة الإحصائية (84) استمارة فقط أي ما يعادل 84% من مجموع مفردات العينة الكلية .

وفيما بلي نعرض أهم النتائج المُتوصل إليها في مجموعة من الجداول المرفقة التالية:

- القيام بجولات سياحية داخل الجزائر:

الجدول رقم (2):

القيام بجولات سياحية داخل الجزائر	التكرار	النسبة %
نعم	67	79.76
لا	17	20.24
المجموع	84	100

من خلال الجدول نلاحظ أن أغلبية أفراد العينة قاموا بجولات سياحية داخل الجزائر وشكلت نسبتهم 79.76 % ،بينما شكلت 20.24 %نسبة الأفراد الذين لم يقوموا بجولات سياحية داخل الجزائر.

هذا ما يبرر أن المواطن الجزائري يمارس النشاط السياحي خاصة فئة الشباب بينما جزء قليل جدا لا يقومون بجولات سياحية وهذا لأسباب قد تتعلق بالمال او الوقت او نقص الثقافة السياحية ...

- المناطق السياحية المزارة في الجزائر :

الجدول رقم (3): المناطق السياحية المزارة في الجزائر

المناطق المزارة	التكرار	النسبة %
مناطق شاطئية	67	65.04
مناطق غابية	15	14.56
مناطق حموية	12	11.65

مناطق أثرية	04	3.89
مناطق صحراوية	05	4.86
المجموع	103	100

نلاحظ من خلال الجدول أن (67) فرد من الذين قاموا بجولات سياحية داخل الجزائر جميعهم زاروا المناطق الشاطئية وتمثل نسبتهم 65.04 % ،وقد قاموا أيضا بزيارة مناطق سياحية أخرى حيث تمثل 14.56 % نسبة الأفراد الذين قاموا بزيارة مناطق غابية ،وتمثل 11.65% نسبة الأفراد الذين زاروا مناطق حموية ، بينما تمثل نسبة3.89 % الأفراد الذين زاروا مناطق أثرية ،أما اقل نسبة فهي 4.86 % وهي تمثل الأفراد الذين زاروا مناطق صحراوية.

يمكننا إرجاع اختيار اغلبية أفراد العينة للشواطئ كوجهات سياحية بسبب إهمال القطاعات السياحية الأخرى فنجد مثلا العديد من المواقع الأثرية مهددة بالانهيار لعدم ترميمها ،بالإضافة إلى غياب الثقافة السياحية حيث يعتبر البعض أن الترفيه والتسوح يقتصر على المناطق الشاطئية ،دون أن ننسى غياب الإعلام الذي يلعب دور جد مهم في التعريف بالمناطق السياحة المختلفة والتشويق لزيارتها.

- معرفة خليج شطايبي :

الجدول رقم (4): معرفة خليج شطايبي

معرفة الخليج	التكرار	النسبة %
نعم	39	46.43
لا	45	53.57
المجموع	84	100

نلاحظ من خلال الجدول أن 53.57 % لا يعرفون خليج شطايبي ،بينما 46.43 % يعرفونه .

قد يكون السبب وراء عدم معرفة عدد كبير من عينة بحثنا لإقليم شطايبي إلى كونه منعزل إضافة إلى غياب الإعلام السياحي .

- **زيارة خليج شطايبي :**

جدول رقم (5):زيارة خليج شطايبي :

زيارة خليج شطايبي	التكرار	النسبة %
نعم	34	87.17
لا	05	12.83
المجموع	39	100

نلاحظ من خلال الجدول أن أغلبية أفراد العينة من الذين يعرفون خليج شطايبي قاموا بزيارته وتمثل نسبتهم 87.17 % ،بينما تمثل 12.83 % نسبة الأفراد الذين لم يقوموا بزيارته .هذا ما يؤكد أن إقليم شطايبي غني بالمقومات السياحية التي من شانها أن تستقطب عدد متزايد من السياح.

- **المناطق السياحية المزارة بخليج شطايبي :**

جدول رقم (6):المناطق السياحية المزارة بخليج شطايبي :

المناطق السياحية المزارة بخليج شطايبي	التكرار	النسبة %
الرمال الذهبية	15	13.63
الخليج الغربي	20	18.18
شاطئ رودي	12	10.91
سيدي عكاشة	34	30.92
جبل سيدي يحيا	06	5.46
عين الرومان	20	18.18
أخرى	03	2.72
المجموع	110	100

من خلال الجدول نلاحظ أن المنطقة السياحية الأكثر زيارة من طرف العينة المدروسة هي سيدي عكاشة وذلك بنسبة زيارة قدرها 30.92 % وتليها منطقتي الخليج الغربي وعين الرومان بنسبة 18.18 % على التوالي ،ثم شواطئ الرمال الذهبية بنسبة 13.63% ،وشاطئ رودي بنسبة 10.91 %،في

حين شكلت زيارات أخرى ما نسبته 2.72 % وشملت هذه الزيارات مناطق مختلفة نذكر منها عين دوكارة،جزيرة كاف عمر والمغارات السبع وهذا ما يفسر جمال الشاطئ الساحر.

-أسباب إعجاب عينة الدراسة بالمناطق المزارة

جدول رقم (7): أسباب إعجاب عينة الدراسة بالمناطق المزارة

أسباب إعجاب عينة الدراسة بالمناطق التي مازالت تذكرها	التكرار	النسبة %
جمال الطبيعة الخلاب	34	100
المجموع	34	100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (7) أن السبب وراء إعجاب عينة الدراسة بالمناطق التي مازالت تذكرها واحد وهو جمال الطبيعة الخلاب حيث شكلت نسبتهم 100 %

مما يعني أن الجانب الطبيعي مقوم جد مهم في قطاع شطايبي لذلك يجب الحفاظ على المقومات السياحية الطبيعية فيه من خلال تجنيد كل الوسائل والاستراتيجيات التي تسمح باستغلالها دون إحداث أضرار من شانها أن تهدد بزوالها أو تشوه جمالها .

- مدة الزيارة :

جدول رقم (8):مدة الزيارة

مدة الزيارة	التكرار	النسبة %
يوم	23	67.64
يومين	07	20.58
أسبوع	03	8.83
أخرى	01	2.95
المجموع	34	100

نلاحظ من خلال الجدول أن أغلبية عينة الدراسة التي قامت بزيارة الإقليم دامت مدة زيارتها يوم واحد حيث مثلت نسبتها 67.64 % ، ومثلت 20.58 % نسبة الأفراد الذين دامت زيارتهم يومين ،و 8.83 % دامت مدة زيارتهم أسبوع ،أما الذين أقاموا أكثر من أسبوع فشكلوا نسبة 2.95 % .

تتحكم في مدة الجولات السياحية عدة عوامل أهمها الدخل الشهري للفرد ،توفر وسائل الراحة والبنى التحتية ،مدى إعجاب السياح بالمنطقة المزارة .

- أسباب البقاء ليوم واحد :

الجدول رقم (9):أسباب البقاء ليوم واحد

أسباب البقاء ليوم واحد	التكرار	النسبة %
عدم وجود فنادق	10	43.47
عدمتوفر وسائل الراحة المناسبة	07	30.45
ارتفاع أسعار الكراء	06	26.08
المجموع	23	100

من خلال الجدول نلاحظ بان 43.47 % من الذين دامت زيارتهم يوم واحد فقط بسبب عدم وجود فنادق و 26.08% بسبب ارتفاع أسعار الكراء ،و 30.45 % بسبب عدم توفر وسائل الراحة المناسبة . مما يعني أن توفر المقومات الطبيعية لوحده غير كافي حيث يجب على الحكومات أن تدعمها بالبنى التحتية وتوفر وسائل الراحة المناسبة مع ضرورة أن تكون الأسعار معقولة على الأقل تشجيعا للسياحة الداخلية .

- المشكلات التي صادفت أفراد العينة المدروسة أثناء زيارتهم لشطايبي:

جدول رقم(10):المشكلات التي صادفت أفراد العينة المدروسة أثناء زيارتهم لشطايبي.

المشكلات التي صادفت أفراد العينة المدروسة أثناء زيارتهم لشطايبي	التكرار	النسبة %
عدم وجود فنادق	20	37.03
الحالة السيئة للطرق وحركة المرور	16	29.63
عدم توفر وسائل الراحة المناسبة	15	27.77
ارتفاع أسعار السلع والخدمات	01	1.86
ارتفاع أسعار الكراء	02	3.71
سوء استقبال أهالي المنطقة	00	00
أخرى	00	00
المجموع	54	100

من خلال الجدول رقم (10) نلاحظ أن اكبر مشكل واجه عينة الدراسة هو عدم وجود فنادق وذلك بنسبة37.03 % ثم تليه الحالة السيئة للطرق وحركة المرور وذلك بنسبة 29.63 % ،ثم عدم توفر

وسائل الراحة المناسبة بنسبة 1.86 %،وبعده ارتفاع أسعار الكراء بنسبة 3.71 % وأخيرا ارتفاع أسعار السلع والخدمات بنسبة 1.86 % ، أما مشكل سوء استقبال أهالي المنطقة لم يصادف أي فرد من العينة المدروسة .

- **التفكير في تكرار الزيارة :**

جدول رقم (11):التفكير في تكرار الزيارة

التفكير في تكرار الزيارة	التكرار	النسبة %
نعم	34	100
لا	00	00
المجموع	34	100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (11) أن جميع أفراد العينة الذين زاروا اقلبهم شطايبي يفكرون في تكرير الزيارة مرة أخرى ، حيث تشكل نسبتهم 100 % .

على الرغم من العوائق التي واجهت أفراد العينة الذين قاموا بزيارة الإقليم إلا أنهم يرغبون في العودة وهذا اكبر دليل على سحر الإقليم .

- **الأمن في شطايبي :**

جدول رقم (12) : الأمن في شطايبي

الأمن	التكرار	النسبة %
نعم	32	94.11
لا	02	5.89
المجموع	34	100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (12) أن الأغلبية ترى أن المنطقة آمنة وذلك بنسبة 94.11 % ونسبة5.89 % فقط ترى أنها غير آمنة. حيث كان الجانب الأمني السبب الرئيسي في جعل شواطئ شطايبي شبهمهجورة لسنوات عديدة، لذلك عمدت الجهات المختصة إلى تعزيز التغطية الأمنية على

مستوى المنطقة، وذلك بتوزيع 120 دركيا عبر إقليم البلدية و ضمان التعزيزات الأمنية اللازمة على مستوى الشواطئ السبعة المحروسة و كذا في وسط التجمعات السكانية .[1]

توفر الأمن في شطايبي :

جدول رقم (13): توفر الأمن في شطايبي

توفر الأمن في شطايبي	التكرار	النسبة %
انتشار الدرك الوطني في المنطقة	17	40.47
عدم التعرض لأي نوع من العنف	25	59.53
المجموع	42	100

من خلال الجدول رقم(13) نلاحظ أن 59.53 % ترى أن شطايبي آمنة بسبب عدم تعرضها لأي نوع من العنف، فيما ترى 40.47 % أنها آمنة بسبب انتشار الدرك الوطني فيها .

إن إحساس السائح بالأمن يلعب دور كبير في رغبته في تكرار الزيارة حيث يعتبر الأمن من أهم عوامل الاستقطاب السياحي وهذا ما نلاحظه اليوم في تونس ومصر حيث أن عدد السياح فيهم تقلص لدرجة انه يكاد يكون معدوما ،وفعلا بمجرد زيارة شطايبي نشعر بالجهود الأمنية المبذولة من قبل البلدية والدولة .

- **القدرة على الاتصال في شطايبي :**

جدول رقم (14):القدرة على الاتصال في شطايبي

القدرة على الاتصال في شطايبي	التكرار	النسبة %
نعم	34	100
لا	00	00
المجموع	34	100

نلاحظ من خلال الجدول أن جميع الذين قاموا بزيارة شطايبي لم يجدوا أي صعوبة في الاتصال بذويهم حيث تقدر نسبتهم ب 100 %. لم يواجه عينة بحثنا أي مشكل في الاتصال بذويهم حيث يستعمل اغلب الزائرين لشطايبي هواتفهم النقالة وذلك دليل على توفر الشبكات ،بالإضافة إلى توفر اللاسلكي .

[1]- www.annasronline.com

– التغييرات التي يمكن إدخالها على السياحة في منطقة شطايبي :

جدول رقم (15):التغييرات التي يمكن إدخالها على السياحة في منطقة شطايبي

التغييرات التي يمكن إدخالها على السياحة في منطقة شطايبي	التكرار	النسبة %
بناء فنادق	25	17.00
توفير المياه	13	8.84
تحسين الطرقات	21	14.29
توفير الطاقة	04	2.72
توعية الأهالي بأهمية منطقتهم السياحية	07	4.76
اهتمام الجماعات المحلية بها من خلال :		
الإعلام	60	40.81
التنسيق مع الوكالات السياحية	08	5.45
تشجيع المخيمات الصيفية	09	6.13
أخرى	00	00
المجموع	147	100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (15) أن 17% اقترحوا بناء الفنادق ،و 8.84% اقترحوا توفير المياهو 14.29% اقترحوا تحسين الطرقات ،و اقترح % 2.72 توفير الطاقة ، واقترح 4.76% توعية الأهالي بأهمية منطقتهم السياحية في حين اقترح 40.81% اهتمام الجماعات المحلية بها من خلال الإعلام و 5.45% التنسيق مع الوكالات السياحية و اقترح 6.13% تشجيع المخيمات الصيفية .

خلاصة واستنتاجات:

يُمكن القول في الأخير أن إقليم شطايبي يتوفر على مقومات سياحية مهمة جدا،خاصة الطبيعية منها، إلا أن ما تجدر الإشارة إليه، هو أن المقومات وحدها لا تشكل عاملا وحيدا للجذب السياحي وخير دليل على ذلك المشاكل التي تتخبط فيها السياحة في الإقليم .أما أهم **النتائج المُتوصل إليها من خلال هذه الدراسة فتتمثل في :**

- بالنسبة للمنتوج السياحي و المتمثل في الموارد التاريخية والثقافية و الدينية والطبيعية فهو منتوج متميز ونال إعجاب السياح الوافدين و هو قادر على المنافسة إذا توفرت الخدمات السياحية المُكملة و توفرت العناية اللازمة .

- هناك إهمال للمنتوج السياحي من طرف القائمين عليه ويتمثل هذا الإهمال في :
  - انتشار النفايات مع بداية الدخول إلى منطقة شطايبي وحتى في وسط الإقليم والأماكن الحساسة (بالقرب من منطقة الشهداء) التي تُعبر عن تاريخ المنطقة النضالي مما يعطي انطباعا سلبيا لدى السياح .
  - بالنسبة للخدمات السياحية المكملة، والمتمثلة في خدمات الإيواء والإطعام فقد تميزت بندرتها إضافة إلى ارتفاع أسعارها .
  - بالنسبة لخدما ت النقل ، نقص واضح في وسائل النقل خاصة في المساء وهو وضع لا يشجع على جذب السياح .
  - نقص القوارب التي تسمح بالتجوال داخل البحر، علما أن بعض الروائع السياحية مثل المغارات السبع لا يمكن التعرف عليها إلا من خلال القيام بجولة بواسطة القارب .
- الطلب السياحي على شطايبي يتميز بالموسمية فالحركة السياحية تكثر خلال فصل الصيف وتنقص في الفصول الأخرى ، أما عدد السياح الأجانب فهو ضئيل جدا مقارنة مع عدد السياح المحليين على الرغم من أن هذا الخليج معروف عالميا وكان قبلة السواح الأوروبيين حتى الثمانينات.

كتوصيات يمكن القول:

- إعادة تجديد الطريق الذي يربط البهلول وغدير الزان وطوله 4 كم .
- إنجاز طريق لفك الضغط على الطريق الوحيد الذي يربط شطايبي برحال ، الطريق يمتد من الرومان إلى عيلاني مرورا بمنطقة العوارف طوله 3 كم .
- حتى ترتقي شطايبي سياحيا لابد من توفير المياه الصالحة للشرب لذلك نقترح إنجاز سد مائي .
- تزويد المنطقة بغاز المدينة و الذي يُعتبر من أكبر المشاكل التي تؤرق سكان شطايبي .
- ربط شطايبي بعنابة عن طريق الساحل (63 كم من شطايبي إلى عنابة غربا) .
- العمل على التعريف بمقومات شطايبي السياحية محليا و دوليا بواسطة وسائل الإعلام المختلفة (الإذاعة ، الصحف ، التلفزيون ، الانترنيت).
- التعريف بالثقافة المحلية لسكان شطايبي عن طريق التظاهرات الثقافية المحلية و الدولية .

قائمة المراجع باللغة العربية:

1- الكتب

- سعد إبراهيم حمد، **تخطيط وتنمية خدمات السياحة الدينية وأثرها في نمو الطلب السياحي في محافظة نينوى**، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد – العراق– ،2008.
- فؤادة البكري، **الإعلام السياحي** ، دار نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، 2001 .
- مصطفى عبد القادر، **دور الإعلان في التسويق السياحي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2003 .
- هدى سيف لطيف، **السياحة النظرية والتطبيق** ،الشركة العربية للنشر والتوزيع ،القاهرة 1994.
- يسرى دعبس، **صناعة السياحة بين النظرية والتطبيق**، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، ط1 ،مصر،2003.

ثانيا: المراجع باللغة الفرنسية

-M-C.Ameur , « Algérie Objectif Tourisme » **Investir Magazine** N ° 37 /Mars –Avril 2011.
-Tourisme Magazine , N ° 23 /Mars –Avril 2010, « Découverte De Nouveaux Sites Archéologiques ».(article non signé).

-Européennes, Genève R .Christine, **Le Tourisme**, Publication Universitaires d'études 1985.

-Marc Laplante, **L'échiquier Touristique Québécois**, Presse De L'université Du Québec,2003
- Direction De L'urbanisme Et De La Construction De La Commune De Chetaibi.

ثالثا : مواقع الانترنيت

-www.annasronline.com

القرصنة من منظور فقهاء العهد الحفصيّ: بين شرعيّة الجهاد وتفوّق المصالح.

د/ هشام صمايري، جامعة قفصة (تونس)

ملخص :

حاولنا في هذا المقالة دراسة المواقف التي جادت بها النخب الفقهية المالكية حول مسألة القرصنة والحملات المسيحية التي استهدفت الجزر والمناطق الساحلية بإفريقية خلال الفترة الحفصية، هذه الحملات التي كانت تتميز بدوافعها الدينية ومشاريعها التوسعية، قد أخذت شكلا تصاعديا منذ تأكد التفوق الأوربي في البحر مع بداية القرن السابع الهجري وأدّت في النهاية إلى سقوط المنطقة في شرك الاستعمار الإسباني سنة 1535 م.

Résumé :

Cet article propose un réexamen des textes jurisprudentiel malikite concernant les expéditions et le piratage «chrétiens» contre les îles et les régions côtières d'Ifriqiya. Ces attaques quise différencient nettement, par leur caractère officiel et leur but principalement religieux et expansionnisme,se situent entre deux événements connus par ailleurs (la conquête de l'ile de Djerba en 1284et la conquête de Tunis en 1535) qui semblent en rapport avec leur début et leur fin.

مقدمة:

مثّلت القرصنة على ما وسمته لنا مختلف المصادر والوثائق الدبلوماسية[1]،صفحة من الصّفحات العنيفة الّتي شهدتها العلاقات بين ضفّتي البحر الأبيض المتوسّط وكان لها دور كبير فيتبدّل المسالك التّجارية وانتقال فضاءاتها من العالم القديم إلى العالم الجديد.ونحن نجد عند الباحثين الّذين اهتمّوا بهذه المسألة اختلافا في تفسير دوافع عمليّات القرصنة ونتائجها. حيث نظر إليها البعض على أنّها إحدى أهمّ مظاهر التّنافس والصّراعبين الغرب المسيحيّ والغرب الإسلاميّ،وأنّ نتائجها كانت وخيمة على المبادلات التّجارية

---

[1] ساهم كل من روبار برانشفيك(R. Brunschvig) وشارل إيمانويل ديفورك(Ch. E. Dufourcq)، وكذلك عمر سعيدان، مساهمة هامة في نشر عدد من الوثائق الدّبلوماسيّة وفي دارسة علاقة الدّولة الحفصيّة وبلاد المغرب عامة بأراغون وإسبانيا القطلانيّة. يمكن العودة إلى القائمة البيبليوغرافية التّالية: برانشفيك، **تاريخ إفريقيّة في العهد الحفصيّ: من القرن 13 إلى نهاية القرن 15**، نقله إلي العربيّة حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1988؛ سعيدان (عمر)، **علائق الحفصيّين ببلاط أراغون في عهد جاكمو الثاني**، مؤسّسة سعيدان للطّباعة والنّشر، سوسة 1985.

DUFOURCQ Ch. E., *L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIIIe et XVe siècles*, Paris, 1966. ; Brunschvig (R.), « Documents inédit sur les relations entre la couronne d'Aragon et la Berbèreie orientale au XIVe s », *Annales de l'institut d'Etudes Orientales*, T.II, 1936. p. 235 – 265. ; DUFOURCQ Ch. E., « Documents inédit sur la politique ifrikienne de la couronne d'Aragon », *Analecta sacra Tarraconensia*, vol XXV, 1954, p. 255- 291.

في المتوسّط[1]، في حين ذهب البعض الآخر إلى إبراز شرعيّة هذا النّوع من الحروب، وعمدوا إلى التفريق بين اللّصوصيّة البحريّة Piraterie والقرصنة المنظّمة، الّتي كانت تعتمد على ضوابط خاصّة، وقوانين لا يمكن الخروج عنها أبدا[2].

لكنّ الواقع أنّ القرصنة، سواء كانت منظّمة أو فوضويّة، قد أصبحت تعتبر إحدى أنجع وسائل الضّغط السّياسيّ والعسكريّ، بحكم أن الغلبة سوف تكون حتما لمن يملك الأساطيل القويّة ويقدر على تجهيز السّفن لغزو السواحل والاستيلاء على الغنائم البشريّة والماديّة. وخلال الفترة الممتدّة من القرن السّابع والتّاسع الهجريّ/ 13 و15م، بدأت مميّزات عصر النّهضة تتبلور بشكل ملموس على الضّفّة الشّماليّة للمتوسّط، خصوصا بعد أن ترسّخت فيها الرأسماليّة التّجاريّة وتطوّرت الرّؤى الفكريّة والممارسات السّياسيّة لدى نخبها. كما أنّ تتابع الاختراعات التّقنية مثل انتشار استعمال البارود، وتطوّر تقنيات الملاحة البحريّة والصّناعية، جعلت الغرب المسيحيّ يتحفّز لتجاوز حدوده الجغرافيّة المعهودة ورسم خطّته التّوسّعية، تلك الّتي لم يكن لها أن تستثني الأعداء التّقليديّين الموجودين على الضّفّة المقابلة للمتوسّط. واعتبارا لكلّ هذه المعطيات فإننا نتّفق تماما مع الملاحظات الصّائبة الّتي أثارتها بعض الأبحاث التّاريخيّة، والّتي تشير إلى أنّ أهداف القرصنة لم تعد تقتصر خلال هذه الفترة على البحث عن منافع ماديّة واقتصاديّة فحسب، وإنّما يبدو أن فكرة الاحتلال أصبحت واردة مع ازدياد استهداف السّواحل المغربيّة وتأكّد دوافعها الدينيّة والتوسّعيّة[3].

وأثناء هذه التّهديدات الأمنيّة الصّريحة، وتحوّل إفريقيّة إلى خطّ الصّدام الأوّل بالنسبة للغرب المسيحيّ، يظلّ موقف الفقهاء غير واضح بالجملة ويلفّه بعض الغموض، ولعله أشد غموضا بالمقارنة مع المشاغل والقضايا الأخرى المطروحة في ذلك العصر على أرباب السّلطة والرّعايا، بما فيها مسألة الأعراب

---

[1] Guichard P., « Les débuts de la piraterie andalouse en Méditerranée occidentale (798-813) », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, N°35, 1983. pp. 55-76. Michel Fontenay,« La place de la course dans l'économie portuaire : l'exemple de Malte et des ports barbaresques », *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*. 43e année, N. 6, 1988. pp. 1321-1347.

[2]Braudel (F), *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*, Armand colin, Paris 1979, T. 2, p. 191. ; Valérian (D.) *Bougie port maghrébin* (1067 – 1510), Ecole Française de Rome, 2006, p 421. ; Pellat (Ch).,Imber (C.H)Kelly (J.B), « Ḳurṣān », E. I, Leiden E. J BRILL, 1986, T. 5, p.502 – 508. ;Michel Mollat, « De la piraterie sauvage à la course réglementée (XIVe- XVe siècle) », *Mélanges de l'Ecole française de Rome. Moyen-Age, Temps modernes* T. 87, N°1. 1975. pp. 7-25. ; Durand (L), *Pirates et Barbaresques en Méditerranée*, Histoire de Sud, Aubanel, 1975, p. 12.

[3]أعلن الأميرال Roger de Lauria رسميّا أنّ القطع ضدّ المسلمين واجب مقدّس لا يمكن التّخلّص منه أبدا. أنظر
DUFOURCQ Ch. E., *L'Espagne catalane et le Maghreb*, p. 429.

المحاربين، ومسألة الأوبئة والطّواعين، وغيرها من المواضيع المصيريّة المطروحة في الفترة الحفصية[1]، لذلك يحاول هذا العمل إعادة النّبش في المصادر الفقهيّة والنّوازليّة لاستخراج أهمّ المواقف والآراء الّتي لها علاقة بالقطع البحريّ والقرصنة وقراءتها في إطارها التّاريخيّ والظّروف الّتي ساهمت في صياغتها.

فما مدى وعي النّخب العالمة بالتّحوّلات الّتي تشهدها المرحلة؟ وهل ولّدت لديها، الضّغوط والاستفزازات المتزايدة للضّفّة المقابلة للتوسّط، أيّ شعور بالتّجاوز؟ أم أنّهم حاولوا فقط مسايرة الوضع وإيجاد حلول تراعي الأوضاع السّياسية والمصالح الاقتصاديّة للدّولة الحفصيّة؟

إنّ الإجابة عن هذه التّساؤلات تقتضي منّا قبل ذلك الوقوف بعض الشّيء عند المرحلة التّاريخيّة الّتي عاشها الغرب الإسلاميّ عامة وإفريقيّة خصوصا، وذلك قصد تحديد مميّزات هذا الإطار واستعادة مسلسل الأحداث الّذي يبدو أنّه قد لعب دورا أساسيّا في تحديد أو على الأقلّبلورة مجمل الآراء والمواقف الّتي جاد بها الفقهاء حول مسألة القرصنة والقطع البحريّ والعلاقات بين الغرب الإسلاميّ والغرب المسيحيّ.

واقع القرصنة في الحوض الغربيّ للمتوسّط :

ظهرت عمليّات القطع والقرصنة البحريّة في الحوض الغربيّ للمتوسّط منذ العصور القديمة ،فقد كانت تتعاطاها الشّعوب والأفراد ومجموعات المغامرين الباحثين عن الرّبح وجمع المال. ثمّ أصبحت فيما بعد موضوع تشريع وتنظيم ومراقبة من قبل ذوي السّلطة والنّفوذ على اختلاف مواقعهم، من ملوك وسلاطين ورسل وسفراء. ورغم ما شهدته العلاقات الدّوليّة من تطوّر في نظم المراقبة والتّحكّم في سلامة الحركة التّجارية، فقد ظلّت القرصنة متواجدة في المتوسّط، تتأثّر بسير الأحداث، وتتحكّم فيها طبيعة العلاقات الدّوليّة والدّبلوماسيّة. ولم تتوقّف إلاّ بعد التّحوّلات الّتي عرفتها المنظومة التّجاريّة، وتبدّل مسالكها وانتقال فضاءاتها من العالم المتوسّطيّ إلى العالم الجديد، مع انبلاج فجر العصور الحديثة وبداية النّهضة الأوروبيّة.

ولعلّ الإطار الّذي سمح للقرصنة بالازدهار والانتشار خارج بوتقة جماعات البحّارة المغامرين، هو الصّراع المسيحيّ الإسلاميّ المتزايد في الحوض الغربيّ للمتوسّط بعد القرن الخامس الهجريّ/ 11م.[2]

---

[1] أنظر حول موقف الفقهاء من حرابة البدو ومن الأوبئة والطواعين: غراب (سعد)، **ابن عرفة والمنزع العقلي**، الدّار التّونسية للنّشر، تونس 1993، ص 201.؛ حسن (محمد)،**المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، منشورات كلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، تونس 1999، ج 2، ص 603 – 694.

[2] لابدّ من الإشارة إلى أن القرصنة لم تكن تستهدف العالم الإسلاميّ فقط بل كانت تستعمل أيضا في الصّراعات القائمة بين الممالك المسيحيّة خلال الفترة الوسيطة، فكم من حروب اندلعت بين بيزا وجنوة، وكم من معارك دارت بين البندقيّة وجنوة في السّواحل الأوروبيّة أو في موانئ افريقيّة خلال الفترة موضوع الدّراسة كان سببها المنافسة أو السّعي إلى تحقيق أهداف تجاريّة وحتّى عسكريّة في المنطقة. أنظر :

حيث اكتشفت السّلط فاعليّة هذه المؤسّسة وحيويّتها سواء للضّغط أو للحرب، فلم تتوان عن استعمالها تنظيما وهيكلة لصالح أهدافهم العسكريّة والاقتصاديّة،لذلك نرى أنّ الغرب المسيحيّ تبنّاها بشكل يكاد يكون كلّيّا منذ تأكّد تفوّقه البحريّ والعسكريّ وتطلّعه نحو التّوسّع خارج حدوده، في حين استعملتها السّلطات الإسلاميّة تحت شعار المعاملة بالمثل أو ربّما كعامل قوّة من أجل التّصدّي لتعدّيات القوى الغربيّة وحماية مصالحها التّجارية في المتوسّط.

فمنذ الازدهار الّذي شهدته القوّة التّجاريّة والعسكريّة الأراغونيّة ونجاحها في التّوسّع داخل إسبانيا وفي أهمّ جزر الحوض الغربيّ للمتوسّط زمن الملك "جيمس الأول"(1208 – 1276 م)، انطلقت محاولات الهيمنة السّياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة نحو إفريقيّة الّتي كانت تعتبر بدورها موقعا استراتيجيّا وسوقا هامّة لتجارة الذّهب القادم من البلدان المجاورة ومن إفريقيا الغربيّة[1].حيث حرص هذا الملك الذي لقّب بالغازي Le Conquérant، على تركيز حضوره في المنطقة، وعلى ربط علاقات مع الدّولة الحفصيّة بغاية الحصول على امتيازات تجاريّة لفائدة رعاياه ولخزينة دولته،وذلك عبر حياكة نسيج دبلوماسيّ معقّد يرتكز على الوعود والتّهديد والابتزاز[2]. كما استغلّت مملكة أراغون حالة الضّعف والانقسامات الدّاخليّة الّتي كانت تمرّ بها الدّولة الحفصيّة، على إثر وفاة المستنصر بالله الحفصيّ سنة 675 هـ/ 1277 م، لمزيد بسط نفوذها على إفريقيّة فتكشف بذلك عن تطلّعاتها وأطماعها التّوسعيّة الّتي كانت تستهدف السّيطرة على أهمّ الجزر وعلى كافّة المسالك التّجاريّة للمتوسّط.

ولعلّ من أبرز المؤشّرات الدّالّة على هذا الواقع الّذي عرفته الضّفّة الجنوبيّة للمتوسّط هو تمكّن الأميرال Roger de Lauria، قائد الأسطول القطلاني، من احتلال جزيرتي جربة وقرقنة في الفترة الممتدّة بين 683/ 1284 و689 / 1290، ومن القيام بعمليّات قطع وغزو استهدفت كافّة السّواحل الموجودة في

برانشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصيّ: من القرن 13 إلى نهاية القرن 15**، نقله إلي العربيّة حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1988. ج 1 ، صص. 83 – 115.

[1] بحلول النّصف الثّاني من القرن 6 هـ/ 13 م. توجّه الأراغونيّون نحو الشّرق عبر التّوسع السّياسيّ في صقلّية وغيرها من مناطق الحوض الغربيّ للمتوسّط. وقد رأىأراغون نفسهفي موقع قوة بالنّسبة للأراضي الحفصيّة وهو ما جعله يطالب بامتيازات لتجّار بلاده وخزينته الخاصّة، أكثر ممّا كان متاحا للمجموعات التّجارية الأوروبيّة الأخرى.أنظر:كونستابل (أوليفيا ريمي)، **إسكان الغريب في العالم المتوسّطي، السّكن والتّجارة والرّحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط**، تعريب وتقديم محمّد الطّاهر المنصوري، مراجعة محمّد ياسين الصيد، دار المدار الإسلاميّ، بيروت 2013. ص.206

[2] قد تواصلت هذه السّياسة مع خلفاء جيمس الأول، خاصّة منهم بطرس الثّالث (1276 – 1285 م) وألفونس الثّالث (1285 – 1291 م) وجيمس الثّاني (1291 – 1327 م) وغيرهم من الّذين كانوا مهتمّين بالشّأن الدّاخليّ للسّلطنة الحفصيّة، ومصرّين على استكمال الخطّة الّتي كان قد رسمها أسلافهم من قبلهم أنظر : كونستابل (أوليفيا ريمي)، **إسكان الغريب**،صص. 201 – 202.

الواجهة الشّرقيّة والشّمالية لإفريقيّة[1]. ولم تستثن هذه الحملات المناطق البعيدة عن مركز السّلطة الحفصيّة، حيث قام الأميرال الجنوي فيليبس دوريّا، سنة 756 هـ/ 1355 م، بالاستيلاء عنوة على طرابلس وإخضاعها لعمليّة نهب وسلب دامت، حسب المصادر، مدّة أربعة أشهر قُتل خلالها المغيرون الرّجال والنّساء، وأُلقي القبض على آلاف الأسرى الّذين وقع اقتيادهم إلى جزر المتوسّط لبيعهم كعبيد[2].

ويبدو أن الحملات الرّسميّة لم تكن أكثر امتدادا واستفزازا ممّا كانت عليه القرصنة الأوروبيّة بالسّواحل المغربيّة من قبل، فقد تكثّفت العمليّات البحريّة الّتي يقوم بها رعايا الأراغونيّين والقطلانيّين بشكل مبكّر بالمرافئ الجنوبيّة للمتوسّط.وتكفي العودة إلى الأدبيّات الّتي خلّفها الأرشيف الدّبلوماسيّ للاستدلال على كثافة هذه العمليّات، والتّأكيد على الصّعوبات الجمّة الّتي كابدتها السّلطة الحفصيّة قصد معالجتها وتجاوز مخلّفاتها على مصالحها التّجارية.حيث تتالت الرّسائل الاحتجاجيّة الّتي عبّر فيها السّلطان الحفصي لنضيره الاسبانيّ عن استنكاره للهجومات الّتي كان يقوم بها رعاياه ضدّ مراكب المسلمين رغم المعاهدات الممضاة بين الطّرفين[3].

وإجمالا، فقد تميّزت الحقبة الممتدّة بين نهاية القرن السّابع الهجريّ وأواسط الثّامن الهجريّ/ 13 و14 م، ببروز وهيمنة مملكة أراغون على التّجارة الإفريقيّة من جهة، وازدياد عمليّات القرصنة الّتي تقوم بها بحريّتها من جهة ثانية.وهو ما كانله دور كبير في جعل السّلاطين الحفصيّين يقدّمون العديد من التّنازلات والامتيازات الهامّة لفائدة ملوك الجمهوريّات الأوربيّة.حيث أبرم أبو حفص عمر (684 – 709 / 1294 – 1309) معاهدة بانيسار Pannissar الّتي منحت امتيازات عديدة للقطلونيّين والصّقليّين، أهمّها دفع جباية أو إتاوة سنويّة (قدّرت بـ 17500 أوقيّة من الذّهب) لفائدة ملك أراغون، وإقامة فنادق لتجّارهم في كلّ موانئ إفريقيّة، إضافة إلى تعيين قائد إسبانيّ للعلوج بمدينة تونس. وقد بلغ التّغلغل القطلانيّ مداه، لمّا حاول أراغون نشر الدّين المسيحيّ في البلاط الحفصيّ عن طريق القسّيس، ريمون دي لول R. De Lull الّذي حلّ بمدينة تونس لهذا الغرض في مناسبتين: الأولى سنة 1313 م، والثّانية سنة 1315 م[4].

---

[1]DUFOURCQ Ch. E., *L'Espagne catalane et le Maghreb*, p. 429.

وقد ساق ابن ناجي أثناء ترجمته للشّيخ أبي علي سالم القديدي، بعض المعلومات عن هذه الأحداث الّتي ظلّت عالقة لزمن طويل بالذّاكرة الجماعيّة لأهالي السّاحل والقيروان. أنظر ابن ناجي، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق محمّد المجدوب وعبد العزيز المجدوب، المكتبة العتيقة، تونس د. ت.، ج. 4، ص 58.

[2]الزّركشي، **تاريخ الدّولتين الموحّدية والحفصيّة**، تحقيق محمّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس 1966، ص 94.؛ ابن حجر العسقلاني،**الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة**، تحقيق محمّد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثّانية، الهند، 1972. ج 2، ص 76.

[3]تشير إحدى الرّسائل الدّبلوماسيّة إلى التّشجيع الّذي كان يقوم به الملك جيمس الثّاني على القيام بعمليات القرصنة ضدّ إفريقيّة وبلاد المغرب رغم معاهدات الصّلح الّتي كانت قد عقدت بين الطرفين: " أنظر سعيدان (عمر)، **علائق الحفصيّين ببلاط أراغون**. صص. 58 – 60.

[4]أنظر : برانشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصيّ**، ج 1 ، ص 98 وص 491.

على أنّ هذه الحقيقة لا تنفي مع ذلك ربط الحسم النّهائيّ على أرض الواقع بالوضع الدّاخليّ للدّولة الحفصيّة. ونحن نتّفق تماما مع التّصور الّذي قدّمه"عمر سعيدان"والّذي يرى أنّ دولة أراغون سوف لن تجني من سياستها تلك كلّ ما أمِلتْه من امتيازات بإفريقيّة، وأنّها لم تنجح في بسط نفوذها على الدّولة الحفصيّة لأسباب متّصلة بالسّياسة الإسبانيّة ذاتها، وتنافسها مع دولتي ميورقة وصقلّية في المتوسّط، مع قدرة المخزن الحفصيّ على استغلال كلّ هذه التناقضات والتّنافس والاستفادة منها لصالحه[1].لذلك فرغم الحملة الّتي قام بها ملك أراغون ضدّ جزيرة جربة سنة 1388/786، وحصار المهديّة بعد ذلك بستّ سنوات، فإنّه لم يتمكّن من بلوغ أهدافه الاقتصاديّة والعسكريّة المنشودة بالمنطقة خصوصا بعد اعتلاء السّلطان أبي العبّاس أحمد عرش السّلطنة سنة 772 هـ/ 1370 م.

حيث تمكّن هذا الأخير، بعد تجاوز الأخطار الدّاخليّة، من إعطاء دفع جديد لمركزه الدّوليّ، وأن يبرهن على استعداده لفرض شروطه على المبادلات التّجاريّة وعلاقاته الدّبلوماسيّة، فرفض الرّضوخ للضّريبة التّي كان يدفعها أسلافه إلى ملوك صقلّية وأراغون، وقام بإيلاء أهمية كبرى لأسطوله التّجاريّ. ولم يقتصر هذا الدّفع فقط على الجانب السياسيّ والاقتصاديّ، بل كان مرفوقا – كما اتّفق على ذلك جلّ الباحثين–بتكثيف النّشاط البحريّ للقراصنة الأفارقة، وذلك استنادا على الشّهادة الّتي قدمها ابن خلدون:"تنبّهت عزائم كثير من المسلمين بسواحل إفريقيّة لغزو بلادهم، وشرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة"[2].

وهكذا فإنّ العمل الّذي قام به السّلطان أبو العبّاس أحمد هو الّذي أعاد تشكيل موازين القوى بالمنقطة، خصوصا بعد أن نجح في استئصال شأفة الأعراب، وقمع كل الانتفاضات الدّاخلية، ثمّ استطاع في مرحلة ثانية التّصدّي للتّوسّع القطلانيّ في المتوسّط عن طريق عمليّات القطع البحريّ الّذي كانت بجاية تلعب فيه دور الرّيادة، بفضل تقاليدها السّابقة في القرصنة وأسطولها الهامّ المخصّص لهذا الغرض[3].

وتواصلت هذه السّياسة في عهد أبي فارس عبد العزيز (796 – 837 / 1384 – 1433)، حيث أصبحت أساطيل القرصنة البجائية تجوب المتوسّط الغربيّ طولا وعرضا، وتضرب المصالح التّجاريّة للدول الأوروبية، ثم بدأت تُقلق راحة الإسبان الإيطاليّين في عقر دارهم، ومصداق ذلك تعرّض توريبلنكا

---

[1] سعيدان (عمر)، **م.س.**، ص 28.

[2] ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 2000 ج. 6 ص. 578.؛ أنظر أيضا الغبريني، **عنوان الدّراية فيمن عرف من علماء في المائة السّابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979. ص. 45.

[3] **نفس المصدر**، ج. 6 ص. 578.

Toriblanca، الواقعة في مملكة بلنسية، سنة 799 / 1397، وليقوريا Liguria، الواقعة قرب مدينة جنوة، إلى غارات بجائيّة وقع فيها عدد من السّكان في الأسر[1].

ويبدو أن عمليّات القرصنة الإفريقيّة لم تقتصر فقط على ميناء بجاية، فقد عُرف سكّان جزيرة جربة بدورهم بأنّهم غزاة في البحر بشهادة عدد من الرّحّالة والمؤرّخين كالبكري (القرن الخامس الهجري/ 11 م)، الّذي وصف أهلها بأنهم "مفسدون في البرّ والبحر"[2]، وابن الأثير (القرن السّابع الهجري/ 13 م) الّذي قال فيهم أنّهم: "يقطعون الطّريق ويأخذون التّجّار"[3]، والتّجاني (القرن الثّامن الهجريّ/ 14 م) الّذي اعتبرها من أعظم الجزائر خطرا[4]، وبرّر أحد المؤرّخين الإباضيّين ما يفعلونه بأنّه "دفاع عن النفس والأعراض..."[5].

ويبدو أنّ المهديّة قد تحوّلت بدورها إلى مركز لتعمير السّفن والقيام بعمليّات قطع في المتوسّط. ويكفي دليلا على ذلك تعرّضها لحملة تأديبيّة تحت رعاية الكنيسة سنة 792 / 1390 م[6]. لذلك فإنّ هذه الظّاهرة، تطوّرت خلال هذه المرحلة بالذات،حيث تحولت بجاية وأغلب المدن السّاحليّة على ما يبدو إلى مكان لخروج الغزاة ومواجهة القراصنة الأوروبيّين، كما لعبت دورا كبيرا في تخفيف الضّربات المسيحيّة، الّتي كان البعض منها خارجا عن نفوذ الدّويلات الإيطاليّة والسّلطات الإسبانيّة والفرنسيّة، إلا أنّها لا تخرج عن نطاق حروب الاسترداد الّتي تستهدف إفريقيّة وتتحيّن فترات الضّعف الدّاخليّ لتحقق أكثر ما يمكن من أهدافها.

بالتالي قد ظلّت الأخطار القادمة من المتوسّط تدفع أهل إفريقيّة إلى التّوحّد لمجابهة الخطر النّصرانيّ وحفظ التّفوّق البحريّ لصالحهم. وكانت التّدابير السّلطانيّة أيضا واضحة في هذا المجال من خلال المجهودات الّتي قام بها كلّ من، أبي فارس عبد العزيز وأبي عمرو عثمان،لإعادة بناء الدّولة وتوحيد المقاطعات المنشقّة عنها في الأطراف. هذا بالإضافة إلى ما شهدته تلك الحقبة من إعادة تدعيم التّحصينات البحريّة واستعمال البارود على نطاق واسع،مما ساعد على الصّمود أمام الهجومات المتكرّرة من قبل النّصارى، وعلى إحراز بعض الانتصارات في المهديّة وصقلّيّة[7].

---

[1] بعيزيق (صالح)، **بجاية في العهد الحفصيّ: دراسة اقتصاديّة واجتماعيّة**، منشورات كلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، تونس 2006. ص 292.

[2] البكري، **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1992. ج.2 ص. 668.

[3] ابن الأثير، **الكامل في التّاريخ**، تحقيق، عمر عبد السّلام التّدمري، دار الكتاب العربيّ، بيروت 1997. ج. 8 ص. 610.

[4] التّجاني، **الرّحلة**، قدّم لها، حسن حسني عبد الوهّاب، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 1981 ص. 121

[5] عليّ (معمر يحيى)، **الإباضيّة في موكب التاريخ**، رسالة ماجستير في التّاريخ الحديث، جامعة تونس، 2005 – 2006 ص. 223.

[6] ابن خلدون،**العبر**، ج. 6 ص. 403.؛ الزّركشي، **تاريخ**، ص. 116.

[7] حسن (محمد)، **أوج العصر الحفصيّ**، ص 105 – 131.

لكنّ هذه التّطوّرات السّياسيّة والعسكريّة الّتي ساهمت في استرجاع بعض الأنفة على حدّ تعبير أحد الدّارسين، لم تكن قادرة على إيقاف طموحات المتربّصين والمتطلّعين شمال المتوسّط[1].حيث تواصلت عمليّات التّحرّش،الّتي كانت تتعرّض لها سواحل إفريقيّة خلال القرن التّاسع الهجريّ/ 15 م، بنفس الوتيرة، رغم المجهودات الدّبلوماسيّة الجبّارة لتأمين الموانئ وتسهيل عمليّة التّبادل التّجاريّ[2].كما أنّ النّزاعات الّتي احتدمت بين مختلف الكيانات المتناحرة على السّلطة في تونس على إثر وفاة السّلطان، أبي عمرو عثمان، لم تتح للمنطقة ظروف السّلم والاستقرار. ومن البديهيّ أن تتدهور الأوضاع من جديد، وتصبح إفريقيّة نهبا للقوى الكبرى المتنافسة في المتوسّط. وأكبر دليل على ذلك هو العنف الّذي أصبحت عليه القرصنة والمواجهات العسكريّة بين الإسبان والعثمانيّين وما نتج عنها من احتلال بجاية سنة 1510 م، وتونس سنة 1535 م، وفرض معاهدة مخزية على السّلطان الحفصيّ، تضمّنت عدّة بنود أهمّها: تحرير العبيد النّصارى بالمملكة، وحماية الكنائس والدّيانة المسيحيّة، وتسليم أغلب القلاع السّاحلية، إضافة إلى منح صلاحيّات واسعة للقنصل الإسبانيّ للبتّ في المسائل التّجاريّة والتّصدّي للغزو البحريّ المعادي لمصالحها في المتوسّط[3].

ومن خلال هذا الطّرح السّريع لتطوّر مجريات الأحداث الّتي شهدتها العلاقات بين إفريقيّة والقوى المتوسّطيّة خلال ما يقارب الثّلاث قرون، وما آلت إليه الأمور من التّدخّل الأجنبيّ المباشر في تونس، فإنّنا سوف نحاول القيام بدراسة المواقف الفقهيّة الّتي سادت خلال الفترة الحفصيّة، استنادا على ما ورد في كتب الفتاوى والنّوازل في هذا الموضوع.

---

[1] برنشفيك، **تاريخ**، ج. 1 ص. 261 – 279.؛ العجيلي (حامد)، **العبد والأسير في افريقيّة من منتصف القرن الرّابع عشر إلى نهاية القرن السّادس عشر**، كلّية العلوم الإنسانيّة 2011. ص. 70.

[2] عمد أبو عمر عثمان خلال فترة حكمه إلى اختيار الوسيلة الدّبلوماسيّة لتأمين حركة التّجّار الأجانب نحو إفريقيّة، فقام بإبرام العديد من المعاهدات مع الدّول الغربيّة : مع البندقية (سنوات 841 – 842 هـ/ 1438 و 860 – 861 هـ/ 1456 م)، أراغون (سنة 843 – 844 هـ/ 1440 م) جنوة (سنوات 843 – 844 هـ/ 1440 و 869 هـ/ 1465 م) فلورانس (848 – 849 هـ/ 1445 م و 864 – 865 هـ/ 1460 م). أنظر في هذا الشأن: برانشفيك، **تاريخ إفريقية**، ج 1، ص 276 – 404؛ بعيزيق، **بجاية في العهد الحفصيّ**، ص 290.

أنظر حول عمليّات القرصنة الّتي تعرض لها ميناء تونس في نفس الفترة: الزّركشي، **تاريخ الدّولتين**، صص.. 56 – 75 – 129. عبد الله التّرجمان، **تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصّليب**، دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الدّاعوق، دار البشائر الإسلاميّة، ص. 77.؛ الرّاشدي، **ابتسام الغروس ووشي الطّروس**، طبعة حجرية، مطبعة الدّولة التّونسيّة، 1303 هـ.، صص. 422 – 423.

Brunschvig (R), *Deux récitsde voyageinédits en Afrique*du Nord au XVe siècle : Abdalbasit B. Halil et Adorne, Larose , Paris 1936. pp. 60 – 61.

[3] برانشفيك، **م.س.**، ص 310.؛ حسن (محمّد)، **أوج العصر الحفصيّ**، ص 142.

الجهاد البحريّ بين التّصوّر المالكيّ وإملاءات الواقع:

إن أوّل ما يمكن أن يلاحظه الباحث على ضوء ما تقدّم، هو أنّ عمليّات القرصنة كانت حاضرة على المستويين الرّسميّ والشّعبيّ على السواء. فعلى الصّعيد الرّسمي، وظّفت الدّولة الحفصيّة القرصنة كعامل قوّة للتّصدّي للخطر النّصرانيّ المنبعث من الضّفّة الشّماليّة للمتوسّط. وحسبنا أن رئيس البحر ببجاية محمّد بن أبي مهدي كان له اليد الطّولى في أخذ قرار المبادرة لخوض هذه المغامرة، لا سيّما وأنها كانت تتماشى وسياسة بعض السّلاطين الذين يريدون تقوية حضورهم في المتوسّط[1]. أمّا على الصّعيد الشّعبيّ فإنّ هذا الهاجس كان حاضرا شعورا وممارسة، حيث كانت تقام الجمعيّات لتجهيز السّفن للغزو البحريّ تشارك فيها أطراف عديدة بالتّمويل أو بالمشاركة. و"يضعون الأسطول ويتخيّرون له أبطال الرّجال" على حدّ تعبير ابن خلدون[2].

ويبدو أيضا أنّ مثل هذه الهواجس لم تغب عن اهتمامات النّخب الفقهيّة والعالمة، أولئك الّذين عكسوا لنا، اعتمادا على قناعاتهم الخاصّة وتكوينهم المعرفيّ، صدى هذه المشاغل والقضايا المطروحة على كلّ من السّاسة والرّعايا بصفة عامة. هذا بالإضافة إلى تعبيرهم عن موقف وسطهم، الّذي كانت تحكمه ضوابط وأعراف مخصوصة، لا فقط فيما يتعلّق بكيفيّة طرح هذه المشاغل، بل كذلك في الإجراءات والحلول الّتي يجب اتّخاذها لمجابهتها.

فما مدى وعي النّخب العالمة بالضّغوط والأخطار المتزايدة والمفروضة من الضّفّة المقابلة للمتوسّط ؟ وماهي التّدابير والحلول الّتي اتّخذتها لمجابهتها؟

عموما فإنّ العودة إلى كتب الفقه والنّوازل تطرح أمامنا بعض الإشكالات، ولا تسمح لنا في الغالب من الحصول على موقف واضح وموحّد من بعض المشاغل المطروحة في الواقع، كما أنّها طغت عليها الجوانب النظريّة، وكانت أقرب إلى ماضيها ممّا هي إلى حاضرها[3].لكنّ القراءة المتأنّيّة لجلّ ما ورد في مضانّ هذه الكتب حول الحوادث المتعلّقة بعمليّات القطع البحريّ، وإعادة تركيب مجمل مضامينها وتخريجاتها الفقهيّة، جعلتنا نلاحظ أنّ هنالك تطوّرا واختلافا في المواقف بين ما قدّمه أبو عمران الفاسيّ(المتوفّى سنة 430 هـ/1039 م) وما قدّمه ابن عرفة (المتوفّى 803 هـ/1400م). وهي اختلافات ارتبطت أشدّ الارتباط بواقع الفترة الّتي عاش فيها كلّ منهما، وما تخلّلها من تحوّلات على المستوى

---

[1] بعيزيق صالح، **م.س.**، ص 289.

[2] ابن خلدون، **تاريخ**، ج 6، ص 578.

[3] جعيّط(هشام)، **تأسيس الغرب الإسلاميّ: القرن الأوّل والثّاني هـ./ السّابع والثّامن م**، دار الطّليعة، بيروت/ لبنان، 2004، ص. 97.

السّياسيّ والاقتصاديّ والعسكريّ.حيث يعتبر القرن التّاسع الهجريّ/ 15م ،بداية انحلال منظومة الدّول المغربيّة وفشلها في الحفاظ على توازنها أمام تصاعد المد النّصرانيّ.

وحتّى نتجاوز حدود المزاعم، فقد نادى أبو عمران الفاسيّ على إثر إحدى حوادث القطع الّتي وقعت ضدّ مراكب المسلمين بسواحل برقة خلال القرن الخامس الهجريّ/11 م، بضرورة الدّعوة للجهاد وحثّ المسلمين على الدّفاع عن دينهم وحرمة أنفسهم وأموالهم، وقد تضمّنت هذه الدّعوة جملة من النّقاط الواضحة، ألا وهي: "أن تكون كلمة الله هي العليا، وليبقي دينه، ويحمي بيضة المسلمين، ويقهر أعداءهم"[1]. ولئن كانت هذه الدّعوة تندرج، لدى عموم فقهاء المالكيّة، في إطار المعاملة بالمثل، إلاّ أنّها تتجاوز، لدى أبي عمران الفاسيّ، هذا المفهوم لتصبح فرض عين على الجميع، مع تقديم أولويّة الهجوم على الدّفاع لمواجهة أكبر خطر قد يواجه المسلمين بعد اشتداد الحروب الصّليبيّة في المشرق والمغرب. ويبدو أن هذا الرأي قد كان هو الطّاغي أيضا على مواقف فقهاء الأندلس إبّان حكم ملوك الطوائف. حيث ذكرت إحدى الدّراسات الدّور الكبير الّذي قام به جملة من الفقهاء في الدّعوة للجهاد وتمهيد الطّريق للمرابطين للقيام بعمليّة توحيديّة حاسمة في الأندلس، ومجابهة التّحدّيات النّصرانيّة[2]. ممّا يدلّ على أنّ علماء المالكيّة قد ساهموا، في تلك الفترة، في صياغة إيديولوجيّة تحضّ على الجهاد كحرب هجوميّة لا دفاعيّة، وأنّ مواقفهم كانت تصبّ أساسا في مقاومة الزّحف الصّليبيّ في الغرب الإسلاميّ، والأندلس منه على وجه الخصوص.

والملفت للانتباه في هذا الصّدد أن آليّات هذا التّفكير قد انعدمت خلال الفترة موضوع الدّراسة. فالجدل الذي قام بين الفقهاء المتأخّرين حول هذه المسألة، تترجمه مواقف ابن عبد السّلام (ت.749هـ./1348م) من جهة وابن عرفة من جهة ثانية. حيث تبنّى الأوّل نظريّة المنزلة بين المنزلتين حين اعتبر أنّ الجهاد : «سنّة وفرض كفاية،حرام عموم تركه»[3]، في حين اعترض الثّاني على هذا الموقف لاعتباره نقلا غير

---

[1] الونشريسي، **المعيار المعرّب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيّة والأندلس والمغرب**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمّد حجّي، نشر وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة للمملكة المغربيّة، 1981. ج. 8 صص. 302 – 303.

[2] بوتشيش (إبراهيم القادري)، "موقف العلماء الأندلسيّين من التحدّيات الصّليبية في الأندلس إبّان عصر ملوك الطّوائف"،**إضاءات حول تاريخ الغرب الإسلاميّ وتاريخه الاقتصاديّ والاجتماعيّ**، دار الطّليعة بيروت، 2000. صص. 116 – 130.أنظر أيضا؛ بن حمادي (عمر)، **الفقهاء في العصر المرابطيّ**، ج 1، صص. 109 – 110.الهنتاتي (نجم الدّين)، "الجهاد بين النّظرية والواقع لدى علماء المالكيّة بإفريقيّة خلال العهدين الأغلبيّ والفاطميّ"، **الكرّاسات التّونسيّة**، عدد 169 – 170، سنة 1995، ص. 49.؛

[3] ابن عرفة، **المختصر الفقهيّ**، صحّحه ونقّحه وعلّق هوامشه، حافظ عبد الرحمن محمّد خير، مؤسّسة خلف أحمد الحبتور، دبي 2014، **ج 3**، ص ص.7 – 8.؛ البرزلي، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا بالمفتين والحكام**، تقديم وتحقيق محمّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 2002. ج. 2، ص. 8.

واضح، ورأى أنّ الجهاد أصبح «بعد الفتح يهمّ من يلي العدوّ وسقط على من بعُد عنه»، بناء على ما قاله سحنون (توفّي سنة 240 هـ./ 854 م) بأنّه: «كان فرضا واليوم ليس فرضا إلاّ أن يعيّن الإمام فتجب طاعته وجهازهم من بيت المال»[1].وبالتّالي فإنّ الجهاد، حسب ابن عرفة، قد بقيت عهدته، بعد الفتح، منوطة بالسّلطان، وسار على دربه جميع طلبته من بعده كالأبّي (توفي سنة 827 هـ./ 1424م) والبرزلي (توفي سنة 844 هـ)، وحتى ابن ناجي (توفى سنة 837 هـ)الذي مرّر بعض الرّوايات التي تشير بأنّ «السّعي على الأقوات أفضل من الجهاد»[2].

وإذا لخّصنا مجمل هذه الآراء الفقهية، يمكن أن نستنتج،–دون خشية الوقوع في خطأ التّأويل– أنّ عنى الجهاد لم يتغيّر منذ زمن سحنون، بل كان المفهوم يوظّف حسب طبيعة المرحلة، وطبيعة الأنظمة السّياسيّة القائمة ودرجة قوّتها. خصوصا وأنّ الإمام مالك لم يترك في الموطّأ أيّ إشارات تحرص على الجهاد كحرب هجوميّة، حسب ما ذهبت إليه إحدى الأبحاث المختصة[3].حتى أنّ مواقف كلّ من أبي عمران الفاسيّ أو علماء الأندلس لا تعدو أن تكون سوى مواقف متحمّسة، تعلّقت بواقع الفترة الّتي عاشوا فيها، وهي عموما القرن 4هـ/10 م وبداية 5هـ/11 م، أي حين كان التّفوّق واضحا للمسلمين.

تقتضي طبيعة المرحلة إذن على علماء إفريقيّة عدم الخوض في هذه المسائل. فالجهاد لا يعني الغزو والاحتلال، بل هو دفاع عن النفس[4].وأمام تواتر الهجومات الّتي تتعرّض لها إفريقية، فإنّ النّخبة الفقهيّة، قد وظّفت هذه المفاهيم بشكل يكاد يكون كلّيّا في كتب النّوازل.حيث أسهب البرزلي في التّأكيد على ضرورة الدّفاع ونجدة أهل السّواحل في حالة تعرّضهم للغزو بقوله: «...وخاصة إذا فاجأهم العدوّ فالأمر يصبح فرضا وينفر من في صفاقس لغوث سوسة...»[5].

وتعكس من جهة أخرى، الرّسالة الّتي وجهها عبد الرّحمن الثّعالبيّ (المتوفى سنة 875 / 1471 م) إلى الشّيخ أحمد الكفيف ومنه إلى أهل بجاية عمق هذا التّوجّه، حين أشار فيها إلى الخيبة الّتي أصيب بها

---

[1] البرزلي، **م.س.**، ج 2، ص. 7.؛ الأبيّ، **إكمال**، ج 5، ص ص. 43 – 44؛ وقد قال سحنون، " **أردت غزوا في البحر فسألت عن ذلك ابن قاسم فنهاني**"، أنظر، ابن رشد، **البيان والتّحصيل**، تحقيق،سعيد إعراب، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1984 – 1986، ج. 2، ص. 554.

[2] ابن ناجي، **شرح على متن الرسالة**، اعتنى به أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت 2007. ج 1، ص 373.

لكن لا يخفى علينا أيضا أنّ نفس هذه الآراء قد وظفت الجهاد لمحاربة الأعراب بإفريقيّة وبلاد المغرب، ويظهر ذلك من خلال جواب ابن عرفةعن سؤال تلميذه أبي العبّاس المريض. بقوله : " والإشارة لثواب مجاهدتهم (أي الأعراب) ورجحانه على جهاد الكفّار غير المبتدئين قتال المسلمين صحيح لا ينبغي لمسلم مخالفته...." . ابن عرفة، **المختصر الفقهي**، ج 10، ص.276.؛ الونشريسي، **المعيار**، ج 8، ص ص. 435، 436. غراب (سعد)، **ابن عرفة والمنزع العقليّ**، ص ص.218 ، 219.

[3] أنظر في هذا الشأن الهنتاتي (نجم الدين)، "الجهاد بين النظرية والواقع"، ص. 47.

[4]Mansouri (M. T.), « le Maghreb Médiéval face aux expéditions occidentales », pp. 139 - 147.

[5] البرزلي، **الجامع**، ج 2، ص 9.

عندما لم يجد تجاوبا لدى فقهاء هذه المدينة لحثّ النّاس على الجهاد، في الوقت الّذي كان من الواجب أن تتضافر كلّ الجهود لردع العدوان الصّليبيّ المرتقب على المنطقة بعد هزيمتهم في القسطنطينيّة حسب رأيه[1]. وهو ما يؤكّد وجود بعض الصّيحات الّتي استشعرت وشوك حصول الاجتياح الإسبانيّ للموانئ المغربيّة وحذّرت من نتائجه، وأنّ هذا الإحساس لم يرتق بعد إلى درجة الوعي الكامل المعبّر عنه بشكل جماعي في الوسط الفقهيّ.

لا جدال إذن أنّ النّخب الفقهيّة في هذه المرحلة كانت تُعبّر عن واقع الضّعف الّذي أصبحت عليه الدّول في الغرب الإسلاميّ. فلم تكن السّلط الحاكمة بصفة عامّة، تتوفّر على أبسط مقوّمات الدّولة القويّة، حيث اتّسمت في مجملها بأسسها الهشّة وافتقرت إلى قاعدة ماديّة تضمن لها كيانا سياسيّا صلبا، وهو ما دعا هؤلاء العلماء إلى اتّخاذ تدابير تتماشى مع أوضاعها السّياسيّة والاقتصاديّة.

وبالفعل فقد جنح معظم الفقهاء إلى تفضيل الإذعان للضرورة أو التأقلم مع تقلبات الظرفية المأزومة خاصة للنصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ 14 م، ونستدل على ذلك بالمواقف التي ذكرها البرزلي حول بعض الحصون الّتي أصبحت لا تقوم بدور الحماية بقدر ما تشكّل خطرا أمنيّا على السّواحل، حتى أنه فضّل إزالتها تأسّيا بما حدث في عهد صلاح الدين الأيوبي، حين اتّفق الفقهاء على إزالة سور عسقلان وسور بيت المقدس،« لكي لا يطمع فيها العدوّ أثناء استيلاء الضّعف على المسلمين »[2].لذلك حاول فقهاء إفريقية تطبيق هذه النظرية على أسوار المهديّة، عندما أصبحت هدفا للهجومات البحريّة في العهد الحفصيّ، خيفة أن يصعب استرجاعها إذا تمكّن العدوّ من التّحصّن بها، وذلك قياسا على ما وقع من قبل في خرائب قرطاجنّة أثناء الحملة الصّليبية الثّامنة على تونس سنة 668 هـ/ 1269 م. ولئن لم يتمّ الأمر بالنّسبة لسور المهدية بحكم صموده أمام الحملة المسيحيّة عام 789 / 1390 م، أراد البرزلي أن يسحب هذه النّظريّة على حصون جزيرة قوصرة لأنّها تحوّلت إلى قاعدة لأهل الحرب من القراصنة الّذين يغيرون على إفريقيّة وبلاد المغرب[3].

---

[1] " وبعد .... واعلم يا أخي أنّ قلبي متألّم من أهل بجاية ... وقد بعثت إلى بعض الفقهاء، منهم بالتّحريض [على الجهاد] من غير كتب فما رأيت بكلامي عندهم تأثيرا كما أثّر هنا.... فإنّ كل عاقل يستشعر قتال بني الأصفر (المقصود هم النصارى)، فإنّهم قد أصيبوا في القسطنطينيّة، وقد علمتم أنّ أخذها من الأشراط، وأنّ لبني الأصفر حمية في النّصر لصليبهم ... ولو اطّلعتم على ما اطّلعت عليه من التّحريض لما وسعكم أن تشتغلوا بشيء من أمور مهمّاتكم بعد الصّلاة، إلاّ بآلة الجهاد...". أنظر الرّسالة كاملة لدى: أبو القاسم (سعد الله)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار البصائر، الجزائر،2007 ،ص ص. 208 – 211 .

[2] البرزلي، **الجامع**، ج. 2 ص. 14.

[3] حسن (محمد)، **المدينة والبادية**، ج. 1 ص. 69.يبدو واضحا أن فقهاء إفريقيّة، كان لهم وعي بالتّفوّق الغربيّ في البحر، حيث باتت أغلب المواقع الساحلية والجزر، " لايرجى مصيرها للمسلمين غالبا لاستيلاء النّصارى على سائر جزائر البحر وقوّتهم" حسب عبارة البرزلي. وهو ما أكّده ابن خلدون أيضا

وهكذا لم يجد الفقهاء خلال القرن 9هـ./ 15 سوى مراعاة المصلحة العامّة وضرورة مجاراة الواقع والتصرّف حسب مقتضياته. وهذه المراعاة تمثلت بشكل خاصّ في مواصلة العلاقات الاقتصاديّة مع القوى المسيحيّة، مع التّأكيد على ضرورة الدّفاع ونجدة أهل المدن السّاحليّة إذا ما تعرّضوا للغزو.

على أن الحديث على هذا الجانب يستوجب منّا أيضا التّطرّق إلى نوعيّة العلاقات الّتي يجب أن تربط بين دار الإسلام ودار الحرب، مع الالتزام بالإشكاليّة الرّئيسيّة الّتي وقع ذكرها منذ البداية، وذلك بالتّأكيد على ذكر العلاقة بين ما هو نظريّ أي ما ورد من منظور أئمّة المالكيّة، وما وقع بإفريقيّة، وموقف علماء المالكيّة الأفارقة من كل ذلك.

العلاقات مع الغرب المسيحيّ بين النّظريّ والواقعيّ:

تمحورت العلاقات بين المسلمين والقوى المسيحيّة حول ثلاثة شروط رئيسيّة حسب المادّة الفقهيّة المتوفّرة لدينا، وهذه الشّروط هي المهادنة أو الصّلح وعهد الأمان. وهي مصطلحات تتطابق تفسيراتها تقريبا في جل مؤلّفات الأئمّة المالكيّة.

حيث ذهب ابن عرفة إلى أنّ "المهادنة أو الصّلح، هي عقد المسلم مع الحربيّ على المسالمة مدّة ليس هو فيها تحت حكم الإسلام"[1]. واعتبر الرّصّاع أن العقد هو ما يكون فيه الإيجاب والقبول والالتزام بين الحربيّ والمسلم ويعني ذلك توقّف القتال بين الطرفين، وإذا زال الصلح "عادت المسالمة حربا وتضرب رقاب الكفّار بعدها ضربا وهو ما يختلف مع المعاهدة"[2].

وفي نفس السّياق، ذكر الونشريسي في بيان حقيقة المعبّر عنه في كتب الفقه بالمهادنة والهدنة وعقد الصّلح لغة وشرعا، وبيان الممتنع منه والجائز بمال أو بغير مال، فذهب إلى أنّه عبارة عن توافق إمام المسلمين والحربيّين على ترك القتال بينهم مدّة معيّنة، ويشترط فيها مراعاة مصلحة المسلمين وتركها إذا كانت عكس ذلك. وواصل الونشريسي استعراض الأحكام المتعلّقة بالصّلح، فذكر أنّ الفقهاء قد كرهوا إبرام الصّلح مع العدوّ بمال أو غير ذلك إلاّ لضرورة التّخلّص منه خوف استيلاءه على المسلمين[3].

عند وصفه لهذه الفترة، بأنّه عصر "تكالب العدوّ على الجزر البحريّة" في إشارة لتواتر الحملات القطلانيّة على جزيرتي جربة وقرقنة واستعباد عديد المسلمين المتواجدين بجزيرة قوصرة. أنظر:البرزلي، **م.س.**، ج. 2 صص. 15 – 16 ؛ابن خلدون، **تاريخ**، ج. 6 ص. 447

[1] ابن عرفة،**المختصر الفقهيّ**، ج 3 ص. 67.

[2] الرصّاع، **شرح**، ج 1، صص. 144 ، 145.

[3] الونشريسي، **المعيار**، ج. 2 صص. 210 – 211.

أما المقصود بالأمان في العرف الفقهيّ، فهو حسب ابن عرفة:"رفع استباحة دم الحربيّ، ونفسه وماله، حين قتاله، أو العزم عليه، مع استقراره تحت حكم الإسلام مدّة ما"[1]. وأطنب الرّصّاع في تفسير معنى الأمان والاستئمان واعتبره "تأمين حربيّ ينزل لأمر ينصرف بانقضائه" بقوله : "إعطاء الأمان له إلاّ أنه أمان خاصّ لأنّه نزول لأمر ينصرف بانتفائه... "[2].

اعتمادا على هذه المعطيات الفقهيّة المتّفق عليها لدى أئمّة المالكيّة، فإنّ العلاقات بين "دار الإسلام" و"دار الحرب"، كانت قائمة على جملة من الشّروط الّتي تراعي أساسا مصلحة المسلمين. بل ذهب بعض الفقهاء إلى كراهة أن يرتبط الإمام مع الرّوم بصلح مقابل مال يدفعونه كلّ عام، لما فيه من "توهين للجهاد". ومن هنا ينبغي التّساؤل عمّا إذا كان هذا المحمول الفقهيّ النّظريّ يتلاءم مع الظّرفيّة التّاريخيّة الّتي تمرّ بها إفريقيّة والغرب الإسلاميّ عامّة؟ وماهي الظّرفيّة المركّبة الّتي ساهمت في صياغة وتحديد ضوابط العلاقة بين المسيحيّين والمسلمين خلال هذه الفترة؟

في الحقيقة، ساهمت عدّة عوامل في تحديد العلاقات بين الدّول المسيحيّة والغرب الإسلاميّ، وإعطائها مكانتها المتميّزة، يمكن تلخيصها في أربع نقاط أساسيّة:

- محاولة الدّولة الحفصيّة حماية مصالحها الاقتصاديّة أمام التّهديدات الأمنيّة المتزايدة في المتوسّط.
- المعاهدات المبرمة بين الجمهوريّات المتوسّطيّة والدّولة الحفصيّة، الّتي تلزم هذه الأخيرة باحترام المواثيق الدّوليّة وتأمين حركة المبادلات التّجاريّة.
- التغلغل التّجاريّ الأوروبيّ داخل موانئ إفريقيّة، وما نتج عنه من تكوّن جاليات مسيحيّة لها وزن ومصالح فرضتها الهيمنة العسكريّة والتّقنيّة الأوروبيّة.
- التوّاجد المسيحيّ، أيضا، بدأ بفرض نفسه من خلال اعتماد السّلاطين الحفصيّين على فرق عسكريّة أجنبيّة وقع استعمالها كحرس خاصّ أو كفرق مجنّدة لإخراس الأصوات الدّاخليّة المناوئة[3].

لكل هذه الأسباب، سعى السّلاطين الحفصيّون إلى توسيع ميدان تعاملهم التّجاري مع القوى المتوسّطيّة، وإتّباع سياسة مرنة قائمة على المهادنة والأمان. وتبدو معالم هذه السّياسة واضحة في مختلف الوثائق

---

[1] ابن عرفة، **المختصر الفقهي**، ج 3، ص 54.

[2] الرّصّاع، **شرح حدود ابن عرفة**، تحقيق، محمّد أبو الأجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1993. ص. 145.

[3] برنشفيك، **تاريخ**، ج. 1 ص ص. 261 – 279.

الدّبلوماسيّة، ولا سيّما الرّسائل المتبادلة مع ملك أراغون، والّتي تشير كلّها إلى حرص الحفصيّين على إرضاء كل الأطراف، وسلوكهم سياسة تصالح مع كل دول حوض البحر الأبيض المتوسّط دون استثناء، رغم الخروقات الواضحة للمعاهدات الّتي أبرمت بين الطّرفين، وهو ما لا يتماشى مع المفاهيم الّتي تقدّمها المؤلّفات الفقهيّة حول شروط المهادنة أو الصّلح والأمان.

وبهذا نعتقد أنّ مفهوم الصّلح والمعاهدة والأمان وحدود التّعامل مع "دار الحرب" لم يعد بالإمكان توظيفه على أرض الواقع، رغم الصّرامة الّتي اتّبعها بعض الفقهاء في ذلك، بل أصبح الإجماع قائما على الأحكام المتعلّقة بالحفاظ على الأمن العامّ أو غيرها من المصالح الّتي تخدم السّلطة المخزنيّة والمصلحة العامّة. وحسبنا أنّ البرزلي عند تعليقة على إحدى حوادث القطع الّتي تعرّضت لها بعض المراكب التّجارية في سواحل إفريقيّة، أثناء الهدنة مع السّلطان الحفصيّ، قد أكّد على ضرورة تجديد المعاهدة مع النّصارى القادمين إلى إفريقيّة، بقوله "أنّ كلّ ما كان من النّصارى بإفريقيّة قبل هذه الحادثة فأمانه قائم، والثّانية على القادمين بعدها أن يطلبوا أمانا جديدا مستندا للهدنة الأولى"[1]. لذلك نلاحظ أنّ هنالك إصرارا على الحفاظ على العهد والأمان اعتبارا لمصالح المسلمين، وأنّ المصلحة هنا تمثّلت بشكل خاصّ في أنّ العلاقات مع القوى المسيحيّة لا يمكن مجابهتها إلاّ بالمهادنة والمعاهدة.

على أنّ نفس تلك الآراء لم يغب عنها أيضا الوقوف على ضرورة الالتزام بالمبادئ الفقهية الّتي نادي بها المتقدّمون من العلماء. فبغضّ النّظر عن الظّرفيّة الخاصّة والمتّصلة بحالة غياب الأمن، ووجاهة القول بتدعيم الصّلات الرّابطة بين إفريقيّة والقوى المتوسّطيّة، فقد اتّفق جلّ العلماء على النّقطة المتعلّقة بضرورة الامتناع عن السّفر إلى"دار الحرب "بغاية التّجارة، بناء على قول سحنون "من ركب البحر في طلب الدّنيا إلى أرض العدوّ فتلك جرحة"[2]،بل ذهب التّشدّد لدى البعض في منع السّفر في مراكب النّصارى خصوصا بعد تكرّر حالات الاستيلاء والغدر الّتي يتعرّض لها المسافرين، وقد شبّه ابن عرفة استعمال هذه السّفن "بالتّجارة في أرض الحرب" وهو ما يفسّر اختياره الحجّ عن طريق البرّ سنة 799 هـ.[3].

ومن خلال هذا التّقديم يمكن الخروج بالاستنتاجات التّالية:

أوّلا، تعارض العلاقة بين نشاطي التّجارة والقرصنة لذلك ألحّ الفقهاء على عهد الأمان لحماية التّجّار والمسافرين من خطر القرصنة[4]. مما يدلّ على أنّهم قد قدّموا هذه المفاهيم كمعطى تطبيقيّ، أي في علاقة

---

[1] البرزلي، **جامع**، ج 5، ص 213.

[2] ابن أبي زيد، **كتاب الجامع**، تحقيق، عبد المجيد الترك، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت 1990، ص 283.

[3] البرزلي، **م.س.**، ج 3، ص 249.

[4] الهنتاتي (نجم الدين)، "الجهاد بين النظرية والواقع لدى علماء المالكية بافريقية"، ص ص. 45 – 63.

بما حدث في الواقع الإفريقيّ من مستجدّات، ثم أيضا على أساس مصلحيّ نفعيّ بما أنّ المالكيّة قد أقرّت بأنّه لا يكون أمان إلّا لمصلحة، باعتبار"الأمان قتال إلى أن تصبح الغلبة للمسلمين"[1].

وثانيا، ارتباط السّياسيّ بالدّينيّ أكثر ممّا كان عليه الأمر من قبل بإفريقيّة. أي أنّ المواقف الشّرعية لعلماء الدّولة الحفصيّة قد ارتبطت بشكل كلّيّ بالمواقف الرّسميّة للجهاد والمهادنة حتى وان كانت في جانب منها غير معلنة ومعقّدة ومتناقضة.وهو موقف لا يرتبط، في الحقيقة، بموقع إفريقيّة الحدوديّ فقط كما أشرنا إلى ذلك من قبل، بل بطبيعة النّظام السّياسيّ الّذي كان يدفع أكثر نحو المهادنة مع الغرب المسيحيّ. لذلك اشترط ابن عرفة، بشكل صريح، قوّة الإمام لتحديد التّعامل مع النّصارى من خلال قوله: « الصّواب اليوم أنّه خلاف في حال، فإذا كان أمير تونس قويّا على الرّوم جاز، وإلاّ لم يجز لإهانتهم المسلمين »[2].

وثالثا، وجود أشخاص محترفين في الغزو والقرصنة لهم دوافع ماديّة خصوصا، وانتقاميّة ودينية في بعض الأحيان، كالغارة الّتي قام بها بعض البجائيّين في أواسط سنة 1397 م على "توربيلنكا" في مملكة بلنسية وهي ردّة فعل على الهجومات الّتي كان يشنّها الصّليبيّون على سواحل إفريقيّة حيث تذكر الروايات أن المغيرين دخلوا الكنيسة ونهبوها وعبثوا بأدواتها[3]. وهو أيضا ما تؤكّده المسألة الّتي وردت على أحد فقهاء تلمسان، وتتعلّق بمجاهدين يغيرون على أطراف العدوّ الّذي صالحه السّلطان حيث تقول:

"سيدي جوابكم عمّا عمّت به البلوى في بلدنا وعظم من أجله الخطب واتّسعت به المقالات وذلك أنّ الخليفة أصلحه الله صالح هؤلاء النّصارى الّذين أخذوا سواحلنا إلى أجل معلوم والمسلمون يرون جهادهم من أعظم القربات فصاروا يغيرون على أطراف بلدهم فيقتلون ويضيقون بهم هل ذلك طاعة أم معصية؟ والفرض أنّ الخليفة لا يوافق على ذلك ويعاقب عليه، أفدنا وأرشدنا وفّقتم"[4].

وهو ما يفيد أن ردّة الفعل والمقاومة الّتي يبديها سكّان السّواحل ضدّ عمليّات الغزو المسيحيّة لا تخضع في الغالب إلى السّلط السّياسيّة وإنّما هي عمليّات منفردة ومعزولة، مثلها مثل قراصنة إفريقيّة الّذين لم يكونوا في الغالب تابعين للسّلطان الحفصيّ وإنّما هم زعماء حرب ومغامرون ومتطوّعون خارجون عن أيّ رقابة. وينطبق الأمر على كثير من الأندلسيّين المهجّرين من الأندلس خلال القرن 9هـ./ 15 م. نذكر منهم،على سبيل المثال،عليّ بن ابراهيم بن أحمد بن غانم الأندلسيّ، مؤلّف كتاب "العزّ والمنافع

---

[1] "م.س."، ص 53.

[2] البرزلي، **جامع**، ج 2، ص ص. 41 – 46.

[3] أنظر بعيزيق (صالح)، **بجاية**...، ص. 292.

[4] الونشريسي،**المعيار**، ج، 2 ص ص. 206 – 207.

للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع". وهو الّذي ولد قرب غرناطة بعد خروج المسلمين من إسبانيا، ثمّ خرج منها وتعاطى الجهاد في البحر ضدّ الإسبان انطلاقا من موانئ تونس[1].

على أنّ هذا الموقف السّلبيّ السّائد لدى علماء الغرب الإسلاميّ من هذه الأزمة الّتي كانت لها تداعيات اجتماعيّة واقتصاديّة وسكّانيّة، لا يمكن تعميمه على جميع النّخب العالمة،إذ انبعثت من رحم هذه الأزمة بعض الصّيحات الّتي استشعرت وشوك حصول الخطر وحذّرت من نتائجه كما رأينا ذلك في الرسالة التي وجهها الثعالبي إلى أهالي مدينة بجاية[2].وخلال النّصف الأول من القرن 10هـ./ 16 م، تزعّم رموز التّصوّف الطّرقي حركة الجهاد ضدّ التّمركز الأجنبيّ على السّواحل، ووظّفوا جميع قدراتهم وإمكاناتهم الّتي راوحت بين حضّ المريدين على الجهاد والتّأليف بين الفصائل المتنازعة بغية توجيه القوى لمواجهة أعداء الملّة، فتحمّلت "الحركة الجزولية" بجنوب المغرب الأقصى، هذا العبء وحقّقت بذلك نجاحات كبيرة عندما قرّر رموزها شدّ أزر مشروع الإمرة السّعدي لتنظيم عمليّاتهم الجهاديّة ضدّ البرتغاليّين المتمركزين على السّواحل الأطلسيّة منذ 1511 م. أمّا بإفريقيّة فقد التحم شيوخ "الطّريقة الشّابّية" بقاعدة قبليّة عريضة مثّلتها القبائل الغربيّة والجنوبيّة الغربيّة، لتأسيس إمارة طرقيّة – قبليّة اتّخذت من مدينة القيروان مركزا لها، وأعلنت بشكل صريح رفض شرعيّة الدّولة والحلول محلّها لرفع راية الجهاد ضدّ الإسبان المنتصبين في حلق الوادي. ولم يستطع المخزن الحفصيّ إجهاض هذه الدّويلة الطّرقيّة إلاّ بعد تدخّل القراصنة الأتراك[3].

والحاصل أن هذا العرض الذي حاولنا أن نتعقب من خلاله الإطار المميّز الذي ساهم في بلورة وتطوّر الآراء والمواقف الفقهية حول مسألة الجهاد وطبيعة العلاقات التي تربط دار الإسلام ودار الحرب، يجرنا منطقيا إلى الحديث عن ظاهرة الأسر كإحدى أهم الأبعاد التي ترتبت عن ظاهرة القرصنة والقطع البحري في المتوسط.

الأسر في الأدبيات الفقهية.

من المعروف أنّ الأسر كان خاضعا بدوره لمنطق القرصنة وعمليّات الغزو البحريّ، وهو يعتبر بدوره ظاهرة من أهمّ ظواهر الصّراع والتّنافس بين الإسلام والنّصرانيّة في العصر الوسيط وبداية الفترة

---

[1] محفوظ (محمد)، **تراجم المؤلّفين التّونسيّين**، دار الغرب الإسلاميّ، الطبعة الثانية، بيروت 1994. ج. 1 ص. 73. وهو في وصف آلات الحرب على اختلاف أشكالها مع إيضاح ذلك بالرّسوم. وقد قام إحسان هند بتحقيق ونشر الكتاب بهيئة أبو ضبي للسّياحة والثّقافة، سنة 2013.

[2] مثلما هو الأمر بالنّسبة للرّسالة الّتي وجّهها الشّيخ عبد الرحمن الثّعالبي إلى سكّان مدينة بجاية قصد حثّهم على الاستعداد لمواجهة الاجتياح الإسبانيّ البرتغالي المرتقب للموانئ المغربية، أنظر : سعد الله (أبو القاسم)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، صص. 208 – 211 .

[3] عيسى (لطفي)، **مغرب المتصوفة : الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي من القرن 10 م إلى القرن 17 م**، مركز النشر الجامعي، تونس 2008. صص. 303 – 304.

الحديثة[1].لذلك وضع الفقهاء آدابا دينيّة وفقهيّة وقانونيّة لمواكبة مختلف الإشكالات الّتي كانت تترتّب عنه. حيث نجد في كتب الفتوى حرصا على التّعريف بأشكال المعاملة والوضعيّة الحقوقيّة للرّهائن، وذكر مختلف الوضعيّات الّتي يكون عليها الأسرى النّصرانيّون في بلاد الإسلام[2].

ونحن نستنتج من خلال تتبّعنا لما ورد في كتب الفقه والنّوازل أنّ مسألة التّعامل مع الأسرى قد مرّت بدورها بتطوّرات حاسمة نراها واضحة من خلال القيام بمقارنة بين المواقف الفقهيّة للعلماء المتقدّمين والفقهاء الّذين عاشوا خلال الفترة موضوع الدّراسة.

فقد أجاز كلّ من سحنون في المدوّنة وابن أبي زيد في الرّسالة قتل الأسرى دون قيد[3]، وإباحة قتل المرأة الكافرة المقاتلة بعد سبيها، وقتل الأعمى والمقعد والمريض من الكفّار العاجزين عن القتال[4]، وهو ما يتعارض مع المبادئ الّتي نادى بها الإمام مالك والّتي تشير إلى أنّ الإعدام لا يشمل إلاّ من خيف منه أي أن يكون من أهل النّجدة والفروسيّة[5].

ولا نعرف إن كانت هذه المواقف الّتي مرّرها سحنون وابن أبي زيد القيروانيّ قد حتّمها الواقع المعاش في تلك الفترة، أم أنّها تدخل في إطار المعاملة بالمثل، لكنّ المهمّ في الأمر أنّه قد بدأ الاستغناء عنها تدريجيّا خلال الفترة الممتدّة من بداية الحفصيّين ونهاية القرن 9هـ./ 15 م، حيث اتّفق الفقهاء على عدم جواز المعاملة بالمثل في مسألة الرّهائن، ولخّص ذلك الونشريسي حين مال إلى عدم قتلهم وحتى إلى عدم استرقاقهم بقوله :

" فأمّا القتل فإنه لو سنّ المسلمون أن يقتلوا كلّ أسير حصل بأيديهم من النّصارى لكان في ذلك النّكاية العظيمة للنّصارى والغيض الشّنيع... ولأدّاهم ذلك بالضّرورة إلى قتل من بأيديهم من أسارى المسلمين"[6].

ثم أضاف في موقع ثان:"لو استرققنا كلّ أسير حصل بأيدينا من الرّوم على مرّ الزّمان ... لكان ذلك سببا لهلاكنا واستئصالنا مع ما يتبع ذلك من توقّع امتناعهم من فداء المسلمين وعملهم على استرقاقهم مجازاة لنا بعملنا معهم"[7].

---

[1] أحيل هنا إلى العمل الهامّ الذّي قدّمه حامد العجيلي، العبد والأسير في إفريقيّة من منتصف القرن الرّابع عشر إلى نهاية القرن السّادس عشر ميلادي، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2011.

[2] أنظر مثلا ما ورد لدى: الونشريسي، **المعيار**، ج. 2 ص. 161 وما بعدها ، 211 – 213.

[3] سحنون، **المدوّنة الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت 1994.ج. 3، صص. 11 – 12.؛ ابن أبي زيد، **الرّسالة في فقه الإمام مالك**، ضبطه عبد الوارث محمّد علي، دار الكتب العلمية، الطبعة الخامسة، بيروت 2014. صص. 168 – 169.

[4] الونشريسي، **المعيار**، ج. 2 ص. 114.

[5] سحنون، **م.س.**، ج. 3 ص. 9.

[6] الونشريسي، **المعيار**، ج. 2 صص. 198 – 199

[7] **م.س.**، ص. 199.

لذلك تعالت النّداءات خلال هذه الفترة بتعديل النّظرية والرّجوع إلى المبادئ الّتي نادى بها الإمام مالك من قبل، فتمنع، مثلا، قتل الشّيخ الهرم والرّهبان وأصحاب الصّوامع ذكورا أو إناثا شيوخا أو شبابا، مع ضرورة تجنّب كلّ من لا يقاتل من النّساء والولدان، إلا إذا كانوا برأيهم من المقاتلة أو يحرّضون على القتال، واكتفت بجواز قتل كل من "خيف منه" أو اعتبر من المحاربين[1].بل وذهبوا إلى أبعد من ذلك، فأصبح المشرّع لا يجيز قتل رهائن الكفّار، حتّى وإن قتل العدوّ رهائن المسلمين. ومردّ عدم الجواز، حسب البرزلي، هو بقاء العقاب عن العمل الجنائيّ مسؤوليّة فردية لا يدخل في باب القصاص الجماعيّ ما لم يثبت ارتكاب الرّهائن جرائم توجب العقوبة[2].

وقد وفّرت المادّة الفقهيّة من جهة أخرى آليّات للتّعامل مع مسألة الأسرى وفقا للأحكام الشّرعية وحسب ضوابط قانونيّة متنوّعة مثل مبادلتهم بالأسرى المسلمين، أو استعبادهم، أو ترك الأمر للإمام في حرّية إطلاق سراحهم بدون مقابل، مثلما فعل السّلطان الحفصيّ أبو عمرو عثمان سنة 1437 حين أطلق سراح أسرى من البندقيّة، تحت غطاء دبلوماسيّ، القصد منه الدّعوة إلى السّلم والمهادنة[3]. وبالتّالي فإنّ مسؤوليّة مسؤوليّة فدية الأسرى وتحريرهم كانت ترجع في غالب الأحيان إلى السّلط السّياسيّة[4]. مع التّأكيد على أنّ الأسر خلال هذه الفترة قد مثّل مكوّنا أساسيّا للدّورة الاقتصاديّة ومحرّكا للعلاقات السّياسيّة بين الغرب الإسلاميّ والغرب المسيحيّ.

وإذا كانت هذه الأوضاع القانونيّة الّتي أشرنا إليها قد نظّمت في العموم مختلف وضعيّات الأسير إلى أن يقع فداؤه أو يضلّ يرزح تحت العبوديّة، فإنّ بعض الحقوق الّتي وفّرتها المادّة الفقهيّة قد ساهمت في تغيير بعض الأوضاع وفقا لتراتيب وضوابط محدّدة، منها الانقلاب إلى الإسلام خصوصا.

وقد تمكّن المعتنقون للإسلام من الأسرى البيض في العهد الحفصيّ من تغيير أوضاعهم، الاجتماعيّة والاقتصاديّة وحتّى القانونيّة والثقافيّة، من خلال عمليّة إدماج تبدو شاملة، حتى أنّ البعض منهم قد نجح في القفز إلى أعلى المراتب الاجتماعيّة واحتلال مناصب إداريّة عليا، مثلما هو الأمر للقائد نبيل (ت. سنة 1453) الّذي تمكّن من التقلّب في مناصب إداريّة وعسكريّة هامّة ومن تثبيت مركز اجتماعيّ قريب

---

[1] **م.س.**، ص. 200.

[2] البرزلي، **الجامع**، ج. 5، ص. 384.

[3] برنشفيك، **تاريخ**، ج. 1 صص. 261 – 279.

[4] لعب رجال التّصوّف أيضا دورا كبيرا في فكّ الأسرى وفديتهم خلال الفترة الحفصيّة، أنظر في هذا الشأن: العجيلي (حامد)، **العبد والأسير في إفريقية**، ص 117.

من السلطة، حيث قدّر الزّركشي ثروته بعشرين قنطارا من الذّهب وما يقاربه قيمته من الجوهر والعقار والأثاث[1].

ومن ناحية أخرى، لم يقتصر الفقهاء على التّعبير عن ظاهرة الأسر ومواكبتها بالكتابات الفقهيّة فحسب، فالواقع أيضا أن المبتلين بظاهرة القرصنة والقطع كانوا من الفقهاء أنفسهم، بل ومثّلوا أهمّ عنصر يمكن أن يتحصّل عليه القراصنة الأوروبيّون لمكانتهم الخاصّة في سوق النّخاسة المتوسّطيّة ولحاجة أوروبا إلى العلوم والآداب العربيّة لبناء نهضتها. وهو ما يدعونا إلى أن نسوق، عرضا هنا، مثال النّص الّذي يعبّر عن قساوة الأسر مع محمّد القيسي، الّذي كان يضطرّ في أسره "بقطلونية"، إلى مجادلة القسّيسين والرّهبان لأنّهم كانوا يتّخذون منهم نموذجا للتدرّب على الجدال الدّيني في مطلع القرن الثّامن الهجري/ الرّابع عشر ميلادي.

"وحقا لمن أسرته الروم وكابد المشقة والهموم، أن يكلم لسانه، ويضعف بيانه ويذهب تبيانه وتسلمه نفسه، ويكون خير يومه أمسه .

[...] وعصبني ثوب الإحسان واستبدلني به لباس الحرمان ، ورماني بين حزب الشيطان في دار الكفر والطغيان ؛ أخدم النصارى العصيان، والقسيس والرهبان في المجادلة والهوان، حتى سلبني عقلي، وصيرني لا أملك قياد قولي وما أنا إلا أحسب أني أنظر إلى قبري قبل انقضاء عهدي[2].

كما تروي لنا رحلة أخرى لمجهول عاش في مطلع القرن 9هـ/15 م، ما يعانيه الأسير من فقهاء المسلمين بعد استرقاقه في أوروبّا، وتحفل كذلك بوقائع نقل وفدية الأسرى بصفة عامة. فلقد لقي صاحبها في بداية أسره كلّ القسوة والعنف من طرف آسريه، لكن عند الاطّلاع على مشاركته في علوم عصره، تمّ رفع قيمة فديته إلى 200 أوقيّة من الذّهب الخالص، إلى أن تداركته جماعة من المدجّنين "الأتكونية" وافتدوه من أموالهم، على أن يعمل على مساعدتهم في تدبير شؤونهم الدينيّة[3].

---

[1] الزّركشي، **تاريخ الدولتين**، ص. 174.

[2] القيسي (محمد)، **مفتاح الدين والمجادلة بين النّصارى والمسلمين من قول الأنبياء والمرسلين والعلماء الراشدين**، مخطوطة المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1557. 80 – 81. أنظر أيضا في شأنه : العسري (محمّد عبد الواحد)، "قواعد المناظرة وأخلاقيتها من خلال مجادلة محمّد القيسي ومحمّد الأنصاري للنصارى بالأندلس"، **مجلة التّاريخ العربي**، عدد 15، ص ص. 331 – 349.؛ بنعزوز (فريدة)، "الأسر في رحلة مغربية موريسكيّة لمجهول في القرن الهجري التاسع"، **AAM**، عدد 16 سنة 2009. صص. 9 – 26.

[3] Epalza. Mikel. De, "Dos TextosMoriscosBilingües (árabe y castellano) de Viajes a Oriente(1395 y 1407-1412)", *Hesperis-Tamuda*, vol. XXI, 1982-83, 25-112.

لذلك ظلت مكانة العلماء في النّهضة العلميّة لأوروبا هامّة خلال هذه الحقبة[1]، ولم يقتصر استخدامهم في التّدرّب على الجدل الدينيّ أو لقيمتهم المادّية المرتفعة فقط، بل استُخدم بعضهم لنسخ المخطوطات العربيّة، منذ القرنين 6 و7هـ./ 12 و13 م. واستخلص أحد الباحثين ذلك من خلال خواتيمها الّتي لم تكن تحتوي على تاريخ الكتابة والتّوقيع فقط، بل كان النّاسخون يضيفون إلى ذلك أدعية يعبّرون فيها عن رغبتهم في الخلاص من براثن الأسر[2].

وبالتّالي لا يمكن حصر التّعدّيات الّتي راح ضحيّتها العديد من العلماء وسكّان السّواحل خلال مختلف الفترات الّتي عاشها المتوسّط الغربيّ، والّتي شكّلت أفقا آخر من آفاق التّطورات الحاصلة في موازين القوى بين شمال المتوسّط وجنوبه، ولم تكن بمنأى عن تردّي الأوضاع الّذي يعيشه المجتمع الإفريقي وانحلال المنظومة السّياسيّة والأزمة الشاملة الّتي ساعدت على تأطير ذلك الإحساس بالعدميّة السّالبة والإحباط، وساهمت من ناحية أخرى في انتشار الصّوفية والطّرقيّة بمختلف أصنافها، وبين سائر فئات المجتمع[3].

الخاتمة:

في نهاية الأمر فإن المواقف الفقهية الّتي رأيناها من خلال هذا العمل، كانت تعبيرا عن واقع الأزمة الّتي تمرّ بها إفريقيّة والغرب الإسلاميّ بصفة عامة، حيث اقتصرت على ذكر بعض التّقييمات الّتي لم ترتق مطلقا إلى درجة الوعي الكامل بالأخطار المتزايدة المفروضة من القوى المسيحيّة شمال المتوسّط والّتي ستؤدّي في النّهاية إلى سقوط المنطقة في شرك الاستعمار، ومع ذلك فقد عكست لنا صورة عن القناعات الفكريّة للنّخب الفقهيّة والعالمة، هذه النخبة الّتي التزمت التزاما مطلقا بالمواقف السياسية للدولة الحفصية التي كانت تسعى إلى تركيز نفوذها داخليّا وخارجيّا.من ناحية أخرى، رغم الاستقرار النّسبيّ الّذي حقّقته الدّولة منذ نهاية القرن 8 هـ/ 14 م،فإنّها لم تعد قادرة على مجابهة متغيّرات المرحلة، ففقدت تدريجيّا قوّتها وعلاقتها العضويّة بالمجتمع، كظاهرة عامّة سوف تتواصل لمدّة طويلة ببلاد المغرب، وهو ما حدا ببعض الباحثين الّذين درسوا تفاصيل هذا الواقع، إلى اعتبار المخزن عنصرا محافظا عاق تطوّر

---

[1] وأشهر العلماء الّذي وقع في الأسر على ما يبدو هو الجغرافيّ المغربيّ الوزّان الفاسي الغرناطي الأصل الّذي أسر لما كان عائدا من رحلته إلى مصر عبر البحر سنة 1519، من قبل القراصنة الصّقلّيين وفي حوزته المسودّات الّتي كان وضعها خلال رحلاته حول إفريقيا، وقدّمه القراصنة هديّة إلى البابا ليون العاشر في روما، ليتم تنصيره واستعماله في تدريس اللغة العربية، كما ألّف معتمدا على ملاحظاته الأولى كتابه " وصف افريقيا" الّذي أصبح أهمّ مصدر جغرافيّ لأوروبا فيما يتعلّق بإفريقيا وبلاد البربر.

[2] Van Koningsveld (P.S), Andalusian – Arabic manuscripts from Christian Spain: a comparative intercultural approach. “ Israel oriental Studies, 1992, 12 esp. pp. 100 – 102 – 104.

[3] العروي (عبد الله)،**مجمل تاريخ المغرب**، ج 2، ص 221.؛ عيسى (لطفي)، **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، سراس للنشر، تونس، 1994. ص 30.

المجتمعات المغربيّة باستمرار وشكّل جدارا فاصلا بين عالم متوسّطي عاش طوال الفترة الوسيطة حالة نموّ وتوسّع سريعين ومجتمع محلّيّ طغت على جميع مبادراته نوازع الإتّباع والتّقليد، ولم ينفتح على عصره إلاّ بقدر انبهاره بالأسلحة المدمّرة الّتي كانت تجرّها العساكر المخزنيّة ساعة توغّلها بالدّواخل بهدف إخضاع السّكان وتحويلهم إلى رعايا مجبرين على دفع ما احتاجت إليه من ضرائب ومجابي[1].

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصادر:**
- الأبيّ، **إكمال إكمال المعلّم**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت،دت.
- ابن الأثير، **الكامل في التّاريخ**، تحقيق، عمر عبد السّلام التّدمري، دار الكتاب العربيّ،الطبعة الأولى ، بيروت 1997.
- البرزلي، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا بالمفتيين والحكام**، تقديم وتحقيق محمّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلاميّ،الطبعة الأولى، بيروت 2002.
- البكري، **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلاميّ،الطبعة الأولى، بيروت، 1992.
- التّجاني، **الرّحلة**، قدّم لها، حسن حسني عبد الوهّاب، الدّار العربيّة للكتاب، الطبعة الأولى، تونس، 1981.
- التّرجمان (عبد الله)، **تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصّليب**، دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الدّاعوق، دار البشائر الإسلاميّة،الطبعة الأولى، بيروت 1988.
- ابن حجر العسقلاني، **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة**، تحقيق محمّد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثّانية،الطبعة الثانية، الهند 1972.
- ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر،الطبعة الثانية، بيروت 2000.
- الرّاشدي، **ابتسام الغروس ووشي الطّروس**، طبعة حجريّة، مطبعة الدّولة التّونسيّة، 1303 هـ.
- ابن رشد، **البيان والتّحصيل**، تحقيق، سعيد إعراب، دار الغرب الإسلاميّ، الطبعة الثانية، بيروت 1988.
- الرّصّاع، **شرح حدود ابن عرفة**، تحقيق، محمّد أبو الأجفان والطاهر المعموري،الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1993.
- الزّركشي، **تاريخ الدّولتين الموحّدية والحفصيّة**، تحقيق محمّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس 1966.
- ابن أبي زيد القيرواني، **الرّسالةفي فقه الإمام مالك**، ضبطه عبد الوارث محمّد علي، دار الكتب العلمية، الطبعة الخامسة، بيروت 2014.
- ابن أبي زيد القيرواني، **كتاب الجامعفي السنن والآداب والمغازي والتاريخ**، تحقيق، عبد المجيد الترك، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت 1990.
- سحنون، **المدوّنة الكبرى**، دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى، بيروت 1994.

[1] أنظر : العروي (عبد الله)، **م.س.**، ج 2، ص 217.؛ عيسى (لطفي)، **مغرب المتصوّفة**، ص 518. أنظر أيضا:
Cherif (M. H), Pouvoir et société dans la Tunisie de H'usayn ben Ali (1705 – 1740), pub, Université de Tunis 1984, T 1, p 189.

- ابن عرفة، **المختصر الفقهيّ**، صحّحه ونقّحه وعلّق هوامشه، حافظ عبد الرحمن محمّد خير، مؤسّسة خلف أحمد الحبتور، الطبعة الأولى، دبي 2014.
- الغبريني، **عنوان الدّراية فيمن عرف من علماء في المائة السّابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979.
- القيسي (محمد)، **مفتاح الدين والمجادلة بين النّصارى والمسلمين من قول الأنبياء والمرسلين والعلماء الراشدين**، مخطوطة المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1557.
- ابن ناجي، **شرح على متن الرسالة**، اعتنى به أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 2007.
- ابن ناجي، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق محمّد المجدوب وعبد العزيز المجدوب، المكتبة العتيقة، تونس د. ت.
- الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيّة والأندلس والمغرب**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمّد حجّي، نشر وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، الطبعة الأولى، المملكة المغربيّة 1981.
- Brunschvig (R.), *Deux récitsde voyageinédits en Afrique*du Nord au XVe siècle : Abdalbasit B. Halil et Adorne, Larose, Paris 1936.

قائمة المراجع:

- المراجع باللغة العربية:

- أبو القاسم (سعد الله)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار البصائر، الجزائر، 2007.
- برانشفيك، **تاريخ إفريقيّة في العهد الحفصيّ: من القرن 13 إلى نهاية القرن 15**، نقله إلي العربيّة حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1988.
- بعيزيق (صالح)، **بجاية في العهد الحفصيّ: دراسة اقتصاديّة واجتماعيّة**، منشورات كلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، تونس 2006.
- بن حمادي (عمر)، **الفقهاء في العصر المرابطيّ**، شهادة تعمّق في البحث، تحت إشراف محمد الطالبي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1987.
- بنعزوز (فريدة)، "الأسر في رحلة مغربية موريسكيّة لمجهول في القرن الهجري التاسع"، **AAM**، عدد 16 سنة 2009. ص ص. 9 – 26.
- بوتشيش (إبراهيم القادري)، "موقف العلماء الأندلسيّين من التحدّيات الصّليبية في الأندلس إبّان عصر ملوك الطّوائف"، **إضاءات حول تاريخ الغرب الإسلاميّ وتاريخه الاقتصاديّ والاجتماعيّ**، دار الطّليعة بيروت، 2000. ص ص. 116 – 130.
- جعيّط (هشام)، **تأسيس الغرب الإسلاميّ: القرن الأوّل والثّاني هـ./ السّابع والثّامن م**، دار الطّليعة، بيروت 2004.
- حسن (محمد)،**المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، منشورات كلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، تونس 1999.
- حسن (محمد)، "أوج العصر الحفصيّ"،**تونس عبر العصور**، مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، تونس 2005. ج 2، صص. 105 – 131.

- سعيدان (عمر)، **علائق الحفصيّين ببلاط أراغون في عهد جاكمو الثاني**، مؤسّسة سعيدان للطّباعة والنّشر، سوسة 1985.
- العجيلي (حامد)، **العبد والأسير في افريقيّة من منتصف القرن الرّابع عشر إلى نهاية القرن السّادس عشر**، بحث لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف محمد حسن، كلّية العلوم الإنسانيّة 2011.
- العروي (عبد الله)، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الطبعةالثانية، الدار البيضاء 2000.
- العسري (محمّد عبد الواحد)، "قواعد المناظرة وأخلاقيتها من خلال مجادلة محمّد القيسي ومحمّد الأنصاري للنصارى بالأندلس"، **مجلة التّاريخ العربي**، عدد 15، سنة 2000، ص ص. 331 – 349.
- عليّ (معمر يحيى)، **الإباضيّة في موكب التاريخ**، رسالة ماجستير في التّاريخ الحديث، تحت إشراف محمد حسن،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.
- عيسى (لطفي)، **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربيّة خلال القرن السابع عشر**، سراس للنشر، تونس، 1994.
- عيسى (لطفي)، **مغرب المتصوفة : الانعكاسات السياسيّة والحراك الاجتماعي من القرن 10 م إلى القرن 17 م**، مركز النشر الجامعي، تونس 2008.
- غراب (سعد)، **ابن عرفة والمنزع العقلي**، الدّار التّونسية للنّشر، تونس 1993.
- كونستابل (أوليفيا ريمي)، **إسكان الغريب في العالم المتوسّطي، السّكن والتّجارة والرّحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط**، تعريب وتقديم محمّد الطّاهر المنصوري، مراجعة محمّد ياسين الصيد، دار المدار الإسلاميّ، بيروت 2013.
- محفوظ (محمد)، **تراجم المؤلّفين التّونسيّين**، دار الغرب الإسلاميّ، الطبعة الثانية، بيروت 1994.
- الهنتاتي (نجم الدّين)، "الجهاد بين النّظرية والواقع لدى علماء المالكيّة بإفريقيّة خلال العهدين الأغلبيّ والفاطميّ"، **الكرّاسات التّونسيّة**، عدد 169 – 170، سنة 1995، ص. 49– 67.

- **المراجع باللغات الأجنبية:**

- Braudel (F.), *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*, Armand colin, Paris 1979.
- Brunschvig (R.), « Documents inédit sur les relations entre la couronne d'Aragon et la Berbèreie orientale au XIVe s », *Annales de l'institut d'Etudes Orientales*, T.II, 1936. pp. 235 – 265.
- Cherif (M. H), *Pouvoir et société dans la Tunisie de H'usayn ben Ali (1705 – 1740)*, pub, Université de Tunis 1984.
- Dufourcq(Ch. E.), *L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIIIe et XVe siècles*, Paris, 1966.
- Dufourcq(Ch. E.), « Documents inédit sur la politique ifrikienne de la couronne d'Aragon », *Analecta sacra Tarraconensia*, vol XXV, 1954, p. 255- 291.
- Durand (L.), *Pirates et Barbaresques en Méditerranée*, Histoire de Sud, Aubanel, 1975.
- Epalza. (M.), «Dos TextosMoriscosBilingües (árabe y castellano) de Viajes a Oriente(1395 y 1407-1412)», *Hesperis-Tamuda*, vol. XXI, 1982-83, 25-112.

- Fontenay (M.),« La place de la course dans l'économie portuaire : l'exemple de Malte et des ports barbaresques », *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*. 43e année, N. 6, 1988. pp. 1321-1347.
- Guichard (P.), « Les débuts de la piraterie andalouse en Méditerranée occidentale (798-813) », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, N°35, 1983. pp. 55-76.
- Mansouri (M. T.), « le Maghreb Médiéval face aux expéditions occidentales », *Cahiers de Tunisie*, t. XLVIII, n° 169-170, 2éme trim. 1995, pp. 137-147.
- Mollat(M.), « De la piraterie sauvage à la course réglementée (XIVe- XVe siècle) », *Mélanges de l'Ecole française de Rome. Moyen-Age, Temps modernes* T. 87, N°1. 1975. pp. 7-25.
- Pellat (Ch.),Imber (C.H.), Kelly (J.B), « Ḳurṣān », *E. I*, Leiden E. J BRILL, 1986, T. 5, pp.502 – 508.
- Valérian (D.) *Bougie port maghrébin* (1067 – 1510), Ecole Française de Rome, 2006.
- Van Koningsveld (P.S), «Andalusian – Arabic manuscripts from Christian Spain: a comparative intercultural approach». *Israel oriental Studies*, E.J. Brill, Leiden New York, Koln 1992, pp. 75 – 98.

الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو في ضوء بعض العوامل السوسيوديمغرافية

د/ ديهية أيت حمودة
جامعة الجزائر -2-

أد/ حكيمة أيت حمودة
جامعة الجزائر -2-

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو، ودراسة مدى وجود الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية تعزى لبعض المتغيرات السوسيوديمغرافية (الجنس، السن، مستوى التعليم ومدة الاصابة بالمرض). ولتحقيق هذا الهدف تم اختيار عينة تتكون من 88 مريض بالربو من الجنسين، وتم استخدام مقياس الملاءمة العلاجية.وبعد جمع المعطيات وتفريغها تم إجراء المعالجة الإحصائية وتوصلنا إلى أن مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو متوسطة، ولا توجد فروق دالة إحصائيا في متوسط الملاءمة العلاجية تعزى لمتغيرات الجنس، السن، مستوى التعليم ومدة المرض.

الكلمات المفتاحية: الملاءمة العلاجية، مرض الربو، العوامل السوسيوديمغرافية.

Résume :

Le but de cette présente recherche est de déterminer le niveau de l'observance thérapeutique chez les asthmatiques, elle vise aussi à étudier les différences de l'observance thérapeutiqueliée au sexe, l'âge le niveau d'étude et ladurée de la maladie asthmatique.

Pour atteindre ce but notre échantillon est constitué de 88asthmatiques, et un échelle d'évaluation de l'observance thérapeutiquea été appliqué. Les résultats montrent que le niveaude l'observance thérapeutiquechez les asthmatiques est moyenne ; Les résultats montrent aussi l'absence de différences significatives de l'observance thérapeutiqueliée au sexe, l'âge le niveau d'étude et ladurée de la maladie asthmatique.

Mots clés :l'observance thérapeutique, l'asthme et variables sociodémographiques.

1- مقدمة وإشكالية الدراسة:

يمس مرض الربو حوالي **300** مليون شخص في العالم، ويمثل مشكل هام للصحة العمومية، وهو داء يمس كل الأعمار من الرضع حتى الشيخوخة، ولوحظ خلال **30** سنة الأخيرة إرتفاع نسبة إنتشار المرض في أغلب دول العالم ويتميز بكونه مرضا مزمنا ويكلف ميزانية الصحة (**Dutau et Lavaud, 2016, p4**).

وتمثل الملاءمة العلاجية مشكلة غالبا ما يواجهها الطبيب في علاقته مع المريض وبالخصوص في الأمراض المزمنة كالربو، ذلك أن المتابعة الطبية لمريض الربو تعتمد على تقييم مدى إحترام وإلتزام المريض بالتعليمات الطبية والتوصيات العلاجية (**Blanc, 2007, p 43**).

وفي هذا السياق، يشير **شمالين وآخرون**(Shmaling et al, 1998, p 631) أن الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو ترتكز على مجموعة من النشاطات والسلوكات كأخذ الأدوية، الزيارات الطبية، تجنب وإبعاد مولدات الحساسية، قياس الوظيفة التنفسية وتعاون المريض.

وفي الممارسات الميدانية الطبية غالبا ما يواجه الأطباء مشكلات إتباع المريض لنصائحهم وتعليماتهم العلاجية (الملاءمة العلاجية)، فهناك العديد من المرضى لا يمتثلون بصفة صحيحة للتعليمات الطبية رغم المجهودات المبذولة من طرف الأطباء (معلومات – حوار) سواء تعلق الأمر بمرضى مصابين بأمراض حادة (Aigues) أو بأمراض مزمنة (Assal, 1996, p2).

وهذا ما دفع بالعديد من الباحثين أمثال **كولب وآخرون**(Kolbe et al, 1996, p 1463) التساؤل لماذا لا يمتثل المرضى للتعليمات والنصائح الطبية المقدمة لهم (عدم الملاءمة العلاجية) مع علمهم ومعرفتهم بالأخطار التي يمكن أن يتعرضوا إذا إستمروا في عدم إمتثالهم الطبي؟. ويضيف بأن الكثير من المرضى نجدهم يستهترون ويضعون حياتهم في خطر قد يصل إلى حد الموت.

وفي إحدى تقارير **منظمة الصحة العالمية** (OMS, 2003) حول الملاءمة العلاجية في حالات المرض المزمن (علاج طويل المدى)، صرحت بأن "تحسين إلتزام المريض بالعلاج يعتبر أكثر أهمية من أية إكتشافات بيوطبية (OMS, 2003, p24).

يصرح **بوتري وآخرون**(Boutry et al, 2001, p470) أن كثيرا ما يواجه الأطباء المختصون بالتكفل العلاجي بمرضى الربو مشكلات الملاءمة العلاجية، حيث لاحظ عدم إلتزام المرضى الربويين بالتعليمات والنصائح الطبية المقدمة من قبل المعالج. ويضيف **دوتوا ولافوود** (Dutau & Lavaud, 2016, p5) أن حوالي **50 %** من المرضى الربويين (راشدين وأطفال) لا يأخذون أدويتهم كما وصفها الطبيب، وهذه الملاءمة العلاجية السيئة أدت إلى ضبط سيء للمرض وظهور الأعراض.

على العموم، أظهرت العديد من الدراسات أن مريض الربو يتميز بمستوى ملاءمة علاجية منخفضة نظرا لكونه يمارس سلوكات لا صحية كالإستعمال السيء للأدوية، عدم الإنتظام في أخذ الدواء أو عدم تناوله أو نسيانه ...إلخ. أوضحت نتائج دراسة **بيكسادو وآخرون** (Piscado et al, 1989, p 232) (دراسة تتبعية مستقبلية إسبانية) تدني مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو مع حدوث حالات وفاة وحالات أخرى أخضعت للعلاج السيكاتري. كما أظهرت دراسة تتبعية أمريكية قام بها **كووتس وآخرون**(Coutts et al, 1992, p 332) أن نسبة 55 % من مرضى الربو تميزوا بتدني مستوى الملاءمة العلاجية والتي تجلت في زيادة تناول جرعات اليومية للدواء.

كما توصلت دراسات تتبعية أمريكية أخرى **كأبتر وآخرون**(Apter et al, 1998, p 1810)، **داييتوآخرون** , (Diette et al, 1999 ;p381) ، **بار وآخرون**(Barr et al, 2002, p 177) **وأبتر وآخرون**(Apter et al, 2003, p19) إلى تدني مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو سواء بزيادة جرعات الدواء أو الإنقاص من إستعماله مقارنة بتعليمات الطبيب المعالج.

وفي نفس السياق، تؤكد العديد من الدراسات أن تدني مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو من خلال عدم الإلتزام بالعلاج المقترح والمواعيد الطبية المبرمجة يزيد من عدد الاستشارات الطبية وحالات الاستشفاء وتفاقم حدة المرض التي قد تهدد حياة المريض. فقد أوضحت دراسة **سترودي وآخرون**(Strudy et al, 2002) على عينة قوامها **533** مريض بالربو في بريطانيا، بأن هناك إرتباط لتدني الملاءمة العلاجية بخطر الموت لدى مرضى الربو (Strudy et al, 2002, p 1034).

كما أظهرت دراسة **ريا وآخرون**(Rea et al, 1986) على عينة قوامها **121** مريض بنيوزيلاندا حيث سجلت **23** حالة وفاة نتيجة تدني مستوى الملاءمة العلاجية (مستوى منخفض)، كما سجلت**8** حالات إلى **16** حالة تعرضت إلى الإستشفاء(Rea et al, 1986, p 833).

ونظرا لتعقد الحالات الصحية وبروز مضاعفات المرض التي قد تهدد صحة المريض وتعرضه لخطر الموت، دفع العديد من الباحثين إلى الإهتمام بسلوك الملاءمة العلاجية والأسباب الكامنة وراء نجاح أو فشل بعض المرضى في تبني هذا السلوك.

يرى كل من **كوراز**(Corraze, 1992) و**باندر وآخرون** (Bender et al, 1997) بأن العوامل السوسيوديمغرافية (sociodémographique) كالسن، الجنس، المستوى الدراسي، وحالة الاجتماعية–الاقتصادية يمكن إعتبارها ذات قيمة تنبئية في مجال الملاءمة العلاجية، وفي مدى تبني المريض لهذا السلوك(inHalimi et al, 2009, p3)، في حين أسفرت دراسة **كابلان وسيمون**(Kaplan et Simon,1990) بعدم وجود علاقة بين العوامل السوسيوديمغرافية (السن، الجنس، مستوى التعليم، مستوى الاجتماعي–الاقتصادي) بمستوى الملاءمة العلاجية(**عن حدرا، 2008، ص 50**).

وفي مجال الإصابة بمرض الربو، أشار كل من **برونشون شويتزار** (Bruchon-Schwietzer,2002) **وريتش** (Reach, 2005) إلى عدم وجود بروفيل (ملمح) خاص لعدم الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو، وإن العلاقة بين الملاءمة العلاجية والمتغيرات السوسيوديمغرافية هي علاقة غير واضحة ومبهمة(In Halimi et al, 2009, p 5).

مع ذلك أسفرت بعض الدراسات منها دراسة **جايمس وآخرون**(James et al, 1985, p7) و**بار وآخرون**(Barr et al, 2002, p 176) أن من العوامل التي تعزز تدني مستوى الملاءمة العلاجية لدى الربو هي: الجنس الذكري، صغار السن أو المسنين، مستوى تعليمي منخفض، مستوى إقتصادي-إجتماعي متدني.

ونظرا لعدم توصل الدراسات إلى نتائج واضحة بخصوص دور هذه العوامل السوسيوديمغرافية في تدني مستوى الملاءمة العلاجية، إتجهت دراسات أخرى منها دراسة **كولب وآخرون** (Kolbe et al, 1998, p 241) للبحث عن عوامل أخرى تساهم في فهم سلوك عدم الملاءمة العلاجية ترتبط بالمرض في حد ذاته مثل حداثة المرض أو قدمه (مدة المرض)، إستمرار المرض، شدة المرض، غياب أو ظهور الأعراض ومعتقدات المريض. كما أوضح **بار وآخرون**(Barr et al, 2002, p 1761) إرتباط تدني الملاءمة العلاجية بحداثة المرض وإنتكاسه. ويرى **كوشران وآخرون** (Cochrane et al, 1999, p 763) **وريتش** (Reach, 2005) أن "لعوامل مثل مدة المرض، شدة المرض، طريقة أخذ الدواء وآثاره الجانبية علاقة بعدم الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو".

نستخلص مما تقدم أن الملاءمة العلاجية (الجيدة أو السيئة) تشكل وتعتبر مسألة دقيقة ومعقدة في الأمراض المزمنة، وبالخصوص في مرض الربو. كما لوحظ إرتباط مستوى الملاءمة العلاجية بالعديد من العوامل منها العوامل السوسيوديمغرافية كالجنس، السن، ومستوى التعليمي التي تلعب دورا مهما في رفع أو تدني مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو. كما أن الأبحاث التي أجريت في هذا المجال والطرق المنهجية التي إتبعتها أسفرت على نتائج غير مرضية وبعضها جاء متناقض، وهذا ما دفع **باندر** (Bendre, 2003 , p 936) للقول:" إن دراسة الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تنتهي غالبا كما بدأت، وهذا راجع لصعوبة قياس الملاءمة العلاجية لدى هذه الفئة المرضية".ومن خلال العرض السابق، يمكن طرح التساؤل الأساسي للدراسة الحالية:**ما مستوىالملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو؟ وهل توجد فروق في مستوى الملاءمة العلاجية تعزى لبعض المتغيرات السوسيوديمغرافية؟**".

ويتفرع من التساؤل الأساسي للدراسة الحالية التساؤلات الفرعية التالية:

1- ما هو مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو؟.

2- هل توجد فروق في مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمتغير الجنس؟.

3- هل توجد فروق في مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمتغير السن؟.

4- هل توجد فروق في مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمتغير مستوى التعليمي؟.

5- هل توجد فروق في مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمدة المرض؟.

2- فرضيات الدراسة:

من خلال التراث السيكولوجي والدراسات السابقة التي تناولت موضوع الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو، نقترح الفرضيات التالية للإجابة على تساؤلات الدراسة الحالية:

1- مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو منخفضة.

2- توجد فروق بين الجنسين في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو.

3- توجد فروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى للسن.

4- توجد فروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمستوى التعليم.

5- توجد فروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمدة المرض.

3- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

1- تحديد مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو.

2- دراسة الفروق في مستوى الملاءمة العلاجية وفقا لمتغيرات الجنس، السن، مستوى التعليم، ومدة المرض لدى مرضى الربو.

4- المفاهيم الأساسية للدراسة:

4-1- مفهوم الملاءمة العلاجية:

يعرفها **(Tourette-turgis , 2005,p01)**: "أن مصطلح الملاءمة العلاجية يرتبط بقدرات الفرد في أخذ أدويته حسب الوصفة المقدمة، وهذه القدرات تتأثر إيجابيا أو سلبيا بعوامل إنفعالية، إجتماعية، سلوكية التي تتفاعل مع بعضها البعض".

ويعرف إجرائيا في الدراسة الحالية من خلال الدرجة التي يحصل عليها الفرد في مقياس الملاءمة العلاجية لـ **Véronique Chateaux** سنة 2005.

4-2- مفهوم الربو:

تعرف **GINA (2010)** على أنه: "إلتهاب مزمن في المسالك الهوائية مصحوبا بزيادة في توتر الشعب الهوائية وتقلصها والتهابها المتكرر مع تهتك في الغشاء المخاطي المبطن للشعب الهوائية، تحدث هذه التغيرات نتيجة للمؤثرات المناعية وغير المناعية التي تجعل المسالك الهوائية تضيق، مما يخفض كمية الهواء الذي يجرى فيها ويجعل الشخص يعاني من ضيق في التنفس و/ أو من الصفير"(**Gina, 2010, p15**).

5- الدراسة الميدانية:

5-1- منهج الدراسة:

تم الاعتماد في الدراسة الحالية على المنهج الوصفي، ويعرف المنهج الوصفي بأنه:" مجموعة الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها، وتحليلها تحليلا كافيا ودقيقا لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج عن الظاهرة أو الموضوع محل البحث" (الرشيدي، 2000،ص59).

5-2- العينة وخصائصها:

اعتمدنا في اختيار أفراد العينة على أسلوبين غير عشوائيينهما طريقة العينة القصدية وعينة كرة الثلج (Snowball Sampling) أو (التراكمي)، وعلى أساسها تم إختيار 88 مريض مصاب بداء الربو من الجنسين، يبلغ متوسط أعمارهم 28.44 وبإنحراف المعياري قدره 8.59. ويمكن حصر أهم خصائص العينة في ما يلي:

جدول رقم (01): خصائص العينة.

خصائص العينة		العدد	النسبة %
الجنس	الذكور	32	36.36
	الإناث	56	63.64
	المجموع	88	100
السن	22-18	29	32.95
	27-23	19	21.59
	32-28	9	10.23
	37-33	5	5.68
	38 فأكثر	26	29.55
	المجموع	88	100
مستوى التعليمي	إبتدائي	6	6.82
	متوسط	22	25
	ثانوي	25	28.41
	جامعي	35	39.77
	المجموع	88	100

مدة المرض	منذ الولادة-4	33	37.5
	7-5	9	10.23
	10-8	18	20.45
	11 فأكثر	28	31.82
	المجموع	88	100

يوضح الجدول رقم (1) ما يلي:

* أن غالبية أفراد العينة هم من الإناث بنسبة 63.64%، ثم الذكور بنسبة 36.36%.

* غالبية أفراد العينة يتمركزون في الفئة العمرية بين **18-22**سنة بنسبة 32.95%، ونسبة 29.55% فئة العمرية 38 فأكثر، ثم تليها الفئة العمرية بين 23-27 سنة بنسبة 21.59%، ثم تليها الفئة العمرية بين 28-32 سنة بنسبة 10.23%، وأخيرا الفئة العمرية بين 33-37 سنة بنسبة قدرت بـ 5.68%.

* غالبية أفراد العينة لديهم مستوى جامعي بنسبة 39.77% ويليها المستوى الثانوي بنسبة 28.41%، ثم المستوى المتوسط بنسبة 25%، ثم المستوى الإبتدائي بنسبة 6.82%.

* غالبية أفراد العينة تراوحت مدة مرضهم بين منذ الولادة-4 سنوات بنسبة 37.5%، ثم تليها نسبة تقدر بـ 31.82% لمن تراوحت مدة مرضهم بين11 سنة فأكثر، ونسبة 20.45% لمن تراوحت مدة مرضهم بين 8-10 سنوات، وأخيرا نسبة 10.23% لمن تراوحت مدة مرضهم بين5-7 سنوات.

5-3- أدوات الدراسة:

5-3-1 مقياس الملاءمة العلاجية:

اعتمدت الباحثتان في الدراسة الحالية على المقياس الذيوضعته **Véronique Chateaux** لقياس سلوك الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو، يحتوي المقياس على 25 بند. وتتم الإجابة وفق الاختيارات الخمس على البنود: أبدا(1)، نادرا(2)، أحيانا(3)، غالبا(4)، بإنتظام(5) **(Chateaux, 2005,p118)**.

5-3-2 الخصائص السيكومترية للمقياس في البيئة الجزائرية:

* **صدق الاتساق الداخلي:** تم حساب صدق الاستبيان على عينة قوامها 39 مريض مصاب بالربو، بالاعتماد على طريقة صدق الاتساق الداخلي، وذلك حسب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة الكلية للاستبيان وأبعاده الأربعة، وبين الدرجة الكلية للمقياس، أسفرت النتائج على معاملات ارتباط تتراوح بين 0.62 – 0.94 ، وتشير إلى صدق المقياس.

* **الثبات:** تم التأكد من مقياس المعتقدات الصحية عن طريق حساب قيمة معامل ألفا (α) كرونباخ والتي بلغت قيمته 0.78 وتشير إلى ثبات المقياس..

5-4 عرض ومناقشة النتائج:

5-4-1 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

تنص الفرضية الأولى للدراسة الحالية على ما يلي: "مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو منخفضة". لدراسة هذه الفرضية استخدمت الباحثتان اختبار(ت) لعينة واحدة لدراسة دلالة الفروق بين المتوسط الافتراضي (الربيعي الأدنى= 50) ومتوسط العينة، واختبار (كا^2) لدراسة دلالة الفروق في التكرارات بين مستويات الملاءمة العلاجية (المنخفضة، المتوسطة، المرتفعة). وفيما يلي عرض للنتائج:

جدول رقم(02): يبين نتائج تطبيق اختبار (ت) لعينة واحدة لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية بين المتوسط الافتراضي و متوسط العينة.

الملاءمة العلاجية	حجم العينة	المتوسط الافتراضي	متوسط العينة	الانحراف المعياري للعينة	قيمة(ت) المحسوبة	درجة الحرية	قيمة (ت) المجدولة	الدلالة الاحصائية
	88	50	76.66	15.14	16.51	87	2.61	دال عند 0.01

ويوضح الجدول التالي نتائج تطبيق اختبار كا^2 لدراسة دلالة الفروق في التكرارات بين مستويات الملاءمة العلاجية (المنخفضة، المتوسطة، المرتفعة).

يتبين من الجدول رقم (02)، ومن تطبيق اختبار (ت) لعينة واحدة لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية بين المتوسط الافتراضي (المتوسط النظري= الربيعي الأدنى) ومتوسط العينة، أنه توجد فروق دالة إحصائيا عند مستوى 0.01 ، حيث أن قيمة (ت) المحسوبة والمساوية (16.51) أكبر من قيمة(ت) المجدولة والمساوية (2.61)، حيث أن متوسط العينة (76.66) أكبر من المتوسط الافتراضي (50)، وهذا يعني أن متوسط مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تفوق المتوسط الافتراضي.

جدول رقم (03) : يبين نتائج تطبيق اختبار كا^2 لدراسة دلالة الفروق في التكرارات بين مستويات الملاءمة العلاجية (المنخفضة، المتوسطة، المرتفعة)

المدراء	التكرار	النسبة المئوية	قيمة كا2 المحسوبة	درجة الحرية	قيمة كا^2 المجدولة	الدلالة الاحصائية
منخفضة	07	%03.97	131.88	2	9.21	دال عند 0.01
متوسطة	80	%94.40				
مرتفعة	01	%01.63				
المجموع	88	%100				

كما يتبين من الجدول (03) ومن تطبيق اختبار كا2 لدراسة دلالة الفروق في التكرارات بين مستويات الملاءمة العلاجية (المنخفضة، المتوسطة، المرتفعة)، أنه توجد فروق دالة إحصائيا عند 0.01 ، حيث أن قيمة كا2 المحسوبة والمساوية (131.88) أكبر من قيمة كا2 المجدولة والمساوية(9.21)، وهذا يعني أن نسبة مرضى الربو ذوي مستوى متوسط في الملاءمة العلاجية (94.40%) أكبر من نسبة المرضى ذوي مستوى منخفض في الملاءمة العلاجية (3.97%). وعليه نرفض فرضية الدراسة الأولى وكجواب لها يمكن القول: "مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو متوسط.

لا تتفق نتيجة الدراسة الحالية مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة حول مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو. فقد أظهرت بعض الدراسات أن مريض الربو يتميز بمستوى ملاءمة علاجية ضعيفة، نظرا لكونه يمارس سلوكات لا صحية كالإستعمال السيء للأدوية، عدم الإنتظام في أخذ الدواء، أو عدم تناوله ونسيانه، ...إلخ. لهذا يبقى قياس الملاءمة العلاجية حقلا حيويا في مرض الربو، لأن الأبحاث التي أجريت في هذا المجال والطرق المنهجية المتبعة أسفرت على نتائج غير مرضية وبعضها جاء متناقض **.(ANAES, 2002, p24)**

وفي السياق نفسه، أوضحت دراسة تتبعية مستقبلية (بإسبانيا) قام بها **بيسكادو وآخرون(Piscado et al, 1989)** على عينة قوامها 49 مريض بالربو، إمتدت الدراسة بين 23 أسبوعا إلى 10 سنوات. أسفرت نتائجها تدني مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو مع حدوث حالات وفاة وأخرى خضعت للعلاج السيكاتري(**Piscado et al, 1989, p 232).**

كما توصلت دراسة **دابيت وآخرون(Diette et al, 1999)** بالولايات المتحدة الأمريكية، هي دراسة تتبعية عرضية على عينة قوامها 6612 مريض بالربو يتابعون علاجا بالكورتيكوويد المستنشق. أسفرت نتائجها

نسبة تقدر بـ 15،8% من مرضى الربو المعتدل إلى الربو الحاد يستعملون الكورتيكوويد المستنشق بشكل مفرط (إستعمال أكثر من 8 نفخات بالبخاخة)، بينما سجلت نسبة تقدر بـ 64% من الحالات تميزت بإنخفاض إستعمال هذا الدواء (إنقاص الجرعة). يتضح من هذه الدراسة تدني مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو سواء بالإفراط في تناول الدواء أو الإنقاص من إستعماله مقارنة بتعليمات الطبيب المعالج **(Diette et al, 1999, p 697)**.

وفي نفس الإطار، وضح **عصمان وآخرون (Osman et al, 1993) وبوسلي وآخرون(Bosley et al, 1995)(In Pujet, 1999, p 199) وفان جرونسفان وآخرون(Van Grunsven et al, 2000, p 225)** بأن مرضى الربو لا يستعملون الأدوية الموصوفة لهم من قبل الطبيب المعالج بسبب تخوفهم من آثار الكورتيكوويد، وأن فوبيا الكورتيكوويد ونقص الثقة حول فعالية العلاج قد تكون من عوامل تدني الملاءمة العلاجية لديهم.

من خلال عرض نتائج الدراسات السابقة حول مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو إتفقت غالبيتها على تدني مستواها، وهذا ما لم يتفق مع الدراسة الحالية حيث أن 94،40% من أفراد عينة البحث الحالي أظهروا من خلال إجاباتهم على مقياس الملاءمة العلاجية أن مستوى ملاءمتهم العلاجية كان في المتوسط مقابل نسبة ضعيفة قدرت بـ 97،3% تميزوا بتدني الملاءمة العلاجية.

وإتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج بعض الدراسات السابقة كالدراسة التي أجراها **كاينجاس وآخرون(Kyngas et al, 2000)** حول الملاءمة العلاجية لدى المراهقين المصابين بالأمراض المزمنة (الربو، السكري من نمط الأول، مرض الصرع، إلتهاب المفاصل)، حيث تكونت عينة الدراسة من 1000 مريض بأمراض مزمنة. أسفرت النتائج أن 60% من الحالات صنفت ضمن مستوى ملاءمة العلاجية مقبولة (مرضية– في المتوسط)، في حين قدرت نسبة الحالات التي صنفت ضمن الملاءمة العلاجية السيئة بـ 17%، ونسبة قدرت بـ 23% تميزوا بملاءمة علاجية جيدة**(In Bovin et al, 2016, p 303)**

أشارت **منظمة الصحة العالمية(OMS, 2003)** أن قرابة 50% فقط من المرضى المزمنين في البلدان النامية والمتطورة يلتزمون ويمتثلون لعلاجهم الطبي مقابل نسبة تتراوح ما بين 50–55% من المرضى الذين لا يلتزمون بعلاجهم (تدني مستوى الملاءمة العلاجية) **(OMS, 2003, p 24)**.

5-4-2 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

تنص الفرضية الثانية للدراسة الحالية على ما يلي: "توجد فروق بين الجنسين في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو"، لدراسة هذه الفرضية استخدمت الباحثتان اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية حسب متغير الجنس، وفيما يلي عرض للنتائج.

جدول رقم(04): يبين نتائج تطبيق اختبار(ت) لعينتين مستقلتين لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية حسب متغير الجنس.

الملاءمة العلاجية	متغير الجنس	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة(ت) المحسوبة	درجة الحرية	قيمة (ت) المجدولة	الدلالة الاحصائية
	إناث	56	78.13	12.30	1.07	86	2	غير دال 0.05
	ذكور	32	74.09	19.08				

يتبين من الجدول السابق ومن تطبيق اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية حسب متغير الجنس، أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا عند مستوى 0.05 في متوسط الملاءمة العلاجية حسب متغير الجنس، حيث أن قيمة (ت) المحسوبة والمساوية (1.07) أصغر من قيمة (ت) المجدولة والمساوية (2)، وهذا يعني عدم وجود اختلاف دال إحصائيا في متوسط الملاءمة العلاجية بين الذكور (74.09) والإناث (78.13) لعينة الدراسة الحالية.وعليه نرفض فرضية الدراسة الثانية وكجواب للفرضية نقول: "لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو.

فيما يخص عامل الجنس، أسفرت بعض الدراسات أن النساء والرجال متساويين في الملاءمة العلاجية، فقد أوضحت دراسة أوضحت دراسة **سيميلاري وآخرون(Similarly et al, 1992)** عدم وجود فروق بين الجنسيين في الإلتزام بالتمارين الرياضية لدى مرضى إرتفاعالكولسترول. و أوضحت دراسة **مونان وآخرون (Monane et al, 1996)** عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في تناول أدوية ضغط الدم **(In Russell, 2005, p 108)** وفي السياق نفسه، فيدراسة أجراها **بلان (Blanc, 2007)** على فئة من الأطفال الربويين أوضحت نتائجها عدم وجود فروق في الملاءمة العلاجية تعزى لمتغيرات الجنس، والسن وعرق المشاركين **(Blanc, 2007, p 44)**.

واتفقت هذه النتائج مع نتيجة الدراسة الحالية حيث لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الجنسين في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو.وتفسير ذلك، فقد أشار كل من **برونشون شويتزار(Bruchon-Schweitzer, 2002)** و**ريتش(Reach, 2005)** إلى عدم وجود بروفيل خاص لعدم

الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو، وأن العلاقة بين مستوى الملاءمة العلاجية والمتغيرات السوسيوديمغرافية هي علاقة غير واضحة ومبهمة **(In Halimi et al, 2009, p 5)**.في حين لم تتفق نتيجة البحث الحالي مع نتائج دراسات **جايمس وآخرون (James et al, 1985, p 7)** و**بارر وآخرون (Barr et al, 2002, p 176)** التي أظهرت أن تدني مستوى الملاءمة العلاجية تظهر لدى فئة الرجال، والمرضى ذوي المستوى التعليمي منخفض، ومستوى اقتصادي متدني.

5-4-3 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

تنص الفرضية الثالثة للدراسة الحالية على ما يلي: " توجد فروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى للسن". ولدراسة هذه الفرضية استخدمت الباحثتان اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) لدراسة دلالة الفروق، وفيما يلي عرض لمختلف النتائج:

جدول رقم(05): يبين نتائج تطبيق اختبار تحليل التباين الأحادي(ف) لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمتغير السن.

الملاءمة العلاجية/ السن	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	الدلالة الاحصائية
19سنة فأقل	18	80,78	9,065	562,808	3	187,603	0.813	غير دال عند 0.05
20-29 سنة	33	76,82	17,793	19384,965	84	230,773		
30-39 سنة	18	72,94	17,801					
40-49 سنة	19	76,00	11,714	19947,773	87			
المجموع	88	76,66	15,142					

يتبين من الجدول رقم (05) ومن تطبيق اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية حسب السن، أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا عند 0.05، حيث أن قيمة (ف) المحسوبة والمساوية (0.813) غير دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.05، وهذا يعني أن مستوى الملاءمة العلاجية لا يختلف باختلاف سن المرضى الربويين وعليه نرفض الفرضية الثالثة للدراسة الحالية. وكجواب يمكن القول:" لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الملاءمة العلاجية تعزى سن المريض بالربو".

ولا تتفق نتيجة الدراسة الحاليةمع ما توصلت إليه الدراسات السابقة حول مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمتغير السن. فقد أسفرت نتائج دراسة **هاينز وآخرون(Haynes et al, 1979)** حول دور السن في مستوى الملاءمة العلاجية، أنه توجد فروق دالة احصائيا في متوسط الملاءمة العلاجية

بالخصوص في فترتي المراهقة والشيخوخة التي تعتبر مراحل حياتية هامة **(In Halimi et al, 2009, p 5)** ويضيف **جيبسون (Gibson)** أن الملاءمة العلاجية تنخفض مع التقدم في العمر، وتكون مرتفعة لدى فئة الرضع والأطفال بحيث تصل نسبتها إلى 77%.

وفي نفس السياق، أوضح **والدرس(Walders,)** من خلال دراسته على عينة تراوح سن أفرادها بين 8-16 سنة، وجد أن نسبة تقدر بـ 46% تميزوا بالملاءمة العلاجية، ذلك أن في فترة المراهقة والطفولة يشترك الآباء والأمهات مع أبنائهم المرضى المزمنين الربويين في تطبيق العلاج. كما أسفرت دراسته على أن الملاءمة العلاجية على إرتباط عكسي مع السن، حيث لوحظ إمتثال نسبي أفضل لدى الطفل والمراهق بالمقارنة مع الراشد**(In De blic,2007, p 422)**.

وفي دراسة قامت بها كل من **حاليمي وآخرون(Halimi et al, 2009)** أظهرت أن المرضى الذين تميزوا بتدني مستوى الملاءمة العلاجية هم صغار السن بسبب ممارستهم لبعض سلوكات الخطر كالتدخين، والكحول والمخدرات وممارسة الجنس غير الآمن ولديهم معرفة قليلة عن مرضهم. بينما تميز كبار السن بسلوك الملاءمة العلاجية ويعزى ذلك لحرصهم وإهتمامهم بصحتهم.

وتتفق نتائج هذه الدراسة مع ما توصلت إليه **الجمعية الأوروبية للصحة التنفسية(ECRHS)** وجود إرتباط دال بين عامل السن والملاءمة العلاجية لدى عينة قوامها 1771 مريض بالربو، تراوحت أعمارهم ما بين 20 – 44 سنة تم إنتقائهم من 14 دولة أوروبية **(In Cerveri et al, 1999, p 88)**.

وفي دراسة أخرى لـ **مانغ وآخرون(Meng et al, 1999, p 215)** والتي أجريت في أمريكا الشمالية على عينة قوامها 6703 مريض بالربو، تراوحت أعمارهم بين 14- 65 سنة. إتضح أن صغر السن من عوامل الخطر لعدم الملاءمة العلاجية.وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة **شماليينغ وآخرون (Schmaling et al, 1998)** على عينة قوامها 120 مريض بالربو، تم إنتقائهم من مصلحة الإستعجالات الطبية، أسفرت نتائجها تدني الملاءمة العلاجية لدى صغار السن والذين يترددون على مصالح الإستعجالات الطبية **(Schmaling et al, 1998, p 631)**.

كما أسفرت دراسة **عبد الوادود وآخرون (Abdulwadud et al, 1997)** بأستراليا التي أجريت على عينة قوامها 125 مريض بالربو. أن الملاءمة العلاجية تزداد إذا كان سن المريض أكثر من 60 سنة وبالخصوص لدى فئة الذين خضعوا للتربية العلاجية **(L'éducation Thérapeutique)** **(Abdulwadud et al, 1997, p 524)**.

يتضح مما تقدم عدم اتفاق نتيجة الدراسة الحالية(عدم وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى الملاءمة العلاجية تعزى سن المريض بالربو) مع ما توصلت إليه نتائج الدراسات السابقة حول ارتباط الملاءمة العلاجية بعامل السن التي جاءت بدورها متناقضة.

5-4-4 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الرابعة:

تنص الفرضية الرابعة للدراسة الحالية على ما يلي: " توجد فروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمستوى التعليم". ولدراسة هذه الفرضية استخدمت الباحثتان إختبار تحليل التباين الأحادي (ف) لدراسة دلالة الفروق، وفيما يلي عرض لمختلف النتائج:

جدول رقم(06): يبين نتائج تطبيق اختبار تحليل التباين الأحادي(ف) لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى للمستوى التعليمي.

الملاءمة/ مستوى التعليم	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	الدلالة الاحصائية
إبتدائي	6	80,17	8,681	1180,9	3	393,6	1,76	غير دال عند 0.05
متوسط	22	78,45	13,578	18766,8	84	223,4		
ثانوي	25	70,88	16,463	19947,7	87			
جامعي	35	79,06	15,353					
المجموع	88	76,66	15,142					

يتبين من الجدول أعلاه ومن تطبيق اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى للمستوى التعليمي، أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا عند 0.05، حيث أن قيمة (ف) المحسوبة والمساوية (1.76) غير دالة إحصائيا، وهذا يعني أن مستوى الملاءمة العلاجية لا تختلف لدى مرضى الربو باختلاف المستوى التعليمي (ابتدائي، متوسط، ثانوي، جامعي) للمريض و عليه نرفض فرضية البحث. وكجواب يمكن القول: "لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الملاءمة العلاجية تعزى للمستوى التعليمي للمريض بالربو".

يرى كل من **كوورز**(Corraze, 1992)، و**باندر وآخرون**(Bender et al, 1997) بأن للعوامل السوسيوديمغرافية (Socio- Démographique) كالمستوى التعليمي يمكن إعتباره عامل تنبئي هام في مجال الملاءمة العلاجية، وفي مدى تبني المريض لهذا السلوك(In Gauchet, 2008, p 36). وفي هذا السياق، أسفرت دراسة **سالي وآخرون**(Sally et al, 2009) أنه يمكن للوضع الإجتماعي- الإقتصادي

ومستوى التعليم أن يؤثر في مستوى الملاءمة العلاجية، لأن بعض المرضى المزمنين يجدون صعوبة للإلتزام العلاجي والقيام بسلوك صحي بسبب إنخفاض الدخل وقلة التعليم وتدني الحالة الإجتماعية والإقتصادية، على عكس ذوي الدخل والتعليم المرتفع**(Sally et al, 2009, p 445)**. كما أجرى **أبتر وآخرون(Apter et al, 2003, p 1219)** دراسة على عينة قوامها 85 مريض بالربو (و. م. أ) وقياس الملاءمة العلاجية من خلال أجهزة إلكترونية. أسفرت نتائجها تدني مستوى ملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو ذوي مستوى تعليمي وإقتصادي منخفض.ولم تتفق نتيجة الدراسة الحالية (عدم وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى الملاءمة العلاجية تعزى للمستوى التعليمي للمريض بالربو) مع ما توصلت نتائج الدراسة السابقة، ولكنها اتفقت مع دراسة **كابلان وسيمون(Kaplan et Simon, 1990)** التي أسفرت بعدم وجود إرتباط بين الملاءمة العلاجية والعوامل السوسيوديمغرافية كمستوى التعليم **(عن حدار، 2008، ص 50)**.

5-4-5 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الخامسة:

تنص الفرضية الخامسة للدراسة الحالية على ما يلي: " توجد فروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمدة الإصابة بالمرض". ولدراسة هذه الفرضية إستخدمت الباحثتان إختبار تحليل التباين الأحادي (ف) لدراسة دلالة الفروق، وفيما يلي عرض لمختلف النتائج المتعلقة بهذه الفرضية:

جدول رقم (07): يبين نتائج تطبيق اختبار تحليل التباين الأحادي(ف) لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمدة الإصابة بالمرض.

الملاءمة / مدة المرض	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	الدلالة الاحصائية
9 سنوات وأقل	41	74,66	17,253					
19-10 سنة	34	77,68	13,257					
29-20 سنة	9	80,78	14,822	381,0	4	95,2	,4040	غير دال عند 0.05
39-30 سنة	2	78,50	9,192	19566,7	83	235,7		
49-40 سنة	2	80,00	4,243	19947,7	87			
المجموع	88	76,66	15,142					

يتبين من الجدول رقم (07) ومن تطبيق اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) لدراسة دلالة الفروق في متوسط الملاءمة العلاجية تعزى لمدة الإصابة بالمرض، أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا عند 0.05، حيث أن قيمة (ف) المحسوبة والمساوية (0.404) غير دالة وهذا يعني أن مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو لا تختلف باختلاف مدة الإصابة بالمرض وعليه نرفض الفرضية الخامسة للدراسة الحالية. وكجواب يمكن القول:" لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الملائمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمدة الإصابة بالمرض".

على العموم لم تتفق نتائج الدراسة الحالية مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة التي جاءت متناقضة فيما يخص علاقة مستوى الملاءمة العلاجية بمدة الإصابة بالمرض. فقد أشار **كريفري وآخرون(Cerveri et al, 1999, p 19)** أن مدة الإصابة بمرض الربو و/أو ضبط المرض وعلاقته بمستوى الملاءمة العلاجية الجيدة أو السيئة، مسألة معقدة، حيث أسفرت نتائج العديد من الدراسات إلى نتائج مختلفة ومتناقضة بخصوص تأثير مدة المرض (الربو) على مستوى الملاءمة العلاجية.

ومن بين تلك الدراسات التتبعية العرضية نجد دراسات كل من **داييت** و**آخرون**(**Dietteet al, 1999, p 698**)، و**كريفري** و**آخرون**(**Cerveri et al, 1999, p 89**)، و **بارر** و**آخرون**(**Barr etal, 2002, p 64**)، حيث أسفرت نتائجها على تدني مستوى الملاءمة العلاجية لدى حالات الربو المصاحبة للأعراض الحادة. وعلى عكس ذلك، أوضحت دراسة **مانغ** و**آخرون**(**Meng etal, 1999, p 213**) تواتر تدني مستوى الملاءمة العلاجية بصفة أكثر لدى مرضى الربو المعتدل.

في حين أظهرت دراسة **لوباز–فينا** و **دال–كاستيلوا أريفاتو**(**Lopez- Vina et DelCastillo-Arevato, 2000, p 760**) أن أفضل وأحسن ملاءمة علاجية سجلت لدى مرضى الربو الحاد **(Sévère)** مقارنة بمرضى الربو المعتدل.

وفي نفس السياق، أشارت دراسة **مانغ و آخرون**(**Meng etal, 1999, p 213**) أن من بين عوامل تدني الملاءمة العلاجية هي: حداثة الإصابة بمرض الربو. وعلى عكس من ذلك، أظهرت دراسة **بارر** و **آخرون**(**Barr etal, 2002, p 64**) أنه كلما كانت الإصابة بمرض الربو قديمة، كلما كانت الملاءمة العلاجية أسوأ.

ونظرا لعدم اتفاق اتجهت دراسات أخرى لدراسة خطورة المرض وتزامنه وعلاقته بالملاءمة العلاجية، فقد أسفرت نتائج دراسة **تان برينك وآخرون**(**Ten Brinke et al, 2001b, p 1093**) حول الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو، تدني مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو المزمن، كما أنهم الفئة الأكثر إقبالا للعناية المستعجلة من مرض الربو على العموم.

كما أظهرت دراسات كل من **باندر** و**آخرون**(**Bender et al, 1997, p 177**)، و**جوناسون** و**آخرون**(**Jonasson et al, 2000, p 330**)، و **فان سشايك** و**آخرون**(**Van schayck et al, 2002, p 126**) و**أونيريمبا** و**آخرون**(**Onyirimba et al, 2003, p 412**) بأن مستوى الملاءمة العلاجية ينخفض تدريجيا مع الزمن.

وفي السياق نفسه، أشار **كولب وآخرون**(**Kolbe et al, 1998**) بأن هناك العديد من العوامل تساهم في فهم عدم الملاءمة العلاجية، يرتبط بعضها بالمريض مثل حداثة المرض، إستمرار المرض، شدة المرض، غياب أو ظهور الأعراض، معتقدات المريض، والبعض الآخر يرتبط بالعلاج والمخطط العلاجي **(Kolbe et al, 1998, p 241)**.

على العموم لم تتفق نتائج الدراسات السابقة الذكر بل جاءت مختلفة ومتناقضة، ويمكن تفسير ذلك لصعوبة قياس الملاءمة العلاجية في الأمراض المزمنة وبالخصوص مرض الربو.

*** خاتمة الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو، وفحص مدى وجود فروق في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لبعض المتغيرات السوسيوديمغرافية (الجنس، السن، مستوى التعليم ومدة الاصابة بالمرض).وبعد اختيار عينة البحث وتطبيق المقاييس النفسية المناسبة، وجمع المعطيات واخضاعها للتحليلات والمعالجات الإحصائية توصّلت الباحثتان إلى عدد من النتائج أهمّها رفض فرضيات البحث الخمسة، حيث جاء مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو متوسط، ولا توجد فروق دالة إحصائيا في متوسط الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو تعزى لمتغيرات الجنس، السن، مستوى التعليم ومدة الإصابة بالمرض".

5-6- الاقتراحات: سيتم في ما يلي عرض بعض الاقتراحات:

- المرضى يتبعون تعليمات الطبيب عندما يقدم لهم شرحا مستويا حول تشخيص المرض، العلاج، ومآل المرض، خطوات تناول الأدوية، ونوع الحمية، وقد تكون هذه التعليمات مكتوبة أو مقروءة ويطلب من المريض إعادتها حتى يتأكد من فهمها، وهي طريقة لتعلم الملاءمة العلاجية.

- ولتحقيق ملاءمة علاجية جيدة لا بد من التأكد من تعلم المريض الاستعمال الصحيح والفعال لأجهزة الاستنشاق (البخاخات)، حيث يمكن للطبيب المعالج عند الزيارة الطبية أن يطلب من المريض الربوي أن بريه كيف يستعمل البخاخة، وفي حالة الاستعمال الخاطئ على المعالج تصحيح الخطأ من خلال توضيح الطريقة الصحيحة .

- ويظهر من الأهمية الأخذ بعين الاعتبار عند التكفل بمريض الربو، أخذ قرار علاجي مشترك (المريض-الطبيب المعالج) فيما يخص الدواء والجرعات، تبسيط العلاج (الابتعاد عن تعقيد العلاج)، التربية العلاجية حول مرض الربو.

- تطبيق برامج التربية العلاجية والصحية لفائدة مرضى الربو والتي تتضمن العديد من النشاطات كالعمليات التحسيسية، تقديم المعلومات والمرافقة النفسية الاجتماعية بخصوص المرض وبخصوص العلاج الموصوف من قبل الطبيب، السلوكات الصحية واللاصحية للمريض، بهدف مساعدة المريض الربوي وعائلته (في حالة الأطفال) فهم المرض والعلاج، والتعاون مع الطبيب المعالج والعيش بطريقة أكثر صحية ممكنة ومحاولة تحسين نوعية الحياة للتعامل مع مرضه بصفة متفائلة، ضف إلى ذلك فالتربية العلاجية تساهم على تحسين مستوى الملاءمة العلاجية لدى مرضى الربو من خلال التثقيف الصحي.

*** قائمة المراجع:**

1- المراجع باللغة العربية:

1- الرشيدي بشير صالح (2000): " **مناهج البحث التربوي**"، دار الكتاب الحديث.

2- حدار عبد العزيز (2008): "**التحالف العلاجي قبل الامتثال العلاجي: المحددات والنماذج النظرية- دراسة في علم النفس الصحي**"، مجلة دراسات نفسية وتربوية، منشورات جامعة البليدة، العدد الثالث أكتوبر.

2- المراجع باللغة الأجنبية:

3- Abdulwadud O, Abramson M, Forbes A , James A, Light L, Thien.F, Walters EH (1997) : « **Attendance at an asthma educational intervention : Characterisric of participants and non participants** », Respir Med, 91 (9) : 524-9.

4- Apter, A.j, Reisine, S. T, Affleck, G, Barrow, E. et Zuwallack, R.L (1998) : « **Adherence with twice-daily dosing of inhaled steriods. Socioeconomic and Health belief differences** », Am J Respir crit Care Med, 157(6Pt1), p1810-1817.

5- Apter AJ, Boston Rc, George M, Norflet AL, Tenhave T, Coyne JC, Brick K, Reisine ST, Cucchiura AJ, Feldman HI (2003) : « **Modifiable barriers to adherence to inhaled steroids among adults with asthma : It's not just black and white** », J. Allergy Clin Immunol, 111(6) : 1219-26.

6- Assal, J.P (1996) : « **Traitement des maladies chroniques de long durée : de la phase aigüe au stade de la chronicité** », Encycl Med Chir (Elsevier, Paris), Thérapeutique, 25-005-A-, P 1-18.

7- Barr, R.G, Somers, S.C, Speizer, F.E, et Camargo, C.A, Jr.(2002) : « **Patient Factors and medication guideline adherence among older women with asthma** », Arch Intern Med, 162(15) ,p1761-1768.

8- Bender, B, Milgrom, H. et Rand, C (1997**) : « Nonadherence in asthmatic patients : Is there a solution to the problem ?** », Ann Allergy Asthma Immunol, 79(3), p177-185 ; quiz 185-176**.**

9-Bender, B, Milgrom, H. et Apter. A (2003) : « **Adherence intervention research : What have we learned and what do next ?** », Allergy Clin Immunol, 112(3), 489-494.

10- Blanc. F-X (2007) : « **L'observance thérapeutique pose encore et toujours des problèmes chez les asthmatiques** », Rev Mal respir, 24 : 43-45.

11- Boutry. L, Matheron. I, Bidat. E (2001) : « **Quand les prescriptions ne sont pas suivi … Penser aux croyances et représentations de santé, l'exemple du patient asthmatique** », Rev Fr Allergo Immunol Clin, 41 : p 470-476.

12- Bovin. E, Gignon. M, Boudailliez. B (2016) : « **La non-observance thérapeutique face une maladie au long cours à l'adolescence : conduite à risque…risques à conduites… de l'adolescence, des parents, du pédiatre…** », Neuropsychiatrie de l'enfance et l'adolescence, Elsevier Masson France, disponible en ligne sur : www.em-consulte.com.

13- Cerveri I, Locatelli F, Zoia MC, Corsico A, Accordini S, De marco R (1999) : « **Intertional variation in asthma treatment compliance : the results of the european community respiratory health survey (ECRHS)** », Eur Respir J, 14 (2) : 288-94.

14- Chateaux . V(2005) : « **Perception de l'asthme par les enfants et leurs parents, impact sur la qualité de vie et l'adhérence d'enfants asthmatiques** », Thèse Pour obtenir

le grade de docteur en Psychologie, Présentée et soutenue publiquement, université METZ_PAUL VERLAINE U.F.R. science humaines et arts.

15- Cochrane, G.M, Horne, R et Chanez, P (1999) : «**Compliance in asthma** », Respir Med, 93(11), p763-769.

16- Coutts JAP, Gibson NA, Paton JY (1992) : « **Measuring compliance with inhaled medication in asthma** », Arch Dis Child, 67 (3) :332-3.

17- DeBlic. J (2007) : « **Observance thérapeutique chez l'enfant asthmatique : Recommandation pour la pratique clinique** », Groupe de recherche sur les avancées en pneumo pédiatrie (GRAPP), Elsevier Masson, Paris, SAS, 419-423.

18- Diette GB, WU.Aw, Skinner EA, Markson L, Clark RD, Mcdonald Rc, Healy JP.jr, Huber M, Steinwachs DM (1999) : « **Treatment patterns among adult patients with asthma : factors associated with over-use of inhaled β2 agonists and under-use of inhaled corticosteroid** », Arch Intern Med, 159(22), 2697-704.

19- Dutau. G, Lavaud. F (2016) : « **Prise en charge et prévention de l'asthme chez les adultes et les enfants âgés de plus de 5 ans. Global Initiative for asthma (GINA). Mise à jour 2015** », Revue Française d'allergologie, disponible en ligne sur : www.em-consulte.com.

20-Gauchet. A (2008) : « **Observance thérapeutique et VIH - Enquête sur les facteurs Biologiques et Psychosociaux** », Edition le Harmattan, Paris, 22, 24-25.

21- Global Initiative For Asthma (updated 2010) : « **Global Strategy for Asthma management and prevention** », the GINA Reports available on www.ginasthma.org**.**

22- Halimi et Pithon et Pry et Varrin et Godard et Chanez (2009) : « **l'appréciation psychosociale de l'observance dans l'asthme sévère : confrontation de données subjectives issues d'une consultation médicale à une mesure objective** », les cahiers internationaux de psychologie sociale, vol 2(82), pp 117-144.

23- James PNE, Anderson JB, Prior JG, White JP, Henry JA, Cochrane GM (1985) : « **Patterns of drugs taking in patients with chronic airfollow obstruction postgard** », Med J, 61 (711) : 7-10.

24- Jonasson G, Carlsen KH, Mowinckel P (2000) : « **Asthma drugs adherence in a long term Clincal Trial** », Arch Dis Childhood, 83 (4) : 330-3.

25- Kolbe, J, Vemos. M, El kind. G, W.et Garrett, J (1996) : **«Differential Influences on asthma self-managment knowledge and self-managment behavoir in acute sver asthma », Chest, 110 :1463-8.**

26-Kolbe, J, Fergusson, W.et Garrett, J (1998) : **« Rapid onset asthma : A severe but uncommon manifestation », Thorax, 53(4), pp 241-247.**

27- Lopez- Viña A, Del Castillo- Arevallo E (2000) : « **Influence of peak expiratory flow monitoring on an asthma self-management education programme** », Respir Med, 94 (8) : 760-6.

28- Meng YY, Leug KM, Berkbigler D, Halbert RJ, Legorreta AP (1999) : « **Compliance with Us asthma management guideline and speciality care : a regional variation or national concern ?** », Eval Clin Pract, 5 (2) : 213-1.

29- Onyirimba F, Apter A, Reisine S, Litt M, Mccusker C, Connors M, Zuwallack R (2003) : « **Direct clinician- to- patient feedback discussion og inhaled steroid use : its effect on adherence** », Ann Allergy Asthma immunol, 90 (4) : 411-5.

30- Organisation Mondial de la sante (2003) : « **Adherence to long-term therapies. Evidence for action** », disponible sur : htpp:// www.who.int chronic-conditions/adhérence report/en/.
31-Piscado C, Mon teserrat JM, De pablo J, Plaza V, Agusti-vidol A(1989) : « **Predisposing factors to death after recovery from a life- threating asthmatic attack** », J. Asthma , 26 (4) : 231.
32- Rea. HH, Scaragg. R, Jackson. R, Beaglehole. R, Fenwick. J, Sutherland. DC (1986) : « **A case- contrôle study of death frome asthma** », Thorax, 41 (11) : 833-9.
33- Sally. A, Shumaker, Judith.K, Ockene, Kristin. A, Riekert (2009) : « **The handbook of health behavior change** », New York, Springer Publication Company, 453, pp 445-447.
34- Schmaling KB, Afari N, Blanc AW(1998) : « **Predictors of treatment adherence among asthma patients in the emergency department** », J Asthma, 35 (8) : 631-6.
35- Strudy. PM, Victor. CR, Anderson. HR, Bland. JM, Butland. BK, Harrison.
36- Tourette- Turgis, C, Rébillion, M, et Pereira-Paulo, L (2005) : « **De l'adhésion à l'observance thérapeutique : Réunir les conditions d'une primo-observance et développer une multiplicité d'intervention dans la durée** », Couselling, Santé et Développement, 1, pp 1-8.
37- Van Schayck CP, Bij L, Hofland ID, Folgering H, Clossterman SG, Akkermans R, Van den Elshout F, Van Weel C (2002) : « **Influence of two different inhalation device on therapy compliances in asthmatic patients** », Scand j. Prim Health Care, 20 (2) : 126-8.

L'art de la rue comme forme d'expression artistique : Le Rap comme exemple

D/ SAADELLAOUI Wahiba - université de Sfax – Tunisie.

Résumé :

Considérer le rap comme art de rue n'est pas seulement une forme d'expression artistique mais aussi un discours chargé de sens et significations. Etre un rappeur issu des quartiers défavorisés et expéditeur des maux sociaux sous forme de chanson assonancée ne suffit pas car il faut qu'il ait sa propre identité comme acteur en système total pour garder sa place comme acteur revendicateur sur le plan national et même international. L'ethnométhodologie et la sociologie clinique semblent les deux approches à suivre dans notre article pour montrer l'interrelation entre rappeur, espace et identité à travers les notions d'assonance musicale et du discours langagier.

Mots clés : Rap, espace, assonance musicale

ملخص:

اعتبار الراب فن شارع ليس كشكل تعبيري فني فحسب وإنما خطابا مشحونا بمعاني ودلالات. لا يكفي أن يكون مغني راب منحدرا من الأحياء المُعدَمة وباثا لآلام اجتماعية في شكل أغاني مسجوعة وإنما يجب أن يكون له هوية مخصوصة كفاعل ضمن نسق عام للحفاظ على موقعه كفاعل مكافِح على الصعيد الوطني وكذلك العالمي. اعتماد الإثنوميتودولوجيا وعلم الاجتماع الإكلينيكي كمقاربتيْن في مقالنا هذا وذلك لإبراز الترابط بين مغني الراب، الفضاء والهوية من خلال مقولتيْ السجع الموسيقي والخطاب اللهجوي.

كلمات مفتاحية: راب، فضاء، سجع موسيقي.

Introduction :

« Houma artiste », ce terme qui traduit une tendance en Tunisie depuis quelques années explique bien la capacité des nouveaux artistes, que sont les rappeurs, à émettre un message chargé de sens polysémique touchant aussi bien les jeunes que les moins jeunes. Cet art attire, avec ses capacités expressives, des catégories touchées par la marginalité, la précarité, le chômage et l'exclusion.

C'est pourquoi le Rap, art de la rue, devient de plus en plus influent, grâce à son style direct et spontané. Il attire de ce fait l'attention du public en occupant de plus en plus des espaces de passage, telle la rue. Ces derniers se transforment en lieux de sensibilité artistique touchant à des faits réels. C'est une réalité chargée de significations qui poussent les rappeurs à extraire les maux sociaux sous forme des chansons contestataires.

Par leurs chansons transmises oralement, les rappeurs tentent de transmettre un message critiquant les institutions, souvent incapables de comprendre les maux sociaux des catégories touchées par la marginalité et le chômage.

A cet égard, nous allons tracer une grille d'analyse afin d'arriver à rendre compte de la valeur, non seulement contestataire, mais aussi spatiale du rap; en effet, le rappeur ne chante pas dans l'absolu, mais plutôt sur une scène physique (en l'occurrence la rue) sans nier son rapport avec le public qui l'écoute.

En Tunisie, les rappeurs chantent de plus en plus en dialecte arabe (tunisien), ce qui démontre clairement que le miroir des chansons des rappeurs c'est surtout le langage ordinaire. Pour cette étude, nous prenons l'ethnométhodologie comme approche théorique, afin d'expliquer que le langage ordinaire qui caractérise les chansons des rappeurs tunisiens apporte un message au public, qui vise à attirer l'attention sur ce qui se passe dans la rue. Ce message ne se construit pas dans le vide, il exprime la propre identité artistique du rappeur. L'approche clinique nous semble également importante pour mentionner que le Rap est une production musicale identitaire. Les rappeurs tunisiens doivent être capables d'exprimer ce que les habitants des quartiers populaires vivent au quotidien.

Trois concepts nous semblent importants :

- La conception du Rap : pour encadrer notre article et mettre en évidence les racines du Rap et son expansion notamment en Tunisie et dans le monde plus généralement.

- L'espace et la question identitaire : concept central pour notre sujet, parce que le rappeur, par ses chansons, va créer son espace subjectif et intuitif, dans le but d'occuper un territoire de plus en plus large. Cette intuition va inciter les rappeurs à construire leurs identités artistiques revendicatives vis-à-vis des institutions de l'État.

- L'assonance musicale : le Rap est une musique assonancée, issue des paroles de gens ordinaires qui expriment des sentiments d'angoisse ; ce que font les rappeurs, c'est transformer ces paroles en un discours musical spontané.

On peut poser la question suivante :

Est-ce-que cette sensibilité artistique gardera sa place, son style et son public ? Ou bien elle va être évacuée comme une mode en voie de disparition à travers les flux du changement ?

I - La conception du Rap

« Le rap tire ses origines de la rue et d'une tradition orale noire américaine. (...). Il n'est pas surprenant que cette musique populaire soit avant tout vocale car l'oralité a une très grande place dans les cultures populaires. »[1]

D'après cette citation, le Rap est avant tout une musique, mais « sans musiciens », comme l'affirme Sébastien Barrio[2]. Le point de départ du Rap était la rue pour fonder une culture artistique spécifique. *«La scène est le lieu dans lequel le rap s'exprime le plus*

[1] - Sébastien Barrio : Sociologie du rap français : Etats des lieux (2000-2006), Thèse de doctorat en sociologie, UNIVERSITE PARIS 8 – VINCENNES/SAINT DENIS
ECOLE DOCTORALE SCIENCES HUMAINES, 2007, p.326
[2] Ibidem, p.42

justement. Le rap n'a pas été créé initialement sur disque, son histoire le situe dans les rues américaines du Bronx (...). »[1]. Cela nous conduit à admettre que la scène spécifique du rap est en fin de compte la rue.

Cette scène ouverte marque la capacité de chaque rappeur à jouer le rôle d'un présentateur d'une réalité quotidienne en plein mouvement. De cette manière, chaque rappeur possède sa propre façon d'émettre son message vocal à un public cible. Nous considérons ici le rap comme forme d'expression artistique musicale chargée de sens et de significations.

S'il est vrai que le Rap tire ses origines des quartiers défavorisés noirs américains, il ne s'est pas cantonné uniquement là-bas, mais s'est répandu dans le monde depuis les années 80. Le rap tunisien s'est fondé dans les années 90.

« Le rap tunisien démarre au tout début des années 1990. On voit quelques artistes et groupes s'aventurer sur des scènes locales (T-Men, Wled Bled, Arab Clan, Brigade Parazit's, Hogra Sexion, Light Beat, B4 Clan, Mc bilel, etc, Rag Tag Music.) avec un succès limité à une sphère d'initiés. En effet, ces artistes demeurent inconnus pour la grande majorité de la jeunesse tunisienne. Cette vague artistique s'amplifiant de génération en génération, on retrouve des rappeurs chantant de plus en plus en tunisien (dialecte arabe local). Cette scène rap est très active et productive mais souffre du manque de soutien à la fois officiel et des éditeurs locaux. Ce manque de soutien est notamment dû au contenu de quelques titres de rap dénonçant les injustices sociales, le chômage, la corruption, etc. Cette scène rap est sous surveillance, surtout depuis l'apparition d'El Général qui interpelle le président Zine el-Abidine Ben Ali sur la corruption, le chômage et les violences de la police. » (Citation tirée de Wikipédia).

A cet égard, le rap tunisien reste encore inconnu dans ces années-là, car il est sous le contrôle du régime de Ben Ali et il n'a pas encore trouvé sa reconnaissance par les institutions officielles en tant qu'art ; d'autre part, les éditeurs musicaux voient dans ce genre musical un vrai danger, à cause les problèmes traités par les rappeurs dans un régime totalitaire qui cache la vérité. Malgré ça, les rappeurs continuent à faire émerger les maux causés par ce régime, tels que la marginalité, le chômage. Mais la vraie émergence du Rap fut en 2011 avec *El Général*, qui dénonça le régime de Ben Ali.

En réalité, le Rap se transforme d'un simple art de rue à un phénomène sociologique. Pour davantage d'explication, nous pouvons recourir à Sébastien Barrio qui analyse le concept du Rap comme étant une expérience libre chargée d'émotions. Il affirme : *« La libération des énergies et des émotions, lors de la performance artistique, permet de solliciter l'approbation du public, et de l'amener à voyager intellectuellement. »*[2] La conceptualisation du Rap dépend de voir cette forme d'expression comme étant une problématique scientifique nécessitant une analyse des codes vocaux qui cachent toute une représentation de Soi envers un monde social en perpétuel changement.

Une question mérite d'être posée :

Si les racines du Rap sont purement américaines, cela empêche-t-il que le Rap tunisien ait son propre style local, national, en même temps qu'un style international, par les capacités des rappeurs à éditer leurs chansons sur un plan mondial ? Au contraire, le Rap

---

[1] -Ibidem, P.259
[2] -Ibidem, p.264

tunisien a son propre style artistique considéré comme art violent. Ce qui nous intéresse, c'est que *« Le rap est simplement la forme d'expression la plus naturelle que l'on puisse obtenir. »*[1]. Cela veut dire que l'existence du Rap en Tunisie n'a rien à voir avec les règles officielles, mais il est lié aux bouleversements populaires qu'a connus la Tunisie le 14 janvier 2011. Cette date a marqué la célébrité du Rap comme forme de protestation. Il critique la situation vécue par la population tunisienne sous forme d'un message verbal assonancé. Ce message exprime clairement un rapport spécial avec l'espace, thème que nous allons aborder dans le deuxième élément d'analyse.

II - L'espace des rappeurs : un monde de représentation du Soi

Le concept de l'espace a coulé beaucoup d'encre. Il n'y a pas une définition bien déterminée de ce concept. Pour arriver à définir sociologiquement l'espace, il faut recourir à des points de vue philosophiques, géographiques, puis sociologiques, dans le but de comprendre la multidimensionnalité du terme. A ce propos, nous pouvons recourir tout d'abord à la vision philosophique qui donne à l'espace son aspect abstrait.

De cette vision, en recourant aux définitions de Newton, Kant montre que *«l'espace ne nous est pas connu par une intuition sensible, qu'il n'est ni une réalité physique ni un concept tiré de l'expérience, mais qu'il relève de la constitution même de la subjectivité. »*[2]. C'est-à-dire que l'espace n'est pas une chose matérielle visible mais un monde totalement invisible, où se créent des relations intuitives et intersubjectives entre les individus. A ce point, parlant de *« L'espace qualitatif »*[3]c'est rendre compte d'un espace représenté par les rappeurs tunisiens. Un espace négligé par les physiciens, c'est-à-dire par les sciences pures qui ne traitent que de l'espace matériel en rapport avec le corps pour en extraire des lois d'analyse en physique et chimie. Le même cas s'applique à la vision mathématique qui soumet l'espace à une équation (de premier ou deuxième degré) dans le but de produire des lois mathématiques abstraites. Ainsi, la conceptualisation de l'espace ne s'arrête pas à ces analyses, elle a été définie par les géographes, qui voient l'espace comme une carte géographique bien déterminée, où chaque individu habite dans un milieu considéré comme lieu de résidence.

En revanche, l'analyse spatio-sociale doit être portée sur la compréhension du rapport créé par les rappeurs tunisiens avec le public et le territoire social. A cet égard, nous pouvons mentionner la citation de Simon Borja, tirée d'un article collectif, intitulé : « Figurer l'espace en sciences sociales ». Il y dit : *« (...) notre propos a consisté à chercher l'articulation entre trois types d'espaces différents qui y coexistent : l'espace physique, l'espace social et l'espace sociocognitif. »*[4]. A travers cette citation, nous pouvons extraire une idée importante qui se rapporte à la relation entre l'espace physique, l'espace social et l'espace sociocognitif.

Cette relation signifie que l'homme crée son propre espace, qui est un lieu de construction identitaire. A cet égard, pour les rappeurs tunisiens, la rue n'est pas un simple lieu de passage. Elle est un territoire d'existence où le rappeur cherche à dessiner son image de soi par sa production artistique. Cela veut dire que dans le cas présent l'espace artistique

[1] -Anthony Pecqueux : « La politique incarnée du rap : Socio-anthropologie de la communication et de l'appropriation chansonnière », Thèse pour le doctorat de sociologie soutenue en 2003 a Paris, p.60
[2] -Jean-François Pradeau : « Des conceptions de l'espace », In : Espace Temps, N°62-63, 1996, p.54
[3] -Ibidem, p.57
[4] -Simon Borja : « Figurer l'espace en sciences sociales », in TRANSEO n°2-3, 2010, p.3

est un espace créé par l'intuition même des rappeurs tunisiens. Donc, la subjectivité symbolique de l'espace incite ces rappeurs à donner une autre représentation de la notion d'espace, où se créent des nouveaux « micro-mondes », comme l'a bien montré Karim Hammou dans son article intitulé : « Comment le monde social du Rap aménage-t-il son territoire ? L'exemple de la polémique autour du groupe manau ». Il affirme : *« Une telle formation de micro-mondes signifie non seulement de nouvelles activités, de nouveaux sites et de nouvelles technologies, mais également de nouveaux univers de discours.»*[1] En effet, les rappeurs tunisiens ne sont pas des acteurs isolés de tout ce qui se passe sur la scène quotidienne. C'est une scène chargée de secrets qui se rapportent à des maux sociaux partagés par toutes les catégories, sans exception. Cela guide ces rappeurs à défier la réalité objective fondée par les institutions étatiques pour créer une nouvelle réalité, purement subjective. D'où émerge un concept essentiel : l'identité.

« Entre l'individu et le sujet, l'identité est une notion carrefour. Elle désigne à la fois des assignations identitaires « objectives »-biologiques, juridiques et sociologiques- et l'ensemble des sentiments subjectifs qui s'expriment dans la formule « être soi-même ».[2] De cette citation tirée de l'ouvrage du sociologue français Vincent De Gaulejac : Qui *est « je » ?*, l'identité n'est pas une simple carte d'identité nationale officielle mais elle est un processus complexe par lequel l'identité *« prend alors une consonance constructiviste et interactionniste. L'identité est un construit, pas une donnée. »*[3]A cet égard, la notion de l'identité est une notion carrefour entre diverses dimensions psychiques, sociales et culturelles qui sont fortement corrélées.

A ce propos, une question nous parait importante doit être posée : les rappeurs tunisiens arrivent-ils vraiment à construire leurs propres identités artistiques? Les rappeurs sont des acteurs sociaux dans le système social. Ils sont des négociateurs en représentant une nouvelle configuration de la réalité basant sur la création des nouvelles chansons critiques innovées. En d'autres termes, pour que le rappeur garde sa place dans la scène, il faut qu'il se montre comme un acteur producteur de nouvelles chansons dévoilant des débats. En fait, ces débats se transforment en énonciations orales dans laquelle le Rap devient *« un outil politico-social. Il véhicule d'une manière affirmée des valeurs et des attentes sociales qui font fi, dans leur énonciation, des protocoles euphémistiques. »*[4] .

Il ne faut pas négliger que la mise en question de la notion de l'identité nous facilite l'analyse du rapport créé entre rappeur/espace/identité. C'est un rapport dialectique car le rappeur crée son propre espace territorial transnational en faisant parler la réalité tunisienne pour élargir son champ d'action en s'adaptant aux changements de l'environnement au plan mondial. En effet, le rappeur construit son identité artistique subjective par le contact quotidien avec le public en écoutant ses maux et ça lui donne une énergie créative pour écrire librement ce qu'il ressent pour suivre toujours le courant. Puis, l'identité artistique du rappeur implique sa personnalité dont se crée la notion du « Je » ; c'est-à-dire le « Je » subjectif du rappeur qui implique sa propre identité. Pour justifier notre idée nous pouvons recourir à la définition suivante : *« L'identité est une notion éminemment psychosociale. « Mon identité »*

---

[1] - Karim Hammou : « Comment le monde social du rap aménage-t-il son territoire ? » L'exemple de la polémique autour du groupe manau, In : Sociétés contemporaines, 2005/3 no 59-60, p.181

[2] - Vincent De Gaulejac : Qui est-je ?, Paris, SEUIL, 2009, p.57

[3] -Martina Avanza et Gilles Laferté : « Dépasser la « construction des identités » ? Identification, image sociale, appartenance », In Genèses 61, 2005, p.135

[4] - Hadj Miliani : «Culture planétaire et identités frontalières à propos du Rap en Algérie », In *Cahiers d'études africaines*, 2002/4 n° 168, p.767

renvoie au sentiment d'être, au sentiment d'unité et de cohérence de la personne, à ce qui la définit comme un être singulier, spécifique, unique, particulier, en définitive à ce qui lui est propre. »[1] En ce sens, le rappeur, par son identité culturelle artistique, produit un espace d'énonciation orale vocale vis-à-vis de son public cible dans le but de transformer sa production chansonnière en projet de sensibilité populaire en éveillant la population tunisienne sur différents aspects de ce qui se passe dans la rue. C'est dans ce glissement de sens que la rue devient non seulement une réalité objective chargée de lois institutionnelles mais une réalité subjective où le rappeur crée sa marge de liberté expressive.

L'essor de cette réalité est la création d'un nouveau discours artistique critiqueur d'un discours politique qui ne voit que ce qu'il veut voir sans prendre en considération les demandes sociales. Dans ce cas là, les chansons râpées deviennent de plus en plus un haut parleur social. Elles ne critiquent pas seulement les aspects négatifs du système politique mais elles indiquent l'image de soi de chaque rappeur. Cette image montre la capacité de chacun à imposer son existence sur scène en tant que sujet acteur au sein du système total. En plus, la vie des rappeurs tunisiens semble un jeu d'échec que chacun va configurer à sa propre façon pour garantir les règles du jeu qui se basent sur l'innovation artistique. Cette dernière signale la construction d'un nouveau monde artistique qui indique l'émergence d'une nouvelle identité urbaine en voie de constitution. A ce propos, les rappeurs tunisiens arrivent-ils à transmettre leurs messages d'une manière spontanée à leurs publics et à les rendre accessibles avec un style langagier assonancé?

III - L'assonance musicale

« Le trait le plus caractéristique et le plus provocateur de la musique rap est qu'on parle au lieu de chanter. »[2] De cette citation, nous pouvons commencer notre analyse conceptuelle du terme assonance. Ce terme désigne, selon la définition de LA ROUSSE la *« Répétition d'un même son vocalique dans une phrase(…) (exemple : sombre, tondre ; peintre, feindre ; âme, âge). »*. Si nous appliquons cette définition à la musique Rap, nous trouvons qu'elle contient un discours oral sans être soumis à des règles d'écriture poétique. De cette idée, nous pouvons considérer le Rap comme une parole sur un fond rythmique sans qu'il soit une chanson avec mélodie ; parce que les rappeurs tunisiens produisent des discours râpés en faisant émerger les maux sociaux. Ces maux sont le point de départ pour les rappeurs afin de rendre les messages vocaux, transmis spontanément, accessibles au public. Ça nous guide à recourir à la citation de Hadj Miliani qui parle du style langagier des chansons du Rap. Il dit ceci:

« Sur le plan langagier, on retrouve dans le rap divers modes de dire : alternance codique (mélange de langues standard et dialectale de l'arabe ou de l'arabe dialectal et du français) de type conversationnel (modes de dire qui sont focalisés sur des postures générationnelles : le mouv', etc.) et thématique attendue (le désarroi des jeunes, les massacres, le terrorisme, la drogue). Il y a une certaine attraction pour les dénominations étrangères qui marquent souvent la filiation musicale et l'esprit du hip hop (nom des groupes, titres des chansons). Cela se traduit également par une réactualisation des jeux et manipulations langagiers. »[3]

---

[1] - Barus-Michel (J.), Enriquez (E.), Lévy (A.) (sous la direction de) : « Identité » In ouvrage : Vocabulaire de psychosociologie, références et positions, Paris, Erès, 2002, p.175

[2] -Anthony Pecqueux : Op.cit., p.60

[3] - Hadj Miliani : Ibidem, p.773

En ce sens, l'assonance musicale du Rap est chargée du sens ; c'est qu'elle n'est pas une assonance pour bavarder, mais c'est une manière de chanter. Cette manière est appelée flow qui marque un propre style associé à chaque rappeur qui va exposer sa parole assonancée devant un public à différentes visions envers le Rap car tout auditeur n'a pas la même considération de la musique Rap qui se base sur un ensemble de points de vues. Certains considèrent le Rap comme la voix de la rue ; alors qu'autres le voient comme une source de violence et comme un art immoral qui dépasse toutes les limites de la décence. Si nous expliquons la violence sociologiquement, nous la remarquons comme une stratégie suivie par le rappeur pour transmettre d'une manière impulsive ce qui se passe sur la scène quotidienne. Ici, s'émerge un concept qui nous semble central dans notre analyse du Rap comme une forme d'expression artistique du quotidien. Nous n'allons pas le traiter longuement, mais ce qui nous intéresse le plus c'est de considérer que la vie quotidienne est une vie de routine et qu'elle est en perpétuelle répétition. Dans ce cas là, comment les rappeurs tunisiens gèrent-ils cette vie ?

Ils ont la capacité de s'adapter à la routine, non pas en l'acceptant comme telle, mais en la dépassant par le fait de donner une sorte d'imagination à la réalité sociale, parce que *« La réalité, c'est pas toujours la vérité. »*[1] C'est-à-dire que la réalité des rappeurs est créée par eux-mêmes pour fonder un monde artistique dynamique mouvant. En ce sens, le monde du Rap n'est pas du Bla Bla mais un monde qui cache toute une vérité pleine d'émotions. Ces dernières sont les points de départ pour écrire un discours critique en luttant pour la survie dans un système structural. En outre, cette lutte est considérée comme un objet de refus du modèle dominant. C'est pourquoi, nous allons analyser le contenu des chansons d'un rappeur tunisien que nous avons sélectionné. Ce rappeur est El Général qui avait l'audace en 2011 de lancer sa fameuse chanson « Président du pays 1 en 2011 » puis « Président du pays 2 en 2014 ».

Après l'écoute de ces deux chansons, nous remarquons la répétition du mot « Rayes Lebled » environ 10 fois. Cela indique que la parole est orientée vers les présidents du pays (Surtout Ben Ali et Marzougui) avec un langage ordinaire (dialecte arabe tunisien). Cela signifie aussi que la transmission du message vocal en dialecte arabe sera plus influente qu'en langue arabe littéraire. En plus, toutes les chansons de ce rappeur contiennent des rimes réduites à l'identité de la dernière voyelle (par exemple, « je connais et tu reconnais » dans la chanson intitulée sout lebled). Cette rime réduite désigne un style d'expression propre chez le rappeur. Mais la différence entre la première chanson de 2011 et celle de 2014 est au niveau des sujets abordés. C'est que la chanson de 2011 met en question la liberté, afin de critiquer le régime politique qui déclare en apparence que la population a sa liberté de s'exprimer, mais que réellement ce n'est qu'une promesse sans exécution. Ici se justifie par le fameux proverbe arabe : « Qui sème des fleurs récolte les piques ».

En revanche, la chanson de 2014 traite les problèmes économiques et sociaux causés par le régime politique. En fait, elle touche directement ce qui se passe derrière les coulisses de l'Assemblée Nationale Constituante. Mais le rappeur ne s'arrête pas à la critique, il aborde également d'autres sujets (comme le chômage, l'expatriation, la corruption, la misère, etc.) ; tel est le cas des autres chansons (Sout Lebled, What's Next, Nar&Fourgua, Live in New York) qui décrivent la réalité quotidienne de la Tunisie. Ces chansons assonancées reflètent l'aptitude de ce rappeur à occuper un territoire assez large au niveau national et international,

[1] -Richard Shusterman : « Pragmatisme, art et violence : Le cas du Rap », In Mouvement, N°26, 23/2, p.120

car il arrive à chanter à l'étranger (Stockholm). Ainsi, à travers l'exemple d'El Général, nous pouvons dire que le message vocal transmis se base sur une défense pour l'existence.

L'assonance musicale, caractéristique du Rap tunisien, est une forme d'expression qui donne une autre vision du monde social. A ce point, les chansons rimées du Rap peuvent être considérées comme un miroir réflexif de la réalité tunisienne. En plus, ces chansons deviennent source d'inspiration pour les jeunes qui les écoutent et les adoptent, parce qu'ils considèrent qu'il n'y a d'autre art capable de dévoiler le masque de la vérité que le Rap. Nous pouvons mettre l'exemple d'un événement qui a eu lieu depuis quelques années appelé « Houma artiste ». Cet événement explique la participation des jeunes qui chantent avec les rappeurs et interagissent avec eux sous le slogan suivant: Nous sommes là, nous sommes libres. C'est un slogan purement symbolique puisqu'il joue sur la capacité de ces jeunes à dépasser les contraintes quotidiennes en assimilant la musique du rap. Cela signifie que l'influence est forte qu'exercent les rappeurs, par ses chansons, sur les jeunes et même sur les autres catégories (chômeurs, réfugiés, marginaux, pauvres, etc.). Plus influent et plus proche encore du public, c'est la forte existence du Rap sur la scène ouverte qui éclaire sa capacité à se positionner comme critiqueur, revendicateur du système politique. Cette position pousse les rappeurs à renforcer d'une part, leurs existences en tant qu'acteurs dans un contexte national et global en s'adaptant à différents changements technologiques et en tant que rappeurs ayant leurs propres identités artistiques reconnues d'autre part. Mais, ces identités ne sont-elles pas des éléments essentiels pour que le Rap soit une *« expression de relégation urbaine »*[1] ?

Pour répondre à cette question, il faut tenir compte du message caché transmis par les rappeurs. En apparence, les rappeurs tunisiens chantent pour attirer l'attention du public à leurs messages transmis ; mais en profondeur, les chansons des rappeurs se considèrent comme des expressions vocales qui contribuent aux différents mouvements dynamiques de la ville. En d'autres termes, dans son texte chanté, ses gestes et ses grimaces, le rappeur vise à s'approprier l'espace public en donnant une autre lecture de l'espace urbain par toucher les catégories sociales oubliées par l'État ; celles qui vivent dans les périphéries de la ville comme présentes/absentes, surtout les pauvres. Elles sont à la fois présentes dans les statistiques officielles, mais comme des chiffres pas plus, et absentes car elles ne participent pas à la prise des décisions concernant leurs conditions de vie difficiles.

Dans ce cas là, être source de relégation urbaine le rappeur va alors utiliser ce rôle *« pour interpeller la communauté urbaine sur le fait que ces formes esthétiques peuvent contribuer, chacune à sa manière, à la reconstruction de l'espace urbain. »*[2] D'où se construit un contre-modèle résistant aux obligations objectives institutionnelles par les rappeurs tunisiens. Ce contre-modèle n'englobe pas des lois mais des expressions orales assonancées influentes plus proches des auditeurs. Cela veut dire que la recherche du Soi dans les labyrinthes de la vie urbaine quotidienne s'inscrit dans la volonté de renforcer l'existence du Rap comme forme de rivalité, même si les rappeurs tunisiens sont en train de chercher pour le Rap un statut juridique comme étant un art digne de reconnaissance. Bien qu'il n'arrive pas à trouver un statut, le Rap reste encore l'art de rue et le porte-parole des habitants des banlieues et des quartiers périphériques. Ainsi, il confirme son habilité à traiter les maux sociaux sous forme de chansons assonancées qui influencent directement les gens ordinaires

[1] Alain Milon : « Pourquoi le rappeur chante ? Le Rap comme expression de la relégation urbaine », In Cités, 2004.
[2] - Ibidem, p.3

en leur proposant une autre lecture de la vie quotidienne. C'est une vie d'interaction pour rédiger un autre scénario du Rap qui se fonde sur sa valorisation comme étant un art.

Dans cet angle, nous arrivons à dire que notre passion à faire une petite recherche sur le Rap en tant qu'art protestataire de rue se focalise sur son étude non pas comme un simple phénomène émergeant de nouveau sur scène, mais comme une nouvelle représentation de la réalité tunisienne. A ce propos, nous citons les résultats de notre recherche qui sont les suivantes :

Premièrement, le Rap est en fin de compte une forme d'expression artistique contestataire qui possède sa propre identité indépendante.

Deuxièmement, les rappeurs tunisiens, par la production des chansons, revendiquent le système politique. Ce dernier promet de résoudre les problèmes du chômage et de la marginalité des jeunes mais il ne réalise pas ça sur le plan concret. Ceci entraine des revendications et des protestations.

Cela veut dire que les maux sociaux n'ont pas besoin d'une intervention purement économique mais d'une compréhension des demandes sociales internes de la population.

Troisièmement, les rappeurs tunisiens ne sont pas isolés des changements mondiaux à base technologique où se crée un monde virtuel. Chaque individu peut réagir à distance, il en va de même pour les rappeurs qui agissent avec ce que nous appelons « Fans » grâce à des pages officielles sur Facebook et autre réseaux sociaux.

Conclusion :

En guise de conclusion, le Rap est une action musicale productrice de sens et de significations. Il est une représentation de l'espace vécu qui est la rue. En plus, il donne une autre vision du monde social. Il est considéré comme une image de Soi du rappeur à travers laquelle il transmet son message vocal au public. En ce sens, le Rap arrive à occuper la rue car il a pu sortir de l'espace fermé (studio) pour être écouté par la population ; ce qui explique la forte influence du message transmis. Ça donne une opportunité aux rappeurs pour construire leurs propres identités subjectives en tant qu'acteurs négociateurs du système politique. Mais le grand défi demeure la manière dont les rappeurs imposent leurs existences comme des artistes innovateurs dans un contexte de plus en plus complexe appelé ère de société-monde ou encore l'ère de la mondialisation.

Considéré comme forme de rivalité, le Rap occupe un espace important chez la population tunisienne. En outre, des multiples recherches au sujet du Rap se sont élaborées avec des approches multidisciplinaires. Quant au contexte tunisien, le Rap a besoin aussi d'études multidisciplinaires parce que son émergence est spécifique. A cet égard, il faut avoir un regard neuf sur le Rap en posant la question suivante: Est-ce-que le Rap en Tunisie garde-t-il encore sa place ou bien est-il en voie de disparition?

Bibliographie :

1- AVANZA (Martina) et LAFERTE (Gilles) : « Dépasser la « construction des identités »? Identification, image sociale, appartenance », In Genèses 61, 2005

2-BARRIO (Sébastien) (2007) : Sociologie du rap français : Etats des lieux (2000-2006), Thèse de doctorat en sociologie, UNIVERSITE PARIS 8 – VINCENNES/SAINT DENIS ECOLE DOCTORALE SCIENCES HUMAINES

3-BARUS-MICHEL (J.), ENRIQUEZ (E.), LEVY (A.) (Sous la direction de) (2002) : Vocabulaire de psychosociologie, références et positions, Paris, Erès

4-BORJA (Simon): « Figurer l'espace en sciences sociales », in TRANSEO n°2-3, 2010

5- DE GAULEJAC (Vincent) (2009) : Qui est-je ?, Paris, SEUIL

6- HAMMOU (Karim) : « Comment le monde social du rap aménage-t-il son territoire ? » L'exemple de la polémique autour du groupe manau, In : Sociétés contemporaines, 2005/3 no 59-60

7-MILIANI (Hadj) : «Culture planétaire et identités frontalières à propos

du Rap en Algérie », In *Cahiers d'études africaines*, 2002/4 n° 168

8-MILON (Alain) : « Pourquoi le rappeur chante ? Le Rap comme expression de la relégation urbaine », In Cités, 2004.

9- PECQUEUX (Anthony): « La politique incarnée du rap : Socio-anthropologie de la communication et de l'appropriation chansonnière », Thèse pour le doctorat de sociologie, Paris, 2003

10-PRADEAU (Jean-François) : « Des conceptions de l'espace », In : Espace Temps, N°62-63, 1996

11- SHUSTERMAN (Richard) : « Pragmatisme, art et violence : Le cas du Rap », In Mouvement, N°26, 23/2

HANNIBAL L'OMBRE DE SON PERE

D/ Adel Njim – Université de Sfax (Tunisie).

Résumé :

Dans la vie d'Hannibal dit Le Barcide, très célèbre général punique, il y a un évènement peu connu relatif à son rapport avec son père Hamilcar. Cet évènement fut déterminent dans le façonnage de la personnalité d'Hannibal. Plusieurs sources antiques nous relatent cet évènement capital dans la vie du jeune Hannibal qui est celui d'un serment qu'il fait à son père alors qu'il était encore un gamin d'environ neuf ans. Est-ce un pur cliché de la littérature littéraire romaine ? Ou est ce un évènement véridique ? Ce serment révèle combien Hannibal était « l'ombre de son père » un destin que ce général d'exception avait défendu toute sa vie avec brio. Les motivations d'un tel serment sont multiples. C'est à cette question que sera consacrée notre contribution à ce colloque. Elle visera à dévoiler à quel point un père peut-il dicter le destin de son fils. Cette enquête nous renseigne sur la famille carthaginoise et les stratégies familiales de l'époque.

Mots clés : Le serment d'Hannibal - vérité historique - cliché littéraire - motivations multiples - enseignements possibles.

Abstract:

In Hannibal's life, known as Le Barcide, a very famous Punic general, there is an unknown event related to his relationship with his father Hamilcar. This event was instrumental in shaping the personality of Hannibal. Several ancient sources tell us this important event in the life of young Hannibal, which is that of an oath he makes to his father while he was still a kid about nine years old. Is it a pure stereotype of Roman literature? Or is this a truthful event? This oath reveals how Hannibal was "the shadow of his father" a destiny that this exceptional general had defended all his life brilliantly. There are many reasons for such an oath. It is this question that will be devoted to our contribution to this colloquium. It will aim to reveal just how much a father can dictate the destiny of his son. This survey informs us about the Carthaginian family and the family strategies of the time.

Key words : Hannibal's oath - historical truth - literary cliché - multiple motivations - possible lessons.

Introduction

Notre communication va se pencher sur une question relative à la stratégie familiale dans la culture phénico-punique à travers une étude du rapport entre père et fils.

Nos connaissances sur la famille phénico-punique sont encore très limitées. Dans les œuvres majeures sur cette civilisation le thème de la famille reste traité de façon générique[1]. Se pencher sur la question des stratégies familiales au sein de cette culture est encore plus délicat. La question de la famille est encore étudiée de manière indirecte surtout à traves l'univers funéraire[2] ou sacré comme celui de la question du tophet[3]. Seulement, la littérature

[1] Lipinski, Dictionnaire ; Krings, Manuel ; Fantar, Carthage ; Lancel, Carthage.
[2] Benichou-Safar, Nécropoles.
[3] Gomez Bellard, Tophet.

nous offre quelques opportunités pour entrevoir le dossier de la famille dans la civilisation phénico-punique.

C'est ainsi que dans la vie d'Hannibal dit la Barcide ce militaire d'exception il y a un évènement peu connu relatif à son rapport avec son père Hamilcar qui nous est très utile pour voir les stratégies familiales. Cet évènement fut déterminent dans le façonnage de la personnalité d'Hannibal. Plusieurs sources antiques nous relatent cet épisode capital dans la vie du jeune Hannibal qui est celui d'un serment qu'il fait à son père alors qu'il était encore un gamin d'environ neuf ans. Cet épisode n'est pas un cliché de la littérature littéraire romaine. L'examen des témoignages littéraires confirme qu'il est bien véridique. Ce serment a fait d'Hannibal « l'ombre de son père ». Un destin que ce futur général d'exception avait incarné toute sa vie avec brio. C'est à cette question que sera consacrée notre contribution à ce colloque. Elle visera à dévoiler à quel point un père peut-il dicter le destin de son fils.

Pour mettre au clair cette question nous allons traiter trois axes. Le premier sera consacré à la présentation d'Hannibal. Nous allons nous arrêter sur la vie d'Hannibal, sur les grands traits de la personnalité d'Hannibal. Le deuxième axe étudiera le serment qu'il avait fait à son père dès son jeune âge. Il examinera les sources relatives à cet évènement. Il évoquera la question de la véracité de ce serment. Le troisième va se pencher sur les multiples motivations derrière un pareil serment paternel.

PRÉSENTATION D'HANNIBAL

Résumé de la vie d'Hannibal

Hannibal à qui nous consacrons cette communication est le général d'armée punique qui avait défié Rome et fini sa vie tragiquement. Essayons d'abord de faire une mise au point onomastique sur le nom. Le nom d'Hannibal est très répandu dans le monde punique. Il est très employé comme anthroponyme masculin mais également féminin[1]. Il signifie « le protégé de Baal ». Le personnage d'Hannibal auquel ce travail est consacré est nomme « le Barcide » du nom de la famille à laquelle il appartenait dont Hamilcar (figure 1) le père d'Hannibal est le doyen et le fondateur[2].

Malgré les multiples études sur Hannibal on peut encore tomber sur des données tout à fait insolites et peu débattues de sa vie. Il ne s'agit pas ici de prétendre résumer la vie d'Hannibal mais de s'arrêter aux évènements essentiels et surtout d'en profiter pour essayer de discerner les traits de sa personnalité. On peut diviser la vie d'Hannibal en cinq grandes étapes comme suit. La première est relative à son enfance en Afrique du Nord. La suivante est celle des années passées en Espagne. Ensuite c'est l'étape de son aventure aussi bien en Gaule qu'en Italie. La suivante est son retour en Afrique. L'ultime étape est son séjour en Orient jusqu'à sa mort.

Hannibal est né en 247 avant J.-C. (figure 2). Il avait sûrement dix ans quand son père accepte de l'emmener avec lui en Espagne selon les dires de nombreuses sources à condition que le jeune garçon fasse le serment de "n'être jamais l'ami des Romains"[3]. Hannibal grandira dans

---

[1] Lipinski, Hannibal, p. 206.
[2] Ibid., n° 6.
[3] Lancel, Hannibal 2, p. 3357.

le sud de l'Espagne, il apprendra le métier des armes d'abord avec avant de servir sous Hasdrubal son oncle par alliance. Ensuite à vingt-cinq ans, il devient lui-même chef de l'armée carthaginoise à la mort d'Hasdrubal. C'est quelques années après et précisément au printemps 218 qu'Hannibal fait irruption dans l'histoire lors de la bataille de la ville de Sagonte où il s'engage contre Rome. Avant de commencer une poursuite des Romains qui le rendra célèbre, Hannibal accompli un voyage exceptionnel vers l'Ouest. Il se rend au sanctuaire d'Héraclès situé à Gadès. En effet, Tite-Live précise qu'après s'être emparé de Sagonte, Hannibal se rendit en ce lieu pour y prononcer un vœu solennel[1]. Ensuite, commence la longue marche à travers l'Espagne et la Gaule méridionale, la traversée du Rhône et la progression rapide le long du fleuve sur sa rive gauche, le passage des Alpes et la redescente sur l'Italie. Suivront treize années de succès divers puis d'insuccès certains, avant le retour en Afrique à l'automne 203.

Pour son retour en Afrique Hannibal débarqua sur la côte du Sahel et prit ses quartiers à Hadrumète (Sousse), sans doute pour garder ses distances vis-à-vis de Carthage et d'une coterie qu'il savait hostile en son sénat et pour reconstituer son armée. Hannibal avait alors quarante ans.

Selon une légende digne de quelque crédit Hannibal avait employé ses soldats à planter en masse des oliviers[2]. C'est sans doute dans la région du Sahel que se situent ces plantations. Nous avons eu la chance de découvrir de multiples oliviers sans doute millénaires qui seraient ces fameux oliviers d'Hannibal[3].

Il fallut à Hannibal plusieurs mois pour rassembler une armée capable de se mesurer à Scipion et à ses auxiliaires indigènes. Ce fut en pays numide, sans doute non loin de Naraggara, à la frontière actuelle de l'Algérie et de la Tunisie, que se produisit l'affrontement, même si l'histoire a retenu pour cette bataille décisive le nom de Zama.

L'ironie du destin fait qu'Hannibal perdit en un seul combat le bénéfice de tant de victoires remportées sur Rome chez elle. Ensuite Hannibal va à Carthage en l'hiver 202-201 où devant le Conseil des Anciens il devait rendre compte. On ne sait trop ce que devint Hannibal, après la paix de 201. Peut-être prit-il ses distances, pour vivre quelques années sur ses terres du Sahel, entre Hadrumète et Thapsus.

Mais on le retrouve à Carthage en 196. Cette année-là, il fut élu suffète. A son entrée en charge, il prit occasion d'un différend, très probablement relatif à des questions financières, avec un magistrat. Hannibal convoqua le questeur afin qu'il lui rende compte. Celui-ci, qui devait au sortir de sa charge entrer dans l'ordre des juges, magistrats inamovibles, et se croyait donc invulnérable, négligea la convocation. Hannibal le fit arrêter et traduire devant l'assemblée du peuple, au cours d'une séance où le suffète présenta et fit aussitôt voter une loi aux termes de laquelle les juges à l'avenir seraient élus chaque année, nul ne pouvant l'être

[1] Briquel, La figure d'Héraklès, p. 32, note 9.
[2] Lancel, Hannibal, p. 23.
[3] Njim, Oliviers.

deux années de suite. Son entreprise de vérification des comptes lui ayant ensuite permis de mesurer les pertes subies par les finances publiques par suite de malversations opérées au profit de quelques oligarques, il déclara devant l'assemblée du peuple qu'en exigeant la restitution de toutes les sommes détournées l'État serait assez riche pour faire face à ses obligations financières envers Rome sans avoir besoin d'imposer les particuliers.

Hannibal eut-il le temps, en cette courte année 196-195, d'imprimer sa marque personnelle dans le développement de cette prospérité retrouvée de Carthage. On aimerait le créditer, en particulier, d'une opération urbanistique qui aboutit à doter la ville, sur la pente sud de Byrsa, d'un quartier neuf sous forme d'immeubles d'habitations collectives de plans standardisés sur des terrains jamais lotis auparavant

Hannibal s'était fait de solides ennemis à Carthage dans l'exercice de son suffétat, et notamment au sein du Conseil des Anciens à Carthage qui l'accusait d'avoir formé des projets de guerre en concertation avec le roi Antiochus III. Pour ne pas éveiller sa méfiance, ceux qui avaient obtenu la venue des envoyés du sénat leur avaient suggéré de répandre le bruit qu'ils étaient là pour régler les différends survenus entre Carthage et Massinissa. Mais Hannibal ne fut pas dupe. Depuis longtemps il avait prévu l'éventualité de devoir un jour fuir à l'improviste. Un soir à la tombée de la nuit, au lieu de rentrer chez lui, il se rendit à une porte de la ville et y retrouva deux serviteurs qui l'attendaient là avec des chevaux sans rien savoir de ses intentions. A bride abattue, chevauchant toute une nuit, il franchit d'une traite la distance qui le séparait d'une propriété qu'il avait au bord de la mer, entre Thapsus (Ras Dimass) et Acholla (Henchir Boutria) : peut-être au Ras Kaboudia, qui fait saillie sur cette côte du Sahel tunisien. Là l'attendait, prêt à appareiller, un navire qui le mena à Cercina, sans doute la plus grande des îles Kerkennah, au large de Sfax. Dans le port avaient jeté l'ancre quelques vaisseaux de commerce phéniciens ; reconnu, Hannibal répondit aux questions qu'il se rendait en ambassade à Tyr. Le temps qu'à Carthage on sût qu'il avait quitté la ville, puis qu'il avait été vu à Cercina, il était déjà à Tyr.

Cette courte seconde vie de l'exilé fut une vie d'errances où le génie d'Hannibal trouva difficilement à s'employer. De Tyr, il s'était rendu à Antioche, pour rencontrer Antiochus III. Il dut se contenter du rôle de conseiller auprès du Séleucide. L'élimination d'Antiochus le marginalisait et le rejetait dès lors à la périphérie de l'Orient hellénistique. Certaines de nos sources le montrent en Arménie où il aurait tracé les plans d'une nouvelle capitale, ce sera Artaxata , pour le roi Artaxias. D'exil en exil, Hannibal échoua finalement en Bithynie, au nord-ouest de l'actuelle Turquie, chez le roi Prusias et il ne faisait pas le moindre doute que lorsque le roi de Bithynie voulut avoir une seconde capitale plus méridionale ce fut au Punique qu'il s'adressa pour la réaliser sur le site de ce qui sera Prusa, maintenant Bursa. En 183, le sénat romain dépêcha Flamininus auprès de Prusias pour il s'agissait de régler ses différends avec un voisin, Eumène de Pergame. Selon nos sources Flamininus aurait eu à son arrivée la surprise d'apprendre la présence du Punique auprès du roi de Bithynie et en lui aurait fait reproche.

Hannibal était sur ses gardes. Il avait un refuge à Libyssa sur la côte sud de la presqu'île bithynienne, un peu à l'ouest de Nicomédie : une vraie tanière de renard, à lire Plutarque avec

des entrées et des sorties multiples. Quand il apprit que les soldats de Prusias étaient déjà dans le vestibule de la maison, il envoya des serviteurs explorer les autres issues : elles étaient déjà, elles aussi, gardées par des sbires du roi. Il eut alors recours au poison qu'il avait toujours sur lui, prêt pour une telle éventualité. Il avait probablement soixante-trois ans.

Personnalité d'Hannibal

Essayons de brosser les grands traits de sa personnalité. C'est un peu étonnant mais Hannibal ne connais pas l'Afrique et probablement aussi les Africains. En effet, le paradoxe, quand il s'agit du personnage le plus justement fameux de l'Afrique punique, est que sur soixante-trois années de vie il n'en a passé qu'un très petit nombre sur la terre africaine, si l'on excepte les années d'enfance[1]. C'est cette méconnaissance qui lui était fatale.

Par contre, Hannibal jouissait d'une grande popularité parmi ses soldats. Il est élu Général par l'armée composée en grande partie de mercenaires. Cette décision est ratifiée par le peuple de Carthage. Une telle attitude reflète sans doute son humanisme. Le général carthaginois est un calculateur. Il profite des tensions à l'intérieur de la ligue italienne pour rallier les Italiens à lui surtout de Capoue afin de préparer la guerre contre Rome et surtout assurer le passage terrestre. Egalement, ce général punique est doué d'une originalité tactique. Ces victoires à Trasimène en 217 et à Cannes en 216 sont dues à une révolution des bases de la stratégie militaire. Le passage des Alpes avec son armée devenu une légende prouve qu'Hannibal est doté d'une audace exceptionnelle. Parmi les qualités peu connues d'Hannibal son génie bâtisseur. On lui accord des travaux d'urbanisme telle celui du quartier de Byrsa et le plan des deux cités en Orient. En plus, Hannibal avait le génie d'un bon gestionnaire de crise. On lui attribue d'avoir ordonné à ses soldats la plantation d'oliviers au Sahel. Cette mesure avait un but immédiat celui d'éviter les effets négatifs de l'oisiveté sur les soldats m ais surtout permettre à Carthage à moyen et à long terme de trouver les moyens de subvenir à une situation économique délicate. Notre découverte d'oliviers au tronc géant au Sahel pourrait correspondre à ces plantations[2].

SERMENT D'HANNIBAL

Histoire

L'évènement le plus marquant dans la vie d'Hannibal qui a littéralement façonné sa vie eu lieu à son jeune âge. Il s'agit du serment qu'il avait fait à son père pour vouer sa vie à lutter contre Rome. Ce serment remonterait au printemps de l'année 237 av. J.-C. quand Hannibal était alors âgé de neuf ans. Hamilcar s'apprêtait à quitter l'Afrique pour aller en Espagne. Sur le point de quitter Carthage, Hamilcar offrit un sacrifice pour obtenir des présages favorables. La cérémonie achevée, il fit venir le jeune Hannibal et lui demanda s'il désirait l'accompagner dans son expédition. L'enfant ayant accepté, Hamilcar le conduisit devant l'autel et lui fit juger qu'il ne serait jamais l'ami des Romains[3].

[1] Lancel, Hannibal 2, p. 3356.
[2] Njim, Op. Cit.
[3] Lancel, Hannibal , p. 59-60.

Le serment qu'on attribue à Hannibal est rapporté par plusieurs auteurs anciens dont surtout Polybe et Tite Live[1]. C'est le récit de Polybe qui a donné à cet évènement le plus de force symbolique parmi les récits dont nous disposons[2].
Le serment d'Hannibal figure aussi dans les principales biographies consacrées à Hannibal comme celle de Gilbert Charles Picard[3] et de Serge Lancel[4] qui se sont arrêtés à cet évènement dans la vie du personnage.

Véracité

La question de l'authenticité du serment a été longuement discutée par les critiques modernes. Beaucoup la réfutèrent en arguant qu'elle aurait pris corps dans la première moitié du deuxième siècle quand Rome s'efforçait de justifier moralement sa politique agressive à l'égard de Carthage[5]. Selon cette opinion, Polybe avait utilisé cette image comme preuve morale de sa thèse selon laquelle la cause première de la seconde guerre punique est l'implacable animosité d'Hamilcar contre Rome qu'il s'efforçait de transmettre à ses descendants comme une mission à accomplir qui dépasse sa propre vie[6].
Pour Tite-Live le serment ne fait pas de doute. Selon lui Hamilcar et son fils Hannibal ne font qu'un. Cette ressemblance va même jusqu'aux traits physiques[7].
Cette histoire du serment d'Hannibal serait elle tout simplement un cliché littéraire. Selon cette piste le barbare qui s'est levé contre Rome qu'incarne Hannibal n'oserait de lui-même à s'opposer à Rome si ce n'est un destin particulier qui l'aurait fait faire. Dans le cas d'Hannibal ce fut l'ascendant de la haine paternelle qui lui a été imposée dès son jeune âge. On retrouve fréquemment ce cliché chez de multiples auteurs latins. Valère Maxime rapporte qu'Hamilcar voyant ses enfants jouer se serait écrié « ce sont là des lionceaux que j'élève pour la ruine de Rome ! »[8].

MOTIVATIONS DU SERMENT

Les motivations de ce serment sont diverses. D'abord les mobiles culturels. Il n'est aucun doute que les Phéniciens sont des Sémites et les Puniques en Afrique du Nord sont largement imprégnés de la culture sémitique. Alors, la mentalité sémitique imprégnée de l'univers biblique a-t-elle pu influencer Hamilcar dans son comportement avec son fils Hannibal ?

Motivations culturelles

Quelques exemples des rapports entre père et fils dans la littérature orientale pourraient sans doute nous éclairer sur le comportement d'Hamilcar en tant que père avec son fils Hannibal.
Dans la littérature biblique, nous avons écho du fils de Noé qui refusait de suivre son père et monter dans l'arche quand le déluge menaçait de tout emporter[9]. Nous avons un exemple opposé à cette situation de mésentente entre père et fils qui est marquée par une harmonie et

[1] Lancel, Hannibal 2, p. 3357.
[2] Lancel, Hannibal, p. 59.
[3] Picard, Hannibal, p. 26 et 40.
[4] Lancel, Hannibal, p. 59-60.
[5] Op. Cit., p. 60.
[6] Ibid., p. 60.
[7] Ibid., p. 84 et 87.
[8] Ibid., p. 25.
[9] Ibn Khethyr, Debut et fin, vol. I, p. 174.

une complicité parfaite. C'est l'image du roi David et son fils Salomon. Ce couple père-fils est l'image idéalisée d'une relation positive entre un père et son fils puisque Salomon siégeait avec son père David alors qu'il était encore enfant[1]. Mieux encore, le père autorisait son fils à à avoir un avis différent dans ses sentences et le prenait en considération. Le schéma idéalisé des rapports entre père et fils se retrouve aussi dans l'histoire du prophète Abraham et son fils. L'obéissance du fils d'Abraham est dans cette histoire sans faille puisque le fils accepte même d'être égorgé par son père[2]. Ces quelques exemples montrent comment dans la culture sémitique dont sont imprégnés Hamilcar et son fils Hannibal le rapport entre père et fils est commandé le schéma de la continuité.

Motivations politiques

Le serment qu'exige Hamilcar de son fils a des motivations politiques évidentes. Faut il rappeler qu'Hannibal était né en 246 av. J.-C. c'est-à-dire juste vers la fin de la seconde guerre punique (264-241 av. J.-C.) qui était une période très difficile pour Carthage aussi bien sur le plan interne qu'externe. Ainsi, le départ du général punique Hamilcar en Espagne en 237 av. J.-C. était la conséquence d'une politique décidée à Carthage pour se refaire et pour se libérer d'une lourde indemnité de guerre[3]. La famille des Barcides était désignée pour cette mission nationale qui était sans doute un privilège au sien de Carthage.

En effet, le privilège politique de la famille des Barcides est indissociable d'un aspect social. Celui de la concurrence entre de multiples familles puniques qui se sont constituées en véritables dynasties pour briguer les hautes fonctions de l'Etat. La famille Barcide dont Hannibal est issue. Cette famille fait partie de l'aristocratie punique. Elle était sans doute en concurrence avec celle des Magonides. La famille des Barcides a réuni quelques insignes du pouvoir dont l'attribution du commandement militaire suprême accordé à Hamilcar. L'accès des Barcides à la richesse foncière. En effet, quand Hannibal retourne d'Italie à l'automne de 203 av. J.-C. il aborde les côtes africaines à Leptis Minus l'actuelle Lamta au Sahel où il s'installe pendant plusieurs mois. C'est dans le patrimoine familial foncier qu'il trouve refuge[4].

Motivations sociales

Hannibal jouissait d'une place distinguée au sein de la famille des Barcides et aux yeux de son père. Hannibal est le premier fils d'Hamilcar[5]. Il est né après trois sœurs et fut suivi de deux garçons. De ce fait, il est considéré comme le fils ainé dans la famille. Le prénom d'Hannibal signifie « soutien de Baal »[6]. Ce prénom reflète sûrement le souci d'Hamilcar d'avoir une descendance masculine. Ce qui explique par la suite le fait d'avoir tiré son fils dans son sillage et d'avoir scellé son destin.

---

[1] Ibid., p. 167.
[2] Ibid., p. 234.
[3] Op. Cit., p. 61.
[4] Ibid., p. 22.
[5] Lancel, Hannibal, p. 24.
[6] Lipinski, Op. Cit., p. 206.

Conclusion

Lors de cette communication, nous avons traité d'un aspect que nous pensons insolite d'Hannibal qui du celui rapport à son père. Nous sommes en fin convenus qu'Hannibal était sans aucun doute l'ombre de son père. Les raisons sont multiples à cette vocation. Elles sont à la fois culturelles, politiques et familiales. Hannibal a incarné son destin avec excellence puisqu'il est devenu une légende.

La figure militaire d'Hannibal est sans doute la plus médiatisée. Seulement ce général punique d'exception n'a pas qu'une facette militaire. Nous en avons découvert un bâtisseur, un concepteur de cités et un même planteur d'oliviers. Ces côtés divers et riches tous sont encore très mal connus d'Hannibal. Ils sont le reflet de la richesse de sa personnalité et nous incitent à l'avenir à le médiatiser autrement.

Ce dossier est sans doute intéressant pour mieux connaitre les stratégies familiales dans la culture punique. La question de grandes familles puniques devenues de véritables dynasties politiques comme celle des Barcides dont est issu Hannibal ou des Magonides est encore peu étudiée.

BIBLIOGRAPHIE :

Bénichou-Safar, Nécropoles : Benichou-Safar H., « Nécropoles », in Edward Lipinski Dir.), *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et Punique*, Bruxelles-Paris 1992, p. 311-312.

Briquel, La figure d'Héraklès : Briquel D., « L'utilisation de la figure d'Héraklès par Hannibal Remarques sur les fragments de Silènos de Kaléakté », in Jean-Marie André (éd), *Hispanité et romanité*, Madrid 2004, p. 29-37.

Fantar, Carthage : Fantar Mh. H., *Carthage approche d'une civilisation*, 2 volumes, Tunis 1994.

Gomez Bellard, Tophet : Gomes Bellard C., « Tophet », in Edward Lipinski (Dir.), *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*, Bruxelles-Paris 1992, p. 461-463.

Ibn Kethyr, Début et fin : Ibn Kethyr, *Début et Fin*, Beyrouth 1970, volume I (version arabe).

Krings, Manuel : Krings V., (Dir.), *La civilisation phénicienne et punique Manuel de recherche*, Leiden- New York - Koln 1995.

Lancel, Carthage : Lancel S., *Carthage*, Paris, 1992.

Lancel , Hannibal : Lancel S. , *Hannibal*, Paris 1995.

Lancel, Hannibal 2 : Lancel S, « Hannibal », *in Encyclopédie Berbère*, Aix-en-Provence 2000, volume XXII, p. 3356-3361.

Lipinski, Dictionnaire : Edward Lipinski (Dir)., *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*, Bruxelles-Paris 1992.

Lipinski, Hannibal : Lipinski E., « Hannibal », *in* Lipinski E., (dir.), *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*, Paris-Bruxelles, 1992, p. 206-207.

Picard, Hannibal : Picard G. Ch., *Hannibal*, Paris 1967.

Njim, Oliviers : Njim A., « Les oliviers d'Hannibal au Sahel », Communication présentée au colloque de Kalea Seghyra, Juin 2017, en cours de publication.

LISTE DES FIGURES

Figure 1. Hamilcar Barca : Lancel S., Hannibal, Paris 1995, figure 2.

Figure 2. Hannibal : Lancel, Carthage, figure 68.

CATALOGUE DES FIGURES



Figure 1



Figure 2

المركز الجامعي آفلو
ص ب 603